هنري جيمس

صورة سيدة

عربي - انكليزي

الجزء الأول



دار ومكتبة الهلال
بيروت

دار البحار
بيروت

هنري جيمس
(1916-1843)

يُعتبر هنري جيمس أحد أهم المؤلفين في عصره. ولد في نيويورك في أسرة ثرية وعلى قدر وافر من الثقافة والعلم. غادر الولايات المتحدة الأميركية في الثلاثينيات من القرن الماضي، إيماناً منه أن المجتمعات الأوروبية الأقدم والأكثر تنوّعاً من المجتمع الأميركي التقليدي ستوفّر له مادة أكثر زخماً وثراء لرواياته، وفي عام 1876 إختار إنجلترا موطناً ثانياً له حيث إستقر فيها حتى وفاته.

يشتهر هنري جيمس بنتاج ضخم من الأعمال الأدبية والمسرحية شملت 112 قصة قصيرة، و20 رواية، ومجلّدين عن سيرة حياته، و16 مسرحية وما يُقارب 3000 صفحة من النقد الأدبي. كانت شخصيات قصصه الصغيرة ورواياته تنطوي على الكثير من التعقيدات النفسية، إلا أنها إتّسمت بنمط عام يتناول حياة شخص بريء خالٍ من سوء النيّة، ورقيق المشاعر ومُتّقد الذهن (عادة أميركي الجنسية) ينطلق بحثاً عن الخبرة والتعلّم من خلال رحلاته. غالباً ما سافر ذلك الشخص إلى أوروبا مُكتشفاً التناقض بين العالم القديم المُتجسّد في القارة الأوروبية والعالم الجديد الذي تُجسّده الولايات المتحدة. أهم رواياته التي تتبع هذا النمط، الأميركي (1877)، والأوروبيون (1878) وإنطباعات سيدة (1881). أصبح لاحقاً الناصح المخلص للكتّاب الشباب الذين إعتبروا أنفسهم تلاميذه وهو "مرشدهم الروحي".



Volume One
Chapter One

Under certain circumstances there are few hours in life more agreeable than the hour dedicated to the ceremony known as afternoon tea. There are circumstances in which, whether you partake of the tea or not–some people of course never do–the situation is in itself delightful. Those that I have in mind in beginning to unfold this simple history offered an admirable setting to an innocent pastime. The implements of the little feast had been disposed upon the lawn of an old English country-house, in what I should call the perfect middle of a splendid summer afternoon. Part of the afternoon had waned, but much of it was left, and what was left was of the finest and rarest quality. Real dusk would not arrive for many hours; but the flood of summer light had begun to ebb, the air had grown mellow, the shadows were long upon the smooth, dense turf. They lengthened slowly, however, and the scene expressed that sense of leisure still to come which is perhaps the chief source of one's enjoyment of such a scene at such an hour. From five o'clock to eight is on certain occasions a little eternity; but on such an occasion as this the interval could be only an eternity of pleasure. The persons concerned in it were taking their pleasure quietly, and they were not of the sex which is supposed to furnish the regular votaries of the ceremony I have mentioned. The shadows on the perfect lawn were straight and angular; they were the shadows of an

الكتاب الأول
الفصل الأول

تصبغ بعض الظروف الخاصة على ساعات تناول الشاي عند العصر، صبغة استثنائية خاصة من التناغم والانسجام يقل نظيرها مقارنة بساعات النهار الأخرى. توجد ظروف سواء شاركت في تناول الشاي أم لم تفعل تكون التجربة خلالها مُسِرَّة. طبعاً هناك بعض الأشخاص الذين يغفلونها تماماً. وفّر الأشخاص الذين أعتزم تقديمهم في بداية هذا السرد التاريخي الوجيز خلفية رائعة لسلوَة بريئة. إتخذ منفّذو هذه المتعة الباهرة مواقعهم على مَرجة منزل ريفي إنجليزيِ الطابع، في منتصف عصر أحد أيام فصل الصيف المثالية المناخ. كان قد انقضى جزء لا بأس به من عصر ذلك اليوم، إلا أن ما تبقى منه كان مميّزا بروعة استثنائية. كان ما زال هناك بضع ساعات قبل حلول الغسق، ولكن فيض ضياء الصيف كان قد انحسر وأصبح الهواء رقيقاً وتحولّت الظلال المنتشرة فوق العشب الكثيف إلى أشكال طويلة. غير أن استطالت تلك الظلال كانت بطيئة، وجنّد المشهد إحساسا براحة ستُخيّم على المكان عمّا قريب، والذي ربما يكون المصدر الأساسي لاستمتاع المرء بمثل تلك الساعة. تبدو الفترة الممتدة بين الساعة الخامسة والثامنة مساء في بعض المناسبات مُملّة وطويلة أشبه بالأبدية، إلا أنها تتسم في مناسبات مماثلة لهذه المناسبة بأبدية من السعادة الحسّية. كان الأشخاص المَعنين بهذه المناسبة ينهلون من تلك السعادة بسكون وهدوء، علماً أنهم ليسوا من الجنس المُفترض به توفير مثل ذلك التعبّد الورع الخاص بتلك الشعائر التي ذكرتها سابقاً. اتسمت الظلال الظاهرة على المَرجة الرائعة بالاستقامة والبروز، كانت ظِلال رجل عجوز جالس في كرسي عميق مصنوع من الأماليد المجدولة بالقرب من طاولة وطيئة

وُضعت فوقها أواني الشاي، ورجلان في مقتبل العمر يتحدثان في مواضيع شتّى ويتمشّيان جيئة وذهاباً أمامه. كان الرجل العجوز مُمسكاً بفنجانه الشاي، الفريد في حجمه الكبير وزخرفته المختلفة عن باقي مجموعة فناجين الشاي الأخرى والمصبوغ بألوان زاهية. رشف آخر قطرة من محتوياته بكثير من الحذر وهو مُمسك به لبعض الوقت قريباً من ذقنه ومُلتفت بوجهه نحو المنزل. واصل رفيقاه الذين إما أنهما إنتهيا من تناول الشاي أو كانا غير مكترثين بهذه الحظوة، سيرهما البطيئ على المَرجة وهما يدخنان السجائر. كان أحد الرجلين ينظر بين الفينة والأخرى بكثير من الاهتمام إلى الرجل المُسنّ الذي استراح نظره على التُربة الحمراء الغنية عند مُقدّمة منزله وهو غافل عن كونه محطّ مراقبة الرجل الآخر. كان المنزل القائم وراء نطاق المَرجة مَبنى مميزاً يستحق كل ذلك الإهتمام وأكثر الأشياء بروزاً وسط هذا المشهد الإنجليزي الاستثنائي الذي حاولت وصفه.

كان ذلك المنزل منتصباً فوق هضبة منخفضة ترتفع فوق نهرٍ هو نهر التايمز الذي يبعد مسافة أربعين ميلاً تقريبا عن لندن. أظهرت واجهة أمامية طويلة مُجَمْلَنة من القرميد، ذات مظهر خارجي خطّ عليه الزمن والمناخ خِدع تصويرية متنوعة غريبة، إلا أنها لم تؤدّ سوى إلى تحسين صورتها وصقلها؛ عارضة للمَرجة الممتدة أمامها، رقعاتها من النبات المُعترش، ومداخنها المُتعنقدة ونوافذها المكبوحة بنباتها المُعترش. كان لذلك المنزل إسم وتاريخ مُميّزين، وكان أحبّ على قلب الرجل المُسن الذي كان يتناول الشاي، سرد سيرة ذلك المنزل وكيف أن تاريخ بنائه يعود لعهد الملك أدوارد السادس، وأن أجنحته استضافت لليلة واحدة إليزابيث الشهيرة (وتمدّد جسدها المهيب فوق سرير ضخم، فخم ومُزوّى

old man sitting in a deep wicker-chair near the low table on which the tea had been served, and of two younger men strolling to and fro, in desultory talk, in front of him. The old man had his cup in his hand; it was an unusually large cup, of a different pattern from the rest of the set and painted in brilliant colours. He disposed of its contents with much circumspection, holding it for a long time close to his chin, with his face turned to the house. His companions had either finished their tea or were indifferent to their privilege; they smoked cigarettes as they continued to stroll. One of them, from time to time, as he passed, looked with a certain attention at the elder man, who, unconscious of observation, rested his eyes upon the rich red front of his dwelling. The house that rose beyond the lawn was a structure to repay such consideration and was the most characteristic object in the peculiarly English picture I have attempted to sketch.

It stood upon a low hill, above the river–the river being the Thames at some forty miles from London. A long gabled front of red brick, with the complexion of which time and the weather had played all sorts of pictorial tricks, only, however, to improve and refine it, presented to the lawn its patches of ivy, its clustered chimneys, its windows smothered in creepers. The house had a name and a history; the old gentleman taking his tea would have been delighted to tell you these things: how it had been built under Edward the Sixth, had offered a night's hospitality to the great Elizabeth whose august person had extended itself upon a huge, magnificent, and terribly angular bed which

بشكل كبير والذي ما زال يُشكّل قطعة الشرف الرئيسية في غرف النوم)، وكيف تعرّض ذلك المنزل لكثير من التشوية خلال حروب كرومويل، ومن ثم بعدما شهد خلال فترة إستعادة الملكية في إنجلترا عمليات ترميم وتوسيع وإعادة بناء في القرن الثامن عشر، إنتقل إلى عُهدة مصرفي أمريكي حذق، اشتراه في المقام الأول (نتيجة ظروف خاصة لا مجال لشرحها الآن) على ضوء صفقة رابحة للغاية، وبكثير من التذمّر إزاء قبحه، وقدمه، وصعوبة السكن فيه، وقد أصبح الآن بعد انقضاء عشرون عاما على تلك الصفقة شديد التعلّق به؛ مُطّلع على كل زاوية فيه، بحيث يمكنه إعلامك أين يمكنك الوقوف بالضبط للاستمتاع بمشهد شامل للمنزل، والإشارة عليك بالساعة المحددة حيث تكتسب ظلال نتوءاته المتنوعة، التي تُرخي ظلالها بلطف فوق القرميد الدافئ المنهك، القياس الصحيح.

كما يمكنه بالإضافة إلى ذلك، كما ذكرت سابقاً، تسمية معظم الأشخاص الذين تعاقبوا على إمتلاك ذلك المنزل، البعض منهم على قدر وافر من الشهرة والمركز الرفيع، إلا أنه يروي لك هذه الوقائع بدون أن يبدو عليه أي إقتناع ظاهر بأن المرحلة الأخيرة من قدر هذا المنزل ليست جديرة بالاحترام على الإطلاق. لم يكن مدخل المنزل الرئيسي واجهة المنزل المشرفة على ذلك القسم من المَرجة التي استأثرت باهتمامنا، بل كان المدخل في جهة آخرى مستقلة تماما عن واجهة المنزل. كانت للخصوصية الفردية المنزلة الأسمى في ذلك المنزل، وبدى بساط المرجة الأخضر العريض الذي غطّى مُنبَسط قمة الهضبة وكأنه امتداد لجزء داخلي مُترف. طرحت أشجار السنديان والزّان الساكنة والوافرة ظلالاً كثيفة تساوي كثافة الستائر المخملية، وكان المكان مفروشاً وكأنه غرفة جلوس،

still formed the principal honour of the sleeping apartments, had been a good deal bruised and defaced in Cromwell's wars, and then, under the Restoration, repaired and much enlarged; and how, finally, after having been remodelled and disfigured in the eighteenth century, it had passed into the careful keeping of a shrewd American banker, who had bought it originally because owing to circumstances too complicated to set forth it was offered at a great bargain: bought it with much grumbling at its ugliness, its antiquity, its incommodity, and who now, at the end of twenty years, had become conscious of a real aesthetic passion for it, so that he knew all its points and would tell you just where to stand to see them in combination and just the hour when the shadows of its various protuberances–which fell so softly upon the warm, weary brickwork–were of the right measure.

Besides this, as I have said, he could have counted off most of the successive owners and occupants, several of whom were known to general fame; doing so, however, with an undemonstrative conviction that the latest phase of its destiny was not the least honourable. The front of the house overlooking that portion of the lawn with which we are concerned was not the entrance-front; this was in quite another quarter. Privacy here reigned supreme, and the wide carpet of turf that covered the level hill-top seemed but the extension of a luxurious interior. The great still oaks and beeches flung down a shade as dense as that of velvet curtains; and the place was furnished, like a room, with cushioned seats, with rich-coloured rugs, with the books and

papers that lay upon the grass. The river was at some distance; where the ground began to slope, the lawn, properly speaking, ceased. But it was none the less a charming walk down to the water.

The old gentleman at the tea-table, who had come from America thirty years before, had brought with him, at the top of his baggage, his American physiognomy; and he had not only brought it with him, but he had kept it in the best order, so that, if necessary, he might have taken it back to his own country with perfect confidence. At present, obviously, nevertheless, he was not likely to displace himself; his journeys were over, and he was taking the rest that precedes the great rest. He had a narrow, clean-shaven face, with features evenly distributed and an expression of placid acuteness. It was evidently a face in which the range of representation was not large, so that the air of contented shrewdness was all the more of a merit. It seemed to tell that he had been successful in life, yet it seemed to tell also that his success had not been exclusive and invidious, but had had much of the inoffensiveness of failure. He had certainly had a great experience of men, but there was an almost rustic simplicity in the faint smile that played upon his lean, spacious cheek and lighted up his humorous eye as he at last slowly and carefully deposited his big tea-cup upon the table. He was neatly dressed, in well-brushed black; but a shawl was folded upon his knees, and his feet were encased in thick, embroidered slippers. A beautiful collie dog lay upon the grass near his chair, watching the master's face almost as tenderly as the master took in the still more magisterial physiognomy of the house; and a

حيث انتشرت في أرجائه المقاعد الوثيرة، والسجاد الغني بالألوان وكتب وأوراق موضوعة فوق العشب الأخضر. كان انقطاع النهر يبعد مسافة غير قصيرة عن مكان بدء انحدار الأرض باتجاه المرجة، إلا أن هذا الواقع لم يؤثر سلباً على حميمة التنزّه نزولا حتى جنبات المياه.

احتفظ الرجل المسن الجالس بالقرب من الطاولة بقسمات وجهه الأمريكية الطابع، التي كانت على رأس أمتعته التي جلبها معه عند مغادرته وطنه الأم أمريكا منذ ثلاثين عاماً. لم يكتفِ بذلك، بل حافظ على تلك القسمات الأمريكية المميزة بشكل رائع أتاح له لو أراد العودة بها إلى موطنه عاد بها بكل ثقة. ولكن بدى واضحاً في الوقت الحاضر أنه ليس بوارد الانتقال إلى أي مكان؛ فقد أنجز كافة رحلاته، وكان يأخذ قسطاً من الراحة خلال الفترة التي تسبق الراحة الأبدية. كان ذو وجه هزيل وقسمات متوازنة وتعابير هادئة مرهفة الملاحظة. كان واضحاً أنه وجه لا يختزن الكثير من الصور المتنوعة، ما جعل ميزة رهافة الملاحظة الرضية تبرز كفضيلة مميزة. بدت وكأنها تُشير إلى أن صاحبها كان رجلاً ناجحا في الحياة، إلا أنها في الوقت ذاته كانت دلالة على أن نجاحه لم يكن نجاحاً مقصوراً على شخص واحد أو مثيرا للاستياء والحسد، بل كان يتسم بكثير من الفشل المسالم. من غير ريب أنه اختبر العديد من الرجال، إلا أن إبتسامته الضعيفة اتسمت بما يُشبه البساطة الريفية، وانتشرت على خدّه العريض وأضاءت عيناه الهزليتين، حين وضع أخيراً على الطاولة فنجانه الشاي الكبير بكثير من البطء والحذر. كانت ثيابه السوداء المُزأبرة تدل على الأناقة والذوق، إلا أن شالاً كان مثنياً فوق ركبتيه ورجليه مُصندقتين داخل شِبشب مُطرّز. وكان هناك كلب كوليّ جميل راقد فوق العشب بالقرب من كرسيه، يراقب وجه سيده بحنان يكاد يوازي الحنان الذي كان السيد يرمق به المظهر الخارجي الملوكي الذي يتسم به المنزل، بينما كلب

تَرير صغير ونشط كان يثب ويقفز ويُبدي إهتماماً خاصاً بالسيدين الآخرين.

كان أحدهما رجلا ذو سعة في الخامسة والثلاثين من عمره، ووجه إنجليزي الملامح مشابها لوجه الرجل المسن الذي وصفته آنفا ولكن مختلفاً عنه في كثير من النواحي. كان ذلك الوجه يتسم بوسامة مُلفتة للنظر، وتعابير صريحة واضحة، وقسمات حازمة ومستقيمة، وعينان رماديتان مُفعمتان بالحياة ولحية كستانئية اللون. كان ذلك الشخص يتمتع بطلعة مميزة مشرقة ـ مزاج بهيج مُخصّب برفعة عالية في الذوق والتفكير والتصرف ـ الأمر الذي كان قد يدفع مطلق مراقب له للشعور بالحسد والتمني لو كان مكانه. كان منتعلاً حذاء لركوب الخيل ومُمَهْمزاً وكأنه ترجّل للتو من ركوب طويل على متن جواد. وكان معتمراً قبعة بيضاء اللون واسعة ويداه وراء ظهره. وممسكا بقبضة إحدى يديه قفازين مصنوعين من نوع خاص من جلد الغنم.

كان رفيقه السائر إلى جانبه على طول المرجة الخضراء، شخصاً ذو طابع مختلف تماما؛ فبالرغم من أنه كان مثيرا لفضول رزين، فقد كان خلافاً لصديقه لا يثير لديك رغبة عمياء بأن تكون مكانه. كان طويل القامة هزيل الجسم، قبيح الوجه سقيمه، يعلوه بغير انتظام شارب وسَبَلة. بدا رجلا اجتمع لديه الذكاء والمرض، وهو وضع بكل تأكيد أبعد ما يكون عن وضع مثالي، وكان مرتديا سترة مخملية بنية اللون، ومُقحما يداه داخل جيوب سرواله بشكل يدل على أنها عادة مُستحكمة لديه. إتسمت طريقة مشيته ببطء الحركة وتثاقلها وبدت قدماه غير راسختين على الأرض. وكما ذكرت سابقا، كان كلما مرّ من أمام الرجل المسن الجالس في مقعده، لا يغفل إطلاقا النظر إليه، وتبيّن في هذه اللحظة دونما أدنى شكّ، حين كان

little bristling, bustling terrier bestowed a desultory attendance upon the other gentlemen.

One of these was a remarkably well-made man of five-and-thirty, with a face as English as that of the old gentleman I have just sketched was something else; a noticeably handsome face, fresh-coloured, fair and frank, with firm, straight features, a lively grey eye and the rich adornment of a chestnut beard. This person had a certain fortunate, brilliant exceptional look–the air of a happy temperament fertilized by a high civilization–which would have made almost any observer envy him at a venture. He was booted and spurred, as if he had dismounted from a long ride; he wore a white hat, which looked too large for him; he held his two hands behind him, and in one of them–a large, white, well-shaped fist–was crumpled a pair of soiled dog-skin gloves.

His companion, measuring the length of the lawn beside him, was a person of quite a different pattern, who, although he might have excited grave curiosity, would not, like the other, have provoked you to wish yourself, almost blindly, in his place. Tall, lean, loosely and feebly put together, he had an ugly, sickly, witty, charming face, furnished, but by no means decorated, with a straggling moustache and whisker. He looked clever and ill–a combination by no means felicitous; and he wore a brown velvet jacket. He carried his hands in his pockets, and there was something in the way he did it that showed the habit was inveterate. His gait had a shambling, wandering quality; he was not very firm on his legs. As I have said, whenever

he passed the old man in the chair he rested his eyes upon him; and at this moment, with their faces brought into relation, you would easily have seen they were father and son. The father caught his son's eye at last and gave him a mild, responsive smile.

"I'm getting on very well," he said.

"Have you drunk your tea?" asked the son.

"Yes, and enjoyed it."

"Shall I give you some more?"

The old man considered, placidly. "Well, I guess I'll wait and see." He had, in speaking, the American tone.

"Are you cold?" the son enquired.

The father slowly rubbed his legs. "Well, I don't know. I can't tell till I feel."

"Perhaps some one might feel for you," said the younger man, laughing.

"Oh, I hope some one will always feel for me! Don't you feel for me, Lord Warburton?"

"Oh yes, immensely," said the gentleman addressed as Lord Warburton, promptly. "I'm bound to say you look wonderfully comfortable."

"Well, I suppose I am, in most respects." And the old man looked down at his green shawl and smoothed it over his knees. "The fact is I've been comfortable so many years that I suppose I've got so used to it I don't know it."

"Yes, that's the bore of comfort," said Lord Warburton.

ينظر إلى الرجل العجوز، الشبه الكبير بينهما والدلالة الواضحة على أنهما والد وابنه. أخيراً وقعت عينا الوالد على نظرات إبنه واستجاب بابتسامة لطيفة.

قال: "أشعر بتحسّن كبير."

سأل الإبن: "هل تناولت الشاي؟"

"نعم، وقد استمتعت بذلك."

"أترغب بالمزيد؟"

فكّر الرجل المسنّ، بهدوء. "أظن يُستحن بي الانتظار، وسنرى لاحقاً." قال ذلك بلكنة أمريكية واضحة.

سأل الإبن: "هل تشعر بالبرد؟"

قال الوالد وهو يُدلّك قدميه "لا أعرف، لا يمكنني الجزم بذلك بدون أن أتحسّس قدماي."

قال الرجل الشاب ضاحكاً: "ربما قد يقوم أحدهم بذلك."

"أتمنى أن يشعر بي أحدهم بشكل دائم! ألا تشعر بي يا لورد وربيرتن؟"

أجاب الرجل المُخاطَب باسم اللورد وربيرتن، بشكل فوري: "طبعاً وبكل تأكيد. يمكنني القول وبكل ثقة أنك تنعم بالراحة بشكل مذهل."

قال الرجل المسنّ وهو يخفض نظره إلى الشال الأخضر ويُمسّده فوق ركبتيه: "أظن أن ذلك صحيح، في معظم الأحيان. بالواقع انقضت سنوات عديدة وأنا أنعم بالراحة لدرجة أنني إعتدت عليها بحيث أصبحت أجهلها."

قال اللورد وربيرتن: "نعم هذا جِمل الرفاهية، فنحن لا نشعر بشيء

إلا حين نفتقر إلى الراحة.

علّق رفيقه: "يبدو لي أننا مجموعة إستثنائية من البشر نوعاً ما."

قال اللورد وربيرتن هامساً: "طبعاً، لا شك بذلك." خيّم الصمت على الرجال الثلاثة لبعض الوقت، بينما الرجلين الشابين بقيا واقفان في مكانهما ينظران إلى الرجل الثالث الذي طلب المزيد من الشاي.

أضاف اللورد وربيرتن قائلا، بينما انهمك رفيقه بملء فنجان الرجل المسنّ: "أظن أنك منزعج جداً بوجود هذا الشال على ركبتيك."

صاح الرجل المرتدي السترة المخملية: "كلا، من الضروري أن يحتفظ بالشال! إياك أن تضع مثل هذه الأفكار في رأسه."

قال الرجل المسنّ بكل بساطة: "إنه شال زوجتي."

"حسناً، إذا كان الأمر يستند إلى أسباب عاطفية . . ." وأومأ اللورد وربيرتن إيماءة اعتذار.

قال الرجل المسنّ: "أظن يجدر بي أن أعطيها إياه حين تأتي."

"رجاءً لن تفعل شيئاً من هذا القبيل. ستحتفظ به لتغطية ركبتيك العجوزتين المسكينتين."

قال الرجل المسنّ: "حسناً، ولكن يُستحسن بك عدم شتم قدماي، فهما ليستا أفضل من قدميك."

أجاب ابنه وهو يناوله الشاي: "لك كامل الحرية بشتم قدماي كيفما يحلو لك ذلك."

"حسناً، كلانا مجرّد شخصين سقيمي الجسم، لا أظن هناك فارق كبير بيننا."

"إنني شاكر لك جداً لنعتي بسقيم الجسم. هل الشاي كما ترغبه؟"

"We only know when we're uncomfortable."

"It strikes me we're rather particular," his companion remarked.

"Oh yes, there's no doubt we're particular," Lord Warburton murmured. And then the three men remained silent a while; the two younger ones standing looking down at the other, who presently asked for more tea.

"I should think you would be very unhappy with that shawl," Lord Warburton resumed while his companion filled the old man's cup again.

"Oh no, he must have the shawl!" cried the gentleman in the velvet coat. "Don't put such ideas as that into his head."

"It belongs to my wife," said the old man simply.

"Oh, if it's for sentimental reasons-" And Lord Warburton made a gesture of apology.

"I suppose I must give it to her when she comes," the old man went on.

"You'll please to do nothing of the kind. You'll keep it to cover your poor old legs."

"Well, you mustn't abuse my legs," said the old man. "I guess they are as good as yours."

"Oh, you're perfectly free to abuse mine," his son replied, giving him his tea.

"Well, we're two lame ducks; I don't think there's much difference."

"I'm much obliged to you for calling me a duck. How's your tea?"

"إنه ساخن بعض الشيء."

"من المُفترض إعتبار ذلك من حسناتي."

همس الرجل المسنّ بحنان: "لا شك بوجود الكثير من الحسنات، فهو ممرض رائع فعلاً يا لورد وربيرتن."

سأل اللورد: "أليس أخرقاً بعض الشيء"؟

"لا، ليس بأخرق. آخذين بعين الإعتبار كونه مريضا هو الآخر. إنه ممرّض جيد ـ بالنسبة لممرض مريض. أدعوه ممرّضي المريض نظراً لأنه هو نفسه مريضاً."

صاح الرجل القبيح: "لا داعي لمثل هذا الكلام يا والدي!

"ولكنك مريض فعلا، كم كنتُ أتمنى لو كان الوضع خلاف ذلك. ولكن أظن لا يمكنك فعل شيء حيال هذا الأمر."

قال الرجل الشاب: "قد أحاول، إنها فكرة لا بأس بها."

سأل والده: "هل عانيت من أي مرض في حياتك يا لورد وربيرتن؟

أجاب اللورد وربيرتن بعد لحظة من التفكير: "نعم يا سيدي، خلال فترة وجودي في الخليج الفارسي."

قال الرجل الآخر: "إنه يسخر منك يا والدي، هذا نوع من الدعابة."

قال الوالد بهدوء: "بالواقع يبدو أنه هناك أنواعاً متنوعة من الدعابات في يومنا هذا، على أية حال، لا يبدو عليك أنك عانيت من أي مرض يا لورد وربيرتن."

قال صديق اللورد وربيرتن: "إنه مريض ومشمئز من الحياة، كان يقول لي ذلك للتو؛ وكان يستفيض بشرح وجهة نظره هذه بشكل مخيف."

سأل الرجل المسنّ بجدّية: "أصحيح هذا يا سيدي؟

"في حال كان ذلك صحيحاً، لم يقدّم لي إبنك أية تعزية على

"Well, it's rather hot."

"That's intended to be a merit."

"Ah, there's a great deal of merit," murmured the old man, kindly. "He's a very good nurse, Lord Warburton."

"Isn't he a bit clumsy?" asked his lordship.

"Oh no, he's not clumsy–considering that he's an invalid himself. He's a very good nurse–for a sick-nurse. I call him my sick-nurse because he's sick himself."

"Oh, come, daddy!" the ugly young man exclaimed.

"Well, you are; I wish you weren't. But I suppose you can't help it."

"I might try: that's an idea," said the young man.

"Were you ever sick, Lord Warburton?" his father asked.

Lord Warburton considered a moment. "Yes, sir, once, in the Persian Gulf."

He's making light of you, daddy," said the other young man. "That's a sort of joke."

"Well, there seem to be so many sorts now," daddy replied, serenely. "You don't look as if you had been sick, any way, Lord Warburton."

"He's sick of life; he was just telling me so; going on fearfully about it," said Lord Warburton's friend.

"Is that true, sir?" asked the old man gravely.

"If it is, your son gave me no consolation. He's a

wretched fellow to talk to–a regular cynic. He doesn't seem to believe in anything."

"That's another sort of joke," said the person accused of cynicism.

"It's because his health is so poor," his father explained to Lord Warburton. "It affects his mind and colours his way of looking at things; he seems to feel as if he had never had a chance. But it's almost entirely theoretical, you know; it doesn't seem to affect his spirits. I've hardly ever seen him when he wasn't cheerful–about as he is at present. He often cheers me up."

The young man so described looked at Lord Warburton and laughed. "Is it a glowing eulogy or an accusation of levity? Should you like me to carry out my theories, daddy?"

"By Jove, we should see some queer things!" cried Lord Warburton.

"I hope you haven't taken up that sort of tone," said the old man.

"Warburton's tone is worse than mine; he pretends to be bored. I'm not in the least bored; I find life only too interesting."

"Ah, too interesting; you shouldn't allow it to be that, you know!"

"I'm never bored when I come here," said Lord Warburton. "One gets such uncommonly good talk."

"Is that another sort of joke?" asked the old man. "You've no excuse for being bored anywhere. When I was your age I had never heard of such a thing."

الإطلاق. إنه شخص بائس يصعب التحدث معه. متشائم بشكل كامل. لا يبدو أنه يؤمن بشيء على الإطلاق."

قال الشخص المُتّهم بالتشاؤم: "هذا نوع آخر من الدعابات."

"هذا يعود لوضعه الصحي الضعيف الذي يؤثر سلباً على تفكيره ونظرته للأمور، يشعر وكأنه لم يحظ أبداً بفرصة مؤاتية. ولكن كما تعلم فالأمر برمته مسألة نظرية، لم تؤثّر على معنوياته. يندر أن أراه غير مبتهج ومرح ـ كما تراه الآن. غالباً ما يرفع من معنوياتي المنهارة."

نظر الشاب الذي وُصِف على هذا النحو إلى اللورد وربيرتن وانفجر ضاحكا. "هل هذا مديح متوقّد أم إتهام طائش؟ أترغب أن أنفّذ نظرياتي، يا والدي؟"

صاح اللورد وربيرتن: "وحقّ جوبيتر، لا شك أننا سنشاهد بعض الأمور الغريبة!

قال الرجل المسنّ: "آمل ألّا تكون اتخذت مثل ذلك الأسلوب."

"أسلوب وربيرتن أسوأ من أسلوبي؛ فهو يتظاهر بالملل، ليس إلا. بينما أنا لا أشعر بالملل على الإطلاق، وأجد الحياة مثيرة جدا."

"مثيرة جدا؛ كما تعلم يجدر بك عدم السماح بحصول ذلك أبدا."

قال اللورد وربيرتن: "لا أشعر بالملل على الإطلاق حين آتي إلى هنا، فالمواضيع التي نناقشها إستثنائية وغير مألوفة بشكل رائع."

قال الرجل المسنّ: "هل هذا نوع آخر من الدعابات؟ لا عذر لديك البتة للشعور بالملل في أي مكان تكون فيه، فحين كنت في عمرك لم أسمع قط بمثل هذا النوع من الكلام."

"لا بد وأن يكون نموّك جاء في فترة متأخرة من العمر."

"كلا، بل نَمَوت بشكل سريع للغاية؛ وكان هذا عاملا حاسما في حياتي. ما كدت أبلغ العشرين من عمري، حتى كان نموي قد اكتمل بشكل كبير. كنت أعمل بجدٍ بدون كلل. لن تشعر بالملل إذا كان عندك مهنة تمارسها، إلا أنكم معشر شباب اليوم لا تعملون البتة، وتضعون ملذاتكم في المقام الأول من إهتماماتكم. إنكم نيّقين ومن الصعب جداً إرضاءكم، وشديدو الكسل وفاحشو الثراء."

صاح اللورد وربيرتن: "الحق يُقال أنك بالكاد الشخص الملائم لاتهام الآخرين بالثراء الفاحش!"

سأل الرجل المسنّ: "هل تقصد قولك هذا كوني صاحب مصرف؟

"يمكنك قول هذا إذا شئت. وكذلك بسبب امتلاكك لموارد مالية غير محدودة، أليس هذا صحيحا"؟

قال الشاب الآخر متوسّلا الرحمة: "إنه ليس فاحش الثراء، فقد وهب مبالغ كبيرة من ثروته."

قال اللورد وربيرتن: "حسنا، ولكنها كانت أمواله الخاصة؛ وفي هذه الحالة أيعقل وجود دليل أكبر من هذا عن الثراء الفاحش؟ لا داعي لمحسن اجتماعي التحدّث عن ملذات الآخرين."

"والدي من أكبر مشجعي المتع الحسية ـ الخاصة بالآخرين."

قال الرجل المسنّ وهو يهزّ برأسه علامة النفي: "لا أدّعي البتة مساهمتي بأي شيء من شأنه تعزيز سلوى معاصريّ."

"إنك شديد التواضع يا والدي العزيز!"

قال اللورد وربيرتن: "هذه دعابة أخرى، يا سيدي."

"لديكم أنتم معشر الشباب الكثير من الدعابات. عندما تنضب الدعابات لا يتبقى لديكم شيء."

"You must have developed very late."

"No, I developed very quick; that was just the reason. When I was twenty years old I was very highly developed indeed. I was working tooth and nail. You wouldn't be bored if you had something to do; but all you young men are too idle. You think too much of your pleasure. You're too fastidious, and too indolent, and too rich."

"Oh, I say," cried Lord Warburton, "you're hardly the person to accuse a fellow-creature of being too rich!"

"Do you mean because I'm a banker?" asked the old man.

"Because of that, if you like; and because you have-haven't you?- such unlimited means."

"He isn't very rich," the other young man mercifully pleaded. "He has given away an immense deal of money."

"Well, I suppose it was his own," said Lord Warburton; "and in that case could there be a better proof of wealth? Let not a public benefactor talk of one's being too fond of pleasure."

"Daddy's very fond of pleasure–of other people's."

The old man shook his head. "I don't pretend to have contributed anything to the amusement of my contemporaries."

"My dear father, you're too modest!"

"That's a kind of joke, sir," said Lord Warburton.

"You young men have too many jokes. When there are no jokes you've nothing left."

علّق الرجل القبيح قائلا : "من حسن الحظ وجود المزيد من الدعابات بشكل دائم."

"لا أظن ذلك. بل أعتقد أن الأمور تسير نحو مزيد من الجدّية. وستتبيّنون ذلك قريبا أنتم الشباب."

"مزيد من الأمور الجدّية. إذن هذه ستكون فرصة نادرة لنبع لا ينضب من الدعابات."

قال الرجل المسنّ: "لا بد وأن تكون دعابات مَقيتة. إنني مقتنع بأن تغيّرات جذرية ستحصل قريباً؛ ولن تكون كلها نحو الأفضل."

قال اللورد ووربيرتن: "أوافقك الرأي تماما يا سيدي. إنني متأكد جدا بقرب وقوع تغيرات جذرية وحصول أمور غريبة. ولهذا السبب بالذات أجد صعوبة كبيرة بالأخذ بنصيحتك لي؛ فكما تعلم نصحتني ذات يوم "بالتشبّث" بمسألة ما، فالمرء يتردد بالتشبّث بمطلق شيء قد ينهار صباح اليوم التالي."

قال رفيقه شارحاً ما يقصد بقوله لوالده: "يجدر بك التشبّث بفتاة جميلة. إنه يبذل أقصى جهده للوقوع في الحب."

صاح اللورد ووربيرتن: "قد تنهار النساء الجميلات شأنهن شأن المسائل الأخرى!"

أجاب الرجل العجوز: "كلا، كلا، بل سيكنّ حازمات ولن يتأثرنّ بالتغيرات الاجتماعية والسياسية التي ذكرتها للتو."

"أتقصد أنه لن يُقضى عليهن؟ حسناً، إذن. سأتشبّث بواحدة منهن حالما تسنح لي الفرصة وأربطها بإحكام حول عنقي باعتبارها طوق نجاة."

قال الرجل المسنّ: "نجاتنا ستكون على يد السيدات، أقصد على يد

"Fortunately there are always more jokes," the ugly young man remarked.

"I don't believe it–I believe things are getting more serious. You young men will find that out."

"The increasing seriousness of things, then–that's the great opportunity of jokes."

"They'll have to be grim jokes," said the old man. "I'm convinced there will be great changes; and not all for the better."

"I quite agree with you, sir," Lord Warburton declared. "I'm very sure there will be great changes, and that all sorts of queer things will happen. That's why I find so much difficulty in applying your advice; you know you told me the other day that I ought to 'take hold' of something. One hesitates to take hold of a thing that may the next moment be knocked sky-high."

"You ought to take hold of a pretty woman," said his companion. "He's trying hard to fall in love," he added, by way of explanation, to his father.

"The pretty women themselves may be sent flying!" Lord Warburton exclaimed.

"No, no, they'll be firm," the old man rejoined; "they'll not be affected by the social and political changes I just referred to."

"You mean they won't be abolished? Very well, then, I'll lay my hands on one as soon as possible and tie her round my neck as a life-preserver."

"The ladies will save us," said the old man; "that is the

الأفضل بينهن. إذ هناك بعض الخائبات. إختر السيدة الصالحة بينهن وتزوجها، وستُصبح حياتك أكثر إثارة وحلاوة."

شكّل صمت خاطف على سامعيه وربما أضاف إحساسا بالشهامة على كلماته، إذ لم يكن يُخفى لا على إبنه ولا على زائره، بأن تجربته الزوجية لم تكن بالتجربة السعيدة. وكما نوّه هو نفسه، ليس جميع النساء سيئات، وقد يكون القصد من كلامه هذا، نوعا من الإعتراف بخطأ شخصي، علماً أنه طبعا لم يكن من اللائق على أي من رفيقيه التعليق بالقول على أن السيدة التي وقع اختياره عليها لم تكن من الأفضل بين النساء.

قال اللورد وربيرتن: "إذا تزوجت إمرأة مثيرة، فسأصبح شخصا مثيرا؛ هل هذا ما تقصد قوله؟ لست متحمّسا البتة للزواج - أخطأ إبنك بالتعبير عما أشعر به؛ ولكن لا يمكن الجزم بما يمكن أن يكون تأثير إمرأة مثيرة عليّ.

قال صديقه: "أرغب برؤية فكرتك عن المرأة المثيرة."

"يا صديقي العزيز، لا يمكنك رؤية الأفكار. خاصة تلك البالغة الرقّة كالأفكار التي أختزنها في ذهني. لو أمكنني أنا بذاتي رؤيتها. سأكون عندها قد خطوت خطوة كبيرة إلى الأمام."

قال الرجل المسنّ: "حسناً يمكنك الوقوع في حب مَن تشاء من النساء، باستثناء الوقوع في حب قريبتي."

قال إبنه ضاحكا: "سيعتبر كلامك هذا استفزازاً أو تحريضاً له. لقد عشت مع الشعب الإنجليزي سنوات عديدة ولا شك أنك فهمت الكثير من أقوالهم، إلا أنك ما زلت تجهل الأمور التي لا يتحدثون عنها!"

best of them will–for I make a difference between them. Make up to a good one and marry her, and your life will become much more interesting."

A momentary silence marked perhaps on the part of his auditors a sense of the magnanimity of this speech, for it was a secret neither for his son nor for his visitor that his own experiment in matrimony had not been a happy one. As he said, however, he made a difference; and these words may have been intended as a confession of personal error; though of course it was not in place for either of his companions to remark that apparently the lady of his choice had not been one of the best.

"If I marry an interesting woman I shall be interested: is that what you say?" Lord Warburton asked. "I'm not at all keen about marrying- your son misrepresented me; but there's no knowing what an interesting woman might do with me."

"I should like to see your idea of an interesting woman," said his friend.

"My dear fellow, you can't see ideas–especially such highly ethereal ones as mine. If I could only see myself–that would be a great step in advance."

"Well, you may fall in love with whomsoever you please; but you mustn't fall in love with my niece," said the old man.

His son broke into a laugh. "He'll think you mean that as a provocation! My dear father, you've lived with the English for thirty years, and you've picked up a good many of the things they say. But you've never learned the things they don't say!"

"I say what I please," the old man returned with all his serenity.

"I haven't the honour of knowing your niece," Lord Warburton said. "I think it's the first time I've heard of her."

"She's a niece of my wife's; Mrs. Touchett brings her to England."

Then young Mr. Touchett explained. "My mother, you know, has been spending the winter in America, and we're expecting her back. She writes that she has discovered a niece and that she has invited her to come out with her."

"I see–very kind of her," said Lord Warburton. "Is the young lady interesting?"

"We hardly know more about her than you; my mother has not gone into details. She chiefly communicates with us by means of telegrams, and her telegrams are rather inscrutable. They say women don't know how to write them, but my mother has thoroughly mastered the art of condensation. 'Tired America, hot weather awful, return England with niece, first steamer decent cabin.' That's the sort of message we get from her–that was the last that came. But there had been another before, which I think contained the first mention of the niece. 'Changed hotel, very bad, impudent clerk, address here. Taken sister's girl, died last year, go to Europe, two sisters, quite independent.' Over that my father and I have scarcely stopped puzzling; it seems to admit of so many interpretations."

"There's one thing very clear in it," said the old man;

أجاب الرجل المسنّ بهدوئه المعتاد: "يمكنني قول ما يحلو لي من الكلام."

قال اللورد وربيرتن: "لم أتشرّف بالتعرّف على قريبتك، أظن أنها المرة الأولى التي أسمع بها."

"إنها إبنة شقيقة زوجتي؛ ستصطحبها السيدة توشيت معها إلى إنجلترا."

قال الشاب توشيت شارحاً الوضع لصديقه: "والدتي تقضي فصل الشتاء في الولايات المتحدة كما تعلم، ونتوقع عودتها قريباً. وقد كتبت لنا رسالة تُعلمنا أنها إكتشفت وجود إبنة شقيقة لها وستجلبها معها لدى عودتها."

قال اللورد وربيرتن: "فهمت ـ إنّها خطوة لطيفة جداً من ناحيتها. هل السيدة الشابة إمرأة مثيرة؟"

"بالكاد معلوماتناعنها تفوق ما تعرفه أنت، فوالدتي أهملت التحدث بالتفاصيل عنها. فهي تعتمد وسيلة التلغرافات للإتصال بنا، وتلغرافاتها مبهمة بعض الشيء. يقولون أن النساء يجهلن أسلوب كتابة التلغرافات إلا أن والدتي أتقنت فن الكتابة المقتضبة إلى درجة كبيرة. (تعبة أمريكا طقس حار مروع. أعود إلى إنجلترا مع قريبة. أوّل سفينة بخارية لائقة.) هذا نوع الرسائل التي تُرسلها لنا. كان ذلك آخر ما وصلنا منها. ولكن هناك رسالة قبل هذه وأظن أنها تضمنت الإشارة الأولى عن ابنة الأخت (بدّلت الفندق. سيء جداً. موظف وقح. العنوان هنا. أخذت إبنة الأخت، توفّت السنة الماضية. أذهب إلى أوروبا. شقيقتان. مستقلتان تماماً) وقعنا أنا ووالدي في حيرة كبيرة إزاء هذه المعلومات، إذ بدت أنها تحتوي على الكثير من التأويلات."

قال الرجل المسنّ: "هناك معلومة واضحة جداً، وهي أنها وبّخت

موظف الفندق توبيخاً قاسيا. "

"لستُ متأكداً حتى من تلك المعلومة، نظراً لأنه أقلها من الفندق. ظننا بادئ الأمر أن الأخت التي ذكرتها في الرسالة هي شقيقة الموظف؛ إلا أن الإشارة اللاحقة عن قريبة بدت وكأنها دليل واضح عن إحدى خالاتي. ومن ثمّ كان هناك تساؤل فيما يتعلّق بالشقيقتين الثانيتين، أغلب الظن أنهما إبنتا خالتي المتوفاة حديثا. ولكن مَن منهن "مستقلّة تماما"، وماذا تقصد بتلك العبارة؟ ما زالت هذه النقطة غير مبتوت فيها. هل تقصد الفتاة الشابة التي تبنّتها والدتي أم أنها وصف شامل لشقيقاتها دون إستثناء؟ وهل إستُخدِمت تلك العبارة بالمعنى الأدبي أم المالي؟ هل تعني أنهن في وضع مالي جيد، أم أنهن لا يرغبن منّة أحد؟ أم أنها تقصد وبكل بساطة أنهن ينفّذن ما يرغبن به؟"

علّق السيد توشيت: "مهما يكن القصد من تلك العبارة، فالمعنى الأخير واضح تماما."

سأل اللورد وربيرتن: "سترى بنفسك، ما موعد وصول السيدة توشيت؟"

"نجهل ذلك تماما، ستصل حالما تعثر على مقصورة لائقة. قد تكون ما تزال حتى الساعة بانتظار العثور على تلك المقصورة، وقد تكون من ناحية أخرى قد ترجّلت من باخرة رست الآن على شواطئ إنجلترا."

"في تلك الحالة، كانت أرسلت تلغرافا تُعلمكما بذلك."

قال الرجل المسنّ: "لا ترسل التلغرافات أبدا في الوقت الذي نتوقع منها استلامها، بل دائما في الأوقات التي لا نتوقع استلامها البتة. إنّها ترغب بمفاجئتي بوصولها، إذ تظن أنها قد تجدني أقوم بأعمال غير

"she has given the hotel-clerk a dressing."

"I'm not sure even of that, since he has driven her from the field. We thought at first that the sister mentioned might be the sister of the clerk; but the subsequent mention of a niece seems to prove that the allusión is to one of my aunts. There there was a question as to whose the two other sisters were; they are probably two of my late aunt's daughters. But who's 'quite independent,' and in what sense is the term used?–that point's not yet settled. Does the expression apply more particularly to the young lady my mother has adopted, or does it characterize her sisters equally?–and is it used in a moral or in a financial sense? Does it mean that they've been left well off, or that they wish to be under no obligations? or does it simply mean that they're fond of their own way?"

"Whatever else it means, it's pretty sure to mean that," Mr. Touchett remarked.

"You'll see for yourself," said Lord Warburton. "When does Mrs. Touchett arrive?"

"We're quite in the dark; as soon as she can find a decent cabin. She may be waiting for it yet; on the other hand she may already have disembarked in England."

"In that case she would probably have telegraphed to you."

"She never telegraphs when you would expect it–only when you don't," said the old man. "She likes to drop in on me suddenly; she thinks she'll find me doing something

مرضية. لم يحصل شيء من هذا القبيل حتى الآن، إلا أنها لم تفقد الأمل أبدا.»

قال ابنها محاولا إظهار تقديره لخصال والدته وإعجابه بها: «إستقلالية الرأي الذي تُشير إليه هو جزء مما ورثته من خصائص الأسرة، فمهما كانت جرأة تلك الفتيات الشابات اللاتي تتحدث عنهن، فلا شك أن جرأتها تتساوى معهن. فهي تميل لتنفيذ كل الأعمال الخاصة بها بنفسها دون الإتكال على أحد، وليس عندها أي ثقة بقدرة الآخرين على مساعدتها. هي تعتبرني مجرد طابع بريدي خالٍ من الصمغ، ولن تغفر لي أبدا إذا ما تجرأت وذهبت لملاقاتها في ليفيربول.»

سأل اللورد ويربيرتن: «هل تُعلمنني على الأقل بموعد وصول قريبتك؟»

أجاب السيد توشيت: «شريطة أن تعدني بعدم الوقوع في حبها، كما أسلفت لك سابقا!»

«يبدو لي هذا شرطا قاسيا، الا تظن أنني أهل لها؟»

«بل أظن أنك مثالي جدا ولا أريد أن ينتهي بها الأمر بالزواج منك. آمل أنها لم تأتِ إلى هنا بحثا عن زوج، علما أن العديد من الفتيات يفعلن ذلك وكأن لا وجود لأزواج ملائمين في الوطن. كما يمكن أن تكون مخطوبة، فمعظم الفتيات الأمريكيات يكن مخطوبات في هذا السن، أضف إلى ذلك، لا أظن أنك ستكون زوجا مثاليا.»

قال زائر السيد توشيت: «أغلب الظن أنها مخطوبة؛ لقد تعرّفت على العديد من الفتيات الأمريكيات وكن جميعهن مخطوبات؛ إلا أن ذلك الوضع لم يشكل عائقا البتة، أقسم لك! وبالنسبة لكوني زوجاً مثاليا، فلا يمكنني الجزم بذلك، بل كل ما يمكنني القيام به هو المحاولة!»

wrong. She has never done so yet, but she's not discouraged."

"It's her share in the family trait, the independence she speaks of." Her son's appreciation of the matter was more favourable. "Whatever the high spirit of those young ladies may be, her own is a match for it. She likes to do everything for herself and has no belief in any one's power to help her. She thinks me of no more use than a postage-stamp without gum, and she would never forgive me if I should presume to go to Liverpool to meet her."

"Will you at least let me know when your cousin arrives?" Lord Warburton asked.

"Only on the condition I've mentioned–that you don't fall in love with her!" Mr. Touchett replied.

"That strikes me as hard. Don't you think me good enough?"

"I think you too good–because I shouldn't like her to marry you. She hasn't come here to look for a husband, I hope; so many young ladies are doing that, as if there were no good ones at home. Then she's probably engaged; American girls are usually engaged, I believe. Moreover I'm not sure, after all, that you'd be a remarkable husband."

"Very likely she's engaged; I've known a good many American girls, and they always were; but I could never see that it made any difference, upon my word! As for my being a good husband," Mr. Touchett's visitor pursued, "I'm not sure of that either. One can but try!"

قال الرجل المسنّ مبتسما، معتبراً معارضته لهذه الفكرة مسألة مسلية للغاية: "أرجوك حاول قدر ما يحلو لك، ولكن تجنّب إبنة خالتي."

قال اللورد وربيرتن بروح من الدعابة فاقت تلك التي ظهرت على الرجل المسنّ: "حسنا، ربما قد تكون في نهاية الأمر، غير جديرة بتلك المحاولة."

"Try as much as you please, but don't try on my niece," smiled the old man, whose opposition to the idea was broadly humorous.

"Ah, well," said Lord Warburton with a humour broader still, "perhaps after all, she's not worth trying on!"

الفصل الثاني

ابتعد رالف توشيت قليلا عن السيدين اللذين كانا يتبادلان المزاح، بمشيته المترهّلة ويداه داخل جيبَيّ سرواله وإلى جانبه كلبه التَّرير المشاكس. كان وجهه ملتفتا نحو المنزل، إلا أن عينيه كانتا منخفضتين بتأمل عميق باتجاه المرجة؛ بحيث شكّل هدفا للمراقبة للفتاة التي ظهرت منذ دقائق عند المدخل الفسيح، قبل أن ينتبه لوجودها. إسترعت إنتباهه بسبب سلوك كلبه، الذي اندفع فجأة إلى الأمام مطلقا وابلاً من النُباح الحادّ، حيث كانت نبرة الترحيب فيه واضحة أكثر من نبرة التحدّي. بدت الفتاة الشابة وكأنها أدركت تماما مغزى ترحيب الحيوان الصغير بها، والذي تقدّم منها بسرعة كبيرة رافعا قوائمه الأمامية ونظره إليها ومواصلا نباحه؛ فما كان منها إلا أن أقدمت بدون تردّد على الانحناء والإمساك به ورفعه بين يديها حتى مستوى وجهها، وهو يواصل نباحه.

أتيح لسيده الآن ما يكفي من الوقت لمتابعة هرولة بانشي ورؤية أن صديقته الجديدة كانت فتاة شابة طويلة القامة مرتدية فستانا أسود اللون، والتي بدت جميلة من النظرة الأولى. كانت حاسرة الرأس، وكأنها مقيمة في المنزل. وهو واقع بدا مُربكا لابن سيد المنزل، المدرك تماما التحفّظ الشديد تجاه وجود الزائرين والذي أصبح ضروريا منذ فترة نظراً للوضع الصحي السيء للأخير. انتبه السيدان الآخران في هذه الأثناء لوجود القادمة الجديدة.

Chapter Two

While this exchange of pleasantries took place between the two Ralph Touchett wandered away a little, with his usual slouching gait, his hands in his pockets and his little rowdyish terrier at his heels. His face was turned toward the house, but his eyes were bent musingly on the lawn; so that he had been an object of observation to a person who had just made her appearance in the ample doorway for some moments before he perceived her. His attention was called to her by the conduct of his dog, who had suddenly darted forward with a little volley of shrill barks, in which the note of welcome, however, was more sensible than that of defiance. The person in question was a young lady, who seemed immediately to interpret the greeting of the small beast. He advanced with great rapidity and stood at her feet, looking up and barking hard; whereupon, without hesitation, she stooped and caught him in her hands, holding him face to face while he continued his quick chatter.

His master now had had time to follow and to see that Bunchie's new friend was a tall girl in a black dress, who at first sight looked pretty. She was bareheaded, as if she were staying in the house–a fact which conveyed perplexity to the son of its master, conscious of that immunity from visitors which had for some time been rendered necessary by the latter's ill-health. Meantime the two other gentlemen had also taken note of the new-comer.

سأل السيد توشيت : "يا إلهي ، مَن تلك المرأة الغريبة؟"

قال اللورد وربيرتن : "ربما هي قريبة السيدة توشيت . الفتاة الشابة الجريئة . أظن لا بد وأن تكون هي بذاتها ، من أسلوب تعاملها مع الكلب . "

كان الكوليّ الآن قد خفّف من اهتمامه الشديد بالزائرة الجديدة ، وأخذ يعدو نحو السيدة الشابة الواقفة عند المدخل ، وهو يهزّ ذيله ببطء .

تمتم الرجل المسنّ : "ولكن أين زوجتي إذن؟"

"أظن أن السيدة الشابة قد تركتها وراءها في مكان ما ، فهذا جزء من استقلالية الرأي . "

تحدّثت الفتاة مع رالف وهي تبتسم وهي ما تزال تحمل التّرير بين يديها . "هل هذا كلبك الصغير يا سيدي؟"

"كان لي منذ لحظات ، إلا أنك تصرّفت فجأة وكأنه ملكك الخاص . "

قالت الفتاة : "ألا يمكننا المشاركة بملكيته؟ إنه صغير ورائع جدا . "

نظر إليها رالف للحظة ، كانت جميلة بشكل غير متوقّع .

أجاب : "يمكنك الإحتفاظ به كليا . "

بدت السيدة الشابة ذات ثقة كبيرة في نفسها وفي الآخرين ، إلا أن هذا الكرم المفاجئ أخذها على حين غرّة ما جعل حُمرة الخجل تكسو وجهها .

قالت وهي تضع الكلب على الأرض : "يجدر بي إعلامك أنني على الأرجح إبنة خالتك . "

أضافت لدى اقتراب كلب الكوليّ منها : "هذا كلب آخر!"

صاح الشاب ضاحكا : "على الأرجح؟ أظن أن هذا الأمر مفروغ منه!"

أضاف قائلا : "هل وصلتِ بصحبة والدتي؟"

"Dear me, who's that strange woman?" Mr. Touchett had asked.

"Perhaps it's Mrs. Touchett's niece–the independent young lady," Lord Warburton suggested. "I think she must be, from the way she handles the dog."

The collie, too, had now allowed his attention to be diverted, and he trotted toward the young lady in the doorway, slowly setting his tail in motion as he went.

"But where's my wife then?" murmured the old man.

"I suppose the young lady has left her somewhere: that's a part of the independence."

The girl spoke to Ralph, smiling, while she still held up the terrier. "Is this your little dog, sir?"

"He was mine a moment ago; but you've suddenly acquired a remarkable air of property in him."

"Couldn't we share him?" asked the girl. "He's such a perfect little darling."

Ralph looked at her a moment; she was unexpectedly pretty. "You may have him altogether," he then replied.

The young lady seemed to have a great deal of confidence, both in herself and in others; but this abrupt generosity made her blush. "I ought to tell you that I'm probably your cousin," she brought out, putting down the dog. "And here's another!" she added quickly, as the collie came up.

"Probably?" the young man exclaimed, laughing. "I supposed it was quite settled! Have you arrived with my mother?"

"نعم، منذ نصف ساعة."

"وهل أوصلتكِ إلى هنا وغادرت المكان ثانية؟"

"كلا، بل صعدت مباشرة إلى غرفتها. كما أخبرتني أنه في حال التقيت بك، أن أعلِمكَ بضرورة ذهابك إليها في تمام الساعة السابعة إلا ربعا."

نظر الشاب إلى ساعته. "شكراً جزيلا، سأكون عندها في الوقت المحدد."

قال وهو ينظر إلى قريبته للحظات: "أهلا وسهلا بك، إننا سعداء جدا بالتعرّف إليك."

كانت تنظر إلى كل شيء، نظرة تدل على إدراك حسّي وقوة ملاحظة. نظرت إلى رفيقها، وإلى الكلبين، وإلى الرجلين الموجودين بين الأشجار وإلى المشهد الجميل الذي يُحيط بها. "لم يسبق لي رؤية مكان في مثل هذا الجمال والروعة. لقد تجوّلت في كافة أنحاء المنزل؛ إنه ساحر حقاً."

"آسف أنك اضطررت لتمضية بعض الوقت بمفردك بدون علمنا."

"أخبرتني والدتك بأن الناس في إنجلترا يصلون إلى المكان بهدوء تام بدون إثارة أي نوع من الضجيج، وبالتالي لم أشعر بالإحراج. هل أحد هذين الرجلين والدك؟"

قال رالف: "نعم، الرجل الأكبر سنّاً ـ ذاك الجالس في مقعده."

قالت ضاحكة: "لا أظن أن الشخص الآخر هو والدك، مَن يكون ذلك الشخص الآخر؟"

"إنه أحد أصدقائنا ـ اللورد وربرتن."

"آه، كنت آمل التعرّف على أحد اللوردات؛ يبدو الأمر أشبه بحوادث

"Yes, half an hour ago."

"And has she deposited you and departed again?"

"No, she went straight to her room, and she told me that, if I should see you, I was to say to you that you must come to her there at a quarter to seven."

The young man looked at his watch. "Thank you very much; I shall be punctual." And then he looked at his cousin. "You're very welcome here. I'm delighted to see you."

She was looking at everything, with an eye that denoted clear perception–at her companion, at the two dogs, at the two gentlemen under the trees, at the beautiful scene that surrounded her. "I've never seen anything so lovely as this place. I've been all over the house; it's too enchanting."

"I"m sorry you should have been here so long without our knowing it."

"Your mother told me that in England people arrived very quietly; so I thought it was all right. Is one of those gentlemen your father?"

"Yes, the elder one–the one sitting down," said Ralph.

The girl gave a laugh. "I don't suppose it's the other. Who's the other?"

"He's a friend of ours–Lord Warburton."

"Oh, I hoped there would be a lord; it's just like a

novel!" And then, "Oh you adorable creature!" she suddenly cried, stooping down and picking up the small dog again.

She remained standing where they had met, making no offer to advance or to speak to Mr. Touchett, and while she lingered so near the threshold, slim and charming, her interlocutor wondered if she expected the old man to come and pay her his respects. American girls were used to a great deal of deference, and it had been intimated that this one had a high spirit. Indeed, Ralph could see that in her face.

"Won't you come and make acquaintance with my father?" he nevertheless ventured to ask.

"He's old and infirm–he doesn't leave his chair."

"Ah, poor man, I'm very sorry!" the girl exclaimed, immediately moving forward. "I got the impression from your mother that he was rather - intensely active."

Ralph Touchett was silent a moment. "She hasn't seen him for a year."

"Well, he has a lovely place to sit. Come along, little hound."

"It's a dear old place," said the young man, looking sidewise at his neighbour.

"What's his name?" she asked, her attention having again reverted to the terrier.

"My father's name?"

"Yes," said the young lady with amusement; "but don't

قصة روائية! "

صاحت فجأة وهي تنحني لألتقاط الكلب الصغير ثانية: "يا لك من كائن رائع!"

بقيت واقفة حيث التقيا دون أن تُبدي أية رغبة أو محاولة للتقدّم أو التحدّث مع السيد توشيت؛ وبينما تريّثت بالبقاء في مكانها، كان مُحادثها يتساءل بينه وبين نفسه عما إذا كانت تتوقع من الرجل المسنّ القيام من مكانه وتقديم إحتراماته لها. لا شك أن الفتيات الأمريكيات معتادات على الكثير من التبجيل والإحترام، وقد جرى التلميح أن هذه الفتاة الأمريكية ذات شخصية قوية ومستقلة. بالواقع شاهد رالف ذلك ظاهرا بوضوح على قسمات وجهها.

"هلا أتيت للتعرّف على والدي؟" تجرأ بالرغم من كل ما شاهده على طرح هذا السؤال عليها.

"إنه رجل مسنّ وعليل. يلازم كرسيه طوال الوقت."

صاحت الفتاة، وتحركت فورا إلى الأمام: "أوه، يا للرجل المسكين، إنني آسفة جداً. تكوّن لدي إنطباع من كلام والدتك عنه أنه رجل نشيط جدا."

صمت رالف توشيت للحظة. "بالواقع لم تشاهده منذ نحو سنة."

"يملك مكانا جميلا للجلوس فيه. هيا أيها الكلب الصغير."

قال الرجل الشاب وهو ينظر إليها: "إنه مكان قديم عزيز علينا."

سألت: "ما اسمه؟" وعادت تصب اهتمامها على كلب الترير.

"تقصدين اسم والدي؟"

قالت الفتاة الشابة بمرح: "نعم، ولكن إياك إعلامه أنني طرحت

عليك مثل هذا السؤال. "

وصلا خلال ذلك الوقت إلى حيث كان السيد توشيت الكبير جالسا، وقد نهض ببطء من كرسيه للتعريف عن نفسه.

قال رالف: "وصلت والدتي، وهذه الآنسة أرشر."

"يسعدني جدا وجودك معنا في هذا المنزل، ولكن كنت أتمنى لو منحتنا فرصة للترحيب بك بشكل ملائم." قال الرجل العجوز ذلك واضعا يديه على كتفيها وهو ينظر إليها للحظة نظرة مفعّمة بالحنان، وما لبث أن قبّلها.

قالت الفتاة: "استقبلنا حوالي إثنا عشر خادماً في الردهة، امرأة عجوز عند البوابة انحنت لنا انحناءة احترام."

قال الرجل المسنّ وهو واقف مبتسم، يفرك بيديه ويهز برأسه علامة الأسف: "أوه يمكننا القيام بأفضل من هذا. لو أتيحت لنا الفرصة! ولكن السيدة توشيت لا تحب الإستقبالات."

"توجّهت مباشرة إلى غرفتها."

"نعم. وحبست نفسها فيها. إنها تفعل ذلك دائما. حسنا، أظن أنني سأرها الأسبوع القادم." وعاد السيد توشيت ببطء إلى وضعيته السابقة.

قالت الآنسة أرشر: "ستنزل قبل ذلك عند الساعة الثامنة لتناول العشاء."

أضافت قائلة وهي تلتفت مبتسمة إلى رالف: "لا تنسَ الساعة السابعة إلا ربعاً."

"ما الذي سيحصل عند الساعة السابعة إلا ربعا؟"

"سأقابل والدتي."

علّق الرجل العجوز قائلا: "آه، يا لك من ولد محظوظ!"

tell him I asked you."

They had come by this time to where old Mr. Touchett was sitting, and he slowly got up from his chair to introduce himself.

"My mother has arrived," said Ralph, "and this is Miss Archer."

The old man placed his two hands on her shoulders, looked at her a moment with extreme benevolence and then gallantly kissed her. "It's a great pleasure to me to see you here; but I wish you had given us a chance to receive you."

"Oh, we were received," said the girl. "There were about a dozen servants in the hall. And there was an old woman curtseying at the gate."

"We can do better than that - if we have notice!" And the old man stood there smiling, rubbing his hands and slowly shaking his head at her. "But Mrs. Touchett doesn't like receptions."

"She went straight to her room."

"Yes - and locked herself in. She always does that. Well, I suppose I shall see her next week." And Mrs. Touchett's husband slowly resumed his former posture.

"Before that," said Miss Archer. "She's coming down to dinner - at eight o'clock. Don't you forget a quarter to seven," she added, turning with a smile to Ralph.

"What's to happen at a quarter to seven?"

"I'm to see my mother," said Ralph.

"Ah, happy boy!" the old man commented. "You must

قال موجها كلامه إلى قريبة زوجته: "أرجوك إجلسي، لا بد ان تتناولي الشاي."

أجابت السيدة الشابة: "قدّموا لي بعض الشاي في غرفتي لحظة وصولي." أضافت قائلة وهي تنظر إلى الرجل الواهن الجسد: "إنني آسفة لوضعك الصحي الضعيف."

"أوه، إنني رجل عجوز، يا عزيزتي. حان الوقت لأصبح مسنّاً وواهنا، ولكني سأشعر بالراحة لوجودك معنا."

عادت تنظر ثانية إلى كل ما يحيط بها. إلى المرجة، والأشجار الضخمة، ونهر التايمز الفضي والمنزل القديم الجميل؛ وأفسحت مجالا لتفحّص رفاقها خلال إلقائها نظرتها الشاملة على المكان؛ وهي صفة حدة الملاحظة التي تُميّز الفتاة الشابة الذكية والمبتهجة. إتخذت لها مقعدا ووضعت الكلب الصغير جانبا، ويداها البيضاويّتان في حضنها فوق ثوبها الأسود. كان رأسها مستقيما وعيناها مُضيئتان وجسدها مرن وليّن مع كل ما تشاهده وتصغي إليه. تشكّلت لديها إنطباعات عديدة متنوعة انعكست على وجهها بابتسامة صافية. "لم يسبق لي رؤية شيء يوازي جمال وروعة هذا المكان."

"نعم، يبدو في وضع ممتاز. أعرف مدى تأثيره عليك، لقد سبق واختبرت ذلك. ولكن تتمتعين أنت أيضا بالجمال." قال ذلك السيد توشيت بأسلوب غاية بالتهذيب لا يُقصد منه الإساءة إلى الفتاة الشابة، مدركا أن سنّه يسمح له بقول مثل هذا الكلام. حتى للشابات اللواتي يمكن أن يشعرن ببعض الإحراج من مثل هذا الإطراء.

لسنا بمعرض معرفة درجة الإحراج التي شعرت بها هذه الفتاة الشابة،

sit down. You must have some tea," he observed to his wife's niece.

"They gave me some tea in my room the moment I got there," this young lady answered. "I'm sorry you're out of health," she added, resting her eyes upon her venerable host.

"Oh, I'm an old man, my dear; it's time for me to be old. But I shall be the better for having you here."

She had been looking all round her again - at the lawn, the great trees, the reedy, silvery Thames, the beautiful old house; and while engaged in this survey she had made room in it for her companions; a comprehensiveness of observation easily conceivable on the part of a young woman who was evidently both intelligent and excited. She had seated herself and had put away the little dog; her white hands, in her lap, were folded upon her black dress; her head was erect, her eye lighted, her flexible figure turned itself easily this way and that, in sympathy with the alertness with which she evidently caught impressions. Her impressions were numerous, and they were all reflected in a clear, still smile. "I've never seen anything so beautiful as this."

"It's looking very well," said Mr. Touchett. "I know the way it strikes you. I've been through all that. But you're very beautiful yourself," he added with a politeness by no means crudely jocular and with the happy consciousness that his advanced age gave him the privilege of saying such things–even to young persons who might possibly take alarm at them.

What degree of alarm this young person took need not

إذ نهضت فورا من مقعدها وحمرة الخجل تعلو وجهها، علما أنه لم يكن، بأي شكل من الأشكال، احمرار دالّ على الغضب أو التفنيد. أجابت بضحكة سريعة: "أوه، طبعا إنني رائعة الجمال! ما قِدَم منزلك؟ هل يعود للعصر الإليصاباتي؟"

قال رالف توشيت: "بل يعود لمطلع العصر التيودَري."

التفتت إليه وهي تراقب وجهه. "مطلع العصر التيودَري؟ أمر رائع حقاً! وأظن هناك عدد كبير من المنازل الأخرى المشابهة؟"

"يوجد العديد من المنازل أكثر روعة وجمالا."

قال الرجل المسنّ محتجّا: "لا تقل مثل هذا الكلام يا بنيّ! لا يوجد منزل أفضل من هذا المنزل على الإطلاق."

"أملك منزلا ممتازا، وأظنه من بعض النواحي أفضل من هذا المنزل." قال ذلك اللورد وربيرتن، الذي كان صامتا حتى هذه اللحظة، إلا أنه كان يراقب الآنسة أرشر باهتمام كبير. انحنى قليلا وهو يبتسم؛ كان لديه أسلوب رائع للتعامُل مع النساء. لحِظَت الفتاة هذه الحقيقة في لحظة، ولم يغب عن بالها أن هذا هو اللورد وربيرتن. أضاف: "سيسعدني جداً أن تشاهديه."

صاح الرجل المسنّ: "لا تصدقيه. لا تلقي ولا حتى نظرة على ذلك المنزل! إنه عبارة عن بناء ضخم بالٍ. لا يمكن مقارنته مع هذا المنزل."

قالت الفتاة، وهي تبتسم للورد وربيرتن: "لا أعرف. لا يمكنني الحكم على ذلك."

لم يُبدِ رالف توشيت أي إهتمام على الإطلاق بهذه المناقشة، بقي واقفا ويداه داخل جيبيّ سرواله، وبدت عليه رغبة قوية بتجديد حديثه مع قريبته التي عَرف مؤخراً بوجودها. سأل في محاولة منه لاستكمال

be exactly measured; she instantly rose, however, with a blush which was not a refutation. "Oh yes, of course I'm lovely!" she returned with a quick laugh. "How old is your house? Is it Elizabethan?"

"It's early Tudor," said Ralph Touchett.

She turned toward him, watching his face. "Early Tudor? How very delightful! And I suppose there are a great many others."

"There are many much better ones."

"Don't say that, my son!" the old man protested. "There's nothing better than this."

"I've got a very good one; I think in some respects it's rather better," said Lord Warburton, who as yet had not spoken, but who had kept an attentive eye upon Miss Archer. He slightly inclined himself, smiling; he had an excellent manner with women. The girl appreciated it in an instant; she had not forgotten that this was Lord Warburton. "I should like very much to show it to you," he added.

"Don't believe him," cried the old man; "don't look at it! It's a wretched old barrack–not to be compared with this."

"I don't know–I can't judge," said the girl, smiling at Lord Warburton.

In this discussion Ralph Touchett took no interest whatever; he stood with his hands in his pockets, looking greatly as if he should like to renew his conversation with

his new-found cousin. "Are you very fond of dogs?" he enquired by way of beginning. He seemed to recognize that it was an awkward beginning for a clever man.

"Very fond of them indeed."

"You must keep the terrier, you know," he went on, still awkwardly.

"I'll keep him while I'm here, with pleasure."

"That will be for a long time, I hope."

"You're very kind. I hardly know. My aunt must settle that."

"I'll settle it with her–at a quarter to seven." And Ralph looked at his watch again.

"I'm glad to be here at all," said the girl.

"I don't believe you allow things to be settled for you."

"Oh yes; if they're settled as I like them."

"I shall settle this as I like it," said Ralph. "It's most unaccountable that we should never have known you."

"I was there–you had only to come and see me."

"There? Where do you mean?"

"In the United States: in New York and Albany and other American places."

"I've been there–all over, but I never saw you. I can't make it out."

Miss Archer just hesitated. "It was because there had been some disagreement between your mother and my father, after my mother's death, which took place when I was a child. In

الحديث معها: "هل أنتِ مولعة جدا بالكلاب؟." بدا وكأنه أدرك أنها محاولة خرقاء تصدر عن رجل على قدر لا بأس به من الفطنة والذكاء.

"إنني مولعة بالكلاب جدا."

تابع قائلا، بشيء من الإرتباك: "يجب أن تحتفظي بكلب التّرير."

"سأحتفظ به بكل سرور طوال فترة بقائي هنا."

"آمل أن تكون تلك الفترة طويلة جدا."

"هذا لطف كبير منك، لا أعلم بالضبط فترة بقائي هنا، فخالتي هي التي ستقرِّرها."

"سأتخذ ذلك القرار معها. في تمام الساعة السابعة إلا ربعا." ونظر رالف إلى ساعته ثانية.

"إنني سعيدة بمجرد إتاحة الفرصة لي للمجيء إلى هنا."

"لا أظن أنك تسمحين للآخرين باتخاذ قرارات تخصّك أنت."

"بل أفعل، هذا في حال كانت تلك القرارات وفق رغباتي."

قال رالف: "سأقرر هذه المسألة وفق ما أراه مناسباً، يصعب عليّ جدا فهم عدم التعرّف عليك من قبل."

"كنتُ هناك. كل ما كان عليك القيام به هو المجيء لرؤيتي."

"هناك؟ ماذا تقصدين؟"

"في الولايات المتحدة الأمريكية؛ في نيويورك وألباني وأماكن أخرى."

"زرت كل هذه الأماكن. ولكن لم يسبق لي التعرّف عليك. لا أفهم كيف يمكن أن يكون حصل مثل ذلك الأمر."

تردّدت الآنسة أرشر بعض الشيء. "يعود سبب ذلك لنشوء خلاف بين والدتك ووالدي، عقب وفاة والدتي، التي توفّت وأنا طفلة صغيرة.

consequence of it we never expected to see you."

"Ah, but I don't embrace all my mother's quarrels–heaven forbid!" the young man cried. "You've lately lost your father?" he went on more gravely.

"Yes, more than a year ago. After that my aunt was very kind to me; she came to see me and proposed that I should come with her to Europe."

"I see," said Ralph. "She has adopted you."

"Adopted me?" The girl stared, and her blush came back to her, together with a momentary look of pain which gave her interlocutor some alarm. He had underestimated the effect of his words. Lord Warburton, who appeared constantly desirous of a nearer view of Miss Archer, strolled toward the two cousins at the moment, and as he did so she rested her wider eyes on him. "Oh no; she has not adopted me. I'm not a candidate for adoption."

"I beg a thousand pardons," Ralph murmured. "I meant–I meant-" He hardly knew what he meant.

"You meant she has taken me up. Yes; she likes to take people up. She has been very kind to me; but," she added with a certain visible eagerness of desire to be explicit, "I'm very fond of my liberty."

"Are you talking about Mrs. Touchett?" the old man called out from his chair. "Come here, my dear, and tell me about her. I'm always thankful for information."

The girl hesitated again, smiling. "She's really very

وبالتالي لم نتوقع رؤيتك أبدا نتيجة ذلك الخلاف . "

صاح الرجل الشاب : "آه، ولكني لا أجاري والدتي في كافة نزاعاتها . معاذ الله أن أفعل ذلك ! "

تابع بنبرة أكثر جدّية : "فقدتِ والدكِ منذ فترة قصيرة؟ "

"نعم، منذ أكثر من عام . كانت خالتي عقب ذلك لطيفة جدا معي ؛ جاءت لزيارتي وعرضت عليّ مرافقتها إلى أوروبا . "

قال رالف : "فهمت، لقد تبنّتك . "

"تبنّتني؟ " جفلت الفتاة وعاد الاحمرار يصبغ وجهها، إلى جانب نظرة خاطفة من الألم أدت لشعور مُحدّثها بالإحراج والإرتباك . لم يُحسن تقدير وقع كلماته عليها . تقدّم اللورد وربيرتن، الذي كان راغبا جدا بالفوز بنظرة قريبة من الآنسة أرشر، في تلك اللحظة من القريبَين، وسرعان ما رفعت عينَيها نحوه . "أوه، كلا لم تتبنني . إنني لست مرشّحة للتبنّي . "

تمتم رالف وهو بالكاد يعرف ما كان يقصد بكلامه ذاك : "أرجو المعذرة، قصدت . قصدت القول . . . . . "

قالت بنبرة واضحة وصريحة : "تقصد أنها أخذتني تحت رعايتها . نعم، فهي تحب رعاية الناس . كانت لطيفة جدا معي، ولكني مُتشبّثة جدا بحريتي . "

نادى الرجل المسن من مقعده : "هل تقصدين بكلامك السيدة توشيت؟ تعالي إلى هنا يا عزيزتي وأخبريني عنها . إنني أرحب دائما باي معلومات عنها . "

تردّدت الفتاة ثانية وهي تبتسم . أجابت : "إنها فعلا مطبوعة على فعل

الخير." ومن ثم توجّهت نحو عمّها، الذي إزداد مرحه إثارة لدى سماعه كلامها.

بقي اللورد وربيرتن واقفا بجانب رالف توشيت، وما لبث أن قال: "تمنيت قبل لحظات رؤية فكرتي عن المرأة المثيرة. ها هي أمامك."

benevolent," she answered; after which she went over to her uncle, whose mirth was excited by her words.

Lord Warburton was left standing with Ralph Touchett, to whom in a moment he said: "You wished a while ago to see my idea of an interesting woman. There it is!"

Chapter Three

Mrs. Touchett was certainly a person of many oddities, of which her behaviour on returning to her husband's house after many months was a noticeable specimen. She had her own way of doing all that she did, and this is the simplest description of a character which, although by no means without liberal motions, rarely succeeded in giving an impression of suavity. Mrs. Touchett might do a great deal of good, but she never pleased. This way of her own, of which she was so fond, was not intrinsically offensive–it was just unmistakeably distinguished from the ways of others. The edges of her conduct were so very clear-cut that for susceptible persons it sometimes had a knife-like effect. That hard fineness came out in her deportment during the first hours of her return from America, under circumstances in which it might have seemed that her first act would have been to exchange greetings with her husband and son. Mrs. Touchett, for reasons which she deemed excellent, always retired on such occasions into impenetrable seclusion, postponing the more sentimental ceremony until she had repaired the disorder of dress with a completeness which had the less reason to be of high importance as neither beauty nor vanity were concerned in it. She was a plain-faced old woman, without graces and without any great elegance, but with an extreme respect for her own motives. She was usually prepared to explain these–when the explanation was asked as a favour; and in such a case

الفصل الثالث

مما لا ريب فيه أن السيدة توشيت كانت إنسانة غريبة الأطوار، وما طريقة سلوكها لدى عودتها إلى منزل زوجها بعد غياب بضعة أشهر سوى عيّنة لافتة للنظر من غرابة الأطوار تلك. كانت تؤدي كافة الأمور المطلوبة منها وفق أسلوب خاص بها، وهذا أبسط وصف ممكن لشخصية هي، بالرغم من كونها تتسم بذهنية متحررة وكريمة، نادرا ما كانت تنجح في إعطاء إنطباع بالرقّة واللطف. كانت السيدة توشيت تؤدي العديد من الأعمال الخيّرة، إلا أنها كانت تفشل دائما في إرضاء أحد. لم يكن أسلوبها الخاص بها الذي كانت مولعة به كريها أو عدوانيا في جوهره. لكنه كان وبكل بساطة مختلف تماما عن الأساليب المتبعة من قِبل الآخرين. كانت حدود سلوكها مُحددة وواضحة المعالم بشكل كبير، بحيث كانت تبدو أحيانا للأشخاص السريعي التأثر، ذات تأثير حادّ كالسكين القاطعة. ظهرت تلك الرقّة القاسية في طريقة تصرّفها خلال الساعات الأولى من عودتها من أمريكا، حيث كان من المُفترض أن يكون أول ما تقوم به، تحيّة زوجها وإبنها. ولكن السيدة توشيت ولأسباب كانت تعتبرها مبررة تماما، إعتادات دائما في مثل هذه الظروف الإنكفاء في عزلة لا تُخترق، مؤجّلة المراسم الأكثر إثارة للعواطف إلى حين تكون عدّلت من فوضى ثيابها، الأمر الذي كانت تعتبره غاية في الأهمية بغض النظر عن عاملي الجمال والخيلاء اللذين كانت تعتبرهما ليسا بذات أهمية على الإطلاق. كانت امرأة متقدمة في السنّ ذات وجه صريح، تفتقر إلى الكياسة أو أي نوع من الأناقة المتميّزة، إلا أنها كانت تعلّق أهمية كبيرة على دوافعها الشخصية. كانت على استعداد لتبرير تلك الدوافع، في حال طُلِبَ منها ذلك كخدمة تقدمها للآخرين؛ وفي هذه الحالة كانت تبدو تلك الدوافع على ضوء

شرحها لها مختلفة تماما عمّا ما نُسِبَ إليها. كانت عملياً منفصلة عن زوجها، إلا أنها لم تعتبر ذلك الوضع خارجا عن المألوف بأي شكل من الأشكال. بدى واضحا في مرحلة مبكّرة من زواجهما، أنهما قلّما يتفقان على الأمور ذاتها، ما دفعها إلى إنقاذ خلافهما من حيّز النكبة المُبتَذلة. وهكذا أقدمت على فعل ما أمكنها وتحويل وضعها ذاك إلى ما يُشبه العُرف باختيار العيش في فلورنسا وشراء منزلٍ هناك، تاركة لزوجها مسألة الإهتمام بالفرع الإنجليزي من المصرف الذي يملكه. شعرت بارتياح كبير إزاء هذا الترتيب، الذي إعتبرته غاية في اللباقة والتصرف اللائق المحدد. وكان له التأثير ذاته على زوجها خلال فترة عمله في ميدان كثير الضباب في لندن، حيث بدى له أحيانا أنَّ أكثر الحقائق وضوحا هي التي أمكنه إدراكها وتبيانها؛ إلا أنه كان يُفضّل لو إكتسبت مثل هذه الإجراءات غير المألوفة غموضاً أكبر. فقد كلّفته الموافقة على عدم الموافقة جهدا كبيرا، كان على استعداد للموافقة على مطلق أي شيء سوى هذا، ولم يجد أي مُبرر لضرورة أن تكون الموافقة أو المعارضة متماسكة ومتينة بهذا الشكل الكريه جدا. لم تُطلق السيدة توشيت العنان لأي نوع من التفكير العميق أو الندم أو الأسف على ما حصل، بل عكفت على المجيء عادة مرة في السنة لقضاء شهر مع زوجها؛ حيث كانت تبذل جهدا كبيرا خلال تلك الفترة لإقناع زوجها بصوابية ذلك الترتيب الذي تبنّته. لم تكن تميل على الإطلاق إلى نمط الحياة الإنجليزية، وكان لديها أربع أسباب واضحة لتبرير موقفها هذا، علما أن تلك الأسباب لم تكن أسبابا جوهرية إلا أنها كانت تُشكّل بالنسبة للسيدة توشيت مبررا كافيا لعدم العيش في إنجلترا. كانت تمقت صلصة الخبز، والتي كما كانت تقول، تبدو أشبه بالكِمادة وطعمها قريب من طعم الصابون؛ وتعارض إستهلاك الخادمات لديها للجعة؛ وتؤكّد أن

they proved totally different from those that had been attributed to her. She was virtually separated from her husband, but she appeared to perceive nothing irregular in the situation. It had become clear, at an early stage of their community, that they should never desire the same thing at the same moment, and this appearance had prompted her to rescue disagreement from the vulgar realm of accident. She did what she could to erect it into a law–a much more edifying aspect of it–by going to live in Florence, where she bought a house and established herself; and by leaving her husband to take care of the English branch of his bank. This arrangement greatly pleased her; it was so felicitously definite. It struck her husband in the same light, in a foggy square in London, where it was at times the most definite fact he discerned; but he would have preferred that such unnatural things should have a greater vagueness. To agree to disagree had cost him an effort; he was ready to agree to almost anything but that, and saw no reason why either assent or dissent should be so terribly consistent. Mrs. Touchett indulged in no regrets nor speculations, and usually came once a year to spend a month with her husband, a period during which she apparently took pains to convince him that she had adopted the right system. She was not fond of the English style of life, and had three or four reasons for it to which she currently alluded; they bore upon minor points of that ancient order, but for Mrs. Touchett they amply justified non-residence. She detested bread-sauce, which, as she said, looked like a poultice and tasted like soap; she objected to the consumption of beer by

her maid-servants; and she affirmed that the British laundress 'Mrs. Touchett was very particular about the appearance of her linen was not a mistress of her art. At fixed intervals she paid a visit to her own country; but this last had been longer than any of its predecessors.

She had taken up her niece–there was little doubt of that. One wet afternoon, some four months earlier than the occurrence lately narrated, this young lady had been seated alone with a book. To say she was so occupied is to say that her solitude did not press upon her; for her love of knowledge had a fertilizing quality and her imagination was strong. There was at this time, however, a want of fresh taste in her situation which the arrival of an unexpected visitor did much to correct. The visitor had not been announced; the girl heard her at last walking about the adjoining room. It was in an old house at Albany, a large, square, double house, with a notice of sale in the windows of one of the lower apartments. There were two entrances, one of which had long been out of use but had never been removed. They were exactly alike–large white doors, with an arched frame and wide side-lights, perched upon little "stoops" of red stone, which descended sidewise to the brick pavement of the street. The two houses together formed a single dwelling, the party-wall having been removed and the rooms placed in communication. These rooms, above-stairs, were extremely numerous, and were painted all over exactly alike, in a yellowish white which had grown sallow with time. On the third floor there was a sort of arched passage, connecting the two sides of the house, which Isabel and her sisters used in their childhood to call

الغسّالة لديها التي تحترف غسل الملابس وكيّها (إشارة إلى أن السيدة توشيت كانت دقيقة جداً فيما يتعلق بمظهر البياضات خاصتها) كانت إمرأة لا تُتقن مهنتها على الإطلاق. كما كانت تزور موطنها الأم في فترات محددة، إلا أنها لم تفعل ذلك منذ فترة ليست بالقصيرة.

قررت أن تأخذ على عاتقها مسألة الإهتمام بابنة شقيقتها، وهو أمر لا جدال فيه. كانت هذه الفتاة الشابة قبل حوالي أربعة أشهر من الأحداث الواردة آنفا، جالسة بمفردها تطالع كتابا. كانت منغمسة بمطالعتها بحيث لم تشكّل وحدتها تلك عاملا مزعجا لها، نظرا لمخيلتها الواسعة ولإتسام شغفها بالمعرفة بخاصية مُخصّبة. إلا أن وضعها في تلك اللحظة كان يفتقر لنكهة من النشاط الطَلق، والذي لم يساهم وصول زائرة غير متوقعة بالتخفيف من حدّته أو تصحيحه. لم يُعلن عن وصول تلك الزائرة، وسمعت الفتاة أخيراً وقع خطواتها في الغرفة المجاورة. حصل ذلك في منزل قديم في ألباني، كان عبارة عن بيت مزدوج واسع مُربّع الشكل، رُفع على واجهة نوافذ الطابق الأرضي منه إشعار للبيع. كان هناك مدخلان لهذا المنزل، أحدهما لم يُستعمل منذ فترة طويلة، إلا أنه بقي قائما كما هو. كان المدخلان متطابقين تماما. أبواب كبيرة بيضاء اللون، يعلوها إطار مُقنطر ومصابيح جانبية مُثبّتة فوق "انحناءات" من الحجر الأحمر، المنحدر بشكل جانبي حتى أرضية الشارع المرصوفة بالآجر. شكّل المنزلين مسكنا واحدا، بعدما أزيل الجدار المشترك بينهما وتحولت الغرف إلى أماكن سكن. احتوى الطابق العلوي على عدد وافر من الغرف، دُهنَت جميعها باللون ذاته، وهو الأبيض المائل إلى الصّفرة وقد تحوّل إلى اللون الشاحب مع مرور الزمن. ضمّ الطابق الثالث ما يُشبه الممر المُقنطر، رابطا جانبي المنزل ببعضهما البعض، قد دأبت إيزابيل وشقيقاتها خلال مراحل

طفولتهن على تسميته بالنفق. بالرغم من كونه واسع ومضيء، كان يبدو لها، دائما، غريبا ومنعزلا، خاصة في الأيام الممطرة. عاشت فترات مختلفة في هذا المنزل حين كانت طفلة؛ كانت جدتها تسكن فيه خلال ذلك الوقت. ثم غابت عنه فترة عشر سنوات، لتعود إلى ألباني قبل وفاة والدها بقليل. مارست جدّتها، السيدة أرشير الكبيرة، في الماضي أصول حسن الضيافة وفق إمكانيات الأسرة المحدودة، وغالبا ما كانت الفتيات الصغيرات يقضين أسابيع عدة في ضيافتها. شكّلت بالنسبة لإيزابيل أسعد ذكرياتها. كان نمط الحياة مختلف عن ذاك الذي اعتادته في منزلها. قد كان أكثر رحابة ووفرة، متميّزا بالبهجة والمرح؛ لم تكن قوانين الإنضباط صارمة جدا وكان مسموح لها بالجلوس وبالإصغاء إلى أحاديث البالغين (وهو أمر كانت تعتبره إيزابيل مزية غالية جدا لا حدود لها). كان هناك سيل لا ينقطع من وصول ومغادرة أبناء وبنات جدتها، بحيث بدى لها المنزل أشبه بنُزل قروي تحت إشراف سيدة لطيفة تتذمّر من العمل المتواصل إلا أنها لم تقدّم أبدا فاتورة أتعابها.

طبعا لم تكن إيزابيل تفقه شيئا عن الفواتير؛ إلا أنها، حتى وهي طفلة صغيرة، كانت تعتبر منزل جدتها بالغ الرومانسية. كان هناك رواق مسقوف في مؤخرة المنزل مجهّز بأرجوحة كانت تثير إهتماما عارما لديها؛ ووراءه حديقة مستطيلة منحدرة نحو الأسفل حتى الإسطبل مزروعة بأشجار الدرّاق ذات المذاق المميز والمألوف لديها. أمضت إيزابيل فترات عديدة عند جدتها وخلال فصول مختلفة من السنة، إلا أنه وبطريقة ما، كانت جميع زياراتها تتسم بنكهة المشمش. كان هناك في الجهة الأخرى من الشارع

the tunnel and which, though it was short and well-lighted, always seemed to the girl to be strange and lonely, especially on winter afternoons. She had been in the house, at different periods, as a child; in those days her grandmother lived there. Then there had been an absence of ten years, followed by a return to Albany before her father's death. Her grandmother, old Mrs. Archer, had exercised, chiefly within the limits of the family, a large hospitality in the early period, and the little girls often spent weeks under her roof– weeks of which Isabel had the happiest memory. The manner of life was different from that of her own home– larger, more plentiful, practically more festal; the discipline of the nursery was delightfully vague and the opportunity of listening to the conversation of one's elders 'which with Isabel was a highly-valued pleasure almost unbounded. There was a constant coming and going; her grandmother's sons and daughters and their children appeared to be in the enjoyment of standing invitations to arrive and remain, so that the house offered to a certain extent the appearance of a bustling provincial inn kept by a gentle old landlady who sighed a great deal and never presented a bill.

Isabel of course knew nothing about bills; but even as a child she thought her grandmother's home romantic. There was a covered piazza behind it, furnished with a swing which was a source of tremulous interest; and beyond this was a long garden, sloping down to the stable and containing peach-trees of barely credible familiarity. Isabel had stayed with her grandmother at various seasons, but somehow all her visits had a flavour of peaches. On the other side, across the street,

منزل قديم يُعرف باسم المنزل الهولندي، وهو عبارة عن مبنى غريب البناء يعود تاريخه إلى عصر المستعمرات الأولى، مصنوع من الآجر الأصفر اللون ومتوّج بجملون مُثلّث الزوايا، كان مَعلمة للغرباء. يصونه سياج خشبي مُتَقلقل على جانب الشارع. كان عبارة عن مدرسة ابتدائية مختلطة تحت إشراف سيدة لم تعد إيزابيل تذكر شيئاً عنها سوى شعرها المُثبّت بدبابيس غريبة الشكل وأنها كانت أرملة أحد الرجال ذوي المراكز المرموقة. سُمِح للفتاة الصغيرة فرصة تثبيت دعائم تعلّمها بالذهاب إلى تلك المؤسسة، إلا أنها لم تمكث فيها سوى يوم واحد بعدما أبدت معارضة شديدة لقوانين تلك المدرسة. وهكذا عادت إلى المنزل حيث كان يتناهى إلى مسامعها، خلال فصل أيلول حين تكون نوافذ المنزل الهولندي مشرّعة، أصوات الطلاب وهم يرددون جداول الضرب، ما كان يثير في نفسها مشاعر متضاربة من تيه التشبّث بالحرية ومعاناة الإبعاد والإقصاء.

في الواقع وُضِعَت دعائم تربيتها خلال فترة تواجدها في منزل جدتها، ونظرا لأن معظم سكانه كانوا من غير المطالعين للكتب، أتيح لها كامل حرية تسلق واجهة مكتبة مليئة بالكتب المتنوعة. وكان دليلها لاختيار الكتاب تلك الواجهة بالذات، حيث كانت تختار، كيفما اتفق، الكتاب الذي يطالعها لدى تسلقها تلك الواجهة بالذات. كانت تصحبه معها داخل غرفة غامضة في مؤخرة المكتبة، تُعرف تقليديا باسم المكتب، علما أن أحدا من سكان المنزل لم يكن يعرف السبب وراء تلك التسمية. كانت تجهل مَن كان صاحب ذلك المكتب، أو الفترة الزمنية التي شهدت أيامه الذهبية؛ كان يكفيها أن تلك الغرفة تحتوي على صدى ورائحة ذكية عتيقة،

was an old house that was called the Dutch House–a peculiar structure dating from the earliest colonial time, composed of bricks that had been painted yellow, crowned with a gable that was pointed out to strangers, defended by a rickety wooden paling and standing sidewise to the street. It was occupied by a primary school for children of both sexes, kept or rather let go, by a demonstrative lady of whom Isabel's chief recollection was that her hair was fastened with strange bedroomy combs at the temples and that she was the widow of some one of consequence. The little girl had been offered the opportunity of laying a foundation of knowledge in this establishment; but having spent a single day in it, she had protested against its laws and had been allowed to stay at home, where, in the September days, when the windows of the Dutch House were open, she used to hear the hum of childish voices repeating the multiplication-table–an incident in which the elation of liberty and the pain of exclusion were indistinguishably mingled.

The foundation of her knowledge was really laid in the idleness of her grandmother's house, where, as most of the other inmates were not reading people, she had uncontrolled use of a library full of books with frontispieces, which she used to climb upon a chair to take down. When she had found one to her taste–she was guided in the selection chiefly by the frontispiece–she carried it into a mysterious apartment which lay beyond the library and which was called, traditionally, no one knew why, the office. Whose office it had been and at what period it had flourished, she never learned; it was enough for her that it contained an

وتحولت إلى ما يُشبه مستودع لقطع الأثاث القديم حيث الخلل فيها غالبا لم يكن ظاهرا بشكل بارز، (بحيث بدا لها ذلك الخلل أشبه بمظلمة غير عادلة لا تستحق أن توضع تلك القطع بسببها في ذلك المكان)، والتي مع الأيام نشأت بينها وبين قطع الأثاث تلك علاقة شبه بشرية وقطعا دراماتيكية. كان هناك كنبة من وَبر الجَمل كانت تفضي إليها بكل معاناتها وأسرارها الطفولية. كان الكثير من غموض هذه الغرفة يعود لواقع أنه يمكن دخولها من الباب الآخر للمنزل، ذلك الباب المُهمل وغير المستعمل، والمُقفل بإحكام بالمزاليج، والتي كان من المستحيل على طفلة صغيرة فتحها. كانت تعلم أن ذلك المدخل الصامت غير المُتحرك يفضي إلى الشارع؛ وأنه لو لم تكن المصابيح الجانبية مُغلّفة بورق أخضر اللون، كان يمكنها إلقاء نظرة على الانحناءة الصغيرة البُنّية اللون والأرض المرصوفة بالآجر. ولكن لم يكن لديها أية رغبة بالنظر إلى الخارج، نظرا لأن ذلك كان سيتعارض مع نظريتها القائلة بوجود مكان غريب وغير مرئي في الجهة المقابلة، مكان تحوّل في مخيلتها إلى منطقة تحتوي على البهجة أو الرعب، إستنادا لحالاتها النفسية المختلفة.

كانت إيزابيل ما تزال جالسة في "المكتب" عصر ذلك اليوم الحزين في أوائل الربيع الذي ذكرته سابقا. كان المنزل بكامل غرفه في هذه الفترة مُتاحا أمامها لاختيار المكان الذي ترغب بالجلوس فيه، إلا أنها اختارت الغرفة الأكثر كآبة وقنوطا. لم يسبق لها أبدا فتح الباب المُقفل بالمزلاج، أو إزالة الورق الأخضر عن المصابيح الجانبية (أزيل ذلك الورق بأيدٍ تجهلها)؛ كما لم تتأكد بنفسها أبدا من وجود الشارع المبتذل القريب من

echo and a pleasant musty smell and that it was a chamber of disgrace for old pieces of furniture whose infirmities were not always apparent so that the disgrace seemed unmerited and rendered them victims of injustice and with which, in the manner of children, she had established relations almost human, certainly dramatic. There was an old haircloth sofa in especial, to which she had confided a hundred childish sorrows. The place owed much of its mysterious melancholy to the fact that it was properly entered from the second door of the house, the door that had been condemned, and that it was secured by bolts which a particularly slender little girl found it impossible to slide. She knew that this silent, motionless portal opened into the street; if the sidelights had not been filled with green paper she might have looked out upon the little brown stoop and the well-worn brick pavement. But she had no wish to look out, for this would have interfered with her theory that there was a strange, unseen place on the other side–a place which became to the child's imagination, according to its different moods, a region of delight of terror.

It was in the "office" still that Isabel was sitting on that melancholy afternoon of early spring which I have just mentioned. At this time she might have had the whole house to choose from, and the room she had selected was the most depressed of its scenes. She had never opened the bolted door nor removed the green paper renewed by other hands from its sidelights; she had never assured herself that the vulgar street lay beyond. A crude, cold rain fell heavily; the spring-time was indeed an appeal–and it seemed a cynical, insincere appeal–to

patience. Isabel, however, gave as little heed as possible to cosmic treacheries; she kept her eyes on her book and tried to fix her mind. It had lately occurred to her that her mind was a good deal of a vagabond, and she had spent much ingenuity in training it to a military step and teaching it to advance, to halt, to retreat, to perform even more complicated manoeuvres, at the word of command. Just now she had given it marching orders and it had been trudging over the sandy plains of a history of German Thought. Suddenly she became aware of a step very different from her own intellectual pace; she listened a little and perceived that some one was moving in the library, which communicated with the office. It struck her first as the step of a person from whom she was looking for a visit, then almost immediately announced itself as the tread of a woman and a stranger–her possible visitor being neither. It had an inquisitive, experimental quality which suggested that it would not stop short of the threshold of the office; and in fact the doorway of this apartment was presently occupied by a lady who paused there and looked very hard at our heroine. She was a plain, elderly woman, dressed in a comprehensive waterproof mantle; she had a face with a good deal of rather violent point.

"Oh," she began, "is that where you usually sit?" She looked about at the heterogeneous chairs and tables.

"Not when I have visitors," said Isabel, getting up to receive the intruder.

She directed their course back to the library while the visitor continued to look about her. "You seem to have plenty of other rooms; they're in rather better condition. But

المنزل. إنهمر مطر غزير بارد، كان فصل الربيع أشبه بالاستغاثة فعلا. إستغاثة بدت وكأنها دعوة ساخرة كاذبة. للتحلّي بالصبر. إلا أن إيزابيل لم تكترث كثيرا لغضب الطبيعة، وأبقت عينَيها مركّزتين على الكتاب علّها تتمكن من تركيز ذهنها على محتوياته. كانت تشعر في الآونة الأخيرة وكأن ذهنها أصبح أشبه بمتشردٍ، علما أنها مارست الكثير من أساليب البراعة لتدريبه تدريبا عسكريا صارما وتلقينه طريقة التقدّم، والتوقّف، والتراجع وأداء المزيد من المناورات الأكثر صعوبة تنفيذا لأمر ما. كانت قد انتهت للتو من إصدار أوامرها له للتقدّم، وقد امتثل بخطوات مُجهدة فوق سهول رملية مُنبسطة من الفكر الألماني. فجأة أدركت وجود وقع خطوات مختلفة تماما عن خطواتها الفكرية والتأملية؛ أصغت بانتباه وتبيّن لها وجود شخص في المكتبة المجاورة للمكتب. اعتبرت بادئ الأمر أن خطوات ذلك الشخص تعود إلى أحد زائريها، ومن ثم وبشكل فجائي تبيّن لها أن ذلك الشخص لن يكتف بالوقوف عند مدخل المكتب، وهذا ما حصل فعلا. وجدت نفسها وجها لوجه أمام امرأة غريبة عنها، تُحدّق إلى بطلتنا بنظرات ثاقبة. كانت امرأة متقدمة في السن، مرتدية وشاحا صادّا للمطر وذو وجه قاسي الملامح.

بادرتها قائلة وهي تنظر إلى الكراسي والطاولات المتغايرة الخواص والعناصر: "أوه، هل هذا مكان جلوسك المعتاد؟."

قالت إيزابيل وهي تنهض لاستقبال المرأة المتطفّلة: "ليس حين أكون أتوقع زائرين."

قادت إيزابيل زائرتها إلى داخل المكتبة، حيث واصلت الأخيرة النظر حولها. "يبدو أن لديك العديد من الغرف الأخرى؛ وهي بمجلمها أفضل

حالا من الغرفة التي كنت جالسة فيها، علما أن كل شيء يبدو باليا جدا.»

«هل جئت لإلقاء نظرة على المنزل؟ سترافقك الخادمة لتعريفك على المنزل.»

قالت المرأة الغريبة حين وجدت أن إيزابيل لزمت الصمت: «اصرفيها؛ لا أرغب بشرائه. أغلب الظن أنها تبحث عنك في الطابق الأعلى، بدت حمقاء بعض الشيء. يجدر بك إعلامها بالتوقّف عن بحثها غير المُجدي. أظنك واحدة من البنات.»

أجابت إيزابيل وهي تفكر أن تلك المرأة تفتقر إلى السلوك المهذب: «هذا يتوقف على أي بنات تقصدين؟»

«بنات المرحوم السيد أرشير وشقيقتي المسكينة.»

«أوه، إذن أنت خالتنا المجنونة ليديا!» قالت إيزابيل ببطء. إنني خالتكِ ليديا، ولكنني لست مجنونة البتة، أؤكد لك ذلك. أي من البنات أنتِ؟»

«إنني صُغرى شقيقاتي الثلاث واسمي إيزابيل.»

«نعم، شقيقتيّ هما ليليان وإيدث. وهل أنت أجملهنّ؟»

قالت الفتاة: «ليس عندي أدنى فكرة عن هذا الموضوع.»

«أظن لا بد وأن تكوني كذلك.» وهكذا تمّ التعارف بين الخالة وقريبتها. كان قد وقع خلاف قبل سنوات عديدة بينها وبين زوج شقيقتها عقب وفاة الأخيرة، مُستهجنة طريقة تنشأته بناته الثلاث. ونظرا لأنه كان رجل سريع الإنفعال فقد طلب منها عدم التدخل فيما لا يعنيها وتركه وبناته وشأنهم، ولقد نفّذت حرفيا ما طلبه منها. قطعت كافة الإتصالات معه وبقيت على هذا الوضع حتى عقب وفاته بدون أن تتصل ببناته اللاتي نشأن

everything's immensely worn."

"Have you come to look at the house?" Isabel asked. "The servant will show it to you."

"Send her away; I don't want to buy it. She has probably gone to look for you and is wandering about upstairs; she didn't seem at all intelligent. You had better tell her it's no matter." And then, since the girl stood there hesitating and wondering, this unexpected critic said to her abruptly: "I suppose you're one of the daughters?"

Isabel thought she had very strange manners. "It depends upon whose daughters you mean."

"The late Mr. Archer's–and my poor sister's."

"Ah," said Isabel slowly, "you must be our crazy Aunt Lydia!"

"Is that what your father told you to call me? I'm your Aunt Lydia, but I'm not at all crazy: I haven't a delusion! And which of the daughters are you?"

"I'm the youngest of the three, and my name's Isabel."

"Yes; the others are Lilian and Edith. And are you the prettiest?"

"I haven't the least idea," said the girl.

"I think you must be." And in this way the aunt and the niece made friends. The aunt had quarrelled years before with her brother-in-law, after the death of her sister, taking him to task for the manner in which he brought up his three girls. Being a high-tempered man he had requested her to mind her own business, and she had taken him at his word. For many years she held no communication with him and after his death had addressed not a word to his daughters, who had been bred

حسب رأيها وفق أسلوب قليل الإحترام للآخرين والذي ظهر واضحا للتو من خلال تصرفات إيزابيل. كانت السيدة توشيت كما تبيّن لنا، محترسة جدا في اتخاذ قراراتها. كانت قد اتخذت قرارا بالتوجه إلى أمريكا للعناية والسهر على شؤون استثماراتها (التي كانت مستقلة تماما عن زوجها بالرغم من مركزه المالي المرموق جدا)، وانتهاز هذه الفرصة للإستعلام عن أوضاع بنات شقيقتها. لم يكن هناك حاجة للكتابة لهن بهذا الشأن، إذ كانت تعتبر أن المعلومات التي ستستخرجها من الرسائل لا تساوي مطلقا أهمية المعلومات التي ستستنبطها من المقابلة الشخصية. تبيّن لإيزابيل أن خالتها بالرغم من القطيعة الطويلة، كانت على اطّلاع واسع بأمورهم. فقد كانت تعلم بزواج الشقيقتين الكبيرتين، وأن والدهن المسكين لم يترك لهن سوى كمية قليلة جدا من المال، وأن المنزل الكائن في ألباني والذي إنتقلت ملكيته إليهن معروض للبيع لصالحن، وأن أدموند لادلو، زوج ليليان قد اتخذ على عاتقه مسألة الإهتمام بهذا الأمر، وبسبب ذلك ما زال الزوجين اللذين انتقلا للعيش في ألباني خلال فترة مرض السيد أرشير، ما زالا يعيشان في المنزل القديم مع إيزابيل.

"ما هو المبلغ الذي تتوقعين الحصول عليه من عملية بيع المنزل؟" طرحت السيدة توشيت هذا السؤال على رفيقتها التي انتقلت بزائرتها إلى قاعة الاستقبال الأمامية والتي بعدما عاينتها عن قُرب لم تثر في نفس الأخيرة أي نوع من الحماس.

قالت الفتاة: "ليس عندي أدنى فكرة عن هذا الموضوع."

ردّت خالتها قائلة: "كررت قول هذه العبارة لي للمرة الثانية، بالرغم من أنه لا يبدو عليك أبدا أنك فتاة حمقاء."

"إنني لست حمقاء؛ ولكني لا أفقه شيئا عن الأمور المالية."

in that disrespectful view of her which we have just seen Isabel betray. Mrs. Touchett's behaviour was, as usual, perfectly deliberate. She intended to go to America to look after her investments with which her husband, in spite of his great financial position, had nothing to dò and would take advantage of this opportunity to enquire into the condition of her nieces. There was no need of writing, for she should attach no importance to any account of them she should elicit by letter; she believed, always, in seeing for one's self. Isabel found, however, that she knew a good deal about them, and knew about the marriage of the two elder girls; knew that their poor father had left very little money, but that the house in Albany, which had passed into his hands, was to be sold for their benefit; knew, finally, that Edmund Ludlow, Lilian's husband, had taken upon himself to attend to this matter, in consideration of which the young couple, who had come to Albany during Mr. Archer's illness, were remaining there for the present and, as well as Isabel herself, occupying the old place.

"How much money do you expect for it?" Mrs. Touchett asked of her companion, who had brought her to sit in the front parlour, which she had inspected without enthusiasm.

"I haven't the least idea," said the girl.

"That's the second time you have said that to me," her aunt rejoined. "And yet you don't look at all stupid."

"I'm not stupid; but I don't know anything about money."

"هذا صحيح، فهذه هي الطريقة التي تربّيت عليها. وكأنك سترثين الملايين. ما الذي ورثتيه فعلا؟"

"بالواقع لا يمكنني الجزم بذلك، يتوجب عليك طرح هذا السؤال على أدموند وليليان. سيعودان خلال نصف ساعة من الآن."

قالت السيدة توشيت: "يُعتبر هذا المنزل سيء جدا وفق المقاييس المعمول بها في فلورنسا، إلا أنه هنا يمكن أن يدر مبلغا كبيرا من المال. يتعين أن يجلب مبلغا لا بأس به من المال لكل منكن. بالإضافة إلى هذا، من الضروري جدا أن يكون لديكن مدخول إضافي؛ من الغريب جدا عدم معرفتكن بذلك وعدم تقديركن لقيمة الموقع التجاري لهذا المنزل. أغلب الظن سيُهدَم وتُبنى سلسلة من المتاجر مكانه، أتساءل ما المانع في أن تقدمي على مثل هذا المشروع بنفسك، يمكنك تأجير المتاجر بمبالغ جيدة تدرّ عليك أرباحا كبيرة."

جفلت إيزابيل. ففكرة تأجير المتاجر لم تطرأ على بالها قط. قالت: "آمل أن ألا يُهدم هذا المنزل، إنني متعلقة به إلى درجة كبيرة."

"لا أفهم سبب تعلقك بهذا المنزل، فوالدك توفى فيه."

أجابت الفتاة بشيء من الغرابة: "هذا صحيح؛ ولكني لا أكرهه بسبب ذلك. أحب الأماكن التي كانت مسرحا للعديد من الأحداث المختلفة. بما فيها الأحداث الحزينة. توفى العديد من الأشخاص في هذا المنزل، فقد كان مكانا مفعما بالحياة."

"هل هذا ما تعتبرينه مكانا مفعما بالحياة؟"

"أعني مكانا مليئا بخبرات الحياة. بمشاعر الناس وآلامهم. الأمر ليس مقصورا على الآلام، أمضيت طفولة سعيدة جدا في هذا المنزل."

"يجدر بك الذهاب إلى فلورنسا إذا كنت تحبين الأماكن التي هي

"Yes, that's the way you were brought up–as if you were to inherit a million. What have you in point of fact inherited?"

"I really can't tell you. You must ask Edmund and Lilian; they'll be back in half an hour."

"In Florence we should call it a very bad house," said Mrs. Touchett; "but here, I dare say, it will bring a high price. It ought to make a considerable sum for each of you. In addition to that you must have something else; it's most extraordinary your not knowing. The position's of value, and they'll probably pull it down and make a row of shops. I wonder you don't do that yourself; you might let the shops to great advantage."

Isabel stared; the idea of letting shops was new to her. "I hope they won't pull it down," she said; "I'm extremely fond of it."

"I don't see what makes you fond of it; your father died here."

"Yes, but I don't dislike it for that," the girl rather strangely returned. "I like places in which things have happened–even if they're sad things. A great many people have died here; the place has been full of life."

"Is that what you call being full of life?"

"I mean full of experience–of people's feelings and sorrows. And not of their sorrows only, for I've been very happy here as a child."

"You should go to Florence if you like houses in which

things have happened–especially deaths. I live in an old palace in which three people have been murdered; three that were known and I don't know how many more besides."

"In an old palace?" Isabel repeated.

"Yes, my dear; a very different affair from this. This is very bourgeois."

Isabel felt some emotion, for she had always thought highly of her grandmother's house. But the emotion was of a kind which led her to say: "I should like very much to go to Florence."

"Well, if you'll be very good, and do everything I tell you I'll take you there," Mrs. Touchett declared.

Our young woman's emotion deepened; she flushed a little and smiled at her aunt in silence. "Do everything you tell me? I don't think I can promise that."

"No, you don't look like a person of that sort. You're fond of your own way; but it's not for me to blame you."

"And yet, to go to Florence," the girl exclaimed in a moment, "I'd promise almost anything!"

Edmund and Lilian were slow to return, and Mrs. Touchett had an hour's uninterrupted talk with her niece, who found her a strange and interesting figure: a figure essentially–almost the first she had ever met. She was as eccentric as Isabel had always supposed; and hitherto, whenever the girl had heard people described as eccentric, she had thought of them as offensive or alarming. The term had always suggested to her something grotesque and even sinister. But her aunt made it a matter of high but easy irony, or comedy, and led her to ask herself if the common tone,

مرتع للأحداث الهامة، خاصة الوفيات. أعيش في منزل قديم شهد مقتل ثلاثة أشخاص؛ ثلاثة كانت لي معرفة شخصية بهم ولا أعرف عدد المتوفين فيه من الذين لا أعرفهم."

سألت إيزابيل: "هل هو قصر قديم؟"

"نعم يا عزيزتي. إنه مبنى مختلف كليا عن هذا المنزل الذي يُعتبر بورجوازيا إلى حد كبير."

شعرت إيزابيل بشيء من الإثارة، نظرا لأنها كانت دائما تكنّ محبة خاصة لمنزل جدتها، إلا أن تلك الإثارة كانت من النوع الذي دفعها للقول، "أرغب كثيرا بالذهاب إلى فلورنسا."

صرّحت السيدة توشيت قائلة: "حسنا، إذا أحسنتِ التصرّف ونفّذت كل ما أطلبه منك، سأصطحبك إلى هناك."

إزدادت مشاعر الإثارة في نفس فتاتنا الشابة؛ احمرّ وجهها قليلا وابتسمت وهي تنظر إلى خالتها. "أنفّذ كل ما تطلبيه مني؟ لا أظن أنه يمكنني قطع وعدٍ لك بذلك."

"لا، لا يبدو عليك أنك من ذلك النوع من الأشخاص. إنك قوية الشخصية ومُتشبّثة بآرائك، ولكنك لست المُلامة في ذلك."

صاحت الفتاة خلال لحظات: "ولكن للذهاب إلى فلورنسا، إنني على استعداد لأعدك بمطلق أي شيء!"

تأخرت عودة أدموند وليليان، ما أتاح للسيدة توشيت ساعة كاملة من الحديث المتواصل مع ابنة شقيقتها، التي تبيّن لها أن خالتها ذات شخصية غريبة ومثيرة لم يسبق لها التعرّف على مثلها من قبل. كانت خالتها كما توقعت إيزابيل غريبة الأطوار، إلا أنها حتى تلك اللحظة، كانت كلما سمعت عن أحدهم أنه غريب الأطوار، تفترض أنه شخص مزعج أو مثير للرهبة. كانت تلك الصفة توحي لها دائما بوضع مغاير للطبيعة وحتى شرير. إلا أن خالتها أضفت على تلك الصفة نوعا من السخرية المحببة أو الملهاة،

ودفعها للتساؤل بينها وبين نفسها ما إذا كان التصرف الاعتيادي جدا الذي لم تعرف سواه طوال حياتها، يفتقر للكثير من الإثارة. قطعا لم يسبق لأي كان أن استرعى إهتمامها إلى هذه الدرجة مثل تلك المرأة القصيرة القامة والرقيقة الشفتين، وذات العينَين المشرقتين والمظهر الغريب؛ والتي بدت بمظهر لائق ومميز وهي جالسة بشالها الصادّ للمياه تتحدث بأسلوب لافت وغير مُتكلّف عن قصور أوروبا. اسئلتها لم ينم مظهرها على شيء من الطيش أو سرعة الاهتياج، إلا أنها لم تعترف بمطلق شخصية تفوقها مركزا اجتماعيا، مقدّرة مشاهير العالم بما يستحقونه من إكرام وتبجيل، بأسلوب آسر أثار إعجاب ذهن متوقد ومتشوق للمعرفة. أجابت إيزابيل بادئ الأمر على العديد من الأسئلة بشكل كوّن لدى السيدة توشيت اقتناعاً بأن الفتاة تتمتع بذكاء وقّاد. ولكن بعد ذلك، طرحت الفتاة أسئلة كثيرة على خالتها، ودفعتها أجوبة خالتها، بغض النظر عن فحواها، إلى التفكير مليا في وضعها الراهن. إنتظرت السيدة توشيت عودة شقيقة إيزابيل بفارغ الصبر، ولكن بحلول الساعة السادسة نهضت من مكانها إستعدادا لمغادرة المكان.

"لا بد وأن تكون شقيقتك محبّة للثرثرة. هل هي معتادة على البقاء حتى هذه الساعة المتأخرة خارج المنزل؟"

أجابت إيزابيل: "لقد أمضيت أنت كذلك الفترة ذاتها تقريبا خارج المنزل، كما فعلت هي. قد تكون غادرت المنزل قبل لحظات من وصولك."

نظرت السيدة توشيت إلى الفتاة بدون غضب، وبدت أنها تقدّر الرد الجريء وميّالة للتصرف بلطف وكياسة. "ربما لم يكن لديها عذر جيد كما هو الحال معي. أخبريها على أية حال بضرورة المجيء ومقابلتي هذا المساء في ذلك الفندق الكريه. لا مانع من اصطحابها زوجها معها إذا كانت ترغب في ذلك، ولكن لا حاجة لاصطحابك أنت معها. سنمضي معا فترات طويلة لاحقا."

which was all she had known, had ever been as interesting. No one certainly had on any occasion so held her as this little thin-lipped, bright-eyed, foreign-looking woman, who retrieved an insignificant appearance by a distinguished manner and, sitting there in a well-worn waterproof, talked with striking familiarity of the courts of Europe. There was nothing flighty about Mrs. Touchett, but she recognized no social superiors, and, judging the great ones of the earth in a way that spoke of this, enjoyed the consciousness of making an impression on a candid and susceptible mind. Isabel at first had answered a good many questions, and it was from her answers apparently that Mrs. Touchett derived a high opinion of her intelligence. But after this she had asked a good many, and her aunt's answers, whatever turn they took, struck her as food for deep reflexion. Mrs. Touchett waited for the return of her other niece as long as she thought reasonable, but as at six o'clock Mrs. Ludlow bad not come in she prepared to take her departure.

"Your sister must be a great gossip. Is she accustomed to staying out so many hours?"

"You've been out almost as long as she," Isabel replied; "she can have left the house but a short time before you came in."

Mrs. Touchett looked at the girl without resentment; she appeared to enjoy a bold retort and to be disposed to be gracious. "Perhaps she hasn't had so good an excuse as I. Tell her at any rate that she must come and see me this evening at that horrid hotel. She may bring her husband if she likes, but she needn't bring you. I shall see plenty of you later."

الفصل الرابع

كانت السيدة لادلو كُبرى الشقيقات الثلاث وكانت تُعتبر أكثرهن تعقّلا وإدراكا للأمور. كان تصنيف الشقيقات الثلاث بشكل عام على النحو التالي: ليليان الإبنة العملية وإيديث الجميلة وإيزابيل "المفكّرة" المتميّزة. كانت السيدة كيس، الثانية في هذه المجموعة، متزوجة من ضابط يعمل في سلك المهندسين التابع للجيش الأمريكي، ونظرا لأن أحداث روايتنا غير مَعنية بها، يكفي القول أنها كانت فعلا غاية في الجمال وتُعتَبر مفخرة القواعد العسكرية المتنوعة، خاصة في الغرب الأمريكي الفَجّ، حيث كان زوجها يُحال في معظم الأحيان، الأمر الذي كان يُكدّرها إلى حد بعيد. وكانت ليليان زوجة أحد المحامين الذين يعملون في نيويورك، وهو رجل ذو صوت جهوري ومولع جدا بمهنته، لم يكن ذلك الزواج أفضل من زواج إيديث، إلا أنه غالبا ما كان يُقال أن ليليان يجب أن تكون شاكرة جدا لمجرّد أنها متزوجة، نظرا لأنها كانت تفتقر إلى كثير من مزايا الجمال بخلاف شقيقتيها. ولكنها كانت الآن امرأة سعيدة جدا ووالدة لابنين متعجرفين وسيدة منزل من الحجر البني يقع في الشارع الثالث والخمسين، كانت تعتبره وهي السعيدة بوضعها العائلي بمثابة الملاذ الجريء بالنسبة لها. كانت قصيرة القامة وغير متناسقة الجسم، إلا أنها كانت ذات حضور مميز وقد طرأ تحسّن كبير على مظهرها الخارجي منذ زواجها. كانت مَقدرة زوجها الفذّة على الإقناع وأصالة وإبداع شقيقتها إيزابيل، الأمران الأساسيان اللذان كانا يُشكّلان محور إهتماماتها. "فشلت في الإبقاء على تواصل غير منقطع مع إيزابيل. فقد كان مثل ذلك الأمر يحتاج مني تخصيص كامل وقتي له. أرغب جدا برؤيتها متزوجة وغير مصابة بأذى.

Chapter Four

Mrs. Ludlow was the eldest of the three sisters, and was usually thought the most sensible; the classification being in general that Lilian was the practical one, Edith the beauty and Isabel the "intellectual" superior. Mrs. Keyes, the second of the group, was the wife of an officer of the United States Engineers, and as our history is not further concerned with her it will suffice that she was indeed very pretty and that she formed the ornament of those various military stations, chiefly in the unfashionable West, to which, to her deep chagrin, her husband was successively relegated. Lilian had married a New York lawyer, a young man with a loud voice and an enthusiasm for his profession; the match was not brilliant, any more than Edith's, but Lilian had occasionally been spoken of as a young woman who might be thankful to marry at all–she was so much plainer than her sisters. She was, however, very happy, and now, as the mother of two peremptory little boys and the mistress of a wedge of brown stone violently driven into Fifty-third Street, seemed to exult in her condition as in a bold escape. She was short and solid, and her claim to figure was questioned, but she was conceded presence, though not majesty; she had moreover, as people said, improved since her marriage, and the two things in life of which she was most distinctly conscious were her husband's force in argument and her sister Isabel's originality. "I've never kept up with Isabel–it would have taken all my time," she had often remarked; in spite of which, however, she held her

هذا ما أرغب برؤيته فعلا. " كانت تُعلّق قائلة ذلك لزوجها، علما أنها كانت تنظر إليها بتوق مشوب بالكآبة، وهي تسهر على راحتها كما أنثى كلب السَّبَنْيَلي تسهر على راحة كلب السلوقي الحرّ الإرادة.

اعتاد أدموند لادلو الإجابة هامسا: "يجدر بي مصارحتك القول أنني لا أشعر البتة بأي رغبة جامحة لتزويجها."

"أعلم أنك تأخذ هذا الموقف لمجرّد ولعك الشديد في المناقشة والمناظرة، فأنت دائما تأخذ وجهة النظر المتعارضة. لا يمكنني فهم موقفك المُضاد لها، سوى أنها شديدة الإبداع والأصالة."

كان السيد لادلو يُجيب مرارا وتكرارا: "حسنا، لا أحب الإبداع والأصالة بل أفضل الترجمات عليها. إيزابيل عبارة عن لغة غريبة يصعب فهمها، يجدر بها الزواج برجل أرميني أو برتغالي الجنسية."

"هذا بالضبط ما أخشاه!" صاحت ليليان، التي كانت تعتبر إيزابيل قادرة على فعل أي شيء.

أصغت لدى عودتها عند المساء بكثير من الإهتمام لوصف الفتاة للمظهر الخارجي للسيدة توشيت وأبدت إستعدادها لتنفيذ رغبة خالتها. لا عِلمَ لنا بما أفضت به إيزابيل لشقيقتها ذلك المساء، إلا أن كلام شقيقتها دفعها لمصارحة زوجها وهما بطريقهما لزيارة السيدة توشيت. " أتمنى من صميم قلبي أن تُقدم على مساعدة إيزابيل بسخاء وكرم، خاصة أنها أعجِبَت بها كثيرا على ما يبدو."

سأل أدموند لادلو: "ما الذي ترغبين أن تفعله لها؟ تقديم هدية قيّمة لها؟"

"طبعا لا، لا شيء من هذا القبيل على الإطلاق. أرغب فقط بأن تهتم بها وترعاها. لقد أمضت القسم الأكبر من حياتها في الخارج، وقد أخبرت

rather wistfully in sight; watching her as a motherly spaniel might watch a free greyhound. "I want to see her safely married–that's what I want to see," she frequently noted to her husband.

"Well, I must say I should have no particular desire to marry her," Edmund Ludlow was accustomed to answer in an extremely audible tone.

"I know you say that for argument; you always take the opposite ground. I don't see what you've against her except that she's so original."

"Well, I don't like originals; I like translations," Mr. Ludlow had more than once replied. "Isabel's written in a foreign tongue. I can't make her out. She ought to marry an Armenian or a Portuguese."

"That's just what I'm afraid she'll do!" cried Lilian, who thought Isabel capable of anything.

She listened with great interest to the girl's account of Mrs. Touchett's appearance and in the evening prepared to comply with their aunt's commands. Of what Isabel then said no report has remained, but her sister's words had doubtless prompted a word spoken to her husband as the two were making ready for their visit. "I do hope immensely she'll do something handsome for Isabel; she has evidently taken a great fancy to her."

"What is it you wish her to do?" Edmund Ludlow asked. "Make her a big present?"

"No indeed; nothing of the sort. But take an interest in her- sympathize with her. She's evidently just the sort of

إيزابيل بذلك. وكما تعلم، لطالما إعتبرت إيزابيل أشبه بالإنسانة الأجنبية.»

«أترغبين أن تقدّم لها نوعا من العطف الأجنبي؟ ألا تظنين أنها تحصل على هذا النوع من العطف بما فيه الكفاية وهي هنا في وطنها؟»

قالت السيدة لادلو: «بالواقع يجدر بها السفر إلى الخارج، إنها الشخص المثالي للقيام برحلة إلى الخارج.»

«وترغبين أن تصطحبها السيدة المسنّة معها، أليس كذلك؟»

«لقد عرضت عليها هذه الفكرة. إنها تتحرّق شوقا لذهاب إيزابيل معها. ولكن ما أرغبه منها لدى وصولها إلى هناك، أن تقدّم لها الخالة كافة حسنات وميزات العالم الخارجي. إنني على ثقة تامة بوجوب توفير الفرصة المؤاتية أمام إيزابيل.»

«فرصة لماذا؟»

«فرصة لتنمو وتتطوّر.»

صاح أدموند لادلو: «يا إلهي! كم أتمنى ألّا تنمو ولا تتطوّر أكثر مما هي عليه الآن!»

أجابت زوجته: «لولا إقتناعي الكامل أنك ما تفوهّت بهذا الكلام سوى حبا بالمناقشة، لكنت شعرت بألم عميق.»

قال الشاب مازحا بعد فترة وجيزة، موجها كلامه إلى إيزابيل وهو يُنظّف قُبّعته: «هل تعلمين إنني أحبكِ حقا؟»

صاحت الفتاة، علما أن نبرة صوتها لم تكن بغطرسة الكلمات التي تفوّهت بها: «إنني واثقة أن الأمر سيّان عندي، سواء أحببتني أم لا!»

قالت شقيقتها: «آه، تشعر بتيهٍ كبير الآن عقب زيارة السيدة توشيت لها.»

person to appreciate her. She has lived so much in foreign society; she told Isabel all about it. You know you've always thought Isabel rather foreign."

"You want her to give her a little foreign sympathy, eh? Don't you think she gets enough at home?"

"Well, she ought to go abroad," said Mrs. Ludlow. "She's just the person to go abroad."

"And you want the old lady to take her, is that it?"

"She has offered to take her–she's dying to have Isabel go. But what I want her to do when she gets her there is to give her all the advantages. I'm sure all we've got to do," said Mrs. Ludlow, "is to give her a chance."

"A chance for what?"

"A chance to develop."

"Oh, Moses!" Edmund Ludlow exclaimed. "I hope she isn't going to develop any more!"

"If I were not sure you only said that for argument I should feel very badly," his wife replied. "But you know you love her."

"Do you know I love you?" the young man said, jocosely, to Isabel a little later, while he brushed his hat.

"I'm sure I don't care whether you do or not!" exclaimed the girl; whose voice and smile, however, were less haughty than her words.

"Oh, she feels so grand since Mrs. Touchett's visit," said her sister.

إلا أن إيزابيل أنكرت بحزم هذه التهمة بكثير من الجدّية. "يجب ألّا تقولي مثل هذا الكلام يا ليلي. إنني لا أشعر بالتيه على الإطلاق."

قالت ليلي ذات الشخصية المُسترضية: "لا بأس إذا كنتِ تشعرين بذلك."

"ولكن لا وجود لأي مُبرّر يجعل زيارة السيدة توشيت مصدرا للشعور بالتيه."

صاح لادلو: "أوه، إنها تشعر بالفخر والتيه أكثر من أي وقت مضى!"

قالت الفتاة: "حينما أشعر بالفخر والتيه، سيكون ذلك بسبب مناسبة أفضل بكثير من هذه."

سواء شعرت بالفخر أم لا، فما لا شك فيه أنه إنتابها شعور مختلف وكأن أمراً غريبا قد حدث لها. تُرِكَت بمفردها ذلك المساء بالقرب من قنديل وحيد ويداها فارغتان في حجرها دونما أدنى اهتمام بإنجاز مهماتها المُعتادة. نهضت من مكانها وأخذت تجول في أنحاء الغرفة، ومن غرفة إلى أخرى، مُفضّلة الأماكن المُعتمة. كانت تشعر بالتململ وحتى بالإهتياج، وكانت في بعض اللحظات تشعر برجفة خفيفة تدب في أوصالها. فأهمية ما حصل للتو كان غير متناسب البتة مع ما يبدو في ظاهره. بالواقع حصل تبدّل جذري في مجرى حياتها، كانت نتائجه ما زالت حتى الآن مجهولة تماما بالنسبة لها، علما أنَّ إيزابيل كانت في وضع خاص يصبغ أهمية كبيرة على مطلق تبدلّ يعتري نمط حياتها. كانت راغبة في نسيان الماضي، وكما كانت تقول بينها وبين نفسها، فتح صفحة جديدة في حياتها. بالواقع لم تكن تلك الرغبة وليدة ظروف الساعة، بل كانت رغبة مألوفة لديها كصوت المطر المنهمر على زجاج النافذة، وقد دفعتها

But Isabel challenged this assertion with a good deal of seriousness. "You must not say that, Lily. I don't feel grand at all."

"I'm sure there's no harm," said the conciliatory Lily.

"Ah, but there's nothing in Mrs. Touchett's visit to make one feel grand."

"Oh," exclaimed Ludlow, "she's grander than ever!"

"Whenever I feel grand," said the girl, "it will be for a better reason."

Whether she felt grand or no, she at any rate felt different, felt as if something had happened to her. Left to herself for the evening she sat a while under the lamp, her hands empty, her usual avocations unheeded. Then she rose and moved about the room, and from one room to another, preferring the places where the vague lamplight expired. She was restless and even agitated; at moments she trembled a little. The importance of what had happened was out of proportion to its appearance; there had really been a change in her life. What it would bring with it was as yet extremely indefinite; but Isabel was in a situation that gave a value to any change. She had a desire to leave the past behind her and, as she said to herself, to begin afresh. This desire indeed was not a birth of the present occasion; it was as familiar as the sound of the rain upon the window and it had led to her beginning afresh a great many times. She closed her eyes as she sat in one of the dusky corners

of the quiet parlour; but it was not with a desire for dozing forgetfulness. It was on the contrary because she felt too wide-eyed and wished to check the sense of seeing too many things at once. Her imagination was by habit ridiculously active; when the door was not open it jumped out of the window. She was not accustomed indeed to keep it behind bolts; and at important moments, when she would have been thankful to make use of her judgement alone, she paid the penalty of having given undue encouragement to the faculty of seeing without judging. At present, with her sense that the note of change had been struck, came gradually a host of images of the things she was leaving behind her. The years and hours of her life came back to her, and for a long time, in a stillness broken only by the ticking of the big bronze clock, she passed them in review. It had been a very happy life and she had been a very fortunate person–this was the truth that seemed to emerge most vividly. She had had the best of everything, and in a world in which the circumstances of so many people made them unenviable it was an advantage never to have known anything particularly unpleasant. It appeared to Isabel that the unpleasant had been even too absent from her knowledge, for she had gathered from her acquaintance with literature that it was often a source of interest and even of instruction. Her father had kept it away from her–her handsome, much-loved father, who always had such an aversion to it. It was a great felicity to have been his daughter; Isabel rose even to pride in her parentage. Since his death she had seemed to see him as turning his braver side to his children and as not having

إلى البدء من جديد مرات عدّة. أغمضت عينيها وهي جالسة في إحدى الزوايا القاتمة في قاعة الإستقبال الساكنة؛ إلا أن ذلك لم يكن نابعا من رغبة منها بالنسيان، بل على العكس، نظرا لأنها كانت شديدة الشدوه وراغبة في كبح إحساسها المُخيّل لكثير من الأمور دفعة واحدة. كان خيالها نشط جداً بالفطرة بشكل مضحك؛ فقد كان يقفز خارج النوافذ في حال كان الباب موصدا. لم تعتد كبح جماحه، وكانت في لحظات حاسمة، حين كان من الأفضل لها لو التزمت فقط بحُسن تقديرها للأمور، بدلا من دفع جزاء التصرّف وفق خيالها. تراءى أمامها، مع إدراكها بالتبدّل الذي سيطرأ على حياتها، بشكل تدريجي مجموعة من الصور التي ستُخلّفها وراءها. عادت إليها سنوات ولحظات حياتها، واستعادت كل واحدة منها ولفترة طويلة وهي جالسة وسط سكون لم يقطعه سوى تكّات ساعة البرونز الضخمة. كانت الصورة الأكثر إشراقا البارزة أمام عينيها أنها إنسانة محظوظة عاشت حتى الآن حياة سعيدة جدا. تسنّى لها الفوز بأفضل الأشياء، خاصة في عالم فرضت فيه الظروف على العديد من الناس معاناة من الكثير من المآسي. بدى لإيزابيل أنها لم تعرف سوى القليل جدا من الظروف الكريهة، إذ أنها استنتجت من مطالعاتها، أن المعاناة غالبا ما تكون مصدرا مثيرا ووسيلة تعليم. حرص والدها على إبقائها بعيدة عن أي نوع من الألم. كان ذلك والدها الحبيب، بوجهه الوسيم، الذي كان يمقت كل أنواع المعاناة والألم. كونها إبنته شكّل بالنسبة لها مصدر سعادة كبيرة، حتى أنها شعرت بفخر عارم تجاه نسبها. كان يبدو لها منذ وفاته، وكأنه قدّم لبناته الجانب الشجاع منه، وليس أنه عمليا أغفل ولم يكترث البتة للأمور القبيحة في الحياة. ولكن هذا الأمر لم يزدها سوى حباً واعتزازا بوالدها؛ بالكاد كانت تشعر بالألم عند افتراضها أنه كان بالغ الكرم، شديد

الطيبة وغير مُبالٍ البتة لِما يتأتى عن ذلك من عواقب وخيمة. إعتبر العديد من الناس أنه مارس عدم الإكتراث ذلك بشكل غير مقبول، وبالأخص أولئك الأشخاص المَدين لهم بمبالغ كبيرة من المال. كانت معلومات إيزابيل عن أولئك الناس شحيحة وغير مُحدّدة. ولكن قد يكون من المهم للقارئ معرفة أنه بالرغم من إقرارهم بوسامة وجاذبية المرحوم السيد أرتشير (بالواقع علّق أحدهم بالقول أنه كان دائما في معرض جذب مطلق أي شيء إليه تقع عليه يده)، إلا أنهم إعتبروه رجلاً فاشلا في الحياة. فقد بدّد ثروة كبيرة، وأسرف في القصف والشراب بشكل يُرثى له وأدمن المقامرة؛ كما ذهب قلّة من العيّابين المتشدّدين الكثيري الانتقاد إلى حد القول أنه لم يُحسن تربية بناته التربية الصحيحة. فلم تُتح لهم فرصة الدراسة المنتظمة أو المسكن الأسري الدائم؛ فقد أفسِدت شخصياتهن نتيجة التدليل المُفرط والإهمال، حيث اهتمّ بتنشئتهن سلسلة من المربّيات (غالبا غير كفؤات)، أو أرسلن لمدارس سطحية تحت إشراف الفرنسيين، لم يلبثن أن غادرنها بنهاية الشهر والدموع تنهمر على وجوههن. لو تسنّى لإيزابيل سماع وجهة النظر هذه، لكانت أثارت في نفسها الكثير من الغيظ والغضب، إذ كانت تعتبر أنها حظيت بكثير من الفرص الذهبية التي لم تُسنح سوى لقلّة من الناس. فحتى حين تركهن والدهن في نوفتشاتل لثلاثة أشهر مع مربّية فرنسية، فرّت مع نبيل روسي كان يُقيم في الفندق ذاته، لم تشعر إيزابيل نتيجة تلك الحادثة، بالرغم من غرابتها (كانت حينها في الحادية عشرة من العمر)، بالخوف أو بالخجل، بل اعتبرتها حادثة رومانسية في خضم تعليمها الليبرالي المُنفتح. كانت لوالدها نظرة متحررة جدا فيما يتعلق بشؤون الحياة، حيث لم يكن تململه ولا حتى سلوكه المتنافر أحيانا سوى برهان على ذلك التفكير المتحرر. كان يرغب أن تشاهد بناته، حتى وهنّ

managed to ignore the ugly quite so much in practice as in aspiration. But this only made her tenderness for him greater; it was scarcely even painful to have to suppose him too generous, too good-natured, too indifferent to sordid considerations. Many persons had held that he carried this indifference too far, especially the large number of those to whom he owed money. Of their opinions Isabel was never very definitely informed; but it may interest the reader to know that, while they had recognized in the late Mr. Archer a remarkably handsome head and a very taking manner indeed, as one of them had said, he was always taking something, they had declared that he was making a very poor use of his life. He had squandered a substantial fortune, he had been deplorably convivial, he was known to have gambled freely. A few very harsh critics went so far as to say that he had not even brought up his daughters. They had had no regular education and no permanent home; they had been at once spoiled and neglected; they had lived with nursemaids and governesses usually very bad ones or had been sent to superficial schools, kept by the French, from which, at the end of a month, they had been removed in tears. This view of the matter would have excited Isabel's indignation, for to her own sense her opportunities had been large. Even when her father had left his daughters for three months at Neufchatel with a French bonne who had eloped with a Russian nobleman staying at the same hotel– even in this irregular situation an incident of the girl's eleventh year she had been neither frightened nor ashamed, but had thought it a romantic episode in a liberal education. Her father

had a large way of looking at life, of which his restlessness and even his occasional incoherency of conduct had been only a proof. He wished his daughters, even as children, to see as much of the world as possible; and it was for this purpose that, before Isabel was fourteen, he had transported them three times across the Atlantic, giving them on each occasion, however, but a few months' view of the subject proposed: a course which had whetted our heroine's curiosity without enabling her to satisfy it. She ought to have been a partisan of her father, for she was the member of his trio who most "made up" to him for the disagreeables he didn't mention. In his last days his general willingness to take leave of a world in which the difficulty of doing as one liked appeared to increase as one grew older had been sensibly modified by the pain of separation from his clever, his superior, his remarkable girl. Later, when the journeys to Europe ceased, he still had shown his children all sorts of indulgence, and if he had been troubled about money-matters nothing ever disturbed their irreflective consciousness of many possessions. Isabel, though she danced very well, had not the recollection of having been in New York a successful member of the choregraphic circle; her sister Edith was, as every one said, so very much more fetching. Edith was so striking an example of success that Isabel could have no illusions as to what constituted this advantage, or as to the limits of her own power to frisk and jump and shriek–above all with rightness of effect. Nineteen persons out of twenty including the younger sister herself pronounced Edith infinitely the prettier of the two; but the twentieth, besides

في عمر صغير، أكبر قدر ممكن من العالم، ولهذا السبب وقبل بلوغ إيزابيل الرابعة عشر من عمرها، كان قد نقلهن أربع مرات عبر المحيط الأطلسي، إلا أن مدة كل من هذه السفرات لم تتجاوز الشهر ما جعل فرصة مشاهدتهن للعالم قصيرة ومقتضبة؛ وهو أمر أثار فضول بطلتنا إلا أنه لم يرويه بالكامل. كان من المُفترض أن تكون نصيرة والدها، إذ أنها كانت أكثر الثلاثي إستعدادا وغيرة "لإيجاد الأعذار" له عن العوائق والمعضلات التي أغفل ذكرها. ضعُفَ إستعداده الطوعي في أواخر حياته لمغادرة عالم بدى أن صعوبة تصرّف المرء فيه كما يشاء ويهوى، تزداد حدّة كلما تقدّم به العمر، حين شعر أنه سيفارق إبنته الذكية والمتفوقة والمميزة. ولاحقا حين توقفت سفراته إلى أوروبا، استمرّ بتوفير كافة أنواع التساهل والتدليل لبناته، وفي حال مواجهته لمشاكل مادية، لم يكن هذا الأمر مبررا على الإطلاق لتعكير شعورهن غير الظاهر بامتلاك العديد من الأشياء. بالرغم من إتقان إيزابيل لفن الرقص، إلا أنها لم تُعتبر يوما منتمية إلى عالم نيويورك الراقص، بخلاف شقيقتها إيديث التي أجمع الجميع أنها الأكثر جمالا وجاذبية. كانت الأخيرة مثالا صارخا للنجاح لدرجة أن إيزابيل لم يكن لديها أي توهّم عن مقوّمات النجاح في هذا المضمار، أو عن قدراتها المحدودة للرقص المرح، والقفز والصياح. وبالأخص بالنبرة المؤثرة الصحيحة. أجمع تسعة عشر شخصا من مجموع عشرين شخصا (بما فيهم الشقيقة الصغرى نفسها)، بأن إيديث هي الأجمل بين الشقيقتين؛ إلا أن العشرين شخصا، إلى جانب نقدهم لذلك الحكم، كانوا يعتبرون الشقيقات الثلاث مجرد سوقيات الذوق والعادات. كان لدى إيزابيل في أعماق نفسها رغبة جامحة لإرضاء الآخرين والفوز بإعجابهم، تفوق بحدتها رغبة إيديث في ذلك، غير أن أعماق طبيعة هذه السيدة الشابة كانت

مكانا إستثنائيا وغير مألوفٍ، كانت عشرات القوى تعترض المسافة بينه وبين العلاقات الإجتماعية السطحية. كانت تشاهد الشبان الذين كانوا يأتون بأعداد كبيرة للتعرّف على شقيقتها، إلا أنهم وبشكل عام كانوا يشعرون بالخوف منها؛ كانوا يشعرون بأن التحدّث إليها يتطلّب نوعا من الإستعدادات الخاصة. كانت شهرتها بأنها تُكثر من المطالعة ملتصقة بها أشبه بغلاف قاتم خاص وكأنها إحدى آلهات الملحمات؛ كان من المُفترض به توليد الأسئلة الصعبة والسهر على إقصاء أي نوع من الحماس على المحادثة. كانت الفتاة المسكينة تحب أن يقال عنها أنها فتاة ذكية، ولكنها كانت تكره أن توصف بالكُتُبية؛ ما دفعها إلى المطالعة سراً وبعيدا عن أعين الآخرين، وبالرغم من ذاكرتها المميزة، إلا أنها كانت تمتنع عن ذكر المراجع المُبهرجة. كان لديها رغبة جامحة للمعرفة، غير أنها بالواقع كانت تفضّل مُطلق مصدر من مصادر المعرفة على الصفحة المطبوعة؛ وكان لديها فضول هائل فيما يتعلق بأمور الحياة، وبالتالي كنت تراها دائما في وضع المتسائل والمُنذهل. كانت تحمل في داخلها ذخيرة ضخمة من الإحساس بالحياة، وتجد متعتها الكبرى حين تشعر بالترابط المتواصل بين نزعات حيويّتها واهتياجات العالم. ولهذا السبب كانت مولعة بتأمّل الحشود الكبيرة من الناس والأراضي الريفية الفسيحة المنبسطة، وبقراءة ما كُتِب عن الثورات والحروب، وبتفحّص اللوحات التاريخية. الكثير من الجهد بُذِل للتغاضي عمّا ما كانت تعتبره خطأ وخروجا عن العرف المُحدّد للوحات الفنية الجيدة، إكراما لموضوع تلك اللوحات. كانت ما زالت طفلة صغيرة خلال الحرب الأهلية ، غير أنها أمضت أشهر عدة خلال هذه الفترة التاريخية الطويلة وهي تشعر بحماس جامح إزاء شجاعة وبسالة كلا الجيشين المتحاربَين دونما تمييز بينهما (ودونما أن تعرف سبب ذلك). إنّ

reversing this judgement, had the entertainment of thinking all the others aesthetic vulgarians. Isabel had in the depths of her nature an even more unquenchable desire to please than Edith; but the depths of this young lady's nature were a very out-of-the-way place, between which and the surface communication was interrupted by a dozen capricious forces. She saw the young men who came in large numbers to see her sister; but as a general thing they were afraid of her; they had a belief that some special preparation was required for talking with her. Her reputation of reading a great deal hung about her like the cloudy envelope of a goddess in an epic; it was supposed to engender difficult questions and to keep the conversation at a low temperature. The poor girl liked to be thought clever, but she hated to be thought bookish; she used to read in secret and, though her memory was excellent, to abstain from showy reference. She had a great desire for knowledge, but she really preferred almost any source of information to the printed page; she had an immense curiosity about life and was constantly staring and wondering. She carried within herself a great fund of life, and her deepest enjoyment was to feel the continuity between the movements of her own soul and the agitations of the world. For this reason she was fond of seeing great crowds and large stretches of country, of reading about revolutions and wars, of looking at historical pictures–a class of efforts as to which she had often committed the conscious solecism of forgiving them much bad painting for the sake of the subject. While the Civil War went on she was still a very young girl; but she passed months of this long period in a state

of almost passionate excitement, in which she felt herself at times to her extreme confusion stirred almost indiscriminately by the valour of either army. Of course the circumspection of suspicious swains had never gone the length of making her a social proscript; for the number of those whose hearts, as they approached her, beat only just fast enough to remind them they had heads as well, had kept her unacquainted with the supreme discipline of her sex and age. She had had everything a girl could have: kindness, admiration, bonbons, bouquets, the sense of exclusion from none of the privileges of the world she lived in, abundant opportunity for dancing, plenty of new dresses, the London Spectator, the latest publications, the music of Gounod, the poetry of Browning, the prose of George Eliot.

These things now, as memory played over them, resolved themselves into a multitude of scenes and figures. Forgotten things came back to her; many others, which she had lately thought of great moment, dropped out of sight. The result was kaleidoscopic, but the movement of the instrument was checked at last by the servant's coming in with the name of a gentleman. The name of the gentleman was Caspar Goodwood; he was a straight young man from Boston, who had known Miss Archer for the last twelvemonth and who, thinking her the most beautiful young woman of her time, had pronounced the time, according to the rule I have hinted at, a foolish period of history. He sometimes wrote to her and had within a week or two written from New York. She had thought it very,

إحتراس الريفي طبعاً من النّزوع إلى الشكّ والارتياب لم يبلغ معها حدّا ليحوّلها إلى إنسانة منبوذة إجتماعيا، إذ أن قلوب الشبان التي اختلجت حبا بها لدى اقترابهم منها لتبتعد عنها لدى تحكيمهم المنطق، جعلها جاهلة بقواعد ضبط سلوك بني جنسها وعمرها. تسنّى لها التمتع بكل ما يمكن أن تتمتع به الفتاة في عمرها: الحنان، والإعجاب، والحلويات، والأزهار، والإحساس بتوفّر كل شيء يمكن أن يفرحها، وفرص عديدة للرقص، وشراء العديد من الفساتين الجديدة، وقراءة الرواية الإنجليزية المشاهد بالإضافة إلى آخر المنشورات، وسماع موسيقى غونود، وقصائد براونينغ ونثر جورج إليوت.

تحوّلت هذه الأمور الآن بفعل الذكرى إلى وفرة من المشاهد والأشكال. وعادت إليها ذكريات أحداث كثيرة منسية، وتوارت من خيالها أمور كانت تأخذ في الآونة الأخيرة حيّزا كبيرا من أفكارها. كانت النتيجة مشهدا متغيّراً مختلف الألوان، إلا أن ذلك المشهد إنقطع أخيرا بدخول الخادمة حاملة إليها بطاقة كُتِب عليها إسم رجل نبيل. كان اسم ذلك الشاب كاسبار غودوود، وهو رجل صادق الولاء من بوسطن، تعرّف إلى الآنسة أرتشير منذ عام، واعتبرها منذ ذلك الحين أجمل فتيات عصرها. عكف على مراسلتها بين الحين والآخر، وبعث برسالته الأخيرة من نيويورك قبل حوالي الأسبوع أو الأسبوعين. كانت تتوقع زيارته طوال ذلك اليوم الماطر وهي جالسة في غرفتها، إلا أنها الآن حين علمت بوصوله، لم تشعر بلهفة لرؤيته أو استقباله. كان بالواقع من أرفع الشبان الذين

possible he would come in–had indeed all the rainy day been vaguely expecting him. Now that she learned he was there, nevertheless, she felt no eagerness to receive him. He was the finest young man she had ever seen, was indeed quite a splendid young man; he inspired her with a sentiment of high, of rare respect. She had never felt equally moved to it by any other person. He was supposed by the world in general to wish to marry her, but this of course was between themselves. It at least may be affirmed that he had travelled from New York to Albany expressly to see her; having learned in the former city, where he was spending a few days and where he had hoped to find her, that she was still at the State capital. Isabel delayed for some minutes to go to him; she moved about the room with a new sense of complications. But at last she presented herself and found him standing near the lamp. He was tall, strong and somewhat stiff; he was also lean and brown. He was not romantically, he was much rather obscurely, handsome; but his physiognomy had an air of requesting your attention, which it rewarded according to the charm you found in blue eyes of remarkable fixedness, the eyes of a complexion other than his own, and a jaw of the somewhat angular mould which is supposed to bespeak resolution. Isabel said to herself that it bespoke resolution to-night; in spite of which, in half an hour, Caspar Goodwood, who had arrived hopeful as well as resolute, took his way back to his lodging with the feeling of a man defeated. He was not, it may be added, a man weakly to accept defeat.

عرفتهم، وشخص ممتاز لا شائبة فيه، أثار في نفسها الكثير من الإحترام والتقدير له، وهو شعور لم يسبق لها أن شعرت به تجاه أي رجل آخر من قبل. افترض جميع مَن حولها بشكل عام أنه راغب بالزواج منها، غير أن هذه طبعا مسألة خاصة لا تعني أحدا سواهما. يمكن تأكيد نقطة واحدة على الأقل وهي أنه غادر نيويورك متوجها إلى ألباني لغاية واحدة لا غير وهي الإلتقاء بها والتحدّث إليها؛ بعدما علِمَ وهو في نيويورك حيث كان يُمضي بضعة أيام على أمل العثور عليها هناك، أنها ما زالت في عاصمة الولاية. تمهّلت إيزابيل لبضع دقائق قبل الخروج لاستقباله، وأخذت تتحرّك في أرجاء الغرفة وشعور بالقلق والتعقيدات يسري في داخلها. ولكنها أخيرا خرجت لترحّب به، ووجدته واقفا بالقرب من المصباح. كان رجلا طويل القامة، قوي البُنية مع شيء من التَقبُّض؛ وكان أيضا نحيف الجسم وأسمر البشرة. لم تكن وسامته رومانسية الطابع، بل كانت مُبهمة وغامضة؛ لكن قسمات وجهه كانت تتميّز بصلابة لافتة للنظر، تُكافئ حين تنظر إليه بجاذبية مُشعّة في عينيه الزرقاوتين الثابتتي النظر، وحَنَك بارز نوعا ما يُفترض أنَّهُ ينمّ عن الثبات والتصميم. فكّرت إيزابيل بينها وبين نفسها، أن ذلك الحَنَك نَوَى هذه الليلة على التصميم على أمر ما، بالرغم من أنه بعد إنقضاء نصف ساعة على وصول كاسبار غودوود وهو كله أمل وتصميم، قفل عائداً من حيث أتى وشعور الفشل يلفّه من كل جانب. إلا أنه تجدر الإشارة هنا، أنه لم يكن من الرجال الذين يستسلمون للفشل بسهولة.

الفصل الخامس

كان رالف توشيت فيلسوفا، ولكن بالرغم من هذا فقد طرق باب غرفة والدته (في تمام الساعة السابعة إلا ربعا) بكثير من الحماس. ولكن حتى الفلاسفة لديهم أولاوياتهم، ويجدر بنا الإقرار هنا أن والده من بين سائر أسلافه كان يُشكّل له أسمى مشاعر الاتكالية البَنوية العذبة. كان والده، كما ردّد مرارا بينه وبين نفسه، الأكثر أُمومية. ووالدته من ناحية ثانية، الشخص الأبوي الخصال، لدرجة يمكن وصفها بالعبارة الشائعة، بأنها كانت حاكميّة الطباع. ولكن بالرغم من هذا، كانت شديدة التعلّق بابنها الوحيد لا تتهاون البتة في الإصرار على ضرورة تمضيته ثلاثة أشهر من السنة برفقتها. سلّم رالف بعدالة عاطفتها هذه، مُدركا أنه وسط أفكارها وحياتها الخَدمتية المنظّمة بدقة، كان هو يأتي دائما في المركز الثاني بعد أقرب المُقرّبين لها الذين تشملهم بعنايتها المُفرطة. وجدها في كامل أناقتها استعدادا لوجبة العشاء، غير أن هذا لم يمنعها من معانقة إبنها بيديها المُقفّزتين ودفعه للجلوس على الكنبة بالقرب منها. سألت بقلق وبكثير من التدقيق عن صحة زوجها وصحة إبنها، ولدى إعلامها بأن صحة الاثنين ليست بأحسن حال، علّقت بالقول أن هذا الواقع يجعلها أكثر إقتناعا من أي وقت مضى بحكمتها القائلة بعدم تعرّض المرء للمناخ الإنجليزي. فلو فعلت لكانت هي الأخرى إنهارت ووقعت فريسة المرض. إبتسم رالف من فكرة انهيار صحة والدته، لكنه امتنع عن تذكيرها بأن مرضه ليس ناشئاً عن سوء المناخ الإنجليزي والذي يقضي القسم الأكبر من السنة بعيدا عنه.

Chapter Five

Ralph Touchett was a philosopher, but nevertheless he knocked at his mother's door at a quarter to seven with a good deal of eagerness. Even philosophers have their preferences, and it must be admitted that of his progenitors his father ministered most to his sense of the sweetness of filial dependence. His father, as he had often said to himself, was the more motherly; his mother, on the other hand, was paternal, and even, according to the slang of the day, gubernatorial. She was nevertheless very fond of her only child and had always insisted on his spending three months of the year with her. Ralph rendered perfect justice to her affection and knew that in her thoughts and her thoroughly arranged and servanted life his turn always came after the other nearest subjects of her solicitude, the various punctualities of performance of the workers of her will. He found her completely dressed for dinner, but she embraced her boy with her gloved hands and made him sit on the sofa beside her. She enquired scrupulously about her husband's health and about the young man's own, and, receiving no very brilliant account of either, remarked that she was more than ever convinced of her wisdom in not exposing herself to the English climate. In this case she also might have given way. Ralph smiled at the idea of his mother's giving way, but made no point of reminding her that his own infirmity was not the result of the English climate, from which he absented himself for a considerable part of each year.

He had been a very small boy when his father, Daniel Tracy Touchett, a native of Rutland, in the State of Vermont, came to England as subordinate partner in a banking-house where some ten years later he gained preponderant control. Daniel Touchett saw before him a life-long residence in his adopted country, of which, from the first, he took a simple, sane and accommodating view. But, as he said to himself, he had no intention of dis-americanizing, nor had he a desire to teach his only son any such subtle art. It had been for himself so very soluble a problem to live in England assimilated yet unconverted that it seemed to him equally simple his lawful heir should after his death carry on the grey old bank in the white American light. He was at pains to intensify this light, however, by sending the boy home for his education. Ralph spent several terms at an American school and took a degree at an American university, after which, as he struck his father on his return as even redundantly native, he was placed for some three years in residence at Oxford. Oxford swallowed up Harvard, and Ralph became at last English enough. His outward conformity to the manners that surrounded him was none the less the mask of a mind that greatly enjoyed its independence, on which nothing long imposed itself, and which, naturally inclined to adventure and irony, indulged in a boundless liberty of appreciation. He began with being a young man of promise; at Oxford he distinguished himself, to his father's ineffable satisfaction, and the people about him said it was a thousand pities so clever a fellow should be shut out from a career. He might have had a career by returning

كان طفلا صغيرا حين قرر والده دانيل ترايسي توشيت، المولود في مدينة راتلند في ولاية فرجينيا، المجيء إلى إنجلترا كشريك ثانوي في مؤسسة مصرفية، حيث تمكّن خلال عشر سنوات من أن يصبح الحاكم الفعلي لتلك المؤسسة. أدرك دانيل توشيت أنه سيقيم طوال حياته في وطنه الثاني، حيث، ومنذ البداية، إتخذ إزاءه نظرة مجرّدة وعقلانية ومُتكيّفة. ولكنه وكما قرّر بينه وبين نفسه، لم يكن أبدا بوارد التخلّي عن خصاله الأمريكية المميّزة ولا راغبا بتلقين ابنه الوحيد خصائص ذلك الفن الرقيق. بدت له مسألة العيش في إنجلترا واستيعاب نمط الحياة الإنجليزية بدون اعتناقها مسألة سهلة للغاية بالنسبة له وكذلك مواصلة وريثه الشرعي بعد وفاته الإهتمام بأعمال المصرف القديم وفق الفلسفة الأمريكية المحافظة. لم يألُ جهدا لتقوية تلك الفسلفة في نفسية الفتى، بما في ذلك إرساله إلى الوطن الأم لتلقّي تعليمه. أمضى رالف عددا من السنوات الدراسية في إحدى المدارس الأمريكية وتخرّج لاحقا من إحدى الجامعات الأمريكية، وحين تبيّن لوالده أن الفتى تشرّب بالكامل الطبيعية الأمريكية، أرسله لفترة ثلاث سنوات إلى جامعة أكسفورد. تفوّقت الجامعة الأخيرة على جامعة هارفرد وانتهى الأمر برالف بأن أصبح إنجليزي الطباع والتطبّع بما فيه الكفاية. ولكن تكيّفه الخارجي مع أسلوب الحياة المحيط به لم يكن سوى قناعا لذهن يحتضن بداخله ولعا شديدا باستقلاليته، حيث فشل أي شيء في فرض نفسه عليه لفترة طويلة، وحيث، نظرا الميل فطري إلى المغامرة والسخرية، أطلق العنان لحرية غير محدودة لتقدير نفسه حق قدرها. إنطلق إنطلاقة واعدة، كان طالبا متفوقا في أكسفورد ما جعل والده يشعر بالرضى والفخر، ودفع معارفه للقول إنه لأمر مؤسف جدا أن تكون أبواب المهن موصدة أمام شخص بمثل ذكائه. كان بامكانه الحصول على مهنة محترمة

to his own country 'though this point is shrouded in uncertainty and even if Mr. Touchett had been willing to part with him' which was not the case it would have gone hard with him to put a watery waste permanently between himself and the old man whom he regarded as his best friend. Ralph was not only fond of his father, he admired him–he enjoyed the opportunity of observing him. Daniel Touchett, to his perception, was a man of genius, and though he himself had no aptitude for the banking mystery he made a point of learning enough of it to measure the great figure his father had played. It was not this, however, he mainly relished; it was the fine ivory surface, polished as by the English air, that the old man had opposed to possibilities of penetration. Daniel Touchett had been neither at Harvard nor at Oxford, and it was his own fault if he had placed in his son's hands the key to modern criticism. Ralph, whose head was full of ideas which his father had never guessed, had a high esteem for the latter's originality. Americans, rightly or wrongly, are commended for the ease with which they adapt themselves to foreign conditions; but Mr. Touchett had made of the very limits of his pliancy half the ground of his general success. He had retained in their freshness most of his marks of primary pressure; his tone, as his son always noted with pleasure, was that of the more luxuriant parts of New England. At the end of his life he had become, on his own ground, as mellow as he was rich; he combined consummate shrewdness with the disposition superficially to fraternize, and his "social position," on which he had never wasted a care, had the

في وطنه الأم (علما أن هذه الإمكانية كان يشوبها الكثير من الشكوك)، فحتى لو أبدى السيد توشيت عدم ممانعته في الإفتراق عنه (واقع الحال لم يكن كذلك)، كان سيصعب جدا على الفتى وضع قفر مائي دائم يفصل بينه وبين والرجل المسنّ الذي كان يعتبره أعز أصدقائه. لم يكن رالف محبا لوالده فحسب، بل كل مُعجبا به أيضا. كان يجد متعة كبيرة بمراقبته. كان دانيل توشيت بنظره رجلا عبقريا، وبالرغم من عدم تميّزه بالأهلية وبالجدارة لفهم وإدارة لغز الأعمال المصرفية، إلا أنه أصرّ على تعلّم ما يكفي من ذلك اللغز ليكون في المستوى الذي حققه والده. ولكن بالواقع لم يكن هذا ما كان يثير إعجابه الشديد بوالده، بل كان ذلك المظهر العاجي الرفيع، المصقول بالمناخ الإنجليزي، والذي نجح الرجل المسنّ في الحفاظ عليه وصدّ كافة الإحتمالات لخرقه. لم تُتَح الفرصة لدانيل توشيت للإلتحاق بجامعة هارفرد أو أوكسفورد، وإذا كان رالف يحمل في داخله مفتاح النقد العصري، فوالده هو المسؤول الأول عن ذلك. كان رالف يكنّ إحتراما كبيرا لمقدرة والده الإبداعية الفذّة، بالرغم من أن ذهنه كان يعج بالعديد من الأفكار التي لم يفطن إليها قط الرجل المسنّ. الأمريكيون، سواء كانوا على خطأ أم صواب، جديرون بالثناء على سهولة تكيّفهم مع الظروف الغريبة عن تقاليدهم وعاداتهم؛ ولكن السيد توشيت جعل من قابلية التَكيُّف ذاتها بمداها الأقصى التي يتحلّى بها العامل الفاعل لنجاحه في الحياة. احتفظ بنقاء معظم سِمات طباعه الأصلية، فنبرة صوته، كما كان إبنه يُشير دائما بسرور بالغ، حافظت على لهجة سكان تلك الضواحي من نيو إنجليند المعروفة بترفها. أصبح بنهاية حياته، رجلاً ثرياً ليّن العريكة، بدون التخلّي قيد أنملة عن معتقداته وتقاليده. جمع في شخصيته الدهاء الكامل مع الميل بشكل سطحي للاختلاط والتصادق،

واتسم "مركزه الإجتماعي" الذي أغفل الإهتمام به إلى حد كبير، بكمالية راسخة أشبه بالفاكهة النظيفة. قد يكون ربما افتقاره لخيال واسع وما يُسمّى الإدراك التاريخي، ولكن بالنسبة للعديد من الانطباعات المتكوّنة لدى الأجنبي المثقّف نتيجة تعايشه مع نمط الحياة الإنجليزي، كانت إنطباعاته هو موصدة تماما. كان هناك بعض الاختلافات فاته الانتباه إليها بشكل كامل، وبعض الطِباع التي لم تتكوّن لديه على الإطلاق وبعض الغموض الذي لم يمارسه أبدا. بالنسبة للخاصية الأخيرة، كان تقدير ابنه له ونظرته إليه في حال إتسمت تصرفات والده بها، تراجعت كثيرا عما هي عليه في الواقع.

أمضى رالف عقب تخرّجه من أكسفورد، سنتين مسافرا في أنحاء العالم، عاد بعدها ليجد نفسه جالسا في كرسي واسع في أحد مكاتب مصرف والده. لا أظن أن مسؤولية وشرف مثل هذه المراكز يعتمدان على فخامة الكرسي أو ارتفاعه، بقدر ما يعتمدان على اعتبارات آخرى مختلفة تماما. بالواقع كان رالف يُفضّل الوقوف وأحيانا السير في أرجاء مكتبه، بدلا من الجلوس فيه. ولكنه اضطّر لحصر رياضته هذه بفترة زمنية قصيرة جدا، حين تبيّن له بنهاية حوالي السنة والنصف في وظيفته هذه، أنه مُصاب بمرض عُضال. فقد أصيب بزُكام حادّ استقرّ بنهاية الأمر في رئتيه ما أدّى لنتائج وخيمة. اضطر إثر ذلك للإنقطاع عن العمل والانصراف الكلي للاهتمام بنفسه. استخفّ بادئ الأمر بتلك المهمة، فقد بدى له أن الرعاية التي يُبديها ليست موجّهة لنفسه بل لشخص مُمل غير مُكترث بالأمر وغريب عنه تماما. ولكن مع الوقت طرأ بعض التحسّن على ذلك الشخص، ونما لدى رالف نوع من القدرة المُتذمّرة على إحتماله حتى شارفت حدود الاحترام المُتحفّظ. تؤثّر المِحَن بشكل غريب على المُصاب بها، وصديقنا الشاب الذي شعر بأنَّ حياته في خطر نتيجة هذا الوضع،

firm perfection of an unthumbed fruit. It was perhaps his want of imagination and of what is called the historic consciousness; but to many of the impressions usually made by English life upon the cultivated stranger his sense was completely closed. There were certain differences he had never perceived, certain habits he had never formed, certain obscurities he had never sounded. As regards these latter, on the day he had sounded them his son would have thought less well of him.

Ralph, on leaving Oxford, had spent a couple of years in travelling; after which he had found himself perched on a high stool in his father's bank. The responsibility and honour of such positions is not, I believe, measured by the height of the stool, which depends upon other considerations: Ralph, indeed, who had very long legs, was fond of standing, and even of walking about, at his work. To this exercise, however, he was obliged to devote but a limited period, for at the end of some eighteen months he had become aware of his being seriously out of health. He had caught a violent cold, which fixed itself on his lungs and threw them into dire confusion. He had to give up work and apply, to the letter, the sorry injunction to take care of himself. At first he slighted the task; it appeared to him it was not himself in the least he was taking care of, but an uninteresting and uninterested person with whom he had nothing in common. This person, however, improved on acquaintance, and Ralph grew at last to have a certain grudging tolerance, even an undemonstrative respect, for him. Misfortune makes strange bedfellows, and our young

أدرك ذلك الواقع نتيجة ميله الفطري للسخرية والمُزاح. أخذ على عاتقه الإهتمام الجدّي بصحته الأمر الذي ساهم في إبقاء الشاب المسكين على قيد الحياة. تماثلت إحدى رئتيه للشفاء مع أمل كبير في شفاء الرئة الأخرى، وجرى التأكيد له على إمكانية العيش العشرات من فصول الشتاء في حال عمد للذهاب إلى تلك المناخات حيث يتواجد فيها بشكل رئيسي العديد من الأشخاص المُعرّضون للإصابة بداء السُلّ. بينما كان ولعه الشديد بلندن يتنامى، فقد كان يلعن برودة المنفى، ولكنه في الوقت ذاته امتثل على مضض للضرورة وأحكامها، وأصبح حين بدأ يتعافى بشكل تدريجي، ينظر إلى تلك الأماكن بكثير من الرضى والإمتنان. وهكذا كان يقضي فصول الشتاء في الخارج، ينعم بدفء أشعة الشمس ليعود إلى وطنه عند هبوب الرياح، يلزم الفراش في الأيام الممطرة حيث كاد في مناسبة أو مناسبتين البقاء في فراشه إلى الأبد.

أتيح له الإستعانة بذخيرة من اللامبالاة السرّية. أشبه بقالب الحلوى المُكتنز الذي يمكن أن تُمرّره إليه خِلسة مربّية طيبة القلب في أول يوم دراسي له ما ساعده على التأقلم مع محنته نظراً لأنه كان خائر القوى لدرجة أنّهُ لا يمكنه المشاركة سوى بتلك اللعبة الشاقة. فكما كان يردّد بينه وبين نفسه، لم يكن هناك بالواقع من شيء خاص يرغب فعلا القيام به في هذه الحياة، ما يعني أنه لم يعتزل تماما عالم الشجاعة. ولكن في الوقت الحاضر كانت ثمرة الفاكهة المحرّمة تمرّ بذهنه بين الفينة والأخرى، لتُذكّره بأن أروع المسرّات تكمن في النشاط الفاعل. كان نمط العيش الذي يعيشه الآن أشبه بمطالعة كتاب جيد بترجمة سيئة. وهي تسلية لا نكهة ولا طعم لها بالنسبة لرجل في مقتبل العمر يشعر أنه لو كانت الظروف غير ما هي عليه، لكان أصبح من أبرع اللغويين. إختبر فصول شتاء جيدة وأخرى

man, feeling that he had something at stake in the matter–it usually struck him as his reputation for ordinary wit–devoted to his graceless charge an amount of attention of which note was duly taken and which had at least the effect of keeping the poor fellow alive. One of his lungs began to heal, the other promised to follow its example, and he was assured he might outweather a dozen winters if he would betake himself to those climates in which consumptives chiefly congregate. As he had grown extremely fond of London, he cursed the flatness of exile: but at the same time that he cursed he conformed, and gradually, when he found his sensitive organ grateful even for grim favours, he conferred them with a lighter hand. He wintered abroad, as the phrase is; basked in the sun, stopped at home when the wind blew, went to bed when it rained, and once or twice, when it had snowed overnight, almost never got up again.

A secret hoard of indifference–like a thick cake a fond old nurse might have slipped into his first school outfit–came to his aid and helped to reconcile him to sacrifice; since at the best he was too ill for aught but that arduous game. As he said to himself, there was really nothing he had wanted very much to do, so that he had at least not renounced the field of valour. At present, however, the fragrance of forbidden fruit seemed occasionally to float past him and remind him that the finest of pleasures is the rush of action. Living as he now lived was like reading a good book in a poor translation–a meagre entertainment for a young man who felt that he might have been an excellent

linguist. He had good winters and poor winters, and while the former lasted he was sometimes the sport of a vision of virtual recovery. But this vision was dispelled some three years before the occurrence of the incidents with which this history opens: he had on that occasion remained later than usual in England and had been overtaken by bad weather before reaching Algiers. He arrived more dead than alive and lay there for several weeks between life and death. His convalescence was a miracle, but the first use he made of it was to assure himself that such miracles happen but once. He said to himself that his hour was in sight and that it behoved him to keep his eyes upon it, yet that it was also open to him to spend the interval as agreeably as might be consistent with such a preoccupation. With the prospect of losing them the simple use of his faculties became an exquisite pleasure; it seemed to him the joys of contemplation had never been sounded. He was far from the time when he had found it hard that he should be obliged to give up the idea of distinguishing himself; an idea none the less importunate for being vague and none the less delightful for having had to struggle in the same breast with bursts of inspiring self-criticism. His friends at present judged him more cheerful, and attributed it to a theory, over which they shook their heads knowingly, that he would recover his health. His serenity was but the array of wild flowers niched in his ruin.

It was very probably this sweet-tasting property of the observed thing in itself that was mainly concerned in

سيئة، وكانت تتراءى أمامه خلال فصول الشتاء الجيدة تخيّلات بإمكانية الشفاء التام. ولكن تلك التخيلات سرعان ما تبخّرت قبل حوالي ثلاث سنوات من تاريخ سرد هذه الأحداث، فقد بقي في ذلك الحين في إنجلترا فترة أطول من المعتاد ليُفاجأ بطقس سيء قبل وصوله إلى الجزائر. وصل إلى هناك ميتا أكثر منه حيّا، وبقي بضعة أسابيع يتأرجح بين الموت والحياة. إعتُبِرَت فترة تماثله للشفاء معجزة، ولكن الأمر الأول الذي أقدم عليه للإستفادة من تلك المعجزة هو الإقرار بأن مثل تلك المعجزات لا تحصل سوى مرة واحدة في الحياة. أدرك بينه وبين نفسه أن نهايته قريبة لا محالة وأنه يتعيّن عليه عدم تناسي هذا الواقع، ولكن في الوقت نفسه شعر بضرورة قضاء ما تبقّى له من الوقت في هذه الدنيا بالشكل الأفضل الذي تسمح به حالته الصحية. وهكذا تحوّل مجرّد الاستخدام البسيط لقواه الجسدية على ضوء احتمال فقدانه إياها إلى متعة حقيقية، بدى له وكأن روعة التأمل الفكري والروحي لم يسبق له سبرها وإكتشاف سحرها. ابتعد كثيرا عن الفترة الزمنية التي أدرك خلالها صعوبة اضطّراره للتخلّي عن فكرة الظهور بمظهر الشخص المُتميّز؛ ومع ذلك فهي فكرة مُزعجة بسبب غموضها، وفي الوقت ذاته مُبهجة نظرا لدفعه إلى المقاومة بالمشاعر ذاتها مع دفقات من النقد الذاتي. إعتبر أصدقاؤه في الوقت الحاضر أنه أكثر مرحا من ذي قبل، وعزو ذلك وهم يهزون برؤوسهم علامة تأكيد للنظرية القائلة بأنه عما قريب سيستعيد كامل صحته. كان هدوئه وصفاء ذهنه ليس سوى مجموعة من الأزهار البرية المتناغمة بدماره.

أغلب الظن أن تلك المَلكة الرقيقة المُراقبة للأحداث بتجرّد كامل هي التي إستُثيرت بشكل رئيسي في داخله ودفعته إلى الإحساس باهتمام سريع

Ralph's quickly-stirred interest in the advent of a young lady who was evidently not insipid. If he was consideringly disposed, something told him, here was occupation enough for a succession of days. It may be added, in summary fashion, that the imagination of loving–as distinguished from that of being loved–had still a place in his reduced sketch. He had only forbidden himself the riot of expression. However, he shouldn't inspire his cousin with a passion, nor would she be able, even should she try, to help him to one. "And now tell me about the young lady," he said to his mother. "What do you mean to do with her?"

Mrs. Touchett was prompt. "I mean to ask your father to invite her to stay three or four weeks at Gardencourt."

"You needn't stand on any such ceremony as that," said Ralph. "My father will ask her as a matter of course."

"I don't know about that. She's my niece; she's not his."

"Good Lord, dear mother; what a sense of property! That's all the more reason for his asking her. But after that– I mean after three months for it's absurd asking the poor girl to remain but for three or four paltry weeks–what do you mean to do with her?"

"I mean to take her to Paris. I mean to get her clothing."

"Ah yes, that's of course. But independently of that?"

"I shall invite her to spend the autumn with me in Florence."

"You don't rise above detail, dear mother," said Ralph.

إزاء حلول فتاة شابة في منزلهم، وكما يبدو عليها أبعد ما تكون عن الفتاة التافهة غير المشوّقة. وفي حال كان ميّالا للأخذ بعين الإعتبار كل ما تقدّم، فثمة شيء همس له قائلا إليكَ فرصة ستُشغلك لبضعة أيّام. تجدر الإشارة، كخُلاصة لكل ما سبق قوله، أن تخيُّل العُشق تمييزا لهُ عن كون المرء معشوقاً، كان لا يزال له مكانا في مُخَطَّطه المُصَغَّر. لم يَحرم نفسه سوى من صخب التعبير. ولكن يجدر به ألّا يُثير في نفس إبنة خالته أي نوع من العاطفة، كما لن تتمكّن هي حتى ولو حاولت، من إثارة مثل تلك المشاعر في نفسه. قال هو لوالدته: "والآن أخبريني عن تلك الفتاة الشابة، ما الذي تنوين القيام به حيالها؟."

"أنوي الطلب من والدك دعوتها لقضاء ثلاث أو أربع أسابيع في غاردينكورت." كانت السيدة توشيت حاسمة في إجابتها.

قال رالف: "لا حاجة تدعوكِ للقيام بكل هذه الرسميات، فوالدي سيوجّه لها مثل هذه الدعوة بطبيعة الحال."

"أشكّ بذلك، فهي إبنة شقيقتي وليست إبنة شقيقته."

"يا إلهي، يا والدتي العزيزة، يا لهذا الشعور بالتملّك! إن هذا الواقع بحدّ ذاته سيدفعه لتوجيه مثل هذه الدعوة إليها. ولكن بعد ذلك. أقصد بعد الثلاثة أشهر (إذ سيكون من السُخف الطلب من الفتاة المسكينة البقاء لثلاث أو أربع أسابيع فقط). ما الذي تنوين القيام به حيالها؟"

"أنوي إصطحابها معي إلى باريس. أنوي شراء بعض الملابس لها."

"آه طبعا، هذا أمر مفروغ منه. ولكن بغض النظر عن ذلك؟"

"سأدعوها لقضاء فصل الخريف معي في فلورنسا."

قال رالف: "تلتزمين إلى حد كبير بالتفاصيل التافهة يا والدتي

العزيزة. أرغب بمعرفة ما تنوين القيام به حيالها بشكل عام."

قالت السيدة توشيت: "القيام بما يتطلّبه مني الواجب! أظن أنك ترثي لحالها بشكل كبير."

"لا، لا أظن أنني أرثي لحالها. لا تثيرني على أنها تتصرف بشكل يفضي لشعور المرء بالشفقة عليها. أظن أنني أحسدها. ولكن قبل تأكدي من ذلك، أعطيني تلميحا موجزا عن أين تجيدين واجبك تجاهها."

"بتعريفها على أربع بلدان أوروبية. سأترك لها حرية اختيار بلدين من تلك البلدان الأربع. وبتوفير الفرصة لها لإتقان اللغة الفرنسية، علماً أنها تُحسن التكلم بها بطلاقة."

تجهّم وجه رالف بعض الشيء. "يبدو لي ذلك جافاً بعض الشيء. حتى مع السماح لها باختيار بلدين من البلدان الأوروبية."

"إذا كنت تعتبر مثل هذا العمل أمراً جافا، فيمكنك التأكد أن إيزابيل لن تتوانى عن تلطيف ذلك الجفاف! إنها أشبه بمطر الصيف."

"هل تقصدين أنها إنسانة موهوبة؟"

"لا أعرف ما إذا كانت إنسانة موهوبة، ولكني على يقين أنها فتاة ذكية. ذات إرادة صلبة ومزاج حادّ. لا تعرف معنى الملل."

قال رالف: "يمكنني تخيُّل ذلك." ثم أضاف على نحو مفاجئ: "كيف هي العلاقة بينكما؟"

"هل تقصد بقولك إنني إنسانة ثقيلة الظل؟ لا أظن أنها تعتبرني كذلك. أعلم أنه ربّما بعض الفتيات يعتبرنني كذلك، ولكن إيزابيل لديها ما يكفي من الذكاء ما يجعلها لا تفكّر بي على هذا النحو. أظن أنني مصدر إلهاء لها، علاقتنا ممتازة لأنني أفهمها وأعرف تماما أي نوع من الفتيات هي. إنها صريحة جدا، وكذلك أنا، وبالتالي نعلم بالضبط ما نتوقعه من بعضنا البعض."

"I should like to know what you mean to do with her in a general way."

"My duty!" Mrs. Touchett declared. "I suppose you pity her very much," she added.

"No, I don't think I pity her. She doesn't strike me as inviting compassion. I think I envy her. Before being sure, however, give me a hint of where you see your duty."

"In showing her four European countries–I shall leave her the choice of two of them–and in giving her the opportunity of perfecting herself in French, which she already knows very well."

Ralph frowned a little. "That sounds rather dry–even allowing her the choice of two of the countries."

"If it's dry," said his mother with a laugh, "you can leave Isabel alone to water it! She is as good as a summer rain, any day."

"Do you mean she's a gifted being?"

"I don't know whether she's a gifted being, but she's a clever girl- with a strong will and a high temper. She has no idea of being bored."

"I can imagine that," said Ralph; and then he added abruptly: "How do you two get on?"

"Do you mean by that that I'm a bore? I don't think she finds me one. Some girls might, I know; but Isabel's too clever for that. I think I greatly amuse her. We get on because I understand her; I know the sort of girl she is. She's very frank, and I'm very frank: we know just what to expect of each other."

"Ah, dear mother," Ralph exclaimed, "one always knows what to expect of you! You've never surprised me but once, and that's to-day–in presenting me with a pretty cousin whose existence I had never suspected."

"Do you think her so very pretty?"

"Very pretty indeed; but I don't insist upon that. It's her general air of being some one in particular that strikes me. Who is this rare creature, and what is she? Where did you find her, and how did you make her acquaintance?"

"I found her in an old house at Albany, sitting in a dreary room on a rainy day, reading a heavy book and boring herself to death. She didn't know she was bored, but when I left her no doubt of it she seemed very grateful for the service. You may say I shouldn't have enlightened her–I should have let her alone. There's a good deal in that, but I acted conscientiously; I thought she was meant for something better. It occurred to me that it would be a kindness to take her about and introduce her to the world. She thinks she knows a great deal of it–like most American girls; but like most American girls she's ridiculously mistaken. If you want to know, I thought she would do me credit. I like to be well thought of, and for a woman of my age there's no greater convenience, in some ways, than an attractive niece. You know I had seen nothing of my sister's children for years; I disapproved entirely of the father. But I always meant to do something for them when he should have gone to his reward. I ascertained where they were to be found and, without any preliminaries, went and introduced myself. There are two

صاح رالف قائلا: "أوه يا والدتي العزيزة، المرء يعلم دائما ما يمكن توقّعه منكِ! لم تُفاجئني تصرفاتك أبدا باستثناء مرة واحدة. وهو ما حصل اليوم. بتعريفي على إبنة خالة لي تتميز بالجمال كنتُ أجهل تماما وجودها."

"أتظن أنها رائعة الجمال؟"

"إنها جميلة فعلا، ولكنني لا أشدّد على هذه النقطة. ما يثير فضولي حقا هو أنَّها إنسانة متميّزة عن غيرها. مَن هي تلك الإنسانة النادرة؟ أين عثرتِ عليها وكيف تمّ التعارف بينكما؟"

"عثرتُ عليها ذات يوم ممطر في منزل قديم في ألباني، جالسة في غرفة موحشة تُطالع كتابا سميكا وتشعر بمللٍ يثقل كاهلها. كانت تجهل أنها ضجرة من نمط حياتها، ولكني على ثقة أنه عندما تركتها شعرت بامتنان كبير لي للخدمة التي قدمتها لها. قد تقول كان من الأفضل عدم تنويرها وتركها وشأنها. ولكني تصرّفت وفق ما يُحتّمه عليّ ضميري، إعتبرت أنها جديرة بما هو أفضل مما هي عليه. فكّرت أنه سيكون عملا رؤوفا لو إصطحبتها معي وعرّفتها على العالم. تظن كما سائر الفتيات الأمريكيات، أنها مُطلعة بشكل واسع على العالم، ولكنها كسائر الفتيات الأمريكيات، مُخطئة تماما في ذلك. إذا رغبتَ بمعرفة أمر ما، إعتبرت أنها ستكون عامل فخر بالنسبة لي. أحب أن أحوز على إحترام الناس وتقديرهم، وبالنسبة لامرأة في مثل سنّي لا وجود لوضع أكثر ملائمة لتحقيق ذلك من وجود إبنة شقيقة جذابة. كما تعلم لم ألتقِ ببنات شقيقتي منذ سنوات عديدة بسبب استهجاني الكُلّي للوالد. ولكني طالما رغبتُ بمساعدتهن حين يحين وقت نيله جزائه. تحقّقت من مكان وجودهن، وتوجهت إليهن بدون أية مقدّمات، وعرفتهن بنفسي. هناك شقيقتان ثانيتان

others of them, both of whom are married; but I saw only the elder, who has, by the way, a very uncivil husband. The wife, whose name is Lily, jumped at the idea of my taking an interest in Isabel; she said it was just what her sister needed–that some one should take an interest in her. She spoke of her as you might speak of some young person of genius–in want of encouragement and patronage. It may be that Isabel's a genius; but in that case I've not yet learned her special line. Mrs. Ludlow was especially keen about my taking her to Europe; they all regard Europe over there as a land of emigration, of rescue, a refuge for their superfluous population. Isabel herself seemed very glad to come, and the thing was easily arranged. There was a little difficulty about the money-question, as she seemed averse to being under pecuniary obligations. But she has a small income and she supposes herself to be travelling at her own expense."

Ralph had listened attentively to this judicious report, by which his interest in the subject of it was not impaired. "Ah, if she's a genius," he said, "we must find out her special line. Is it by chance for flirting?"

"I don't think so. You may suspect that at first, but you'll be wrong. You won't, I think, in any way, be easily right about her."

"Warburton's wrong then!" Ralph rejoicingly exclaimed. "He flatters himself he has made that discovery."

His mother shook her head. "Lord Warburton won't understand her. He needn't try."

كلاهما متزوجتان، ولكنني لم ألتقِ سوى بالشقيقة الكبرى، والتي زوجها على فكرة شخص غير مُتمدّن أبدا. رحّبت الزوجة واسمها ليلي، باهتمامي الكبير بإزابيل قائلة أن هذا بالضبط ما تحتاجه شقيقتها. أي أن يأخذ شخص ما على عاتقه مسألة الإهتمام بها ورعايتها. تحدّثت عنها وكأنها تتكلم عن شخص مُتميّز ومبدع في مقتبل العمر. بحاجة للتشجيع والرعاية. قد تكون إيزابيل فعلا إنسانة مُبدعة ومتميّزة، إلا أنني حتى الآن لم أكتشف ماهية إبداعها. أبدت السيدة لادلو حماسا كبيرا في ما يتعلق باصطحابي شقيقتها معي إلى أوروبا، فجميعهم يعتبرون أوروبا الواقعة في المقلع الآخر من العالم، أرضا مثالية للهجرة، وللتحرر، وملاذا لسكّانهم السطحِي التفكير. بدت إيزابيل نفسها سعيدة جدا بالمجيء إلى أوروبا، وجرى ترتيب كل شيء بسهولة تامة. ظهرت مشكلة صغيرة في ما يتعلق بالمسائل المالية، إذ بدت مُبغضة لفكرة أن تكون مَديونة ماليا لأي كان، إلا أنها تملك دخلا متواضعا واعتبرت أنها ستتكفّل هي شخصيا بكافة مصاريف رحلتها."

أصغى رالف بانتباه كلي لهذا التقرير المُتّسم بحسن التمييز، الذي لم يُضعف إهتمامه المتزايد بموضوعه الأساسي. قال: "آه، إذا كانت فعلا مُبدعة ومتميزة، يتوجب علينا معرفة ماهية تميّزها، هل يتمحور ذلك في مجال المغازلة العابثة؟."

"لا أظن ذلك، قد يساورك شك في ذلك بادئ الأمر، إلا أنك تتبيّن لاحقا أنك مُخطئ في تفكيرك. ولكن يمكنني القول أنه لا يمكنك التأكد بسهولة من نوعية شخصيتها."

صاح رالف بسعادة: "إذن وربورتين مخطئ في تقديراته! وهو الذي يتبجّح بالقول أنه اكتشف شخصيتها."

قالت والدته وهي تهز برأسها: "لن يتمكّن اللورد وربورتين من فهمها، وبالتالي لا حاجة له حتى إلى محاولة ذلك."

قال رالف: "إنه ذكي جدا، ولكن صحيح أنه قد يجد نفسه بين الحين والآخر، مواجها أمورا محيّرة يصعب عليه فهمها."

علّقت السيدة توشيت قائلة: "ستستمتع إيزابيل بإثارة حيرة وارتباك أحد اللوردات."

تجهّم وجه إبنها بعض الشيء. "وما الذي تعرفه عن اللوردات؟"

"لا شيء على الإطلاق، وهذا ما سيزيد في حيرته وارتباكه."

سأل بعد قليل: "ضحك رالف لدى سماعه هذا الكلام ونظر خارج النافذة. "ألن تنزلي إلى الحديقة لرؤية والدي؟".

قالت السيدة توشيت: "سأفعل ذلك في تمام الساعة الثامنة إلا ربعا."

نظر إبنها إلى ساعته. "ما زال أمامك ربع ساعة من الوقت. أخبريني المزيد يا والدتي عن إيزابيل."

وبعدما رفضت السيدة توشيت الإذعان لطلبه، قائلة أنه يتوجب عليه هو إكتشاف ذلك بنفسه، تابع رالف قائلا: "حسنا، لا شك أنها ستكون مصدر فخر لك. ولكن ألا تظنين أنها ستكون أيضا مصدر متاعب لك؟"

"أتمنى ألّا يحصل ذلك، ولكنني لن أنفر من ذلك بل سأواجهه بكل قواي، فلطالما فعلت ذلك."

قال رالف: "أظن أنها عفوية جدا في تصرفاتها وسلوكها."

"الأناس العفويون لا يشكّلون مصدراً للمتاعب."

"هذا صحيح، أنتِ دليل حيّ على ذلك. فأنتِ عفوية جدا في تصرفاتك وما كنتِ أبدا مصدر متاعب لأحد؛ فإثارة المتاعب تتطلّب جهودا كبيرة. ولكن أخبريني، لقد خطرت هذه الفكرة على بالي للتو، هل بإمكان إيزابيل أن تجعل من نفسها شخصا كريها سيء الطباع؟"

"آه، تطرح الكثير من الأسئلة! اكتشف ذلك بنفسك."

"He's very intelligent," said Ralph; "but it's right he should be puzzled once in a while."

"Isabel will enjoy puzzling a lord," Mrs. Touchett remarked.

Her son frowned a little. "What does she know about lords?"

"Nothing at all: that will puzzle him all the more."

Ralph greeted these words with a laugh and looked out of the window. Then, "Are you not going down to see my father?" he asked.

"At a quarter to eight," said Mrs. Touchett.

Her son looked at his watch. "You've another quarter of an hour then. Tell me some more about Isabel." After which, as Mrs. Touchett declined his invitation, declaring that he must find out for himself, "Well," he pursued, "she'll certainly do you credit. But won't she also give you trouble?"

"I hope not; but if she does I shall not shrink from it. I never do that."

"She strikes me as very natural," said Ralph.

"Natural people are not the most trouble."

"No," said Ralph; "you yourself are a proof of that. You're extremely natural, and I'm sure you have never troubled any one. It takes trouble to do that. But tell me this; it just occurs to me. Is Isabel capable of making herself disagreeable?"

"Ah," cried his mother, "you ask too many questions! Find that out for yourself."

بالرغم من هذا كان ما زال لديه المزيد من الأسئلة لطرحها. "لم تخبريني طوال هذا الوقت، ما الذي تنوين القيام به حيالها؟"

" القيام به حيالها؟ تتكلم وكأنها قطعة من قماش الكاليكو. لا أنوي القيام بأي شيء حيالها، فهي التي ستفعل ما تراه مناسبا لها. لقد أعلمتني ذلك بنفسها."

"ما قصدتِ قوله إذن في تلغرافك، أنها ذات شخصية قوية ومستقلة."

"لا أعرف أبدا ما أقصد قوله بتلغرافاتي. خاصة تلك التي أرسلها من أمريكا. الوضوح مسألة باهظة الثمن جدا. تعال لننزل إلى حيث والدك."

قال رالف: "ولكنها ليست الثامنة إلا ربعا بعد."

أجابت السيدة توشيت: "يجب عليّ أخذ تململه بعين الإعتبار."

كان رالف يُدرك ما يفكّر به إزاء تململ والده؛ إلا أنه فضّل التزام الصمت مقدّما ساعده لوالدته. أتاحت له هذه الحركة أن يوقفها وهي عند منتصف مُنبَسط السلّم. ذلك السلّم العريض، المُنخفض الواسع المُنبسط الساعدين المصنوع من خشب السنديان القديم والذي كان إحدى خصائص غاردينكورت المميّزة. قال مبتسما: "ليس لديك أي خطة لتزويجها؟"

"تزويجها؟ سأشعر بالأسف في حال مارست هذه الحيلة عليها! ولكن بغض النظر عن هذا، فهي تملك كامل المقدرة للاهتمام بهذا الأمر بنفسها، فلديها كل ما يلزم لذلك."

"هل تقصدين بقولك أنها سبق واختارت زوجا لها؟"

"لا أعرف ما إذا كان سيصبح زوجا لها، ولكن يوجد شاب في بوسطن . . . !"

His questions, however, were not exhausted. "All this time," he said, "you've not told me what you intend to do with her."

"Do with her? You talk as if she were a yard of calico. I shall do absolutely nothing with her, and she herself will do everything she chooses. She gave me notice of that."

"What you meant then, in your telegram, was that her character's independent."

"I never know what I mean in my telegrams–especially those I send from America. Clearness is too expensive. Come down to your father."

"It's not yet a quarter to eight," said Ralph.

"I must allow for his impatience," Mrs. Touchett answered.

Ralph knew what to think of his father's impatience; but, making no rejoinder, he offered his mother his arm. This put it in his power, as they descended together, to stop her a moment on the middle landing of the staircase–the broad, low, wide-armed staircase of time-blackened oak which was one of the most striking features of Gardencourt. "You've no plan of marrying her?" he smiled.

"Marrying her? I should be sorry to play her such a trick! But apart from that, she's perfectly able to marry herself. She has every facility."

"Do you mean to say she has a husband picked out?"

"I don't know about a husband, but there's a young man in Boston-!"

"كما يقول والدي، هن بحكم المخطوبات دائما!" قل رالف مقاطعا وهو غير راغب بسماع المزيد عن الشاب في بوسطن.

أخبرته والدته أن عليه إرواء فضوله من المصدر، وسرعان ما تبيّن له أنه لن يجد صعوبة في ذلك. فقد أتيح له الوقت الكافي للتحدث مع قريبته، حين انفرد بها في غرفة الاستقبال. فاللورد وربيرتن الذي جاء راكبا جواده من منزله الذي يبعد مسافة عشرة أميال، امتطى جواده ثانية وقفل عائدا من حيث أتى قبل موعد وجبة العشاء، وانسحب السيد والسيدة توشيت بعد العشاء بحوالي الساعة كلٌّ إلى غرفته، متذرعين بالتعب وبالإرهاق. أمضى الشاب ساعة من الوقت مع إبنة خالته، التي وبالرغم من أنها أمضت نصف ذلك اليوم بالسفر، إلا أنها بدت في كامل نشاطها وحيويتها. كانت تُدرك تماما أنها مرهقة فعلا وأنها ستدفع جزاء ذلك صباح اليوم التالي، غير أنها اعتادت في هذه الفترة من حياتها تحمّل الإرهاق حتى مداه الأقصى وعدم الإقرار به إلا حين تنهار كل المظاهر الكاذبة المتذرّعة بها لتبدو على نقيض ما تشعر به فعلا. لم يكن التظاهر الكاذب في الوقت الحاضر أمرا صعب التحقيق، فقد كانت مُستثارة الإنتباه إلى أبعد حد، وكما قالت بينها وبين نفسها، شعرت وكأنها تعوم. طلبت من رالف أن يُريها اللوحات الفنية، كان في ذلك المنزل عدد كبير منها معظمها من إختيار رالف شخصيا. كانت اللوحات الأفضل مُرتّبة داخل صالة عرض من خشب السنديان، متناسقة بشكل رائع، بوجود غرفة جلوس عند جانبيها والتي غالبا عند المساء كانت تُنوّر بالمصابيح. لم يكن الضوء كافيا ليُظهر مزايا الصور على أكمل وجه، وكان بالإمكان تأجيل هذه الزيارة ليوم غد. تجرأ رالف وعرض هذا الاقتراح، غير أن خيبة الأمل ظهرت بوضوح على وجه إيزابيل. ولكن البسمة لم تفارق وجهها وهي تقول، "أرغب برؤيتها ولو قليلا من فضلك." كانت تُدرك تماما أنها مدفوعة بالحماس

Ralph went on; he had no desire to hear about the young man in Boston. "As my father says, they're always engaged!"

His mother had told him that he must satisfy his curiosity at the source, and it soon became evident he should not want for occasion. He had a good deal of talk with his young kinswoman when the two had been left together in the drawing-room. Lord Warburton, who had ridden over from his own house, some ten miles distant, remounted and took his departure before dinner; and an hour after this meal was ended Mr. and Mrs. Touchett, who appeared to have quite emptied the measure of their forms, withdrew, under the valid pretext of fatigue, to their respective apartments. The young man spent an hour with his cousin; though she had been travelling half the day she appeared in no degree spent. She was really tired; she knew it, and knew she should pay for it on the morrow; but it was her habit at this period to carry exhaustion to the furtherest point and confess to it only when dissimulation broke down. A fine hypocrisy was for the present possible; she was interested; she was, as she said to herself, floated. She asked Ralph to show her the pictures; there were a great many in the house, most of them of his own choosing. The best were arranged in an oaken gallery, of charming proportions, which had a sitting-room at either end of it and which in the evening was usually lighted. The light was insufficient to show the pictures to advantage, and the visit might have stood over to the morrow. This suggestion Ralph had

وتعلم أنه لا يمكنها فعل شيء لكبح ذلك الحماس الذي انتابها. قال رالف بينه وبين نفسه: "لا تُعير الإقتراحات أية أهمية." إلا أنه ردّد ذلك دونما أي شعور بالسخط أو بالغضب، فقد أثار حماسها وإلحاحها في نفسه شعورا بالبهجة وبالمرح. كانت المصابيح موضوعة فوق كُتيفة ثُليْثة، بشكل فواصل متباعدة عن بعضها، ما جعل الضوء بالرغم من ضآلته يبدو لطيفا معتدلا. إنسكب ذلك الضوء فوق المربّعات المُبهمة من الألوان الغنية وعلى الإطارات المُذهّبة الباهتة، مكوّنا لمعانا على أرضية صالة العرض الصقيلة. تناول رالف شمعدانا وسار إلى جانبها وهو يُشير إلى اللوحات المفضّلة لديه، وكانت إيزابيل تنحني وتتفحّص لوحة تلو الأخرى وتُطلق العِنان لهمسات التعجّب والإثارة. كان من الواضح أن لديها خبرة لا بأس بها وذوقا فطريا في عالم اللوحات الفنية، وهو أمر لم يكن يتوقّعه. تناولت هي الأخرى شمعدانا وأمسكته ببطء بالقرب من اللوحات المختلفة، ومن ثم رفعته إلى الأعلى، ووجد نفسه في تلك اللحظة يتوقّف في وسط المكان ويخفض نظره متمعّنا بها أكثر من اهتمامه باللوحات التي أمامه. لم يخسر شيئا بعمله هذا، إذ كانت تشكل مشهدا يفوق بجماله كل ما اجتمع لديه من أعمال فنية. بدت بكل وضوح إنسانة رؤوفة، خفيفة وطويلة القامة، إذ حين كان الناس يريدون تمييزها عن شقيقتيها الثانيتين كانوا يقولون تلك الممشوقة القوام. وكان شعرها الداكن اللون المائل إلى السواد محط حسد العديد من النساء، واتسمت عيناها الرماديتان الساحرتان الشديدتا الحزم بعض الشيء في اللحظات الجدّية، بمدى واسع من التسامح. سارا ببطء بمحاذاة أحد جانبي صالة العرض، ليعودا ثانية بمحاذاة الجانب الآخر منها. قالت: "حسنا، الآن أصبحت أكثر إلماما بالأمور الفنية مما كنتُ عليه قبل بدئي بهذه الجولة."

ventured to make; but Isabel looked disappointed- smiling still, however–and said: "If you please I should like to see them just a little." She was eager, she knew she was eager and now seemed so; she couldn't help it. "She doesn't take suggestions," Ralph said to himself; but he said it without irritation; her pressure amused and even pleased him. The lamps were on brackets, at intervals, and if the light was imperfect it was genial. It fell upon the vague squares of rich colour and on the faded gilding of heavy frames; it made a sheen on the polished floor of the gallery. Ralph took a candlestick and moved about, pointing out the things he liked; Isabel, inclining to one picture after another, indulged in little exclamations and murmurs. She was evidently a judge; she had a natural taste; he was struck with that. She took a candlestick herself and held it slowly here and there; she lifted it high, and as she did so he found himself pausing in the middle of the place and bending his eyes much less upon the pictures than on her presence. He lost nothing, in truth, by these wandering glances, for she was better worth looking at than most works of art. She was undeniably spare, and ponderably light, and proveably tall; when people had wished to distinguish her from the other two Miss Archers they had always called her the willowy one. Her hair, which was dark even to blackness, had been an object of envy to many women; her light grey eyes, a little too firm perhaps in her graver moments, had an enchanting range of concession. They walked slowly up one side of the gallery and down the other, and then she said:

أجاب رفيقها: "يبدو أنك مولعة جدا بالتزوّد بالمعرفة."

"أظن ذلك، معظم الفتيات جاهلات بشكل رهيب."

"يبدو لي أنكِ تختلفين عن معظم الفتيات."

قالت إيزابيل هامسة، لم تكن ترغب بعد في التكلّم بإسهاب عن نفسها: "أوه، ربما عن البعض منهم. ولكن الأسلوب المُستخدَم لمُخاطبتهن!"

تابعت قائلة بعد لحظة، في محاولة منها لتغيير الموضوع: "أرجوك أخبرني. هل من وجود لشبح هنا؟"

"شبح؟"

"شبح القصر، كائن يظهر عليك بشكل فجائي. ندعوهم أشباحا في أمريكا."

"وكذلك نفعل هنا، حينما نشاهدهم."

"تشاهدونهم إذن؟ لا ريب في ذلك، وسط هذا المنزل الرومنسي القديم."

قال رالف: "إنه أبعد ما يكون عن منزل رومانسي قديم، ستُصابين بخيبة الأمل إذا ما اعتبرته كذلك. إنه منزل مُمِلّ قابض للصدر؛ لا وجود للرومانسية هنا سوى ما يمكن أن تكوني جلبتيه معك."

"جلبت معي الكثير، ولكن يبدو أنني أخطأت المكان."

"لا شك أن ما جلبته من الرومانسية معك إلى هذا المكان سيبقى بيني وبين والدي مُحافظا عليه بدون أن يلحق به أي ضرر."

نظرت إليه إيزابيل للحظة. "ألا يوجد أبدا في هذا المكان أشخاص آخرون، سواك أنت ووالدك."

"طبعا هناك والدتي."

"Well, now I know more than I did when I began!"

"You apparently have a great passion for knowledge," her cousin returned.

"I think I have; most girls are horridly ignorant."

"You strike me as different from most girls."

"Ah, some of them would–but the way they're talked to!" murmured Isabel, who preferred not to dilate just yet on herself. Then in a moment, to change the subject, "Please tell me–isn't there a ghost?" she went on.

"A ghost?"

"A castle-spectre, a thing that appears. We call them ghosts in America."

"So we do here, when we see them."

"You do see them then? You ought to, in this romantic old house."

"It's not a romantic old house," said Ralph. "You'll be disappointed if you count on that. It's a dismally prosaic one; there's no romance here but what you may have brought with you."

"I've brought a great deal; but it seems to me I've brought it to the right place."

"To keep it out of harm, certainly; nothing will ever happen to it here, between my father and me."

Isabel looked at him a moment. "Is there never any one here but your father and you?"

"My mother, of course."

"Oh, I know your mother; she's not romantic. Haven't you other people?"

"Very few."

"I'm sorry for that; I like so much to see people."

"Oh, we'll invite all the county to amuse you," said Ralph.

"Now you're making fun of me," the girl answered rather gravely. "Who was the gentleman on the lawn when I arrived?"

"A county neighbour; he doesn't come very often."

"I'm sorry for that; I liked him," said Isabel.

"Why, it seemed to me that you barely spoke to him," Ralph objected.

"Never mind, I like him all the same. I like your father too, immensely."

"You can't do better than that. He's the dearest of the dear."

"I'm so sorry he is ill," said Isabel.

"You must help me to nurse him; you ought to be a good nurse."

"I don't think I am; I've been told I'm not; I'm said to have too many theories. But you haven't told me about the ghost," she added.

Ralph, however, gave no heed to this observation. "You like my father and you like Lord Warburton. I infer also that you like my mother."

"I like your mother very much, because–because-" And Isabel found herself attempting to assign a reason for her affection for Mrs. Touchett.

"أوه أعرف والدتك جيدا، هي ليست رومانسية. ألا يوجد أناسٌ آخرون؟"

"قليل جدا."

"إنني آسفة لذلك؛ إنني مولعة بالالتقاء والتعرّف على الناس."

قال رالف: "سندعو جميع سكان المقاطعة لتسليتك."

أجابت الفتاة بشيء من الجدّية: "إنك تسخر مني الآن. مَن كان ذاك السيد الذي شاهدته في المَخضرة لحظة وصولي؟."

"جارٌ من المقاطعة، لا يأتي إلى هنا كثيرا."

قالت إيزابيل: "إنني آسفة لذلك، فقد حاز على إعجابي."

قال رالف معترضا: "أيعقل هذا، يبدو لي أنك بالكاد تبادلتِ بضع كلمات معه."

"لا عليك، ومع ذلك فقد أعجِبت به. كما أنني مُعجبة جدا بوالدك أيضا."

"أحسنتِ في ذلك، فهو أعز الأعزاء."

قالت إيزابيل: "إنني آسفة جدا لوضعه الصحي السيء."

"من الضروري أن تساعديني في مسألة الإهتمام به ورعايته، لا بد وأن تكوني ممرضة ممتازة."

أضافت قائلة: "لا أظن أنني كذلك، فقد قيل لي أنني لست كذلك نظرا لتشبّثي بالعديد من النظريات. ولكنك لم تخبرني عن الشبح."

لم يُعرِه رالف أي اهتمام بهذه الملاحظة. "أنتِ مُعجبة بوالدي وباللورد وربيرتن، أستنتج من ذلك أنكِ مُعجبة بوالدتي أيضا."

"إنني مُعجبة جدا بوالدتك لأن . . . لأن . . " ووجدت إيزابيل نفسها تحاول عبثا العثور على سبب وجيه وراء إعجابها بالسيدة توشيت.

قال رفيقها ضاحكا: "آه، يستحيل علينا معرفة إعجابنا بالآخرين!."

أجابت الفتاة: "ولكنني أنا دائما أعرف السبب. تُعجبني والدتك لأنها لا تتوقّع من الآخرين الإعجاب بها. فهي لا تكترث سواء نالت إعجاب الآخرين أم لا."

قال رالف: "إذن أنتِ تحبّينها بسبب عنادها؟ حسنا، إنني أُشبه والدتي إلى حدٍ كبير."

"لا أظن ذلك على الإطلاق. فأنت ترغب بنيل إعجاب الآخرين وتسعى جهدك لدفعهم إلى ذلك."

صاح برعب جدّي أكثر مما هو ممازحة: "يا إلهي، يا لمقدرتكِ الفذّة في إدراك حقيقة الآخرين!"

تابعت إبنة خالته قائلة: "ومع ذلك تُعجبني. الطريقة الوحيدة لتثبيت هذه المسألة هي بأن تُريني الشبح."

هزّ رالف رأسه بحزن. قال رالف: "قد أريكِ إياه، ولكنكِ لن تشاهديه أبدا. فهذا الإمتياز لا يُمنح للجميع، كما أنه ليس مرغوبا فيه. لم يسبق أبدا أن شوهد من قِبَل شخص شابّ، وسعيد وبريء مثلكِ. يجب أولا أن تكوني ذقت طعم المعاناة والألم واكتسبت معرفة تعِسة. تتفتح عيناك بهذه الطريقة وتشاهديه، لقد شاهدته أنا منذ زمن بعيد."

أجابت: "أخبرتك للتو أنني مولعة جدا باكتساب المعرفة."

"نعم، المعرفة السعيدة. الخالية من الهموم. ولكنكِ لم تتألمي وتعاني، وطبيعتكِ أبعد ما تكون عن ذلك. آمل ألّا تشاهدي ذلك الشبح طوال حياتك!"

أصغت إليه بانتباه كلي، بابتسامة مُرتسمة على شفتيها ولكن بنظرة بالغة الجدّية في عينيها. بالرغم من جاذبيتها الكبيرة، إلا أنه وجدها

"Ah, we never know why!" said her companion, laughing.

"I always know why," the girl answered. "It's because she doesn't expect one to like her. She doesn't care whether one does or not."

"So you adore her–out of perversity? Well, I take greatly after my mother," said Ralph.

"I don't believe you do at all. You wish people to like you, and you try to make them do it."

"Good heavens, how you see through one!" he cried with a dismay that was not altogether jocular.

"But I like you all the same," his cousin went on. "The way to clinch the matter will be to show me the ghost."

Ralph shook his head sadly. "I might show it to you, but you'd never see it. The privilege isn't given to every one; it's not enviable. It has never been seen by a young, happy, innocent person like you. You must have suffered first, have suffered greatly, have gained some miserable knowledge. In that way your eyes are opened to it. I saw it long ago," said Ralph.

"I told you just now I'm very fond of knowledge," Isabel answered.

"Yes, of happy knowledge–of pleasant knowledge. But you haven't suffered, and you're not made to suffer. I hope you'll never see the ghost!"

She had listened to him attentively, with a smile on her lips, but with a certain gravity in her eyes. Charming as he

متجرّئة . بالواقع كان ذلك جزءا من جاذبيتها، وتساءل عما ستقوله تعليقا على كلامه . "أنا لستُ خائفة، كما تعلم." ما اعتبره تجرّؤ بما فيه الكفاية .

"ألا تخافين المعاناة والألم؟"

أضافت قائلة : "نعم، أخاف المعاناة والألم، ولكني لا أخاف الأشباح . وأظن أن الناس يعانون ويتألمون في وقت مُبكّر جدا ."

قال رالف ويداه داخل جيوب سرواله : "لا أصدق أنك أنتِ مُعرّضة لذلك ."

أجابت هي : "لا أظن أن ذلك نقيصة . ليس من الضرورة أن نعاني ونتألم، لم نُخلَق لذلك ."

"قطعاً أنتِ بالذات لم تُخلقي لذلك ."

"لا أتكلم عن نفسي ." وابتعدت عنه قليلا .

قال ابن خالتها : "لا، هذا الأمر ليس نقيصة، فقوة الشكيمة تُعتَبر حَسنة في الإنسان ."

علّقت إيزابيل : "ولكن في حال لم تُعانِ وتتألم، ينعتوك بالقساوة ."

خرجا من غرفة الإستقبال الصغيرة التي دخلاها وهما في صالة العرض، وتوقّفا في الرواق عند أسفل الدرج . قدّم رالف لها هنا شمعدان حجرة النوم تناوله من كوّة في الحائط . "لا تقلقي بشأن ما ينعتونك به، فحين تعانين وتتألمين ينعتونك بالحمقاء . النقطة الأهم هي أن تكوني سعيدة قدر المستطاع ."

نظرت إليه قليلا ؛ كانت قد تناولت منه الشمعدان ووضعت قدمها على دَرجة السلم السندياني . قالت : "حسنا، هذا ما جئت إلى أوروبا من

found her, she had struck him as rather presumptuous-indeed it was a part of her charm; and he wondered what she would say. "I'm not afraid, you know," she said: which seemed quite presumptuous enough.

"You're not afraid of suffering?"

"Yes, I'm afraid of suffering. But I'm not afraid of ghosts. And I think people suffer too easily," she added.

"I don't believe you do," said Ralph, looking at her with his hands in his pockets.

"I don't think that's a fault," she answered. "It's not absolutely necessary to suffer; we were not made for that."

"You were not, certainly."

"I'm not speaking of myself." And she wandered off a little.

"No, it isn't a fault," said her cousin. "It's a merit to be strong."

"Only, if you don't suffer they call you hard," Isabel remarked.

They passed out of the smaller drawing-room, into which they had returned from the gallery, and paused in the hall, at the foot of the staircase. Here Ralph presented his companion with her bedroom candle, which he had taken from a niche. "Never mind what they call you. When you do suffer they call you an idiot. The great point's to be as happy as possible."

She looked at him a little; she had taken her candle and placed her foot on the oaken stair. "Well," she said, "that's

what I came to Europe for, to be as happy as possible. Good-night."

"Good-night! I wish you all success, and shall be very glad to contribute to it!"

She turned away, and he watched her as she slowly ascended. Then, with his hands always in his pockets, he went back to the empty drawing-room.

أجله، لأنعم بالسعادة قدر المستطاع. تُصبح على خير."

"تُصبحين على خير! أتمنى لكِ كل التوفيق، ويُسعدني جدا المساهمة في ذلك!"

استدارت مُبتعدة عنه، وأخذ يراقبها وهي تتسلق درجات السلم بخطوات متمهّلة. ومن ثم استدار عائدا إلى غرفة الإستقبال الخاوية، ويداه أبدا داخل جيوب سرواله.

الفصل السادس

كانت إيزابيل أرتشير فتاة شابة ذات نظريات متعددة، تتميز بمخيّلة نشطة لافتة للنظر. كان قدرها إمتلاك ذهن أكثر رهافة من أغلبية معارفها؛ يتوق لتكوين مدارك حسية أشمل للحقائق المحيطة به وللاهتمام بالتزوّد بالمعرفة المشوبة بالأمور غير المألوفة. صحيح أن معارفها كانوا يعتبرونها امرأة شابة ذات تفكير استثنائي عميق، إذ هؤلاء الأشخاص الرائعون لم يبخلوا بالإعجاب بذهن فشلوا هم ذاتهم بإدراكه، وتحدثوا عن إيزابيل كمعجزة أدبية، إنسانة يقال أنها قرأت مؤلفات الكلاسيكيين ـ المُترجمة ـ أشاعت عمتها السيدة فاريان في إحدى المناسبات أن إيزابيل بصدد تأليف كتاب ـ بالنظر إلى أن السيدة فاريان كانت تُقدّر الكتب تقديرا كبيرا وتجزُم بأن الفتاة ستُصبح شخصية لامعة في عالم المؤلفات. كانت السيدة فاريان تكنّ إحتراما كبيرا للآداب، وتعتبر ذلك من نوع الاحترام المرتبط بشعور الحرمان. فقد كان منزلها الكبير، المميز بتشكيلة متنوعة من الموائد المُزيّنة بالفُسيفيساء والسقوف المُزخرفة، خاليا من أي نوع من المكتبات، ولا يحتوي، من المواد المطبوعة، سوى على دزينة من الروايات الورقية الموضوعة على أحد الرفوف الموجودة في غرفة واحدة من غرف الآنسة فاريان. كانت معرفة السيدة فاريان بالآداب محصورة عمليا بمجلة ذا نيويورك إنتيرفيور، وكما كانت تردد بحق، لا يمكنك بعد قراءتك للإنتيرفيور، إلا أن تشعر بفقدان الثقة بكافة أشكال الثقافات الأخرى. كان غرضها من هذا القول بالأحرى، إبقاء الإنتيرفيور بعيدا عن متناول بناتها، كانت مصممة على تنشئتهن التنشئة الصحيحة، وهكذا لم يتسنّ لهن قراءة أي شيء على الإطلاق. كانت انطباعاتها عن إيزابيل مجرّد توهّمات لا

Chapter Six

Isabel Archer was a young person of many theories; her imagination was remarkably active. It had been her fortune to possess a finer mind than most of the persons among whom her lot was cast; to have a larger perception of surrounding facts and to care for knowledge that was tinged with the unfamiliar. It is true that among her contemporaries she passed for a young woman of extraordinary profundity; for these excellent people never withheld their admiration from a reach of intellect of which they themselves were not conscious, and spoke of Isabel as a prodigy of learning, a creature reported to have read the classic authors–in translations. Her paternal aunt, Mrs. Varian, once spread the rumour that Isabel was writing a book–Mrs. Varian having a reverence for books, and averred that the girl would distinguish herself in print. Mrs. Varian thought highly of literature, for which she entertained that esteem that is connected with a sense of privation. Her own large house, remarkable for its assortment of mosaic tables and decorated ceilings, was unfurnished with a library, and in the way of printed volumes contained nothing but half a dozen novels in paper on a shelf in the apartment of one of the Miss Varians. Practically, Mrs. Varian's acquaintance with literature was confined to The New York Interviewer; as she very justly said, after you had read the Interviewer you had lost all faith in culture. Her tendency, with this, was rather to keep the Interviewer out of the way of her daughters; she was determined to bring them up properly, and they read nothing at all. Her impression with regard to

Isabel's labours was quite illusory; the girl had never attempted to write a book and had no desire for the laurels of authorship. She had no talent for expression and too little of the consciousness of genius; she only had a general idea that people were right when they treated her as if she were rather superior. Whether or no she were superior, people were right in admiring her if they thought her so; for it seemed to her often that her mind moved more quickly than theirs, and this encouraged an impatience that might easily be confounded with superiority. It may be affirmed without delay that Isabel was probably very liable to the sin of self-esteem; she often surveyed with complacency the field of her own nature; she was in the habit of taking for granted, on scanty evidence, that she was right; she treated herself to occasions of homage. Meanwhile her errors and delusions were frequently such as a biographer interested in preserving the dignity of his subject must shrink from specifying. Her thoughts were a tangle of vague outlines which had never been corrected by the judgement of people speaking with authority. In matters of opinion she had had her own way, and it had led her into a thousand ridiculous zigzags. At moments she discovered she was grotesquely wrong, and then she treated herself to a week of passionate humility. After this she held her head higher than ever again; for it was of no use, she had an unquenchable desire to think well of herself. She had a theory that it was only under this provision life was worth living; that one should be one of the best, should be conscious of a fine organization' she couldn't help knowing her organization was finè, should move in a realm of light, of natural wisdom, of happy impulse, of

أساس لها من الصحة، فالفتاة لم تحاول أبدا تأليف كتابا ولم يكن لديها أي رغبة لاكتساب مجد الإبداع والتأليف الأدبي. لم يكن لديها موهبة التعبير ولم تكن تملك سوى النذر القليل من وعي النبوغ؛ كل ما كان لديها فكرة عامة بأن الناس كانوا على صواب في معاملتهم إياها وكأنها إنسانة متفوقة بعض الشيء. سواء كانت متفوقة أم لا، كان الناس مُحقين في إعجابهم بها في حال كانوا يعتبرونها إنسانة متفوقة، إذ كان يبدو لها أن نمط تفكيرها أسرع من نمط تفكيرهم، وهذا ما استحث وجود توق مُتململ ومُتلهّف لديها يمكن بسهولة خلطه وعدم تمييزه عن التفوّق. يمكن الجزم بأن إيزابيل كانت عُرضة للوقوع في خطيئة الغرور؛ فغالبا ما كانت تُلقي، بكثير من الرضا الذاتي، نظرة عامة مُتفحّصة نطاق قواها الباطنية، اعتادت التسليم جدلا، إستنادا لأدلة غير كافية، بصوابية أفكارها، كانت تعتبر نفسها جديرة بالثناء والتقدير. كانت أخطاؤها وأوهامها في غضون ذلك، متكررة الحدوث أشبه باضطرار مؤلّف السِيَر المهُتم بالمحافظة على نُبل موضوعه النفور من التفاصيل. كانت أفكارها كُتلة مُتشابكة من الأشكال المُبهمة التي لم تُصحّح أبدا بأحكام الناس المُمسكين بزمام الأمور. كانت تتصرّف وفق هواها فيما يتعلّق بالأراء والمعتقدات، ما جعلها تنتهي إلى الآلاف من الخطوط المتعرّجة. كانت تكتشف أحيانا أنها أخطأت بشكل مُضحك ومتنافر، ما يدفعها للتصرف على مدى أسبوع بكثير من التواضع؛ ولكن لا تلبث آن ترتد لتشمخ برأسها أكثر من أي وقت مضى؛ إذ لم يكن من فائدة التصرف على هذا النحو، نظرا لوجود تلك الرغبة الجامحة في داخلها للرضى عن نفسها. كان لديها نظرية تقول أن الحياة ليست جديرة بأن تُعاش سوى وفق هذا الشرط، وأن على المرء السعي ليكون الأفضل؛ إدراك وجود نظام مُرهف (لم يكن بوسعها سوى الإقرار أنها تملك مثل هذا

inspiration gracefully chronic. It was almost as unnecessary to cultivate doubt of one's self as to cultivate doubt of one's best friend: one should try to be one's own best friend and to give one's self, in this manner, distinguished company. The girl had a certain nobleness of imagination which rendered her a good many services and played her a great many tricks. She spent half her time in thinking of beauty and bravery and magnanimity; she had a fixed determination to regard the world as a place of brightness, of free expansion, of irresistible action: she held it must be detestable to be afraid or ashamed. She had an infinite hope that she should never do anything wrong. She had resented so strongly, after discovering them, her mere errors of feeling' the discovery always made her tremble as if she had escaped from a trap which might have caught her and smothered her that the chance of inflicting a sensible injury upon another person, presented only as a contingency, caused her at moments to hold her breath. That always struck her as the worst thing that could happen to her. On the whole, reflectively, she was in no uncertainty about the things that were wrong. She had no love of their look, but when she fixed them hard she recognized them. It was wrong to be mean, to be jealous, to be false, to be cruel; she had seen very little of the evil of the world, but she had seen women who lied and who tried to hurt each other. Seeing such things had quickened her high spirit; it seemed indecent not to scorn them. Of course the danger of a high spirit was the danger of inconsistency–the danger of keeping up the flag after the place has surrendered; a sort of behaviour so crooked as to be almost a dishonour to the flag. But Isabel, who knew little of

الإدراك)، متحرّك وسط عالم من النور، من الحكمة الفطرية، من الحوافز السعيدة والإيحاءات المتواصلة الجميلة. كان تشجيع شعور شك المرء بنفسه ومقدرته بالنسبة لها يكاد يتساوى مع تفاهة شك المرء بأعز أصدقائه؛ يتوجّب على المرء أن يكون أعز صديق لنفسه واستطرادا منح نفسه أفضل الرفقة وأكثرها تميُّزا. كان لدى الفتاة ما يكفي من نُبل الخيال ما وفّر لها العديد من الخدمات والأوهام الخادعة. كانت تقضي القسم الأكبر من وقتها وهي تحلم بالجمال والشجاعة والشهامة؛ كان لديها تصميم ثابت لاعتبار العالم مكانا وضّاء بالبهجة والسرور، وبالتمدّد الحرّ والتصرّفات التي لا تُقاوم: كانت تعتبر من المَقيت أن يشعر المرء بالخوف أو بالخجل. كان لديها أمل مطلق بأن لا تضلّ السبيل أو تفشل في أي شيء تقوم به. شعرت بامتعاض شديد، عقب اكتشافها لأخطائها التافهة (كان ذلك الإكتشاف دائما يجعلها ترتجف وكأنها نَجت للتو من مكيدة كادت تقضي عليها وتهزمها) بأن فرصة توجيه الأذى غير المُتعمّد لشخص آخر كان يتسبب أحيانا بأن تحبس أنفاسها. كانت بشكل عام واثقة تماما من الأمور الأخرى التي لا يمكن إلا أن تُعتبر أمورا خاطئة. كانت تكره تلك الأمور الخاطئة وتجابهها بكل ما أوتيت من قوة. فقد كانت على اقتناع تام بأن من الخطأ أن يكون المرء لئيما، أو حسودا، أو مخادعا أو قاسيا. لم تتعرّف على الكثير من شرور العالم، إلا أنها عرفت نساء كاذبات حاولن التسبب بالأذى والضرر لبعضهن البعض. رؤيتها لهذه التصرفات أذكى من جراءتها، شعرت أنه من غير اللائق عدم احتقارهنّ. طبعا كانت خطورة الجرأة تحتوي ضمنا على خطورة التناقض الذاتي. خطورة الإحتفاظ بالراية عقب إستسلام الموقع؛ وهو نوع من التصرّف الملتوي يكاد يُعتبر وكأنه إهانة مُتعمّدة للراية. ولكن إيزابيل غير المُتمرّسة بأصناف الأسلحة التي

the sorts of artillery to which young women are exposed, flattered herself that such contradictions would never be noted in her own conduct. Her life should always be in harmony with the most pleasing impression she should produce; she would be what she appeared, and she would appear what she was. Sometimes she went so far as to wish that she might find herself some day in a difficult position, so that she should have the pleasure of being as heroic as the occasion demanded. Altogether, with her meagre knowledge, her inflated ideals, her confidence at once innocent and dogmatic, her temper at once exacting and indulgent, her mixture of curiosity and fastidiousness, of vivacity and indifference, her desire to look very well and to be if possible even better, her determination to see, to try, to know, her combination of the delicate, desultory, flame-like spirit and the eager and personal creature of conditions: she would be an easy victim of scientific criticism if she were not intended to awaken on the reader's part an impulse more tender and more purely expectant.

It was one of her theories that Isabel Archer was very fortunate in being independent, and that she ought to make some very enlightened use of that state. She never called it the state of solitude, much less of singleness; she thought such descriptions weak, and, besides, her sister Lily constantly urged her to come and abide. She had a friend whose acquaintance she had made shortly before her father's death, who offered so high an example of useful activity that Isabel always thought of her as a model. Henrietta Stackpole had the advantage of an admired ability; she was thoroughly launched in journalism, and

تتعرّض إليها النساء الشابات، أشبعت غرورها بالقول بأن مثل هذه التناقضات لن تُلاحظ في طريقة تصرفاتها وسلوكها. ستكون حياتها متلائمة دائما مع الإنطباعات المُسرّة الصادرة عنها، لن تُناقض صورتها ومظهرها الخارجي وسيكون الأخير انعكاسا حقيقيا لها ولشخصيتها. كانت تؤمن بذلك لدرجة كانت تتمنى أحيانا أن تجد نفسها في مأزق صعب لتُتاح لها متعة التصرف كبطلة وفقا لمتطلّبات ظروف المناسبة. بالإجمال إنَّ معرفتها الضئيلة بالمُثُل الطنّانة، وثقتها البريئة والجازمة في آن معا، وطَبعها المُتطلّب والمُتساهل في آن معا، وشخصيتها التي هي مزيج من الفضول وصعوبة الإرضاء، والحيوية واللامبالاة، وتوقها للظهور بمظهر متفوّق، وتصميمها لرؤية، وتجربة، ومعرفة تآلفها مع الطبيعة النارية، الرقيقة، المتقطّعة، سيجعل منها ضحية سهلة للنقد العلمي إذا لم يكن المُراد منها إيقاظ إحساسٍ، لدى القارئ، بالاندفاع يكون أكثر حنانا وتوقعا.

إحدى نظريات إيزابيل أرتشير كان شعورها بأنها محظوظة جدا بكونها حرّة ومستقلّة الرأي والسلوك، وأنه يجدر بها الإفادة من ذلك الواقع بالتنوّر ثقافيا وروحيا. لم تُطلق أبدا تسمية الوحدة على واقعها ذاك، كما لم تعتبره إطلاقا وضعا فرديا أو وحدانيا؛ فقد كانت تعتبر مثل هذه التسميات والاعتبارات دلالة على الضعف، أضف إلى ذلك أن شقيقتها ليلي كانت تحثّها بشكل متواصل لنبذ تلك الأفكار والالتزام بالتقاليد. كان لديها صديقة تعرّفت إليها قبل فترة قصيرة من وفاة والدها، جسّدت لها نموذجا حيّا من النشاط الفاعل لدرجة أصبحت تعتبرها مثالا لها. كان لدى هنريتا ستاكبول ميزة موهبة جديرة بالإعجاب، فقد كانت صحافية محترفة،

وكانت تقاريرها إلى الانتيرفيور الواردة من واشنطن، ونيوبورت، ووايت ماونتنز يُستشهد بها على نطاق واسع. كانت إيزابيل تذكر تلك التقارير بثقة (عابرة، سريعة الزوال)، إلا أنها كانت تحترم إلى حد كبير جرأة، ومقدرة وودّية الكاتبة اليتيمة الأبوين والأملاك، التي أقدمت على تبنّي ثلاثة من أطفال شقيقتها الأرملة المريضة، وتكفّلت بأقساط تعليمهن من عائدات نتاجها الأدبي. كانت هنريتا تتقدّم بخطى واثقة في مجال عملها متسلّحة بمبادئ وآراء واضحة المعالم فيما يتعلق بمعظم المواضيع؛ وكانت أمنيتها العزيزة على قلبها منذ أمد طويل، المجيء إلى أوروبا وكتابة سلسلة من التحقيقات الصحفية للإنتيرفيور من وجهة نظر متطرّفة راديكالية. وهي مغامرة كانت تعتبرها غاية في السهولة نظرا لمعرفتها المُسبقة بالشكل الذي ستتخذه آراءها وبما لديها من اعتراضات شديدة اللهجة فيما يتعلق بالمؤسسات الأوروبية. رغبت بالمباشرة فورا بتلك المغامرة العزيزة على قلبها، حين علمت بقدوم إيزابيل واعتبرت أنها ستكون فكرة رائعة لو تسنّى لهما فرصة السفر معا؛ لكنها اضطرت لتأجيل تنفيذ ذلك المشروع. كانت مُعجبة جدا بإيزابيل كشخصية فذّة، وقد ذكرتها في بعض تحقيقاتها الصحفية بشكل خفي، علما أنها أخفت هذه الحقيقة عن صديقتها لمعرفتها أن الأخيرة كانت ستشعر بالإمتعاض إزاء ذلك ولأنها لم تكن من قرّاء الإنتيرفيور المداومين. كانت هنريتا بالنسبة لإيزابيل مثالا حيّا عن أن المرأة بامكانها إعالة نفسها بنفسها وأن تكون سعيدة في الوقت ذاته. كانت مواردها بديهية بذاتها، ولكن كما كانت تقول هنريتا حتى لو كان المرء يفتقر إلى الموهبة الصحفية وسجية طبيعية لتكوين الرأي من غير بيّنات كافية، فالناس لن تخسر شيئا نتيجة ذلك؛ وبالتالي يتوجب على المرء عدم الإستنتاج بحتمية عدم إمتلاك المرء شعورا باطنيا يدعوه للقيام بعمل

her letters to the Interviewer, from Washington, Newport, the White Mountains and other places, were universally quoted. Isabel pronounced them with confidence "ephemeral," but she esteemed the courage, energy and good-humour of the writer, who, without parents and without property, had adopted three of the children of an infirm and widowed sister and was paying their school-bills out of the proceeds of her literary labour. Henrietta was in the van of progress and had clear-cut views on most subjects; her cherished desire had long been to come to Europe and write a series of letters to the Interviewer from the radical point of view–an enterprise the less difficult as she knew perfectly in advance what her opinions would be and to how many objections most European institutions lay open. When she heard that Isabel was coming she wished to start at once; thinking, naturally, that it would be delightful the two should travel together. She had been obliged, however, to postpone this enterprise. She thought Isabel a glorious creature, and had spoken of her covertly in some of her letters, though she never mentioned the fact to her friend, who would not have taken pleasure in it and was not a regular student of the Interviewer. Henrietta, for Isabel, was chiefly a proof that a woman might suffice to herself and be happy. Her resources were of the obvious kind; but even if one had not the journalistic talent and a genius for guessing, as Henrietta said, what the public was going to want, one was not therefore to conclude that one had no vocation, no beneficent aptitude of any sort, and resign one's self to being

إجتماعي خاص من أي نوع كان والتسليم بأنه مجرد شخص تافه وفارغ. كانت إيزابيل مصممة بشكل حاسم على عدم الظهور أو التصرف بشكل تافه وفارغ. ما على المرء سوى الانتظار بالشكل الصحيح لتسنح له الفرصة المناسبة للعثور على عمل ملائم ومبهج. طبعا كان لتلك السيدة الشابة مجموعة من النظريات المتعلقة بفكرة الزواج ضمن نظرياتها الثورية. كانت النظرية المتصدرة لقائمة تلك المجموعة إقتناعا راسخا بسوقية التفكير الدائم بفكرة الزواج. إنطلاقا من إنحدارها التدريجي المُتلهّف باتجاه هذه النقطة بالذات، كانت تتضرّع بحرارة للتحرّر منها؛ كانت تعتبر أن المرأة يجب أن تعيش لنفسها بغياب شخص من الجنس الآخر غير مصقول الذهن. استُجيبت تضرّعات وصلوات الفتاة بشكل وافٍ تماما، ظهر بداخلها شعور صافي وأبيّ. شعور كان سيعتبره طالب يد المرأة غير المُقدّر لذلك الشيء حقّ قدره شعورا جافا لا مباليا. صانها حتى الآن من أي حدس مغرور فيما يتعلق بموضوع الرجال الذين من المُحتمل أن يكون أحدهم زوجا لها. كان هناك قلّة من الرجال الذي تعرّفت إليهم الذين بدوا جديرين بتضحية هدّامة، ما جعلها تبتسم إزاء فكرة أن أحدهم قد يُقدّم نفسه كحافز للأمل وكمكافأة للصبر. كانت تؤمن في أعماق أعماقها أنه في حال بزغَ أمامها في يوم من الأيام نور مُعيّن يمكنها منحه نفسها وكيانها بشكل كُلّي؛ إلا أن تلك الصورة بشكل عام كانت بالنسبة لها مرعبة لدرجة غطّت على مُطلق إمكانية إعتبارها فكرة فاتنة وجذّابة. كانت أفكار إيزابيل تحوم حول تلك الفكرة، إلا أنها نادرا ما كانت ترتاح إليها لفترة طويلة، فسرعان ما كانت تبتعد عنها برعب قاتل. غالبا ما كان يبدو لها أنها تفكّر كثيرا بنفسها؛ كان بإمكانك إحراجها والتسبب بخجلها الشديد في أي لحظة إذا ما دعوتها بالإنسانة الأنانية المغرورة. كانت دائما تُخطط لنموّها

frivolous and hollow. Isabel was stoutly determined not to be hollow. If one should wait with the right patience one would find some happy work to one's hand. Of course, among her theories, this young lady was not without a collection of views on the subject of marriage. The first on the list was a conviction of the vulgarity of thinking too much of it. From lapsing into eagerness on this point she earnestly prayed she might be delivered; she held that a woman ought to be able to live to herself, in the absence of exceptional flimsiness, and that it was perfectly possible to be happy without the society of a more or less coarse-minded person of another sex. The girl's prayer was very sufficiently answered; something pure and proud that there was in her–something cold and dry an unappreciated suitor with a taste for analysis might have called it–had hitherto kept her from any great vanity of conjecture on the article of possible husbands. Few of the men she saw seemed worth a ruinous expenditure, and it made her smile to think that one of them should present himself as an incentive to hope and a reward of patience. Deep in her soul–it was the deepest thing there–lay a belief that if a certain light should dawn she could give herself completely; but this image, on the whole, was too formidable to be attractive. Isabel's thoughts hovered about it, but they seldom rested on it long; after a little it ended in alarms. It often seemed to her that she thought too much about herself; you could have made her colour, any day in the year, by calling her a rank egoist. She was always planning out her development,

desiring her perfection, observing her progress. Her nature had, in her conceit, a certain garden-like quality, a suggestion of perfume and murmuring boughs, of shady bowers and lengthening vistas, which made her feel that introspection was, after all, an exercise in the open air, and that a visit to the recesses of one's spirit was harmless when one returned from it with a lapful of roses. But she was often reminded that there were other gardens in the world than those of her remarkable soul, and that there were moreover a great many places which were not gardens at all-only dusky pestiferous tracts, planted thick with ugliness and misery. In the current of that repaid episode on curiosity on which she had lately been floating, which had conveyed her to this beautiful old England and might carry her much further still, she often checked herself with the thought of the thousands of people who were less happy than herself–a thought which for the moment made her fine, full consciousness appear a kind of immodesty. What should one do with the misery of the world in a scheme of the agreeable for one's self? It must be confessed that this question never held her long. She was too young, too impatient to live, too unacquainted with pain. She always returned to her theory that a young woman whom after all every one thought clever should begin by getting a general impression of life. This impression was necessary to prevent mistakes, and after it should be secured she might make the unfortunate condition of others a subject of special attention.

وتطورها، راغبة بالتميّز ومراقبة تقدّمها بشكل متواصل. كانت طبيعتها المُتّسمة بغرور واهم، أشبه ما تكون مُزينة بالجنائن، بلمسات رقيقة من الشذا والأغصان الهامسة، من التعريشات الظليلة، من الصور الذهنية المُطوَّلة، ما جعلها تشعر أن تفحّص المرء لأفكاره ودوافعه ومشاعره ما هو سوى رياضة ذهنية في الهواء الطلق، وأن تفقّد المرء وارتداده لجوهره وكيانه لا ضرر منه إذا ما عاد من تلك التجربة بمجموعة من الورود. ولكنها غالبا ما كانت تتذكّر وجود جنائن أخرى في العالم غير تلك الخاصة بكيانها المُتميّز، وأن هناك فضلاً عن ذلك أماكن عديدة أخرى أبعد ما تكون عن الجنائن الغنّاء. مجرّد أراضٍ قاتمة موبؤة مزروعة بكثير من القبح والشقاء. في خضمّ ذلك التيّار من الفضول المَروي الذي كانت تعوم فوقه في الآونة الأخيرة، والذي حمل إليها بريطانيا القديمة بكل روعتها والذي يمكن أن يحمل إليها المزيد في الأيام القادمة، كانت غالبا ما تلجم نفسها بالتفكير بآلاف الأشخاص الأقل سعادة منها ـ وهو تفكير جعل من شعورها الجميل الممتلئ يبدو للحظة نوعا من الشعور المُدّعي. ماذا يمكن للمرء العمل حيال شقاء العالم ضمن مُخطط مُتكافئ مع سعادة المرء وارتياحه مع نفسه؟ لا بد من الإقرار أن ذلك السؤال نادرا ما كان يُقلق ذهنها لفترة طويلة. كانت مجرّد فتاة شابة لم تذق طويلا مرارة المعاناة والألم، متلهّفة للإنطلاق في الحياة. كانت تعود دائما لنظريتها القائلة بأن واجب المرأة الشابة التي يعتبرها الجميع إنسانة متميّزة ومتفوقة، يُحتّم عليها البدء والانطلاق لتكوين فكرة عامة عن الحياة. كان تكوين مثل تلك الفكرة العامة أمرا ضروريا للحؤول دون ارتكاب الأخطاء، وأنه بعدما تنتهي من هذه المهمة يمكنها التفرّغ لمعالجة موضوع الأوضاع البائسة التي يتخبّط بها الآخرون.

كانت إنجلترا بالنسبة لها مكانا مثيرا للدهشة، وجدت نفسها تتلهى وتبتهج أشبه بطفل يشاهد تمثيلية إيمائية. فخلال سفراتها الطفولية إلى أوروبا لم تشاهد سوى البرّ الأصلي من تلك القارة، وحصل ذلك من خلال نافذة الحضانة، فباريس وليس لندن كانت محجّة والدها، وغني عن القول أن الكثير من إهتمامات الوالد وعناصر التشويق والإثارة بالنسبة له في تلك المدينة كانت بطبيعة الحال محظورة على أطفاله. بالإضافة إلى هذا، فان صور وذكريات تلك الفترة كانت قد بَهُتَت، وهكذا اكتسبت الآن معالم العالم القديم التي بدت أمامها مزايا وسحر الأماكن الغريبة المجهولة. بدا لها منزل عمها أشبه بصورة تحوّلت إلى واقع ملموس، ولم يفتها إستغاسة أي من خصائص رهافة الذوق السليم المنتشر في زوايا المنزل؛ كشف لها نموذج إتقان الثراء إلى حد الكمال المُتجسّد في غاردينكورت عن عالم رائع وفي الوقت ذاته أشبع لها حاجة. الغرف الواسعة الخفيضة بسقوفها البُنّيّة وزواياها الداكنة، والفُتحات العميقة، والنوافذ البابية اللافتة للنظر بغرابتها، والنور الهادئ المُنسَدل على الألواح الخشبية الصقيلة، والإخضرار الداكن في الخارج والذي يبدو دائما وكأنه يتسلّل للداخل، والإحساس بالعزلة المُتقنة وسط "الأملاك" ـ مكان حيث الأصوات عَرضية بشكل لَبِق وحيث الأرضية ذاتها تخمد الخطوات وتتراجع كافة أنواع الإحتكاكات وسط هذا الجو اللطيف وتختفي من الأحاديث المتنوعة كافة أشكال الصياح والنبرات العالية. كانت جميع هذه الصفات متلائمة تماما مع رهافة ذوق سيدتنا المؤثر بشكل مباشر على عواطفها وأحاسيسها. كوّنت خلال فترة قصيرة صداقة متينة مع عمها، وغالبا ما كانت تجلس بالقرب من كرسيه حين يكون جالسا في الخارج وسط المخضرة. كان يقضي ساعات في الهواء الطلق ويداه مطويتان بسكون مطلق أشبه بإله

England was a revelation to her, and she found herself as diverted as a child at a pantomime. In her infantine excursions to Europe she had seen only the Continent, and seen it from the nursery window; Paris, not London, was her father's Mecca, and into many of his interests there his children had naturally not entered. The images of that time moreover had grown faint and remote, and the old-world quality in everything that she now saw had all the charm of strangeness. Her uncle's house seemed a picture made real; no refinement of the agreeable was lost upon Isabel; the rich perfection of Gardencourt at once revealed a world and gratified a need. The large, low rooms, with brown ceilings and dusky corners, the deep embrasures and curious casements, the quiet light on dark, polished panels, the deep greenness outside, that seemed always peeping in, the sense of well-ordered privacy in the centre of a "property"–a place where sounds were felicitously accidental, where the tread was muffled by the earth itself and in the thick mild air all friction dropped out of contact and all shrillness out of talk- these things were much to the taste of our young lady, whose taste played a considerable part in her emotions. She formed a fast friendship with her uncle, and often sat by his chair when he had had it moved out to the lawn. He passed hours in the open air, sitting with folded hands like a placid, homely household god, a god of service, who had done his work and received his wages and was trying to grow used to weeks and months made up only of off-days. Isabel amused him more than she suspected–the

منزلي مألوف، إله خدمات أنجز كل ما هو مطلوب منه على أكمل وجه وحصل على كامل أجره، وهو يحاول الآن الاعتياد على أسابيع وشهور من الأيام الخالية تماما من واجبات العمل. كانت إيزابيل تُسلّيه وتروّح عن نفسه أكثر بكثير مما كانت تظن. كان تأثيرها على الآخرين مختلف تماما عما كانت تظنه. وغالبا ما كان يسعد بدفعها للحديث والثرثرة المتواصلة. كان ذلك التعبير ما حدّد وزوّد أحاديثها بأهلية مميزة تتسم بها بنات جنسها من سكان بلدها، فآذان العالم تُصغي إليهن بشكل مباشر أكثر مما تفعل بالنسبة لشقيقاتها في البلدان الأخرى. كانت إيزابيل كما الأغلبية المطلقة من الفتيات الأمريكيات معتادة التعبير عن أفكارها بطلاقة وحرية كاملتين، وجعل الآخرين يُصغون إليها؛ كما نشأت على توقّع الآخرين منها أن يكون لديها آراء وعواطف خاصة بها. غني عن القول أن الكثير من عواطفها وآرائها لم تكن تتسم سوى بقدر ضئيل من الأهمية والعديد من عواطفها مرّت مرور الكرام في دفق أحاديثها، إلا أنها تركت أثرا لديها بدفعها للتفكير والإحساس، وإن كان ذلك شكلا ظاهريا فحسب، وجعل كلامها يتّسم بالحيوية والنشاط لدى مناقشتها أحد المواضيع القريبة على قلبها، ما جعلها في كثير من الأحيان تبدو إنسانة متعجرفة ومتعالية. كان السيد توشيت يظن أنها تذكّره بزوجته حين كانت الأخيرة في سنوات مراهقتها. كان ذلك بسبب كونها طَلقة وطبيعية وسريعة البديهة. وهي الخصال التي دفعته للوقوع بحب السيدة توشيت. كان الرجل العجوز يشعر بعطف كبير تجاهها، لقد مرّت فترة طويلة من الزمن، كما كان يقول، منذ شَهِدَ المكان روحا فتيّة نابضة بالحياة، وكانت بطلتنا السريعة الخطوات الطبيعية التصرّف مصدر بهجة لمشاعره أشبه بعذوبة المياه المتدفّقة. كان يرغب بالقيام بعمل ما من أجلها ويتوق لتطلب منه ذلك، إلا أنها لم تطلب شيئا سوى طرح

effect she produced upon people was often different from what she supposed–and he frequently gave himself the pleasure of making her chatter. It was by this term that he qualified her conversation, which had much of the "point" observable in that of the young ladies of her country, to whom the ear of the world is more directly presented than to their sisters in other lands. Like the mass of American girls Isabel had been encouraged to express herself; her remarks had been attended to; she had been expected to have emotions and opinions. Many of her opinions had doubtless but a slender value, many of her emotions passed away in the utterance; but they had left a trace in giving her the habit of seeming at least to feel and think, and in imparting moreover to her words when she was really moved that prompt vividness which so many people had regarded as a sign of superiority. Mr. Touchett used to think that she reminded him of his wife when his wife was in her teens. It was because she was fresh and natural and quick to understand, to speak–so many characteristics of her niece–that he had fallen in love with Mrs. Touchett. He never expressed this analogy to the girl herself, however; for if Mrs. Touchett had once been like Isabel, Isabel was not at all like Mrs. Touchett. The old man was full of kindness for her; it was a long time, as he said, since they had had any young life in the house; and our rustling, quickly-moving, clear-voiced heroine was as agreeable to his sense as the sound of flowing water. He wanted to do something for her and wished she would ask it of him. She would ask nothing

سيل من الأسئلة عليه. كان لدى عمها فيض من الأجوبة لأسئلتها التي لا تنتهي، علما أن إلحاحها للمعرفة كان أحيانا يُثير في نفسه بعض الحيرة والارتباك. إستفهمت منه بشكل مُسهب عن الوضع القائم في إنجلترا، والدستور البريطاني، والصفات الإنجليزية المميّزة، والأوضاع السياسية، وسلوك وعادات الأسرة الملكية، وخصائص الطبقة الأرستقراطية، وأسلوب حياة وتفكير جيرانه؛ ورغبة منها في فهم وإستيعاب كل هذا، كانت تسأله عادة عما إذا كانت تلك المعلومات تتطابق مع المعلومات الواردة في الكتب. كان الرجل المسنّ ينظر إليها لوهلة بابتسامته الهادئة وهو يُمسّد الشال المُمَدّد حول قدميه.

"الكتب؟ بالواقع لا أعرف الكثير عن الكتب. يجب أن تطرحي سؤالك هذا على رالف. لطالما تحققت من كافة المسائل من خلال التجربة والإختبار. لقد حصلت على كافة معلوماتي باعتماد الأسلوب الفطري، حتى أنني لم أطرح الكثير من الأسئلة بل فضّلت التزام الصمت وتدوين الملاحظات. طبعا أتيح لي العديد من الفرص الجيدة، أفضل بكثير مما يُتاح بطبيعة الحال لفتاة شابة. إنني فضولي بطبيعتي، وبالرغم من أنكِ لن تشكّي بذلك وأنت تراقبينني؛ فمهما تعمّقتِ بمراقبتي أكون قد سبق لي مراقبتكِ بشكل أعمق. مضى عليّ ما يفوق الخمسة وثلاثين عاما وأنا أراقب الناس، ولا أتردد بالقول أنني إكتسبت كمّا هائلا من المعلومات نتيجة ذلك. إنها بلاد رائعة بشكل عام. بالواقع أروع مما نُقرّ به في المقلب الآخر من الأرض. هناك العديد من الإصلاحات التي أتمنى أن تُنفّذ، ولكن يبدو أن الحكومة لم تشعر بعد بضرورة تنفيذها. فحين يشعر الناس بضرورة تنفيذ أمر ما، غالبا ما يجري إنجازه وتنفيذه بطريقة أو بأخرى.

but questions; it is true that of these she asked a quantity. Her uncle had a great fund of answers, though her pressure sometimes came in forms that puzzled him. She questioned him immensely about England, about the British constitution, the English character, the state of politics, the manners and customs of the royal family, the peculiarities of the aristocracy, the way of living and thinking of his neighbours; and in begging to be enlightened on these points she usually enquired whether they corresponded with the descriptions in the books. The old man always looked at her a little with his fine dry smile while he smoothed down the shawl spread across his legs.

"The books?" he once said; "well, I don't know much about the books. You must ask Ralph about that. I've always ascertained for myself–got my information in the natural form. I never asked many questions even; I just kept quiet and took notice. Of course I've had very good opportunities–better than what a young lady would naturally have. I'm of an inquisitive disposition, though you mightn't think it if you were to watch me: however much you might watch me I should be watching you more. I've been watching these people for upwards of thirty-five years, and I don't hesitate to say that I've acquired considerable information. It's a very fine country on the whole–finer perhaps than what we give it credit for on the other side. There are several improvements I should like to see introduced; but the necessity of them doesn't seem to be generally felt as yet. When the necessity of a thing is,

ولكن يبدو أنهم ليسوا في عجلة من أمرهم، بل يفضّلون التريّث والإنتظار بعض الوقت. لا شك أنني لا أشعر بالغربة وأنا في وسطهم كما خِلتُ أن أفعل حين وطأت هذه الأرض، ربما يعود السّببُ في ذلك إلى النجاح الكبير الذي حققته. فحين تحققين النجاح في مكان ما لا تشعرين بالغربة وأنتِ فيه.» قال لها ذات مرّة.

«هل تعتقد أنني لن أشعر بالغربة إذا ما تيسّر لي تحقيق النجاح؟» سألت إيزابيل.

«أعتقد أن هذا الأمر محتمل جدا، ولا شك أنكِ ستحققين النجاح. إنهم هنا مُعجبون جدا بالشابات الأمريكيات ويعاملونهن بلطف كبير. ولكن كما تعلمين يجب ألّا تتصرّفي كليا وكأنك في موطنك.»

قالت إيزابيل مازحة: «أوه، لا أشعر إطلاقا بقدرة هذه البلاد على إرواء غليلي، فبالرغم من إعجابي الشديد بها لدي الكثير من التحفّظ إزاء شعبها.»

«السكان هنا أناس طيبون جدا، خاصة إذا أعجِبتِ بهم.»

أضافت إيزابيل قائلة: «لا شكّ في ذلك على الإطلاق، ولكن هل هم لطفاء في المجتمع؟ قطعا لن يُقدموا على سرقتي أو ضربي، ولكن هل سيتصرفون تجاهي بشكل منسجم مع طبيعتي؟ هذا ما أرغب من الناس أن يفعلوه. لا أتردّد البتة بالبوح بذلك، لأنني أقدّر ذلك الأمر حقّ قدره. لا أعتقد أنهم يتصرفون بلطف مع الفتيات، فهم لا يفعلون ذلك في القصص الروائية.»

«لا أعرف شيئا عن القصص الروائية، علما أنني أقرّ بمقدرتها الكبيرة التأثير على مشاعر الناس ولكني لا أعتبرها دقيقة فيما ترويه. إستضفنا ذات يوم في هذا المنزل إحدى الروائيات وقد كانت زميلة لرالف. بالرغم من أنها كانت تتميّز بكثير من الإيجابية والإلمام بمجريات الأمور، إلا أنها لم

generally felt they usually manage to accomplish it; but they seem to feel pretty comfortable about waiting till then. I certainly feel more at home among them than I expected to when I first came over; I suppose it's because I've had a considerable degree of success. When you're successful you naturally feel more at home."

"Do you suppose that if I'm successful I shall feel at home?" Isabel asked.

"I should think it very probable, and you certainly will be successful. They like American young ladies very much over here; they show them a great deal of kindness. But you mustn't feel too much at home, you know."

"Oh, I'm by no means sure it will satisfy me," Isabel judicially emphasized. "I like the place very much, but I'm not sure I shall like the people."

"The people are very good people; especially if you like them."

"I've no doubt they're good," Isabel rejoined; "but are they pleasant in society? They won't rob me nor beat me; but will they make themselves agreeable to me? That's what I like people to do. I don't hesitate to say so, because I always appreciate it. I don't believe they're very nice to girls; they're not nice to them in the novels."

"I don't know about the novels," said Mr. Touchett. "I believe the novels have a great deal of ability, but I don't suppose they're very accurate. We once had a lady who wrote novels staying here; she was a friend of Ralph's and he asked her down. She was very positive, quite up to everything; but

تكن من الأشخاص الذين يمكنك الإعتماد عليها كبيّنة واقعية. كان لديها الكثير من الخيال الواهم - هذا ما أظنه. أصدرت لاحقا رواية خيالية أوحت من خلالها بأنها قدّمت تصوّرا - يمكنك القول بقالب كاريكاتوري. عن شخصيتي غير الجديرة بكل هذا الإهتمام. لم أقرأ الرواية ولكن رالف ناولني ذلك الكتاب مُحددا ذلك المقطع منه. كان من المُفترض أن يُفهم منه أنه وصف دقيق لأسلوبي في الحديث، وخصوصياتي الأمريكية الطابع، ولهجتي الأنفية المُميزة وإنطباعاتي الأمريكية الصرفة. بالواقع لم يكن وصفها دقيقا البتة نظرا لعدم إصغائها إليّ بالشكل الصحيح. طبعا أتكلم كأمريكي. لا يمكنني التكلّم كرجل من هاتينتوت، ولكن مهما كانت لهجتي فقد تمكّنت في هذه البلاد من جعل سكانها يصغون إليّ ويفهمونني تماما. ولكنني لا أتحدث مثل ذلك الرجل المُسنّ في رواية تلك السيدة. لم يكن أمريكيا مطلقا، وما كنا قبلنا به بمطلق الأحوال. أذكر هذه الوقائع لمجرّد لفت انتباهك بأن القصص الروائية ليست دقيقة دائما في المعلومات التي تنشرها. طبعا، نظرا لأنني لم أرزق ببنات ولكون السيدة توشيت تقطن في فلورنسا، لم تسنح لي الفرصة لمراقبة وتفهّم نمط سلوك الفتيات الشابات. يبدو لي أحيانا وكأن الفتيات الشابات في الطبقات ما دون الوسطى لم يُلاقين معاملة حسنة، وأظن أن وضع شقيقاتهن المُنتسبات للطبقات الثرية وحتى الوسطى أفضل حالا.»

صاحت إيزابيل: «يا إلهي، كم طبقة إجتماعية لديهم هنا؟ حوالي الخمس، أليس كذلك؟»

«بالواقع لستُ متأكدا ما إذا سبق لي تعداد تلك الطبقات، إذ لم أكترث كثيرا لواقع الطبقات الاجتماعية هنا. إن إحدى حسنات كوني أمريكيا في هذه البلاد، هو عدم انتمائي لطبقة اجتماعية محددة.»

she was not the sort of person you could depend on for evidence. Too free a fancy - I suppose that was it. She afterwards published a work of fiction in which she was understood to have given a representation–something in the nature of a caricature, as you might say–of my unworthy self. I didn't read it, but Ralph just handed me the book with the principal passages marked. It was understood to be a description of my conversation; American peculiarities, nasal twang, Yankee notions, stars and stripes. Well, it was not at all accurate; she couldn't have listened very attentively. I had no objection to her giving a report of my conversation, if she liked; but I didn't like the idea that she hadn't taken the trouble to listen to it. Of course I talk like an American - I can't talk like a Hottentot. However I talk, I've made them understand me pretty well over here. But I don't talk like the old gentleman in that lady's novel. He wasn't an American; we wouldn't have him over there at any price. I just mention that fact to show you that they're not always accurate. Of course, as I've no daughters, and as Mrs. Touchett resides in Florence, I haven't had much chance to notice about the young ladies. It sometimes appears as if the young women in the lower class were not very well treated; but I guess their position is better in the upper and even to some extent in the middle."

"Gracious," Isabel exclaimed; "how many classes have they? About fifty, I suppose."

"Well, I don't know that I ever counted them. I never took much notice of the classes. That's the advantage of being an American here; you don't belong to any class."

"آمل ذلك، تخيّل المرء منتميا لإحدى الطبقات الإجتماعية الإنجليزية!"

"بالواقع قد يكون بعضها مُريحا جدا. خاصة في المراكز العليا منها. ولكن بالنسبة لي لا يوجد سوى طبقتين اجتماعتين لا ثالث لهما: الطبقة من الناس التي أثق بها وتلك التي لا أثق بها، وأنتِ يا عزيزتي إيزابيل تنتمين للطبقة الأولى."

"إنني شاكرة لطفك الكريم." أجابت الفتاة بسرعة. كان أسلوب تقبّلها للإطراء يبدو أحيانا جافا بعض الشيء، وكانت تعمد للفرار بأسرع ما يمكن من كلمات الإطراء. ولكن أدّى تصرفها هذا إلى تكوين الناس رأي خاطئ عنها ونعتها بالإنسانة غير المصقولة المفتقرة للرقّة؛ بينما في الحقيقة كانت غير راغبة بإظهار مدى بهجتها إزاء كلمات الإطراء التي تسمعها.

أضافت قائلة: "أعتقد أن الشعب الإنجليزي شديد التمسّك بالعُرف بقواعد السلوك المقررة."

قال السيد توشيت: "نظّموا مُسبقا كل ما يتعلّق بأصول التصرف الصحيح بشكل ثابت وراسخ. لم يتركوا شيئا للظروف أو الربع ساعة الأخيرة."

قالت الفتاة: "لا أحب أن يكون كل شيء مُقررا بشكل مُسبق، بل أميل لغير المتوقع من الأحداث."

بدا عمها مُعجبا بتفضيلها الصريح ذاك. أضاف: "حسنا، لقد تَقرّر مُسبقا أنكِ ستُلاقين نجاحا كبيرا، أظن أنكِ تحبين ذلك."

"لن أحظى بالنجاح إذا ما كانت الأمور تتسم بالأعراف والتقاليد المملّة. إنني أبعد ما أكون عن الإنسانة التقليدية، وهذا واقع لن ينال إعجابهم."

"I hope so," said Isabel. "Imagine one's belonging to an English class!"

"Well, I guess some of them are pretty comfortable–especially towards the top. But for me there are only two classes: the people I trust and the people I don't. Of those two, my dear Isabel, you belong to the first."

"I'm much obliged to you," said the girl quickly. Her way of taking compliments seemed sometimes rather dry; she got rid of them as rapidly as possible. But as regards this she was sometimes misjudged, she was thought insensible to them, whereas in fact she was simply unwilling to show how infinitely they pleased her. To show that was to show too much. "I'm sure the English are very conventional," she added.

"They've got everything pretty well fixed," Mr. Touchett admitted. "It's all settled beforehand–they don't leave it to the last moment."

"I don't like to have everything settled beforehand," said the girl. "I like more unexpectedness."

Her uncle seemed amused at her distinctness of preference. "Well, it's settled beforehand that you'll have great success," he rejoined. "I suppose you'll like that."

"I shall not have success if they're too stupidly conventional. I'm not in the least stupidly conventional. I'm just the contrary. That's what they won't like."

قال الرجل المسنّ: "لا، لا أنتِ مخطئة تماما في هذا. لا يمكنك التأكّد مما سينال إعجابهم، فهم قوم متقلّبوا المزاج بشكل كبير وهنا مكمن جاذبيتهم."

قالت إيزابيل وهي تنهض من مكانها وتقف أمام عمها ويداها حول زنّار فستانها الأسود وعيناها تسرحان في أفق المخضرة البعيد: "حسنا، هذا أمر يلائمني تماما."

"No, no, you're all wrong," said the old man. "You can't tell what they'll like. They're very inconsistent; that's their principal interest."

"Ah well," said Isabel, standing before her uncle with her hands clasped about the belt of her black dress and looking up and down the lawn--"that will suit me perfectly!"

Chapter Seven

The two amused themselves, time and again, with talking of the attitude of the British public as if the young lady had been in a position to appeal to it; but in fact the British public remained for the present profoundly indifferent to Miss Isabel Archer, whose fortune had dropped her, as her cousin said, into the dullest house in England. Her gouty uncle received very little company, and Mrs. Touchett, not having cultivated relations with her husband's neighbours, was not warranted in expecting visits from them. She had, however, a peculiar taste; she liked to receive cards. For what is usually called social intercourse she had very little relish; but nothing pleased her more than to find her hall-table whitened with oblong morsels of symbolic pasteboard. She flattered herself that she was a very just woman, and had mastered the sovereign truth that nothing in this world is got for nothing. She had played no social part as mistress of Gardencourt, and it was not to be supposed that, in the surrounding country, a minute account should be kept of her comings and goings. But it is by no means certain that she did not feel it to be wrong that so little notice was taken of them and that her failure really very gratuitous to make herself important in the neighbourhood had, not much to do with the acrimony of her allusions to her husband's adopted country. Isabel presently found herself in the singular situation of defending the British constitution against her aunt; Mrs. Touchett having formed the habit of sticking pins into this venerable instrument. Isabel always felt an impulse to pull out the pins; not that she imagined they

الفصل السابع

تكررت أحاديث هذين الشخصين حول المواقف المتنوعة في المجتمع البريطاني وكأن الفتاة الشابة كانت مثار إعجاب ذلك المجتمع، ولكن بالواقع بقي ذلك المجتمع في الوقت الحاضر غير مكترث لوجود الآنسة إيزابيل آرتشير، التي ساقتها أقدارها للسكن كما قال إبن عمها، في أكثر المنازل مللا في إنجلترا. أضف إلى ذلك أن السيدة توشيت لم تنمّي علاقات وديّة مع جيران زوجها، وبالتالي لم يكن من مُبرّر لها توقّع زيارتهم لها. ولكن من ناحية ثانية كان لديها ذوق غريب: فقد كانت مولعة باستلام البطاقات الإجتماعية، لم تكترث كثيرا بما يُسمّى بالعلاقات الإجتماعية، ولكن لم يكن هناك شيء يبعث السرور في نفسها أكثر من رؤية منضدة الرواق مليئة بالبطاقات البيضاء المستطيلة الشكل. أشبعت غرورها بالقول أنها امرأة منصفة جدا وقد أتقنت فهم الحقيقة الأسمى القائلة بأن كل شيء في هذا العالم له ثمن وما من شيء يأتي مجانا للإنسان. لم تمارس دورا إجتماعيا بوصفها سيدة غاردينكورت، ولم يكن من المفترض التوقّع من معارفها في الريف البريطاني، الاطلاع بشكل مفصّل على برنامج مجيئها ومغادرتها ذلك المكان. ولكن على أية حال من غير ريب لم تشعر أن تصرّفها وعدم إكتراثها الكبير بجيرانها هو تصرّف خاطئ وأن تقصيرها (غير المُبرّر بالواقع على الإطلاق) لجعل نفسها شخصية هامة في منطقتها نابع من موقفها القاسي واللاذع فيما يتعلق بوطنها الثاني. وجدت إيزابيل نفسها في موقف فريد من نوعه وهو الدفاع عن الدستور البريطاني في وجه الإنتقادات اللاذعة التي كانت خالتها السيدة توشيت توجهها لهذه المؤسسة المبجّلة. كانت إيزابيل تشعر دائما بضرورة لجم تلك الانتقادات، ليس بسبب اعتقادها أن تلك الانتقادات ستتسبب

بضرر كبير لتلك المؤسسة بل لأنه بدا لها أنه يمكن لخالتها توجيه انتقاداتها لمسائل عديدة أخرى حيث سيكون لتلك الإنتقادات تأثير أكبر. كانت هي نفسها انتقادية بطبعها، وهو وضع غير متوقّع من فتاة أمريكية في مثل سنها وجنسيتها؛ إلا أنها كانت عاطفية في الوقت ذاته. وكان هناك شيء في قسوة السيدة توشيت ما أطلق العنان لينبوع مناقبيتها.

قالت لخالتها ذات يوم: "والآن ما وجهة نظرك بالتحديد؟ فحين تنتقدين كل شيء يجب أن يكون لديك وجهة نظر محددة. يبدو لي أن وجهة نظرك ليست أمريكية الطابع. فأنت تعتقدين أن الأوضاع في أمريكا سيئة جدا. فحين أنتقد وضعا ما يكون ذلك نابع من وجهة نظري الأمريكية."

قالت السيدة توشيت: "يا سيدتي العزيزة الشابة، هناك وجهات نظرمتعددة ومتنوعة بتعدد وتنوّع سكان الأرض الذين لديهم ما يكفي من المنطق لتبنّيها. قد تقولين أن عدد أولئك الناس محدود جدا! هل هي وجهة نظر أمريكية؟ إطلاقا. فتلك محدودة بشكل مرعب. وجهة نظري والحمد لله هي شخصية بحتة."

اعتبرت إيزابيل أن هذا جواب أفضل مما توقّعت سماعه أو رغبت الإقرار به، فقد كان تصويرا مقبولا لأسلوب تقييمها للأمور، ولكنه ما كان سيكون مقبولا في حال صدر عنها. فمثل هذا التصوّر كان سيُصبغ بصبغة الوقاحة وحتى الغطرسة لو صدر عن شخص خلافا للسيدة توشيت، شخص في مقتبل العمر وغير متنوّر بخبرة السنوات. ولكن بالرغم من ذلك خاطرت بالإفصاح عن تصوّرها هذا خلال أحاديثها مع رالف، التي اتسمت بكثير من حرية التعبير. اعتاد ابن عمها إعتماد أسلوب المزاح معها، وسرعان ما رسّخ لديها شُهرة التعاطي مع كافة الأمور بأسلوب هزلي ساخر، ولم يكن من نوع الرجال الذين لا يُقدّرون حسنات ومزايا مثل

inflicted any damage on the tough old parchment, but because it seemed to her aunt might make better use of her sharpness. She was very critical herself- it was incidental to her age, her sex and her nationality; but she was very sentimental as well, and there was something in Mrs. Touchett's dryness that set her own moral fountains flowing.

"Now what's your point of view?" she asked of her aunt. "When you criticize everything here you should have a point of view. Yours doesn't seem to be American–you thought everything over there so disagreeable. When I criticize I have mine; it's thoroughly American!"

"My dear young lady," said Mrs. Touchett, "there are as many points of view in the world as there are people of sense to take them. You may say that doesn't make them very numerous! American? Never in the world; that's shockingly narrow. My point of view, thank God, is personal!"

Isabel thought this a better answer than she admitted; it was a tolerable description of her own manner of judging, but it would not have sounded well for her to say so. On the lips of a person less advanced in life and less enlightened by experience than Mrs. Touchett such a declaration would savour of immodesty, even of arrogance. She risked it nevertheless in talking with Ralph, with whom she talked a great deal and with whom her conversation was of a sort that gave a large license to extravagance. Her cousin used, as the phrase is, to chaff her; he very soon established with her a reputation for treating everything as a joke, and he was not a man to neglect the privileges such a reputation conferred. She

هكذا شُهرة. اتهمته بافتقاره للجدّية بشكل بغيض، وبالسخرية من كل شيء بدءا بنفسه. ركّز كل ما لديه من إستعداد طبيعي هشّ للجدية والمهابة على والده؛ وفيما عدا ذلك مارس سخريته بلامبالاة على ابن والده، ذلك السيد العليل الرئتين، وحياته العقيمة، ووالدته الرائعة، وأصدقائه (اللورد وربيرتن بشكل خاص)، ووطنه الأم ووطنه الثاني وإبنة خالته الفاتنة. "أحتفظ بفرقة موسيقية في الحجرة الجانبية المؤدية لغرفتي، لديها تعليمات بالعزف المتواصل لتوفير خدمتين ممتازتين. الحؤول دون وصول أصوات العالم إلى الغُرف الداخلية وجعل العالم يظن أن الرقص قائم على قدم وساق في هذه الدار." قال لها ذات يوم. كان يتناهى إليك فعلا صوت موسيقى راقصة كلما كنت على مرمى السمع من فرقة رالف الموسيقية، وتشعر بأنغام موسيقى الفالس المُفعَمة بالحياة تملأ المكان. غالبا ما كانت إيزابيل تجد نفسها مُغضبة عبر ذلك العزف الدائم، كانت تود لو يتسنّى لها المرور بحجرة رالف الجانبية، كما كان يُسمّيها، والدخول إلى غرفه الخاصة. لم تكترث لتأكيداته لها بأن تلك الغرف في وضع مُزرٍ للغاية، فقد كانت على أتم استعداد لأن تأخذ على عاتقها مهمة تنظيفها وترتيبها. اعتبرت أن إصراره على إقصائها عن ذلك المكان ليس من صفات الضيافة الكاملة، وكعقاب له على ذلك مارست عليه ما يُشبه المِقرعة من سخريتها الفتيّة. لا بد من القول أن سخريتها كانت بمثابة الدفاع عن النفس، إذ أن إبن خالتها كان ينعتها باسم "كولومبيا" وهو تأنيث ساخر لإسم كولومبس، متهما إياها بوطنية مفرطة لاذعة. رسم صورة كاريكتورية لها حيث أظهرها على شكل امرأة شابة في غاية الجمال مرتدية ثيابا متماشية مع الزي السائد ولكنها مطبوعة بصورة العلم الوطني. كانت إيزابيل في تلك الفترة من نموها تخشى أكثر ما تخشاه الظهور بمظهر الإنسانة الضيقة الأفق والتفكير،

accused him of an odious want of seriousness, of laughing at all things, beginning with himself. Such slender faculty of reverence as he possessed centred wholly upon his father; for the rest, he exercised his wit indifferently upon his father's son, this gentleman's weak lungs, his useless life, his fantastic mother, his friends Lord Warburton in especial, his adopted, and his native country, his charming new-found cousin. "I keep a band of music in my ante-room," he said once to her. "It has orders to play without stopping; it renders me two excellent services. It keeps the sounds of the world from reaching the private apartments, and it makes the world think that dancing's going on within." It was dance-music indeed that you usually heard when you came within ear-shot of Ralph's band; the liveliest waltzes seemed to float upon the air. Isabel often found herself irritated by this perpetual fiddling; she would have liked to pass through the ante-room, as her cousin called it, and enter the private apartments. It mattered little that he had assured her they were a very dismal place; she would have been glad to undertake to sweep them and set them in order. It was but half-hospitality to let her remain outside; to punish him for which Isabel administered innumerable taps with the ferule of her straight young wit. It must be said that her wit was exercised to a large extent in self-defence, for her cousin amused himself with calling her "Columbia" and accusing her of a patriotism so heated that it scorched. He drew a caricature of her in which she was represented as a very pretty young woman dressed, on the lines of the prevailing fashion, in the folds of the national banner. Isabel's chief dread in life at this period of her development

وما خشيته لاحقا ضرورة أن تكون كذلك فعلا. ولكنها برغم ذلك لم تُظهر أي تردّد في إذكاء شعور إبن خالتها والتظاهر بلهفة شديدة إزاء سحر موطنها. ستكون أمريكية الطباع بقدر ما يرغبها أن تكون، وإذا ما رغب بالسخرية منها فستُتيح له فرصا عديدة للقيام بذلك. وقفت بالمرصاد أمام إنتقادات والدته لإنجلترا، ولكنْ حين كان يتغنّى هو بالمزايا الإنجليزية متعمّدا إثارة حفيظتها، على حدّ قولها، كانت تجد نفسها قادرة على مخالفته الرأي في العديد من الأمور. بالواقع كانت تبدو لها خاصية هذه البلاد الصغيرة اليانعة، حلوة المذاق أشبه بحلاوة مذاق مشمش اكتوبر، وارتكز شعورها بالرضى التام إلى قدرتها على مقارعة مزاح إبن خالتها بالمثل. كانت تعتبر أنَّهُ إذا ما بدا مزاحها فاترا في بعض الأحيان، فهذا ليس بسبب شعورها بأنه أُسيأت معاملتها بل لشعور مفاجئ بالشفقة على رالف. بدا لها أنه يتحدث كرجل كفيف دونما أدنى اكتراث لما يقوله.

علّقت قائلة له ذات يوم: "لا أعلم ما مشكلتك بالضبط، ولكن أظن أنك مخادع كبير."

أجاب رالف، غير المعتاد على توجيه الكلام إليه بمثل هذا الأسلوب الجاف. "لكِ كامل الحرية في قول ذلك."

"أجهل ما الذي يثير إهتمامك، أظن لا شيء يثير إهتمامك. فأنت بالواقع لا تكترث لإنجلترا حين تتغنى بمزاياها، ولا تُبالي بأمريكا حتى وأنت تتظاهر بكرهها."

قال رالف: "لا شيء يثير إهتمامي سواك أنتِ يا إبنة خالتي العزيزة."

"لو بإمكاني تصديق حتى هذا القول، لكنت شعرت بسعادة كبيرة."

صاح الرجل الشاب: "حسنا، أتمنى ذلك من كل قلبي!."

was that she should appear narrow-minded; what she feared next afterwards was that she should really be so. But she nevertheless made no scruple of abounding in her cousin's sense and pretending to sigh for the charms of her native land. She would be as American as it pleased him to regard her, and if he chose to laugh at her she would give him plenty of occupation. She defended England against his mother, but when Ralph sang its praises on purpose, as she said, to work her up, she found herself able to differ from him on a variety of points. In fact, the quality of this small ripe country seemed as sweet to her as the taste of an October pear; and her satisfaction was at the root of the good spirits which enabled her to take her cousin's chaff and return it in kind. If her good-humour flagged at moments it was not because she thought herself ill-used, but because she suddenly felt sorry for Ralph. It seemed to her he was talking as a blind and had little heart in what he said.

"I don't know what's the matter with you," she observed to him once; "but I suspect you're a great humbug."

"That's your privilege," Ralph answered, who had not been used to being so crudely addressed.

"I don't know what you care for; I don't think you care for anything. You don't really care for England when you praise it; you don't care for America even when you pretend to abuse it."

"I care for nothing but you, dear cousin," said Ralph.

"If I could believe even that, I should be very glad."

"Ah well, I should hope so!" the young man exclaimed.

Isabel might have believed it and not have been far from the truth. He thought a great deal about her; she was constantly present to his mind. At a time when his thoughts had been a good deal of a burden to him her sudden arrival, which promised nothing and was an open-handed gift of fate, had refreshed and quickened them, given them wings and something to fly for. Poor Ralph had been for many weeks steeped in melancholy; his outlook, habitually sombre, lay under the shadow of a deeper cloud. He had grown anxious about his father, whose gout, hitherto confined to his legs, had begun to ascend into regions more vital. The old man had been gravely ill in the spring, and the doctors had whispered to Ralph that another attack would be less easy to deal with. Just now he appeared disburdened of pain, but Ralph could not rid himself of a suspicion that this was a subterfuge of the enemy, who was waiting to take him off his guard. If the manoeuvre should succeed there would be little hope of any great resistance. Ralph had always taken for granted that his father would survive him–that his own name would be the first grimly called. The father and son had been close companions, and the idea of being left alone with the remnant of a tasteless life on his hands was not gratifying to the young man, who had always and tacitly counted upon his elder's help in making the best of a poor business. At the prospect of losing his great motive Ralph lost indeed his one inspiration. If they might die at the same time it would be all very well; but without the encouragement of his father's society he should barely have patience to await his own turn. He had not the incentive of feeling that he was indispensable to his mother; it was a rule

كان بإمكان إيزابيل تصديق هذا القول، ولو فعلت لما كانت بعُدَت كثيرا عن الحقيقة. كان يفكّر بها كثيرا، ونادرا ما كانت بعيدة عن تأملاته وأشجانه. كان وصولها المفاجئ الخالي من الوعود في وقت كانت أفكاره مُثقلة بهمومه، أشبه بهدية سخية من القدر أدّت لتنشيطها وإنعاشها، واهبة إياها جوانح وشيئا للتحليق من أجله. كان رالف المسكين منذ بضعة أسابيع مستسلما لكآبة عميقة ونظرته إلى المستقبل المتسمة عادة بالقنوط، رازحة تحت سحابة قاتمة. كان قد ازداد قلقه بشأن والده، الذي امتدّ سقمه إلى أعضاء هامة في جسده بعدما كان حتى ذلك الوقت مقتصرا على ساقيه. أصيب الرجل المسنّ بوعكة صحية خطيرة في الربيع الفائت، وقد همَس الأطباء لرالف بأنه قد يكون من الصعب معالجة نوبة أخرى مماثلة. كان يبدو الآن متحررا من الألم، ولكن رالف لم يتمكّن من التخلّص من شكوكه بأن هذا ليس سوى ذريعة من العدو المنتظر الفرصة المؤاتية للإنقضاض على غريمه. سيكون الأمل ضعيفا عند إمكانية وجود ولو قدرة ضئيلة للمقاومة في حال نجاح تلك المناورة. كان رالف مُسلّم جدلا بأن والده سيُعمّر أكثر منه. وأن طبيعته القاتمة ستُستدعى قبله لخالقها. كان هناك علاقة متينة بين الوالد والإبن، وفكرة أنه سيبقى وحيدا ليعيش شبه حياة لم تكن بالفكرة المُستساغة للرجل الشاب، الذي اعتاد دائما الإعتماد على مساعدة الأكبر منه سنا لتدبير أمور معيشته السقيمة. بالواقع في اللحظة التي فقد رالف فيها دافعه الأكبر، فقد كذلك مصدر إلهامه الوحيد. لا بأس لو توفيا في الوقت ذاته، ولكن لا شك بدون وجود والده المشجّع له، سيكون بالكاد لديه قدرة الإحتمال لانتظار قدره المحتوم. لم يكن لديه الشعور المُحفّز المُتمثّل بحاجة والدته لوجوده بقربها، فقد كان عدم التأسف على الماضي واحدة من المبادئ الرئيسية لديها. كان لديه طبعا

with his mother to have no regrets. He bethought himself of course that it had been a small kindness to his father to wish that, of the two, the active rather than the passive party should know the felt wound; he remembered that the old man had always treated his own forecast of an early end as a clever fallacy, which he should be delighted to discredit so far as he might by dying first. But of the two triumphs, that of refuting a sophistical son and that of holding on a while longer to a state of being which, with all abatements, he enjoyed, Ralph deemed it no sin to hope the latter might be vouchsafed to Mr. Touchett.

These were nice questions, but Isabel's arrival put a stop to his puzzling over them. It even suggested there might be a compensation for the intolerable ennui of surviving his genial sire. He wondered whether he were harbouring "love" for this spontaneous young woman from Albany; but he judged that on the whole he was not. After he had known her for a week he quite made up his mind to this, and every day he felt a little more sure. Lord Warburton had been right about her; she was a really interesting little figure. Ralph wondered how their neighbour had found it out so soon; and then he said it was only another proof of his friend's high abilities, which he had always greatly admired. If his cousin were to be nothing more than an entertainment to him, Ralph was conscious she was an entertainment of a high order. "A character like that," he said to himself,–"a real little passionate force to see at play is the finest thing in nature." It's finer than the finest work of art–than a Greek bas-relief, than a great Titian, than a Gothic cathedral. It's very pleasant to be so well treated

اقتناعا راسخا بأن تفكيره على هذا النحو هو إقرار ضئيل بفضل والده، فقد كان يؤمن بأن على الشخص الأكثر نشاطا بين الإثنين إدراك وإحساس الألم والمعاناة؛ تذكّر أن الرجل المسنّ إعتبر دائما أن إمكانية وفاته المبكّرة قبل إبنه مجرد مغالطة بارعة يجدر به أن يكون من دواعي سروره رفض تصديقها. ولكن من بين الانتصارين: الأول تفنيد إبن مُحنّك والثاني التشبّث بالحياة لفترة قصيرة فقط، إعتبر رالف أن تمنّي حصول الأمر الثاني لا يمكن اعتباره خطيئة لا تُغتَفر بالنسبة للسيد توشيت.

كانت تلك تساؤلات مثيرة بالنسبة له، ولكن وصول إيزابيل وضع حدّا لحيرته إزاء تلك التساؤلات. حتى أن وصولها أوحى إليه إمكانية أن يكون ذاك بمثابة تعويض عن الملل غير المُحتمل الذي ستخلّفه وفاة والده قبله. تساءل ما إذا كان يشعر "بالحب" تجاه تلك المرأة الشابة العفوية القادمة من ألباني، لكنه إعتبر بشكل عام أنّهُ لا يكنّ لها مثل هذه المشاعر. توصّل إلى هذه النتيجة عقب مرور أسبوع على معرفته بها، وكان ذلك الإقتناع يزداد ترسّخا لديه يوما بعد يوم. كان اللورد وربيرتن محقّا في تقييمه لها، فقد كانت إنسانة مثيرة جدا، وتساءل كيف تسنّى لجاره معرفة ذلك خلال فترة قصيرة جدا من الوقت، ولكنه سرعان ما قرّر أن ذلك مجرد دليل آخر على قدرات صديقه المتميّزة التي طالما أعجِب بها. أدرك رالف أن إبنة خالته لن تشكّل له سوى مصدر للسلوى، ومما لا شك فيه أنها ستكون سلوى من الطراز المُتميّز. "سيكون التعرّف على شخصية مثل هذه،" فكّر بينه وبين نفسه، " تختزن في داخلها قوة حقيقية من العواطف، أسمى ما يمكن القيام به. سيكون ذلك أسمى من أروع اللوحات الفنية. أروع من النقش اليوناني، ومن لوحة تيتان ومن كاثدرائية ذات طراز قوطي. إنه لأمر

رائع التعرّف على شيء بمثل هذه الروعة في وقت لا تتوقّع ذلك على الإطلاق. لم يسبق لي أبدا أن شعرت بمثل ذلك القنوط والملل الذي كان ينهش أحاسيسي قبل أسبوع من وصولها. استلمت فجأة بواسطة البريد لوحة تيتان لأضعها على الجدار. ونقشٍ يوناني لتثبيته فوق المستوقد. جرى تسليمي باليد مفتاح صرح ضخم وطُلِب مني الدخول إليه والإعجاب بجماله. يا إبني المسكين، لقد كنت ناكرا للجميل بشكل محزن للغاية، ويجدر بك الآن الكفّ عن ذلك التذمّر وعدم العودة إليه مطلقا." كانت عاطفة تلك التأمّلات والأفكار منصفة وعادلة، ولكن لم يكن صحيحا تماما بأن رالف توشيت إستلم مفتاحا بيده. كانت ابنة خالته فتاة رائعة، تتطلّب معرفتها الكثير من الجهد؛ لكنها كانت تحتاج التعرّف إليها، وموقفه إزاءها لم يكن محكميا بالرغم من كونه موقفا تأمليا وانتقاديا. عاين الصرح الضخم من الخارج وأعجِب به كثيرا، تفقّد النوافذ وتكوّن لديه إنطباعا ذات أبعاد متساوية الجمال. ولكنه شعر أنه لم يشاهد سوى لمحات خاطفة منه، ولم يتسنّ له حتى الآن الوقوف تحت سقفه. كان الباب مقفلا، وبالرغم من وجود المفاتيح داخل جيبه، إلا أنه كان لديه إقتناع بأن جميعها مفاتيح خاطئة. كانت ذكية وكريمة وذات طبيعة حرّة، ولكن ما عساها تفعل بنفسها؟ كان ذلك السؤال غير قياسي، إذ لم يكن هناك من دافع لطرحه بالنسبة للغالبية العظمى من النساء. فمعظم النساء لا يفعلن شيئا بأنفسهنّ، سوى الانتظار بشكل كسول نوعا ما، الالتقاء برجل ليصوغ لهن قدرهن. كانت أصالة إيزابيل من النوع الذي يترك لديك إنطباعا بأن لديها أهداف محددة خاصة بها. قال رالف بينه وبين نفسه: "هل سيتسنّى لي مشاهدة تنفيذها لتلك الأهداف!"

where one had least looked for it. I had never been more blue, more bored, than for a week before she came; I had never expected less that anything pleasant would happen. Suddenly I receive a Titian, by the post, to hang on my wall–a Greek bas-relief to stick over my chimney-piece. The key of a beautiful edifice is thrust into my hand, and I'm told to walk in and admire. My poor boy, you've been sadly ungrateful, and now you had better keep very quiet and never grumble again." The sentiment of these reflexions was very just; but it was not exactly true that Ralph Touchett had had a key put into his hand. His cousin was a very brilliant girl, who would take, as he said, a good deal of knowing; but she needed the knowing, and his attitude with regard to her, though it was contemplative and critical, was not judicial. He surveyed the edifice from the outside and admired it greatly; he looked in at the windows and received an impression of proportions equally fair. But he felt that he saw it only by glimpses and that he had not yet stood under the roof. The door was fastened, and though he had keys in his pocket he had a conviction that none of them would fit. She was intelligent and generous; it was a fine free nature; but what was she going to do with herself? This question was irregular, for with most women one had no occasion to ask it. Most women did with themselves nothing at all; they waited, attitudes more or less gracefully passive, for a man to come that way and furnish them with a destiny. Isabel's originality was that she gave one an impression of having intentions of her own. "Whenever she executes them," said Ralph, "may I be there to see!"

وقع على رالف دون سواه واجب تعريفها على المكان. فالسيد توشيت كان مُقيّدا إلى كرسيه وزوجته كانت في موقف أشبه ما يكون بموقف الزائر المتُبرّم، وقد أدّى رالف تلك المهمة بإحساس هو مزيج متجانس من مشاعر الواجب والرغبة للقيام بذلك. بالرغم من أنه لم يكن بالرجل الرياضي الذي يهوى رياضة السير على الأقدام، إلا أنه تنزّه في أرجاء المكان برفقة إبنة خالته. وكان ذلك بمثابة نوع من التسلية المُتاحة له طالما كان الطقس ملائما لذلك وبإصرار لا مبالٍ بممانعة نابعة من إحساس باطني حزين لدى إيزابيل، لتمضية ساعات بعد الظهر الطويلة التي لا يمكن قياسها سوى بمدى إرواء لهفتها وفضولها. كانا يأخذان مركبا ويذهبان بنزهة في النهر الصغير العزيز، كما كانت تسمّيه إيزابيل، حيث كان يبدو الشاطئ المقابل وكأنه جزء من المنظر الطبيعي الأمامي، أو يتوجهان بنزهة في الفيتون - وهي مركبة الجياد الخفيفة، المنخفضة، الرحبة، الصلبة العجلات التي كان يستخدمها سابقا السيد توشيت والذي أصبح الآن لا يميل إلى ركوبها. كانت إيزابيل تجد متعة كبيرة وهي بداخلها مُممسكة باللجام بطريقة إعتبرها رفيقها السائس تنمّ عن "مهارة" عالية، ولم يعرف الملل أو التعب طريقهما إليها وهي توجّه سير أفضل جياد عمها عبر الممرات الضيقة المتعرّجة والطرق الجانبية، متجاوزة أكواخ خشبية مُسقّفة بالقش، وحانات الجعة المزوّدة بنوافذ شبكية مُرمّلة، وقطع من الأراضي المشاع وهي تختطف نظرات سريعة على حدائق عامة فارغة بين سياج الشجيرات المُزهرة في منتصف فصل الصيف. كانا، لدى عودتهما من تلك النزهات، يجدان أن وقت تناول الشاي فوق المخضرة قد فاتهما وأن السيدة توشيت لم تمانع كثيرا في تقديم فنجان الشاي لزوجها. ولكن كان الزوجان يجلسان في صمت مُطبق معظم الوقت: الرجل المسنّ مُتكئ برأسه إلى الوراء وعيناه مغمضتان، وزوجته منهمكة بحياكتها بكثير من

It devolved upon him of course to do the honours of the place. Mr. Touchett was confined to his chair, and his wife's position was that of rather a grim visitor; so that in the line of conduct that opened itself to Ralph duty and inclination were harmoniously mixed. He was not a great walker, but he strolled about the grounds with his cousin- a pastime for which the weather remained favourable with a persistency not allowed for in Isabel's somewhat lugubrious prevision of the climate; and in the long afternoons, of which the length was but the measure of her gratified eagerness, they took a boat on the river, the dear little river, as Isabel called it, where the opposite shore seemed still a part of the foreground of the landscape; or drove over the country in a phaeton–a low, capacious, thick-wheeled phaeton formerly much used by Mr. Touchett, but which he had now ceased to enjoy. Isabel enjoyed it largely and, handling the reins in a manner which approved itself to the groom as "knowing," was never weary of driving her uncle's capital horses through winding lanes and byways full of the rural incidents she had confidently expected to find; past cottages thatched and timbered, past ale-houses latticed and sanded, past patches of ancient common and glimpses of empty parks, between hedgerows made thick by midsummer. When they reached home they usually found tea had been served on the lawn and that Mrs. Touchett had not shrunk from the extremity of handing her husband his cup. But the two for the most part sat silent; the old man with his head back and his eyes closed, his wife occupied with her knitting and

wearing that appearance of rare profundity with which some ladies consider the movement of their needles.

One day, however, a visitor had arrived. The two young persons, after spending an hour on the river, strolled back to the house and perceived Lord Warburton sitting under the trees and engaged in conversation, of which even at a distance the desultory character was appreciable, with Mrs. Touchett. He had driven over from his own place with a portmanteau and had asked, as the father and son often invited him to do, for a dinner and a lodging. Isabel, seeing him for half an hour on the day of her arrival, had discovered in this brief space that she liked him; he had indeed rather sharply registered himself on her fine sense and she had thought of him several times. She had hoped she should see him again–hoped too that she should see a few others. Gardencourt was not dull; the place itself was sovereign, her uncle was more and more a sort of golden grandfather, and Ralph was unlike any cousin she had ever encountered–her idea of cousins having tended to gloom. Then her impressions were still so fresh and so quickly renewed that there was as yet hardly a hint of vacancy in the view. But Isabel had need to remind herself that she was interested in human nature and that her foremost hope in coming abroad had been that she should see a great many people. When Ralph said to her, as he had done several times, "I wonder you find this endurable; you ought to see some of the neighbours and some of our friends, because we have really got a few, though you would never suppose it"–when he offered to invite what he called a "lot of people" and make

التفكير العميق، وهي صفة غالبة عند بعض السيدات اللواتي يعتبرن فن التطريز فنا رفيعا يتطلّب الكثير من المهارة والدقة.

شهد أحد الأيام تحوّلا عن هذا الروتين اليومي بوصول أحد الزائرين إلى المكان. فلدى عودة الشاب والشابّة إلى المنزل بعدما أمضيا حوالي الساعة في نزهتهما النهرية، طالعهما اللورد وربيرتن جالسا تحت الأشجار ومنهمكا كما ظهر لهما حتى وهما لا يزالان على مسافة ليست بالقصيرة عن المنزل، في حديث عابر ومتقطّع مع السيدة توشيت. كان قد وصل من منزله حاملا معطفه بيده، مُلبّيا دعوة الأب والإبن المعتادة لتناول العشاء وقضاء ليلة في ضيافتهما. كانت إيزابيل التي لم تشاهده سوى لنصف ساعة يوم وصولها قد شعرت بإعجاب شديد تجاهه وكانت أفكارها قد عادت إليه مرات عديدة خلال الفترة القصيرة الفاصلة عن ذلك اليوم. كانت تأمل برؤيته ثانية. كما تأمل برؤية غيره من الشبان. كان غاردينكورت مكانا أبعد ما يكون عن المكان المُمل، وكان عمها بمثابة الأب الجليل لذلك المنزل، ورالف مختلفا تماما عن أي قريب سبق لها التعرّف إليه. ففكرتها عن الأقارب لم تكن حتى الآن مثيرة ومشوّقة إلى حد كبير. كما كانت إنطباعاتها حتى ذلك الحين ما تزال طلقة ومفعمة بالنشاط بحيث بالكاد كان هناك وجود لفراغ مُرتقب. ولكن كان على إيزابيل تذكير نفسها بأنّها كانت مهتمة بطبيعة البشر وبأنّ أملها الأكثر أهمية عند قدومها من الخارج كان التعُّرف على أكبر عدد من الأشخاص. فحين قال لها رالف مرارا وتكرارا، "أتساءل ما إذا يمكنك تحمّل هذا الوضع، يجدر بكِ التعرّف على بعض أصدقائنا وجيراننا، إذ لدينا قلّة منهم، علما أنه من الصعب عليك تصديق ذلك." . وحين عرض عليها دعوة ما أسماهم "مجموعة كبيرة من الأشخاص" وتعريفها على خصائص المجتمع البريطاني، رحّبت بهذه

اللفتة المضيافة الكريمة ووعدته مُسبقا بالانطلاق بحماسة كبيرة في كل ما يقوم به في هذا المضمار. ولكن حتى الآن لم يحصل سوى القليل مما وعدها به، ويحسن بنا مصارحة القارئ بالقول أنه إذا ما تأخر الشاب في تنفيذ ما وعدها به، فهذا يعود ليس على الإطلاق لصعوبة المهمة التي انتدب نفسه لأجلها بقدر ما يعود إلى ما تتطلّبه تلك المهمة من مساعدة استثنائية. تكرّر ورود عبارة "عيّنات" في أحاديث إيزابيل معه، ما جعلته يُدرك أنها ترغب بالتعرّف على المجتمع الإنجليزي متجسّدا بحالات ووقائع بارزة.

قال لها لدى مشاهدتهما اللورد وربيرتن وهما يسيران بجانب النهر: "حسنا، إليكِ الآن عيّنة عن تلك العيّنات التي ترغبين التعرّف إليها."

سألت الفتاة: "عيّنة عن أيّ شيء؟"

"عيّنة عمّا هو عليه الرجل الإنجليزي النبيل."

"أتعني بقولك أنهم جميعهم على شاكلته؟"

"أبدا، بل يختلفون عنه إلى حد كبير."

قالت إيزابيل: "إنه إذن من العيّنات الواعدة الإيجابية، لأنني واثقة أنه رجل لطيف."

"نعم، إنه لطيف جدا، وكذلك محظوظ جدا."

صافح سعيد الحظ، اللورد وربيرتن، بطلتنا وتمنى أن تكون في أحسن حال. "ولكن لا داعي لأتمنى ذلك، نظرا لأنك كنتِ تُجذّفين."

أجابت إيزابيل: "كنتُ أجذّف قليلا، ولكن كيف تسنّى لك معرفة ذلك؟"

قال سيادته ضاحكا وهو يُشير إلى رالف توشيت: "أعرف أنه كسول جدا ونادرا ما يقوم بهذا العمل."

her acquainted with English society, she encouraged the hospitable impulse and promised in advance to hurl herself into the fray. Little, however, for the present, had come of his offers, and it may be confided to the reader that if the young man delayed to carry them out it was because he found the labour of providing for his companion by no means so severe as to require extraneous help. Isabel had spoken to him very often about "specimens"; it was a word that played a considerable part in her vocabulary; she had given him to understand that she wished to see English society illustrated by eminent cases.

"Well now, there's a specimen," he said to her as they walked up from the riverside and he recognized Lord Warburton.

"A specimen of what?" asked the girl.

"A specimen of an English gentleman."

"Do you mean they're all like him?"

"Oh no; they're not all like him."

"He's a favourable specimen then," said Isabel; "because I'm sure he's nice."

"Yes, he's very nice. And he's very fortunate."

The fortunate Lord Warburton exchanged a handshake with our heroine and hoped she was very well. "But I needn't ask that," he said, "since you've been handling the oars."

"I've been rowing a little," Isabel answered; "but how should you know it?"

"Oh, I know he doesn't row; he's too lazy," said his lordship, indicating Ralph Touchett with a laugh.

أجابت إيزابيل بصوت منخفض: "كسله مُبرّر".

صاح اللورد وربيرتن بدون أن يتخلّى عن مرحه الرنّان: "أوه، لديه تبرير لكل شيء!"

قال رالف: "إنَّ عُذري لعدم قيامي بالتجذيف هو أن إبنة خالتي بارعة في هذا المجال، كما في سائر الأعمال التي تقوم بها. فهي تُزيّن كل ما تلمسه."

قال اللورد وربيرتن: "يدفعني هذا القول إلى الرغبة بأن تلمسيني، يا آنسة آرتشير."

"لن تتأذى البتّة إذا ما تيسّر لك أن تُلمَس بالشكل الصحيح." قالت ذلك إيزابيل التي وإن سُرّت بسماع الآخرين يقرّون بوفرة إنجازاتها ومآثرها، فقد شعرت بالغبطة كونها قادرة على إظهار أن مثل هذا الرضا الذاتي ليس دليلا على ذهن ضعيف، بقدر ما هو دليل على توفّر أدلة على تميّزها وبراعتها بالعديد من الأمور. كانت رغبتها المتلهّفة بالتفكير بنفسها على نحو جيد، متضمنة على الأقل عنصر الإتضاع المحتاج لدليل حسّي لدعمه.

لم يكتفِ اللورد وربيرتن بالبقاء تلك الليلة في غاردينكورت فحسب، بل نزل عند إلحاح أصحاب الدار بقضاء اليوم التالي هناك؛ وقرّر بنهاية ذلك اليوم تأجيل موعد مغادرته حتى اليوم الذي يليه. عمد خلال هذه الفترة إلى توجيه القسم الأكبر من حديثه إلى إيزابيل التي رحّبت بطيبة خاطر بهذا المؤشر الدال على إحترامه الكبير لها. وجدت نفسها معجبة به إلى حد كبير، كان لتأثيره الأول عليها حينما التقت به للمرة الأولى وزنه المؤثر، إلا أنها شعرت بنهاية أمسية بكاملها أمضتها برفقته وكأنها بالكاد أشبعت إهتمامها الكبير به. غني عن القول أن ذلك الإهتمام كان خاليا تماما من توهّج العاطفة. خلافا لما قد تشعر به بطلات الروايات العاطفية. أوت إلى فراشها باحساس

"He has a good excuse for his laziness," Isabel rejoined, lowering her voice a little.

"Ah, he has a good excuse for everything!" cried Lord Warburton, still with his sonorous mirth.

"My excuse for not rowing is that my cousin rows so well," said Ralph. "She does everything well. She touches nothing that she doesn't adorn!"

"It makes one want to be touched, Miss Archer," Lord Warburton declared.

"Be touched in the right sense and you'll never look the worse for it," said Isabel, who, if it pleased her to hear it said that her accomplishments were numerous, was happily able to reflect that such complacency was not the indication of a feeble mind, inasmuch as there were several things in which she excelled. Her desire to think well of herself had at least the element of humility that it always needed to be supported by proof.

Lord Warburton not only spent the night at Gardencourt, but he was persuaded to remain over the second day; and when the second day was ended he determined to postpone his departure till the morrow. During this period he addressed many of his remarks to Isabel, who accepted this evidence of his esteem with a very good grace. She found herself liking him extremely; the first impression he had made on her had had weight, but at the end of an evening spent in his society she scarce fell short of seeing him–though quite without luridity–as a hero of romance. She retired to rest with a sense of good fortune, with a

quickened consciousness of possible felicities. "It's very nice to know two such charming people as those," she said, meaning by "those" her cousin and her cousin's friend. It must be added moreover that an incident had occurred which might have seemed to put her good-humour to the test. Mr. Touchett went to bed at half-past nine o'clock, but his wife remained in the drawing-room with the other members of the party. She prolonged her vigil for something less than an hour, and then, rising, observed to Isabel that it was time they should bid the gentlemen good-night. Isabel had as yet no desire to go to bed; the occasion wore, to her sense, a festive character, and feasts were not in the habit of terminating so early. So, without further thought, she replied, very simply-

"Need I go, dear aunt? I'll come up in half an hour."

"It's impossible I should wait for you," Mrs. Touchett answered.

"Ah, you needn't wait! Ralph will light my candle," Isabel gaily engaged.

"I'll light your candle; do let me light your candle, Miss Archer!" Lord Warburton exclaimed. "Only I beg it shall not be before midnight."

Mrs. Touchett fixed her bright little eyes upon him a moment and transferred them coldly to her niece. "You can't stay alone with the gentlemen. You're not - you're not at your blest Albany, my dear."

Isabel rose, blushing. "I wish I were," she said.

بأنها إنسانة محظوظة جدا وإدراك مُثار بسعادة كبيرة بانتظارها. "إنه لأمر رائع التعرّف على شخصين مثيرين للإعجاب كهذين الشابين، " قالت ذلك بينها وبين نفسها وهي تقصد بقولها "هذين الشابين" ابن خالتها وصديقه. ولكن لا بد من الإشارة إلى حادثة حصلت كان من شأنها وضع إحساس إيزابيل بالهناء والسعادة لاختبار عسير. أوى السيد توشيت إلى فراشه في حوالي الساعة التاسعة والنصف، إلا أن زوجته بقيت في غرفة الإستقبال إلى جانب الأشخاص الموجودين هناك. أطالت سهرتها بنحو الساعة تقريبا، ومن ثم نهضت وهي تقول لإيزابيل بأنه حان وقت توديع السيدين الشابين لهذا المساء والتمنّي لهما ليلة هانئة. لم تكن إيزابيل ترغب بعد في الخلود إلى النوم، فقد كانت تلك المناسبة بالنسبة لها أشبه بحفلة مثيرة، والحفلات المثيرة لا تنتهي في مثل هذه الساعة المبكّرة من المساء. وهكذا ودونما أي تفكير إضافي بالأمر أجابت وبكل بساطة، "أيتوجّب علي الخلود إلى النوم يا خالتي العزيزة؟ سأصعد إلى غرفتي بعد ساعة."

أجابت السيدة توشيت: "يستحيل عليّ إنتظارك كل هذا الوقت."

أجابت إيزابيل بمرح: "أوه، لا حاجة تدعوكِ إلى ذلك! سيقوم رالف بإشعال شمعداني."

صاح اللورد وربيرتن: "سأقوم أنا بهذه المهمة يا آنسة أرتشير! أرجوكِ دعيني أنا أشعل شمعدانك، شريطة أن لا يكون ذلك قبل منتصف الليل."

حدّقت السيدة توشيت به بعينيها البراقتين الصغيرتين للحظة ومن ثم انتقلت بهما بنظرة باردة إلى إبنة شقيقتها. "لا يمكنك البقاء بمفردكِ برفقة الشابين. أنتِ . . . أنتِ لست في مدينتك الحبيبة ألباني يا عزيزتي."

نهضت إيزابيل من مكانها وحمرة الخجل تصبغ وجهها. قالت: "كم

أتمنى لو كنتُ هناك.»

قال رالف متأففا: «آوه، يا والدتي!»

تمتم اللورد وربيرتن: «يا سيدتي توشيت العزيزة!»

قالت السيدة توشيت بترفّع ملوكي: «لم أكن أنا مَن صاغ قوانين بلادك يا عزيزي اللورد، ولكن يتوجّب علي الإلتزام بها.»

سألت إيزابيل: «ألا يمكنني البقاء برفقة إبن خالتي؟»

«لم أكن على علم أن اللورد وربيرتن هو إبن خالتك.»

قال الزائر مقترحا: «ربما يُستحسن بي أن آوي أنا إلى فراشي! وهكذا نحسم هذه المشكلة.»

ظهرت على وجه السيدة توشيت في هذه الأثناء نظرة التبرّم وما لبثت أن جلست ثانية في مقعدها. «أوه، إذا كان لا بد من بقائي حتى منتصف الليل، فليكن.»

ناول رالف في هذه الأثناء الشمعدان إلى إيزابيل. كان يراقبها طوال هذه الفترة، بدا له أنها ذات مزاج حادّ. وهو أمر قد يكون مثيرا. ولكن في حال كان يتوقع نوعا من المواجهة فقد خاب ظنّه، إذ سارعت الفتاة للضحك قليلا، وأومأت برأسها علامة الوداع وخلدت إلى غرفتها برفقة خالتها. شعر بالإمتعاض تجاه والدته، بالرغم من إعتقاده بصوابية موقفها. افترقت السيّدتان لدى وصول السيدة توشيت إلى باب غرفتها، كانت إيزابيل قد لزمت الصمت طوال فترة صعودهما السلّم.

قالت السيدة توشيت: «طبعا تشعرين بالإنزعاج لتدخلي بشؤونك على هذا النحو.»

فكّرت إيزابيل للحظة. «إنني لست منزعجة، بل مُستغربة، ومُتحيّرة جدا. ألم يكن من اللائق البقاء بمفردي معها في غرفة الإستقبال؟»

"Oh, I say, mother!" Ralph broke out.

"My dear Mrs. Touchett!" Lord Warburton murmured.

"I didn't make your country, my lord," Mrs. Touchett said majestically. "I must take it as I find it."

"Can't I stay with my own cousin?" Isabel enquired.

"I'm not aware that Lord Warburton is your cousin."

"Perhaps I had better go to bed!" the visitor suggested. "That will arrange it."

Mrs. Touchett gave a little look of despair and sat down again. "Oh, if it's necessary I'll stay up till midnight."

Ralph meanwhile handed Isabel her candlestick. He had been watching her; it had seemed to him her temper was involved–an accident that might be interesting. But if he had expected anything of a flare he was disappointed, for the girl simply laughed a little, nodded good-night and withdrew accompanied by her aunt. For himself he was annoyed at his mother, though he thought she was right. Above-stairs the two ladies separated at Mrs. Touchett's door. Isabel had said nothing on her way up.

"Of course you're vexed at my interfering with you," said Mrs. Touchett.

Isabel considered. "I'm not vexed, but I'm surprised–and a good deal mystified. Wasn't it proper I should remain in the drawing-room?"

"على الإطلاق. فالفتيات الشابات هنا . في الأسر المحترمة . لا يجلسن مع الشبان بمفردهن حتى وقت متأخر من الليل."

قالت إيزابيل: "إذن كنتِ محقّة جدا في لفت نظري إلى هذا الواقع. لا أفهم جدوى هذا التقليد ولكنني سعيدة أنني أصبحت مطّلعة عليه."

أجابت خالتها: "سأعمد دائما للفت نظرك للتصرف الصحيح كلما وجدتك تنتهكين القواعد والأصول."

"أرجوكِ أن تفعلي ذلك، بالرغم من أنني لن أعتبر إعتراضاتكِ عادلة دائما."

"لا شك في ذلك، فأنتِ مولعة جداً بطريقة تصرفاتكِ."

"نعم هذا صحيح، ولكن هذا لا يعني عدم رغبتي بالإطّلاع على التصرّفات غير اللائقة."

سألت خالتها: "كي تقومي بها؟"

قالت إيزابيل: "بل ليُتاح لي حرية الاختيار."

"Not in the least. Young girls here–in decent houses–don't sit alone with the gentlemen late at night."

"You were very right to tell me then," said Isabel. "I don't understand it, but I'm very glad to know it."

"I shall always tell you," her aunt answered, "whenever I see you taking what seems to me too much liberty."

"Pray do; but I don't say I shall always think your remonstrance just."

"Very likely not. You're too fond of your own ways."

"Yes, I think I'm very fond of them. But I always want to know the things one shouldn't do."

"So as to do them?" asked her aunt.

"So as to choose," said Isabel.

الفصل الثامن

نظرا للرومانسية التي تتميّز بها طباعها، تجرّأ اللورد وربيرتن على التعبير عن أمله بمجيئها ذات يوم لرؤية منزله، وهو مكان قديم ومثير جدا. فقد نجح في إنتزاع وعد من السيدة توشيت بمرافقة إبنة شقيقتها إلى لوكليغ، كما عبّر رالف عن إستعداده لاصطحاب السيدتين في حال سمح وضع والده الصحي بذلك. أكّد اللورد وربيرتن في هذه الأثناء لبطلتنا بأن شقيقاته سيأتين للتعرّف عليها. كان لديها تصوّر عام عن شقيقاته، من الأحاديث والمعلومات المتعلّقة بأسرته التي أفضى بها خلال زيارته ووجوده في غاردينكورت. اعتادت إيزابيل طرح الكثير من الأسئلة في حال كان الحديث أو المُحدّث مثيراً لها، وكون رفيقها متكلّم رائع، فقد دفعته خلال تلك المناسبة إلى الحديث عن كل ما ترغب بمعرفته. أخبرها بأنه يتيم الأبوين ولديه أربع شقيقات وأخوان، يُعتبرون أشخاصا فاضلين جدا. "لا أقصد بمعنى تفوّقهم الذهني، بل أشخاصا كُرماء جديرين بالإحترام،" قال لها. وكان في منتهى اللياقة بالقول أنه يأمل لو تسنح الفرصة المؤاتية للآنسة أرتشير بالتعرّف عليهم. كان أحد الأخوة يعمل في الكنيسة ويعيش في أرزاق الأسرة المعروفة باسم لوكلينغ، وهي عبارة عن أبرشية كبيرة مترامية الأطراف؛ وهو رجل رائع بالرغم من تعارض آرائهما في كافة المواضيع الممكن تخيّلها والمطروحة للمناقشة. ومن ثم ذكراللورد وربيرتن بعض مُعتقدات وآراء شقيقه، والتي كانت متطابقة مع آراء إيزابيل والتي غالبا ما عبّرت عنها واعتبرتها تعكس آراء ومعتقدات الغالبية العظمى من الجنس البشري. بالواقع، عكست تلك الآراء وجهة نظرها الشخصية، إلى أن أكّد لها بأنها مُخطئة تماما في ذلك، وأنه من المستحيل أن تكون فكّرت فعلا بأنها تؤمن بمثل تلك الآراء، وأنه بلا شك لو فكّرت مليا في الأمر، سيتبيّن لها بدون أدنى شك بطلان تلك الآراء

Chapter Eight

As she was devoted to romantic effects Lord Warburton ventured to express a hope that she would come some day and see his house, a very curious old place. He extracted from Mrs. Touchett a promise that she bring her niece to Lockleigh, and Ralph signified his willingness to attend the ladies if his father should be able to spare him. Lord Warburton assured our heroine that in the mean time his sisters, would come and see her. She knew something about his sisters, having sounded him, during the hours they spent together while he was at Gardencourt, on many points connected with his family. When Isabel was interested she asked a great many questions, and as her companion was a copious talker she urged him on this occasion by no means in vain. He told her he had four sisters and two brothers and had lost both his parents. The brothers and sisters were very good people–"not particularly clever, you know," he said, "but very decent and pleasant"; and he was so good as to hope Miss Archer might know them well. One of the brothers was in the Church, settled in the family living, that of Lockleigh, which was a heavy, sprawling parish, and was an excellent fellow in spite of his thinking differently from himself on every conceivable topic. And then Lord Warburton mentioned some of the opinions held by his brother, which were opinions Isabel had often heard expressed and that she supposed to be entertained by a considerable portion of the human family. Many of them indeed she supposed she had held herself, till he assured her she was quite mistaken, that it was really

والمعتقدات. وحين أجابته أنه سبق لها فعلا التفكير مليًا في العديد من تلك المسائل والآراء، علّق بالقول أنها مجرّد نموذج آخر من الأمور التي طالما أثارت حيرته واستغرابه. وهي حقيقة أن الأمريكيين من بين سائر بني البشر، هم بالواقع أكثر شعوب الأرض توهّما وعُرضة للتشبّث بالخرافات وكأنها حقائق ملموسة. فكافة الأمريكيين دون إستثناء مُتعصّبين لآرائهم ومن أشد المؤيدين للسلطة الملكية وأشرس المقاومين للتغيير والإصلاح، فلا وجود لشعب أكثر تمسّكا منهم بمبادئ المحافظين المتزمتين.

زوج خالتها وابن خالتها خير دليل على ما يقوله، فبعض آرائهم غاية في الرجعية وتعود لآراء القرون الوسطى، والشعب الإنجليزي اليوم أصبح يخجل من التمسّك بمثل تلك الآراء. كما وصلت بهما الوقاحة، أضاف سيادته ضاحكا، إلى الإدّعاء بمعرفتهما الحاجات والمخاطر المُحدقة بإنجلترا، هذه البلاد القديمة الحمقاء، أكثر مما يعرفه أحد أبنائها الأصليين المولود فيها والمالك لأجزاء كبيرة من مساحاتها. وهو أمر يخجل منه حقا! إستنتجت إيزابيل من كل هذا الكلام أن اللورد وربيرتن رجل رفيع المنزلة عصري النزعة والمعتقدات، من دعاة حركة الإصلاح، نزّاع إلى إحداث تغيرات متطرفة في العادات والمؤسسات القائمة. ومن ناحية أخرى شقيقه الآخر يعمل مع الجيش البريطاني الموجود في الهند، وهو شخص طائش ومتهوّر، حسنته الوحيدة حتى الآن هي تكديس الديون المالية والإلتماس من وربيرتن تسديدها عنه. وهو أحد أروع الامتيازات التي تقع عادة على كاهل الشقيق الأكبر. قال: "لا أظن أنني سأستمر بتسديد ديونه بعد الآن، فهو يحيا حياة ترف وبذخ تفوق بكثير نمط حياتي ويظن أنه يفوقني نبالة ومركزا إجتماعيا. ونظرا لأنني راديكالي ثابت المبدأ فإنني من دعاة

impossible, that she had doubtless imagined she entertained them, but that she might depend that, if she thought them over a little, she would find there was nothing in them. When she answered that she had already thought several of the questions involved over very attentively he declared that she was only another example of what he had often been struck with–the fact that, of all the people in the world, the Americans were the most grossly superstitious. They were rank Tories and bigots, every one of them; there were no conservatives like American conservatives.

Her uncle and her cousin were there to prove it; nothing could be more mediaeval than many of their views; they had ideas that people in England nowadays were ashamed to confess to; and they had the impudence moreover, said his lordship, laughing, to pretend they knew more about the needs and dangers of this poor dear stupid old England than he who was born in it and owned a considerable slice of it– the more shame to him! From all of which Isabel gathered that Lord Warburton was a nobleman of the newest pattern, a reformer, a radical, a contemner of ancient ways. His other brother, who was in the army in India, was rather wild and pig-headed and had not been of much use as yet but to make debts for Warburton to pay- one of the most precious privileges of an elder brother. "I don't think I shall pay any more," said her friend; "he lives a monstrous deal better than I do, enjoys unheard-of luxuries and thinks himself a much finer gentleman than I. As I'm a consistent radical I go in only for equality; I don't go in for the superiority of

المساواة، وبالتالي لا أؤمن بتفوق الأخوة الأصغر سنا. " ومن بين شقيقاته الأربع الشقيقة الثانية والرابعة متزوجتين، إحداهما متزوجة برجل ميسور جدا والأخرى برجل كما يقال بين بين. زوج الشقيقة الكبرى اللورد هايكوك رجل لطيف جدا، ولكنه لسوء الحظ شخص مقاوم للإصلاح والتغيير بشكل بغيض، وزوجته كسائر الزوجات الإنجليزيات الفاضلات أسوأ من زوجها في هذا المضمار. وتزوجت الشقيقة الأخرى أحد أصحاب الأملاك الصغار في نورفولك، وهي أم لخمسة أطفال بالرغم من عدم مرور فترة طويلة على زواجها. أدلى اللورد وربيرتن بهذه المعلومات وبالكثير غيرها لمصغيته الشابة الأمريكية، باذلا جهدا كبيرا لتوضيح العديد من المسائل وجعلها تُدرك تماما خصوصيات الحياة الإنجليزية. شعرت إيزابيل معظم الوقت بكثير من الفضول والغرابة المُستحبّة إزاء صراحته غير المُتحفّظة وإلتماسه الأعذار لما بدا منها استنادا إليه، من خبرة وحنكة محدودتين. قالت وهي تتعمّد طرح الأسئلة الساذجة عليه لمجرّد إرواء رغبة لديها بسماعه يُجيب بمنتهى الجدّية على تلك الأسئلة التافهة: "يظنني همجية وغير متمدّنة وكأنه لم يسبق لي التعامل مع أدوات مائدة الطعام العصرية." وكانت تقول له حين تنجح حيلتها تلك، "من المؤسف عدم مشاهدتك لي مكسوّة بالريش وبطلاء الحرب، فلو عرفتُ مُسبقا أنك متعاطف إلى هذه الدرجة مع الهمجيين المساكين، لكنت جلبتُ معي زيي الوطني!" سبق للورد وربيرتن زيارة الولايات المتحدة والتجوّل في أرجائها والتعرّف عليها ما جعله يكوّن فكرة أوضح عن تلك البلاد عمّا لدى إيزابيل. وقد كان في غاية اللطف لدرجة القول أن أميركا أجمل بلدان العالم، ولكن يبدو من الانطباعات التي خلّفتها تلك الزيارة في ذهنه فكرة أن الأمريكيين في إنجلترا بحاجة لشرح العديد من الأمور المُسلّم بها في إنجلترا. "كم أتمنى لو حظيت بك لتشرحي لي العديد من المُسلّمات في

the younger brothers." Two of his four sisters, the second and fourth, were married, one of them having done very well, as they said, the other only so-so. The husband of the elder, Lord Haycock, was a very good fellow, but unfortunately a horrid Tory; and his wife, like all good English wives, was worse than her husband. The other had espoused a smallish squire in Norfolk and, though married but the other day, had already five children. This information and much more Lord Warburton imparted to his young American listener, taking pains to make many things clear and to lay bare to her apprehension the peculiarities of English life. Isabel was often amused at his explicitness and at the small allowance he seemed to make either for her own experience or for her imagination. "He thinks I'm a barbarian," she said, "and that I've never seen forks and spoons"; and she used to ask him artless questions for the pleasure of hearing him answer seriously. Then when he had fallen into the trap, "It's a pity you can't see me in my war-paint and feathers," she remarked; "if I had known how kind you are to the poor savages I would have brought over my native costume!" Lord Warburton had travelled through the United States and knew much more about them than Isabel; he was so good as to say that America was the most charming country in the world, but his recollections of it appeared to encourage the idea that Americans in England would need to have a great many things explained to them. "If I had only had you to explain things to me in America!" he said. "I was rather puzzled in your country; in

أمريكا! شعرت بشيء من الحيرة خلال وجودي في بلادك، بالواقع استغربتُ الكثير من الأمور، وما زاد الطين بلّة أن شرح تلك الأمور لم يساهم سوى بزيادة حيرتي واستغرابي. أظن أنهم تعمّدوا في معظم الأحيان تقديم الأجوبة الخاطئة لي، فهم بارعون في هذا المضمار. ولكن فيما يتعلّق بالشرح وبالأجوبة التي أقدمها لكِ، فلا مجال للشك في صحتها وصدقها." لم يكن هناك مجالاً للشك على الأقل فيما يتعلق بكونه رجل على قدر كبير من الذكاء والتمدّن والإطّلاع الواسع على العالم. بالرغم من أن معلوماته وطريقة شرحه للأمور كانت تتسم بقدر كبير من الإثارة والحماس، إلا أن إيزابيل لم تشعر قط بأنه يفعل ذلك من باب التفاخر بالشيء. لقد تسنّى له التمتع بأفضل ما يمكن للحياة توفيره، إلا أن هذا لم يسلبه توازنه. كان طبعه مزيجا من مؤثرات الثراء الواسع. الآتي إليه دونما أي جهد منه! . والتواضع الذي قارب أحيانا السذاجة الطفولية، وكان تأثير ذلك المزيج الساحر أشبه بمذاق لذيذ الطعم بالنسبة لإيزابيل التي لم يفتها وجود، بالإضافة إلى كل ما تقدّم، نوعٍ من المسؤولية الحنونة.

قالت إيزابيل لرالف عند انتهاء زيارة اللورد وربيرتن ومغادرته المنزل: "إنني شديدة الإعجاب بعيّنتك عن الرجل الإنجليزي."

أجاب رالف: "إنني معجب به أنا أيضا، ولكني أرثي لحاله."

رمقته إيزابيل بنظرة مستنكرة. "ما الذي تقوله، يبدو لي أن عيبه الوحيد هو إستحالة المرء الرثاء لحاله، ولو بدرجة قليلة. يبدو أن لديه كل ما يتمنى الإنسان الحصول عليه في هذه الحياة، بالإضافة لمعرفة واسعة في كافة الأمور."

قال رالف بإصرار: "أوه، إنه في وضع لا يُحسد عليه!"

"لا أظن أنك تقصد أنه يعاني من مرض ما؟"

"لا، إنه في أتم الصحة والعافية. ما أقصد قوله أنه رجل صاحب

fact I was quite bewildered, and the trouble was that the explanations only puzzled me more. You know I think they often gave me the wrong ones on purpose; they're rather clever about that over there. But when I explain you can trust me; about what I tell you there's no mistake." There was no mistake at least about his being very intelligent and cultivated and knowing almost everything in the world. Although he gave the most interesting and thrilling glimpses Isabel felt he never did it to exhibit himself, and though he had had rare chances and had tumbled in, as she put it, for high prizes, he was as far as possible from making a merit of it. He had enjoyed the best things of life, but they had not spoiled his sense of proportion. His quality was a mixture of the effect of rich experienced, so easily come by!–with a modesty at times almost boyish; the sweet and wholesome savour of which–it was as agreeable as something tasted–lost nothing from the addition of a tone of responsible kindness.

"I like your specimen English gentleman very much," Isabel said to Ralph after Lord Warburton had gone.

"I like him too–I love him well," Ralph returned. "But I pity him more."

Isabel looked at him askance. "Why, that seems to me his only fault- that one can't pity him a little. He appears to have everything, to know everything, to be everything."

"Oh, he's in a bad way!" Ralph insisted.

"I suppose you don't mean in health?"

"No, as to that he's detestably sound. What I mean is that he's a man with a great position who's playing all sorts of tricks with it. He doesn't take himself seriously."

"Does he regard himself as a joke?"

"Much worse; he regards himself as an imposition–as an abuse."

"Well, perhaps he is," said Isabel.

"Perhaps he is–though on the whole I don't think so. But in that case what's more pitiable than a sentient, self-conscious abuse planted by other hands, deeply rooted but aching with a sense of its injustice? For me, in his place, I could be as solemn as a statue of Buddha. He occupies a position that appeals to my imagination. Great responsibilities, great opportunities, great consideration, great wealth, great power, a natural share in the public affairs of a great country. But he's all in a muddle about himself, his position, his power, and indeed about everything in the world. He's the victim of a critical age; he has ceased to believe in himself and he doesn't know what to believe in. When I attempt to tell him because if I were he I know very well what I should believe in he calls me a pampered bigot. I believe he seriously thinks me an awful Philistine; he says I don't understand my time. I understand it certainly better than he, who can neither abolish himself as a nuisance nor maintain himself as an institution."

مركز إجتماعي رفيع، يستغل ذلك الوضع إلى أبعد حدّ. فهو لا يأخذ نفسه على محمل الجدّ."

"هل يعتبر نفسه إنسانا تافها؟"

"بل أسوأ من ذلك بكثير، فهو يعتبر نفسه عبئا ثقيلا على المجتمع. شخص يُسيء استعمال سلطاته."

قالت إيزابيل: "قد يكون مُحقا في ذلك."

" ربما يكون ذلك صحيحا. علما أنني، بشكل عام، لا أظن ذلك. ولكن في مثل تلك الحالة ماذا يمكن أن يكون أكثر إثارة للشفقة من إحساس واعٍ خجول بإساءة إستعمال السلطة، مُرسّخا، بأيدٍ أخرى، عميق الجذور، لكّنه رازح تحت إحساس بجوره؟ بالنسبة لي لو كنت مكانه، لتصرّفت بشكل بمنتهى الوقار والمهابة المحاكيان لوقار ومهابة تمثال بوذا. يتمتع بمركز اجتماعي مرموق ما يوفّر له فرصا، واعتبارات، وثراء، وسلطة ودورا طبيعيا للمشاركة في الشؤون العامة في بلاد عظيمة الشأن. لكنه، بدلا من ذلك، غارق في دوّامة بالنسبة لنفسه، ومركزه، وسلطته، وطبعا سائر ما يحصل من حوادث في هذا العالم. إنه ضحية عصر انتقادي؛ فقدَ ثقته بنفسه ولم يعد يعرف بما يمكنه الوثوق. وحين أحاول إرشاده للطريق الصحيح (لأنه لو كنت مكانه لعرفت بالضبط ما يمكنني الوثوق به) ينعتني بالمُتعصّب المُدلّل. أظن أنه يعتقد فعلا أنني مجرّد شخص محافظ متعلّق بكسل بكل ما هو قديم وبأنني لا أماشي عصري. إنني قطعا أفهم الوضع بشكل أفضل مما يفعل، فهو لا يستطيع إلغاء نفسه كعبء ثقيل على المجتمع ولا الدفاع عن نفسه كفرد منتمٍ لمؤسسة إجتماعية ذات نمط منظّم راسخ الجذور ومعدود جزءا أساسياً من الثقافة الإنجليزية."

قالت إيزابيل : "لا يبدو عليه أنه رجل بائس جدا ."

"ربما، ولكن أظن أنه يمر في بعض الأحيان بفترات عصيبة نظرا لكونه رجلا ذو طبع مرهف وفاتن. ولكن كيف التعامل مع رجل غير بائس يتمتع بما يتمتع به من رغد العيش؟ علما أنني أظن أنه بائس فعلا."

قالت إيزابيل : "أنتَ مخطئ."

أجاب إبن خالتها : "حسنا، إذا كان فعلا رجلا غير بائس، يجدر به أن يكون كذلك!"

أمضت حوالي الساعة عصر ذلك اليوم في أرجاء المخضرة برفقة زوج خالتها، الجالس كعادته في كرسيه والشال ملفوف حول قدميه، ممسكا بيده فنجانه الشاي الكبير الحجم. سألها في معرض حديثه معها عن رأيها الشخصي بزائرهم الأخير.

كانت إيزابيل حاسمة في إجابتها. "أظن أنه رجل ساحر."

قال السيد توشيت : "لا شك أنه شخص لطيف، ولكن لا أنصحك بالوقوع في حبه."

"إذن سأتحاشى حصول مثل ذلك الأمر، ولن أقع في حب أي شخص إلا وفق توصياتك. من ناحية ثانية، قدّم لي إبن خالتي تقريرا سلبيا عن اللورد وربيرتن."

"حقا؟ لا أعرف ما يمكنه قوله لك من هذه الناحية، ولكن تذكّري حاجة رالف للثرثرة."

قالت إيزابيل : "يظن أن صديقك ذو نزعة تدميرية. أوليست تدميرية بما فيه الكفاية؟! لم أفهم أي من الوصفين يقصد بحديثه عنه."

هزّ الرجل المسن رأسه قليلا مبتسما بعدما وضع فنجانه الشاي جانبا. "لا أفهم ذلك أنا ايضا. يذهب بعيدا في التشبّث بآرائه، ولكن من المحتمل

"He doesn't look very wretched," Isabel observed.

"Possibly not; though, being a man of a good deal of charming taste, I think he often has uncomfortable hours. But what is it to say of a being of his opportunities that he's not miserable? Besides, I believe he is."

"I don't," said Isabel.

"Well," her cousin rejoined, "if he isn't he ought to be!"

In the afternoon she spent an hour with her uncle on the lawn, where the old man sat, as usual, with his shawl over his legs and his large cup of diluted tea in his hands. In the course of conversation he asked her what she thought of their late visitor.

Isabel was prompt. "I think he's charming."

"He's a nice person," said Mr. Touchett, "but I don't recommend you to fall in love with him."

"I shall not do it then; I shall never fall in love but on your recommendation. Moreover," Isabel added, "my cousin gives me rather a sad account of Lord Warburton."

"Oh, indeed? I don't know what there may be to say, but you must remember that Ralph must talk."

"He thinks your friend's too subversive-or not subversive enough! I don't quite understand which," said Isabel.

The old man shook his head slowly, smiled and put down his cup. "I don't know which either. He goes very far,

جدا أنه لا يذهب بعيدا بما يكفي. يبدو أنه راغب بتغير عدد لا بأس به من الأوضاع القائمة، ولكن مع الاحتفاظ بشخصيته كما هي دونما أي تبديل. أظن أن ذلك أمرٌ طبيعيٌ بالرغم من كونه متناقض بعض الشيء.»

قالت إيزابيل: «أوه، أرجو أن يبقى كما هو، فلو طرأ أي تبدّل على شخصيته سيشعر أصدقاؤه وكأنهم فقدوا شخصا عزيزا جدا على قلبهم.»

قال الرجل المسنّ: «أظن أنه لن يتغير وسيبقى مصدر تسلية لأصدقائه. لا شك أنني سأفتقده كثيرا هنا في غاردينكورت. فلطالما كان يُسليني حين يأتي إلى هنا، كما أظن أنه كان يُسلّي نفسه في الوقت ذاته. يشهد المجتمع هذه الأيام العديد من الأشخاص الذين هم على شاكلته، ويُعتبرون متماشين مع النمط العصري في معالجة القضايا الوطنية. لا أعلم بالضبط ما يحاولون تحقيقه ـ ما إذا كانوا يحاولون القيام بثورة. أتمنى بمطلق الأحوال تأجيل ذلك إلى بعد رحيلي. إنهم يرغبون بتغير جوهري في النظام القائم، ولكني أنا أحد كبار المالكين في هذه البلاد ولا أرغب بأن يطرأ أي تبدّل على نمط حياتي. ما كنت أتيتُ إلى هنا لو ظننتُ أنهم سيتصرفون على هذا النحو.

«جئتُ إلى هذه البلاد اعتقادا مني أن إنجلترا بلد آمن. سأعتبر إدخال أي نوع من التغييرات الأساسية في نظام البلاد عملا على درجة كبيرة من الاحتيال والمخادعة، وسيصاب العديد من الناس بخيبة أمل كبيرة نتيجة ذلك.» تابع الرجل المسنّ قائلا بمرح متزايد.

صاحت إيزابيل قائلة: «أوه كم أتمنى إندلاع ثورة هنا! لا شك سيكون هذا أمرا مثيرا للغاية.»

قال زوج خالتها ممازحا: «لحظة، لم أعد أذكر ما إذا كنتِ تساندين الجبهة القديمة أم الحديثة. سمعتُ أنك متناقضة الآراء والمعتقدات.»

but it's quite possible he doesn't go far enough. He seems to want to do away with a good many things, but he seems to want to remain himself. I suppose that's natural, but rather inconsistent."

"Oh, I hope he'll remain himself," said Isabel. "If he were to be done away with his friends would miss him sadly."

"Well," said the old man, "I guess he'll stay and amuse his friends. I should certainly miss him very much here at Gardencourt. He always amuses me when he comes over, and I think he amuses himself as well. There's a considerable number like him, round in society; they're very fashionable just now. I don't know what they're trying to do- whether they're trying to get up a revolution. I hope at any rate they'll put it off till after I'm gone. You see they want to disestablish everything; but I'm a pretty big landowner here, and I don't want to be disestablished. I wouldn't have come over if I had thought they were going to behave like that," Mr. Touchett went on with expanding hilarity. "I came over because I thought England was a safe country. I call it a regular fraud if they are going to introduce any considerable changes; there'll be a large number disappointed in that case."

"Oh, I do hope they'll make a revolution!" Isabel exclaimed "I should delight in seeing a revolution."

"Let me see," said her uncle, with a humorous intention; "I forget whether you're on the side of the old or on the side of the new. I've heard you take such opposite views."

"إنني أساند الجبهتين. أظن أنني أميل قليلا إلى كافة الآراء والمعتقدات على أنواعها. بالنسبة للثورة، عقب إنطلاقها بفترة ليست بالقصيرة، أظن يجدر بي أن أكون من حزب الموالين. فالمرء يميل إليهم أكثر من الجبهة الأخرى، كما أن أمامهم فرصة للتصرّف بشكل مُتقن للغاية. أقصد القول بشكل مثير للصور الذهنية."

"لا أفهم ما تقصدين بقولك التصرّف بشكل مثير للصور الذهنية، ولكن يبدو لي يا عزيزتي أنك تتصرفين على هذا النحو بشكل دائم."

قاطعته الفتاة قائلة: "أوه يا لك من رجل رائع، كم أتمنى تصديق ما تقوله!"

تابع السيد توشيت قائلا: "أخشى برغم كل شيء أنه لن تتسنّى لك فرصة التوجّه بشكل لبق إلى المِقصلة هنا في الوقت الحاضر. فاذا كنتِ ترغبين برؤية اندلاع ثورة عارمة يتوجّب عليك البقاء معنا فترة طويلة. إذ حين تصلين فعلا إلى صميم الموضوع فلن يكون من الملائم لهم تصديق أقوالهم حرفيا."

"مَن تقصد بكلامك؟"

"حسناً، أقصد اللورد وربيرتن وأصدقاءه ـ راديكاليو الطبقة العليا في المجتمع. طبعا أتحدث من منطلق نظرتي الشخصية لهذا الواقع. يتحدثون عن التغيير، ولكن لا أظن أنهم يدركون فعلا ما يتكلمون عنه. أنا وأنتِ نعلم تماما ما معنى العيش في كنف مؤسسات ديمقراطية، لطالما اعتبرتها مريحة جدا، ولكن اعتدت عليها منذ البداية. ومن ناحية ثانية لستُ بنبيل إنجليزي وأنتِ يا عزيزتي لست بسيدة ذات سلطة ملكية أو إقطاعية. لا أظن أنهم هنا يفقهون فعلا ما يطالبون به. فالديمقراطية مسألة تُمارس بشكل يومي وعلى مدار الساعة، ولا أظن أن الغالبية الكبرى منهم

"I'm on the side of both. I guess I'm a little on the side of everything. In a revolution–after it was well begun–I think I should be a high, proud loyalist. One sympathizes more with them, and they've a chance to behave so exquisitely. I mean so picturesquely."

"I don't know that I understand what you mean by behaving picturesquely, but it seems to me that you do that always, my dear."

"Oh, you lovely man, if I could believe that!" the girl interrupted.

"I'm afraid, after all, you won't have the pleasure of going gracefully to the guillotine here just now," Mr. Touchett went on. "If you want to see a big outbreak you must pay us a long visit. You see, when you come to the point it wouldn't suit them to be taken at their word."

"Of whom are you speaking?"

"Well, I mean Lord Warburton and his friends–the radicals of the upper class. Of course I only know the way it strikes me. They talk about the changes, but I don't think they quite realize. You and I, you know, we know what it is to have lived under democratic institutions: I always thought them very comfortable, but I was used to them from the first. And then I ain't a lord; you're a lady, my dear, but I ain't a lord. Now over here I don't think it quite comes home to them. It's a matter of every day and every hour, and I don't think many of them would find it as

ستستسيغ كثيرا مثل ذلك الوضع مقارنة مع ما تتمتع به الآن. طبعا، في حال رغبوا بالتجربة الديمقراطية، فهذا شأنهم، ولكنني أتوقع أن محاولاتهم في هذا المضمار ستكون فاترة.»

سألت إيزابيل: «ألا تظن أنهم صادقون في دعوتهم؟»

قال السيد توشيت: «بالواقع يريدون أن يشعروا بأنهم صادقين فيما يدعون إليه. فمعتقداتهم الراديكالية هي نوع من التسلّية بالنسبة لهم، فهم بحاجة ماسة لممارسة نوع من أنواع التسلية، وقد كان بإمكانهم اختيار مسائل وقضايا أكثر فظاظة من هذا. كما تعلمين لديهم أذواق مُترفة للغاية وما هذه الأفكار التقدّمية سوى شكل من أشكال الترف المفضّلة لديهم. إنّها تجعلهم يشعرون على مستوى رفيع من الأخلاق الحميدة، وفي الوقت نفسه لا تُشكّل خطرا مباشرا على مراكزهم الاجتماعية. إعلمي أنهم يعلّقون أهمية كبرى على مراكزهم الاجتماعية، وإياكِ أن تدعي أيًا كان يقنعك بعكس ذلك، لإنه إذا فعلت وتصرفت على هذا الأساس فإنك ستُهزمين خلال فترة قصيرة جدا.»

تابعت إيزابيل بكثير من الإنتباه وجهة نظرة زوج خالتها التي عرضها عليها بشكل تدريجي وبأسلوبه الجلي الجذّاب المُتميّز، وبالرغم من عدم معرفتها بالأرستقراطية البريطانية إلا أنها وجدتها متلائمة مع فكرتها العامة عن الطبيعة الإنسانية. ولكنها شعرت بدافع قوي للاعتراض والوقوف إلى جانب اللورد وربيرتن. «لا أظن أن اللورد وربيرتن رجل مخادع. لا أكترث البتة بموقف الآخرين. أرغب باختبار صدقية اللورد وربيرتن بالنسبة للمبادئ التي يُطالب بها.»

أجاب السيد توشيت: «لينقذنا الرب من أصدقائنا! اللورد وربيرتن شاب ودود جدا - هو رجل لا غبار عليه البتّة. يبلغ دخله السنوي مائة ألف باوند، ويملك خمسين ألف أيكر من أراضي هذه الجزيرة الصغيرة

pleasant as what they've got. Of course if they want to try, it's their own business; but I expect they won't try very hard."

"Don't you think they're sincere?" Isabel asked.

"Well, they want to feel earnest," Mr. Touchett allowed; "but it seems as if they took it out in theories mostly. Their radical views are a kind of amusement; they've got to have some amusement, and they might have coarser tastes than that. You see they're very luxurious, and these progressive ideas are about their biggest luxury. They make them feel moral and yet don't damage their position. They think a great deal of their position; don't let one of them ever persuade you he doesn't, for if you were to proceed on that basis you'd be pulled up very short."

Isabel followed her uncle's argument, which he unfolded with his quaint distinctness, most attentively, and though she wag unacquainted with the British aristocracy she found it in harmony with her general impressions of human nature. But she felt moved to put in a protest on Lord Warburton's behalf. "I don't believe Lord Warburton's a humbug; I don't care what the others are. I should like to see Lord Warburton put to the test."

"Heaven deliver me from my friends!" Mr. Touchett answered. "Lord Warburton's a very amiable young man–a very fine young man. He has a hundred thousand a year. He owns fifty thousand acres of the soil of this little island and

بالإضافة إلى العديد من العقارات الأخرى. لديه نصف دزينة من المنازل للعيش فيها، ومقعد دائم في مجلس النواب ويتميّز بذوق رفيع. فهو يهتم بالآداب، والفن، والعلوم والشابات الجميلات. ولكن، آراؤه الحديثة هي الأكثر إثارة في ذوقه المرهف هذا، إذ توفّر له مصدراً وافراً من البهجة. يفوق ربما كل شيء آخر، باستثناء اهتمامه بالشابات الجميلات. منزله القديم هناك - ماذا يُسمّيه، لوكليغ؟ - جذّاب جدا، ولكن لا أظنه بجمال وروعة هذا المنزل. هذا أمر غير هام نسبيا، فلديه العديد من المنازل الأخرى. إنَّ مبادءه لا تؤذي أحداً على ما أظن، قطعا لا تؤذيه هو شخصيا. وفي حال حصول ثورة فلن يتأذى منها كثيرا، لن يتعرّضوا له بل سيتركوه وشأنه نظراً لمكانته الرفيعة بينهم.

قالت إيزابيل بنبرة حزينة: "أوه لن يتسنّى له أن يكون شهيدا حتى ولو رغب في ذلك! هذا وضع مؤسف للغاية."

قال الرجل المسنّ: "لن يكون شهيدا ما لم تجعليه أنتِ كذلك."

هزّت إيزابيل برأسها؛ قد يكون هناك شيء ما مثير للضحك بالنظر في حركة رأسها الدالة على نوع من الحزن. "لن أجعل أبدا من أي إنسان شهيدا."

"أتمنى ألّا تصبحي أنتِ شهيدة."

"آمل ذلك. ولكنك لا ترثي لحال اللورد وربيرتن كما يفعل رالف؟"

قال زوج خالتها وهو يرمقها بنظرة لطيفة: "بل أفعل."

ever so many other things besides. He has half a dozen houses to live in. He has a seat in Parliament as I have one at my own dinner-table. He has elegant tastes–cares for literature, for art, for science, for charming young ladies. The most elegant is his taste for the new views. It affords him a great deal of pleasure–more perhaps than anything else, except the young ladies. His old house over there–what does he call it, Lockleigh?–is very attractive; but I don't think it's as pleasant as this. That doesn't matter, however–he has so many others. His views don't hurt any one as far as I can see; they certainly don't hurt himself. And if there were to be a revolution he would come off very easily. They wouldn't touch him, they'd leave him as he is: he's too much liked."

"Ah, he couldn't be a martyr even if he wished!" Isabel sighed. "That's a very poor position."

"He'll never be a martyr unless you make him one," said the old man.

Isabel shook her head; there might have been something laughable in the fact that she did it with a touch of melancholy. "I shall never make any one a martyr."

"You'll never be one, I hope."

"I hope not. But you don't pity Lord Warburton then as Ralph does?

Her uncle looked at her a while with genial acuteness. "Yes, I do, after all!"

Chapter Nine

The two Misses Molyneux, this nobleman's sisters, came presently to call upon her, and Isabel took a fancy to the young ladies, who appeared to her to show a most original stamp. It is true that when she described them to her cousin by that term he declared that no epithet could be less applicable than this to the two Misses Molyneux, since there were fifty thousand young women in England who exactly resembled them. Deprived of this advantage, however, Isabel's visitors retained that of an extreme sweetness and shyness of demeanour, and of having, as she thought, eyes like the balanced basins, the circles of "ornamental water," set, in parterres, among the geraniums.

"They're not morbid, at any rate, whatever they are," our heroine said to herself; and she deemed this a great charm, for two or three of the friends of her girlhood had been regrettably open to the charge they would have been so nice without it, to say nothing of Isabel's having occasionally suspected it as a tendency of her own. The Misses Molyneux were not in their first youth, but they had bright, fresh complexions and something of the smile of childhood. Yes, their eyes, which Isabel admired, were round, quiet and contented, and their figures, also of a generous roundness, were encased in sealskin jackets. Their friendliness was great, so great that they were almost embarrassed to show it; they seemed somewhat afraid of the young lady from the other side of the world and rather looked than spoke their good wishes. But they made it clear to her that they hoped she

الفصل التاسع

قامت الآنستين مولينو، شقيقتا ذلك الرجل النبيل، بزيارة إيزابيل، التي أعجِبت كثيرا بالآنستين الشابتين، اللتان بدتا لها أنهما تتمتعان بصبغة أصيلة. صحيح أنه حينما وصفتهما على هذا النحو لإبن خالتها، علّق الأخير بالقول أنّ ذلك اللقب أبعد ما يكون عن الواقع فيما يتعلق بالآنستين موليتز، نظرا لوجود ما يقارب الخمسين ألف شابة في إنجلترا لا يختلفن إطلاقا عنهما. بالرغم من تجريدهما من هذه المِزية، إحتفظت زائرتي إيزابيل بمزية سلوك وتصرّف في منتهى الرقّة والخجل، وبتميّزهما بعينين أشبه بحوض متوازن، دوائر من "المياه الزينية"، موضوعة بين رياض من أزهار إبرة الراعي.

قالت بطلتنا بينها وبين نفسها: "على أية حال، مهما كان وضعهما فإنهما ليستا كئيبتين إلى حد غير سوّي." وقد اعتبرت ذلك حسنة مثالية، إذ أن إثنتين أو ثلاث من صديقات طفولتها كانتا وبكل أسف عُرضة لمثل تلك الصفة غير المحببة (كانتا ستكونان بغاية اللطف لولا وجود تلك الصفة فيهما)، هذا فضلا عن شكوك إيزابيل بوجود تلك الصفة فيها. لم تكن الآنستين مولينو في مقتبل العمر، إلا أنهما كانتا تتميّزان ببشرة متألقة نضرة وشيء يُحاكي ضحكة الطفولة. نعم، عيناهما اللتان أثارتا إعجاب إيزابيل، كانتا مستديرتين، وهادئتين وراضيتين، وجسمهما المستدير المائل إلى السمنة مُغطّى بسترات من جِلد الفقمة. كان ودّهما رائعا وصادقا لدرجة كادتا تُشعران بالخجل من إظهاره، بدتا وكأنهما خائفتان من السيدة الشابة الآتية من المقلب الآخر من العالم. ولكنهما نجحتا بالتعبير لها بكل وضوح عن رغبتهما الصادقة بأن تقبل دعوتهما لمأدبة غداء في لوكليغ،

حيث تقيمان مع شقيقهما، ما سيتيح لهما رؤيتها مرارا وتكرارا. تسآلتا ما إذا كان بإمكانها المجيء إلى منزلهما لقضاء بضعة أيام بضيافتهما، فهما تتوقعان وصول بعض الضيوف في التاسع والعشرين من الشهر الجاري، وبالتالي ربما يمكنها المجيء خلال وجود أولئك الضيوف عندهم.

قالت الشقيقة الكبرى: "أخشى أنهم مجرد مجموعة عادية من الأشخاص، ولكن أتجرأ وأقول عليكِ أن تتقبّلينا كما تجدينا."

"سأجد متعة في مصادقتكما، أظن أنكما رائعتين كما أنتما." أجابت إيزابيل المعتادة على الإطراء المُسرف.

علت حمرة الخجل وجنتي ضيفتيها؛ أخبرها إبن خالتها عقب مغادرة الضيوف المنزل أنه إذا تفوّهت بمثل هذا الأسلوب من الإطراء، فستظن الفتاتان المسكينتان أنها وبطريقة مجنونة لامبالية تتدرّب عليهما لاستخدام ذلك النوع من الإطراء على أشخاص آخرين، مضيفا أنه واثق أنها المرة الأولى التي سمعتا أنهما فتاتان رائعتان.

"لا يمكنني تمالك نفسي عن التصريح بإعجابي الكبير بهما. أظن أنه لأمر رائع أن يكون المرء على ذلك القدر من السكينة والإعتدال والقناعة الذاتية. كم أتمنى لو يتسنّى لي أن أكون كذلك."

"لا سمح الله!" صاح رالف بحرارة.

قالت إيزابيل: "أقصد القول سأحاول تقليدهما، أرغب جدا بزيارتهما في منزلهما."

أتيح لها تحقيق رغبتها تلك بعد مرور بضعة أيام على هذا الحديث، حيث توجهت إلى لوكليغ برفقة رالف ووالدته. وجدت الآنستين مولينو جالستين في غرفة إستقبال فسيحة (تبيّن لها لاحقا أنها مجرّد واحدة من عدد لا بأس به من غرف الإستقبال داخل ذلك المنزل) مُزيّنة بوفرة بالقماش القطني

would come to luncheon at Lockleigh, where they lived with their brother, and then they might see her very, very often. They wondered if she wouldn't come over some day and sleep: they were expecting some people on the twenty-ninth, so perhaps she would come while the people were there.

"I'm afraid it isn't any one very remarkable," said the elder sister; "but I dare say you'll take us as you find us."

"I shall find you delightful; I think you're enchanting just as you are," replied Isabel, who often praised profusely.

Her visitors flushed, and her cousin told her, after they were gone, that if she said such things to those poor girls they would think she was in some wild, free manner practising on them: he was sure it was the first time they had been called enchanting.

"I can't help it," Isabel answered. "I think it's lovely to be so quiet and reasonable and satisfied. I should like to be like that."

"Heaven forbid!" cried Ralph with ardour.

"I mean to try and imitate them," said Isabel. "I want very much to see them at home."

She had this pleasure a few days later, when, with Ralph and his mother, she drove over to Lockleigh. She found the Misses Molyneux sitting in a vast drawing-room (she perceived afterwards it was one of several) in a wilderness of faded chintz; they were dressed on this occasion in black

velveteen. Isabel liked them even better at home than she had done at Gardencourt, and was more than ever struck with the fact that they were not morbid. It had seemed to her before that if they had a fault it was a want of play of mind; but she presently saw they were capable of deep emotion. Before luncheon she was alone with them for some time, on one side of the room, while Lord Warburton, at a distance, talked to Mrs. Touchett.

"Is it true your brother's such a great radical?" Isabel asked. She knew it was true, but we have seen that her interest in human nature was keen, and she had a desire to draw the Misses Molyneux out.

"Oh dear, yes; he's immensely advanced," said Mildred, the younger sister.

"At the same time Warburton's very reasonable." Miss Molyneux observed.

Isabel watched him a moment at the other side of the room; he was clearly trying hard to make himself agreeable to Mrs. Touchett. Ralph had met the frank advances of one of the dogs before the fire that the temperature of an English August, in the ancient expanses, had not made an impertinence. "Do you suppose your brother's sincere?" Isabel enquired with a smile.

"Oh, he must be, you know!" Mildred exclaimed quickly, while the elder sister gazed at our heroine in silence.

"Do you think he would stand the test?"

المُطبّع الباهت اللون، مرتديتين لهذه المناسبة أثوابا من المخمل القطني الأسود اللون. إزداد إعجاب إيزابيل بهما وهما داخل منزلهما عما شعرت به تجاههما وهي تستقبلهما في غاردينكورت، كما إزداد إعجابها أكثر من أي وقت مضى بكونهما غير بائستي المظهر. فقد بدا لها قبل الآن أنه إذا ما كانتا تفتقران لشيء فهو افتقارهما لذهنية متّقدة، ولكنها سرعان ما تبيّن لها أنهما قادرتان على إظهار عاطفة عميقة. فقد تسنّى لها قبل موعد الغداء بوقت قصير الإنفراد بهما لبعض الوقت في إحدى زوايا الغرفة، بينما كان اللورد وربيرتن على بُعد مسافة قصيرة منهن منهمكا بالحديث مع السيدة توشيت.

سألت إيزابيل: "هل صحيح ما يُقال أن شقيقكما راديكالي متحمّس؟" كانت تعرف أنه كذلك، ولكننا رأينا إهتمامها الحاد بالطبيعة البشرية، وبالتالي كانت ترغب بإثارة مشاعر الآنستين مولينو.

قالت ميلدريد، الشقيقة الصغرى: "آه يا إلهي، نعم هذا صحيح، فهو راديكالي متحمّس جدا."

علّقت الآنسة مولينو قائلة: "ولكن في الوقت نفسه وربيوتن معتدل جدا."

راقبته إيزابيل للحظة وهو في الجهة المقابلة من الغرفة؛ كان واضحا جدا أنه يحاول جاهدا الفوز باستحسان السيدة توشيت. وكان رالف قد أرضى تودّد أحد الكلبين الجاثم قبالة نار الموقد التي تحولّت بسبب حرارة شهر آب الإنجليزي وسط ذلك المُنفسح القديم إلى وضع مزعج. "هل تعتبرين شقيقك رجلا صادقا؟"

صاحت ميلدريد بسرعة، بينما حدّقت الشقيقة الكبرى ببطلتنا بصمت: "أوه، لا بد وأن يكون كذلك، كما تعرفين!"

"هل تظنين أنه سينجح في الإختبار؟"

"الإختبار؟"

"أقصد على سبيل المثال إضطراره للتخلّي عن كل هذا؟"

"إضطراره للتخلّي عن لوكليغ؟" قالت الآنسة مولينو بصعوبة.

"نعم، والأملاك الأخرى، ما اسمها؟"

تبادلت الشقيقتين نظرات قاربت أن تكون نظرات خوف ورهبة. "هل تقصدين. هل تقصدين لتسديد المصاريف؟" سألت الشقيقة الصغرى.

قالت الأخرى: "يمكنني القول أنه قد يتخلّى عن منزل أو منزلين من المنازل التي يمكلها."

سألت إزابيل: "أيتخلى عنها مقابل لا شيء؟"

قالت الآنسة مولينو: "لا يمكنني تصوّر تخلّيه عن أملاكه."

أجابت إيزابيل: "آه، أخشى أن يكون مخادعا! ألا تعتقدان أن مركزه يحوفه الخداع؟"

سألت الآنسة مولينو: بدا واضحا أن رفيقتاها قد فقدتا كامل قدرتهما على تمالك نفسهما. "مركز شقيقي؟"

قالت الشقيقة الصغرى: "يُعتبر ذلك المركز من أرفع المراكز في هذا الجزء من البلاد."

"أظن أنكما تعتبرانني لا أكن ما يكفي من الإحترام للآخرين. أعتقد أنكما تكنّان إحتراما كبيرا لشقيقكما يكاد يقارب حدود الخوف منه." إنتهزت إيزابيل هذه المناسبة لقول هذه الملاحظة.

قالت الآنسة مولينو ببساطة: "طبعا يتوجّب على المرء إعتبار شقيقه مثالاً يُحتذى به."

"إذا كنتما تفعلان ذلك، فلا بد أن يكون شخصا كريما جدا. لأنه يبدو

"The test?"

"I mean for instance having to give up all this."

"Having to give up Lockleigh?" said Miss Molyneux, finding her voice.

"Yes, and the other places; what are they called?"

The two sisters exchanged an almost frightened glance. "Do you mean- do you mean on account of the expense?" the younger one asked.

"I dare say he might let one or two of his houses," said the other.

"Let them for nothing?" Isabel demanded.

"I can't fancy his giving up his property," said Miss Molyneux.

"Ah, I'm afraid he is an impostor!" Isabel returned. "Don't you think it's a false position?"

Her companions, evidently, had lost themselves. "My brother position?" Miss Molyneux enquired.

"It's thought a very good position," said the younger sister. "It's the first position in this part of the country."

"I dare say you think me very irreverent," Isabel took occasion to remark. "I suppose you revere your brother and are rather afraid of him."

"Of course one looks up to one's brother," said Miss Molyneux simply.

"If you do that he must be very good–because you,

evidently, are beautifully good."

"He's most kind. It will never be known, the good he does."

"His ability is known," Mildred added; "every one thinks it's immense."

"Oh, I can see that," said Isabel. "But if I were he I should wish to fight to the death: I mean for the heritage of the past. I should hold it tight."

"I think one ought to be liberal," Mildred argued gently. "We've always been so, even from the earliest times."

"Ah well," said Isabel, "you've made a great success of it; I don't wonder you like it. I see you're very fond of crewels."

When Lord Warburton showed her the house, after luncheon, seemed to her a matter of course that it should be a noble picture. Within, it had been a good deal modernized–some of its best points had lost their purity; but as they saw it from the gardens, a stout grey pile, of the softest, deepest, most weather-fretted hue, rising from a broad, still moat, it affected the young visitor as a castle in a legend. The day was cool and rather lustreless; the first note of autumn had been struck, and the watery sunshine rested on the walls in blurred and desultory gleams, washing them, as it were, in places tenderly chosen, where the ache of antiquity was keenest. Her host's brother, the Vicar, had come to luncheon, and Isabel

واضحا أنكما إنسانتان رائعتان. "

"إنه رجل لطيف جدا. ستبقى الكثير من أعماله الحسنة أمرا مجهولا. "

أضافت ميلدريد: "قدرته وبراعته معروفة لدى الجميع، يعتبرونه شخصا لا حدود لقدراته. "

قالت إيزابيل: "أوه، هذا واضح تماما بالنسبة لي. لكن لو كنت مكانه لكنت تمنّيت القتال حتى الموت، أقصد النضال في سبيل تراث الماضي. كنتُ تشبّثت بذلك بكل قواي. "

أوضحت ميلدريد بلطف: "أظن يجدر بالمرء أن يكون ليبراليا، لقد اتّبعنا هذا النهج دائما ومنذ زمن بعيد. "

قالت إيزابيل: " يبدو أنكما أبليتما بلاء حسنا في ذلك، وبالتالي لا يمكنني اعتبار إعجابكما بهذا المبدأ مفاجأة لي. كما تبيّن لي أنكما مُغرمتان بفن التطريز. "

توقعت إيزابيل حين اصطحبها اللورد وربيرتن في جولة حول المنزل، أن يكون ذلك المكان تجسيدا للنبالة الإنجليزية بكل ما في الكلمة من معنى. كانت أعمال التحديث الظاهرة بوضوح داخل المنزل قد سلبت منه بعض صفائه، ولكن لدى مشاهدتها ذلك المنزل من الخارج وهما بين حدائقه الواسعة، شاهدت دعامة متينة رمادية من تدرّج الألوان في أبهى أشكاله، مرتفعة بالقرب من خندق مائي عميق وساكن، ما جعل الزائرة الشابة تشعر وكأنها أمام حصن قديم إسطوري. كان طقس ذلك النهار يميل إلى البرودة مع قدوم أوّل أيام فصل الخريف، وانعكست أشعة الشمس الهزيلة على الجدران بومضات ضبابية عابرة، وكأنها تغسلها في أماكن مختارة حيث كآبة العصور القديمة كانت على أشدّها. كان الكاهن، شقيق

had had five minutes' talk with him–time enough to institute a search for a rich ecclesiasticism and give it up as vain. The marks of the Vicar of Lockleigh were a big, athletic figure, a candid, natural countenance, a capacious appetite and a tendency to indiscriminate laughter. Isabel learned afterwards from her cousin that before taking orders he had been a mighty wrestler and that he was still, on occasion–in the privacy of the family circle as it were–quite capable of flooring his man. Isabel liked him–she was in the mood for liking everything; but her imagination was a good deal taxed to think of him as a source of spiritual aid. The whole party, on leaving lunch, went to walk in the grounds; but Lord Warburton exercised some ingenuity in engaging his least familiar guest in a stroll apart from the others.

"I wish you to see the place properly, seriously," he said. "You can't do so if your attention is distracted by irrelevant gossip." His own conversation though he told Isabel a good deal about the house, which had a very curious history was not purely archaeological; he reverted at intervals to matters more personal–matters personal to the young lady as well as to himself. But at last, after a pause of some duration, returning for a moment to their ostensible theme, "Ah, well," he said, "I'm very glad indeed you like the old barrack. I wish you could see more of it–that you could stay here a while. My sisters have taken an immense fancy to you–if that would be any inducement."

"There's no want of inducements," Isabel answered; "but I'm afraid I can't make engagements. I'm quite in my aunt's hands."

المُضيف من بين ضيوف مأدبة الغداء، وقد تسنّى لإيزابيل التحدث معه حوالي خمس دقائق. كانت كافية لتُظهر لها أن بحثهاعن تعلّق متطرّف بالمبادئ والطقوس الكَنسية لديه كان عبثا. كان كاهن لوكليغ رجلا طويل القامة، ضخم الجثة، ذو قسمات وجه صريحة، وشهية كبيرة للطعام وميل للضحك غير المُقيّد. علِمَت إيزابيل لاحقا من إبن خالتها أنه قبل سيامته كاهنا، كان مصارعا بارعا وأنه ما زال في بعض المناسبات يمارس هوايته هذه بين أفراد الأسرة. أعجِبَت إيزابيل به. فقد كانت بمزاج الإعجاب بكل شيء؛ ولكن خيالها كان يفرض عليها إعتباره كمصدر من الإعانة الإلهية. ذهب جميع المدعوين عقب انتهاء وجبة الغداء في نزهة في أرجاء الحدائق المحيطة بالمنزل، إلا أن اللورد وربيرتن تمكّن، بممارسة نوعٍ من المناورة، الإستئثار بنزهة بعيدة عن الآخرين.

قال: "أريدكِ بأن تشاهدي المكان بشكل صحيح وجدّي، ولا يمكنك القيام بذلك إذا ما تحوّل إنتباهك إلى الحديث غير الهام الدائر بقربك." إن حديثه، بالرغم من أنه كشف لإيزابيل الكثير من المعلومات التاريخية المثيرة، لم يكن مجرّد سردٍ آثاري، فقد كان يرتدّ بين الحين والآخر إلى أمور شخصية، بالنسبة للفتاة الشابة وكذلك بالنسبة له. ولكن أخيرا وبعد فترة صمت عاد إلى موضوعه الأساسي المزعوم، قال: "حسنا، إنني سعيد جداً لإعجابك بالبناء القديم. أتمنى لو يتسنّى لكِ رؤية المزيد منه بالبقاء هنا بعض الوقت. لقد نلتِ إعجاب شقيقتيّ إلى حد كبير إذا كان ذلك يمكن أن يكون دافعا كافيا لكِ للبقاء هنا لفترة قصيرة."

أجابت: "لا حاجة لاختلاق الحوافز، ولكن أخشى أنّهُ لا يمكنني التصرّف بملء حريتي، فأوقاتي مرهونة برغبات خالتي."

"Ah, pardon me if I say I don't exactly believe that. I'm pretty sure you can do whatever you want."

"I'm sorry if I make that impression on you; I don't think it's a nice impression to make."

"It has the merit of permitting me to hope." And Lord Warburton paused a moment.

"To hope what?"

"That in future I may see you often."

"Ah," said Isabel, "to enjoy that pleasure I needn't be so terribly emancipated."

"Doubtless not; and yet, at the same time, I don't think your uncle likes me."

"You're very much mistaken. I've heard him speak very highly of you."

"I'm glad you have talked about me," said Lord Warburton. "But, I nevertheless don't think he'd like me to keep coming to Gardencourt."

"I can't answer for my uncle's tastes," the girl rejoined, "though I ought as far as possible to take them into account. But for myself I shall be very glad to see you."

"Now that's what I like to hear you say. I'm charmed when you say that."

"You're easily charmed, my lord," said Isabel.

"No, I'm not easily charmed!" And then he stopped a moment. "But you've charmed me, Miss Archer."

"اعذريني، ولكن لا يمكنني تصديق ما تقولينه. إنني واثق أنه يمكنك التصرّف كما تشائين."

"يؤسفني أني تركت لديك مثل هذا الإنطباع، لا أظن أنه إنطباعٌ حسن."

"بل يتميّز بحسنة إتاحة المَجال لي للأمل." صمت اللورد وربيرتن للحظة.

"الأمل بماذا؟"

"بأن يتسنى لي رؤيتك في المستقبل."

"آه، لا حاجة بي للتحرّر كثيرا من أجل التمتع بمثل هذا الشرف."

"لا شك في ذلك، ولكن بالرغم من هذا، لا أظن أنني محط إعجاب زوج خالتك."

"أنت مخطىء جدا فيما تقوله. سمعته يتكلّم عنك بإعجاب شديد."

"يُسعدني أن أكون من ضمن المواضيع التي تحدثتما عنها، ولكن، بالرغم من ذلك، لا أظن أنه يرحّب بزياراتي المتكررة إلى غاردينكورت." قال اللورد وربيرتن.

أجابت الفتاة: "لا يمكنني تبرير ميول زوج خالتي، علماً أنني مُلزمة بالإكتراث بتلك الميول قدر المستطاع. ولكني شخصيا سأكون جدّ سعيدة برؤيتك."

"هذا ما أرغب بسماعه منكِ. إنني سعيد جدا بذلك."

قالت إيزابيل: "يبدو أن إرضاءك وإثارة إعجابك عملية سهلة للغاية، يا سيدي."

"كلا، لستُ بالشخص الذي يسهل إرضاؤه أو إثارة إعجابه!" صمت للحظة ومن ثم تابع يقول، "ولكنكِ نجحت بامتياز في هذا المضمار، يا آنسة أرتشير."

نطق بهذه الكلمات بأسلوب يتعذر تحديده، الأمر الذي أجفل الفتاة؛ بدا لها وكأنه مُقدمة لشيء أعمق، فقد سبق لها سماع هذا الأسلوب في الكلام ولم يفتها الإنتباه إليه الآن. ولكن لم يكن لديها في الوقت الحاضر أية رغبة بوجود مثل هذا النوع من المقدمات التي تؤدي حتما إلى وضع لا تريده الآن. وحالما تمكّنت من السيطرة على مشاعر الإرتباك التي انتابتها، حاولت قدر استطاعتها الإجابة بأسلوب مرح. "أخشى أنني لن أتمكّن من المجيء ثانية إلى هنا."

"إطلاقا؟" قال اللورد وربيرتن.

"لن أقول "إطلاقا" تحاشياً لصبغ كلامي بصبغة ميلودرامية."

"أيمكنني إذن المجيء الأسبوع القادم لرؤيتك؟"

"طبعا، ما المانع في ذلك؟"

"لا شيء يمكن وضع اليد عليه، ولكن يصعب عليّ الشعور بالأمان وأنا برفقتك. ينتابني إحساس بأنك تتصرفين وبشكل دائم وكأنكِ في معرض استجواب الأشخاص الذين يتقرّبون منك."

"ليس بالضرورة أن تخسر شيئا نتيجة ذلك."

"أعتبر قولك هذا لطف كبير منك، ولكن حتى لو اجتزتُ إختباركِ ذاك بنجاح كبير، فالعدالة الصارمة ليست من الأمور المفضّلة لدي. هل سترافقين السيدة توشيت في سفرة إلى الخارج؟"

"أتمنى ذلك."

"أتعتبرين إنجلترا ليست جذّابة بما يكفي بالنسبة لكِ؟"

"هذا تعليق مُتّسم بسوء النيّة وغير جدير بالتعليق عليه. أرغب بزيارة ومشاهدة أكبر عدد ممكن من البلدان."

These words were uttered with an indefinable sound which startled the girl; it struck her as the prelude to something grave: she had heard the sound before and she recognized it. She had no wish, however, that for the moment such a prelude should have a sequel, and she said as gaily as possible and as quickly as an appreciable degree of agitation would allow her: "I'm afraid there's no prospect of my being able to come here again."

"Never?" said Lord Warburton.

"I won't say 'never'; I should feel very melodramatic."

"May I come and see you then some day next week?"

"Most assuredly. What is there to prevent it?"

"Nothing tangible. But with you I never feel safe. I've a sort of sense that you're always summing people up."

"You don't of necessity lose by that."

"It's very kind of you to say so; but, even if I gain, stern justice is not what I most love. Is Mrs. Touchett going to take you abroad?"

"I hope so."

"Is England not good enough for you?"

"That's a very Machiavellian speech; it doesn't deserve an answer. I want to see as many countries as I can."

"إذن ستستمرين بإصدار أحكامك وتكوين آرائك الخاصة، أليس كذلك؟ "

"إلى جانب أملي بالإستمتاع بكل ما أشاهده من بلدان جديدة. "

"نعم، هذا أكثر ما تستمتعين به؛ لا يمكنني تحديد ما تُخططين له. ينتابني إحساس بأنك إنسانة ذات رغبات غامضة وأهداف لا حدود لها. " قال اللورد وربيرتن.

"إنك بارع جدا في تكوين نظرية عني هي بالواقع أبعد ما تكون عن الحقيقة. أين الغموض في تحقيق هدف محدد بشكل علني، يقوم به ما يقارب الخمسن ألف شخص من أبناء وطني. تحقيقا لرغبة اكتساب الثقافة وتطوير المقدرة العقلية من خلال السفر إلى بلدان جديدة؟"

قال رفيقها: "لا يمكنكِ تطوير مقدرتك العقلية أكثر مما هي عليه، يا آنسة آرتشير. إنها أداة هائلة، تحتقرنا ولا تكترث لنا. "

قالت إيزابيل بنبرة جادّة: "أحتقركم؟ إنك تسخر مني. "

"حسنا، تظنيننا "غريبي الأطوار". الأمر الذي يمكن إعتباره مساوٍ للإحتقار. إنني أبعد ما يكون عن الشخص الغريب الأطوار، إنني أحتج بقوة على ذلك. "

أجابت إيزابيل مبتسمة: "أعتبر هذا الإحتجاج منتهى غرابة الأطوار. "

صمت اللورد وربيرتن لفترة قصيرة. "أنتِ تحكمين على الأمور من مظاهرها ولا تكترثين للجوهر، بل كل ما يهمّك هو التسلية وقضاء وقت ممتع. " قال ذلك وقد عادت إلى صوته النبرة التي صبغت كلامه قبل لحظات، ممزوجة الآن بانفعال واضح من المرارة. مرارة مفاجئة وغير منطقية لدرجة جعلت الفتاة تخشى أنها جرحته بكلامها. لطالما قيل لها أن

"Then you'll go on judging, I suppose."

"Enjoying, I hope, too."

"Yes, that's what you enjoy most; I can't make out what you're up to," said Lord Warburton. "You strike me as having mysterious purposes–vast designs."

"You're so good as to have a theory about me which I don't at all fill out. Is there anything mysterious in a purpose entertained and executed every year, in the most public manner, by fifty thousand of my fellow-countrymen–the purpose of improving one's mind by foreign travel?"

"You can't improve your mind, Miss Archer," her companion declared. "It's already a most formidable instrument. It looks down on us all; it despises us."

"Despises you? You're making fun of me," said Isabel seriously.

"Well, you think us 'quaint'–that's the same thing. I won't be thought 'quaint,' to begin with; I'm not so in the least. I protest."

"That protest is one of the quaintest things I've ever heard," Isabel answered with a smile.

Lord Warburton was briefly silent. "You judge only from the outside- you don't care," he said presently. "You only care to amuse yourself." The note she had heard in his voice a moment before reappeared, and mixed with it now was an audible strain of bitterness–a bitterness so abrupt and inconsequent that the girl was afraid she had hurt him. She

had often heard that the English are a highly eccentric people, and she had even read in some ingenious author that they are at bottom the most romantic of races. Was Lord Warburton suddenly turning romantic–was he going to make her a scene, in his own house, only the third time they had met? She was reassured quickly enough by her sense of his great good manners, which was not impaired by the fact that he had already touched the furthest limit of good taste in expressing his admiration of a young lady who had confided in his hospitality. She was right in trusting to his good manners, for he presently went on, laughing a little and without a trace of the accent that had discomposed her: "I don't mean of course that you amuse yourself with trifles. You select great materials; the foibles, the afflictions of human nature, the peculiarities of nations!"

"As regards that," said Isabel, "I should find in my own nation entertainment for a lifetime. But we've a long drive, and my aunt will soon wish to start." She turned back toward the others and Lord Warburton walked beside her in silence. But before they reached the others, "I shall come and see you next week," he said.

She had received an appreciable shock, but as it died away she felt that she couldn't pretend to herself that it was altogether a painful one. Nevertheless she made answer to his declaration, coldly enough, "Just as you please." And her coldness was not the calculation of her effect–a game she played in a much smaller degree than would have seemed probable to many critics. It came from a certain fear.

الإنجليز شعب غريب الأطوار لدرجة كبيرة، كما أنها قرأت لأحد المؤلفين المُبدعين قوله أن ذلك الشعب في الواقع هو من أكثر شعوب الأرض رومانسية. هل قرّر اللورد وربيرتن فجأة إعتماد الأسلوب الرومانسي معها. وهو على وشك التصرّف معها بشكل عاطفي بالرغم من أن هذه هي المرة الثالثة فقط التي تلتقي به؟ سرعان ما هدأ روعها إحساسه العميق بحسن التصرّف والسلوك المثالي، والذي لم يُفسده تصرّفه الذي لامس أقصى حدود الذوق الرفيع بالتعبير عن إعجابه بفتاة شابة وثقت به وبضيافته لها. كانت مُحقّة بالوثوق من حسن سلوكه، إذ أنه سرعان ما ابتسم قائلا، وقد اختفى كل أثر لتلك النبرة في صوته التي أزعجتها، "طبعا لا أقصد بقولي أنك تلهين بتوافه الأمور، بل تختارين مواضيع مميّزة مثل ضعف ومعاناة الطبيعة البشرية وغرائب بلدان هذا العالم!"

قالت إيزابيل وهي تستدير للإنضمام للآخرين: "بالنسبة للنقطة الأخيرة، لا شك أنني سأجد في غرائب بلادي كمّا هائلا من السلوى يكفيني مدى حياتي. ولكني مضطرة لمغادرة منزلك خلال فترة قصيرة نظرا لبُعد المسافة ورغبة خالتي في عدم التأخر بالعودة إلى المنزل." سار اللورد وربيرتن إلى جانبها بدون أن ينطق بكلمة، ولكنه، وقبل وصولهما إلى بقية الضيوف، قال: "سآتي لزيارتك الأسبوع القادم."

شعرت بما يُشبه الصدمة المُبررة، ولكنها سرعان ما أدركت بينها وبين نفسها أن تلك الصدمة لم تكن خالية تماما من مشاعر السعادة؛ ولكن بالرغم من هذا أجابته باقتضاب "كما تشاء." لم يكن جوابها المقتضب ذاك نابع من تفكير مروّى فيه رغبة منها للتأثير عليه كما قد يتراءى لبعض النقاد، بل كان شعورا يقارب الخوف.

الفصل العاشر

إستلمتْ في اليوم التالي عقب زيارتها إلى لوكليغ رسالة من صديقتها الآنسة ستاكبول . وكانت أناقة خطّ صديقتها وختم بريد ليفيربول الظاهر على المغلّف كفيلان بإثارة عواطفها . وقد جاء في الرسالة، "أخيرا يا صديقتي الجميلة تمكّنت من الحصول على ما أريد . غادرت نيويورك . فقد وافقت الانتيرفيور على طلبي . جهّزت حقيبتي بما تيسّر من الألبسة، تماشيا مع مهنة الصحافي المخضرم، وتوجهت بمركبة صغيرة إلى أول سفينة بُخارية مغادرة . أين أنتِ وكيف يمكننا أن نلتقي؟ أظن أنكِ ضيفة معزّزة في أحد القصور وأنكِ أصبحتِ تُتقنين الآن اللهجة الإنجليزية الصحيحة . ربما أصبحت زوجة أحد اللوردات، أكاد أتمنى لكِ حصول ذلك، إذ أحتاج للتعرّف على عليّة القوم وسأعتمد عليك لتعريفي على البعض منهم . ترغب الإنتيرفيور بتسليط بعض الضوء على طبقة النبلاء، إشارة إلى أن إنطباعاتي الأولى (عن هذا الشعب بشكل عام) لا تُبشّر بالخير؛ ولكن أرغب بمناقشة هذه الأمور معك، وكما تعلمين كائنا ما كنت، فإنني قطعا لست سطحية التفكير . كما أريد إعلامك بأمر في غاية الأهمية . حدّدي لي موعدا في أقرب فرصة ممكنة، تعالي إلى لندن (سيسعدني جدا مشاهدة المعالم برفقتك)، أو دعيني آتي إليكِ، أينما تُقيمين . سأفعل ذلك بكلّ سرور ، إذ كما تعلمين، كل شيء يثير إهتمامي في هذا العالم الفسيح، وعليه أرغب بالتعرّف في أسرع وقت ممكن على مراكز السلطة والنفوذ في هذه البلاد ."

إعتبرت إيزابيل أنه من الأفضل عدم إطلاع زوج خالتها على هذه الرسالة غير أنها أعلمته بفحواها، وكما توقّعت أصرّ على توجيه دعوة إلى الآنسة ستاكبول باسمه شخصيا وإعلامها أنه سيكون من دواعي سروره

Chapter Ten

The day after her visit to Lockleigh she received a note from her friend Miss Stackpole–a note of which the envelope, exhibiting in conjunction the postmark of Liverpool and the neat calligraphy of the quick-fingered Henrietta, caused her some liveliness of emotion. "Here I am, my lovely friend," Miss Stackpole wrote; "I managed to get off at last. I decided only the night before I left New York–the Interviewer having come round to my figure. I put a few things into a bag, like a veteran journalist, and came down to the steamer in a street-car. Where are you and where can we meet? I suppose you're visiting at some castle or other and have already acquired the correct accent. Perhaps even you have married a lord; I almost hope you have, for I want some introductions to the first people and shall count on you for a few. The Interviewer wants some light on the nobility. My first impressions of the people at large are not rose-coloured; but I wish to talk them over with you, and you know that, whatever I am, at least I'm not superficial. I've also something very particular to tell you. Do appoint a meeting as quickly as you can; come to London I should like so much to visit the sights with you or else let me come to you, wherever you are. I will do so with pleasure; for you know everything interests me and I wish to see as much as possible of the inner life."

Isabel judged best not to show this letter to her uncle; but she acquainted him with its purport, and, as she expected, he begged her instantly to assure Miss Stackpole,

استقبالها في غاردينوكورت. قال: "بالرغم من أنها سيدة تمتهن الأدب والكتابة إلا أنني أتوقع، كونها أمريكية ستكون صادقة معي، على عكس ما فعلت الكاتبة الأخرى. فلقد سبق لها التعرّف على العديد من رجال الأعمال أمثالي."

أجابت إيزابل: "لم يسبق لها أن التقت بشخص يُضاهيك نشاطا وحبا للحياة!" إلا أنها لم تكن مطمئنة البال بشكل كلي بالنسبة لمواهب هنريتا الإنتاجية التي كانت تثير في نفسها بعض الإنزعاج من صديقتها. ولكن بالرغم من شعورها هذا، بعثت برسالة للآنسة ستاكبول تُعلمها فيها أنها ستكون ضيفة مُعزّزة مكرّمة تحت سقف منزل السيد توشيت، فما كان من تلك المرأة الشابة اليقظة إلّا أن تُسرع إلى إعلان موعد وصولها بشكل محدّد. أعلمتهم أنها في لندن، ومنها استقلّت القطار إلى أقرب محطة من غاردينكورت، حيث كانت إيزابيل ورالف في انتظارها.

سأل رالف وهما يسيران معا على رصيف المحطة: "هل ستنال إعجابي أم ستثير حنقي؟"

قالت إيزابيل: "سيكون الأمر سيّان بالنسبة لها مهما كان شعورك تجاهها، فهي لا تكترث البتة بما يظن بها معشر الرجال."

"إذن بوصفي رجل، فحري بي أن أشعر بنوع من الكره تجاهها. لا بد وأن تكون نوعا من المسخ، هل هي قبيحة جدا؟"

"كلا، بل هي قطعا امرأة جميلة."

قال مُستسلما: "صحافية ـ مراسلة؟ يدفعني فضول شديد لرؤيتها."

"يسهل السخرية منها، ولكن من الصعب جدا التحلّي بجرأتها."

"لا أظن ذلك، فجرائم القتل والعنف تتطلّب، بشكل أو بآخر،

in his name, that he should be delighted to receive her at Gardencourt. "Though she's a literary lady," he said, "I suppose that, being an American, she won't show me up, as that other one did. She has seen others like me."

"She has seen no other so delightful!" Isabel answered; but she was not altogether at ease about Henrietta's reproductive instincts, which belonged to that side of her friend's character which she regarded with least complacency. She wrote to Miss Stackpole, however, that she would be very welcome under Mr. Touchett's roof; and this alert young woman lost no time in announcing her prompt approach. She had gone up to London, and it was from that centre that she took the train for the station nearest to Gardencourt, where Isabel and Ralph were in waiting to receive her.

"Shall I love her or shall I hate her?" Ralph asked while they moved along the platform.

"Whichever you do will matter very little to her," said Isabel. "She doesn't care a straw what men think of her."

"As a man I'm bound to dislike her then. She must be a kind of monster. Is she very ugly?"

"No, she's decidedly pretty."

"A female interviewer–a reporter in petticoats? I'm very curious to see her," Ralph conceded.

"It's very easy to laugh at her but it is not easy to be as brave as she."

"I should think not; crimes of violence and attacks on

جرأة أكبر من التي تتكلمين عنها. هل تظنين أنها ستجري معي مقابلة صحفية؟"

"إطلاقا، ستظن أنك لست على قدر كافٍ من الأهمية."

"بل ستُرسل إلى جريدتها تقارير مفصّلة عن جميع الموجودين هنا، بما في ذلك بانشي."

قالت إيزابيل: "سأطلب منها عدم القيام بمثل هذا العمل."

"إذن أتظنين أنها مؤهلة للقيام بمثل تلك المهمة؟"

"بشكلٍ رائع."

"واتخذتيها صديقة حميمة لكِ ؟"

"إنها ليست صديقتي الحميمة، ولكني مُعجبة بها بالرغم من عيوبها."

قال رالف: "أوه حسناً، أظن أنني سأكرهها بالرغم من حسناتها."

"أغلب الظن أنك ستُغرَم بها خلال أيامٍ ثلاثة."

صاح الرجل الشاب: "لينتهي بي الأمر إلى نشر رسائل حبي على صفحات الإنتيرفيور؟ أبدا!"

وصل القطار في موعده المحدّد لتترجّل منه الآنسة ستاكبول، مُثبِتة أقوال إيزابيل بأنها إنسانة تتميّز بجمال رقيق فيه مِسحة من الجمال القروي. كانت امرأة متوسطة القامة، ممتلئة الجسم، أنيقة المظهر وذات وجه مستدير وفم رقيق وبشرة صافية وعقصات مجعّدة من الشعر البني الفاتح اللون عند مؤخرة رأسها ونظرة صريحة مميّزة بدهشة مستديمة في عينيها. كانت النقطة الأبرز في مظهرها، تلك الثبوتية الرائعة في نظراتها التي كانت تُوجّه دونما أي تحدّي أو طيش، ولكن كأنها تمارس حقا طبيعيا مُنجزا

the person require more or less pluck. Do you suppose she'll interview me?"

"Never in the world. She'll not think you of enough importance."

"You'll see," said Ralph. "She'll send a description of us all, including Bunchie, to her newspaper."

"I shall ask her not to," Isabel answered.

"You think she's capable of it then?"

"Perfectly."

"And yet you've made her your bosom-friend?"

"I've not made her my bosom-friend; but I like her in spite of her faults."

"Ah well," said Ralph, "I'm afraid I shall dislike her in spite of her merits."

"You'll probably fall in love with her at the end of three days."

"And have my love-letters published in the Interviewer? Never!" cried the young man.

The train presently arrived, and Miss Stackpole, promptly descending, proved, as Isabel had promised, quite delicately, even though rather provincially, fair. She was a neat, plump person, of medium stature, with a round face, a small mouth, a delicate complexion, a bunch of light brown ringlets at the back of her head and a peculiarly open, surprised-looking eye. The most striking point in her appearance was the remarkable fixedness of this organ, which rested without impudence or defiance, but as if in

conscientious exercise of a natural right, upon every object it happened to encounter. It rested in this manner upon Ralph himself, a little arrested by Miss Stackpole's gracious and comfortable aspect, which hinted that it wouldn't be so easy as he had assumed to disapprove of her. She rustled, she shimmered, in fresh, dove-coloured draperies, and Ralph saw at a glance that she was as crisp and new and comprehensive as a first issue before the folding. From top to toe she had probably no misprint. She spoke in a clear, high voice–a voice not rich but loud; yet after she had taken her place with her companions in Mr. Touchett's carriage she struck him as not all in the large type, the type of horrid "headings," that he had expected. She answered the enquiries made of her by Isabel, however, and in which the young man ventured to join, with copious lucidity; and later, in the library at Gardencourt, when she had made the acquaintance of Mr. Touchett'his wife not having thought it necessary to appear did more to give the measure of her confidence in her powers.

"Well, I should like to know whether you consider yourselves American or English," she broke out. "If once I knew I could talk to you accordingly."

"Talk to us anyhow and we shall be thankful," Ralph liberally answered.

She fixed her eyes on him, and there was something in their character that reminded him of large polished buttons–buttons that might have fixed the elastic loops of some tense receptacle: he seemed to see the reflection of surrounding

وفقا لما يمليه الضمير نحو كل ما يُطالعها، وقد وُجِّهَت بهذا الأسلوب الآن نحو رالف، الذي أعجِبَ بمظهرها اللبق المُتسم بحسن الذوق والذي كان بمثابة إشارة خفيفة إلّا أنه لن يكون من السهل استهجانها. إندفعت وتألّقت بملابس رقيقة الألوان، وتبيّن لرالف بنظرة سريعة أنها بنضارة وحداثة وشمولية طبعة جديدة لكتاب قبل طَيّه. أغلب الظن أنها من رأسها حتى أخمص قدميها خالية تماما من أخطاء مطبعية. كانت تتكلم بصوت واضح ومرتفع. لم يكن صوتا قويا بل مرتفعا؛ ولكن بالرغم من هذا بعدما أخذت مكانها إلى جانب رفاقها داخل عربة السيد توشيت، لفت انتباهه أن ذلك الصوت المرتفع خلافا لما توقعه لم يكن على الإطلاق من نوع الأحرف الضخمة الكريهة الخاصة "بالعناوين." أجابت على أسئلة إيزابيل، والتي تجرأ الرجل الشاب على المشاركة بها، بأسلوب واضح وصريح، ولاحقا في المكتبة في غاردينكورت، حين تعرّفت إلى السيد توشيت (بغياب السيدة توشيت التي اعتبرت أنه ليس من الضروري تواجدها في تلك المناسبة)، قدّمت المزيد من الدلائل التي تؤكّد مدى ثقتها الكبيرة بنفسها وبقدراتها.

قالت: "حسنا، أرغب بمعرفة ما إذا كنتم تعتبرون أنفسكم إنجليز أم أمريكيين، لأتمكّن عندها من التحدّث معكم وفق ذلك وبالأسلوب المناسب."

أجاب رالف بسماحة خاطر: "تحدّثي معنا فحسب، وسنكون لكِ من الشاكرين."

ثبّتت نظراتها عليه وكان هناك شيء في خاصيّة تلك النظرة ذكّرته بالأزرار الكبيرة الصقيلة. الأزرار المُثبّتة في إنشوطة مطّاطية في وعاء مشدود، بدا وكأنه يرى الأشياء المحيطة فوق البؤبؤ. ليس من المعتاد

اعتبار تعابير الأزرار تعابير بشرية، ولكن كان هناك شيء في نظرة الآنسة ستاكبول ما جعله يشعر، وهو الرجل المتواضع جدا، بشيء من الخجل. إحساس أقرب للعار منه إلى الشخص المنتهكة خصوصياته، وهو وضع لم يرحّب به. إشارة إلى أن هذا الشعور بدأ يتراجع ويخفّ عقب قضائه بضعة أيام برفقتها ولكن بدون أن يختفي كُلّيا. قالت : "لا أظن أنك أنتَ مَن سيأخذ على عاتقه مهمة إقناعي بأنكم أمريكيون."

"إكراما لكِ إنني على استعداد لأكون رجلا إنجليزيا أو حتى تركيا!"

أجابت الآنسة ستاكبول: "حسنا إذا كان بمقدورك التبدّل على هذا النحو، فلا مانع لديّ."

تابع رالف قائلا: "إنني واثق أنكِ واسعة المدارك. وبالتالي، فاختلاف الجنسيات لا يُشكّل عائقا بالنسبة لكِ."

لم تحوّل نظرتها الثابتة عنه. "هل تقصد بكلامك اللغات الأجنبية؟"

"لا يمكن بأي شكل من الأشكال اعتبار اللغات عائقا بين البشر. أقصد بكلامي المزاج العقلي أو النفسي ـ العبقرية."

قالت مراسلة صحيفة الإنتيرفيور: "لستُ متأكدة أنني أفهم بالضبط ما تقصد قوله، ولكني أتوقع أن أفعل قبل مغادرتي هذا المكان."

اقترحت إيزابيل قائلة: "إنه ما يُعرف برجل العالم."

"هذا يعني أنه يميل قليلا لكل شيء وغير مُلتزم كُليا بأي شيء. يدفعني هذا للقول أن الوطنية أشبه بالإحسان. إنها تبدأ وتنطلق من الوطن الأم."

سأل رالف: "ولكن أين يبدأ الوطن الأم، يا آنسة ستاكبول؟"

objects on the pupil. The expression of a button is not usually deemed human, but there was something in Miss Stackpole's gaze that made him, as a very modest man, feel vaguely embarrassed–less inviolate, more dishonoured, than he liked. This sensation, it must be added, after he had spent a day or two in her company, sensibly diminished, though it never wholly lapsed. "I don't suppose that you're going to undertake to persuade me that you're an American," she said.

"To please you I'll be an Englishman, I'll be a Turk!"

"Well, if you can change about that way you're very welcome," Miss Stackpole returned.

"I'm sure you understand everything and that differences of nationality are no barrier to you," Ralph went on.

Miss Stackpole gazed at him still. "Do you mean the foreign languages?"

"The languages are nothing. I mean the spirit–the genius."

"I'm not sure that I understand you," said the correspondent of the Interviewer; "but I expect I shall before I leave."

"He's what's called a cosmopolite," Isabel suggested.

"That means he's a little of everything and not much of any. I must say I think patriotism is like charity–it begins at home."

"Ah, but where does home begin, Miss Stackpole?" Ralph enquired.

"لا أعلم أين يبدأ الوطن الأم، ولكني أعرف أين ينتهي. لقد انتهى قبل وصولي إلى هنا بزمن طويل."

قال السيد توشيت بصوته المسنّ البريء: "ألم تعجبكِ هذه البلاد؟"

"بالواقع يا سيدي لم أتوصل إلى قرار نهائي في هذا الشأن. أشعر بضيق التفكير إلى حدٍ كبير، إنتابني هذا الشعور خلال رحلتي من ليفيربول إلى لندن."

قال رالف مُبدياً رأيه في الموضوع: "ربما كنتِ داخل مقصورة مزدحمة بالمسافرين."

"هذا صحيح، ولكنها كانت مزدحمة بالأصدقاء. هم مجموعة من الأمريكيين تعرّفت عليهم وأنا على متن الباخرة، مجموعة رائعة قادمة من ليتل روك، أركانسو. ولكن بالرغم من ذلك شعرت بضيق التفكير. شعرت وكأن شيئا يضغط عليّ، لم أتمكن من تحديده. شعرت منذ البداية وكأنني لن أتمكّن من التكيّف مع البيئة الجديدة. ولكن أظن أنني سأخلق البيئة الخاصة بي. هذه هي الطريقة الصحيحة. أن تتمكن من الاستشعار بالطمأنينة. تبدو بيئتكم غاية في الجمال."

قال رالف: "آه، ونحن أيضا مجموعة غاية في الجمال! ستكتشفين هذه الحقيقة خلال فترة قصيرة من الزمن."

أظهرت الآنسة ستاكبول كامل إستعدادها للإنتظار، وكان واضحا أنها كانت مُهيأة لقضاء فترة ليست بالقصيرة في غاردينكورت. كانت تُشغل نفسها خلال ساعات الصباح بالأعمال الأدبية، ولكن هذا لم يَحُل دون تمكّن إيزابيل من قضاء ساعات طويلة برفقة صديقتها، التي حالما كانت تُنجز مهماتها الصباحية، كانت تستنكر، بل تتحدّى العُزلة. سرعان ما

"I don't know where it begins, but I know where it ends. It ended a long time before I got here."

"Don't you like it over here?" asked Mr. Touchett with his aged, innocent voice.

"Well, sir, I haven't quite made up my mind what ground I shall take. I feel a good deal cramped. I felt it on the journey from Liverpool to London."

"Perhaps you were in a crowded carriage," Ralph suggested.

"Yes, but it was crowded with friends–a party of Americans whose acquaintance I had made upon the steamer; a lovely group from Little Rock, Arkansas. In spite of that I felt cramped–I felt something pressing upon me; I couldn't tell what it was. I felt at the very commencement as if I were not going to accord with the atmosphere. But I suppose I shall make my own atmosphere. That's the true way–then you can breathe. Your surroundings seem very attractive."

"Ah, we too are a lovely group!" said Ralph. "Wait a little and you'll see.

Miss Stackpole showed every disposition to wait and evidently was prepared to make a considerable stay at Gardencourt. She occupied herself in the mornings with literary labour; but in spite of this Isabel spent many hours with her friend, who, once her daily task performed, deprecated, in fact defied, isolation. Isabel speedily found

ابتدعت طريقة لإعلام صديقتها برغبتها بالكفّ عن تمجيد وإذاعة مزايا إقامتهما المؤقتة معا في الصحافة المكتوبة، بعدما إكتشفت صباح اليوم التالي من وصول الآنسة ستاكبول، إنهماك الأخيرة بكتابة تقرير إلى الإنتيرفيور، بخطّها المُنمّق الجميل (المطابق تماما لكتاباتها في الدفاتر المدرسية والتي تذكرها إيزابيل جيدا) تحت عنوان "الأمريكيون و التيودَريون ـ لمحات سريعة في غاردينكورت." عرضت الآنسة ستاكبول بكل طيبة خاطر، قراءة ذلك التقرير على إيزابيل التي رفضت بشكل فوري وصارم.

"لا أظن أنه يجدر بك القيام بمثل هذا العمل. أظن من المُستحسن عدم وصفك للمكان."

نظرت إليها هنريتا بنظرتها الثابتة المعهودة. "ما المانع في ذلك؟ فمثل هذه المواضيع مرغوب جدا من القرّاء، كما أن هذا المكان يتميّز بجمال رائع."

"إنه أجمل من أن يُعرض في صفحات الجرائد، كما أن زوج خالتي لا يرغب بذلك."

صاحت هنريتا قائلة: "كلام فارغ! فجميعهم سيشعرون لاحقا بسعادة كبيرة."

"لن يشعر زوج خالتي بسعادة كبيرة، وكذلك إبن خالتي. سيعتبران ذلك بمثابة نقض لأمانة الضيافة."

لم يبدر عن الآنسة ستاكبول أية إشارة تدل على ارتباكها، بل عمدت وبكل بساطة إلى تنشيف قلمها بإتقان شديد، بمسحه فوق آلة أنيقة صغيرة الحجم تحتفظ بها لمثل هذه الغاية، ووضعت مخطوطتها في مكانها المألوف. "طبعا لن أكتب هذا التقرير إذا كنتِ لا توافقين على ذلك، ولكني سأكون بذلك أضحّي بموضوع رائع فعلا."

occasion to desire her to desist from celebrating the charms of their common sojourn in print, having discovered, on the second morning of Miss Stackpole's visit, that she was engaged on a letter to the Interviewer, of which the title, in her exquisitely neat and legible hand exactly that of the copybooks which our heroine remembered at school was "Americans and Tudors–Glimpses of Gardencourt." Miss Stackpole, with the best conscience in the world, offered to read her letter to Isabel, who immediately put in her protest.

"I don't think you ought to do that. I don't think you ought to describe the place."

Henrietta gazed at her as usual. "Why, it's just what the people want, and it's a lovely place."

"It's too lovely to be put in the newspapers, and it's not what my uncle wants."

"Don't you believe that!" cried Henrietta. "They're always delighted afterwards."

"My uncle won't be delighted–nor my cousin either. They'll consider it a breach of hospitality."

Miss Stackpole showed no sense of confusion; she simply wiped her pen, very neatly, upon an elegant little implement which she kept for the purpose, and put away her manuscript. "Of course if you don't approve I won't do it; but I sacrifice a beautiful subject."

"سيكون هناك العديد من المواضيع الأخرى في هذه المنطقة الواسعة الأرجاء، سأصطحبك بنزهات لتشاهدي بعض المناظر الطبيعية الرائعة."

قالت هنريتا: "المشاهد الطبيعية ليست من إختصاصي، بل العامل الإنساني هو ما أهتم به. كما تعلمين يا إيزابيل إنني إنسانية إلى حدّ كبير، لقد كنتُ كذلك طوال حياتي. كنتُ على وشك التطرّق إلى ابن خالتك في تقريري ـ الأمريكي المتحوّل عن وطنه الأم. هناك الآن إهتمام كبير بهذا الموضوع، وابن خالتك نموذج رائع، كنتُ عقدتُ العزم على معاملته بقسوة وعدم التساهل معه في معرض حديثي عنه."

صاحت إيزابيل قائلة: "كان قضى نتيجة ذلك! ليس بسبب القسوة بل بسبب علانية التحدّث عنه كموضوع صحافي."

"حسنا، كنتُ أحببتُ لو تيسّر لي هزمه بعض الشيء. كما كنتُ سأشعر ببهجة كبيرة لو أتيحت لي فرصة التحدّث عن زوج خالتك، الذي يبدو لي من النوع الأكثر نبالة ـ الأمريكي الوفي لتراثه. إنه رجل عجوز جليل؛ لا أفهم كيف يمكنه معارضة تكريمي وتبجيلي له على هذا النحو."

نظرت إيزابيل إلى رفيقتها بدهشة كبيرة، استوقفتها غرابة وجود مثل هذا التلوّث في طبيعة تحتوي على العديد من المزايا التي تحترمها وتجلّها.
"إنني أرثي لحالك يا عزيزتي هنريتا، فأنتِ تفتقرين كُلّيا إلى أي حسّ بالخصوصية."

عَلت حمرة الخجل وجه هنريتا وتخضّبت للحظة عيناها المتألقتان، بينما بدت لإيزابيل أكثر من أي وقت مضى غير منطقية في تفكيرها. "إنكِ تظلمينني كثيرا، لم أقدم إطلاقا على كتابة كلمة واحدة عن نفسي!" قالت الآنسة ستاكبول بنُبل شديد.

"لا أشك أبدا في صحة ما تقولين، ولكن يبدو لي أنه يجدر بالمرء أن

"There are plenty of other subjects, there are subjects all round you. We'll take some drives; I'll show you some charming scenery."

"Scenery's not my department; I always need a human interest. You know I'm deeply human, Isabel; I always was," Miss Stackpole rejoined. "I was going to bring in your cousin–the alienated American. There's a great demand just now for the alienated American, and your cousin's a beautiful specimen. I should have handled him severely."

"He would have died of it!" Isabel exclaimed. "Not of the severity, but of the publicity."

"Well, I should have liked to kill him a little. And I should have delighted to do your uncle, who seems to me a much nobler type–the American faithful still. He's a grand old man; I don't see how he can object to my paying him honour."

Isabel looked at her companion in much wonderment; it struck her as strange that a nature in which she found so much to esteem should break down so in spots. "My poor Henrietta," she said, "you've no sense of privacy."

Henrietta coloured deeply, and for a moment her brilliant eyes were suffused, while Isabel found her more than ever inconsequent. "You do me great injustice," said Miss Stackpole with dignity. "I've never written a word about myself!"

"I'm very sure of that; but it seems to me one should be

يكون متواضعا تجاه الآخرين كذلك. "

صاحت هنريتا وهي تتناول قلمها ثانية: "حسنا، ممتاز! دعيني أدوّن ملاحظة عن هذا الأمر وسأشير إليه لاحقا في تقاريري." كانت امرأة ودودة جدا، وخلال نصف ساعة من الوقت كانت تتصرّف بمرح وحيوية كما هو حري بالمراسلة الصحافية الباحثة أبداً عن مواضيع مثيرة أن تفعل. "لقد وعدتهم بتناول الناحية الإجتماعية، كيف سيتسنّى لي القيام بذلك ما لم أحصل على بعض الأفكار؟ فاذا لا يمكنني وصف هذا المكان، ألا تعرفين مكانا آخر يمكنني وصفه؟ وعدتها إيزابيل بالتفكير جدّيا بالأمر، وخلال حديثها مع صديقتها صباح اليوم التالي، صودف أن جاءت على ذكر زيارتها لقصراللورد وربيرتن. صاحت الآنسة ستاكبول قائلة: "آه، يجب أن تصحبيني إلى هناك. إنه المكان المثالي الذي أبحث عنه!" يجب أن ألقي نظرة خاطفة على طبقة النبلاء."

قالت إيزابيل: "لا يمكنني اصطحابك إلى هناك، ولكن سيأتي اللورد وربيرتن إلى هنا، وستسنح لك فرصة التعرّف عليه ومراقبته، شريطة أنه في حال كنتِ تنوين نشر حديثه معك، فسأجد نفسي مضطرة لتحذيره من ذلك."

قالت رفيقتها متوسّلة: "أرجوكِ لا تفعلي ذلك، أريده أن يكون طبيعيا وعلى سجيته خلال حديثه معي."

صرّحت إيزابيل قائلة: "الرجل الإنجليزي يكون في ذروة طبيعته حين يلتزم الصمت."

لم يكن واضحا عقب مرور ثلاثة أيام، ما إذا صحّت نبوّة إيزابيل فيما يتعلق بوقوع رالف بحب ضيفتهم، بالرغم من قضائه وقتا طويلا بصحبتها. كانا يتنزهان معا في الحديقة ويجلسان تحت أشجارها، وحين يكون

modest for others also!"

"Ah, that's very good!" cried Henrietta, seizing her pen again. "Just let me make a note of it and I'll put it in somewhere." She was a thoroughly good-natured woman, and half an hour later she was in as cheerful a mood as should have been looked for in a newspaper-lady in want of matter. "I've promised to do the social side," she said to Isabel; "and how can I do it unless I get ideas? If I can't describe this place don't you know some place I can describe?" Isabel promised she would bethink herself, and the next day, in conversation with her friend, she happened to mention her visit to Lord Warburton's ancient house. "Ah, you must take me there–that's just the place for me!" Miss Stackpole cried. "I must get a glimpse of the nobility."

"I can't take you," said Isabel; "but Lord Warburton's coming here, and you'll have a chance to see him and observe him. Only if you intend to repeat his conversation I shall certainly give him warning."

"Don't do that," her companion pleaded; "I want him to be natural."

"An Englishman's never so natural as when he's holding his tongue," Isabel declared.

It was not apparent, at the end of three days, that her cousin had, according to her prophecy, lost his heart to their visitor, though he had spent a good deal of time in her society. They strolled about the park together and sat under

الطقس ملائما، كانت الآنسة ستاكبول ترافق رالف في زورقه الذي لم يشهد حتى ذلك الوقت أي راكب سواه، ويقومان بنزهة بين مياه التايمز. لم يشعر رالف خلافا لابنة خالته إيزابيل، بأي نوع من الإضطراب أو التشويش النفسي، نظرا لأن وجود مراسلة الإنتيرفيور برفقته كان يحث روح المرح في داخله، وكان قد صمّم منذ فترة على أن المرح المتعاظم تدريجيا يجب أن يكون زهرة أيامه الضاوية. فشلت هنريتا من ناحيتها بتبرير تصريح إيزابيل بالنسبة لعدم إكتراثها بوجهة النظر الذكورية: إذ بدا رالف المسكين بالنسبة لها ويقدم نفسه إليها كمشكلة مزعجة، يكاد يكون عدم محاولة حلّها أقرب إلى عمل غير أخلاقي.

"ما العمل الذي يزاوله كمورد رزقه؟ هل يقضي أيامه مُقحما يداه في جيوب سرواله؟" طرحت هي هذا السؤال على إيزابيل ليلة وصولها.

أجابت إيزابيل وهي تبتسم: "بالواقع لا يزاول أي عمل، فهو كما يقال سيد نبيل لا يزاول أي نوع من الأعمال."

أجابت الآنسة ستاكبول: "يا للعار! خاصة بمقارنة ذلك مع إضراري بالعمل المضني والمتواصل. أرغب بمواجهته والتعبير عن إستهجاني الشديد لذلك."

تابعت إيزابيل قائلة بإصرار: "وضعه الصحي لا يسمح له بمزاولة أي عمل."

صاحت صديقتها قائلة: "إياكِ تصديق ذلك! لم يحل المرض يوماً دون مزاولتي لعملي." لاحقا حين صعدت إلى الزورق لمرافقة رالف في رحلة نهرية، علّقت قائلة له بأنّها تظن أنه يكرهها ويرغب بإغراقها في مياه التايمز.

the trees, and in the afternoon, when it was delightful to float along the Thames, Miss Stackpole occupied a place in the boat in which hitherto Ralph had had but a single companion. Her presence proved somehow less irreducible to soft particles than Ralph had expected in the natural perturbation of his sense of the perfect solubility of that of his cousin; for the correspondent of the Interviewer prompted mirth in him, and he had long since decided that the crescendo of mirth should be the flower of his declining days. Henrietta, on her side, failed a little to justify Isabel's declaration with regard to her indifference to masculine opinion; for poor Ralph appeared to have presented himself to her as an irritating problem, which it would be almost immoral not to work out.

"What does he do for a living?" she asked of Isabel the evening of her arrival. "Does he go round all day with his hands in his pockets?"

"He does nothing," smiled Isabel; "he's a gentleman of large leisure."

"Well, I call that a shame–when I have to work like a car-conductor," Miss Stackpole replied. "I should like to show him up."

"He's in wretched health; he's quite unfit for work," Isabel urged.

"Pshaw! don't you believe it. I work when I'm sick," cried her friend. Later, when she stepped into the boat on joining the water-party, she remarked to Ralph that she supposed he hated her and would like to drown her.

قال رالف: "هذا غير صحيح، إذ أفضّل إبقاء ضحاياي على قيد الحياة للإستمتاع بتعذيبهم بشكل بطيء وتدريجي. ولا شك أنكِ تُشكّلين بالنسبة لي ضحية مثيرة للغاية!"

"حسنا، لا يمكنني إنكار أنك تُعذّبني فعلا، ولكن عزائي أنني أصدمك في كافة آرائك المُتحيّزة."

"آرائي المُتحيّزة؟ لا أملك ولا حتى رأي واحد مُتحيّز يمكنني الإفتخار به، بل لدي الكثير من العوز الفكري."

"هذا أسوأ بكثير من إمتلاك أفكارا مُتحيّزة، علما أنني سعيدة بامتلاك بعضا منها. طبعا أفسد عليك عبثك مع إبنة خالتك أو مهما كان نوع العلاقة القائمة بينك وبينها. ولكن لا أكترث لذلك، طالما سأكون بعملي هذا أقدّم لها خدمة كشف حقيقتك. وسيتبيّن عندها مدى وهنك وضعفك."

"آه، بالله عليكِ إكشفي حقيقتي! فمعظم الناس لا يرغبون بتحمّل عناء هذه المهمة."

لم توفّر الآنسة ستاكبول كما بدا، أي جهد لإنجاز تلك المهمة، معتمدة وسيلة الإستجواب الطبيعية والملائمة كلما سنحت لها الفرصة بذلك. كان طقس اليوم التالي سيئا، وعرض عليها الرجل الشاب القيام بجولة في رواق اللوحات الفنية، كوسيلة مسلّية لتمضية ساعات بعد الظهر داخل المنزل. تجوّلت هنريتا برفقته في أرجاء رواق صالة العرض، بينما كان هو يُشير إلى اللوحات المُميّزة شارحا لها بإيجاز مواضيعها وسيرة مُبدعيها. كانت الآنسة ستاكبول تنظر إلى تلك اللوحات بصمت تام مُحتفظة برأيها الخاص بدون أن تفصح عنه. شعر رالف بالرضى والسرور كونها لم تُطلق صيحات الإعجاب الفارغة التي طالما صدرت عن زائري غاردينكورت. بالواقع كانت هذه السيدة الشابة أبعد ما تكون عن إعتماد

"Ah no," said Ralph, "I keep my victims for a slower torture. And you'd be such an interesting one!"

"Well, you do torture me; I may say that. But I shock all your prejudices; that's one comfort."

"My prejudices? I haven't a prejudice to bless myself with. There's intellectual poverty for you."

"The more shame to you; I've some delicious ones. Of course I spoil your flirtation, or whatever it is you call it, with your cousin; but I don't care for that, as I render her the service of drawing you out. She'll see how thin you are."

"Ah, do draw me out!" Ralph exclaimed. "So few people will take the trouble."

Miss Stackpole, in this undertaking, appeared to shrink from no effort; resorting largely, whenever the opportunity offered, to the natural expedient of interrogation. On the following day the weather was bad, and in the afternoon the young man, by way of providing indoor amusement, offered to show her the pictures. Henrietta strolled through the long gallery in his society, while he pointed out its principal ornaments and mentioned the painters and subjects. Miss Stackpole looked at the pictures in perfect silence, committing herself to no opinion, and Ralph was gratified by the fact that she delivered herself of none of the little ready-made ejaculations of delight of which the visitors to Gardencourt

التعابير التقليدية، فقد كان هناك نوع من الجدّ والإبداع في نبرات صوتها، والذي أوحى في لحظات التشاور المُتكلّف وكأنها شخص ذو ثقافة عالية يتكلم بلغة أجنبية. علِم رالف لاحقا أنها تولّت في الماضي وظيفة ناقدة فنية لإحدى مجلات العالم الجديد، ولكنها بدت بالرغم من هذه الحقيقة أنها لا تحمل في داخلها أي نوع من عبارات الإعجاب المعتادة. لم يكد ينتهي من لفت إنتباهها إلى لوحة رائعة تُظهر صورة نبيل في العصور الوسطى حتى التفتت فجأة إليه ونظرت إليه وكأنه هو نفسه لوحة فنية.

سألت: "هل تقضي أوقاتك دائما على هذا النحو؟".

"نادرا ما أستمتع بقضاء وقتي كما أفعل الآن."

"تعرف تماما ما أقصد بكلامي - أي بدون مزاولتك لعمل منتظم."

"آه، إنني أكثر الرجال المُتبطّلين في العالم."

وجّهت الآنسة ستاكبول نظراتها ثانية إلى لوحة النبيل من العصور الوسطى، ولفت رالف إنتباهها إلى لوحة صغيرة بريشة لانسريت معلّقة بالقرب منها، تُظهر صورة رجل نبيل مرتدٍ سترة ضيّقة وسروال قصير وطوق عنق مُكشكش، ومتكئ إلى قاعدة تمثال لحورية وسط حديقة غنّاء يعزف على الغيتار لسيدتين جالستين فوق العشب.

"هذا نموذجي المفضّل للعمل المنتظم."

التفتت الآنسة ستاكبول إليه ثانية، وبالرغم من أنها وجّهت نظراتها إلى اللوحة، فقد كان واضحا لديه أنه فاتها مغزى الموضوع والهدف من ورائه. كانت تفكّر في أمر أكثر جدّية بكثير.

were so frequently lavish. This young lady indeed, to do her justice, was but little addicted to the use of conventional terms; there was something earnest and inventive in her tone, which at times, in its strained deliberation, suggested a person of high culture speaking a foreign language. Ralph Touchett subsequently learned that she had at one time officiated as art-critic to a journal of the other world; but she appeared, in spite of this fact, to carry in her pocket none of the small change of admiration. Suddenly, just after he had called her attention to a charming Constable, she turned and looked at him as if he himself had been a picture.

"Do you always spend your time like this?" she demanded.

"I seldom spend it so agreeably."

"Well, you know what I mean–without any regular occupation."

"Ah," said Ralph, "I'm the idlest man living."

Miss Stackpole directed her gaze to the Constable again, and Ralph bespoke her attention for a small Lancret hanging near it, which represented a gentleman in a pink doublet and hose and a ruff, leaning against the pedestal of the statue of a nymph in a garden and playing the guitar to two ladies seated on the grass. "That's my ideal of a regular occupation," he said.

Miss Stackpole turned to him again, and, though her eyes had rested upon the picture, he saw she had missed the subject. She was thinking of something much more serious.

"لا أفهم كيف يمكنك توفيق ذلك مع إلتزامك بما يمليه عليك ضميرك."

"إنني يا سيدتي العزيزة، رجل لا ضمير له!"

"حسنا، أنصحك بالسعي للعمل على أن تُصبح رجلا صاحب ضمير، فستحتاج إلى ذلك في زيارتك التالية لأمريكا."

"أغلب الظن أن ذلك لن يحصل أبدا."

"هل تخجل من مظهرك؟"

فكّر رالف للحظة وابتسامة طفيفة بادية على مُحيّاه. "أظن الشخص الخالي من الضمير، خالٍ أيضا من مشاعر الخجل."

قالت هنريتا: "ما لا شك في أنك تتميّز بثقة نفس كبيرة، هل تعتبر من الصواب التخلّي عن بلدك؟."

"لا يمكن للمرء التخلّي عن بلده بالقدر الذي لا يمكنه التخلّي عن جدّته. فكلاهما متعارضان مع مَلَكة الخيار. إنها مجرّد عناصر في تكوين المرء يستحيل التخلّص منها أو إقصاءها."

"أظن هذا يعني أنك حاولت ذلك وكانت النتيجة وضعا أسوأ بالنسبة لك. ما هي فكرتهم عنك هنا؟"

"إنهم يعتبرونني شخصا مُبهجا."

"هذا لأنك تذعن لإراداتهم."

قال رالف متنهّدا: "آه، أقرّي ولو قليلا بأن ذلك عائد لسحري الفطري!"

"لا أعرف شيئا عن سحرك الفطري، إذا كنت تملك سحرا ولو ضئيلا فحتما إنه ليس فطريا بل مُكتسبا. أو على الأقل جهدتَ لاكتسابه خلال إقامتك في هذه البلاد. لا يمكنني القول أنك نجحت في ذلك. إنه في

"I don't see how you can reconcile it to your conscience."

"My dear lady, I have no conscience!"

"Well, I advise you to cultivate one. You'll need it the next time you go to America."

"I shall probably never go again."

"Are you ashamed to show yourself?"

Ralph meditated with a mild smile. "I suppose that if one has no conscience one has no shame."

"Well, you've got plenty of assurance," Henrietta declared. "Do you consider it right to give up your country?"

"Ah, one doesn't give up one's country any more than one gives up one's grandmother. They're both antecedent to choice–elements of one's composition that are not to be eliminated."

"I suppose that means that you've tried and been worsted. What do they think of you over here?"

"They delight in me."

"That's because you truckle to them."

"Ah, set it down a little to my natural charm!" Ralph sighed.

"I don't know anything about your natural charm. If you've got any charm it's quite unnatural. It's wholly acquired–or at least you've tried hard to acquire it, living over here. I don't say you've succeeded. It's a charm that I

مطلق الأحوال نوع من السحر الذي لا أستسيغه. إجعل نفسك مفيدا بطريقة أو بأخرى، وعندها يمكننا التكلم عن الموضوع."

"حسنا، أخبريني ما الذي يتوجّب عليّ القيام به؟"

"بداية، عُد فورا إلى وطنك الأم."

"نعم، حسنا، وبعد ذلك؟"

"تشبّث بقوة بمطلق أي شيء."

"حسنا، أي نوع من الأشياء؟"

"أي شيء ترغب به ويُثير إهتمامك، المهم أن تتشبّث به بقوة. فكرة جديدة، نوع من الأعمال الضخمة."

سأل رالف: "هل يُعتبر التشبّث بمطلق شيء مهمة شديدة الصعوبة؟"

"ليس إذا كنتَ تشعر بتوق شديد لتحقيق ما تتشبّث به."

"آه، قلبي. إذا كان الأمر يتوقّف على قلبي . . ."

"أليس عندك قلب؟"

"كان لدي قلب قبل بضعة أيام، ولكني فقدته منذ ذلك الحين."

علّقت الآنسة ستاكبول قائلة: "أنتَ لست بالرجل الجاد، هذه هي مشكلتك." ولكن بالرغم من كل هذا، سمحت له بعد يومين أو ثلاث بالإستئثار ثانية باهتمامها، ونسبت في مناسبة لاحقة سبب مختلف لعناده الغامض. قالت: "أعلم ما مشكلتك يا سيد توشيت، تظن أنك أرفع من أن تتزوج."

"كان هذا إعتقادي إلى أن التقيتُ بكِ، يا آنسة ستاكبول، وعندها تخلّيت فجأة عن إعتقادي ذاك."

همهمت هنريتا قائلة: "أوه يا لهذا الكلام الفارغ!"

قال رالف: "وعندها تبيّن لي أنني لستُ أهلاً لكِ بما فيه الكفاية."

don't appreciate, anyway. Make yourself useful in some way, and then we'll talk about it."

"Well, now, tell me what I shall do," said Ralph.

"Go right home, to begin with."

"Yes, I see. And then?"

"Take right hold of something."

"Well, now, what sort of thing?"

"Anything you please, so long as you take hold. Some new idea, some big work."

"Is it very difficult to take hold?" Ralph enquired.

"Not if you put your heart into it."

"Ah, my heart," said Ralph. "If it depends upon my heart-!"

"Haven't you got a heart?"

"I had one a few days ago, but I've lost it since."

"You're not serious," Miss Stackpole remarked; "that's what's the matter with you." But for all this, in a day or two, she again permitted him to fix her attention and on the later occasion assigned a different cause to her mysterious perversity.

"I know what's the matter with you, Mr. Touchett," she said. "You think you're too good to get married."

"I thought so till I knew you, Miss Stackpole," Ralph answered; "and then I suddenly changed my mind."

"Oh pshaw!" Henrietta groaned.

"Then it seemed to me," said Ralph, "that I was not good enough."

"سيدفعك هذا الأمر لتحسين وضعك، أضف إلى ذلك أنه واجب عليك القيام به."

"آه، أليس من نهاية للواجبات! هل يُعتبر الزواج هو الآخر واجبا؟"

"طبعا. ألم تكن تُدرك هذه الحقيقة من قبل؟ من واجب كل إنسان أن يتزوج."

فكّر رالف للحظة وشعوره بالإحباط يعتريه من كل جانب. كان هناك شيء في الآنسة ستاكبول كان قد بدأ يستهويه ويميل إليه، فقد بدا له أنها في حال لم تكن امرأة ساحرة فهي على الأقل من "النوع" الجيد جدا من النساء. كانت تفتقر إلى التميُّز، ولكنها كما قالت إيزابيل، امرأة جريئة: لا تهاب سلوك الدروب المُقفلة وتتباهى بالجَلد أشبه بمروّض الأسود اللامع. لم يتصوّر أنها مؤهّلة لممارسة الحِيَل المألوفة، إلا أن كلماتها الأخيرة لفتت انتباهه كملاحظة خادعة. فحين تلحّ امرأة في سن الزواج على شاب في وضع مالي جيد أن يُقدم على الزواج، يصعب عندها إعتبار سلوكها ذاك نابع من دوافع غَيرية.

أجاب رالف: "آه، حسنا، يوجد الكثير من التعليقات حول هذه النقطة."

"ربما، ولكن هذا هو الأمر الأهم. لا يسعني سوى مصارحتك بأن وضعك وسلوكك كرجل عازب يوحيان وكأنك تعتبر لا وجود للمرأة التي تستحقك. هل تظن أنك أفضل من سائر بني البشر؟ يُعتَبر الزواج أمرا مألوفا في أمريكا."

سأل رالف: "إذا كان الزواج واجب حتمي بالنسبة لي، أليس هو كذلك استطرادا بالنسبة لكِ؟"

"It would improve you. Besides, it's your duty."

"Ah," cried the young man, "one has so many duties! Is that a duty too?"

"Of course it is–did you never know that before? It's every one's duty to get married."

Ralph meditated a moment; he was disappointed. There was something in Miss Stackpole he had begun to like; it seemed to him that if she was not a charming woman she was at least a very good "sort." She was wanting in distinction, but, as Isabel had said, she was brave: she went into cages, she flourished lashes, like a spangled lion-tamer. He had not supposed her to be capable of vulgar arts, but these last words struck him as a false note. When a marriageable young woman urges matrimony on an unencumbered young man the most obvious explanation of her conduct is not the altruistic impulse.

"Ah, well now, there's a good deal to be said about that," Ralph rejoined.

"There may be, but that's the principal thing. I must say I think it looks very exclusive, going round all alone, as if you thought no woman was good enough for you. Do you think you're better than any one else in the world? In America it's usual for people to marry."

"If it's my duty," Ralph asked, "is it not, by analogy, yours as well?"

لمعت أشعة الشمس على محيّاها وعيناها. "ألديك رغبة قوية بانتقاد إستنتاجاتي من الوقائع الملموسة؟ طبعا لدي الحق بالزواج شأني شأن أي شخص آخر."

"حسنا إذن، لن أقول أن كونك عزباء يُغيظني بل على العكس، يُفرحني جدا."

"ما زلت غير جاد في كلامك، ولن تكون رجل جدّي أبدا."

"ألن تصدّقيني بأنني جادٌ في كلامي يوم أصرّح لك برغبتي بوضع نهاية لعزوبيتي؟"

نظرت إليه الآنسة ستاكبول للحظة بطريقة بدت وكأنها تنمّ عن إجابة يمكن إعتبارها من الناحية التقنية إجابة مشجعة. ولكنه ذُهِل لدى تبدّل تلك النظرة فجأة إلى تعبير ينمّ عن الرعب وحتى الامتعاض الشديد. "لا، لن أفعل حتى في مثل تلك الظروف." أجابت هي بطريقة جافّة ومن ثم غادرت الغرفة.

قال رالف ذلك المساء لإيزابيل: "لا أشعر بعاطفة حميمة تجاه صديقتك بالرغم من حديثي معها صباح اليوم لبعض الوقت عن هذا الموضوع."

أجابت الفتاة: "وقلت شيئا أثار امتعاضها؟"

ارتبك رالف. "هل تذمّرت مني؟"

"أخبرتني أنها تعتقد بوجود ما يُشبه التصرّف الدنيء جدا بطريقة معاملة الأوروبيين للنساء."

"هل تعتبرني أوروبيا؟"

"ومن أسوأهم على الإطلاق. أخبرتني أنك قلتَ لها شيئا لا يعقل لأمريكي قوله على الإطلاق، إلا أنها لم تقل لي ما هو."

Miss Stackpole's ocular surfaces unwinkingly caught the sun. "Have you the fond hope of finding a flaw in my reasoning? Of course I've as good a right to marry as any one else."

"Well then," said Ralph, "I won't say it vexes me to see you single. It delights me rather."

"You're not serious yet. You never will be."

"Shall you not believe me to be so on the day I tell you I desire to give up the practice of going around alone?"

Miss Stackpole looked at him for a moment in a manner which seemed to announce a reply that might technically be called encouraging. But to his great surprise this expression suddenly resolved itself into an appearance of alarm and even of resentment. "No, not even then," she answered dryly. After which she walked away.

"I've not conceived a passion for your friend," Ralph said that evening to Isabel, "though we talked some time this morning about it."

"And you said something she didn't like," the girl replied.

Ralph stared. "Has she complained of me?"

"She told me she thinks there's something very low in the tone of Europeans towards women."

"Does she call me a European?"

"One of the worst. She told me you had said to her something that an American never would have said. But she didn't repeat it."

Ralph treated himself to a luxury of laughter. "She's an extraordinary combination. Did she think I was making love to her?"

"No; I believe even Americans do that. But she apparently thought you mistook the intention of something she had said, and put an unkind construction on it."

"I thought she was proposing marriage to me and I accepted her. Was that unkind?"

Isabel smiled. "It was unkind to me. I don't want you to marry."

"My dear cousin, what's one to do among you all?" Ralph demanded. "Miss Stackpole tells me it's my bounden duty, and that it's hers, in general, to see I do mine!"

"She has a great sense of duty," said Isabel gravely. "She has indeed, and it's the motive of everything she says. That's what I like her for. She thinks it's unworthy of you to keep so many things to yourself. That's what she wanted to express. If you thought she was trying to–to attract you, you were very wrong."

"It's true it was an odd way, but I did think she was trying to attract me. Forgive my depravity."

"You're very conceited. She had no interested views, and never supposed you would think she had."

"One must be very modest then to talk with such women," Ralph said humbly. "But it's a very strange type. She's too personal–considering that she expects other people

سمح رالف لنفسه بالاستمتاع بترف الضحك. "إنها مزيج غريب واستثنائي. هل ظنّت أنني أغازلها؟"

"لا، أعتقد أنّه حتى الأمريكيون يفعلون ذلك. ولكن يبدو أنها ظنّت أنك أسأتَ فهم شيء قالته لك وفسّرته تفسيرا فظّا."

"ظننت أنها تعرض عليّ الزواج مني ووافقتُ على طلبها، هل يُعتَبر هذا تصرّفا فظّا؟"

ابتسمت إيزابيل.

"كان تصرّفا فظّا بالنسبة لي، أريدكَ ألّا تتزوج."

قال رالف: "كيف يمكن للمرء التصرّف معكن أنتن معشر النساء، يا إبنة خالتي العزيزة؟ تقول لي الآنسة ستاكبول أن الزواج واجب مُلزم بالنسبة لي، وواجبها بشكل عام بذل الجهد للتأكد من التزامي وقيامي بواجبي ذاك!"

قالت لإيزابيل بجدية: "لديها حسّ كبير بما يمليه الواجب، وهو الدافع لكل ما تقوله؛ وهذا بالضبط ما يُثير إعجابي بها. تشعر أنه لا يجدر بك أن تكون باطنيا إلى هذه الدرجة. هذا ما كانت ترغب بالتعبير عنه، وإذا ظننت أنها كانت تحاول جذبك إليها، فأنت مخطئ جدا في تفكيرك هذا."

"صحيح كان أسلوبا غريبا، إلا أنني فعلا ظننت أنها تحاول إستمالتي إليها. أعذري فسوقي."

"إنك مغرور جدا. لم يكن لديها أية رغبة في ذلك، ولم تظن مطلقا أنك قد تظن ذلك."

قال رالف بتواضع: "يجدر بالمرء إذن التصرف بتواضع جمّ للتحدّث مع هذا النوع من النساء. ولكنه نوع غريب للغاية. إنها ذاتية للغاية آخذين بعين الاعتبار توقّعها أن يكون الآخرين غير ذاتيين. تدخل الغرفة دون

not to be. She walks in without knocking at the door."

"Yes," Isabel admitted, "she doesn't sufficiently recognize the existence of knockers; and indeed I'm not sure that she doesn't think them rather a pretentious ornament. She thinks one's door should stand ajar. But I persist in liking her."

"I persist in thinking her too familiar," Ralph rejoined, naturally somewhat uncomfortable under the sense of having been doubly deceived in Miss Stackpole.

"Well," said Isabel, smiling, "I'm afraid it's because she's rather vulgar that I like her."

"She would be flattered by your reason!"

"If I should tell her I wouldn't express it in that way. I should say it's because there's something of the 'people' in her."

"What do you know about the people? and what does she, for that matter?"

"She knows a great deal, and I know enough to feel that she's a kind of emanation of the great democracy–of the continent, the country, the nation. I don't say that she sums it all up, that would be too much to ask of her. But she suggests it; she vividly figures it."

"You like her then for patriotic reasons. I'm afraid it is on those very grounds I object to her."

"Ah," said Isabel with a kind of joyous sigh, "I like so many things! If a thing strikes me with a certain intensity I

استئذان أو طرق الباب. "

قالت إيزابيل: "هذا صحيح، لا تعترف بوجود مقارع الأبواب، وأكاد أميل للاعتقاد أنها تعتبر تلك المقارع مجرّد زينة طنّانة، فهي تعتقد بوجوب إبقاء الأبواب مفتوحة على مصراعيها بشكل دائم، إلا أن هذا الأمر لا يجعلني أقل إصرارا على الإعجاب بها. "

"وأنا أصر على القول أنها تتخطّى الرسميات واللياقات إلى حد كبير. " قال رالف ذلك وهو متضايق بعض الشيء لشعوره بضلاله المضاعف في ما تعلق بالآنسة ستاكبول.

"بالواقع، أخشى أن إعجابي الشديد بها مردّه لسلوكها الخارج عن المألوف إلى حد ما. " قالت إيزابيل وهي تبتسم.

"لا شك أنها ستشعر بالإطراء لتحليلك هذا!"

"إذا ما تسنّى لي البوح لها بهذه الحقيقة فإنني لن أعبّر عنها بهذا الإسلوب، بل سأعلمها بأن إعجابي بها يعود لأنني أجد في داخلها شيء من "عامة الشعب. "

"وما أدراك أنتِ وهي بعامة الشعب؟

"لديها إطّلاع واسع عن هذا الموضوع، كما أعرف عنه ما يكفي لأشعر بأنها نوع من الإنبثاق لمبدأ الديمقراطية العظيم ـ للقارة، للبلاد وللوطن. لا أقول أنها تجسيد لكل هذا، فهذا فوق طاقتها. إلا أنها توحي بذلك بأسلوب نابض بالحياة. "

"إعجابك بها إذن مردّه لأسباب وطنية، أخشى أن معارضتي لها مردّها إلى هذه الأسباب بالذات. "

"أوه، إنني معجبة بأمور عديدة! أتقبل كل ما يستوقفني أو يلفت إنتباهي بطريقة حادّة وغير مألوفة. لا أقصد التباهي، ولكن أظن أنني

accept it. I don't want to swagger, but I suppose I'm rather versatile. I like people to be totally different from Henrietta - in the style of Lord Warburton's sisters for instance. So long as I look at the Misses Molyneux they seem to me to answer a kind of ideal. Then Henrietta presents herself, and I'm straightway convinced by her; not so much in respect to herself as in respect to what masses behind her."

"Ah, you mean the back view of her," Ralph suggested.

"What she says is true," his cousin answered; "you'll never be serious. I like the great country stretching away beyond the rivers and across the prairies, blooming and smiling, and spreading till it stops at the green Pacific! A strong, sweet, fresh odour seems to rise from it, and Henrietta - pardon my simile–has something of that odour in her garments."

Isabel blushed a little as she concluded this speech, and the blush, together with the momentary ardour she had thrown into it, was so becoming to her that Ralph stood smiling at her for a moment after she had ceased speaking. "I'm not sure the Pacific's so green as that," he said; "but you're a young woman of imagination. Henrietta, however, does smell of the Future–it almost knocks one down!"

مُتعددة الجوانب. أميل لأن يكون الناس مختلفين تماما عن هنريتا، على شاكلة شقيقات اللورد وربيرتن مثلا، إذ كلّما تيسّر لي النظر إليهن يبدين بالنسبة لي وكأنهن تجسيدا لنوع من الكمالية. ومن ثم تأتي هنريتا بشخصيتها المؤثرة التي سرعان ما أنجذب بقوة إليها، ليس تقديرا لذاتها بقدر ما هو تقدير لِما تختزنه بداخلها." قالت إيزابيل بنوع من التنهّد المُبهج.

قال رالف متسائلا: "تقصدين صورتها الباطنية."

أجابت ابنة خالته: "هي مُحقّة فيما تقوله، لن تكون أبدا رجلا جادّا. أحب الريف الشاسع الممتدّ لما وراء الأنهار وعبر المروج المُزهرة والمبتسمة والمنتشرة حتى حدود المحيط الباسيفيكي الأخضر اللون! يبدو وكأن رائحة قوية، عذبة ونضرة ترتفع منها، وهنريتا ـ إعذر التشبيه ـ لديها في طيات ملابسها شيء من تلك الرائحة."

احمرّت إيزابيل قليلا وهي تختم هذه الخُطبة، وكان ذلك الاحمرار إلى جانب حماستها الخاطفة عاملين ملائمين لها لدرجة كبيرة بحيث أصبغاها بجاذبية خاصة ما جعل رالف ينظر إليها مبتسما لدى اختتامها لحديثها. "لا أظن أن المحيط الباسيفيكي يتميّز بتلك الخُضرة التي تتحدثين عنها، ولكنك لا شك امرأة شابة ذات خيال واسع؛ بينما هنريتا تتسم برائحة المستقبل. تكاد من قوتها تطرح المرء أرضا!"

Chapter Eleven

He took a resolve after this not to misinterpret her words even when Miss Stackpole appeared to strike the personal note most strongly. He bethought himself that persons, in her view, were simple and homogeneous organisms, and that he, for his own part, was too perverted a representative of the nature of man to have a right to deal with her in strict reciprocity. He carried out his resolve with a great deal of tact, and the young lady found in renewed contact with him no obstacle to the exercise of her genius for unshrinking enquiry, the general application of her confidence. Her situation at Gardencourt therefore, appreciated as we have seen her to be by Isabel and full of appreciation herself of that free play of intelligence which, to her sense, rendered Isabel's character a sister-spirit, and of the easy venerableness of Mr. Touchett, whose noble tone, as she said, met with her full approval–her situation at Gardencourt would have been perfectly comfortable had she not conceived an irresistible mistrust of the little lady for whom she had at first supposed herself obliged to "allow" as mistress of the house. She presently discovered, in truth, that this obligation was of the lightest and that Mrs. Touchett cared very little how Miss Stackpole behaved. Mrs. Touchett had defined her to Isabel as both an adventuress and a bore–adventuresses usually giving one more of a thrill; she had expressed some surprise at her niece's having selected such a friend, yet had immediately added that she

الفصل الحادي عشر

إتخذ قرارا عقب هذه الحادثة بعدم إساءة تفسير كلامها حتى حين تبدو الآنسة ستاكبول وكأنها تُغالي بتناولها للأمور الشخصية البحتة. فكّر بينه وبين نفسه أنها تعتبر الناس مجرّد كائنات بسيطة ومتجانسة، وأنه بنظرها ليس سوى نموذج منحرف للطبيعة الذكورية الشابة لدرجة لا تُتيح له الحق في التعامل معها على قدم المساواة والتبادلية الصرفة. نفّذ قراره بأسلوب غاية في الدبلوماسية ما جعل المرأة الشابة تجد عند اتصالها المباشر المُجدّد معه، غياب العوائق أمام ممارستها لعبقريتها المثابرة في تقصّي الحقائق والمعارف، والتطبيق العملي لثقتها الكبيرة في نفسها. وهكذا كان وضعها داخل غاردينكورت المدعوم بقوة من إيزابيل كما شاهدنا، وبوثوقها الشديد بأن ممارستها الحرة لقدراتها الفكرية والذهنية، التي تبيّن أنها متجانسة إلى حد بعيد مع أفكار إيزابيل، إلى جانب الإحترام السهل للسيد توشيت الذي، على حد قولها، لاقت تعابيره النبيلة إستحسانا كبيرا لديها، كما قالت ـ كان وضعها داخل غاردينكورت اتسم بكثير من الراحة النموذجية لو لم تتصوّر عدم وثوق تجاهها متعذر مقاومته من قِبل السيدة التي وجدت نفسها في بادئ الأمر مُلزمة على إعتبارها سيدة المنزل. ولكن سرعان ما اكتشفت حقيقة أن ذلك الواجب كان بالواقع معدوما نظرا لأن السيدة توشيت لم تُبدِ أي إكتراث أو إهتمام فيما يتعلق بطريقة تصرّف الآنسة ستاكبول. فقد حدّدت السيدة توشيت لإيزابيل رأيها بالآنسة ستاكبول بالقول أنها مجرد إنسانة مُغامِرة ومُمِلّة. علما أن المُغامرين غالبا ما تتّسم تصرفاتهم بشيء من الإثارة، وأنها مندهلة بعض الشيء من كون إبنة شقيقتها إختارت مثل هذه الإنسانة كصديقة لها، لكنها أضافت بشكل فوري بأنها تدرك تماما أن صديقات إيزابيل مسألة لا تخصّ سوى إيزابيل

وحدها وأنها لن تحاول أبدا الإعجاب بهن جميعا أو الطلب من الفتاة إقتصار صداقاتها على اللاتي يعجبنها.

قالت السيدة توشيت بكل صراحة: "لو كان مسموحا لك يا عزيزتي التعرّف ومقابلة الأشخاص الذين يحوذون على إعجابي فقط، لكان عندك عدد محدود جدا من الأصدقاء. كما لا أظن أنني مُعجبة برجل أو امرأة بما يكفي لتشجيعك ونصحك على مصادقته أو مصادقتها. فالنصيحة مسألة في غاية الجدّية. إنني لا أحب الآنسة ستاكبول. لا يعجبني شيء فيها أو بطريقة تصرفاتها، فهي ذات صوت عالي النبرة وتنظر إلى المرء وكأن الأخير يرغب بالنظر إليها. علما أنه لا يرغب في ذلك. إنني واثقة أنها عاشت طوال حياتها في مَثْوى، وأنا أمقت سلوك وطريقة انتهاك القواعد والأصول داخل تلك الأماكن. إذا سألتني ما إذا أفضّلُ طريقة سلوكي وتصرفاتي التي لا شك تعتبرينها سيئة للغاية، سأقول لك إنني أفضلها إلى حد كبير. تعلم الآنسة ستاكبول تماما أنني أكره مَدنيّة المَثاوي وتكرهني لكرهي تلك المدنية، لأنها تعتبرها الأفضل في العالم. كانت تفضّل إلى حد كبير لو كان غاردينكورت مَثْوى. بالنسبة لي أعتبر أن مثل هذا التصرف الصادر عن مطلق شخص أمر لا يُطاق! من المستحيل علي الإنسجام معها، وبالتالي لا جدوى من المحاولة."

كانت السيدة توشيت مُحقّة في تخمين أن هنريتا تستهجنها، لكنها فشلت في تحديد السبب. أقدمت بعد فترة قصيرة من وصولها على إطلاق تعليقات مثيرة للاستياء عن الفنادق الأمريكية، الأمر الذي أثار حفيظة مراسلة الأنتيرفيور التي خلال ممارستها لمهنتها اختبرت عن كثب نزلاء الفنادق على اختلافهم وتنوّعهم. عبّرت هنريتا عن وجهة نظر مفادها أن الفنادق الأمريكية هي الأفضل في العالم، بينما سجلت السيدة توشيت

knew Isabel's friends were her own affair and that she had never undertaken to like them all or to restrict the girl to those she liked.

"If you could see none but the people I like, my dear, you'd have a very small society," Mrs. Touchett frankly admitted; "and I don't think I like any man or woman well enough to recommend them to you. When it comes to recommending it's a serious affair. I don't like Miss Stackpole–everything about her displeases me; she talks so much too loud and looks at one as if one wanted to look at her–which one doesn't. I'm sure she has lived all her life in a boarding-house, and I detest the manners and the liberties of such places. If you ask me if I prefer my own manners, which you doubtless think very bad, I'll tell you that I prefer them immensely. Miss Stackpole knows I detest boarding-house civilization, and she detests me for detesting it, because she thinks it the highest in the world. She'd like Gardencourt a great deal better if it were a boarding-house. For me, I find it almost too much of one! We shall never get on together therefore, and there's no use trying."

Mrs. Touchett was right in guessing that Henrietta disapproved of her, but she had not quite put her finger on the reason. A day or two after Miss Stackpole's arrival she had made some invidious reflexions on American hotels, which excited a vein of counterargument on the part of the correspondent of the Interviewer, who in the exercise of her profession had acquainted herself, in the western world, with

every form of caravansary. Henrietta expressed the opinion that American hotels were the best in the world, and Mrs. Touchett, fresh from a renewed struggle with them, recorded a conviction that they were the worst. Ralph, with his experimental geniality, suggested, by way of healing the breach, that the truth lay between the two extremes and that the establishments in question ought to be described as fair middling. This contribution to the discussion, however, Miss Stackpole rejected with scorn. Middling indeed! If they were not the best in the world they were the worst, but there was nothing middling about an American hotel.

"We judge from different points of view, evidently," said Mrs. Touchett. "I like to be treated as an individual; you like to be treated as a 'party.'"

"I don't know what you mean," Henrietta replied. "I like to be treated as an American lady."

"Poor American ladies!" cried Mrs. Touchett with a laugh. "They're the slaves of slaves."

"They're the companions of freemen," Henrietta retorted.

"They're the companions of their servants-the Irish chambermaid and the negro waiter. They share their work."

"Do you call the domestics in an American household 'slaves'?" Miss Stackpole enquired. "If that's the way you desire to treat them, no wonder you don't like America."

"If you've not good servants you're miserable," Mrs.

العائدة للتو من خلاف مقيت مع تلك الفنادق، عن اقتناعها الجازم بأن تلك الفنادق هي الأسوأ في العالم. حاول رالف بلطفه المعهود رأب الصدع، مقترحا أن الحقيقة هي نقطة متوسطة بين الطرفين المتناقضين وأنه يجدر، من حيث الإنصاف، إعتبار هذه المؤسسات قيد المناقشة متوسطة الجودة. ولكن الآنسة ستاكبول سخرت من هذه المساهمة في المناقشة ورفضتها جملة وتفصيلا. متوسطة الجودة! عجبا! إذا لم تكن الفنادق الأمريكية الأفضل في العالم، فإنها بلا شك أسوأها على الإطلاق، لا وجود إطلاقا لما تُسميه فنادق أمريكية متوسطة الجودة"

أجابت السيدة توشيت: "من الواضح أن أحكامنا تنطلق من وجهات نظر متباينة تماما. أرغب بأن أُعامَل كفرد مُستقل بينما أنت تحبين أن تُعامَلي "كمجموعة"."

صاحت هنريتا قائلة: "لا أفهم ما تقصدين بكلامك، أرغب بأن أُعامَل كسيدة أمريكية."

صاحت السيدة توشيت ضاحكة: "مساكين السيدات الأمريكيات! إنهن جواري خَدمهن."

أجابت هنريتا بحجّة معاكسة: "إنهن رفيقات الإنسان الحُرّ."

"بل رفيقات خَدمهن. خادمات غرف النوم الإيرلنديات والنادل الزنجي. يشاطرنَ الخَدم في أعمالهم."

قالت الآنسة ستاكبول: "هل تعتبرين خَدم المنازل الأمريكية "عبيدا"؟ إذا كان هذا هو الأسلوب الذي تحبين أن تعامليهم به، فلا عجب أنكِ تكرهين أمريكا."

"لا شك أنكِ ستشعرين بالبؤس إذا لم يتوفّر لديك خَدمٌ أكفاء،

والخَدم في أمريكا سيئين للغاية، بينما لديّ في فلورنس خمسة خُدّام ممتازين. " قالت السيدة توشيت بنبرة هادئة جدا.

" لا أفهم ما حاجتك لخمسة خُدّام، لا أظن أنني أرغب بوجود خمسة أشخاص في ذلك الوضع يحيطون بي من كل جانب. " لم تتمالك هنريتا نفسها من التعليق على هذا النحو.

قالت السيدة توشيت بكثير من المعنى المُبَطّن في كلماتها: " أفضّلهم بذلك الوضع على أن يكونوا في وضع مخالف. "

سأل زوجها: "هل تفضلينني لو كنتُ كبير خدمك يا عزيزتي؟ "

"إطلاقا، فأنت تفتقر كلّيا للسمات الضرورية في مثل ذلك الشخص. "

قال رالف: "رفيقات الإنسان الحُرّ. يعجبني هذا القول يا آنسة ستاكبول. إنه وصف جميل. "

"لم أكن أقصدك يا سيدي حين قلت الإنسان الحرّ. "

كان هذا الجزاء الوحيد الذي حصل عليه رالف لقاء إطرائه لها. وقعت الآنسة ستاكبول في حيرة من أمرها، فقد كان واضحا إعتقادها بوجود شيء منطوٍ على خيانة في إعجاب السيدة توشيت لطبقة من الناس تعتبرها بقايا غامضة من النظام الإقطاعي. قد يكون سبب إنشغال ذهنها بهذا التصوّر ما دفعها للتريُّث بضعة أيام قبل انتهازها مناسبة ملائمة للقول لإيزابيل، " أتساءل يا صديقتي العزيزة ما إذا أصبحت إنسانة غير مُخلصة. "

" غير مُخلصة؟ غير مخلصة لكِ أنتِ يا هنريتا؟ "

" لا، سيكون هذا وضعا مؤلما للغاية؛ ولكن لم يكن هذا المقصد من كلامي. "

" غير مخلصة لوطني، إذن؟ "

Touchett serenely said. "They're very bad in America, but I've five perfect ones in Florence."

"I don't see what you want with five," Henrietta couldn't help observing. "I don't think I should like to see five persons surrounding me in that menial position."

"I like them in that position better than in some others," proclaimed Mrs. Touchett with much meaning.

"Should you like me better if I were your butler, dear?" her husband asked.

"I don't think I should: you wouldn't at all have the tenue."

"The companions of freemen–I like that, Miss Stackpole," said Ralph. "It's a beautiful description."

"When I said freemen I didn't mean you, sir!"

And this was the only reward that Ralph got for his compliment. Miss Stackpole was baffled; she evidently thought there was something treasonable in Mrs. Touchett's appreciation of a class which she privately judged to be a mysterious survival of feudalism. It was perhaps because her mind was oppressed with this image that she suffered some days to elapse before she took occasion to say to Isabel: "My dear friend, I wonder if you're growing faithless."

"Faithless? Faithless to you, Henrietta?"

"No, that would be a great pain; but it's not that."

"Faithless to my country then?"

"آه، آمل ألّا يحصل مثل هذا الأمر أبدا. أخبرتكِ برسالتي التي أرسلتها لكِ من ليفيربول أن لدي أخبارا خاصة أرغب بقولها لك. لم تسأليني أبدا ما هي تلك الأخبار، هل يا تُرى يعود سبب ذلك إلى أنه خامرك شعور بماهية تلك الأخبار؟"

قالت إيزابيل: "خامرني شعور إزاء ماذا؟ كقاعدة عامة لا أظن أنني إنسانة شكّاكة، أذكر الآن تلك الفقرة في رسالتك، ولكن أعترف أنني نسيتها تماما. ما هي الأخبار التي ترغبين بإطلاعي عليها؟"

بدت هنريتا مُحبطة، وظهر ذلك واضحا في نظراتها الثابتة. "هذا صحيح لم تسأليني قط عن تلك الأخبار. وكأنك اعتبرت أنها ليست بالأخبار الهامة. لقد تغيّرتِ. إنك تفكرين بأمور أخرى."

أخبريني ما تقصدين بكلامك، وعندها سأفكر بالأمر."

"هل فعلا ستفكرين بالأمر؟ هذا ما أرغب بمعرفته والتأكد منه."

قالت إيزابيل: "لا أملك سلطة مطلقة على أفكاري، ولكني سأبذل قصارى جهدي." حدّقت هنريتا بها بصمت لفترة ليست بالقصيرة ما كان بمثابة إمتحان عسير لصبر إيزابيل الأمر الذي دفع بطلتنا للقول في نهاية الأمر، "هل تقصدين بقولك أنكِ على وشك الزواج من أحدهم؟"

قالت الآنسة ستاكبول: "ليس قبل زيارتي ومشاهدتي لأوروبا بأكملها! ما الذي يُضحكك؟."

"ما أقصد قوله أن السيد غودوود رافقني في السفينة البخارية."

"آه!" أجابت إيزابيل.

"هذا رد ملائم تماما. أتيح لي التحدث معه مطوّلا وبشكل مُفصّل. لقد جاء للحاق بكِ."

"هل قال لكِ ذلك؟"

"Ah, that I hope will never be. When I wrote to you from Liverpool I said I had something particular to tell you. You've never asked me what it is. Is it because you've suspected?"

"Suspected what? As a rule I don't think I suspect," said Isabel. "I remember now that phrase in your letter, but I confess I had forgotten it. What have you to tell me?"

Henrietta looked disappointed, and her steady gaze betrayed it. "You don't ask that right–as if you thought it important. You're changed–you're thinking of other things."

"Tell me what you mean, and I'll think of that."

"Will you really think of it? That's what I wish to be sure of."

"I've not much control of my thoughts, but I'll do my best," said Isabel. Henrietta gazed at her, in silenee, for a period which tried Isabel's patience, so that our heroine added at last: "Do you mean that you're going to be married?"

"Not till I've seen Europe!" said Miss Stackpole. "What are you laughing at?" she went on. "What I mean is that Mr. Goodwood came out in the steamer with me."

"Ah!" Isabel responded.

"You say that right. I had a good deal of talk with him; he has come after you."

"Did he tell you so?"

قالت هنريتا ببراعة: "كلا، لم يخبرني شيئا من هذا القبيل؛ وهذا سبب معرفتي بالأمر. لم يأتِ على ذكركِ إلا نادرا، إلا أنني جئتُ على ذكركِ مرارا وتكرارا."

صمتت إيزابيل لبرهة وشحب لونها بعض الشيء لدى ذِكر إسم السيد غودوود، ثم قالت: "إنني آسفة جدا لإقدامك على مثل هذا العمل."

"بالواقع استمتعت بالقيام بذلك العمل، كما أعجبني أسلوبه في الإصغاء لكلام الآخرين. يمكنني بكل سهولة التحدّث دونما انقطاع ولفترة طويلة من الوقت لمُصغٍ مثله؛ كان ساكناً ومنفعلا جدا، إستوعب بالكامل كل كلمة نطقت بها."

سألت إيزابيل: "ما الذي قلته في ما يتعلق بي؟."

قلت أنكِ بشكل عام، أروع إنسانة عرفتها."

"إنني آسفة جدا لقولك هذا، فهو يعتبرني كذلك حتى قبل كلامك عني، من غير المُستحسن تشجيعه على هذا النحو."

"إنه مُستميت للحصول منك على إشارة مُشجعة، يمكنني رؤية وجهه الآن ونظرته الجادّة المُستغرقة في التفكير خلال حديثي معه. لم يسبق لي رؤية رجل قبيح يبدو بمثل هذه الوسامة."

قالت إيزابيل: "إنه رجل ساذج للغاية، ولكنه ليس قبيحا جدا."

"لا شيء يضاهي وضوح وبساطة العاطفة المؤثّرة."

"إنها ليست بعاطفة مؤثّرة، إنني واثقة أنها ليست كذلك."

"لا يبدو كلامك وكأنكِ واثقة مما تقولينه."

إبتسمت إيزابيل ابتسامة شبه جافّة. "سأقول هذا الكلام بأسلوب أفضل للسيد غودوود ذاته."

قالت هنريتا: "ستُتاح لكِ عما قريب مثل هذه الفرصة." لم تُجب

"No, he told me nothing; that's how I knew it," said Henrietta cleverly. "He said very little about you, but I spoke of you a good deal."

Isabel waited. At the mention of Mr. Goodwood's name she had turned a little pale. "I'm very sorry you did that," she observed at last.

"It was a pleasure to me, and I liked the way he listened. I could have talked a long time to such a listener; he was so quiet, so intense; he drank it all in."

"What did you say about me?" Isabel asked.

"I said you were on the whole the finest creature I know."

"I'm very sorry for that. He thinks too well of me already; he oughtn't to be encouraged."

"He's dying for a little encouragement. I see his face now, and his earnest absorbed look while I talked. I never saw an ugly man look so handsome."

"He's very simple-minded," said Isabel. "And he's not so ugly."

"There's nothing so simplifying as a grand passion."

"It's not a grand passion; I'm very sure it's not that."

"You don't say that as if you were sure."

Isabel gave rather a cold smile. "I shall say it better to Mr. Goodwood himself."

"He'll soon give you a chance," said Henrietta. Isabel

إيزابيل على هذا التوكيد الصادر عن رفيقتها بأسلوب حاسم. "سيجدكِ قد تغيّرتِ، لقد تأثرتِ ببيئتكِ الجديدة." تابعت هنريتا.

"محتملٌ جدا، فأنا شديدة التأثر بكل شيء."

صاحت الآنسة ستاكبول بمرح صاخب شبه جاف: "بكل شيء باستثناء السيد غودوود!".

لم تحاول إيزابيل حتى التظاهر بالابتسام ومن ثم أردفت قائلة بعد فترة وجيزة. "هل طلب منكِ التحدّث إليّ؟"

"ليس بشكل مباشر وصريح، لكنَّ عيناه كانتا تتوسّلان مني ذلك. وكذلك طريقة مصافحته لي حين ودّعني."

قالت إيزابيل وهي تبتعد عن صديقتها: "أشكركِ على ما هذا العمل الذي قمتِ به."

تابعت صديقتها قائلة: "نعم، لقد تغيّرتِ فعلا؛ فقد اكتسبتِ أفكارا جديدة خلال إقامتكِ هنا."

قالت إيزابيل: "آمل ذلك، يتوجّب على المرء اكتساب ما يمكنه من الأفكار الجديدة."

"هذا صحيح، لكن يجب ألّا تتعارض تلك الأفكار الجديدة مع الأفكار القديمة خاصة إذا كانت الأخيرة أفكارا صائبة وصحيحة."

إلتفت إيزابيل إليها ثانية. "إذا كنتِ تقصدين بكلامكِ أنه كان لدي أفكارا فيما يتعلّق بالسيد غودوود . . . !" لكنها تلعثمت أمام نظرات صديقتها العنيدة المتلألئة.

"يا طفلتي العزيزة، لا يمكن نكران تشجيعكِ له."

بدَت إيزابيل لوهلة وكأنها تحاول نكران تلك التهمة، إلا أنها بدلا من ذلك أجابت قائلة، "هذا صحيح، لقد شجّعته." ومن ثم سألت رفيقتها ما

offered no answer to this assertion, which her companion made with an air of great confidence. "He'll find you changed," the latter pursued. "You've been affected by your new surroundings."

"Very likely. I'm affected by everything."

"By everything but Mr. Goodwood!" Miss Stackpole exclaimed with a slightly harsh hilarity.

Isabel failed even to smile back and in a moment she said: "Did he ask you to speak to me?"

"Not in so many words. But his eyes asked it-and his handshake, when he bade me good-bye."

"Thank you for doing so." And Isabel turned away.

"Yes, you're changed; you've got new ideas over here," her friend continued.

"I hope so," said Isabel; "one should get as many new ideas as possible."

"Yes; but they shouldn't interfere with the old ones when the old ones have been the right ones."

Isabel turned about again. "If you mean that I had any idea with regard to Mr. Goodwood-!" But she faltered before her friend's implacable glitter.

"My dear child, you certainly encouraged him."

Isabel made for the moment as if to deny this charge; instead of which, however, she presently answered: "It's very

true. I did encourage him." And then she asked if her companion had learned from Mr. Goodwood what he intended to do. It was a concession to her curiosity, for she disliked discussing the subject and found Henrietta wanting in delicacy.

"I asked him, and he said he meant to do nothing," Miss Stackpole answered. "But I don't believe that; he's not a man to do nothing. He is a man of high, bold action. Whatever happens to him he'll always do something, and whatever he does will always be right."

"I quite believe that." Henrietta might be wanting in delicacy, but it touched the girl, all the same, to hear this declaration.

"Ah, you do care for him!" her visitor rang out.

"Whatever he does will always be right," Isabel repeated. "When a man's of that infallible mould what does it matter to him what one feels?"

"It may not matter to him, but it matters to one's self."

"Ah, what it matters to me–that's not what we're discussing," said Isabel with a cold smile.

This time her companion was grave. "Well, I don't care; you have changed. You're not the girl you were a few short weeks ago, and Mr. Goodwood will see it. I expect him here any day."

إذا علمت من حديثها معه عمّا ينوي القيام به. كان ذلك إرواءً لفضولها، إذ أنها كانت منزعجة من مناقشة هذا الموضوع ووجدت حديث وأسلوب هنريتا يفتقد لكثير من الدبلوماسية والكياسة.

"سألته ذلك وأخبرني أنه لا ينوي القيام بشيء مُحدّد. ولكن لا أصدّق هذا الكلام، فهو ليس من نوع الرجال الذين لا يفعلون شيئا. إنه رجل يتميّز بالأعمال الجريئة والحاسمة. فمهما حدث له سيكون دائما منهمكا في عمل ما، ومهما كان ذلك العمل فمن دون ريب سيكون عملاً صائبا وصحيحا." أجابت الآنسة ستاكبول.

"لا يمكنني سوى تأكيد ما تقولينه." قد تكون هنريتا تفتقد للكياسة، إلا أن الفتاة تأثرت كثيراً لدى سماعها هذا الإعتراف.

"آه، أنتِ تكنين له مشاعر خاصة!" صاحت زائرتها قائلة.

قالت إيزابيل: "مهما كان العمل الذي يقوم به فمن دون ريب سيكون عملا صائبا وصحيحا، فحين يكون الرجل من تلك العجينة الناجعة، لا يكترث بمشاعر الآخرين تجاهه؟."

"قد لا يكترث هو شخصيا بذلك، إلا أن ذلك يؤثر في نفس الآخرين."

قالت إيزابيل بابتسامة جافّة: "آه، ما يؤثّر في نفسيتي، لسنا في معرض مناقشته."

تكلمت صديقتها الآن بجدّية كاملة. "حسنا، لا تهمني آراء الآخرين، ولكنكِ تغيّرت فعلا. أنتِ لستِ الفتاة ذاتها التي عرفتها قبل بضعة أسابيع، ولا شك أن السيد غودوود سيلاحظ هذه الحقيقة. إنني أتوقع وصوله إلى هنا قريبا جدا."

"I hope he'll hate me then," said Isabel.

"I believe you hope it about as much as I believe him capable of it."

To this observation our heroine made no return; she was absorbed in the alarm given her by Henrietta's intimation that Caspar Goodwood would present himself at Gardencourt. She pretended to herself, however, that she thought the event impossible, and, later, she communicated her disbelief to her friend. For the next forty-eight hours, nevertheless, she stood prepared to hear the young man's name announced. The feeling pressed upon her; it made the air sultry, as if there were to be a change of weather; and the weather, socially speaking, had been so agreeable during Isabel's stay at Gardencourt that any change would be for the worse. Her suspense indeed was dissipated the second day. She had walked into the park in company with the sociable Bunchie, and after strolling about for some time, in a manner at once listless and restless, had seated herself on a garden bench, within sight of the house, beneath a spreading beech, where, in a white dress ornamented with black ribbons, she formed among the flickering shadows a graceful and harmonious image. She entertained herself for some moments with talking to the little terrier, as to whom the proposal of an ownership divided with her cousin had been applied as impartially as possible–impartially as Bunchie's own somewhat fickle and inconstant sympathies would allow. But she was notified for the first time, on this occasion, of the finite character of Bunchie's intellect; hitherto she had been mainly struck with

قالت إيزابيل: "آمل أن يكرهني إذن."

"أظن أنكِ تأملين بحصول ذلك بقدر ما أعتقد أن بمقدوره أن يكرهكِ."

لم تعلّق بطلتنا على هذا القول، فقد كانت مستغرقة في التفكير بالقلق الذي أثاره في داخلها إعلان هنريتا مجيء كاسبار غودوود إلى غاردينكورت. تظاهرت، على الأقل تجاه نفسها، باستحالة حصول مثل ذلك الحدث، ولاحقا أبلغت صديقتها إنكارها لذلك. إلا أنها وعلى مدى الثمانية والأربعين ساعة التالية، كانت في موقف المُتهيئة لسماع الإعلان عن وصول الرجل الشاب إلى المنزل. كان ذلك الشعور ضاغطا عليها، ما جعل الجو من حولها شديد الإنفعال، أشبه بالتبدّل المفاجىء في حالة الطقس؛ علما أن الجو الاجتماعي في غاردينكورت إتّسم بالانسجام والتناغم الكاملين خلال إقامة إيزابيل هناك، بحيث مطلق أي تبدّل قد يطرأ لا بد وأن يأخذ المنحى الأسوأ. وفعلا تبدّد قلقها وارتباكها في اليوم التالي. كانت تتنزّه في أرجاء الحديقة برفقة الكلب الأنيس بانشي، وتجوّلت لبعض الوقت وللمرة الأولى منذ قدومها إلى ذلك المكان بشكل مُتململ وبدون هوادة، وجلست في مقعد خشبي ضمن نطاق يمكنها من مشاهدة المنزل، تحت شجرة زان وارفة الأغصان، مرتدية فستانا أبيض مُزيّن بشرائط سوداء، حيث شكّلت بين الظلال الوامضة صورة جميلة ومتناغمة. روّحت عن نفسها لبعض الوقت بالتحدث مع الكلب الصغير، الذي انتهى إقتراح مقاسمته مع إبن خالتها بشكل نزيه ومتجرّد، بقدر ما كانت تسمح به طباع بانشي المُتقلّبة. ولكن أعلِمَت للمرة الأولى وفي هذه المناسبة بالذات، بطبيعة. فطنة وذكاء بانشي المتناه؛ فقد كانت حتى هذه اللحظة مُعجبة بشمولية تلك الفطنة. بدا لها في نهاية المطاف أنه يُستحسن

بها مطالعة كتاب؛ إعتادت في الماضي كلما شعرت بالحزن وانقباض الصدر تناول أحد الكتب المختارة والانكباب على مطالعته محوّلةً بذلك كامل تركيزها ومداركها إلى مَلكة المنطق. بدا في الآونة الأخيرة وكأنها تخلّت أو تناست تلك العادة. فبالرغم من أن مكتبة زوج خالتها كانت مليئة بالكتب المختارة والتي لا تكتمل المكتبات الجديرة بالإحترام إلا بوجودها، كانت تجلس الساعات الطوال فارغة اليدين وبدون حراك، ونظراتها غارقة في اخضرار عشب المخضرة في الخارج. سرعان ما انقطع حبل تفكيرها العميق بوصول إحدى الخادمات حاملة بيدها رسالة لها. كانت تلك الرسالة تحمل خاتم بريد لندن ومكتوبة بخط يد تعرفه جيدا. وتراءت أمامها صورة ذلك الشخص ووجهه ووقع نبرات صوته وكأنها صورة ناطقة أمامها. كانت تلك الرسالة قصيرة وموجزة، ويمكننا تقديمها لكم بكاملها.

"عزيزتي الآنسة آرتشير. لا أعلم ما إذا وصلك خبر رغبتي بالتوجه إلى إنجلترا، ولكن حتى لو لم تفعلي، فلن يكون ذلك الأمر مفاجئة غير متوقعة تماما بالنسبة لك. تذكرين حين صرفتني من منزلك في ألباني قبل ثلاثة أشهر، لم أستسلم للأمر الواقع بل عارضته بشدة. بالواقع بدا لي أنكِ تقبّلتِ احتجاجي واعترفتِ بصوابية موقفي. إنني قادم رغبة مني لألقاكِ على أمل إقناعكِ بتبديل موقفكِ مني، والأسباب التي دفعتني لذلك الأمل كانت أسبابا وجيهة. ولكنكِ خيّبتِ أملي؛ تبيّن لي أنكِ تغيّرتِ ولم تتمكّني من إعطائي سببا وجيها لذلك التبدّل الذي طرأ عليكِ. إعترفتِ بأنكِ كنتِ غير منطقية في تصرّفاتك، وكان ذلك الإعتراف الوحيد الذي أقدمتِ عليه، لكنه كان رخيصا جدا، لأنه مخالف لطبيعتكِ. لا ولن تكوني أبدا إنسانة ذات طبيعة إستبدادية أو نَزوية. هذا بالواقع ما يجعلني أجزم بموافقتكِ على

its extent. It seemed to her at last that she would do well to take a book; formerly, when heavy-hearted, she had been able, with the help of some well-chosen volume, to transfer the seat of consciousness to the organ of pure reason. Of late, it was not to be denied, literature had seemed a fading light, and even after she had reminded herself that her uncle's library was provided with a complete set of those authors which no gentleman's collection should be without, she sat motionless and empty-handed, her eyes bent on the cool green turf of the lawn. Her meditations were presently interrupted by the arrival of a servant who handed her a letter. The letter bore the London postmark and was addressed in a hand she knew–that came into her vision, already so held by him, with the vividness of the writer's voice or his face. This document proved short and may be given entire.

MY DEAR MISS ARCHER–I don't know whether you will have heard of my coming to England, but even if you have not it will scarcely be a surprise to you. You will remember that when you gave me my dismissal at Albany, three months ago, I did not accept it. I protested against it. You in fact appeared to accept my protest and to admit that I had the right on my side. I had come to see you with the hope that you would let me bring you over to my conviction; my reasons for entertaining this hope had been of the best. But you disappointed it; I found you changed, and you were able to give me no reason for the change. You admitted that you were unreasonable, and it was the only concession you would make; but it was a very cheap one,

لقائي ثانية. أخبرتني أن حضوري لا يُشكّل إزعاجا بالنسبة لكِ، وصدّقت ذلك، إذ لا أجد أي مبرّر يجعلكِ تنفرين من وجودي معك. سأفكّر دائما وأبدا بكِ وليس بأحد سواك. جئتُ إلى إنجلترا بكل بساطة بسبب وجودكِ فيها وليس لأي سبب آخر. كان من المستحيل عليّ البقاء في الوطن بعدما رحلتِ عنه. كرهتُ بلادي لعدم وجودكِ فيها، وإذا كنتُ أشعر حاليا ببعض الإعجاب بهذه البلاد، فهذا مردّه لوجودكِ فيها. سبق لي زيارة إنجلترا من قبل ولم أجد فيها ما يُثير إعجابي. أتسمحين لي بالمجيء لمقابلتكِ لنصف ساعة؟ هذه في الوقت الحاضر أعز أمنية على قلبي.
المخلص لكِ

كاسبار غودوود"

قرأت إيزابيل تلك الرسالة الخطية بكثير من الاهتمام والتركيز لدرجة لم تسمع اقتراب وقع خطوات على العشب الناعم. رفعت نظرها وهي تطوي الرسالة بحركة آلية، ليُطالعها اللورد وربيرتن واقفا أمامها.

because that's not your character. No, you are not, and you never will be, arbitrary or capricious. Therefore it is that I believe you will let me see you again. You told me that I'm not disagreeable to you, and I believe it; for I don't see why that should be. I shall always think of you; I shall never think of any one else. I came to England simply because you are here; I couldn't stay at home after you had gone: I hated the country because you were not in it. If I like this country at present it is only because it holds you. I have been to England before, but have never enjoyed it much. May I not come and see you for half an hour? This at present is the dearest wish of yours faithfully

CASPAR GOODWOOD

Isabel read this missive with such deep attention that she had not perceived an approaching tread on the soft grass. Looking up, however, as she mechanically folded it she saw Lord Warburton standing before her.

الفصل الثاني عشر

وضعت الرسالة داخل جيبها ورحّبت بالزائر وهي تبتسم، دونما أن يظهر عليها أي أثر لِما يعتمل في داخلها من قلق أو اضطراب، شبه مندهشة بمتانة أعصابها ورباطة جأشها.

قال اللورد وربرتن: "أخبروني أنكِ خرجتِ إلى هنا، ونظرا لعدم وجود أحد في غرفة الاستقبال وواقع أن سبب مجيئي هو رغبتي برؤيتكِ أنتِ شخصيا، غادرت غرفة الاستقبال بهدوء وجئتُ إلى هنا."

كانت إيزابيل قد نهضت من مكانها، وتمنّت في تلك اللحظة ألّا يجلس إلى جانبها. "كنتُ أهمُ بالدخول إلى المنزل."

"أرجوكِ لا تفعلي، فالجو أكثر بهجة ومرحا في الخارج. قطعت مسافة الطريق من لوكليغ ممتطيا الجواد؛ الطقس فعلا رائع اليوم." كانت إبتسامته ودودة ومُرضية بشكل مُميّز، وبدا مظهره الخارجي تجسيدا لذلك الإشراق المرافق لطلاقة المُحيا ودماثة الخُلق التي شكّلت جاذبية انطباع الفتاة الأولى عنه. كانت تلك الصفات تحيطه من كل جانب أشبه بطوق من طقس ربيعي مُشرق.

"إذن سنتنزّه قليلا في أرجاء الحديقة." قالت ذلك إيزابيل، التي لم تتمكّن من تجريد نفسها من إحساس بوجود غرض مُحدّد لدى زائرها، ومن رغبة شديدة لديها للتملّص وإرواء فضولها من ذلك الغرض المُحدّد. سبق أن لمع في ذهنها ذلك الغرض المُحدد من قبل، وأثار لديها في تلك المناسبة كما رأينا، نوعا من الذعر. كان إحساس الذعر ذاك مؤلف من عناصر عديدة، البعض منها ليس بالضرورة مثير للإمتعاض؛ بالواقع أمضت بضعة أيام بتحليل تلك المشاعر ونجحت في فصل الجزء المثير من فكرة "انجذاب" اللورد وربيرتن إليها عن الأجزاء المؤلمة. قد يبدو لبعض

Chapter Twelve

She put the letter into her pocket and offered her visitor a smile of welcome, exhibiting no trace of discomposure and half surprised at her coolness.

"They told me you were out here," said Lord Warburton; "and as there was no one in the drawing-room and it's really you that I wish to see, I came out with no more ado."

Isabel had got up; she felt a wish, for the moment, that he should not sit down beside her. "I was just going indoors."

"Please don't do that; it's much jollier here; I've ridden over from Lockleigh; it's a lovely day." His smile was peculiarly friendly and pleasing, and his whole person seemed to emit that radiance of good-feeling and good fare which had formed the charm of the girl's first impression of him. It surrounded him like a zone of fine June weather.

"We'll walk about a little then," said Isabel, who could not divest herself of the sense of an intention on the part of her visitor and who wished both to elude the intention and to satisfy her curiosity about it. It had flashed upon her vision once before, and it had given her on that occasion, as we know, a certain alarm. This alarm was composed of several elements, not all of which were disagreeable; she had indeed spent some days in analyzing them and had succeeded in separating the pleasant part of the idea of Lord Warburton's "making up" to her from the painful. It

القرّاء أن الفتاة الشابة إنسانة متهوّرة ونيّقة في آن معا على نحو غير ملائم، ولكن الصفة الأخيرة، في حال كانت التُهمة صحيحة، قد تساهم في تبرئتها من عار الأولى. لم تكن مُتلهّفة للاقتناع بأن شخصية إقليمية جذّابة، كما كان يُدعى اللورد وربيرتن باعتراف الكثيرين، مفتون بجمالها؛ بالواقع البوح العاطفي من قِبَل شخص مثله يحمل في طيّاته الكثير من التساؤلات والشكوك التي لا أجوبة شافية لها.

كان لديها انطباع قوي بأنه "شخصية بارزة"، وقد اهتمّت شخصيا بتحليل ذلك الانطباع المتكوّن لديها. مجازفين بتعزيز الدلائل الواضحة بثقتها الكبيرة بنفسها، لا بد من القول أنه كانت هناك لحظات حين كانت تعتبر ذلك الإعجاب بها من قِبَل شخصية بارزة بمثابة تعدٍ مُزعج يكاد يُقارب حدود الإهانة. لم يسبق لها حتى تلك الفترة التعرّف على شخصية بارزة، لم يكن هناك من شخصيات بارزة، بهذا المعنى، في حياتها؛ وقطعا لم يكن هناك شخصيات بارزة من هذا النوع في موطنها. كانت حين تفكّر بشخص رفيع المقام، تفعل ذلك استنادا لشخصيته وتوقّد ذهنه بما يمكن للمرء الإعجاب به في طريقة تفكير الرجل وأسلوب حديثه. كانت هي ذاتها شخصية مميّزة. كان من المتعذر عليها عدم إدراك هذه الحقيقة؛ ومنذ ذلك الحين أصبحت تصوراتها للإدراك المُكتمل مقترنا بانطباعات ذهنية مناقبية. أمور تتعلق بالاستجابة لتساؤلاتها ما إذا تلك الإنطباعات تستهوي حيويتها ونفسيتها السامية. ظهر اللورد وربيرتن أمامها، بشكل غامض ومشعّ، كمجموعة من صفات وقدرات مميّزة لا يمكن قياسها وفق هذه القاعدة البسيطة؛ بل كانت تتطلّب تقديرا مخالفا. تقديرا شعرت معه الفتاة المعتادة على الحكم على الأمور بتسرّع وحرية، أنها تفتقر القدرة على منح طول الأناة المطلوبة. بدا وكأنه يتطلّب منها أمورا لم يسبق لأحد

may appear to some readers that the young lady was both precipitate and unduly fastidious; but the latter of these facts, if the charge be true, may serve to exonerate her from the discredit of the former. She was not eager to convince herself that a territorial magnate, as she had heard Lord Warburton called, was smitten with her charms; the fact of a declaration from such a source carrying with it really more questions than it would answer.

She had received a strong impression of his being a "personage," and she had occupied herself in examining the image so conveyed. At the risk of adding to the evidence of her self-sufficiency it must be said that there had been moments when this possibility of admiration by a personage represented to her an aggression almost to the degree of an affront, quite to the degree of an inconvenience. She had never yet known a personage; there had been no personages, in this sense, in her life; there were probably none such at all in her native land. When she had thought of individual eminence she had thought of it on the basis of character and wit–of what one might like in a gentleman's mind and in his talk. She herself was a character–she couldn't help being aware of that; and hitherto her visions of a completed consciousness had connected themselves largely with moral images–things as to which the question would be whether they pleased her sublime soul. Lord Warburton loomed up before her, largely and brightly, as a collection of attributes and powers which were not to be measured by this simple rule, but which demanded a different sort of appreciation- an appreciation that the girl, with her habit of judging quickly

and freely, felt she lacked patience to bestow. He appeared to demand of her something that no one else, as it were, had presumed to do. What she felt was that a territorial, a political, a social magnate had conceived the design of drawing her into the system in which he rather invidiously lived and moved.

A certain instinct, not imperious, but persuasive, told her to resist–murmured to her that virtually she had a system and an orbit of her own. It told her other things besides- things which both contradicted and confirmed each other; that a girl might do much worse than trust herself to such a man and that it would be very interesting to see something of his system from his own point of view; that on the other hand, however, there was evidently a great deal of it which she should regard only as a complication of every hour, and that even in the whole there was something stiff and stupid which would make it a burden. Furthermore there was a young man lately come from America who had no system at all, but who had a character of which it was useless for her to try to persuade herself that the impression on her mind had been light. The letter she carried in her pocket all sufficiently reminded her of the contrary. Smile not, however, I venture to repeat, at this simple young woman from Albany who debated whether she should accept an English peer before he had offered himself and who was disposed to believe that on the whole she could do better. She was a person of great good faith, and if there was a great deal of folly in her wisdom those who judge her

من قبل التجرؤ على طلبها منها. كل ما شعرت به هو أن شخصية إقليمية، سياسية واجتماعية بارزة فكّرت بصياغة خطة لجذبها داخل نظام تعيش وتتحرّك داخله بشكل تُحسَد عليه.

دفعتها غريزة غير متغطرسة ولكنها مُقنعة، لمقاومة ذلك الإغراء. همست إليها بأنه بالواقع لديها نظام ومَدار خاص بها. كما أخبرتها إلى جانب هذا بأمور أخرى إضافية. أمور متعارضة ومتناغمة مع بعضها البعض في آن معا؛ مفادها أن الفتاة يمكنها القيام بأمور أسوأ بكثير من الوثوق برجل من هذا النوع، وأنه سيكون من المثير التعرّف بعض الشيء ومن وجهة نظره على نظامه الخاص به؛ وأنه من ناحية أخرى يوجد الكثير من الأمور التي يوجّب عليها اعتبارها مجرّد أمور معقّدة، وأنه حتى بشكل عام، تتسم الكثير من تلك الأمور بالتصلّب والحماقة ما يحوّلها إلى حمل ثقيل. أضف إلى كل هذا، وصول شاب مؤخرا من أميركا يفتقر تماما إلى الأنظمة من أي نوع كانت، إلا أنه لديه شخصية قوية كان من غير الفائدة محاولة إقناع نفسها أن ذهنها وتفكيرها لم تتأثر بها. فالرسالة التي كانت تحملها داخل جيبها كانت تذكيرا كافيا لها بتلك الحقيقة. ولكن أعود وأكرر، لا تسخروا من تلك الفتاة الشابة البسيطة القادمة من ألباني، والتي كانت تقلّب مسألة القبول بنبيل إنجليزي من كل جوانبها، حتى قبل أن يقدّم نفسه إليها، والذي كان يميل للإعتقاد أنه بشكل عام، كان يمكنها القيام بعمل أفضل. كانت إنسانة ذات ثقة كبيرة بنفسها، وإذا كان هناك ثمة حماقة كبيرة في طريقة تفكيرها، فأولئك الذين يقسون عليها بحكمهم قد يشعرون بالرضى حين يتبيّن لهم لاحقا، أنها ستكتسب الحكمة بشكل مُضطّرد وثابت، ولكن

severely may have the satisfaction of finding that, later, she became consistently wise only at the cost of an amount of folly which will constitute almost a direct appeal to charity.

Lord Warburton seemed quite ready to walk, to sit or to do anything that Isabel should propose, and he gave her this assurance with his usual air of being particularly pleased to exercise a social virtue. But he was, nevertheless, not in command of his emotions, and as he strolled beside her for a moment, in silence, looking at her without letting her know it, there was something embarrassed in his glance and his misdirected laughter. Yes, assuredly–as we have touched on the point, we may return to it for a moment again–the English are the most romantic people in the world and Lord Warburton was about to give an example of it. He was about to take a step which would astonish all his friends and displease a great many of them, and which had superficially nothing to recommend it. The young lady who trod the turf beside him had come from a queer country across the sea which he knew a good deal about; her antecedents, her associations were very vague to his mind except in so far as they were generic, and in this sense they showed as distinct and unimportant. Miss Archer had neither a fortune nor the sort of beauty that justifies a man to the multitude, and he calculated that he had spent about twenty-six hours in her company.

He had summed up all this–the perversity of the impulse, which had declined to avail itself of the most liberal opportunities to subside, and the judgement of mankind, as

فقط كنتيجة مباشرة لارتكابها حماقة كبيرة تكاد تُشكّل نداء مباشرا للشفقة والرثاء.

بدا اللورد وربيرتن على أتمّ الاستعداد للسير، أو الجلوس أو القيام بأي شيء قد تقترحه إيزابيل، وقد أكّد لها ذلك بطريقة ممارسته لفضيلة إجتماعية بأسلوب مرض وسار جدا. ولكن بالرغم من هذا لم يكن مسيطرا تماما على عواطفه، وبينما كان يتمشّى إلى جانبها، صامتا للحظات ليسترق نظرة إليها دون أن يدعها تشعر بذلك ، كان هناك نوع من الخجل في نظرته وضحكته. نعم، من غير ريب. كما ذكرنا هذه النقطة سابقا، يمكننا العودة إليها ثانية بشكل سريع. قلنا أن الإنجليز أكثر الشعوب رومانسية في العالم، وكان اللورد وربيرتن على وشك أن يقدّم لنا نموذجا عن هذه الحقيقة. كان على وشك أن يُقدِم على خطوة ستُذهل جميع أصدقائه وتُثير إستياء الغالبية العظمى منهم، والتي ظاهريا كانت خالية من أية مزايا تشفع بها. قدِمت الفتاة الشابة السائرة إلى جانبه من بلاد غريبة، لم يكن لديه سوى صورة مُبهمة عن ماضيها ومعارفها، باستثناء أنهم من عامة الشعب، ما جعلهم من هذا المنطلق، عاملا بارزا وغير ذو شأن. ولم يكن للآنسة أرتشير لا الثروة الكبيرة أو الجمال الباهر الذي يُبرّر تصرّف الرجل أمام العامة، واحتسب أنه أمضى ما يُقارب الستّ وعشرين ساعة برفقتها.

كوّن رأياً فيما يتعلق بكل هذه الأمور. فعناد ذلك الإندفاع الرافض انتهاز أفضل الفرص المتوفّرة أمامه ليخمد ويهمد، إلى جانب حكم الجنس البشري، المتمثّل بشكل خاص بالأحكام المتسرعة الصادرة عن

ما يفوق أكثر من نصفه: جابه كل هذا بشكل مباشر وما لبث أن صرفه من أفكاره جملة وتفصيلا. لم يعُد يكترث لتلك العوامل أكثر مما يكترث للوردة في عُروة سترته. من حسن طالع الرجل أن يُمضي الجزء الأكبر من حياته دون أن يثير إستياء أصدقائه بحيث حين تفرض الظروف نفسها وتدفعه ليتصرف بشكل غير تقليدي نوعا ما، لا تُشوّه سمعته من خلال معارف ساخطين.

"هل استمتعت برحلتك؟" قالت إيزابيل، ملاحظة تردّد رفيقها.

"لا شك أنها كانت ستكون رحلة ممتعة لمجرّد أنها نقلتني إلى هنا."

"ألهذه الدرجة أنت مُغرم بغاردينكورت؟" سألت الفتاة السؤال، وهي واثقة أكثر فأكثر أنه على وشك البوح لها بعواطفه؛ مُتمنية عدم تحدّيه في حال تردّده، وفي الوقت ذاته الحفاظ على كامل هدوئها في حال استرساله. تبيّن لها فجأة أن وضعها الحالي الآن كانت ستعتبره قبل بضعة أسابيع فقط، وضعا غاية في الرومانسية: مُتَنزَّه أحد المنازل الريفية الإنجليزية القديمة الطراز، مع الواجهة الأمامية مزيّنة بأحد النبلاء "البارزين" (على حدِ ظنّها) وهو على وشك مصارحة فتاة شابة بحبه لها، والتي تبدو عقب مراقبة دقيقة ذات شبه كبير بها. ولكن في حال كانت هي بطلة تلك المناسبة الآن، فبالكاد نجحت بالنظر إلى تلك المناسبة بتجرّد.

قال رفيقها: "لا أكترث البتة لغاردينكورت، بل أنتِ فقط محور إهتمامي."

"لم يمضِ على معرفتكَ بي سوى فترة قصيرة جدا من الوقت ما لا يسمح لك قولَ هذا الكلام، كما لا يمكنني تصديق أنك جادٌ فيما تقوله."

exemplified particularly in the more quickly-judging half of it: he had looked these things well in the face and then had dismissed them from his thoughts. He cared no more for them than for the rosebud in his buttonhole. It is the good fortune of a man who for the greater part of a lifetime has abstained without effort from making himself disagreeable to his friends, that when the need comes for such a course it is not discredited by irritating associations.

"I hope you had a pleasant ride," said Isabel, who observed her companion's hesitancy.

"It would have been pleasant if for nothing else than that it brought me here."

"Are you so fond of Gardencourt?" the girl asked, more and more sure that he meant to make some appeal to her; wishing not to challenge him if he hesitated, and yet to keep all the quietness of her reason if he proceeded. It suddenly came upon her that her situation was one which a few weeks ago she would have deemed deeply romantic: the park of an old English country-house, with the foreground embellished by a "great" as she supposed nobleman in the act of making love to a young lady who, on careful inspection, should be found to present remarkable analogies with herself. But if she was now the heroine of the situation she succeeded scarcely the less in looking at it from the outside.

"I care nothing for Gardencourt," said her companion. "I care only for you.

"You've known me too short a time to have a right to say that, and I can't believe you're serious."

لم تكن إيزابيل صادقة تماما في كلامها هذا، إذ لم يكن لديها أدنى شك بجدّية كلامه. ولكن كلماتها تلك كانت بمثابة ثناء لواقع تُدركه جيدا وهو أن تلك الكلمات التي تفوّه بها ستُثير حتما ذهول الناس العاديين. بالإضافة إلى ذلك، إذا كانت بحاجة لدليل يؤكّد لها أن اللورد وربيرتن ليس بالشخص الطليق التفكير، فإن نبرة صوته التي أجاب بها على سؤالها كانت خير دليل على ذلك.

«لا يمكن قياس حق المرء في مثل هذه المسائل بفترات زمنية، يا آنسة آرتشير بل بالشعور بحد ذاته. لن يُشكّل انتظاري ثلاثة أشهر إضافية أي فارق، فلن أكون عندها أكثر وثوقا مما أقصده بكلامي مما أنا عليه اليوم. طبعا لم ألتقِ بك سوى لفترات قصيرة جدا، ولكن مشاعري تجاهك تكوّنت خلال الساعة الأولى من لقائنا. لم أضيّع وقتي سُدى، لقد أحببتك منذ ذلك الحين. كان حب من النظرة الأولى، كما تروي الروايات العاطفية؛ أعلم الآن أن هذا ليس كلاما خياليا، ومن الآن فصاعداً سأكن احتراما كبيرا للروايات العاطفية. لقد حسم اليومان اللذان قضيتهما هنا الأمر بالنسبة لي؛ لا أعلم ما إذا شككتِ بالأمر، ولكني كنتُ طوال ذلك الوقت أبدي اهتماما كبيرا بكِ. رصدت باهتمام كلي كل كلمة وحركة صدرت عنك. حين جئتِ إلى لوكليغ منذ بضعة أيام، أو بالأحرى حين غادرتِ لوكليغ، كنت قد حسمتُ أمري. ولكن بالرغم من ذلك صممتُ على التفكير مليا بالأمر، ولقد فعلت؛ لم أفعل شيئا سوى ذلك طوال الأيام الأخيرة الماضية. لا أخطىء في مثل هذه المسائل؛ إنني كائن بشري مُتّسم بدرجة عالية من حسن التمييز. لا أتولّع بالأمور والأشخاص بسهولة، ولكن حين تتحرّك مشاعري تجاه شخص، فمشاعري هذه تبقى

These words of Isabel's were not perfectly sincere, for she had no doubt whatever that he himself was. They were simply a tribute to the fact, of which she was perfectly aware, that those he had just uttered would have excited surprise on the part of a vulgar world. And, moreover, if anything beside the sense she had already acquired that Lord Warburton was not a loose thinker had been needed to convince her, the tone in which he replied would quite have served the purpose.

"One's right in such a matter is not measured by the time, Miss Archer; it's measured by the feeling itself. If I were to wait three months it would make no difference; I shall not be more sure of what I mean than I am to-day. Of course I've seen you very little, but my impression dates from the very first hour we met. I lost no time, I fell in love with you then. It was at first sight, as the novels say; I know now that's not a fancy-phrase, and I shall think better of novels for evermore. Those two days I spent here settled it; I don't know whether you suspected I was doing so, but I paid–mentally speaking I mean–the greatest possible attention to you. Nothing you said, nothing you did, was lost upon me. When you came to Lockleigh the other day–or rather when you went away–I was perfectly sure. Nevertheless I made up my mind to think it over and to question myself narrowly. I've done so; all these days I've done nothing else. I don't make mistakes about such things; I'm a very judicious animal. I don't go off easily, but when I'm touched, it's for life. It's for life, Miss Archer, it's for life."

معي مدى العمر، يا آنسة أرتشير، مدى العمر. " ردّد اللورد وربيرتن هذه العبارة بنبرة هي الألطف والأجمل والأكثر حنانا ممّا سبق لإيزابيل سماعه في حياتها، وهو يرمقها بنظرات مشحونة بوميض من الشغف الناخِل ذاته من الرغبة الجامحة وحرارة وعنف وجنون الحب الجارف، لامعا بثبات مُشابه لثبات وميض قنديل وسط مكان ساكن خالٍ تماما من الرياح.

تباطأ سيرهما خلال تبادلهما الحديث، وما لبثا أن توقّفا هُنيهة وهو يأخذ يدها بيده. "آه يا لورد وربيرتن، كم أنتَ جاهل بمكنونات نفسي!" قالت إيزابيل برقّة متناهية، وبرقّة مماثلة سحبت يدها من يده.

"لا تسخري مني بهذا الأسلوب المُهين، واقع أن معرفتي بكِ محدودة بعض الشيء يجعلني أشعر بالتعاسة؛ أشعر أنها خسارة شخصية بالنسبة لي. ولكن هذا ما أرغب به، وأظن أنني أسلك السبيل الأفضل لتحقيق رغبتي. إذا وافقتِ على أن تكوني زوجتي، ستُتاح لي فرصة للتعرّف على مشاعرك وأحاسيسك، وحين أخبركِ عن كل المزايا الحسنة التي أعتقد أنكِ تتحلّين بها، لن تتمكني من القول أنني أقولهاعن جهل."

قالت إيزابيل: "إذا كانت معرفتكَ بي محدودة، فمعرفتي بك محدودة أكثر."

"هل تقصدين بكلامك، أنه خلافا عنكِ، لن أتحسّن لدى ازدياد معرفتك بي؟ آه، طبعا هذا جائز جدا. ولكن فكّري، ألا يُعتَبر حديثي معك، بالأسلوب الذي أحدّثكِ به الآن، دليلا على مدى تصميمي لمحاولة الفوز برضاكِ! أنت مُعجبة بي بعض الشيء، أليس كذلك؟"

"إنني معجبة بكَ كثيرا، يا لورد وربيرتن." أجابت وقد كانت تشعر في هذه اللحظة بالذات بإعجاب شديد تجاهه.

"أشكركِ على قولك هذا، فهو دليل على أنكِ لا تعتبرينني شخصا

Lord Warburton repeated in the kindest, tenderest, pleasantest voice Isabel had ever heard, and looking at her with eyes charged with the light of a passion that had sifted itself clear of the baser parts of emotion–the heat, the violence, the unreason–and that burned as steadily as a lamp in a windless place.

By tacit consent, as he talked, they had walked more and more slowly, and at last they stopped and he took her hand. "Ah, Lord Warburton, how little you know me!" Isabel said very gently. Gently too she drew her hand away.

"Don't taunt me with that, that I don't know you better makes me unhappy enough already; it's all my loss. But that's what I want, and it seems to me I'm taking the best way. If you'll be my wife, then I shall know you, and when I tell you all the good I think of you you'll not be able to say it's from ignorance."

"If you know me little I know you even less," said Isabel.

"You mean that, unlike yourself, I may not improve on acquaintance? Ah, of course that's very possible. But think, to speak to you as I do, how determined I must be to try and give satisfaction! You do like me rather, don't you?"

"I like you very much, Lord Warburton," she answered; and at this moment she liked him immensely.

"I thank you for saying that; it shows you don't regard

me as a stranger. I really believe I've filled all the other relations of life very creditably, and I don't see why I shouldn't fill this one–in which I offer myself to you–seeing that I care so much more about it. Ask the people who know me well; I've friends who'll speak for me."

"I don't need the recommendation of your friends," said Isabel.

"Ah now, that's delightful of you. You believe in me yourself."

"Completely," Isabel declared. She quite glowed there, inwardly, with the pleasure of feeling she did.

The light in her companion's eyes turned into a smile, and he gave a long exhalation of joy. "If you're mistaken, Miss Archer, let me lose all I possess!"

She wondered whether he meant this for a reminder that he was rich, and, on the instant, felt sure that he didn't. He was sinking that, as he would have said himself; and indeed he might safely leave it to the memory of any interlocutor, especially of one to whom he was offering his hand. Isabel had prayed that she might not be agitated, and her mind was tranquil enough, even while she listened and asked herself what it was best she should say, to indulge in this incidental criticism. What she should say, had she asked herself? Her foremost wish was to say something if possible not less kind than what he had said to her. His words had carried perfect conviction with them; she felt she did, all so mysteriously, matter to him. "I thank you more than I can say for your offer," she returned at last. "It does me great honour."

غريبا عنكِ. إنني واثق بأنني أنجزت بامتياز كافة متطلّبات الحياة، ولا أرى أي سبب يحول دون إنجازي بنجاح طلبي هذا. حيث أقدّم نفسي لكِ. علماً أنني أعلّق أهمية كبرى على هذا الأمر. إسألي الأشخاص الذين يعرفونني جيداً، فلدي أصدقاء يمكنهم التحدّث عني."

قالت إيزابيل: "لا أحتاج لتوصيات أصدقائك."

"آه هذا أمر رائع، فأنتِ تثقين بي شخصيا."

"بشكل كامل." صرّحت إيزابيل بذلك وهي تشعر بتوقّد داخلي لبهجتها إزاء ذلك الشعور.

تحوّل الضياء في عيني رفيقها إلى ابتسامة، وانطلقت منه صيحة كبيرة من الفرح. "إذا كنتِ مُخطئة في ثقتكِ الكاملة بي يا آنسة آرتشر، فأنا على استعداد لخسارة كل ما أملك."

تساءلت ما إذا كان هذا التعليق إشارة منه إلى ثرائه الفاحش، ولكنها سرعان ما تأكّدت أنه لم يكن كذلك. فقد كان يحاول تجاهل هذه الحقيقة، وبالواقع كان سيُخلّفها في ذكرى مطلق مَن يُحاوره، خاصة إذا كان ذلك الشخص إنسانة يرغب بالزواج منها. تمنّت إيزابيل ألّا يبدو عليها الانفعال الشديد، وكان ذهنها ساكناً بما يكفي، حتى وهي تُصغي وتسأل نفسها عمّا هو الردّ الأفضل على مثل هذا التصريح. كانت رغبتها الأولى قول شيء يوازي لُطف كلماته التي نطق بها. كان لديها ثقة كاملة بصدقية وجدّية عواطفه تجاهها، بالرغم من غرابة هذا الموقف. أجابت أخيراً: "لا يمكنني التعبير عن مدى شكري لعرضك هذا، فهو شرف كبير لي."

"آه، أرجوكِ لا تقولي هذا. كنتُ أخشى أن تقولي شيئاً من هذا القبيل. لا أرى مُبرّراً على الإطلاق لتشكريني. بل أنا الذي عليه أن يشكركِ لتكرّمك بالإصغاء إلي: رجل بالكاد تعرفينه يتقدّم منكِ ويتحدّث إليك على هذا النحو المفاجئ! طبعاً أنه طلب بالغ الأهمية، وأود مصارحتكِ بأنني أفضّل الإكتفاء بطرحه كسؤال بدلاً من الإجابة عليه، ولكن واقع أنكِ أصغيتِ لكلامي، أو على الأقل لم تمانعي بالإصغاء إلى كلامي. يمنحني بعض الأمل." قال هو.

"لا تعقد آمالاً كبيرة." قالت إيزابيل.

"آه يا آنسة أرتشر!" تمتم رفيقها وهو يبتسم ثانية بالرغم من جدّية الموقف، وكأن هكذا تحذير ربما يجدر اعتباره مجرّد دعابة مُعبّرة عن شدّة بهجتها.

سألت إيزابيل: "هل سيكون الأمر مُفاجئاً جداً بالنسبة لك إذا ما توسّلتُ منك عدم الأمل على الإطلاق؟."

"مُفاجئاً؟ لا أعلم ما تقصدين بالمفاجأة. قطعاً لن يكون كذلك بل سيكون شعوراً أسوأ بكثير."

تابعت إيزابيل سيرها من جديد وهي صامتة لبعض الوقت. "إنني واثقة، على ضوء تقديري الكبير لك بالرغم من معرفتي القصيرة بك، أن ذلك التقدير سيزداد في حال تعمّقت معرفتي بك. ولكني لستُ متأكدة على الإطلاق ما إذا كنتَ أنتَ ستشعر بالإحباط نتيجة ذلك. أقول هذا بكل صدق وليس على الإطلاق من منطلق التواضع التقليدي."

أجاب رفيقها: "إنني راغب بالمخاطرة في ذلك يا آنسة أرتشر."

"إنه كما تقول، سؤال على درجة كبيرة من الأهمية، والإجابة عليه بالغة الصعوبة."

"Ah, don't say that!" he broke out. "I was afraid you'd say something like that. I don't see what you've to do with that sort of thing. I don't see why you should thank me–it's I who ought to thank you for listening to me: a man you know so little coming down to you with such a thumper! Of course it's a great question; I must tell you that I'd rather ask it than have it to answer myself. But the way you've listened–or at last your having listened at all–gives me some hope."

"Don't hope too much," Isabel said.

"Oh, Miss Archer!" her companion murmured, smiling again, in his seriousness, as if such a warning might perhaps be taken but as the play of high spirits, the exuberance of elation.

"Should you be greatly surprised if I were to beg you not to hope at all?" Isabel asked.

"Surprised? I don't know what you mean by surprise. It wouldn't be that; it would be a feeling very much worse."

Isabel walked on again; she was silent for some minutes. "I'm very sure that, highly as I already think of you, my opinion of you, if I should know you well, would only rise. But I'm by no means sure that you wouldn't be disappointed. And I say that not in the least out of conventional modesty; it's perfectly sincere."

"I'm willing to risk it, Miss Archer," her companion replied.

"It's a great question, as you say. It's a very difficult question."

"طبعاً لا أتوقّع منكِ الإجابة عليه فوراً. فكّري بالأمر ما دمت تعتبرين ذلك ضروريا. إذا ما وفّر لي الانتظار مكسباً، فإنني أرحّب به. ولكن تذكّري، في نهاية الأمر يا عزيزتي، بأن سعادتي تتوقّف على جوابك لي."

قالت إيزابيل: "سأشعر بأسف شديد لجعلك في ترقّب قلق."

"لا تقلقي بشأن ذلك. أفضّل ألف مرة الحصول على جواب مُفرح خلال ستة أشهر من الحصول على جواب سيء اليوم."

"ولكن من المُحتمل جداً أنه حتى بعد ستة أشهر لن أتمكّن من إعطائك الجواب الذي تعتبره جواباً مُفرحاً."

"ما الذي يحول دون ذلك، خاصة وأنني أثير إعجابك فعلاً؟"

قالت إيزابيل: "آه، لا تحتاج للتشكيك في هذه الحقيقة أبداً."

"حسناً إذن، لا أفهم ما تطلبينه أكثر من ذلك!"

"لا يتعلق الأمر بما أطلبه بل بما يمكنني تقديمه. لا أظن أنني أناسبك، حقا لا أظن ذلك."

"لا حاجة لأن تقلقي بشأن هذه المسألة، فهذا شأني. لا حاجة تدعوك لأن تكوني مَلكية أكثر من الملك."

قالت إيزابيل: "الأمر لا ينحصر فقط بهذه المسألة، فأنا أشك برغبتي بالزواج من أيّ شخص."

"أتفهم تماما ما تقولينه. لا شكّ لديّ على الإطلاق أن العديد من النساء يساورهن مثل هذا الشعور، ولكنهن سرعان ما يقتنعنّ." قال سيادته الذي بالرغم من البديهية التي نطق بها للتغلّب من خلالها على قلقه، لم يكن بالواقع يؤمن بصدقيتها.

"هذا لأنهن يرغبن بذلك!" وضحكت إيزابيل قليلا.

"I don't expect you of course to answer it outright. Think it over as long as may be necessary. If I can gain by waiting I'll gladly wait a long time. Only remember that in the end my dearest happiness depends on your answer."

"I should be very sorry to keep you in suspense," said Isabel.

"Oh, don't mind. I'd much rather have a good answer six months hence than a bad one to-day."

"But it's very probable that even six months hence I shouldn't be able to give you one that you'd think good."

"Why not, since you really like me?"

"Ah, you must never doubt that," said Isabel.

"Well then, I don't see what more you ask!"

"It's not what I ask; it's what I can give. I don't think I should suit you; I really don't think I should."

"You needn't worry about that. That's my affair. You needn't be a better royalist than the king."

"It's not only that," said Isabel; "but I'm not sure I wish to marry any one."

"Very likely you don't. I've no doubt a great many women begin that way," said his lordship, who, be it averred, did not in the least believe in the axiom he thus beguiled his anxiety by uttering. "But they're frequently persuaded."

"Ah, that's because they want to be!" And Isabel lightly laughed.

تجهّم وجه الرجل الراغب بالزواج منها، ونظر إليها صامتا لبعض الوقت. قال هو بعد قليل: "أخشى أن كوني إنجليزي الجنسية هو الذي يجعلك مترددة، أعلم أن عمك يرغب بأن تتزوجي رجلاً من أبناء وطنك."

أصغت إيزابيل إلى هذا التوكيد بشيء من الاهتمام؛ لم يخطر على بالها قط احتمال ميل السيد توشيت لمناقشة احتمالات زواجها مع اللورد وربيرتن. "هل صارحك بهذا؟"

"أذكر أنه نطق بهذه الملاحظة، ربما تحدّث عن الأمريكيين عموماً."

"يبدو لي أنه وجد الإقامة في إنجلترا ممتعة جداً." قالت إيزابيل ذلك بأسلوب شابه بعض العناد، إلا أنه كان انعكاسا لكلام عمها الدبلوماسي الطابع أبداً وكذلك لميلها العام للتملّص من أي إلتزام لتبنّي آراء مُحدّدة.

شعر رفيقها بشيء من الأمل المتجدّد على ضوء كلامها هذا ما دفعه للقول بحرارة. "آه يا عزيزتي الآنسة أرتشير، كما تعلمين، فإنَّ إنجلترا العزيزة بلاد رائعة فعلا! وستكون أفضل حين نصقلها بعض الشيء."

"إياك أن تفعل ذلك يا لورد وربيرتن، بل دعها كما هي. إنني معجبة بالوضع الذي هي عليه."

"حسنا، إذا كانت هذه رغبتك. ما زلتُ لا أفهم سبب معارضتك رغبتي بالزواج منك."

"أخشى أنني لن أتمكّن أبدا من جعلك تفهم ذلك."

"يمكنك على الأقل محاولة ذلك. إنني أتمتع بمستوى لا بأس به من

Her suitor's countenance fell, and he looked at her for a while in silence. "I'm afraid it's my being an Englishman that makes you hesitate," he said presently. "I know your uncle thinks you ought to marry in your own country."

Isabel listened to this assertion with some interest; it had never occurred to her that Mr. Touchett was likely to discuss her matrimonial prospects with Lord Warburton. "Has he told you that?"

"I remember his making the remark. He spoke perhaps of Americans generally."

"He appears himself to have found it very pleasant to live in England." Isabel spoke in a manner that might have seemed a little perverse, but which expressed both her constant perception of her uncle's outward felicity and her general disposition to elude any obligation to take a restricted view.

It gave her companion hope, and he immediately cried with warmth: "Ah, my dear Miss Archer, old England's a very good sort of country, you know! And it will be still better when we've furbished it up a little."

"Oh, don't furbish it, Lord Warburton; leave it alone. I like it this way.

"Well then, if you like it, I'm more and more unable to see your objection to what I propose."

"I'm afraid I can't make you understand."

"You ought at least to try. I've a fair intelligence. Are

الذكاء. هل تخشين المناخ؟ يمكننا بكل سهولة العيش في مكان آخر، كما تعلمين. يمكنك اختيار المناخ الذي يعجبك في كل بلاد العالم. "

همس بهذه الكلمات بنبرة مُفعَمة بالصراحة والإخلاص أشبه بعناق ذراعين قويين. كانت بالنسبة لها أشبه بعطر رائع غمر وجهها. أوشكت في تلك اللحظة على تقديم إصبعها الصغير له والاستسلام ببساطة للنبضة التي شعرت بها والإجابة بالقول، " يستحيل عليّ يا لورد وربيرتن على ما أظن العيش بهذا العالم الرائع بشكل أفضل من التزامي وقبولي شاكرة وفائك وإخلاصك لي. " ولكن بالرغم من ضياعها بروعة هذه الفرصة المتاحة أمامها، إلا أنها تمكّنت من التراجع إلى النقطة الأظلم فيها، أشبه بالحيوان البري داخل قفص فسيح، فالأمان "الرائع" الذي يُقدمه لها لم يكن أروع ما ترغب بالحصول عليه. ما قررت قوله له في نهاية الأمر كان مختلفا تماما عن الأفكار التي انتابتها. كان مجرد وسيلة لتأجيل الحاجة الملحة لمواجهة المأزق الذي تتخبّط به. "لا تعتبرني فظّة إذا ما طلبت منك التوقّف عن مناقشة هذه المسألة اليوم. "

"طبعا، طبعا! لا أرغب إطلاقا أن أكون مصدر إزعاج لك. "

"لقد وضعت أمامي عرضا يحتاج مني للتفكير العميق، وأعدك بأنني سأفعل ذلك. "

"طبعاً، هذا كل ما أطلبه منك. وكذلك تذكّري أن سعادتي بين يديك. "

أصغت إيزابيل باحترام كبير لتحذيره هذا، إلا أنها قالت بعد لحظات. "يتوجّب عليّ مصارحتك بأن الأمر الذي سأفكر به هو الطريقة الأفضل

you afraid–afraid of the climate? We can easily live elsewhere, you know. You can pick out your climate, the whole world over."

These words were uttered with a breadth of candour that was like the embrace of strong arms–that was like the fragrance straight in her face, and by his clean, breathing lips, of she knew not what strange gardens, what charged airs. She would have given her little finger at that moment to feel strongly and simply the impulse to answer: "Lord Warburton, it's impossible for me to do better in this wonderful world, I think, than commit myself, very gratefully, to your loyalty." But though she was lost in admiration of her opportunity she managed to move back into the deepest shade of it, even as some wild, caught creature in a vast cage. The "splendid" security so offered her was not the greatest she could conceive. What she finally bethought herself of saying was something very different–something that deferred the need of really facing her crisis. "Don't think me unkind if I ask you to say no more about this to-day."

"Certainly, certainly!" her companion cried. "I wouldn't bore you for the world."

"You've given me a great deal to think about, and I promise you to do it justice."

"That's all I ask of you, of course–and that you'll remember how absolutely my happiness is in your hands."

Isabel listened with extreme respect to this admonition, but she said after a minute: "I must tell you that what I shall think about is some way of letting you know that what you

لإعلامك أن ما تطلبه مني أمر مستحيل . إعلامك بهذه الحقيقة بدون التسبّب ببؤسك وتعاستك . "

"يستحيل عليك القيام بذلك يا آنسة آرتشير . لا أقصد بقولي هذا أنكِ ستقتلينني إذا ما رفضتِ طلبي ؛ لن أموت بسبب ذلك ، بل سيكون وضعي أسوأ من ذلك ، سأكون جسدا بلا روح ، سأحيا بدون طائل . "

"ستعيش لتتزوج من امرأة أفضل مني . "

قال اللورد وربرتن بجدّية : "أرجوك لا تقولي مثل هذا الكلام ، فهذا ليس بالأمر المنصف لكلينا . "

" لتتزوج امرأة أسوأ مني إذن . "

قال هو بجدّية : "إذا كان هناك وجود لنساء أفضل منك ، فإنني أفضّل السيئات منهن . هذا كل ما يمكنني قوله . لا يمكن تبرير الأذواق . "

دفعتها جدّيته للتصرّف معه بجدّية هي الأخرى مُعبّرة عن ذلك بتكرار طلبها منه للتوقّف عن مناقشة هذا الموضوع في الوقت الحاضر . "سأكلمك شخصيا بهذا الأمر . في وقت قريب جدا . ربما أبعث لك برسالة . "

"نعم ، كما تشائين . مهما كان الوقت الذي تحتاجينه سيبدو لي طويلا جدا ، وأظن يجدر بي الاستفادة قدر المستطاع من تلك الفترة . "

"لن أدعك في ترقّب فترة طويلة ، كل ما أحتاجه هو بعض الوقت لتجميع أفكاري . "

إنطلقت منه تنهيدة حزينة ووقف ينظر إليها للحظة ويداه وراء ظهره ، وهو يهزّ سوط الصيد بحركات عصبية . "هل تعلمين أنني في خشية كبيرة من أفكارك الرائعة تلك؟"

ask is impossible- letting you know it without making you miserable."

"There's no way to do that, Miss Archer. I won't say that if you refuse me you'll kill me; I shall not die of it. But I shall do worse; I shall live to no .purpose."

"You'll live to marry a better woman than I."

"Don't say that, please," said Lord Warburton very gravely. "That's fair to neither of us."

"To marry a worse one then."

"If there are better women than you I prefer the bad ones. That's all I can say," he went on with the same earnestness. "There's no accounting for tastes."

His gravity made her feel equally grave, and she showed it by again requesting him to drop the subject for the present. "I'll speak to you myself–very soon. Perhaps I shall write to you."

"At your convenience, yes," he replied. "Whatever time you take, it must seem to me long, and I suppose I must make the best of that."

"I shall not keep you in suspense; I only want to collect my mind a little."

He gave a melancholy sigh and stood looking at her a moment, with his hands behind him, giving short nervous shakes to his hunting-crop. "Do you know I'm very much afraid of it–of that remarkable mind of yours?"

يصعب على كاتب سيرة بطلتنا تفسير سبب الجَفل والإحمرار الذي غمر وجهها. رفعت نظرها إليه للحظة، ومن ثم قالت بنبرة مميزة في صوتها وكأنها تستنجد بشفقته. "وأنا أيضا يا سيدي!" صاحت بشكل غريب.

لم تتأثر مشاعر الشفقة لديه بتلك الصرخة، فكافة تلك المشاعر كان يحتاجها هو شخصيا. همس قائلاً: "آه، كوني رؤوفة! كوني رؤوفة!"

قالت إيزابيل: "أظن يجدر بك الانصراف الآن. سأكتب لك."

"حسنا؛ ولكن مهما كان فحوى الرسالة، سآتي لرؤيتك كما تعلمين." ومن ثم وقف مفكّرا للحظة وعيناه مُثبّتتان على قسمات وجه بانشي المراقبة له، والذي بدا وكأنه فهم كل ما دار من حديث أمامه، مُتظاهرا بالمحافظة على سرية ما شاهد وسمع بإظهار نوبة من الفضول المفرط بجذور شجرة السنديان القديمة. "مسألة أخيرة أرغب بلفت نظركِ إليها، كما تعلمين إذا كنتِ لا تحبين لوكليغ، إذا كنتِ تظنين أنه شديد الرطوبة أو أي شيء من هذا القبيل، فلا حاجة تدعوك للاقتراب منه حتى مسافة خمسين ميلا، علما أنه ليس رطبا البتة، فقد أجريت كشفا شاملا عليه وتبيّن أن المنزل آمن وملائم تماما. لا حاجة بك لاعتبار هذا الأمر بمثابة مشكلة على الإطلاق، يوجد العديد من المنازل الأخرى. فكّرت أنه يجدر بي الإشارة إلى هذا الموضوع، فكما تعلمين، بعض الأشخاص لا يحبون الخنادق المائية. مع السلامة."

قالت إيزابيل: "إنني مغرمة بالخنادق المائية، مع السلامة."

Our heroine's biographer can scarcely tell why, but the question made her start and brought a conscious blush to her cheek. She returned his look a moment, and then with a note in her voice that might almost have appealed to his compassion, "So am I, my lord!" she oddly exclaimed.

His compassion was not stirred, however; all he possessed of the faculty of pity was needed at home. "Ah! Be merciful, be merciful," he murmured.

"I think you had better go," said Isabel. "I'll write to you."

"Very good; but whatever you write I'll come and see you, you know." And then he stood reflecting, his eyes fixed on the observant countenance of Bunchie, who had the air of having understood all that had been said and of pretending to carry off the indiscretion by a simulated fit of curiosity as to the roots of an ancient oak. "There's one thing more," he went on. "You know, if you don't like Lockleigh–if you think it's damp or anything of that sort–you need never go within fifty miles of it. It's not damp, by the way; I've had the house thoroughly examined; it's perfectly safe and right. But if you shouldn't fancy it you needn't dream of living in it. There's no difficulty whatever about that; there are plenty of houses. I thought I'd just mention it; some people don't like a moat, you know. Good-bye."

"I adore a moat," said Isabel. "Good-bye."

مدّ لها يده مودّعاً وأعطته يدها للحظة ـ لحظة كافية لإحناء رأسه الوسيم وطبع قبلة عليها. وما لبث أن سار مسرعا مبتعدا عنها وهو ما زال مسيطرا على عواطفه. كان واضحا جدا أنه منزعج جدا.

كانت إيزابيل منزعجة هي الأخرى، إلا أنها لم تتأثر بما حدث كما تخيّلت أن تفعل. لم تشعر بمسؤولية ضخمة وصعوبة كبيرة في الاختيار، إذ بدا لها أن الأمر محسوم. لا يمكنها الزواج من اللورد وربيرتن، لم تكن تلك الفكرة بسبب رغبتها الجامحة لاكتشاف الحياة بحرية خالية من أية قيود. واجبها يُحتّم عليها الكتابة له وإقناعه بهذه الحقيقة، ولم يكن هذا بالأمر الصعب. ولكن الأمر الذي أقلقها، بمعنى أنه أثار ذهولها، كان سهولة رفضها لهكذا فرصة "ذهبية." لا يمكن نكران حقيقة أن اللورد وربيرتن قدّم لها فرصة رائعة؛ فالمركز الاجتماعي قد يكون يحمل في طياته بعض الإزعاج، قد يكون ثقيل الوطأة، قد يحتوي على أفراد ضيّقي أفق التفكير، وقد يتبيّن في نهاية الأمر أنه مجرّد مُسكّن مُذهل؛ ولكن لا بد من الإقرار أن تسعة عشر امرأة من بين عشرين امرأة كن رحّبن وتكيّفن مع ذلك المركز بكل سرور. لماذا إذن كان ذلك الوضع بالنسبة لها غير مقبول البتة؟ مَن وماذا تكون هي لتعتبر نفسها متميّزة عن الغالبية العظمى من بنات جنسها؟ أية نظرة للحياة، أي خطة قدرية، أية نظرية عن السعادة كانت تمتلك لتجعلها غير مكترثة بتلك الفرص الرائعة؟ إذا امتنعت عن القيام بذلك الدور فعليها القيام بمهمات عظيمة، مهمات أكثر أهمية. مسكينة إيزابيل، فقد وجدت خلفية لتذكير نفسها من وقت إلى آخر بضرورة التخلّي عن كبريائها المفرط، وكانت توسّلاتها لتخليصها من ذلك الخطر صادقة

He held out his hand, and she gave him hers a moment– a moment long enough for him to bend his handsome bared head and kiss it. Then, still agitating, in his mastered emotion, his implement of the chase, he walked rapidly away. He was evidently much upset.

Isabel herself was upset, but she had not been affected as she would have imagined. What she felt was not a great responsibility, a great difficulty of choice; it appeared to her there had been no choice in the question. She couldn't marry Lord Warburton; the idea failed to support any enlightened prejudice in favour of the free exploration of life that she had hitherto entertained or was now capable of entertaining. She must write this to him, she must convince him, and that duty was comparatively simple. But what disturbed her, in the sense that it struck her with wonderment, was this very fact that it cost her so little to refuse a magnificent "chance." With whatever qualifications one would, Lord Warburton had offered her a great opportunity; the situation might have discomforts, might contain oppressive, might contain narrowing elements, might prove really but a stupefying anodyne; but she did her sex no injustice in believing that nineteen women out of twenty would have accommodated themselves to it without a pang. Why then upon her also should it not irresistibly impose itself? Who was she, what was she, that she should hold herself superior? What view of life, what design upon fate, what conception of happiness, had she that pretended to be larger than these large, these fabulous occasions? If she

wouldn't do such a thing as that then she must do great things, she must do something greater. Poor Isabel found ground to remind herself from time to time that she must not be too proud, and nothing could be more sincere than her prayer to be delivered from such a danger: the isolation and loneliness of pride had for her mind the horror of a desert place. If it had been pride that interfered with her accepting Lord Warburton such a betise was singularly misplaced; and she was so conscious of liking him that she ventured to assure herself it was the very softness, and the fine intelligence, of sympathy.

She liked him too much to marry him, that was the truth; something assured her there was a fallacy somewhere in the glowing logic of the proposition–as he saw it- even though she mightn't put her very finest finger-point on it; and to inflict upon a man who offered so much a wife with a tendency to criticize would be a peculiarly discreditable act. She had promised him she would consider his question, and when, after he had left her, she wandered back to the bench where he had found her and lost herself in meditation, it might have seemed that she was keeping her vow. But this was not the case; she was wondering if she were not a cold, hard, priggish person, and, on her at last getting up and going rather quickly back to the house, felt, as she had said to her friend, really frightened at herself.

فعلا، فقد كانت وحدة وعُزلة الكبرياء بالنسبة لها متساوية مع رعب الصحراء القاحلة. إذا كان الكبرياء هو العائق الذي حال دون قبولها باللورد وربيرتن، فمثل هذه الحماقة كانت في غير موضعها على نحو استثنائي؛ وكانت مدركة جداً لإعجابها الشديد به لدرجة المخاطرة بالتأكيد لنفسها أن مشاعر العطف الشديد هي ذاتها التي تُملي عليها القرار الذي اتخذته.

كانت مُعجبة به جداً لدرجة تمنعها من الزواج به، هذه هي الحقيقة؛ كان هناك شيء أكّد لها خطأ المنطق المتوهّج الذي ميّز عرضه ـ بمنظاره هو ـ بالرغم من عدم قدرتها على وضع يدها على ذلك الشيء. وعدته بأنها ستفكّر ملياً بالعرض الذي تقدّم به، وحين عادت إلى المقعد الذي كانت جالسة عليه وغرقت في تفكير عميق، بدا وكأنها تفي بوعدها ذاك. ولكن بالواقع كانت الحقيقة خلاف ذلك، كانت تتساءل بينها وبين نفسها عما إذا كانت إنسانة قاسية باردة العواطف، وحين، بنهاية الأمر، نهضت وعادت بخطى مسرعة نحو المنزل، كانت تشعر كما صارحت صديقتها، برعب حقيقي مما وجدته داخل نفسها.

الفصل الثالث عشر

كان ذلك الشعور وليس الرغبة في طلب النصيحة. لم يكن لديها أية رغبة في ذلك. ما دفعها للتحدّث مع عمها بشأن ما حصل للتوّ. كانت بحاجة للتحدث مع أحد، لتشعر أكثر بإنسانيتها وعدم غرابة تصرّفاتها، وشكّل عمها من هذا المنطلق شخصا أفضل وأكثر ملاءمة من خالتها أو صديقتها هنريتا. طبعا كان بإمكانها الاعتماد على إبن خالتها لمصارحته بمكنونات نفسها، ولكن وجدت صعوبة كبرى في الإفصاح لرالف عن مثل هذا الحدث الخاص. وهكذا انتهزت الفرصة المناسبة صباح اليوم التالي عقب الانتهاء من وجبة الفطور، كان من عادة زوج خالتها ملازمة جناحه في المنزل حتى ساعات بعد الظهر واستقبال أصدقائه المُقرّبين إليه هناك. وكانت إيزابيل نجحت في الانضمام إلى تلك المجموعة من الناس التي كانت تضمّ إبن الرجل المُسنّ، وطبيبه، وخادمه الشخصي وحتى الآنسة ستاكبول. لم تكن السيدة توشيت من ضمن تلك القائمة، وكان ذلك بمثابة عائق آخر أزيح من أمام إيزابيل لإتاحة الفرصة لها للتحدّث إليه على انفراد. كان جالسا في كرسي ميكانيكي مُعقّد بالقرب من النافذة المُشرّعة في غرفته يمتّع نظره بمشهد المُتنزّه والنهر، وجرائده ورسائله مكوّمة إلى جانبه، وقد انتهى من عملية التزيّن وارتسمت على قسمات وجهه نظرة ترقّب سمحة وهادئة.

دخلت في الموضوع مباشرة. "أشعر أنه يجدر بي إعلامك أن اللورد وربيرتن طلب الزواج مني. أظن يُفترض بي إعلام خالتي بذلك، ولكن يبدو لي أنه من الأفضل أن تكون أنت أوّل مَن يعلم بالأمر."

لم تظهر على الرجل المسن أية إشارة تدل على استغرابه هذا الأمر، إلا أنه شكرها على ثقتها به.

Chapter Thirteen

It was this feeling and not the wish to ask advice–she had no desire whatever for that–that led her to speak to her uncle of what had taken place. She wished to speak to some one; she should feel more natural, more human, and her uncle, for this purpose, presented himself in a more attractive light than either her aunt or her friend Henrietta. Her cousin of course was a possible confidant; but she would have had to do herself violence to air this special secret to Ralph. So the next day, after breakfast, she sought her occasion. Her uncle never left his apartment till the afternoon, but he received his cronies, as he said, in his dressing-room. Isabel had quite taken her place in the class so designated, which, for the rest, included the old man's son, his physician, his personal servant, and even Miss Stackpole. Mrs. Touchett did not figure in the list, and this was an obstacle the less to Isabel's finding her host alone. He sat in a complicated mechanical chair, at the open window of his room, looking westward over the park and the river, with his newspapers and letters piled up beside him, his toilet freshly and minutely made, and his smooth, speculative face composed to benevolent expectation.

She approached her point directly. "I think I ought to let you know that Lord Warburton has asked me to marry him. I suppose I ought to tell my aunt; but it seems best to tell you first."

The old man expressed no surprise, but thanked her for the confidence she showed him.

سأل: "أتمانعين بإعلامي ما إذا وافقتِ على طلبه؟".

"لم أعطه جواباً مُحدّدا حتى الآن، طلبت بعض الوقت للتفكير، لأنني اعتبرت أن هكذا تصرّف يبدو أكثر احتراما. إلا أنني سأرفض طلبه."

لم يُعلّق السيد توشيت على ذلك، فقد تصرّف بشكل يوحي بأنه مهما كان رأيه في الموضوع، فلن يكون له تأثير مباشر على القرار النهائي.

"حسنا، ألم أقل لكِ أنكِ ستُحققين نجاحا كبيرا هنا. فالأمريكيين مُقدّرون هنا إلى درجة كبيرة."

قالت إيزابيل: "فعلا، ولكن على حساب اعتبارهم اشخاص كريهين يفتقرون إلى الذوق السليم. لا أظن أنني سأوافق على الزواج من اللورد ووربيرتن."

تابع زوج خالتها قائلا: "حسنا، بالطبع لا يمكن لرجل عجوز تكوين رأي يتعلق بفتاة شابّة. إنني سعيد لعدم سؤالي رأيي قبل اتخاذكِ قراركِ النهائي. أضاف هو بهدوء، ولكن بشكل يوحي وكأن الأمر ليس بذات أهمية كبرى: "أظن يُفرض بي إعلامك بأنني كنت مُطّلعاً على هذا الأمر طوال الثلاثة أيام الماضية."

"بالنسبة لرغبة اللورد ووربيرتن؟"

سأل الرجل المسنّ بكرم ظاهر: "بالنسبة لقصده التقرّب منك، كما يقولون هنا. كتب لي رسالة لطيفة جدا يُخبرني فيها عن قصده. أترغبين برؤية رسالته؟"

"شكرا، إنها لا تعني لي شيئا؛ ولكني سعيدة كونه كتب لك عن الموضوع، كان ذلك تصرفاً صحيحا منه، وهو الحريص دائما على التصرف الصحيح."

"Do you mind telling me whether you accepted him?" he then enquired.

"I've not answered him definitely yet; I've taken a little time to think of it, because that seems more respectful. But I shall not accept him."

Mr. Touchett made no comment upon this; he had the air of thinking that, whatever interest he might take in the matter from the point of view of sociability, he had no active voice in it. "Well, I told you you'd be a success over here. Americans are highly appreciated."

"Very highly indeed," said Isabel. "But at the cost of seeming both tasteless and ungrateful, I don't think I can marry Lord Warburton."

"Well," her uncle went on, "of course an old man can't judge for a young lady. I'm glad you didn't ask me before you made up your mind. I suppose I ought to tell you," he added slowly, but as it were not of much consequence, "that I've known all about it these three days."

"About Lord Warburton's state of mind?"

"About his intentions, as they say here. He wrote me a very pleasant letter, telling me all about them. Should you like to see his letter?" the old man obligingly asked.

"Thank you; I don't think I care about that. But I'm glad he wrote to you; it was right that he should, and he would be certain to do what was right."

"آه حسنا، أظن أنك حقا مُعجبة به! لا حاجة تدعوكِ للتظاهر عكس ذلك." صرّح السيد توشيت قائلا.

"إنني مُعجبة به إلى حد كبير؛ لا أجد أي مانع يحول دون اعترافي بهذه الحقيقة. ولكني في الوقت الحاضر لا أرغب بالزواج من أي كان."

"أتظنين أنكِ ستلتقين بشخص آخر قد يثير إعجابك بشكل أكبر. حسنا، هذا أمر محتمل جدا." قال السيد توشيت، الذي بدا راغبا بإظهار تعاطفه مع الفتاة للتخفيف من وطأة قرارها، وبالتالي عمد لتبرير قرارها بأسلوب مرح.

"لا رغبة لي على الإطلاق بالالتقاء بأي شخص آخر، إنني مُعجبة بما يكفي باللورد ووربيرتن." بدت في ذلك الوضع من اتخاذ مواقف متضاربة وتبدّل مفاجئ في وجهات نظرها، الأمر الذي كان يُجفل مُحدّثيها لدرجة الاستياء في بعض الأحيان.

ولكن بدا زوج خالتها غير متأثر البتة بتضارب أقوالها. تابع قائلا بنبرة قد تُعتبر تشجيعا لها على مواقفها: "مما لا شك فيه أنه رجل لطيف جدا. كانت رسالته من أجمل ما قرأت في الآونة الأخيرة. أظن من بين الأسباب التي دفعتني للإعجاب بتلك الرسالة كان تعلّقها بكِ بشكل كامل، باستثناء المقطع الذي يتحدث فيه عن نفسه. أظن أنه أخبرك بذلك."

قالت إيزابيل: "كان سيصارحني بمطلق أي شيء أطلبه منه."

"ولكن لم يدفعك الفضول لسؤاله ما ترغبين بمعرفته؟"

"كان سيكون فضولي أمرا تافها. حالما اتخذت قراري برفض عرضه للزواج مني."

سأل السيد توشيت: "ألم تعتبري ذلك العرض مُغريا بما فيه الكفاية؟"

"Ah well, I guess you do like him!" Mr. Touchett declared. "You needn't pretend you don't."

"I like him extremely; I'm very free to admit that. But I don't wish to marry any one just now."

"You think some one may come along whom you may like better. Well, that's very likely," said Mr. Touchett, who appeared to wish to show his kindness to the girl by easing off her decision, as it were, and finding cheerful reasons for it.

"I don't care if I don't meet any one else. I like Lord Warburton quite well enough." She fell into that appearance of a sudden change of point of view with which she sometimes startled and even displeased her interlocutors.

Her uncle, however, seemed proof against either of these impressions. "He's a very fine man," he resumed in a tone which might have passed for that of encouragement. "His letter was one of the pleasantest I've received for some weeks. I suppose one of the reasons I like it was that it was all about you; that is all except the part that was about himself. I suppose he told you all that."

"He would have told me everything I wished to ask him," Isabel said.

"But you didn't feel curious?"

"My curiosity would have been idle–once I had determined to decline his offer."

"You didn't find it sufficiently attractive?" Mr. Touchett enquired.

صمتت إيزابيل للحظات. اعترفت قائلة: "أظن أنه كان كذلك، ولكن أجهل سبب ذلك."

قال زوج خالتها: "من حسن طالع السيدات أنهن غير مُلزمات بتبرير قرارتهن. تتميّز هذه الفكرة بسحر خاص؛ ولكن أجهل سبب رغبة الإنجليز بإغرائنا بالابتعاد عن وطننا الأم. أعلم أننا نحاول جذبهم إلى هناك، ولكن ذلك بسبب عدد السكان غير الكافي، بينما عدد السكان هنا مرتفع جدا. ولكن لا شك هناك دائما مكان للسيدات الفاتنات في أي بُقعة في العالم."

قالت إيزابيل، التي أخذت نظراتها تجول فوق أرجاء المُتنزّه الشاسع. "يبدو أنه كان لديك مكان هنا."

أجاب السيد توشيت وهو يبتسم ابتسامة حذقة: "يوجد مكان في أي بقعة في العالم يا عزيزتي، إذا ما دفعتِ الثمن المناسب. أظن أحيانا أنني دفعت ثمناً باهظا للاستمتاع بمكانتي في هذه البلاد. ربما قد تضطرين أنتِ لدفع ثمنا باهظا."

أجابت الفتاة: "ربما سأفعل."

أتاح لها هذا الاقتراح توجيه أفكارها نحو أمور أكثر تحديدا، بدا واقع أن هذا الترابط بين رهافة ملاحظة زوج خالتها مع معضلتها وكأنه دليل على أنها مُهتّمة بالمشاعر المنطقية والطبيعية في الحياة، وليست مجرد ضحية التوق الفكري والمطامح الغامضة. مطامح تتجاوز سحر اللورد ووربيرتن المُميّز، مطامح تحاول الوصول إلى شيء مُتعذّر تحديده وربما غير جدير بالثناء والإطراء. طالما كان لذلك الشيء المُتعذّر تحديده تأثير على سلوك إيزابيل في هذا الظرف، لم يكن بالإمكان تصوّر، حتى وإن كان غير

She was silent a little. "I suppose it was that," she presently admitted. "But I don't know why."

"Fortunately ladies are not obliged to give reasons," said her uncle. "There's a great deal that's attractive about such an idea; but I don't see why the English should want to entice us away from our native land. I know that we try to attract them over there, but that's because our population is insufficient. Here, you know, they're rather crowded. However, I presume there's room for charming young ladies everywhere."

"There seems to have been room here for you," said Isabel, whose eyes had been wandering over the large pleasure-spaces of the park.

Mr. Touchett gave a shrewd, conscious smile. "There's room everywhere, my dear, if you'll pay for it. I sometimes think I've paid too much for this. Perhaps you also might have to pay too much."

"Perhaps I might," the girl replied.

That suggestion gave her something more definite to rest on than she had found in her own thoughts, and the fact of this association of her uncle's mild acuteness with her dilemma seemed to prove that she was concerned with the natural and reasonable emotions of life and not altogether a victim to intellectual eagerness and vague ambitions- ambitions reaching beyond Lord Warburton's beautiful appeal, reaching to something indefinable and possibly not commendable. In so far as the indefinable had an influence upon Isabel's behaviour at this juncture, it was not the conception, even unformulated,

مُصيَّغ، الارتباط مع كاسبار غودوود؛ إذ مهما كانت مقاومتها للخضوع لرغبة الشاب الإنجليزي الزواج منها، فقد كانت على الأقل بعيدة عن تلك النزعة للسماح للشاب القادم من بوسطن الإستيلاء عليها. تحصّنت بمشاعر الإمتعاض التي انتابتها عقب قراءتها رسالته ومعرفتها أنه قادم لرؤيتها، إذ كان جزء من تأثيره عليها قدرته الغريبة على سلبها حريتها. كان لديه نوع من الحثّ الشديد والحضور القوي، بطريقة محاولته استمالتها له. إنتابتها أحيانا أفكار مرعبة عن تلك الصورة، عن الخطر، عمّا قد يترتّب عن استيائه، وتساءلت ـ وهو تصرف لم تمارسه قط مع أي شخص آخر ـ عما إذا سيُعجب بما قامت به. كانت الصعوبة أنه أكثر من أي رجل آخر سبق لها التعرّف إليه، بما في ذلك المسكين اللورد ورbيرتن، بدأت تُصبغ على سيادته فضيلة هذا اللقب، كان كاسبار غودوود يمثّل لها طاقة. وسبق لها أن شعرت بتلك الطاقة كسلطة. كانت تلك سمة أساسية في طباعه. لم يكن الأمر متعلّقا البتة "بحسناته". بل كانت تلك الحيوية الجاثمة في عينيه الصافيتين المُلتهبتين أشبه بساهر عند النافذة لا يعرف التعب أو الكلل، سواء راقها ذلك الأمر أم لا، كان يمارس إصرارا شديدا متواصلا في كل ما يقوم به من أعمال، وكان على مطلق شخص يتعامل معه حتى في ما يتعلق بأتفه الأمور، إدخال هذه الحقيقة في حسابه. كانت فكرة الحرية المُنتَقصة بالنسبة إليها في الوقت الحاضر تغيظها جدا، خاصة بعدما مارست للتو نوعا من الاستقلال الذاتي بالنظر مباشرة إلى إغراءات اللورد وربيرتن الدسمة وقدرتها على الإبتعاد عنها ورفضها.

كان كاسبار غودوود يبدو أحيانا مُصنّفا نفسه إلى جانب قدرها. كانت تفكّر بينها وبين نفسها، في تلك اللحظات، أنه يجدر بها تفاديه لبعض

of a union with Caspar Goodwood; for however she might have resisted conquest at her English suitor's large quiet hands she was at least as far removed from the disposition to let the young man from Boston take positive possession of her. The sentiment in which she sought refuge after reading his letter was a critical view of his having come abroad; for it was part of the influence he had upon her that he seemed to deprive her of the sense of freedom. There was a disagreeably strong push, a kind of hardness of presence, in his way of rising before her. She had been haunted at moments by the image, by the danger, of his disapproval and had wondered–a consideration she had never paid in equal degree to any one else–whether he would like what she did. The difficulty was that more than any man she had ever known, more than poor Lord Warburton she had begun now to give his lordship the benefit of this epithet, Caspar Goodwood expressed for her an energy–and she had already felt it as a power–that was of his very nature. It was in no degree a matter of his "advantages"- it was a matter of the spirit that sat in his clear-burning eyes like some tireless watcher at a window. She might like it or not, but he insisted, ever, with his whole weight and force: even in one's usual contact with him one had to reckon with that. The idea of a diminished liberty was particularly disagreeable to her at present, since she had just given a sort of personal accent to her independence by looking so straight at Lord Warburton's big bribe and yet turning away from it.

Sometimes Caspar Goodwood had seemed to range himself on the side of her destiny, to be the stubbornest fact she knew; she said to herself at such moments that she might

evade him for a time, but that she must make terms with him at last- terms which would be certain to be favourable to himself. Her impulse had been to avail herself of the things that helped her to resist such an obligation; and this impulse had been much concerned in her eager acceptance of her aunt's invitation, which had come to her at an hour when she expected from day to day to see Mr. Goodwood and when she was glad to have an answer ready for something she was sure he would say to her. When she had told him at Albany, on the evening of Mrs. Touchett's visit, that she couldn't then discuss difficult questions, dazzled as she was by the great immediate opening of her aunt's offer of "Europe," he declared that this was no answer at all; and it was now to obtain a better one that he was following her across the sea. To say to herself that he was a kind of grim fate was well enough for a fanciful young woman who was able to take much for granted in him; but the reader has a right to a nearer and a clearer view.

He was the son of a proprietor of well-known cotton-mills in Massachusetts-a gentleman who had accumulated a considerable fortune in the exercise of this industry. Caspar at present managed the works, and with a judgement and a temper which, in spite of keen competition and languid years, had kept their prosperity from dwindling. He had received the better part of his education at Harvard College, where, however, he had gained renown rather as a gymnast and an oarsman than as a gleaner of more dispersed knowledge. Later on he had learned that the finer intelligence too could vault and pull and strain-might even, breaking the record, treat

الوقت، ولكن على الأقل بعد التوصّل إلى نوع من التفاهم معه. تفاهم من المُحتّم أن يكون مرضياً له. كانت تشعر بحافز يدفعها للإستفادة من الأشياء التي ساعدتها لمقاومة مثل هذا النوع من الإلتزام؛ وذلك الحافز كان عاملا حاسما في موافقتها السريعة لتلبية دعوة خالتها لزيارتها، والتي جاءت في الوقت الذي كانت تتوقّع، بين ساعة وأخرى، مقابلة السيد غودوود وكانت مبتهجة بأن لديها جوابا مهيّأ لأمر كانت واثقة أنه سيقوله لها. حين أخبرته وهي ما زالت في ألباني، ليلة زيارة السيدة توشيت لها، بعدم قدرتها في الوقت الحاضر مناقشة مسائل معقّدة، وهي ما زالت تحت تأثير فرصة "أوروبا" الرائعة التي أتاحتها لها خالتها، أجاب أنه لا يعتبر تعليقها هذا بمثابة جواب على سؤاله؛ ويبدو أنه وعلى ضوء لحاقه بها عبر البحار، قد صمم الآن الحصول منها على جواب أفضل. أن تعتبر بينها وبين نفسها أنه يَشكّل قدرا مُغمّا بالنسبة بها، إقرار كافٍ لفتاة شابة خيالية يمكنها الافتراض جدلا بكثير من الأمور المتعلّقة به، ولكن للقارئ الحق برؤيا أكثر وضوحا وقربا.

كان ابن مالك مصانع قطن مشهور في مساتشوسيتس، رجل نبيل جمع ثروة كبيرة خلال عمله في هذه الصناعة. كان كاسبار في الوقت الحاضر يُشرف بنجاح على أعمال المصنع، بالرغم من ممارسة مهماته وسط منافسة قوية وبأسلوب وحكم على الأمور شاب في مقتبل العمر. تلقّى علومه في جامعة هارفرد، حيث حقق شهرة كجمبازي ومُجذّف، أكثر من تفوّقه في حقول المعرفة. تعلّم لاحقا أن الذكاء الأكثر رهافة يتقن هو الآخر مهارة الوثب، والجذب والجَهد. ويستطيع حتى، ضرب رقما قياسيا وتمتيع نفسه بمآثر نادرة. وهكذا اكتشف في داخله ميلا فطريا لأسرار التقنيات، ونجح في اختراع وسيلة لتحسين عملية تدويم القطن، والتي أصبحت الآن

itself to rare exploits. He had thus discovered in himself a sharp eye for the mystery of mechanics, and had invented an improvement in the cotton-spinning process which was now largely used and was known by his name. You might have seen it in the newspapers in connection with this fruitful contrivance; assurance of which he had given to Isabel by showing her in the columns of the New York Interviewer an exhaustive article on the Goodwood patent–an article not prepared by Miss Stackpole, friendly as she had proved herself to his more sentimental interests. There were intricate, bristling things he rejoiced in; he liked to organize, to contend, to administer; he could make people work his will, believe in him, march before him and justify him. This was the art, as they said, of managing men–which rested, in him, further, on a bold though brooding ambition. It struck those who knew him well that he might do greater things than carry on a cotton-factory; there was nothing cottony about Caspar Goodwood, and his friends took for granted that he would somehow and somewhere write himself in bigger letters. But it was as if something large and confused, something dark and ugly, would have to call upon him: he was not after all in harmony with mere smug peace and greed and gain, an order of things of which the vital breath was ubiquitous advertisement. It pleased Isabel to believe that he might have ridden, on a plunging steed, the whirlwind of a great war–a war like the Civil strife that had overdarkened her conscious childhood and his ripening youth.

She liked at any rate this idea of his being by character and in fact a mover of men–liked it much better than some

تُستَخدم على نطاق واسع وتحمل إسمه. قد تكون شاهدتها في صفحات الجرائد في مقالات مرتبطة بهذا الإختراع المثمر؛ وتثبيتا لذلك، عرض على إيزابيل من بين مقالات صحيفة الانتيرفيور النيويوركية، مقالة شاملة تتناول اختراع غودوود. لم تكن من إعداد الآنسة ستاكبول، بالرغم مما أبدته من ودّ بالنسبة لمساندته في مجال أموره العاطفية. كان يبتهج بالأمور المعقّدة المُتّسمة بالخشونة؛ كان يحب التنظيم، والمنافسة والإدارة؛ كان بامكانه دفع الناس لتنفيذ مشيئته ورغباته، والوثوق به، والسير أمامه وتبرير مواقفه. كان هذا فن إدارة الرجال، كما يقال. والذي كان يتقنه ولكن إلى جانب طموح جري ولكنه مكتئب. كان الذين يعرفونه عن كثب واثقون من أنه كان سيحقق نجاحات باهرة في مجالات أكثر أهمية من مصانع القطن، إذ لم يكن في شخصية كاسبار ودوود أي شيء يقارب صنعته هذه، وقد افترضوا جدلا أنه في مكان ما أو بطريقة ما، سيحقق نجاحات شخصية باهرة. ولكن كان يبدو أنه بانتظار شيء مظلم وقبيح لدفعه للتحرّك، لم يكن بالرغم من كل شيء شخصا منسجما مع مسائل عادية مثل السلم، والطمع والربح. كان يطيب لإيزابيل الاعتقاد أنه كان بمقدوره خوض غمار صناعة الفولاذ الناشئة، أو الدخول في دوّامة حرب عظيمة. حرب أشبه بالحرب الأهلية التي أعتمت طفولته المُدركة وشبابه الناضج.

كانت في مطلق الأحوال مُعجبة بهذه الفكرة بأن شخصية ذات سمة هي محرّكة للرجال. كانت تُعجبها تلك السمة في شخصيته أكثر من

الخصال الأخرى في طباعه. لم تكن تكترث البتّة لمصانع القطن التي يملكها. فاختراع غودوود لم يحّرك خيالها قيد أنملة. كانت مُعجبة برجولته ولكنها أحيانا كانت تفكّر أنه كان سيكون من الأفضل لو أن مظهره الخارجي مثلا كان مختلفا بعض الشيء. فحنكه كان شديد التماسك والثبات، وجسده شديد الاستقامة والصلابة؛ أوحت إليها هذه الأمور بافتقار الانسجام لديه مع تناغمات الحياة الأكثر عمقاً. إلى ذلك كانت تنظر بتحفّظ إلى عادة ارتدائه الملابس دائما بالطريقة ذاتها؛ لا يعني هذا أنه كان يرتدي الثياب ذاتها بشكل دائم، بل على العكس، كانت ثيابه تبدو دائما وكأنها ثيابا جديدة. ولكنها كانت جميعها تتسم بطابع واحد لا يتبدّل؛ الجسم والثياب كانت تعكس دائما روتينا معتادا مملا. ذكّرت نفسها مرارا بأن هذا اعتراض تافه بالنسبة لشخص في مثل مكانته الاجتماعية البارزة؛ إلا أنها سرعان ما كانت تحسّن من وقع ذلك الاعتراض بالقول أنه سيكون اعتراضا تافها فقط في حال كانت مُغرمة به. لم تكن مُغرمة به، وبالتالي لها ملء الحرية بانتقاد أخطائه الصغيرة والكبيرة على حدٍ سواء. حيث الأخيرة تكوّنت من توبيخ مُتجمّع إزاء كونه شديد الجدّية، أو بالأحرى، عدم كونه شديد الجدّية، نظرا لاستحالة المرء أن يكون كذلك، ولكنه لا شك يُعطي انطباعا بأنه كذلك. كان يُعبّر عن ميوله الفطرية وأهدافه ببساجة شديدة وأسلوب يفتقر إلى البراعة. ؛ فحين كان يحّس أنه بمفرده مع شخص آخر، كان يسهب في الحديث عن موضوع واحد، وحين يكون في حضرة مجموعة من الناس، كان يقتصد كثيرا في الكلام عن المواضيع قيد المناقشة. ولكن بالرغم من هذا، كان ذو خُلق شديد المتانة والصفاء. أكثر مما ينبغي: كانت ترى أجزاءَهُ المركّبة المتباينة أشبه بتلك الأجزاء التي شاهدتها في المتاحف واللوحات الفنية، أجزاء المحاربين المُدرّعين

other points in his nature and aspect. She cared nothing for his cotton-mill–the Goodwood patent left her imagination absolutely cold. She wished him no ounce less of his manhood, but she sometimes thought he would be rather nicer if he looked, for instance, a little differently. His jaw was too square and set and his figure too straight and stiff: these things suggested a want of easy consonance with the deeper rhythms of life. Then she viewed with reserve a habit he had of dressing always in the same manner; it was not apparently that he wore the same clothes continually, for, on the contrary, his garments had a way of looking rather too new. But they all seemed of the same piece; the figure, the stuff, was so drearily usual. She had reminded herself more than once that this was a frivolous objection to a person of his importance; and then she had amended the rebuke by saying that it would be a frivolous objection only if she were in love with him. She was not in love with him and therefore might criticize his small defects as well as his great–which latter consisted in the collective reproach of his being too serious, or, rather, not of his being so, since one could never be, but certainly of his seeming so. He showed his appetites and designs too simply and artlessly; when one was alone with him he talked too much about the same subject, and when other people were present he talked too little about anything. And yet he was of supremely strong, clean make–which was so much: she saw the different fitted parts of him as she had seen, in museums and portraits, the different fitted parts of armoured warriors–in plates of steel handsomely

بصفائح من الفولاذ المحفور بالذهب بإتقان بالغ. لم يكن كاسبار غودوود بالنسبة لها يتطابق مع تصوّرها لشخصية الإنسان المُبهِج، واعتبرت أن هذا هو الدافع وراء نقدها القاسي له. ولكن بالرغم من تطابق اللورد وربيرتن تماما مع تصورها لشخصية الإنسان المُبهِج بشكل كامل ما أدّى لاستحسانها الكبير له، وجدت نفسها ما تزال غير مُقتنعة به. مما لا شك فيه كان ذلك أمرا غريبا وغير مفهومٍ البتة بالنسبة لها.

لم يساعدها إحساسها بالتشوّش والارتباك في مهمتها للإجابة على رسالة السيد غودوود، وصممت إيزابيل على تركها بعض الوقت بدون الإجابة عليها. إذا اتخذ قرارا بمضايقتها فعليه تحمّل عواقب ذلك القرار؛ وكان تركه تصوّر مدى انزعاجها منه لتصميمه على اللحاق بها إلى غاردينكورت، في صدارة تلك العواقب. كان عليها أوّلا الاستجابة لرغبة أحد الطالبين القُرب منها في هذا المكان، وبالرغم أنه لأمر مثير أن تجد نفسها مرغوبة من رجلين متناقضي الشخصية، كان هناك نوع من الفظاظة في تعليل الأمل لدى رجلين يشعران تجاهها بعاطفة شديدة في الوقت ذاته، حتى ولو كان ذلك الوضع سينتهي لرفضها لكليهما. لم تجب على رسالة السيد غودوود، ولكن بنهاية اليوم الثالث كتبت للّورد وربرتن رسالة هي جزء من محتويات هذا النص.

"عزيزي اللورد وربرتن، لم يؤدِ تفكيري العميق بتبديل رأيي في ما يتعلّق بالاقتراح الذي تلطّفت بطرحه عليّ منذ بضعة أيام. لا يمكنني، لا يمكنني بكل صراحة وصدق اعتبارك رفيق لي مدى الحياة؛ أو التفكير بمنزلك، أو منازلك العديدة، كمستقرّ دائم لي. لا يمكن تعليل هذه الأمور بالمنطق، أتوسّل إليك بحرارة عدم العودة إلى الموضوع الذي ناقشناه

inlaid with gold. It was very strange: where, ever, was any tangible link between her impression and her act? Caspar Goodwood had never corresponded to her idea of a delightful person, and she supposed that this was why he left her so harshly critical. When, however, Lord Warburton, who not only did correspond with it, but gave an extension to the term, appealed to her approval, she found herself still unsatisfied. It was certainly strange.

The sense of her incoherence was not a help to answering Mr. Goodwood's letter, and Isabel determined to leave it a while unhonoured. If he had determined to persecute her he must take the consequences; foremost among which was his being left to perceive how little it charmed her that he should come down to Gardencourt. She was already liable to the incursions of one suitor at this place, and though it might be pleasant to be appreciated in opposite quarters there was a kind of grossness in entertaining two such passionate pleaders at once, even in a case where the entertainment should consist of dismissing them. She made no reply to Mr. Goodwood; but at the end of three days she wrote to Lord Warburton, and the letter belongs to our history.

DEAR LORD WARBURTON–A great deal of earnest thought has not led me to change my mind about the suggestion you were so kind as to make me the other day. I am not, I am really and truly not, able to regard you in the light of a companion for life; or to think of your home–your various homes–as settled seat of my existence. These things

بشمول وعمق كبيرين. نشاهد حياتنا من وجهة نظرنا الخاصة؛ هذا هو امتياز الشخص الأضعف والأقل منزلة بيننا؛ ويستحيل عليّ رؤية حياتي بالشكل الذي عرضته عليّ. الرجاء اعتبار ما شرحته لك كافيا، وثق بأنني أوليت عرضك أعمق درجات الاحترام والتفكير الذي يستحقه. إنني من هذه الناحية أبقى المخلصة لك دائما،

إيزابيل أرتشير

بينما كانت كاتبة هذه الرسالة تتهيّأ لإرسالها، إتخذت هنريتا ستاكبول قرارا لم يلاقِ أي اعتراض. فقد دعت رالف توشيت لمرافقتها في نزهة بين أرجاء الحديقة، وحين وافق بذلك النشاط المُبتهج الذي كان يبدو دائما كشهادة على توقعاته العالية، أخبرته أنها تريد التماس خدمة منه. يمكن الإقرار أن الشاب جفل لدى سماعه هذه المعلومات؛ نظرا لمعرفتنا اعتباره الآنسة ستاكبول من الأشخاص الذين يميلون لانتهاز الفُرص. ولكن سرعان ما تبيّن له أن خوفه لم يكن في محله. وأعلن عن رغبته القوية في خدمتها. كان يخاف منها، ولم يتردد بالإفصاح لها عن ذلك. "حين تنظرين إليّ بطريقة معيّنة، تبدأ ركبتاي بالارتجاف وتخونني قواي العقلية؛ يملؤني الذعر ولا أطلب سوى القوة الكافية لتنفيذ أوامرك. لديك حضور مُميّز لم أجده في سائر النساء اللاتي التقيت بهن."

cannot be reasoned about, and I very earnestly entreat you not to return to the subject we discussed so exhaustively. We see our lives from our own point of view; that is the privilege of the weakest and humblest of us; and I shall never be able to see mine in the manner you proposed. Kindly let this suffice you, and do me the justice to believe that I have given your proposal the deeply respectful consideration it deserves. It is with this very great regard that I remain sincerely yours,

ISABEL ARCHER

While the author of this missive was making up her mind to despatch it Henrietta Stackpole formed a resolve which was accompanied by no demur. She invited Ralph Touchett to take a walk with her in the garden, and when he had assented with that alacrity which seemed constantly to testify to his high expectations, she informed him that she had a favour to ask of him. It may be admitted that at this information the young man flinched; for we know that Miss Stackpole had struck him as apt to push an advantage. The alarm was unreasoned, however; for he was clear about the area of her indiscretion as little as advised of its vertical depth, and he made a very civil profession of the desire to serve her. He was afraid of her and presently told her so. "When you look at me in a certain way my knees knock together, my faculties desert me; I'm filled with trepidation and I ask only for strength to execute your commands. You've an address that I've never encountered in any woman."

تابعت تقول بنبرة اتّسمت ببراءة يائسة: "حسنا، لو لم أدرك قبل الآن أنك بطريقة أو بأخرى تحاول إرباكي، فقد أدركت ذلك الآن. طبعا إنني طريدة سهلة. نشأت في بيئة وتقاليد مختلفة تماما عن بيئتك وتقاليدك. لست مُعتادة على مقاييسك الاعتباطية، ولم يسبق لي إطلاقا في أميركا، مُخاطبتي بالأسلوب الذي تُخاطبني به. فلو حصل أن خاطبني شاب في أميركا بالأسلوب الذي تُحدثني به، لكنت ظننت أنّهُ شخص غير سوي. نأخذ الأمور هناك بشكل أقل تعقيدا بكثير، فنحن برغم كل شيء، شعب يميل إلى تبسيط الأمور بخلافكم هنا. أعترف بأنني إنسانة بسيطة جدا. طبعا، إذا رغبت بالسخرية مني بسبب ذلك، فعلى الرحب والسعة؛ ولكن أظن بشكل عام، أفضّل أن أكون كما أنا على أن أكون مثلك. إنني راضية تماما بأن أكون كما أنا؛ لا أرغب بالتغيير. أجابت هنريتا بنبرة ودّية: "يوجد العديد من الناس الذين يقدّرونني كما أنا بالضبط. صحيح أنهم أمريكيّون لطفاء، قليلو الخبرة مولودين أحرار! أريدك أن تساعدني قليلا. لا يهمّني ما إذا كنت ستسخر مني خلال قيامك بما أطلبه منك، أو بالأحرى، إنني على استعداد لتحمّل سخريتك واعتبارها مكافأة لمساعدتك لي. أريدك أن تساعدني بشأن إيزابيل."

سأل رالف: "هل تصرّفت بشكل جرح مشاعركِ؟"

"لو فعلت لما كنت اهتممت للأمر، وما كنت أطلعتك عليه أبدا. ما أخافه هو أنها قد تؤذي نفسها."

قال رالف: "أظن هذا إحتمال وارد جدا."

توقّفت مرافقته عند ممشى الحديقة، وهي ترمقه بتلك النظرة ذاتها التي تُربكه. "تعتبر مثل هذه الأمور هي أيضا مثيرة للسخرية. أسلوبك في التعبير عن الأشياء غريب! لم يسبق لي البتة سماع أحد يتحدّث بمثل هذا

"Well," Henrietta replied good-humouredly, "if I had not known before that you were trying somehow to abash me I should know it now. Of course I'm easy game–I was brought up with such different customs and ideas. I'm not used to your arbitrary standards, and I've never been spoken to in America as you have spoken to me. If a gentleman conversing with me over there were to speak to me like that I shouldn't know what to make of it. We take everything more naturally over there, and, after all, we're a great deal more simple. I admit that; I'm very simple myself. Of course if you choose to laugh at me for it you're very welcome; but I think on the whole I would rather be myself than you. I'm quite content to be myself; I don't want to change. There are plenty of people that appreciate me just as I am. It's true they're nice fresh free-born Americans!" Henrietta had lately taken up the tone of helpless innocence and large concession. "I want you to assist me a little," she went on. "I don't care in the least whether I amuse you while you do so; or, rather, I'm perfectly willing your amusement should be your reward. I want you to help me about Isabel."

"Has she injured you?" Ralph asked.

"If she had I shouldn't mind, and I should never tell you. What I'm afraid of is that she'll injure herself."

"I think that's very possible," said Ralph.

His companion stopped in the garden-walk, fixing on him perhaps the very gaze that unnerved him. "That too would amuse you, I suppose. The way you do things! I

الأسلوب غير المبالي.»

«بالنسبة لإيزابيل؟ أوه، أنت مخطئة جدا!»

«حسنا، آمل ألّا تكون مُغرما بها.»

«كيف يعقل ذلك وأنا مُغرم بشخص آخر؟»

أعلنت الآنسة ستاكبول: «أنت مُغرم بنفسك. هذا هو الشخص الآخر! ولن يكون في ذلك أي فائدة لك! ولكن في حال رغبت أن تكون جدّيا ولو لمرة واحدة في حياتك، فهنا فرصة أمامك لإثبات ذلك. لا أتوقّع منك أن تفهمها، فهذا طلب عسير جدا بالنسبة لك، وبالتالي لست مضطرا للقيام بذلك لإنجاز الخدمة التي طلبتها منك. سأمدّك بالذكاء الذي تتطلّبه تلك الخدمة.»

صاح رالف قائلا: «سيسعدني ذلك كثيرا! سأكون أنا كاليبان، وستكونين أنت أريل.»

«أنت تختلف كثيرا عن كاليبان، كونك شخص مُتكلّف وهو لم يكن كذلك. ولكنني لا أتكلم عن شخصيات خيالية، إنني أتحدّث عن إيزابيل، وهي شخصية حقيقية إلى أبعد حدّ. ما أرغب في قوله لك أنني أخشى أنها تبدّلت بشكل مُخيف.»

«أتقصدين منذ قدومك إلى هنا؟»

«منذ قدومي إلى هنا، وقبل ذلك. إنها ليست الإنسانة الرائعة ذاتها التي عرفتها.»

«كما عرفتها في أميركا؟»

«نعم، في أميركا. أظن أنك تعلم أنها من تلك البلاد. لا يمكنها عمل شيء حيال ذلك، ولكن هذا هو الواقع.»

«هل ترغبين بتغيرها ثانية إلى ما كانت عليه في السابق؟

never heard any one so indifferent."

"To Isabel? Ah, not that!"

"Well, you're not in love with her, I hope."

"How can that be, when I'm in love with Another?"

"You're in love with yourself, that's the Other!" Miss Stackpole declared. "Much good may it do you! But if you wish to be serious once in your life here's a chance; and if you really care for your cousin here's an opportunity to prove it. I don't expect you to understand her; that's too much to ask. But you needn't do that to grant my favour. I'll supply the necessary intelligence."

"I shall enjoy that immensely!" Ralph exclaimed. "I'll be Caliban and you shall be Ariel."

"You're not at all like Caliban, because you're sophisticated, and Caliban was not. But I'm not talking about imaginary characters; I'm talking about Isabel. Isabel's intensely real. What I wish to tell you is that I find her fearfully changed."

"Since you came, do you mean?"

"Since I came and before I came. She's not the same as she once so beautifully was."

"As she was in America?"

"Yes, in America. I suppose you know she comes from there. She can't help it, but she does."

"Do you want to change her back again?"

"طبعا أرغب في ذلك، وأريدك أن تساعدني في هذه المهمة."

"أوه، أنا كاليبان، ولست بروسبيرو."

"كنت بروسبيرو بما يكفي لجعلها بالشكل الذي هي عليه الآن. لقد أحدثت تبدّلا في إيزابيل أرتشير لحظة وصولها إلى هنا، يا سيد توشيت."

"أنا، يا عزيزتي الآنسة ستاكبول؟ أبدا، بل إيزابيل أرتشير هي التي أحدثت تبدّلا بي. نعم أنها تؤثر على الجميع. ولكن كنت خامدا جداً."

"إذن أنت شخص خامد جدا، ويُستحسن بك حثّ نفسك والتصرّف بحذر. إيزابيل تتغير بشكل يومي؛ إنها تنجرف بعيدا باتجاه البحر. لقد راقبتها وتمكّنت من رؤية هذه الحقيقة. إنها ليست الفتاة الأمريكية المُتألقة كما كانت عليه من قبل. بدأت تتبنّى آراء مختلفة ومظهرا مختلفا، وتبتعد عن مفاهيمها القديمة. أرغب بإنقاذ تلك المفاهيم يا سيد توشيت، وهنا يأتي دورك."

"من المؤكّد، ليس كنموذج يُحتذى به؟"

أجابت هنريتا بنبرة حازمة: "بالواقع، آمل ذلك. يساورني شعور غريب بانها ستتزوج من أحد أولئك الأوروبيين الرهيبين، وأرغب بالحؤول دون ذلك."

صاح رالف قائلا: "آه، فهمت. وللحؤول دون ذلك، ترغبين مني التدخل والزواج منها."

"ليس بالضبط؛ فمثل هذا النوع من العلاج سيكون ضارّا كما المرض ذاته؛ فأنت مثال نموذجي عن الشخص الأوروبي الرهيب الذي أرغب بإنقاذها منه. أريدك أن تهتم بشخص آخر. شاب حظي منها ذات يوم بكل التشجيع وأصبحت تعتبره اليوم غير كفؤ بالمقدار الكافي. إنه رجل ذو رتبة

"Of course I do, and I want you to help me."

"Ah," said Ralph, "I'm only Caliban; I'm not Prospero."

"You were Prospero enough to make her what she has become. You've acted on Isabel Archer since she came here, Mr. Touchett."

"I, my dear Miss Stackpole? Never in the world. Isabel Archer has acted on me–yes; she acts on every one. But I've been absolutely passive."

"You're too passive then. You had better stir yourself and be careful. Isabel's changing every day; she's drifting away–right out to sea. I've watched her and I can see it. She's not the bright American girl she was. She's taking different views, a different colour, and turning away from her old ideals. I want to save those ideals, Mr. Touchett, and that's where you come in."

"Not surely as an ideal?"

"Well, I hope not," Henrietta replied promptly. "I've got a fear in my heart that she's going to marry one of these fell Europeans, and I want to prevent it."

"Ah, I see," cried Ralph; "and to prevent it you want me to step in and marry her?"

"Not quite; that remedy would be as bad as the disease, for you're the typical, the fell European from whom I wish to rescue her. No; I wish you to take an interest in another person–a young man to whom she once gave great encouragement and whom she now doesn't seem to think

أعلى بكثير من أمثاله وصديق عزيز لي، وأتمنى من كل قلبي لو توجّه له دعوة لزيارة هذا المكان.»

شعر رالف بحيرة كبيرة إزاء هذا الطلب، وربما تناقضا مع سمعته الحسنة بنقاء الذهن الذي يتميّز به، فشل بادئ الأمر بالنظر إلى هذه المسألة بشكلها الأبسط. فقد اصطبغ هذا الطلب بنظره، بصبغة ملتوية، وكان خطؤه شكّه بوجود أي شيء في هذا العالم يضاهي النزاهة الظاهرة في الطلب الذي التمسته منه الآنسة ستاكبول. أن تطلب امرأة شابة أن تتوفّر الفرصة لشاب وصفته بأنه صديق عزيز جدا لها، يجب أن يلقى حظوة لدى امرأة شابة أخرى، والتي بدأ اهتمامها به يخبو بعض الشيء وتفوقها جمالا وجاذبية. كان ذلك خروج عن القياس بدا في تلك اللحظة تحدّيا كبيرا لبراعته التحليلية. كانت القراءة بين السطور أسهل من متابعة النص، وافتراض أن الآنسة ستاكبول رغبت من تلقاء نفسها، أن تُوَجّه دعوة إلى الشاب لزيارة غاردينكورت، لم يكن دليلا على ذهنية مُبتذلة بقدر ما كان دليلا على ذهنية مرتبكة. ولكن أنقِذ رالف من هذه المهمة العَرضية المبتذلة، بقوة لا يسعني وصفها سوى بأنها كانت من وحي تأثير مُلهِم. فمع اختفاء أي شرح إضافي للموضوع قيد المناقشة، شعر فجأة باقتناع تام بأنه سيكون من المجحف جدا بالنسبة لمراسلة الانتيرفيور، عزو أي حافز شائن لأي من أعمالها. مرّ ذلك الاقتناع عبر ذهنه بسرعة قياسية؛ ربما كان مردّه ذلك التألّق الصافي في النظرة الهادئة الرابطة الجأش التي رمقته بها تلك السيدة الشابة. إستجاب لذلك التحدّي للحظة، وهو يقاوم ميلاً للتجهّم كما يفعل المرء في وجود أجسام نيّرة شديدة التوهّج.

good enough. He's a thoroughly grand man and a very dear friend of mine, and I wish very much you would invite him to pay a visit here."

Ralph was puzzled by this appeal, and it is perhaps not to the credit of his purity of mind that he failed to look at it at first in the simplest light. It wore, to his eyes, a tortuous air, and his fault was that he was not quite sure that anything in the world could really be as candid as this request of Miss Stackpole's appeared. That a young woman should demand that a gentleman whom she described as her very dear friend should be furnished with an opportunity to make himself agreeable to another young woman, a young woman whose attention had wandered and whose charms were greater - this was an anomaly which for the moment challenged all his ingenuity of interpretation. To read between the lines was easier than to follow the text, and to suppose that Miss Stackpole wished the gentleman invited to Gardencourt on her own account was the sign not so much of a vulgar as of an embarrassed mind. Even from this venial act of vulgarity, however, Ralph was saved, and saved by a force that I can only speak of as inspiration. With no more outward light on the subject than he already possessed he suddenly acquired the conviction that it would be a sovereign injustice to the correspondent of the Interviewer to assign a dishonourable motive to any act of hers. This conviction passed into his mind with extreme rapidity; it was perhaps kindled by the pure radiance of the young lady's imperturbable gaze. He returned this challenge a moment, consciously, resisting an inclination to frown as one frowns in the presence of larger luminaries.

"من هو الرجل النبيل الذي تتحدثين عنه؟"

"هو السيد كاسبار غودوود. من بوسطن. كان شديد الاهتمام بايزابيل ومكرّسا جُلّ حياته لإرضائها. لحق بها إلى هنا، وموجود في الوقت الحاضر في لندن. لا أعرف عنوانه بالضبط، ولكن يمكنني الحصول عليه بسهولة."

"لم أسمع به من قبل؟"

"حسنا، أظنّ فاتك التعرّف على الجميع، ولا أعتقد أنه سمع بك هو الآخر؛ ولكن هذا ليس بسبب يحول دون زواج إيزابيل به."

ضحك رالف ضحكة غامضة. "يا لهذه الرغبة القوية لديك في تزويج الجميع! أتذكرين كيف أردت تزويجي أنا قبل بضعة أيام؟"

تخطيت تلك الرغبة بالذات. تجهل التعامل مع مثل هذه الأفكار بعكس السيد غودوود، وهذا ما يُعجبني فيه. إنه رجل رائع ومثال السيد النبيل، وإيزابيل تعرف ذلك جيدا."

"هل هي شديدة التعلّق به؟"

"إذا لم تكن كذلك، يجدر بها أن تكون. إنه وبكل بساطة مُغرم بها إلى حد الجنون."

قال رالف بتأمّل: "وترغبين مني دعوته إلى هنا؟"

"لا شك أنه سيكون نوع من التصرّف الدال على الضيافة الصادقة."

تابع رالف قائلا: "كاسبار غودوود، لهذا الاسم رنّة مثيرة."

"لا أكترث البتة باسمه، سأتصرّف بالطريقة ذاتها حتى ولو كان اسمه إزكيل جنكينز. إنه الرجل الوحيد الذي أعرف بأنّهُ يُليق بايزابيل."

"Who's the gentleman you speak of?"

"Mr. Caspar Goodwood–of Boston. He has been extremely attentive to Isabel–just as devoted to her as he can live. He has followed her out here and he's at present in London. I don't know his address, but I guess I can obtain it."

"I've never heard of him," said Ralph.

"Well, I suppose you haven't heard of every one. I don't believe he has ever heard of you; but that's no reason why Isabel shouldn't marry him."

Ralph gave a mild ambiguous laugh. "What a rage you have for marrying people! Do you remember how you wanted to marry me the other day?"

"I've got over that. You don't know how to take such ideas. Mr. Goodwood does, however; and that's what I like about him. He's a splendid man and a perfect gentleman, and Isabel knows it."

"Is she very fond of him?"

"If she isn't she ought to be. He's simply wrapped up in her."

"And you wish me to ask him here," said Ralph reflectively.

"It would be an act of true hospitality."

"Caspar Goodwood," Ralph continued–"it's rather a striking name."

"I don't care anything about his name. It might be Ezekiel Jenkins, and I should say the same. He's the only man I have ever seen whom I think worthy of Isabel."

قال رالف: "إنك صديقة مخلصة جدا."

"طبعا إنني كذلك. لا أبالي إذا كنت تقول ذلك من باب السخرية."

"لم أقل ذلك من باب السخرية، بل إنني منذهل جدا من تصرّفك هذا."

"لم يسبق لك أبدا أن كنت بهذه الدرجة من السخرية، ولكنني أنصحك بعدم السخرية من السيد غودوود."

قال رالف: "أؤكّد لك أنني جدّي جدا، عليك تفهّم وتصديق ما أقوله."

قالت رفيقته بعد لحظة وبعدما فهمت ما يقول: "إنني أصدقك، أنت الآن جدّي جدا."

"إنك صعبة الإرضاء."

"أوه، مما لا شك فيه أنّك جدّي جدا. سترفض توجيه دعوة إلى السيد غودوود."

قال رالف: "لا أعرف، إنني بارع في تأدية الأعمال الغريبة. أخبريني عن السيد غودوود. أي نوع من الرجال هو؟."

سأل رالف: "إنه نقيضك تماما. يملك مصنعا للقطن، مصنع كبير جدا."

"أيتميز بسلوك حسن؟."

"سلوكه رائع. على الطريقة الأمريكية."

"هل سيكون عضوا مقبولا في مجموعتنا الصغيرة؟"

"لا أظن أنه سيكترث كثيرا لمجموعتنا الصغيرة، بل سيركّز كامل اهتمامه على إيزابيل."

"وكيف ستتلقّى إبنة خالتي هكذا تصرّف؟"

"أغلب الظن أنها ستنزعج جدا من ذلك التصرّف، ولكنه سيكون

"You're a very devoted friend," said Ralph.

"Of course I am. If you say that to pour scorn on me I don't care."

"I don't say it to pour scorn on you; I'm very much struck with it."

"You're more satiric than ever, but I advise you not to laugh at Mr. Goodwood."

"I assure you I'm very serious; you ought to understand that," said Ralph.

In a moment his companion understood it. "I believe you are; now you're too serious."

"You're difficult to please."

"Oh, you're very serious indeed. You won't invite Mr. Goodwood."

"I don't know," said Ralph. "I'm capable of strange things. Tell me a little about Mr. Goodwood. What's he like?"

"He's just the opposite of you. He's at the head of a cotton-factory; a very fine one."

"Has he pleasant manners?" asked Ralph.

"Splendid manners–in the American style."

"Would he be an agreeable member of our little circle?"

"I don't think he'd care much about our little circle. He'd concentrate on Isabel."

"And how would my cousin like that?"

"Very possibly not at all. But it will be good for her. It

will call back her thoughts."

"Call them back–from where?"

"From foreign parts and other unnatural places. Three months ago she gave Mr. Goodwood every reason to suppose he was acceptable to her, and it's not worthy of Isabel to go back on a real friend simply because she has changed the scene. I've changed the scene too, and the effect of it has been to make me care more for my old associations than ever. It's my belief that the sooner Isabel changes it back again the better. I know her well enough to know that she would never be truly happy over here, and I wish her to form some strong American tie that will act as a preservative."

"Aren't you perhaps a little too much in a hurry?" Ralph enquired. "Don't you think you ought to give her more of a chance in poor old England?"

"A chance to ruin her bright young life? One's never too much in a hurry to save a precious human creature from drowning."

"As I understand it then," said Ralph, "you wish me to push Mr. Goodwood overboard after her. Do you know that I've never heard her mention his name?"

Henrietta gave a brilliant smile. "I'm delighted to hear that; it proves how much she thinks of him."

Ralph appeared to allow that there was a good deal in this, and he surrendered to thought while his companion watched him askance. "If I should invite Mr. Goodwood," he finally said, "it would be to quarrel with him."

عاملا مفيدا لها. سيسترجع إليها اهتماماتها الماضية.»

«يسترجع لها اهتماماتها. من أين؟»

«من أماكن غريبة وغير طبيعية. تصرّفت مع السيد غودوود قبل ثلاثة أشهر بشكل يُفهم منه تماما أنه مقبول جدا لديها، وليس من عادة إيزابيل التخلّي عن صديق عزيز لمجرّد سفرها إلى بلاد جديدة. لقد سافرت أنا إلى بلدان عديدة، وكان تأثير ذلك عليّ أنه جعلني أكثر التصاقا بمعارفي القدامي. إنني واثقة أنه كلما عادت إيزابيل لسابق عهدها كلما كان ذلك أفضل. أعرفها جيدا بحيث يمكنني القول أنها لن تكون سعيدة البتة في هذه البلاد، وأرغب أن ترتبط بعلاقة أميركية قوية تقيها من أي مكروه.»

سأل رالف: «ألست متسرّعة بعض الشيء؟ ألا تظنين أنه يجدر بك منحها فرصة أكبر لاختبار إنجلترا المسكينة بشكل أفضل؟».

«فرصة لتدمير صباها المتألق؟ لا يمكن للمرء أن يكون متسرّعا أبدا في محاولته لإنقاذ إنسان عزيز على قلبه من الغرق.»

قال رالف: «أفهم إذن، ترغبين مني أن أدفع السيد غودوود في طريقها. أتعلمين أنني لم أسمعها قط تأتي على ذكر اسمه.»

إنفرجت أسارير هنريتا عن إبتسامة متألقة. «يسعدني جدا سماع هذا؛ إنه دليل على مدى تفكيرها العميق به.»

بدا رالف وكأنه موافق على صحّة هذا القول، وغرق نتيجة ذلك في تفكير عميق بينما كانت رفيقته تراقبه بارتياب. قال هو أخيرا: «إذا ما دعوت السيد غودوود، سيكون ذلك للتشاجر معه.»

"إياك أن تفعل ذلك؛ سيثبت أنه أفضل منك."

"مما لا شك فيه أنك تفعلين كل ما بوسعك لجعلي أكرهه! بالحقيقة لا أظن أنه يمكنني توجيه دعوة له. أخشى أن أتصرف معه بشكل وقح."

أجابت هنريتا: "كما تشاء. لم يخطر ببالي إمكانية أن تكون مُغرما بها."

سأل الشاب: "أفعلا تظنين ذلك؟".

قالت الآنسة ستاكبول بنبرة حاذقة: "لم أسمع منك قبل الآن كلاما مستندا إلى حسٍ فطري بحت كالذي تفوّهت به الآن! طبعا أظن ذلك."

قال رالف مُنهيا الحديث: "حسنا، سأدعوه لمجرد أن أثبت لك إنك مخطئة في تقديرك هذا. طبعا سأقدّمه كأحد أصدقائك."

"لن يأتي بوصفه أحد أصدقائي؛ ولن تدعوه لرغبتك إثبات أنني مخطئة في تفكيري، بل لإثبات ذلك لنفسك!"

تضمنت كلمات الآنسة ستاكبول الأخيرة، والتي افترق الإثنان عندها، كمية لا بأس بها من الحقيقة، والتي لم يكن أمام رالف توشيت سوى الإقرار بها؛ ولكن ذلك الواقع خفّف من حدّية الإقرار أنه، بالرغم من ارتيابه بأن الالتزام بوعده سيكون عملا أكثر طيشا وتهوّرا من عدم الإلتزام به، كتب إلى السيد غودوود رسالة قصيرة لا تتعدّى الستة أسطر، تُفيد بأن السيد توشيت الأب سيكون مسرورا لو تمكّن السيد غودوود الإنضمام إلى حلقة اجتماعية صغيرة في غاردينكورت، تُعتبر الآنسة ستاكبول عضوا هاما فيها. إنتظر بشيء من القلق تأثير رسالته التي أرسلها بواسطة مدير مصرف إقترحته هنريتا عليه. كانت تلك المرة الأولى التي يسمع بها بإسم تلك

"Don't do that; he'd prove the better man."

"You certainly are doing your best to make me hate him! I really don't think I can ask him. I should be afraid of being rude to, him."

"It's just as you please," Henrietta returned. "I had no idea you were in love with her yourself."

"Do you really believe that?" the young man asked with lifted eyebrows.

"That's the most natural speech I've ever heard you make! Of course I believe it," Miss Stackpole ingeniously said.

"Well," Ralph concluded, "to prove to you that you're wrong I'll invite him. It must be of course as a friend of yours."

"It will not be as a friend of mine that he'll come; and it will not be to prove to me that I'm wrong that you'll ask him–but to prove it to yourself!"

These last words of Miss Stackpole's on which the two presently separated contained an amount of truth which Ralph Touchett was obliged to recognize; but it so far took the edge from too sharp a recognition that, in spite of his suspecting it would be rather more indiscreet to keep than to break his promise, he wrote Mr. Goodwood a note of six lines, expressing the pleasure it would give Mr. Touchett the elder that he should join a little party at Gardencourt, of which Miss Stackpole was a valued member. Having sent his letter to the care of a banker whom Henrietta suggested he waited in some suspense. He had heard this fresh formidable figure named for the first time; for when his mother had mentioned on her

arrival that there was a story about the girl's having an "admirer" at home, the idea had seemed deficient in reality and he had taken no pains to ask questions the answers to which would involve only the vague or the disagreeable. Now, however, the native admiration of which his cousin was the object had become more concrete; it took the form of a young man who had followed her to London, who was interested in a cotton-mill and had manners in the most splendid of the American styles. Ralph had two theories about this intervener. Either his passion was a sentimental fiction of Miss Stackpole's there was always a sort of tacit understanding among women, born of the solidarity of the sex, that they should discover or invent lovers for each other, in which case he was not to be feared and would probably not accept the invitation; or else he would accept the invitation and in this event prove himself a creature too irrational to demand further consideration. The latter clause of Ralph's argument might have seemed incoherent; but it embodied his conviction that if Mr. Goodwood were interested in Isabel in the serious manner described by Miss Stackpole he would not care to present himself at Gardencourt on a summons from the latter lady. "On this supposition," said Ralph, "he must regard her as a thorn on the stem of his rose; as an intercessor he must find her wanting in tact."

Two days after he had sent his invitation he received a very short note from Caspar Goodwood, thanking him for it, regretting that other engagements made a visit to Gardencourt impossible and presenting many compliments to Miss Stackpole. Ralph handed the note to Henrietta.

الشخصية البارزة؛ إذ حين أشارت والدته لدى وصولها، إلى شائعة تقول بأن للفتاة "مُعجب" في أمريكا، بدت له تلك الفكرة تفتقر إلى الحقيقة، ولم يحاول طرح أسئلة ستكون أجوبتها غامضة أو مزعجة. ولكن الآن أصبح الإعجاب الأمريكي أمرا ملموسا؛ إتخذ شكل رجل شاب لحق بها إلى لندن، ويهوى صناعة القطن ويتميّز بأفضل ما يكون عليه حسن التصرّف الأمريكي الطابع. كان لدى رالف نظريتان فيما يتعلق بهذا الرجل الطارئ وغير المتوقّع. إما أن تكون عاطفته نسجا عاطفي الصبغة من مخيّلة الآنسة ستاكبول (فهناك نوع من المفهوم الضمني بين النساء، ناشىء عن التضامن بين أفراد الجنس الواحد، يقول باكتشاف أو اختراع مُعجبين لبعضهن البعض)، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يُشكّل خطرا وأغلب الظن سيرفض قبول الدعوة الموجّهة إليه؛ وفي الحالة الثانية سيُلبّي تلك الدعوة ويُثبت بذلك أنه كائن يعزوه التفكير السليم ولا يحتاج بالتالي لمزيد من التفكير بأمره. قد تبدو الفقرة الثانية من حجّة رالف مشوّشة وغير متماسكة؛ إلا أنها جسّدت اقتناعه بأنه في حال اهتمام السيد غودوود بإيزابيل بالشكل الجدّي الذي وصفته الآنسة ستاكبول فإنه سيرفض الحضور إلى غاردينكورت استجابة لاستدعاء السيدة الأخيرة. قال رالف: "واستنادا إلى هذه الفرضية، لا بد وأن يعتبرها شوكة في ساق وردته؛ أو كوسيطة تفتقر للذوق واللباقة الإنسانية."

إستلم عقب مرور يومين على إرساله خطابه، رسالة موجزة جدا من كاسبار غودوود، يشكره فيها على رسالته، ويأسف لاستحالة تلبية دعوته لزيارة غاردينكورت نظرا لارتباطه في موعد سابق، مضيفا تحياته القلبية إلى الآنسة ستاكبول. علّقت هنريتا بعدما قرأت تلك الرسالة المقتضبة التي

ناولها إيّاها رالف بالقول، " لم أسمع طوال حياتي بشيء على هذه الدرجة من الفظاظة والتكبّر! "

علّق رالف قائلا: "أخشى أنه لا يكترث بابنة خالتي بالدرجة التي تصورتيها."

" لا، الواقع غير ذلك تماما؛ تصرف بدافع أكثر براعة ومهارة بكثير. طباعه غامضة جدا، إلا أنني مصممة على سبر أسرارها، وسأكتب له لمعرفة معنى تصرفه على هذا النحو."

كان رفضه لدعوة رالف مقلق بشكل مُبهم؛ فمنذ اللحظة التي رفض المجيء إلى غاردينكورت، أصبح صديقنا يأخذه على محمل الجدّ. تساءل بينه وبين نفسه ما همّه إذا كان المعجبين بإيزابيل مجرد مجموعة من المتهورين أم المتقاعسين؛ فهم لا يشكّلون منافسين له، وهم أكثر من مُرحّب بهم لممارسة عبقريتهم بالشكل الذي يرغبون. شعر بالرغم من ذلك بكثير من الفضول بالنسبة لنتيجة الإستقصاء الذي وعدت به الآنسة ستاكبول في ما يتعلق بالأسباب وراء غرابة تصرّف السيد غودوود. وهو فضول لم يرتو في الوقت الحاضر، ولا عقب مرور ثلاثة أيام حين سألها ما إذا كتبت إلى لندن، واضطرت للاعتراف بأن كتابتها كانت بدون فائدة. لم يجب السيد غودوود على رسالتها.

قالت: "أظن أنه يفكّر مليّا بالموضوع، إنه يفكّر مليّا بكل شيء؛ إنه أبعد ما يكون عن الشخص المتهوّر. إلا أنني معتادة على استلام أجوبة رسائلي في اليوم ذاته." قدّمت لاحقا عرضا إلى إيزابيل مفاده أنه من الضروري جدا وفي مطلق الأحوال، قيامهما معا بزيارة إلى لندن. قالت: "أصارحك القول بأنني لا أشاهد الكثير وأنا مقيمة في هذا المكان، وأظن أن هذا الأمر ينطبق عليك أنت أيضا. حتى أنه لم يتسنّ لي رؤية ذلك الأرستقراطي. ما اسمه؟ اللورد وربيرتن. يبدو أنه لا يكترث بك

who, when she had read it, exclaimed: "Well, I never have heard of anything so stiff!"

"I'm afraid he doesn't care so much about my cousin as you suppose," Ralph observed.

"No, it's not that; it's some subtler motive. His nature's very deep. But I'm determined to fathom it, and I shall write to him to know what he means."

His refusal of Ralph's overtures was vaguely disconcerting; from the moment he declined to come to Gardencourt our friend began to think him of importance. He asked himself what it signified to him whether Isabel's admirers should be desperadoes or laggards; they were not rivals of his and were perfectly welcome to act out their genius. Nevertheless he felt much curiosity as to the result of Miss Stackpole's promised enquiry into the causes of Mr. Goodwood's stiffness–a curiosity for the present ungratified, inasmuch as when he asked her three days later if she had written to London she was obliged to confess she had written in vain. Mr. Goodwood had not replied.

"I suppose he's thinking it over," she said; "he thinks everything over; he's not really at all impetuous. But I'm accustomed to having my letters answered the same day." She presently proposed to Isabel, at all events, that they should make an excursion to London together. "If I must tell the truth," she observed, "I'm not seeing much at this place, and I shouldn't think you were either. I've not even seen that aristocrat–what's his name?–Lord Washburton. He

كثيرا . "

"شاءت الصدف أن أعلم أن اللورد وربرتن قادم يوم غد إلى هنا، وستتسنّى لك الفرصة الملائمة لاستخراج ما تريديه من المعلومات منه . " أجابت صديقتها، التي كانت قد استلمت رسالة من سيد لوكليغ جوابا على رسالتها .

"حسنا، قد يُفيدني في إرسال تقرير واحد، ولكن ما قيمة تقرير واحد في وقت مطلوب منك فيه كتابة خمسين تقرير؟ لقد وصفت كافة مناظر هذه المنطقة وأثنيت على جميع العجائز والجياد . يمكنك التعليق بما تشائين، ولكن المقالات الجيدة لا تعتمد على وصف المناظر الجميلة . يجب عليّ العودة ثانية إلى لندن والحصول على بعض انطباعات الحياة الحقيقية . لم أبق هناك سوى ثلاثة أيام، وهي فترة قصيرة جدا للتواصل مع السكان . "

نظرا لأن إيزابيل لم تشاهد سوى النذر القليل من العاصمة البريطانية خلال رحلتها من نيويورك إلى غاردينكورت، فقد رحّبت باقتراح هنريتا بذهابهما معا في زيارة سياحية لتلك المدينة . كانت تلك فكرة مثيرة جدا بالنسبة لإيزابيل التي كانت تعتبر لندن مكانا يعج بالتفاصيل الغريبة التي طالما حلمت باكتشافها . فكّرتا بالعديد من الخطط والمشاريع لجعل رحلتهما إلى تلك المدينة مميزة ومثيرة . قررتا النزول في خان قديم مثير للصور الذهنية - كتلك التي وصفها دكينز - والتوجه إلى المدينة بتلك العربات التي تجرّها جياد رائعة . كانت هنريتا تمتهن الكتابة والتأليف، ومن حسنات تلك المهنة أنها تتيح لها الذهاب إلى كل مكان والقيام بما ترغبه من الأعمال . ستتناولان وجبة الغداء في أحد المقاهي ومن ثم تذهبان إلى المسرح؛ ستزوران أماكن العبادة والمتحف البريطاني، وتكتشفان مكان إقامة الدكتور جونسون، وغولدزسميث وأديسون . بلغت لهفة وتشوّق

seems to let you severely alone."

"Lord Warburton's coming to-morrow, I happen to know," replied her friend, who had received a note from the master of Lockleigh in answer to her own letter. "You'll have every opportunity of turning him inside out."

"Well, he may do for one letter, but what's one letter when you want to write fifty? I've described all the scenery in this vicinity and raved about all the old women and donkeys. You may say what you please, scenery doesn't make a vital letter. I must go back to London and get some impressions of real life. I was there but three days before I came away, and that's hardly time to get in touch."

As Isabel, on her journey from New York to Gardencourt, had seen even less of the British capital than this, it appeared a happy suggestion of Henrietta's that the two should go thither on a visit of pleasure. The idea struck Isabel as charming; she was curious of the thick detail of London, which had always loomed large and rich to her. They turned over their schemes together and indulged in visions of romantic hours. They would stay at some picturesque old inn–one of the inns described by Dickens–and drive over the town in those delightful hansoms. Henrietta was a literary woman, and the great advantage of being a literary woman was that you could go everywhere and do everything. They would dine at a coffee-house and go afterwards to the play; they would frequent the Abbey and the British Museum and find out where Doctor Johnson

had lived, and Goldsmith and Addison. Isabel grew eager and presently unveiled the bright vision to Ralph, who burst into a fit of laughter which scarce expressed the sympathy she had desired.

"It's a delightful plan," he said. "I advise you to go to the Duke's Head in Covent Garden, an easy, informal, old-fashioned place, and I'll have you put down at my club."

"Do you mean it's improper?" Isabel asked. "Dear me, isn't anything proper here? With Henrietta surely I may go anywhere; she isn't hampered in that way. She has travelled over the whole American continent and can at least find her way about this minute island."

"Ah then," said Ralph, "let me take advantage of her protection to go up to town as well. I may never have a chance to travel so safely!"

إيزابيل ذروتها ما دفعها إلى كشف تصوّرها المتألق عن رحلتها العتيدة إلى رالف، الذي انفجر ضاحكا وهو أمر بالكاد كان تعبيرا ملائما للتشجيع الذي كانت تتوقّعه منه.

قال: "إنها خطة مُبهجة جدا. أنصحك بالنزول في فندق ديوكس هيد في كوفينت غاردن، وهو مكان هادئ وقديم الطراز، وسأطلب منهم السماح لكما بزيارة النادي الذي أنتمي إليه."

قالت إيزابيل: "أتقصد أنه من الممنوعات؟ يا إلهي، هل كل شيء ممنوع في هذه البلاد؟ مما لا ريب فيه أنه سيُسمح لي بالذهاب إلى أي مكان أختاره، بوجود هنريتا إلى جانبي؛ إنها غير مُقيّدة بهذه الطريقة. لقد سافرت إلى كل شبر في القارة الأمريكية، ولا شك أنها لن تتيه في هذه الجزيرة الصغيرة."

قال رالف: "إذن دعيني أغتنم فرصة التمتع بحمايتها وأذهب برفقتكما إلى المدينة، قد لا تتاح لي فرصة ثانية للسفر بهذه الدرجة من الأمان."

الفصل الرابع عشر

كانت الآنسة ستاكبول تُفضّل البدء بالسفرة المرتقبة على الفور؛ ولكن إيزابيل، كما رأينا سابقا، أعلِمَت بعزم اللورد وربرتن المجيء ثانية إلى غاردينكورت، واعتبرت أن من واجبها البقاء هناك ومقابلته. كانت قد انقضت أربعة أو خمسة أيام بدون أن يصلها أي ردّ منه على رسالتها؛ ومن ثم كتب لها رسالة مقتضبة جدا، يُعلمها فيها بأنه سيأتي بعد يومين للمشاركة في مأدبة صغيرة.

كان هناك شيء في تلك التأجيلات والتأخيرات ما كان له أبلغ الأثر في نفس الفتاة وجدّد لديها إحساسها برغبته بأن يكون صبورا ومراعيا لشعورها، بدون أن يبدو عليه أنه يحثّها بشكل علني لاتخاذ موقف منه؛ وهو تصرّف أثبت لها كلما أمعنت التفكير به على أنه "مُعجب بها فعلا." أخبرت إيزابيل زوج خالتها بالرسالة التي بعثتها له، مشيرة أيضا إلى رغبته بزيارتها؛ وعلى ضوء هذه المعلومات، أبكر الرجل المسن في مغادرة غرفته على غير عادته وانضم إلى مأدبة الغداء عند الساعة الثانية بعد الظهر. لم يُقدم على ذلك العمل من منطلق الحذر والاحتراز على الإطلاق، بل كان ثمرة اعتقاد مطبوع على حب الخير بأن وجوده ضمن المجموعة قد يساهم في إخفاء أي ميل لدى إيزابيل بالانفراد مع زائرهم النبيل. وصلت تلك الشخصية البارزة قادمة من لوكليغ برفقة شقيقتها الكبرى، وهو إجراء ممكن افتراضه على أنه اتُخِذَ على ضوء فكرة السيد توشيت ذاتها. جرى تعريف الزائر وشقيقته إلى الآنسة ستوكبول، التي جلست خلال مأدبة الغذاء في مقعد محاذٍ للّورد وربيرتن. لم يسع إيزابيل، التي كانت متوترة وقلقة من احتمال مناقشة المسألة التي فاتحها بها، سوى الإعجاب برباطة جأشه المتماسكة، التي أخفت بشكل رائع

Chapter Fourteen

Miss Stackpole would have prepared to start immediately; but Isabel, as we have seen, had been notified that Lord Warburton would come again to Gardencourt, and she believed it her duty to remain there and see him. For four or five days he had made no response to her letter; then he had written, very briefly, to say he would come to luncheon two days later.

There was something in these delays and postponements that touched the girl and renewed her sense of his desire to be considerate and patient, not to appear to urge her too grossly; a consideration the more studied that she was so sure he "really liked" her. Isabel told her uncle she had written to him, mentioning also his intention of coming; and the old man, in consequence, left his room earlier than usual and made his appearance at the two o'clock repast. This was by no means an act of vigilance on his part, but the fruit of a benevolent belief that his being of the company might help to cover any conjoined straying away in case Isabel should give their noble visitor another hearing. That personage drove over from Lockleigh and brought the elder of his sisters with him, a measure presumably dictated by reflexions of the same order as Mr. Touchett's. The two visitors were introduced to Miss Stackpole, who, at luncheon, occupied a seat adjoining Lord Warburton's. Isabel, who was nervous and had no relish for the prospect of again arguing the question he had so prematurely opened, could not help admiring his good-

humoured self-possession, which quite disguised the symptoms of that preoccupation with her presence it was natural she should suppose him to feel. He neither looked at her nor spoke to her, and the only sign of his emotion was that he avoided meeting her eyes. He had plenty of talk for the others, however, and he appeared to eat his luncheon with discrimination and appetite. Miss Molyneux, who had a smooth, nun-like forehead and wore a large silver cross suspended from her neck, was evidently preoccupied with Henrietta Stackpole, upon whom her eyes constantly rested in a manner suggesting a conflict between deep alienation and yearning wonder. Of the two ladies from Lockleigh she was the one Isabel had liked best; there was such a world of hereditary quiet in her. Isabel was sure moreover that her mild forehead and silver cross referred to some weird Anglican mystery–some delightful reinstitution perhaps of the quaint office of the canoness. She wondered what Miss Molyneux would think of her if she knew Miss Archer had refused her brother; and then she felt sure that Miss Molyneux would never know- that Lord Warburton never told her such things. He was fond of her and kind to her, but on the whole he told her little. Such, at least, was Isabel's theory; when, at table, she was not occupied in conversation she was usually occupied in forming theories about her neighbours. According to Isabel, if Miss Molyneux should ever learn what had passed between Miss Archer and Lord Warburton she would probably be shocked at such a girl's failure to rise; or no, rather this was our heroine's last position she would impute to the young American but a due consciousness of inequality.

علامات انشغاله بوجودها، والتي افترضت بطبيعة الحال أنه كان يشعر بها. لم ينظر أو يتحدّث إليها، وكانت العلامة الوحيدة عمّا يعتمل في داخله من عواطف، هي تفاديه التقاء نظراته بنظراتها. أسهب بالتحدّث مع الآخرين، وبدا أنه يتناول طعامه بشهية كبيرة. كانت الآنسة مولينو، بجبهتها الملساء الشبيهة بجبهات الراهبات، مرتدية صليب فضي كبير متدلٍ من عنقها، منهمكة بالحديث مع هنريتا ستاكبول وهي تنظر إليها بنظرات اختلطت فيها مشاعر الاستهجان العميق والانشداه المتوق. كانت المفضّلة لدى إيزابيل من بين سيدتي لوكليغ؛ كانت تتميّز بعالم رائع من الهدوء الموروث. كانت إيزابيل متأكدة، فضلا عن ذلك، بأن جبهتها اللطيفة وصليبها الفضّي يُشيران إلى نوع من اللغز الأنغليكي الغريب. ربما نوع من إعادة تأسيس مُبهجة لمنصب غريب من الشرائع الكنسية. تساءلت كيف ستنظر إليها الآنسة مولينو في حال عرفت أن الآنسة أرتشير رفضت شقيقها؛ ومن ثم تأكّدت من أن الآنسة مولينو لن تعرف هذه الحقيقة أبدا. وأن اللورد وربرتن لا يُطلعها مطلقا على مثل هذه الأمور. كان لطيفا ومحبّا لها، ولكنه بشكل عام لم يُطلعها سوى على النذر القليل مما يحصل معه. هكذا على الأقل كانت نظرية إيزابيل؛ فحين كانت جالسة إلى المائدة وغير منهمكة بالحديث، عكفت على تكوين نظريات فيما يتعلق بالأشخاص الجالسين حولها. إستنادا لإيزابيل، في حال علمت الآنسة مولينو ما جرى بين الآنسة أرتشير واللورد وربرتن، فأغلب الظن أنها ستُصاب بالصدمة من فشل الفتاة الارتقاء في السلم الاجتماعي؛ أو لا، على الأرجح (وكان هذا افتراضها الأخير) ستُلصق بالأمريكية الشابة تهمة ملائمة من التفاوت الاجتماعي.

Whatever Isabel might have made of her opportunities, at all events, Henrietta Stackpole was by no means disposed to neglect those in which she now found herself immersed. "Do you know you're the first lord I've ever seen?" she said very promptly to her neighbour. "I suppose you think I'm awfully benighted."

"You've escaped seeing some very ugly men," Lord Warburton answered, looking a trifle absently about the table.

"Are they very ugly? They try to make us believe in America that they're all handsome and magnificent and that they wear wonderful robes and crowns."

"Ah, the robes and crowns are gone out of fashion," said Lord Warburton, "like your tomahawks and revolvers."

"I'm sorry for that; I think an aristocracy ought to be splendid," Henrietta declared. "If it's not that, what is it?"

"Oh, you know, it isn't much, at the best," her neighbour allowed. "Won't you have a potato?"

"I don't care much for these European potatoes. I shouldn't know you from an ordinary American gentleman."

"Do talk to me as if I were one," said Lord Warburton. "I don't see how you manage to get on without potatoes; you must find so few things to eat over here."

Henrietta was silent a little; there was a chance he was not sincere. "I've had hardly any appetite since I've been

مهما تكن النتائج التي انتهت إليها إيزابيل من الفُرص التي كانت متاحة أمامها، كانت هنريتا ستاكبول، على أية حال أبعد ما تكون عن تفادي الاستفادة إلى أبعد حدّ من هذه الفرص التي وجدت نفسها الآن مغمورة فيها. قالت هي بحزم شديد موجّهة كلامها إلى اللورد الجالس بقربها: "أتعلم أنك أول لورد ألتقي به؟ أظن ستعتقد بأنني جاهلة إلى حد يُرثى له."

أجاب اللورد وربرتن، وهو ينقّل نظراته للحظة في أنحاء المائدة: "لقد نجوتِ من الالتقاء ببعض الرجال القبيحين جدا."

"هل هم فعلا قبيحون جدا؟ يدفعوننا في أمريكا للاعتقاد بأن جميعهم رجال على قدر كبير من الوسامة والأبهة، ويرتدون أثوابا وتيجانا رائعة."

أجاب اللورد وربرتن: "أوه، أصبحت الأثواب والتيجان زيا قديما، كما حصل بالنسبة لفؤوس الهنود والمسدّسات."

أعلنت هنريتا قائلة: "أشعر بالأسف جرّاء ذلك؛ أظن يجدر بالأرستقراطية التميّز بالفخامة، فإذا لم تكن كذلك، فما مميزاتها بالضبط؟."

أجاب جارها: "أوه، إنها ليست بذات أهمية كبرى، أتريدين بعض البطاطا؟."

"لا أميل كثيرا لمذاق هذه البطاطا الأوروبية. ما كنت استطعت تمييزك عن الرجل الأمريكي العادي."

قال اللورد وربرتن: "حدثيني وكأنني واحد منهم. لا أفهم كيف يمكنك تدبّر أمرك دون تناول البطاطا؛ لا بد وأنك لا تجدين ما يكفي هنا من الأطعمة التي تلائم ذوقك."

صمتت هنريتا للحظة؛ هناك احتمال بعدم كونه صادقا فيما يقوله. تابعت حديثها قائلة: "فقدت شهيتي للطعام منذ وصولي إلى هنا، وبالتالي

فالأمر ليس بذي أهمية كبيرة بالنسبة لي. أشعر بأنه يجدر بي مصارحتك بأنني لا أستحسنك. »

«ألا تستحسنيني؟»

«بلى؛ لا أظن أحداً قبل الآن تجاسر على توجيه مثل هذا الكلام لك، أليس كذلك؟ لا أستحسن اللوردات كمؤسسة. أظن أن العالم تجاوزهم - بمراحل.»

«أوه، وأنا أيضا أظن ذلك. لا أستحسن حالي مطلقا. أحيانا يغمرني إحساس غريب - كيف يمكنني الاعتراض على نفسي لو كنت شخصا آخر، ألا تعرفين ذلك؟ ولكن ذلك إحساس جيد إلى حد ما - إذ يُبعدك عن الغطرسة الفارغة.»

«لماذا إذن لا تتخلّى عن لقبك؟» سألت الآنسة ستاكبول.

«أتخلّى عن . . . ؟» سأل اللورد وربرتن، وهو يرمقها بنظرة رقيقة في وجه نظراتها الثابتة.

«التخلّي عن لقب اللورد.»

«أوه، إنني مجرّد لورد صغير الشأن! يسهل جدا تناسي مسألة هذا اللقب لو تتوقفوا أنتم معشر الأمريكيين البائسين عن تذكيرنا به. من ناحية ثانية، أفكّر بالتخلّي عن هذا اللقب، أو ما تبقّى منه من أبهة وأهمية، في يوم من الأيام.»

صاحت هنريتا بشيء من التجهّم: «أرغب برؤيتك تقدم على هذه الخطوة!»

«سأدعوك لحضور مراسم تلك المناسبة؛ وسنتناول العشاء ونرقص احتفالا بتلك المناسبة.»

قالت الآنسة ستاكبول: «حسنا، أرغب بدراسة كافة الأطراف. لا

here," she went on at last; "so it doesn't much matter. I don't approve of you, you know; I feel as if I ought to tell you that."

"Don't approve of me?"

"Yes; I don't suppose any one ever said such a thing to you before, did they? I don't approve of lords as an institution. I think the world has got beyond them-far beyond."

"Oh, so do I. I don't approve of myself in the least. Sometimes it comes over me-how I should object to myself if I were not myself, don't you know? But that's rather good, by the way-not to be vainglorious."

"Why don't you give it up then?" Miss Stackpole enquired.

"Give up-a-?" asked Lord Warburton, meeting her harsh inflexion with a very mellow one.

"Give up being a lord."

"Oh, I'm so little of one! One would really forget all about it if you wretched Americans were not constantly reminding one. However, I do think of giving it up, the little there is left of it, one of these days."

"I should like to see you do it!" Henrietta exclaimed rather grimly.

"I'll invite you to the ceremony; we'll have a supper and a dance."

"Well," said Miss Stackpole, "I like to see all sides. I

أستحسن الطبقة ذات الامتياز، ولكني أرغب بسماع ما لديها لتقوله دفاعا عن وجودها.»

«القليل جدا، كما رأيت!»

تابعت هنريتا قائلة: «أرغب بدفعك إلى التحدّث بشيء من الإسهاب، ولكنك تتفادى النظر إليّ. يبدو لي أنك ترغب بالفرار من أمامي.»

«كلا، بل أحاول العثور على تلك البطاطا التي تمقتينها.»

«أرجوك اشرح لي إذن وضعية تلك السيدة الشابة. شقيقتك. هل هي سيدة نبيلة؟

«إنها فتاة من أروع ما يكون.»

«لا أحب الأسلوب الذي استخدمته لوصفها. وكأنك ترغب بتبديل موضوع حديثنا. هل مركزها الاجتماعي أدنى من مركزك؟»

«ليس لأي منا مركزا إجتماعيا يمكن التبجّح به، ولكنها في وضع أفضل مني لأنها غير مضطّرة للقلق بشأن ما تستوجبه الألقاب من إنزعاج وتوتّر.»

«نعم، تبدو خالية من المسائل التي تجعلها قلقة أو متوترة. كم أتمنى لو كنت خالية البال مثلها. لا بد من الإقرار أنكم أناس هادئين جدا، مهما تكن الأعمال الأخرى التي تمارسونها.»

قال اللورد وربرتن: «نعمد بشكل عام لأخذ الحياة بشكل مُبسّط، ومن ناحية ثانية كما تعرفين، إننا أناس مملين جدا. آه، كم نُجيد ذلك حين نحاول أن نكون مملين!.»

«يجدر بي نصحك بمحاولة القيام بشيء آخر مختلف تماما. لا أعلم بما يمكنني التحدث به مع شقيقتك؛ تبدو لي غير اعتيادية إلى درجة كبيرة. هل ذاك الصليب الفضي شارة ما؟»

don't approve of a privileged class, but I like to hear what they have to say for themselves."

"Mighty little, as you see!"

"I should like to draw you out a little more," Henrietta continued. "But you're always looking away. You're afraid of meeting my eye. I see you want to escape me."

"No, I'm only looking for those despised potatoes."

"Please explain about that young lady–your sister–then. I don't understand about her. Is she a Lady?"

"She's a capital good girl."

"I don't like the way you say that–as if you wanted to change the subject. Is her position inferior to yours?"

"We neither of us have any position to speak of; but she's better off than I, because she has none of the bother."

"Yes, she doesn't look as if she had much bother. I wish I had as little bother as that. You do produce quiet people over here, whatever else you may do."

"Ah, you see one takes life easily, on the whole," said Lord Warburton. "And then you know we're very dull. Ah, we can be dull when we try!"

"I should advise you to try something else. I shouldn't know what to talk to your sister about; she looks so different. Is that silver cross a badge?"

"شارة؟"

"شارة الانتساب إلى طبقة اجتماعية معيّنة؟"

تنقّلت نظرات اللورد وربرتن كثيرا إلى أن التقت أخيرا بنظرات جارته. أجاب بعد لحظة: "نعم، ترغب النساء بمثل هذه الأشياء، إذ اعتادت كبرى بنات النبلاء ارتداء الصليب الفضي." كان هذا انتقامه غير المؤذي من معشر الأمريكيين لاعتبارهم إياه رجلا ساذجا. عرض على إيزابيل عقب الانتهاء من تناول الغداء، مرافقته إلى صالة عرض اللوحات الفنية، وبالرغم من معرفتها بأنه شاهد تلك اللوحات أكثر من عشرين مرّة، وافقت على طلبه بدون انتقادها لحجّته تلك. كانت خالية من مشاعر الاضطراب والتوتر، خاصة بعدما كتبت له تلك الرسالة. سار ببطء حتى نهاية صالة العرض بدون أن يتفوّه بكلمة واحدة، وفجأة قطع صمته قائلا، "كنتُ أتمنى لو لم تكتبي لي رسالة بالأسلوب الذي فعلتِ."

قالت الفتاة: "كان ذاك الأسلوب الوحيد المتيسّر أمامي، يا لورد وربرتن. حاول تصديق ما أقوله."

"طبعا لو كان باستطاعتي تصديق كلامك، لتمكنت من تركك وشأنك. ولكننا لا نستطيع تصديق ما نرغب تصديقه؛ وأصارحك القول أنني لا أفهم موقفك. يمكنني أن أفهم أنك لا تحبينني؛ يمكنني فهم ذلك تماما. ولكنك اعترفت بأنك . . ."

قاطعته قائلة وقد شحب لونها بعض الشيء: "بماذا اعترفت؟."

"بأنك تعتبرينني رجلا لطيفا؛ أليس كذلك؟" لزمت الصمت، وتابع هو قائلا، "يبدو أنه ليس لديك أي سبب وجيه لرفضي، وهذا يشعرني بالظلامة."

"A badge?"

"A sign of rank."

Lord Warburton's glance had wandered a good deal, but at this it met the gaze of his neighbour. "Oh yes," he answered in a moment; "the women go in for those things. The silver cross is worn by the eldest daughters of Viscounts." Which was his harmless revenge for having occasionally had his credulity too easily engaged in America. After luncheon he proposed to Isabel to come into the gallery and look at the pictures; and though she knew he had seen the pictures twenty times she complied without criticizing this pretext. Her conscience now was very easy; ever since she sent him her letter she had felt particularly light of spirit. He walked slowly to the end of the gallery, staring at its contents and saying nothing; and then he suddenly broke out: "I hoped you wouldn't write to me that way."

"It was the only way, Lord Warburton," said the girl. "Do try and believe that."

"If I could believe it of course I should let you alone. But we can't believe by willing it; and I confess I don't understand. I could understand your disliking me; that I could understand well. But that you should admit you do-"

"What have I admitted?" Isabel interrupted, turning slightly pale.

"That you think me a good fellow; isn't that it?" She said nothing, and he went on: "You don't seem to have any reason, and that gives me a sense of injustice."

قالت بنبرة جعلت قلبه ينقبض: "لدي أسبابي، يا لورد وربرتن."

"أود من كل قلبي معرفة ما تلك الأسباب."

"سأعلمك بها يوما ما حين يكون لدي المزيد منها."

"اعذري قولي إلى أن يحين ذلك الوقت، سأشك بوجودها."

قالت إيزابيل: "تجعلني أشعر بتعاسة كبيرة."

صدر عن إيزابيل صوت بمعنى الموافقة، لكنه يبدو أنه شاهد في نظراتها شيء ما دفعه للتجرؤ على متابعة حديثه. "هل هناك شخص آخر؟ لا أشعر بالأسف لذلك؛ فقد يساعدك لتفهمي ما أشعر به. هلا تفضّلتِ وأجبتِ على سؤالي؟"

"لا يمكنني الإجابة على هذا السؤال."

تمتم طالب يدها بمرارة: "أها، لديك شخص آخر، إذن!"

صاحت بعدما لامست مرارته خبايا قلبها: "أنت مخطئ، ليس في حياتي رجل آخر."

جلس على مقعد، متهالكا ومتعبا، أشبه برجل يشكو مكروها، متكئا بمرفقيه على ركبتيه ومحدّقا بالأرض. "لا يمكنني حتى الشعور بالسعادة لدى سماعي قولك هذا،" قال هو أخيرا، ورجع بجسده متكئا على الجدار؛ "إذ عندها سأعتبر ذلك بمثابة عذر."

رفعت حاجبيها بتعجّب. "عذر؟ أيجدر بي الاعتذار عن نفسي؟"

لم يجب على سؤالها. خطر بباله احتمال آخر. "هل مبادئي السياسية هي العائق؟ أتظنيني رجلا شديد الاندفاع وراء مبادئي؟"

"لا يمكنني الاعتراض على مبادئك السياسية، لأنني لا أفهمها."

"I have a reason, Lord Warburton." She said it in a tone that made his heart contract.

"I should like very much to know it."

"I'll tell you some day when there's more to show for it."

"Excuse my saying that in the mean time I must doubt of it."

"You make me very unhappy," said Isabel.

"I'm not sorry for that; it may help you to know how I feel. Will you kindly answer me a question?" Isabel made no audible assent, but he apparently saw in her eyes something that gave him courage to go on. "Do you prefer some one else?"

"That's a question I'd rather not answer."

"Ah, you do then!" her suitor murmured with bitterness.

The bitterness touched her, and she cried out: "You're mistaken! I don't."

He sat down on a bench, unceremoniously, doggedly, like a man in trouble; leaning his elbows on his knees and staring at the floor. "I can't even be glad of that," he said at last, throwing himself back against the wall; "for that would be an excuse."

She raised her eyebrows in surprise. "An excuse? Must I excuse myself?"

He paid, however, no answer to the question. Another idea had come into his head. "Is it my political opinions? Do you think I go too far?"

"I can't object to your political opinions, because I don't understand them."

"You don't care what I think!" he cried, getting up. "It's all the same to you.

Isabel walked to the other side of the gallery and stood there showing him her charming back, her light slim figure, the length of her white neck as she bent her head, and the density of her dark braids. She stopped in front of a small picture as if for the purpose of examining it; and there was something so young and free in her movement that her very pliancy seemed to mock at him. Her eyes, however, saw nothing; they had suddenly been suffused with tears. In a moment he followed her, and by this time she had brushed her tears away; but when she turned round her face was pale and the expression of her eyes strange. "That reason that I wouldn't tell you–I'll tell it you after all. It's that I can't escape my fate."

"Your fate?"

"I should try to escape it if I were to marry you."

"I don't understand. Why should not that be your fate as well as anything else?"

"Because it's not," said Isabel femininely. "I know it's not. It's not my fate to give up–I know it can't be."

Poor Lord Warburton stared, an interrogative point in either eye. "Do you call marrying me giving up?"

"Not in the usual sense. It's getting–getting–getting a great deal. But it's giving up other chances."

"Other chances for what?"

"I don't mean chances to marry," said Isabel, her colour quickly coming back to her. And then she stopped, looking

صاح قائلا وهو ينهض من مكانه: "لا تكترثين البتّة بما أفكر! فكل ما أفكّر به سيّان بالنسبة لك."

سارت إيزابيل إلى الجهة الأخرى من صالة العرض ووقفت هناك مُديرة له ظهرها الجميل، وجسدها النحيف وعنقها الأبيض، محنية رأسها ومُبيّنة كثافة جدائلها الداكنة اللون. توقّفت أمام صورة صغيرة وكأنها ترغب بتفحّصها؛ وكان هناك شيئا فتيّا وحرّا بحركتها، بحيث بدت مطواعيتها وكأنها تسخر منه. إلا أن عينيها لم تشاهدا شيئا، فقد اغرورقتا بالدموع. وقف إلى جانبها خلال لحظة، بعدما تمكّنت من مسح دموعها؛ إلا أنها حين استدارت نحوه، كان وجهها شاحبا وتعبير غريب ظاهر في عينيها. "سأبوح لك بالسبب الذي رفضت البوح به. السبب هو أنني لا أستطيع الفرار من قدري."

"قدرك؟"

"سأكون أحاول الفرار منه، في حال وافقت على الزواج منك."

"لا أفهم. لماذا لا يكون ذلك قدرك كما سائر الأمور الأخرى؟"

قالت إيزابيل بأسلوب أنثوي رقيق: "لأنه ليس كذلك. إنني واثقة من أنه ليس كذلك. قدري ألّا أستسلم. أعرف أن ذلك أمرا مستحيلا."

حدّق اللورد وربرتن المسكين، بنظرات تعجّب وذهول. "هل تعتبرين الزواج مني بمثابة استسلام؟"

"ليس بالمفهوم التقليدي. سأحصل على، ... على، ... الكثير. ولكن سأتخلّى عن فرص أخرى."

"أية فرص أخرى؟"

"لا أقصد فرص أخرى للزواج." قالت ذلك إيزابيل وقد عاد إليها

down with a deep frown, as if it were hopeless to attempt to make her meaning clear.

"I don't think it presumptuous in me to suggest that you'll gain more than you'll lose," her companion observed.

"I can't escape unhappiness," said Isabel. "In marrying you I shall be trying to."

"I don't know whether you'd try to, but you certainly would: that I must in candour admit!" he exclaimed with an anxious laugh.

"I mustn't–I can't!" cried the girl.

"Well, if you're bent on being miserable I don't see why you should make me so. Whatever charms a life of misery may have for you, it has none for me."

"I'm not bent on a life of misery," said Isabel. "I've always been intensely determined to be happy, and I've often believed I should be. I've told people that; you can ask them. But it comes over me every now and then that I can never be happy in any extraordinary way; not by turning away, by separating myself."

"By separating yourself from what?"

"From life. From the usual chances and dangers, from what most people know and suffer."

Lord Warburton broke into a smile that almost denoted hope. "Why, my dear Miss Archer," he began to explain with the most considerate eagerness, "I don't offer you any exoneration from life or from any chances or dangers

لونها بسرعة، ومن ثم صمتت، وهي تنظر إلى الأرض، بوجه متجهّم، وكأنها شعرت أنّه لا فائدة من محاولة شرح معنى كلامها.

قال رفيقها معلّقا: "لا أظن أنها وقاحة مني القول بأنك بزواجك مني ستكسبين أكثر بكثير مما ستخسرين."

قالت إيزابيل: "لا يمكنني الفرار من التعاسة. بزواجي منك سأكون أحاول أن أفعل ذلك."

"لا أعلم ما إذا ستحاولين ذلك، ولكن من المؤكد أنك ستفعلين: عليّ الاعتراف بذلك بصراحة!" صاح وهو يضحك ضحكة قلقة.

"لا يمكنني. لا أستطيع!" صاحت الفتاة.

"حسنا، إذا كنت مصرّة على أن تكوني تعيسة، لا أجد سببا يدفعني أنا إلى ذلك. فمهما كان سحر الحياة التعيسة بالنسبة لك، فهي ليست كذلك بالنسبة لي."

قالت إيزابيل: "لا أرغب بحياة تعيسة، فطالما كنت دائما مصممة بشدة على أن أكون سعيدة، وغالبا ما كنت أؤمن بقدرتي على تحقيق ذلك. أخبرت معارفي بذلك؛ يمكنك سؤالهم إذا أردت. ولكن أشعر أحيانا أنه يستحيل عليّ أن أكون سعيدة بطريقة غير اعتيادية؛ بالفرار، بفصل نفسي."

"فَصل نفسك عن ماذا؟"

"عن الحياة. عن كافة فرص ومخاطر الحياة، عن معظم ما يعرفه الناس ويتألمون منه."

انفرجت أسارير اللورد ووربرتن عن ابتسامة كادت تبدو وكأنها تشير إلى بصيص من الأمل. "حسنا، يا عزيزتي الآنسة أرتشر، إنني لا أعدك بحياة خالية من الفرص أو المخاطر. كم أتمنى لو يمكنني ذلك؛ ثقي بأنني أتمنى

من كل قلبي لو كان بمقدوري تقديم ذلك، لفعلت! بالله عليك، ماذا تعتبرينني؟ ليكن الله بعوني، أنا لست إمبراطور الصين! كل ما أقدمه لك هو حياة عادية بشكل مريح نوعا ما. الحياة العادية؟ إنني مكرّس حياتي لخدمة العامة من البشر! اعقدي اتحادا معي، وأعدكِ بأنه سيكون لديك الكثير من الحياة العادية. لن تفترقي عن أي شيء مهما كان، ولا حتى عن صديقتك الآنسة ستاكبول."

"لن تستحسن أبدا مثل هذا الزواج،" قالت إيزابيل ذلك، وهي تحاول الابتسام واغتنام فرصة هذه المسألة الجانبية؛ علما أنها كانت تشعر بازدراء كبير تجاه نفسها لقيامها بمثل هذه المحاولة.

سأل سيادته بتبرّم: "هل نحن في صدد الحديث عن الآنسة ستاكبول؟ "لم يسبق لي أبدا الالتقاء بشخص يحكم على الأمور بهذه الحجج النظرية."

"أظن الآن أنك تتحدّث عني،" قالت إيزابيل ذلك بتواضع؛ واستدارت ثانية، لأنها شاهدت الآنسة مولينو تدخل صالة المعرض، برفقة هنريتا ورالف.

تحدّثت شقيقة اللورد وربرتن إليه بشيء من الخجل لافتة نظره إلى ضرورة عودتها إلى المنزل في موعد تناول الشاي، نظرا لأنها تتوقع وصول ضيوف في ذلك الوقت. لم يجب. لم يسمعها على ما يبدو؛ فقد كان منشغل البال، وكان لديه أسبابا وجيهة لذلك. وقفت الآنسة مولينو. وكأنه سليل العائلة المالكة. تنتظر جوابه كما تفعل عادة وصيفة الملكة.

قالت هنريتا ستاكبول: "حقا، لم يسبق لي هذا، يا آنسة مولينو! إذا ما رغبت بالذهاب، فسيضطّر هو للذهاب كذلك. إذا رغبت من شقيقي القيام بعمل ما، فهو مُلزم بتنفيذه."

whatever. I wish I could; depend upon it I would! For what do you take me, pray? Heaven help me, I'm not the Emperor of China! All I offer you is the chance of taking the common lot in a comfortable sort of way. The common lot? Why, I'm devoted to the common lot! Strike an alliance with me, and I promise you that you shall have plenty of it. You shall separate from nothing whatever–not even from your friend Miss Stackpole."

"She'd never approve of it," said Isabel, trying to smile and take advantage of this side-issue; despising herself too, not a little, for doing so.

"Are we speaking of Miss Stackpole?" his lordship asked impatiently. "I never saw a person judge things on such theoretic grounds."

"Now I suppose you're speaking of me," said Isabel with humility; and she turned away again, for she saw Miss Molyneux enter the gallery, accompanied by Henrietta and by Ralph.

Lord Warburton's sister addressed him with a certain timidity and reminded him she ought to return home in time for tea, as she was expecting company to partake of it. He made no answer–apparently not having heard her; he was preoccupied, and with good reason. Miss Molyneux–as if he had been Royalty–stood like a lady-in-waiting.

"Well, I never, Miss Molyneux!" said Henrietta Stackpole. "If I wanted to go he'd have to go. If I wanted my brother to do a thing he'd have to do it."

أجابت الآنسة مولينو، بضحكة خجولة وسريعة: "أوه، وربرتن ينفذ رغبات الجميع".

"يا لهذا العدد الكبير من اللوحات الفنية التي لديك!" تابعت قائلة وهي تستدير نحو رالف.

قال رالف: "يبدو عددها كبير جدا لأنها موضوعة بشكل متقارب جدا، وهي بالواقع طريقة سيئة جدا لعرض اللوحات الفنية."

"أوه، أظن أنها رائعة. كم أتمنى لو لدينا في لوكليغ صالة لعرض اللوحات الفنية. إنني أهوى مثل هذا النوع من اللوحات." تابعت الآنسة مولينو حديثها، مواظبة على توجيه كلامها إلى رالف وكأنها تخشى أن تعمد الآنسة ستاكبول إلى توجيه الحديث إليها ثانية. بدت لها هنريتا إنسانة مذهلة ومرعبة في الوقت ذاته.

قال رالف، الذي بدا أنه يعلم أي نوع من أساليب الكلام مقبول لديها: "نعم، اللوحات الفنية ملائمة فعلا."

تابعت السيدة الشابة كلامها قائلة: "تبدو اللوحات الفنية جميلة جدا في الطقس الماطر، هطلت كمية كبيرة من الأمطار في المدة الأخيرة."

قالت هنريتا: "يؤسفني أنك ذاهب يا لورد وربرتن، كنت أرغب بالحصول منك على الكثير من المعلومات."

أجاب اللورد وربرتن: "لست ذاهبا إلى أي مكان."

"تقول شقيقتك أنه من الضروري أن تذهب. السادة في أميركا يمتثلون لرغبات السيدات."

قالت الآنسة مولينو، وهي تنظر إلى شقيقها: "أخشى أننا نتوقع وصول بعض الضيوف لتناول الشاي."

"حسنا، يا عزيزتي، سنذهب."

"Oh, Warburton does everything one wants," Miss Molyneux answered with a quick, shy laugh.

"How very many pictures you have!" she went on, turning to Ralph.

"They look a good many, because they're all put together," said Ralph. "But it's really a bad way."

"Oh, I think it's so nice. I wish we had a gallery at Lockleigh. I'm so very fond of pictures," Miss Molyneux went on, persistently, to Ralph, as if she were afraid Miss Stackpole would address her again. Henrietta appeared at once to fascinate and to frighten her.

"Ah yes, pictures are very convenient," said Ralph, who appeared to know better what style of reflexion was acceptable to her.

"They're so very pleasant when it rains," the young lady continued. "It has rained of late so very often."

"I'm sorry you're going away, Lord Warburton," said Henrietta. "I wanted to get a great deal more out of you."

"I'm not going away," Lord Warburton answered.

"Your sister says you must. In America the gentlemen obey the ladies."

"I'm afraid we have some people to tea," said Miss Molyneux, looking at her brother.

"Very good, my dear. We'll go."

صاحت هنريتا: "تمنّيت لو أبديت بعض الاعتراض! كنت أرغب في رؤية ما ستفعله الآنسة مولينو."

قالت تلك السيدة الشابة: "لا أفعل شيئا أبدا."

أجابت الآنسة ستاكبول: "أظن يكفي لمن في مركزك أن يحيا فقط! أتوق لرؤيتك في منزلك."

"يجب أن تأتي ثانية إلى لوكليغ،" قالت الآنسة مولينو ذلك بلطف شديد، موجّهة كلامها إلى إيزابيل، ومتغافلة عن التعليق الذي أطلقته صديقة إيزابيل.

نظرت إيزابيل للحظة إلى عينيها الهادئتين، وبدا لها في تلك اللحظة وكأنها تشاهد في أعماق تلك العينين الرماديتين إنعكاسا لكل ما رفضته برفضها اللورد وربرتن. السلام، والحنان، والشرف، والأملاك والأمان الكامل والاستثناء الرهيب. قبّلت الآنسة مولينو ومن ثم قالت، "آسفة ولكنني لن أتمكن أبدا من المجيء ثانية."

"إطلاقا؟"

"إنني راحلة."

قالت الآنسة مولينو: "أوه، إنني آسفة جدا. أظن هذا تصرّف خاطئ جدا."

راقب اللورد وربرتن هذا الحديث القصير؛ ومن ثم استدار وأخذ يحدّق في إحدى اللوحات. كان رالف المتكئ على الدرابزين المواجه للصورة ويداه مقحمتان داخل جيبيه، يراقبه لبعض الوقت.

قالت هنريتا، بعدما اكتشف اللورد وربرتن وجودها إلى جانبه: "أرغب برؤيتك في منزلك، أريد أن أحظى بساعة من وقتك للتحدّث معك؛ لديّ العديد من الأسئلة أرغب في طرحها عليك."

"I hoped you would resist!" Henrietta exclaimed. "I wanted to see what Miss Molyneux would do."

"I never do anything," said this young lady.

"I suppose in your position it's sufficient for you to exist!" Miss Stackpole returned. "I should like very much to see you at home."

"You must come to Lockleigh again," said Miss Molyneux, very sweetly, to Isabel, ignoring this remark of Isabel's friend.

Isabel looked into her quiet eyes a moment, and for that moment seemed to see in their grey depths the reflexion of everything she had rejected in rejecting Lord Warburton–the peace, the kindness, the honour, the possessions, a deep security and a great exclusion. She kissed Miss Molyneux and then she said: "I'm afraid I can never come again."

"Never again?"

"I'm afraid I'm going away."

"Oh, I'm so very sorry," said Miss Molyneux. "I think that's so very wrong of you."

Lord Warburton watched this little passage; then he turned away and stared at a picture. Ralph, leaning against the rail before the picture with his hands in his pockets, had for the moment been watching him.

"I should like to see you at home," said Henrietta, whom Lord Warburton found beside him. "I should like an hour's talk with you; there are a great many questions I wish to ask you."

"I shall be delighted to see you," the proprietor of Lockleigh answered; "but I'm certain not to be able to answer many of your questions. When will you come?"

"Whenever Miss Archer will take me. We're thinking of going to London, but we'll go and see you first. I'm determined to get some satisfaction out of you."

"If it depends upon Miss Archer I'm afraid you won't get much. She won't come to Lockleigh; she doesn't like the place."

"She told me it was lovely!" said Henrietta.

Lord Warburton hesitated. "She won't come, all the same. You had better come alone," he added.

Henrietta straightened herself, and her large eyes expanded. "Would you make that remark to an English lady?" she enquired with soft asperity.

Lord Warburton stared. "Yes, if I liked her enough."

"You'd be careful not to like her enough. If Miss Archer won't visit your place again it's because she doesn't want to take me. I know what she thinks of me, and I suppose you think the same–that I oughtn't to bring in individuals." Lord Warburton was at a loss; he had not been made acquainted with Miss Stackpole's professional character and failed to catch her allusion. "Miss Archer has been warning you!" she therefore went on.

"Warning me?"

"Isn't that why she came off alone with you here–to put you on your guard?"

أجاب مالك لوكليغ: "سيسعدني استقبالك في منزلي، ولكنني واثق من عدم قدرتي الإجابة على العديد من أسئلتك. متى ترغبين بالمجيء؟"

"في الوقت الذي تختاره الآنسة أرتشر لمرافقتي إلى هناك. نفكّر بالذهاب إلى لندن، ولكننا سنذهب لرؤيتك قبل ذلك. إنني مصممة على الفوز ببعض المعلومات التي ستثير الإعجاب والرضى بك."

"إذا كان الأمر متوقّفا على الآنسة أرتشر، فلن تحصلي على الكثير. سترفض المجيء إلى لوكليغ؛ إنها تكره ذلك المكان."

قالت هنريتا: "أخبرتني أنه مكان رائع!"

تردّد اللورد وربرتن بعض الشيء. "لن تأتي، في مطلق الأحوال. الأفضل أن تأتي بمفردك."

إستقامت هنريتا في وقفتها، واتسعت عيناها الواسعتان. سألت بخشونة ناعمة: "هل توجه مثل هذا الكلام لسيدة إنجليزية؟"

حدّق اللورد وربرتن: "نعم، إذا كنت معجبا بها بما يكفي."

"ستأخذ حذرك من أن تُعجَب بها كثيرا. فاذا ما رفضت الآنسة أرتشر زيارة منزلك ثانية، فهذا يعني أنها لا ترغب بمرافقتي إلى هناك. أعرف رأيها بي، وأظن أنك لا تختلف معها في هذه الناحية. بأنه من المُستحسن أن أكون برفقة بعض الأفراد." شعر اللورد وربرتن بالحيرة؛ إذ لم يكن على معرفة بمهنة الآنسة ستاكبول، وفشل في فهم ما تُشير إليه.

تابعت قائلة: "كانت الآنسة أرتشر تحذّرك!"

"تُحذّرني؟"

"أليس هذا هو سبب انفرادها بك هنا. لتطلب منك أن تكون مُتيقّظا؟"

قال اللورد وربرتن بتحدٍ: "يا إلهي، لا. لم يتسم حديثنا بمثل تلك الجدّية."

"حسنا، ولكنك تصرّفت بشكل متيقّظ وحذر إلى حد كبير. أظنه تصرّف طبيعي بالنسبة لك؛ هذا ما رغبت بمراقبته. وكذلك الآنسة مولينو، فقد أبت أن تُلزم نفسها. أنتَ على أية حال، حُذّرت مُسبقا."

"ولكن لم يكن ذلك ضروريا بالنسبة لكِ." تابعت هنريتا حديثها، وهي تخاطب السيدة الشابة.

"آمل ذلك." قالت الآنسة مولينو بغموض.

قال رالف شارحا ومحاولا ترطيب الأجواء: "تدوّن الآنسة ستاكبول الملاحظات. إنها كاتبة هجائية من الدرجة الأولى؛ تستخدمنا جميعنا كمادة أولية لمقالاتها."

أعلنت هنريتا، وهي تنقّل نظراتها من إيزابيل إلى اللورد وربرتن، ومنه إلى شقيقته وإلى رالف: "بالواقع، لا بد من الاعتراف أنه لم يسبق لي الحصول على مثل هذه المواد الأولية غير المتلائمة! هناك خطب ما بينكم جميعا؛ إنكم مكتئبون وكأنكم استلمتم برقية تحمل خبرا سيئا."

قال رالف بنبرة خفيضة، وهو يومئ لها بينما يقود المجموعة خارج صالة العرض: "إنكِ فعلا تكشفين سرّنا، يا آنسة ستاكبول، مما لا ريب فيه أن ثمة خطب فينا جميعنا."

خرجت إيزابيل وراء هؤلاء الاثنان؛ كانت الآنسة مولينو المعجبة جدا بها، أخذت بذراعها وسارت إلى جانبها فوق الأرضية الملمّعة. سار اللورد وربرتن في الجهة الأخرى ويداه وراء ظهره، وعيناه منخفضتان. بقي صامتا لبعض الوقت، ومن ثم، سأل: "أصحيح أنك ذاهبة إلى لندن؟"

"Oh dear, no," said Lord Warburton brazenly; "our talk had no such solemn character as that."

"Well, you've been on your guard–intensely. I suppose it's natural to you; that's just what I wanted to observe. And so, too, Miss Molyneux–she wouldn't commit herself. You have been warned, anyway," Henrietta continued, addressing this young lady; "but for you it wasn't necessary."

"I hope not," said Miss Molyneux vaguely.

"Miss Stackpole takes notes," Ralph soothingly explained. "She's a great satirist; she sees through us all and she works us up."

"Well, I must say I never have had such a collection of bad material!" Henrietta declared, looking from Isabel to Lord Warburton and from this nobleman to his sister and to Ralph. "There's something the matter with you all; you're as dismal as if you had got a bad cable."

"You do see through us, Miss Stackpole," said Ralph in a low tone, giving her a little intelligent nod as he led the party out of the gallery. "There's something the matter with us all."

Isabel came behind these two; Miss Molyneux, who decidedly liked her immensely, had taken her arm, to walk beside her over the polished floor. Lord Warburton strolled on the other side with his hands behind him and his eyes lowered. For some moments he said nothing; and then, "Is it true you're going to London?" he asked.

"أظن أن الترتيبات أنجزت بشأن هذه المسألة."

"ومتى ستعودين؟"

"خلال بضعة أيام؛ ولكن لفترة قصيرة جدا. سأرافق خالتي في رحلة إلى باريس."

"إذن، متى سأراك ثانية؟"

قالت إيزابيل: "ليس قبل فترة ليست بالقصيرة. آمل ذلك في يوم من الأيام."

"أحقا تأملين ذلك؟"

"من كل قلبي."

سار صامتا بضع خطوات، ومن ثم توقّف ومدّ لها يده. "مع السلامة."

قالت إيزابيل: "مع السلامة."

قبّلتها الآنسة مولينو ثانية، ودعت الاثنان يذهبان. إنسحبت بعد ذلك إلى غرفتها، بدون الانضمام ثانية إلى هنريتا ورالف؛ وهناك التقت بها السيدة توشيت، التي كانت بطريقها لتناول وجبة العشاء. قالت تلك السيدة: "لا أجد مانعا في إعلامك، بأن زوج خالتك أعلمني بعلاقاتك مع اللورد وربرتن."

فكّرت إيزابيل للحظة. "علاقاتي؟ بالكاد يمكن تسمية الأمر كذلك، إذ الغرابة في الموضوع أنه لم يلتقِ بي سوى في ثلاث أو أربع مناسبات."

سألت السيدة توشيت ببرودة: "لماذا أخبرتِ زوج خالتك بدون أن تخبريني؟"

تردّدت الفتاة مرة أخرى في الإجابة. "لأن معرفته باللورد وربرتن أعمق من معرفتك به."

"I believe it has been arranged."

"And when shall you come back?"

"In a few days; but probably for a very short time. I'm going to Paris with my aunt."

"When, then, shall I see you again?"

"Not for a good while," said Isabel. "But some day or other, I hope."

"Do you really hope it?"

"Very much."

He went a few steps in silence; then he stopped and put out his hand. "Good-bye."

"Good-bye," said Isabel.

Miss Molyneux kissed her again, and she let the two depart. After it, without rejoining Henrietta and Ralph, she retreated to her own room; in which apartment, before dinner, she was found by Mrs. Touchett, who had stopped on her way to the saloon. "I may as well tell you," said that lady, "that your uncle has informed me of your relations with Lord Warburton."

Isabel considered. "Relations? They're hardly relations. That's the strange part of it: he has seen me but three or four times."

"Why did you tell your uncle rather than me?" Mrs. Touchett dispassionately asked.

Again the girl hesitated. "Because he knows Lord Warburton better."

'نعم، ولكن معرفتي بكِ أعمق.'

قالت إيزابيل وهي تبتسم: 'لست متأكدة من ذلك.'

'كذلك أنا، خاصة حين ترمقينني بتلك النظرة المتكبّرة. يظن المرء أنك مغتبطة جدا من نفسك وكأنك فزتِ بجائزة كبيرة! أتصوّر أنه حين ترفضين عرضا مثل عرض اللورد وربرتن، يكون مرد ذلك إلى أنك تتوقعين القيام بشيء أفضل.'

صاحت إيزابيل، وهي ما تزال تبتسم: 'أوه، زوج خالتي لم يقل ذلك!'

"Yes, but I know you better."

"I'm not sure of that," said Isabel, smiling.

"Neither am I, after all; especially when you give me that rather conceited look. One would think you were awfully pleased with yourself and had carried off a prize! I suppose that when you refuse an offer like Lord Warburton's it's because you expect to do something better."

"Ah, my uncle didn't say that!" cried Isabel, smiling still.

Chapter Fifteen

It had been arranged that the two young ladies should proceed to London under Ralph's escort, though Mrs. Touchett looked with little favour on the plan. It was just the sort of plan, she said, that Miss Stackpole would be sure to suggest, and she enquired if the correspondent of the Interviewer was to take the party to stay at a boarding-house.

"I don't care where she takes us to stay, so long as there's local colour," said Isabel. "That's what we're going to London for."

"I suppose that after a girl has refused an English lord she may do anything," her aunt rejoined. "After that one needn't stand on trifles."

"Should you have liked me to marry Lord Warburton?" Isabel enquired.

"Of course I should."

"I thought you disliked the English so much."

"So I do; but it's all the greater reason for making use of them."

"Is that your idea of marriage?" And Isabel ventured to add that her aunt appeared to her to have made very little use of Mr. Touchett.

"Your uncle's not an English nobleman," said Mrs. Touchett, "though even if he had been I should still probably have taken up my residence in Florence."

"Do you think Lord Warburton could make me any better than I am?" the girl asked with some animation. "I

الفصل الخامس عشر

قضى الترتيب الذي اتُّخِذ بضرورة ذهاب السيدتان الشابتان إلى لندن برفقة رالف، علما أن السيدة توشيت استهجنت هذه الخطة. كانت تماما من نوع الخطط، كما قالت هي، التي من المؤكّد من إقتراح الآنسة ستاكبول، وسألت ما إذا مراسلة الانتيرفيور ستأخذ المجموعة وتطلب منها النزول في نزلها المفضّل.

قالت إيزابيل: "لا يهمّني إلى أي نزل ستأخذنا، طالما المكان يعجّ بالصبغة المحلية. هذا هو السبب الرئيسي لذهابنا إلى لندن."

أجابت خالتها: "أتصوّر أنه بعدما ترفض الفتاة الزواج من لورد إنجليزي، يمكنها القيام بأي شيء، إذ تُصبح سائر الأمور الأخرى مجرّد تفاصيل تافهة."

سألت إيزابيل: "أكنتِ ترغبين بزواجي من اللورد وربرتن؟".

"طبعا."

"ظننت أنك تمقتين الشعب الإنجليزي إلى حد كبير."

"هذا صحيح؛ ولكن هذا الواقع أكثر من مبرّر للاستفادة منهم."

"هل هذه فكرتك عن الزواج؟" تجرّأت إيزابيل كذلك وأضافت بأنّه لا يبدو بأن خالتها استفادت كثيرا من زواجها بالسيد توشيت.

قالت السيدة توشيت: "زوج خالتك ليس بنبيل إنجليزي، وأغلب الظن حتى لو كان كذلك، ما كان ذلك سيُبدّل من قراري العيش في فلورنسا."

قالت الفتاة بشيء من الحدّية: "هل تظنين بمقدور اللورد وربرتن جعلي إنسانة أفضل مما أنا عليه؟ لا أقصد القول أنني مثالية لدرجة لا

don't mean I'm too good to improve. I mean–I mean that I don't love Lord Warburton enough to marry him."

"You did right to refuse him then," said Mrs. Touchett in her smallest, sparest voice. "Only, the next great offer you get, I hope you'll manage to come up to your standard."

"We had better wait till the offer comes before we talk about it. I hope very much I may have no more offers for the present. They upset me completely."

"You probably won't be troubled with them if you adopt permanently the Bohemian manner of life. However, I've promised Ralph not to criticize."

"I'll do whatever Ralph says is right," Isabel returned. "I've unbounded confidence in Ralph."

"His mother's much obliged to you!" this lady dryly laughed.

"It seems to me indeed she ought to feel it!" Isabel irrepressibly answered.

Ralph had assured her that there would be no violation of decency in their paying a visit–the little party of three–to the sights of the metropolis; but Mrs. Touchett took a different view. Like many ladies of her country who had lived a long time in Europe, she had completely lost her native tact on such points, and in her reaction, not in itself deplorable, against the liberty allowed to young persons beyond the seas, had fallen into gratuitous and exaggerated scruples.

أحتاج للتقدّم والتحسّن، أقصد . . . أقصد بأنّني لست مُغرمة باللورد وربرتن بما يكفي للزواج منه . "

"إذن، فعلت الصواب برفضك إياه، وكل ما أتمناه أن عرض الزواج الرائع التالي الذي ستحصلين عليه، سيكون على قدر مستواكِ الرفيع . " قالت السيدة توشيت، بنبرة تكاد لا تُسمع .

"يُستحسن بنا الإنتظار حتى يأتي مثل ذلك العرض قبل التحدّث بشأنه . كما أتمنى من كل قلبي ألا أحصل على أي عرض للزواج في الوقت الحاضر . إذ أن تلك العروض تُزعجني جدا . "

"أغلب الظن أنك لن تتجشمي عناء تحمّل مثل تلك العروض إذا ما تبنّيت بشكل دائم نمط الحياة البوهيمي . على أية حال، لقد وعدت رالف بعدم الانتقاد . "

أجابت إيزابيل: "سأفعل كل ما يعتبره رالف تصرّفا صحيحا، فثقتي برالف لا حدود لها . "

ضحكت هذه السيدة ضحكة جافة وقالت: "والدته شاكرة لك أشد الشكر!"

أجابت إيزابيل بدون تفكير: "يبدو لي أنها مُلزمة فعلا بهكذا شعور تجاهي"

أكّد لها رالف عدم وجود أي انتهاك للآداب والسلوك السليم خلال زيارة المجموعة الثلاثية لمعالم العاصمة؛ ولكن اتخذت السيدة توشيت موقفا مخالفا . فكما العديد من السيدات الأمريكيات اللواتي عشن ردحا من الزمن في أوروبا، كانت قد فقدت الكثير من لباقتها الأصلية فيما يتعلق بهذه الأمور، وكانت ردة فعلها التي بحد ذاتها لا يمكن اعتبارها باعثة على الأسى، ضد الحرية الممنوحة للجيل الصاعد في أوروبا، قد وقعت ضحية شكوك غير مُبرّرة ومُضخّمة .

رافق رالف زائرتيه إلى المدينة وأنجز ترتيبات نزولهما في فندق هادئ مواجه لميدان البيكاديلي. كانت فكرته الأولى أن يصطحبهما إلى منزل والده في ميدان وينشيستر، وهو عبارة عن قصر كبير مُعتم، والذي كان في الوقت الحاضر مُغطّى بالصمت والنسيج القطني البني اللون؛ ولكنه فكّر بينه وبين نفسه، نظرا لوجود الطاهي في غاردينكورت، فلن يكون أحد في المنزل لإعداد الطعام، وهكذا تقرّر أن يكون فندق براتس مكان إقامتهما. وعثر رالف على مسكن له في ميدان وينشيستر، إذ كان لديه هناك "مُختلى" مُفضّل لديه وتنتابه فيه مخاوف أعمق من تلك التي تنتابه في مطبخ بارد. إستفاد بشكل كبير من موارد فندق براتس، حيث كان يبدأ نهاره بزيارة صباحية لزائرتيه، ليشاهد السيد براتس بنفسه بصدرته البيضاء الكبيرة المنتفخة، وهو يزيل أدوات المائدة. كما قلنا، كان رالف يمر عليهما صباح كل يوم ويخطّطوا مشروع اليوم. ونظرا لخمود الحركة الاجتماعية في لندن خلال شهر أيلول من كل سنة، إضطّر الرجل الشاب إلى تذكير رفيقته، وتعليق الآنسة ستاكبول الساخر، بخلو المدينة من سكانها.

أجابت هنريتا: "أظنك تقصد بكلامك، غياب الطبقة الأرسقراطية من المدينة، ولكن لا أظن أنه يمكنك الحصول على دليل أكبر بأن اختفاءهم الشامل من المدينة بالكاد يكون له أي تأثير على الإطلاق. تبدو لي المدينة تعجّ بالناس من كل حدب وصوب. لا وجود لأحد هنا، طبعا، باستثناء ثلاثة أو أربعة ملايين شخص. ماذا تُسمّي هؤلاء الناس. الطبقة الاجتماعية ما دون المتوسطة؟ إنهم سكان لندن الوحيدين، ولا تعتبر ذلك أمرا ذو أهمية."

Ralph accompanied their visitors to town and established them at a quiet inn in a street that ran at right angles to Piccadilly. His first idea had been to take them to his father's house in Winchester Square, a large, dull mansion which at this period of the year was shrouded in silence and brown holland; but he bethought himself that, the cook being at Gardencourt, there was no one in the house to get them their meals, and Pratt's Hotel accordingly became their resting-place. Ralph, on his side, found quarters in Winchester Square, having a "den" there of which he was very fond and being familiar with deeper fears than that of a cold kitchen. He availed himself largely indeed of the resources of Pratt's Hotel, beginning his day with an early visit to his fellow travellers, who had Mr. Pratt in person, in a large bulging white waistcoat, to remove their dishcovers. Ralph turned up, as he said, after breakfast, and the little party made out a scheme of entertainment for the day. As London wears in the month of September a face blank but for its smears of prior service, the young man, who occasionally took an apologetic tone, was obliged to remind his companion, to Miss Stackpole's high derision, that there wasn't a creature in town.

"I suppose you mean the aristocracy are absent," Henrietta answered; "but I don't think you could have a better proof that if they were absent altogether they wouldn't be missed. It seems to me the place is about as full as it can be. There's no one here, of course, but three or four millions of people. What is it you call them–the lower-middle class? They're only the population of London, and that's of no consequence."

أعلن رالف أن الطبقة الأرستقراطية لم تخلّف أي نوع من الفراغ لا يمكن للآنسة ستاكبول ملأه بكل ارتياح، وأنه في الوقت الحاضر يعتبر نفسه أسعد رجل في العالم. كان صادقا في قوله هذا، فأيام أيلول الموهنة، في المدينة الضخمة شبه الفارغة، كانت تتميّز بسحر خاص أشبه بسحر جوهرة ملوّنة ملفوفة بقماش مُغبر. كان حين يعود إلى منزله الفارغ في ميدان وينشستر، عقب سلسلة من الساعات أمضاها برفقة صديقتيه المتحمّستين، يعمد للتجوّل في أرجاء غرفة الطعام المُعتمة الفسيحة، حيث كان القنديل الذي تناوله من عن طاولة المدخل عند دخوله المنزل، يُشكل الإضاءة الوحيدة. كان الميدان ساكنا، وكذلك المنزل؛ وحين رفع زجاج أحد نوافذ غرفة الطعام لتهوية المكان، سمع وقع خطى شرطي وحيد يسير في الشارع. بدا له وقع خطواته داخل المنزل الفارغ، عاليا ورنّانا؛ فقد جرى نزع بعض قطع السجاد، وكان أينما تحرّك في أرجاء المنزل، يصدر عن خطواته وتحركاته صدى كئيب. جلس في أحد المقاعد الوثيرة، تلألأت مائدة الطعام هنا وهنالك وسط ضوء القنديل الخافت؛ بدت الصور المعلّقة على الجدران، وجميعها بُنّية اللون، غامضة وغير مفهومة. كان هناك نوع من الحضور الشبحي وكأن متناولو الطعام قد انتهوا منذ فترة طويلة من تبادل الأحاديث الخفيفة التي فقدت واقعيتها. ربما كان مَردّ هذا الإحساس الخفي بقوة خارقة إلى واقع خياله الذي انطلق من عُقاله، وأنه بقي جالسا في مقعده وقتا طويلا تجاوز بساعات موعد خلوده للنوم؛ بدون أن يأتي بأية حركة، ولا حتى قراءة صحيفة المساء. أقول بقي ساكنا بدون أن يأتي بأي حركة، وأكرر قولي هذا في وجه واقع أنه فكّر مليا في إيزابيل خلال هذا الوقت. كان التفكير بإيزابيل بالنسبة له بمثابة مهنة عديمة الجدوى، تؤدي إلى لا شيء ولا تفيد أحدا. بدت له إبنة خالته في أبهى

Ralph declared that for him the aristocracy left no void that Miss Stackpole herself didn't fill, and that a more contented man was nowhere at that moment to be found. In this he spoke the truth, for the stale September days, in the huge half-empty town, had a charm wrapped in them as a coloured gem might be wrapped in a dusty cloth. When he went home at night to the empty house in Winchester Square, after a chain of hours with his comparatively ardent friends, he wandered into the big dusky dining-room, where the candle he took from the hall-table, after letting himself in, constituted the only illumination. The square was still, the house was still; when he raised one of the windows of the dining-room to let in the air he heard the slow creak of the boots of a lone constable. His own step, in the empty place, seemed loud and sonorous; some of the carpets had been raised, and whenever he moved he roused a melancholy echo. He sat down in one of the armchairs; the big dark dining table twinkled here and there in the small candle-light; the pictures on the wall, all of them very brown, looked vague and incoherent. There was a ghostly presence as of dinners long since digested, of table-talk that had lost its actuality. This hint of the supernatural perhaps had something to do with the fact that his imagination took a flight and that he remained in his chair a long time beyond the hour at which he should have been in bed; doing nothing, not even reading the evening paper. I say he did nothing, and I maintain the phrase in the face of the fact that he thought at these moments of Isabel. To think of Isabel could only be for him an idle pursuit, leading to nothing and profiting little to any one. His cousin had not yet seemed to him so charming as

سحرها خلال هذه الأيام التي أمضتها كسائحة فضولية. كانت إيزابيل كتلة من المقدمات، والنهايات والعواطف؛ إذا ما أتت إلى هنا بحثا عن نمط الحياة المحلي، فقد عثرت عليه في كل مكان. طرحت العديد من الأسئلة التي تجاوزت طاقته للإجابة عليها، وأطلقت نظريات جريئة تتعلّق بالعلّة التاريخية والتأثير الاجتماعي، استصعب عليه قبولها أو دحضها على حد سواء. تعددت زيارات المجموعة إلى المتحف البريطاني وإلى ذلك القصر الفني الأكثر إشراقا، الذي يجمع في مساحة شاسعة نفائس العالم القديمة؛ أمضوا صباح أحد الأيام داخل أحد الكنائس ومن ثم ذهبوا في نزهة نهرية انتهت بهم إلى البرج؛ تفحّصوا لوحات فنية تعود لمجموعات خاصة وعامة وجلسوا في مناسبات متنوعة تحت الأشجار الوارفة في حدائق كينسينغتون. أثبتت هنريتا أنها مُتفرّجة وناقدة متساهلة أكثر بكثير مما توقعها أن تكون. مما لا شك فيه أنها شعرت بعدد لا يُستهان به من خيبات الأمل، ولندن بشكل عام، قاست من ذاكرتها الناشطة المُشبّعة بفكرة المَدينية الأميركية؛ إلا أنها بذلت غاية جهدها للاستمتاع بنُبلها الداكن، ولم تُطلق سوى القليل من التنهّدات وتعليقات عابرة من كلمة "حسنا!" التي لم تؤدي إلى جدل إضافي وفقدت تأثيرها في خضم الأحاديث واستعادة الأحداث الماضية. بالواقع، وكما صرّحت هي بنفسها، كانت خارج بيئتها. علّقت قائلة إلى إيزابيل لدى وجودهما في المعرض الوطني: "لا أتعاطف مع الأشياء الخالية من الحياة." وواصلت التذمّر من ضآلة مشاهداتها للحياة الداخلية. كانت المشاهد الطبيعية بريشة تيرنر، وثيران آسريان بديل متواضع عن مأدبات العشاء الأدبية التي أمِلت أن تكون مُلتقى نوابغ ومشاهير بريطانيا العظمى.

"أين المشاهير من رجالكم؟ أين أدبائكم وأديباتكم؟" سألت رالف

during these days spent in sounding, tourist-fashion, the deeps and shallows of the metropolitan element. Isabel was full of premises, conclusions, emotions; if she had come in search of local colour she found it everywhere. She asked more questions than he could answer, and launched brave theories, as to historic cause and social effect, that he was equally unable to accept or to refute. The party went more than once to the British Museum and to that brighter palace of art which reclaims for antique variety so large an area of a monotonous suburb; they spent a morning in the Abbey and went on a penny-steamer to the Tower; they looked at pictures both in public and private collections and sat on various occasions beneath the great trees in Kensington Gardens. Henrietta proved an indestructible sight-seer and a more lenient judge than Ralph had ventured to hope. She had indeed many disappointments, and London at large suffered from her vivid remembrance of the strong points of the American civic idea; but she made the best of its dingy dignities and only heaved an occasional sigh and uttered a desultory "Well!" which led no further and lost itself in retrospect. The truth was that, as she said herself, she was not in her element. "I've not a sympathy with inanimate objects," she remarked to Isabel at the National Gallery; and she continued to suffer from the meagreness of the glimpse that had as yet been vouchsafed to her of the inner life. Landscapes by Turner and Assyrian bulls were a poor substitute for the literary dinner-parties at which she had hoped to meet the genius and renown of Great Britain.

"Where are your public men, where are your men and

women of intellect?" she enquired of Ralph, standing in the middle of Trafalgar Square as if she had supposed this to be a place where she would naturally meet a few. "That's one of them on the top of the column, you say–Lord Nelson? Was he a lord too? Wasn't he high enough, that they had to stick him a hundred feet in the air? That's the past–I don't care about the past; I want to see some of the leading minds of the present. I won't say of the future, because I don't believe much in your future." Poor Ralph had few leading minds among his acquaintance and rarely enjoyed the pleasure of button-holing a celebrity; a state of things which appeared to Miss Stackpole to indicate a deplorable want of enterprise. "If I were on the other side I should call," she said, "and tell the gentleman, whoever he might be, that I had heard a great deal about him and had come to see for myself. But I gather from what you say that this is not the custom here. You seem to have plenty of meaningless customs, but none of those that would help along. We are in advance, certainly. I suppose I shall have to give up the social side altogether"; and Henrietta, though she went about with her guidebook and pencil and wrote a letter to the Interviewer about the Tower in which she described the execution of Lady Jane Grey, had a sad sense of falling below her mission.

The incident that had preceded Isabel's departure from Gardencourt left a painful trace in our young woman's mind: when she felt again in her face, as from a recurrent wave, the cold breath of her last suitor's surprise, she could only muffle

السؤال وهي تقف في وسط ميدان ترافلغار، وكانها تسلّم جدلا أن هذا هو المكان المُفترض أن تلتقي ببعض من تلك الشخصيات. "تقول أن ذاك في أعلى العامود أحد رجالكم البارزين، المدعو لورد نيلسون؟ هل كان لوردا هو الاخر؟ ألم يكن يتبوأ مركزا عاليا بما يكفي، ما دفعكم لوضعه على ارتفاع مائة قدم في الهواء؟ هذا الماضي - لا يهمني الماضي؛ أرغب برؤية بعض الشخصيات البارزة من الحاضر. لن أقول من المستقبل، لأنني لا أؤمن كثيرا بأن لكم مستقبل واعد." تابعت هنريتا قائلة. كان لدى المسكين رالف بعض المعارف من الشخصيات البارزة، إلا أنه نادرا ما كان يرحّب بالاندفاع نحوهم وإكراههم على الاستماع لأقواله؛ وهو تصرّف اعتبرته الآنسة ستاكبول دليلا على افتقار للجرأة يُرثى له. "لو كنت في الجهة الأخرى لكنت ناديت السيد النبيل بأعلى صوتي، كائنا مَن كان، بأنني سمعت الكثير عنه وجئت لأتحرّى الأمر بنفسي. ولكن أفهم من أقوالك أن مثل هذا التصرّف مخالف للتقاليد هنا. يبدو لي أن لديكم عددا كبيرا من التقاليد التي لا فائدة منها، والنذر القليل من التقاليد التي تساهم في تطوّر البلدان. مما لا شك فيه، أننا متفوّقون عليكم. أظن سأضطّر للتخلي كلّيا عن محاولة استقصاء الناحية الاجتماعية." وهكذا بالرغم من عدم تخلّي هنريتا عن قلمها وتدوين ملاحظاتها، وإرسالها تقرير إلى الانتيرفيور يتناول تاريخ البرج (ووصف لتنفيذ حكم الإعدام بحق اللايدي جاين غراي)، إلا أنه كان لديها إحساس بفشلها الالتزام بمقتضيات مهمتها.

تركت الحادثة التي سبقت مغادرة إيزابيل لغاردينكورت آثارا مؤلمة في ذهن سيدتنا الشابة: كانت كلما عاودها الإحساس بالنَفَس البارد لطالب يدها المُنذهل يغمر وجهها، أشبه بموجة متواترة، تعمد للفع رأسها إلى أن يصفو ذهنها. لم يكن باستطاعتها فعل أي شيء أقل مما فعلته: كانت

متأكدة من ذلك. ولكن مع ذلك، إضطرارها لاتخاذ تلك الخطوة، كان سمجا مثل فعل عملي ناتج عن موقف مُتكلّف، ولم يكن لديها أية رغبة للشعور بالارتياح من طريقة تصرّفها ذاك. ولكن إحساسا رائعا بالحرية ممزوجا بإحساس الكبرياء المجروح ذاك، لم يبارحها لحظة خلال تجوالها مع زميليها غير المتلائمين في شوارع المدينة العظيمة. كانت خلال نزهاتها في حدائق كينسينغتون، تستوقف الأطفال الذين كانوا يلعبون على العشب (غالبا الفقراء منهم) وتسألهم عن أسمائهم وتناولهم قطعا نقدية صغيرة، وتقبّل الظرفاء منهم. لاحظ رالف هذه الصَدَقات الطريفة؛ كان يلاحظ كل حركة تقوم بها. دعا مرافقتيه عصر أحد الأيام إلى منزله في ميدان وينشيستر لتناول الشاي، وهيّأ المنزل قَدر المستطاع لاستقبالهما.

كان هناك ضيف آخر للتعرّف إليهما، عازب لطيف وصديق قديم لرالف، صودف وجوده في المدينة وبدا من تبادل الأفكار والأحاديث مع الآنسة ستاكبول، أن ذلك الأمر لا يُشكّل بالنسبة له صعوبة أو رعبا. كان السيد بانتلنغ في العقد الأربعين من عمره، رجلا بدينا، دمثا، ذو وجه بشوش، أنيق الملبس واسع المعرفة والاطّلاع، لم يتوقّف لحظة عن الضحك لكل كلمة نطقت بها هنريتا، مُقدّما لها العديد من فناجين الشاي، متفحّصا برفقتها مجموعة واسعة من التحف الفنية التي يملكها رالف في ذلك المنزل. وحين، بعد فترة قصيرة، اقترح مضيفهم الخروج إلى الميدان والتظاهر بأن احتفالا قرويا يقام هناك، سار معها مرات عديدة حول الفسحة المسيّجة الضيّقة، مومئا برأسه بالإيجاب عشرات المرات لكافة تعليقاتها عن الحياة الداخلية.

her head till the air cleared. She could not have done less than what she did; this was certainly true. But her necessity, all the same, had been as graceless as some physical act in a strained attitude, and she felt no desire to take credit for her conduct. Mixed with this imperfect pride, nevertheless, was a feeling of freedom which in itself was sweet and which, as she wandered through the great city with her ill-matched companions, occasionally throbbed into odd demonstrations. When she walked in Kensington Gardens she stopped the children mainly of the poorer sort whom she saw playing on the grass; she asked them their names and gave them sixpence and, when they were pretty, kissed them. Ralph noticed these quaint charities; he noticed everything she did. One afternoon, that his companions might pass the time, he invited them to tea in Winchester Square, and he had the house set in order as much as possible for their visit.

There was another guest to meet them, an amiable bachelor, an old friend of Ralph's who happened to be in town and for whom prompt commerce with Miss Stackpole appeared to have neither difficulty nor dread. Mr. Bantling, a stout, sleek, smiling man of forty, wonderfully dressed, universally informed and incoherently amused, laughed immoderately at everything Henrietta said, gave her several cups of tea, examined in her society the bric-a-brac, of which Ralph had a considerable collection, and afterwards, when the host proposed they should go out into the square and pretend it was a fete-champetre, walked round the limited enclosure several times with her and, at a dozen turns of their talk, bounded responsive–as with a positive passion for argument-to her remarks upon the inner life.

"أوه، فهمت؛ يمكن القول أنك وجدت غاردينكورت مكاناً هادئاً جدا. طبعا المكان هناك شديد السكون بوجود ذلك العدد الكبير من المرضى. فكما تعلمين توشيت شاب مريض جدا، منعه الأطباء من العيش في إنجلترا، ولم يعد إلى هناك سوى للعناية بوالده. أما الرجل العجوز، فيعاني كما أظن من عِلل عديدة، يدعونها داء المفاصل، ولكن حسب معلوماتي المؤكدة، فإنه يعاني من مرض عُضوي أصبح في مراحله الأولى لدرجة يمكنك التيقّن بأنه راحل في غضون أيام قليلة. طبعا تُحوّل مثل هذه الأمور مطلق منزل إلى مكان كئيب مملّ؛ أتساءل عن المغزى من دعوتهم الضيوف في الوقت الذي لا يمكنهم توفير أصول الضيافة الصحيحة لهم. بالإضافة إلى ذلك أظن أن السيد توشيت على خلاف دائم مع زوجته، التي كما تعلمين، تعيش بعيدا عنه على طريقتك الأميركية الغريبة تلك. إذا ما رغبت بمنزل يضجّ بالنشاط والحيوية، أقترح عليك الذهاب إلى شقيقتي اللايدي بنسيل، في بيدفوردشاير. سأكتب إليها هذا المساء، وأنا واثق بأنها سترّحب بقدومك. أعرف تماما ما تبحثين عنه، تريدين منزلا سكانه لا يفوّتون فرصة المشاركة في التمثيل المسرحي والقيام بالنزهات وما إلى ذلك من المناسبات الاجتماعية. شقيقتي هي من ذلك النوع من النساء اللاتي لا يهدأن، ولديها دائما مناسبة لحضورها وهي ترحّب دائما بالتعرّف على أشخاص يمكنهم مساعدتها في واجباتها الاجتماعية التي لا تنتهي. إنني واثق أنها ستوجّه لكِ دعوة بالبريد لزيارتها؛ فهي شديدة الإعجاب بالكتّاب والأشخاص المميّزين. إنها كاتبة هي الأخرى؛ ولكنني لم أقرأ جميع مؤلفاتها؛ فمعظمها قصائد شعرية وليس لدي ميْل للقصائد. باستثناءقصائد بايرون. أظن أن بايرون يتمتّع بمنزلة مرموقة في قلوب الأميركيين." تابع السيد بانتلينغ مستفيضا في حديثه مدفوعا باهتمام الآنسة

"Oh, I see; I dare say you found it very quiet at Gardencourt. Naturally there's not much going on there when there's such a lot of illness about. Touchett's very bad, you know; the doctors have forbidden his being in England at all, and he has only come back to take care of his father. The old man, I believe, has half a dozen things the matter with him. They call it gout, but to my certain knowledge he has organic disease so developed that you may depend upon it he'll go, some day soon, quite quickly. Of course that sort of thing makes a dreadfully dull house; I wonder they have people when they can do so little for them. Then I believe Mr. Touchett's always squabbling with his wife; she lives away from her husband, you know, in that extraordinary American way of yours. If you want a house where there's always something going on, I recommend you to go down and stay with my sister, Lady Pensil, in Bedfordshire. I'll write to her tomorrow and I'm sure she'll be delighted to ask you. I know just what you want–you want a house where they go in for theatricals and picnics and that sort of thing. My sister's just that sort of woman; she's always getting up something or other and she's always glad to have the sort of people who help her. I'm sure she'll ask you down by return of post: she's tremendously fond of distinguished people and writers. She writes herself, you know; but I haven't read everything she has written. It's usually poetry, and I don't go in much for poetry–unless it's Byron. I suppose you think a great deal of Byron in America," Mr. Bantling continued, expanding in the

ستاكبول المُحث له، مبدّلا مواضيع أحاديثه بسلاسة وسهولة يدون أن ينس التركيز على الفكرة المثيرة جدا لهنريتا، وهي ذهابها لقضاء بعض الوقت مع اللايدي بنسيل في بيدفوردشاير. "أفهم ما تريدينه؛ تريدين التعرّف على مجموعة من الإنجليز الأصيلين. أسرة تشيو ليست إنجليزية الأصل على الإطلاق، فكما تعلمين، لديهم تقاليدهم ولغتهم الخاصة بهم، وطعامهم المميّز. حتى أنهم يدينون بديانة غريبة. قيل لي أن الرجل المسنّ يؤمن بأن الصيد عمل شرير. عليكِ الذهاب إلى منزل شقيقتي خلال فترة عرض المسرحيات، إنني واثق أنها ستكون سعيدة بإسناد دور تمثيلي لك. إنني متأكد من قدرتك على التمثيل؛ أعرف أنك إنسانة على قدر كبير من الذكاء والبراعة. تبلغ شقيقتي الأربعين من عمرها ولها سبع أولاد، ومع ذلك ستؤدي الدور الرئيسي. بالرغم من افتقارها لمعايير الجمال، فهي ناجحة جدا في الميدان المسرحي. يمكنني الجزم بذلك. طبعا لستِ مضطرة للمشاركة في التمثيل المسرحي إذا كنتِ لا ترغبين بذلك."

هكذا قدّم السيد بانتلنغ نفسه وهم يتنزهون فوق عشب ميدان وينشيستر، الذي بالرغم من وجود طبقة كثيفة من سُخام لندن في جنباته، ما زال يجذب إليه العديد من المتنزهين. وجدت هنريتا في العازب الطلق اللسان واقتراحاته الرائعة، رجلا لطيفا جدا وأسرعت لاغتنام الفرصة الذهبية التي يعرضها عليها. "لا أعلم ما إذا سأرغب في المشاركة بالتمثيل أم لا، ولكن قطعا سأذهب إذا ما دعتني شقيقتك إلى هناك. سأعتبر ذلك واجبا عليّ. ما اسمها؟"

"إسمها بنسل، إسمٌ غريب ولكنه ليس قبيحا."

"جميع الأسماء سيّان عندي، ولكن ما هي مرتبتها الاجتماعية؟"

stimulating air of Miss Stackpole's attention, bringing up his sequences promptly and changing his topic with an easy turn of hand. Yet he none the less gracefully kept in sight of the idea, dazzling to Henrietta, of her going to stay with Lady Pensil in Bedfordshire. "I understand what you want; you want to see some genuine English sport. The Touchetts aren't English at all, you know; they have their own habits, their own language, their own food–some odd religion even, I believe, of their own. The old man thinks it's wicked to hunt, I'm told. You must get down to my sister's in time for the theatricals, and I'm sure she'll be glad to give you a part. I'm sure you act well; I know you're very clever. My sister's forty years old and has seven children, but she's going to play the principal part. Plain as she is she makes up awfully well–I will say for her. Of course you needn't act if you don't want to."

In this manner Mr. Bantling delivered himself while they strolled over the grass in Winchester Square, which, although it had been peppered by the London soot, invited the tread to linger. Henrietta thought her blooming, easy-voiced bachelor, with his impressibility to feminine merit and his splendid range of suggestion, a very agreeable man, and she valued the opportunity he offered her. "I don't know but I would go, if your sister should ask me. I think it would be my duty. What do you call her name?"

"Pensil. It's an odd name, but it isn't a bad one."

"I think one name's as good as another. But what's her rank?"

"إنها زوجة بارون، وتُعتبر هذه مرتبة اجتماعية ملائمة؛ فهي مرتبة رفيعة بما يكفي، ولكنها ليست رفيعة جدا."

"لا يمكنني الجزم سوى بما هو رفيع جدا بالنسبة لي. وما اسم المنطقة التي تعيش فيها - بيدفوردشاير؟"

"تعيش في الجزء الشمالي من تلك المنطقة. إنها منطقة ريفية مُتعبة، ولكن لا أظن أنها كذلك بالنسبة لك. سأحاول زيارتهم وأنت هناك."

كان كل ذلك حديثا سارا جدا للآنسة ستاكبول، التي شعرت بالأسف لاضطرارها توديع شقيق اللايدي بنسيل اللطيف جدا. ولكن حدث أنها التقت قبل يوم بصديقتين لها لم تشاهدهما منذ عام تقريبا؛ الآنستان كلايمبرز، وهما سيدتان من ويلمنغتون، ديلاوير، كانتا تهمّان بالنزول من الباخرة لقضاء إجازتهما في القارة الأوروبية. كانت هنريتا قد أجرت معهما حديثا مطوّلا على رصيف بيكاديلي، وبالرغم من ان السيدات الثلاث كن جميعهن يتكلّمن في الوقت ذاته، إلا أن هذا لم يؤثر على كل ما في جعبتهما من أحاديث وأخبار. وهكذا تمّ الاتفاق على دعوة هنريتا لتناول العشاء معهما في منزلهما الواقع في شارع جرمين عند الساعة السادسة من مساء اليوم التالي. تهيأت للانطلاق نحو موعدها، بتوديع رالف توشيت وإيزابيل، المنهمكان في أحاديث بعيدة كل البُعد عن الأحاديث العملية التي تبادلتها مع السيد بانتلنغ. وحين اتفقت إيزابيل مع صديقتها على اللقاء في ساعة محددة في فندق براتس، علّق رالف قائلا أنه لا بد وأن يكون هناك عربات في ذلك الفندق، إذ لا يمكن لها السير حتى شارع جرمين.

"Oh, she's a baron's wife; a convenient sort of rank. You're fine enough and you're not too fine."

"I don't know but what she'd be too fine for me. What do you call the place she lives in–Bedfordshire?"

"She lives away in the northern corner of it. It's a tiresome country, but I dare say you won't mind it. I'll try and run down while you're there."

All this was very pleasant to Miss Stackpole, and she was sorry to be obliged to separate from Lady Pensil's obliging brother. But it happened that she had met the day before, in Piccadilly, some friends whom she had not seen for a year: the Miss Climbers, two ladies from Wilmington, Delaware, who had been travelling on the Continent and were now preparing to re-embark. Henrietta had had a long interview with them on the Piccadilly pavement, and though the three ladies all talked at once they had not exhausted their store. It had been agreed therefore that Henrietta should come and dine with them in their lodgings in Jermyn Street at six o'clock on the morrow, and she now bethought herself of this engagement. She prepared to start for Jermyn Street, taking leave first of Ralph Touchett and Isabel, who, seated on garden chairs in another part of the enclosure, were occupied–if the term may be used–with an exchange of amenities less pointed than the practical colloquy of Miss Stackpole and Mr. Bantling. When it had been settled between Isabel and her friend that they should be reunited at some reputable hour at Pratt's Hotel, Ralph remarked that the latter must have a cab. She couldn't walk all the way to Jermyn Street.

"I suppose you mean it's improper for me to walk alone!" Henrietta exclaimed. "Merciful powers, have I come to this?"

"There's not the slightest need of your walking alone," Mr. Bantling gaily interposed. "I should be greatly pleased to go with you."

"I simply meant that you'd be late for dinner," Ralph returned. "Those poor ladies may easily believe that we refuse, at the last, to spare you."

"You had better have a hansom, Henrietta," said Isabel.

"I'll get you a hansom if you'll trust me," Mr. Bantling went on. "We might walk a little till we meet one."

"I don't see why I shouldn't trust him, do you?" Henrietta enquired of Isabel.

"I don't see what Mr. Bantling could do to you," Isabel obligingly answered; "but, if you like, we'll walk with you till you find your cab."

"Never mind; we'll go alone. Come on, Mr. Bantling, and take care you get me a good one."

Mr. Bantling promised to do his best, and the two took their departure, leaving the girl and her cousin together in the square, over which a clear September twilight had now begun to gather. It was perfectly still; the wide quadrangle of dusky houses showed lights in none of the windows, where the shutters and blinds were closed; the pavements were a vacant expanse, and, putting aside two small children from a neighbouring slum, who, attracted by symptoms of abnormal animation in the interior, poked their faces between the rusty

صاحت هنريتا قائلة: "أظن تقصد القول أنه من غير اللائق السير بمفردي في شوارع لندن! يا إلهي! هل وصلت بي الأمور إلى هذا الدرك؟"

قال السيد بنتلنغ متدخلا بالحديث بنبرة مرحة: "لا حاجة بك على الإطلاق للسير بمفردك، سيكون من دواعي سروري مرافقتك."

أجاب رالف: "كل ما قصدت قوله أنك ستعودين من دعوة العشاء في ساعة متأخرة، ستظن صديقتيك المسكينتان أننا رفضنا مساعدتك."

قالت إيزابيل: "الأفضل لك استئجار مركبة."

تابع السيد بانتلينغ حديثه قائلا: "سأستأجر لك مركبة إذا لديك ثقة كافية بي، يمكننا السير قليلا إلى أن نعثر على مركبة لاستئجارها."

"لا أجد سببا يمنعني من الوثوق به، ما رأيك أنت؟" سألت هنريتا صديقتها إيزابيل.

أجابت إيزابيل: "لا أرى ما يمكن للسيد بانتلينغ فعله معك، ولكن إذا رغبت، لا مانع لدينا من السير معك حتى تجدي عربتك."

"لا تشغلي بالك؛ سنذهب بمفردنا. تعال يا سيد بانتلنغ، واحرص على استئجار مركبة جيدة لي."

وعد السيد بانتلنغ ببذل قصارى جهده وودّعهما برفقة هنريتا، وبقيت الفتاة وابن خالتها معا في الميدان، حيث بدأت تتجمّع سحب المساء. كان الجو ساكنا تماما: حجبت ستائر وبرادي نوافذ المنازل الرباعية الزوايا جميع أشكال الأنوار المُضاءة داخلها؛ تحوّلت أرصفة الشوارع إلى مُنفسح فارغ، باستثناء طفلين من الحي الفقير المجاور، اللذين جذبتهما عوارض الرسوم المتحركة الغريبة في الداخل، أقحما وجهيهما بين مسامير السياج

الصدئة، وشكّلت سارية العمود الأحمر في الزاوية الغربية من المكان الشيء الأكثر حيوية في ذلك المشهد.

علّق رالف قائلا: "ستطلب منه هنريتا الصعود معها في العربة ومرافقتها إلى شارع جرمين." كان دائما يتكلّم عن الآنسة ستاكبول في معرض كلامه عن هنريتا.

"مُحتمل جدا." قالت رفيقته.

"أو ربما لا، لن تفعل. ولكن بانتلنغ سيعبّر عن رغبته بمرافقتها."

"محتمل جدا كذلك. إنني سعيدة جدا للانسجام الظاهر بينهما."

"فازت باعجابه، فهو يعتبرها إمرأة متّقدة الذكاء. أظن علاقتهما ستنمو وتتطوّر." قال رالف.

صمتت إيزابيل للحظة. "أعتبرهنريتا امرأة متّقدة الذكاء، ولكن لا أظن أن علاقتها معه ستنمو وتتطور. لن يتمكّنا أبدا من التعرّف على بعضهما البعض بشكل عميق وحقيقي. ليس لديه أدنى فكرة عن شخصيتها الحقيقية، وتفتقر هي لفهم دقيق لشخصية السيد بانتلغ."

أضاف رالف قائلا: "لا وجود لمثل سوء الفهم المُتبادل كقاعدة عامة لجمع الشَمل. ولكن يجب أن لا يُعتبر بوب بانتلنغ شخصية صعبة الفهم إلى درجة كبيرة، فهو كائن بشري غاية في البساطة."

"نعم، ولكن هنريتا كائن بشري أضعف منه حتى، وأرجوك، أخبرني ماذا عساي أفعل؟ لا أظن أنك ستقترح من باب التسلية والمرح، التجوّل أنا وأنت بمركبة في أنحاء لندن." سألت إيزابيل ذلك، وهي تُنقّل نظرها في النور الذاوي الذي أضفى شكلا غريبا على المشهد الطبيعي المحدود من حديقة الميدان.

rails of the enclosure, the most vivid object within sight was the big red pillar-post on the southeast corner.

"Henrietta will ask him to get into the cab and go with her to Jermyn Street," Ralph observed. He always spoke of Miss Stackpole as Henrietta.

"Very possibly," said his companion.

"Or rather, no, she won't," he went on. "But Bantling will ask leave to get in."

"Very likely again. I'm very glad they're such good friends."

"She has made a conquest. He thinks her a brilliant woman. It may go far," said Ralph.

Isabel was briefly silent. "I call Henrietta a very brilliant woman, but I don't think it will go far. They would never really know each other. He has not the least idea what she really is, and she has no just comprehension of Mr. Bantling."

"There's no more usual basis of union than a mutual misunderstanding. But it ought not to be so difficult to understand Bob Bantling," Ralph added. "He is a very simple organism."

"Yes, but Henrietta's a simpler one still. And, pray, what am I to do?" Isabel asked, looking about her through the fading light, in which the limited landscape-gardening of the square took on a large and effective appearance. "I don't imagine that you'll propose that you and I, for our amusement, shall drive about London in a hansom."

" لا مانع البتة من بقائنا هنا. هذا إذا كنتِ لا تجدين المكان مزعج جدا. الطقس دافئ؛ وما زال هناك نصف ساعة قبل حلول الظلام؛ وسأدخّن سيجارة إذا سمحتِ. "

قالت إيزابيل: " إفعل ما يحلو لك، طالما تستنبط أفكارا وخططا لإبعاد الملل عن نفسي حتى الساعة السابعة، حين أقترح العودة إلى فندق براتس لأتناول بمفردي وجبة طعام خفيفة - من بيضتين مسلوقتين وقطعة حلوى. "

" أتسمحين لي بمشاركتك وجبة العشاء؟. "

" لا، ستتناول عشاءك في النادي. "

تجوّلا عائدَين إلى كرسيهما وسط الحديقة، وأشعل رالف سيجارته. كان سيشعر ببهجة عارمة لو أتيح له مشاركتها بالاحتفال المتواضع الذي وصفته، ولكن على ضوء عدم تيسّر ذلك الأمر، شعر بغبطة أكبر لرفض طلبه. فقد إنتابه في هذه اللحظة إحساس عارم بالسعادة لكونه معها بمفرده وسط الغسق المُتكثّف، وسط المدينة المزدحمة بالسكان؛ ما جعلها تبدو مُعتمدة كليًا عليها وتحت سيطرته. لم يكن بمقدوره ممارسة تلك السيطرة سوى بشكل مُبهم؛ وأفضل ممارسة لها كان إطاعة قراراتها دون قيد أو شرط. وهو بلا ريب كان عملا مشحونا بالعاطفة. " لماذا لا تسمحين لي مشاركتك وجبة العشاء؟ " سأل هو بعد فترة صمت قصيرة.

" لأن الأمر لا يستهويني. "

" أظن أنك مللتِ مني. "

" سأفعل خلال ساعة من الآن، إذ كما تعلم لدي موهبة المعرفة المُسبقة للأحداث قبل وقوعها. "

" أوه، سأشعر بسعادة عارمة خلال هذه الساعة. " قال رالف ذلك والتزم الصمت بعدها. ونظرا لأنها لم تُعلّق على كلامه، جلسا لبعض

"There's no reason we shouldn't stay here–if you don't dislike it. It's very warm; there will be half an hour yet before dark; and if you permit it I'll light a cigarette."

"You may do what you please," said Isabel, "if you'll amuse me till seven o'clock. I propose at that hour to go back and partake of a simple and solitary repast–two poached eggs and a muffin–at Pratt's Hotel."

"Mayn't I dine with you?" Ralph asked.

"No, you'll dine at your club."

They had wandered back to their chairs in the centre of the square again, and Ralph had lighted his cigarette. It would have given him extreme pleasure to be present in person at the modest little feast she had sketched; but in default of this he liked even being forbidden. For the moment, however, he liked immensely being alone with her, in the thickening dusk, in the centre of the multitudinous town; it made her seem to depend upon him and to be in his power. This power he could exert but vaguely; the best exercise of it was to accept her decisions submissively–which indeed there was already an emotion in doing. "Why won't you let me dine with you?" he demanded after a pause.

"Because I don't care for it."

"I suppose you're tired of me."

"I shall be an hour hence. You see I have the gift of foreknowledge."

"Oh, I shall be delightful meanwhile," said Ralph. But he said nothing more, and as she made no rejoinder they sat sometime in a stillness which seemed to contradict his

الوقت في سكون تام، بدا وكأنه يتعارض مع وعده لها باستنباط خطط لإبعاد الملل عن نفسها. بدا له أنّها مشغولة البال، وتساءل عمّا يُشغل بالها؛ كان هناك احتمال لموضوعين أو ثلاثة قد تكون تفكّر بهم. أخيرا تكلّم ثانية. "هل رفضك لرفقتي هذا المساء مردّه انتظارك لضيف آخر؟"

إلتفت إليه بعينيها الصافيتين الجميلتين، "ضيف آخر؟ أي ضيف يمكن أن أكون بانتظاره؟"

لم يكن في جعبته أي إسم يمكن أن يطرحه، ما جعل سؤاله يبدو سخيفا وقاسيا. "لديك العديد من الأصدقاء الذين لا أعرفهم. لديك ماضٍ بأكمله أقصيت منه قصرا."

"جرى الاحتفاظ بك لمستقبلي. لا تنسَ أنَّ ماضيّ هناك خلف البحار، ولا يوجد شيء منه هنا في لندن."

"جيد، طالما مستقبلك جالس إلى جانبك. أمر رائع أن يكون مستقبلك سهل المنال على هذا النحو." وأشعل رالف سيجارة ثانية وفكّر بينه وبين نفسه بأن إيزابيل أغلب الظن قصدت القول أنها استلمت أخبارا تُفيد بأن السيد كاسبار غودوود غادر إلى باريس. وبعدما نفث دخان سيجارته تابع يقول، "وعدتك بأن أبعد الملل عن نفسك، ولكن كما ترين فشلت في مسعاي، والواقع أن المرء يتصرف بشكل متهور جدا لدى تعهّده بإبعاد الملل عن نفس إنسانة مثلك. ما همّك من محاولاتي الواهنة؟ فلديك خطط جليلة. تضعين مقاييس عالية لمثل هذه الأمور. يجدر بي على الأقل جلب فرقة موسيقية أو مجموعة من المشعوذين."

"يكفيني مشعوذ واحد، كما أنك تُبلي بلاء حسنا. أرجوك لا تتوقف، إذ خلال عشر دقائق لن أتمكن من تمالك نفسي من الضحك."

promise of entertainment. It seemed to him she was preoccupied, and he wondered what she was thinking about; there were two or three very possible subjects. At last he spoke again. "Is your objection to my society this evening caused by your expectation of another visitor?"

She turned her head with a glance of her clear, fair eyes. "Another visitor? What visitor should I have?"

He had none to suggest; which made his question seem to himself silly as well as brutal. "You've a great many friends that I don't know. You've a whole past from which I was perversely excluded."

"You were reserved for my future. You must remember that my past is over there across the water. There's none of it here in London."

"Very good, then, since your future is seated beside you. Capital thing to have your future so handy." And Ralph lighted another cigarette and reflected that Isabel probably meant she had received news that Mr. Caspar Goodwood had crossed to Paris. After he had lighted his cigarette he puffed it a while, and then he resumed. "I promised just now to be very amusing; but you see I don't come up to the mark, and the fact is there's a good deal of temerity in one's undertaking to amuse a person like you. What do you care for my feeble attempts? You've grand ideas–you've a high standard in such matters. I ought at least to bring in a band of music or a company of mountebanks."

"One mountebank's enough, and you do very well. Pray go on, and in another ten minutes I shall begin to laugh."

قال رالف: "أؤكّد لك أنني جادٌ في كلامي، أنت فعلا إنسانة متطلبة جدا."

"حقا لا أفهم ما تقصد بكلامك. فأنا لا أطلب شيئا!"

قال رالف: "لا ترضين بشيء،" إحمرّ وجهها وبدا لها فجأة الآن بأنها فهمت معنى كلامه. ولكن ما الدافع وراء مناقشته مثل هذه الأمور معها؟ تابع يقول، بعد تردّد وجيز: "لدي رغبة مُلحّة في البوح لك بأمر ما. إنه سؤال أرغب بطرحه عليك. يبدو لي أنَّهُ لدي الحق في طرح مثل هذا السؤال، لأنني مُهتمّ إلى حد ما بجوابك عليه."

أجابت إيزابيل بلطف: "إسأل ما يحلو لك، وسأحاول قدر الإمكان إرضاء فضولك."

"حسنا، إذن، أرجو ألّا تنزعجي من قولي أن وربرتن أخبرني بما حصل بينكما."

قمعت إيزابيل جَفلة انتابتها؛ أخذت تُحدّق في مِروحتها المفتوحة.
"جيد جدا؛ أظن أنه كان من الطبيعي إقدامه على إعلامك بما حصل."

قال رالف: "لدي موافقته بإعلامك بمصارحتي بما حصل. لم يفقد الأمل حتى الآن."

"ما زال يأمل؟"

"كان مازال لديه ذلك الأمل قبل بضعة أيام."

قالت الفتاة: "لا أظن أن لديه مثل ذلك الأمل الآن."

"أشعر بأسف شديد تجاهه، إنه رجل في غاية الصدق والاستقامة."

"بالله عليك، هل طلب منك إقناعي بالعدول عن قراري؟"

"لا، لم يفعل. ولكنه صارحني بما حصل لأنه لم يتمالك نفسه من فعل ذلك. صداقتنا متينة جدا، وقد شعر بخيبة أمل كبيرة. أرسل لي خطابا

"I assure you I'm very serious," said Ralph. "You do really ask a great deal."

"I don't know what you mean. I ask nothing!"

"You accept nothing," said Ralph. She coloured, and now suddenly it seemed to her that she guessed his meaning. But why should he speak to her of such things? He hesitated a little and then he continued: "There's something I should like very much to say to you. It's a question I wish to ask. It seems to me I've a right to ask it, because I've a kind of interest in the answer."

"Ask what you will," Isabel replied gently, "and I'll try to satisfy you."

"Well then, I hope you won't mind my saying that Warburton has told me of something that has passed between you."

Isabel suppressed a start; he sat looking at her open fan. "Very good; I suppose it was natural he should tell you."

"I have his leave to let you know he has done so. He has some hope still," said Ralph.

"Still?"

"He had it a few days ago."

"I don't believe he has any now," said the girl.

"I'm very sorry for him then; he's such an honest man."

"Pray, did he ask you to talk to me?"

"No, not that. But he told me because he couldn't help it. We're old friends, and he was greatly disappointed. He

طلب فيه أن أوافيه إلى منزله والتحدث معه، توجهت إلى لوكليغ يوم أوّل من أمس، وتناولنا الغداء مع شقيقته. كان حزينا جدا؛ إذ كانت قد وصلته رسالتك للتوّ."

سألت إيزابيل بكبرياء خاطف: "هل عرض عليك تلك الرسالة؟"

كرّر رالف القول: "إطلاقا. ولكنه أخبرني أنها تتضمّن رفضا ناعما. شعرت بأسف شديد تجاهه."

صمتت إيزابيل لبعض الوقت ومن ثم قالت أخيرا، "هل تعلم أنني لم ألتقِ به سوى في خمس أو ست مناسبات على الأكثر؟"

"من شأن هذا تعزيز ثقتك بنفسك وبسحرك."

"لم يكن هذا الدافع وراء ما قلته للتو."

"ما هو الدافع إذن لأقوالك تلك؟ قطعا ليس كدليل على سطحية قدرات اللورد وربرتن العقلية، لأنني متأكد أنك لا تعتقدين ذلك."

طبعا لم يكن باستطاعة إيزابيل قول مثل هذا الكلام، إلا أنها سرعان ما قالت شيئا مختلفا تماما. "إذا لم يطلب منك اللورد وربرتن مناقشة هذا الموضوع معي، فانك تفعل ذلك بلامبالاة، أو لمجرّد حبّك للجدال."

"ليس لي أدنى رغبة للدخول معك في جدال، كل ما أرغب به هو تركك وشأنك، إشارة إلى أنني مهتم جدا بسبر أسرار عواطفك."

صاحت إيزابيل بضحكة يشوبها شيء من التوتّر: "إنني شاكرة جدا اهتمامك الكبير بي!"

قال رالف بينما كانت إيزابيل تُصغي إليه باهتمام متزايد: "طبعا تقصدين القول أنني أتدخل في أمور لا تعنيني. ولكن ما المانع في

sent me a line asking me to come and see him, and I drove over to Lockleigh the day before he and his sister lunched with us. He was very heavy-hearted; he had just got a letter from you."

"Did he show you the letter?" asked Isabel with momentary loftiness.

"By no means. But he told me it was a neat refusal. I was very sorry for him," Ralph repeated.

For some moments Isabel said nothing; then at last, "Do you know how often he had seen me?" she enquired. "Five or six times."

"That's to your glory."

"It's not for that I say it."

"What then do you say it for? Not to prove that poor Warburton's state of mind's superficial, because I'm pretty sure you don't think that."

Isabel certainly was unable to say she thought it but presently she said something else. "If you've not been requested by Lord Warburton to argue with me, then you're doing it disinterestedly–or for the love of argument."

"I've no wish to argue with you at all. I only wish to leave you alone. I'm simply greatly interested in your own sentiments."

"I'm greatly obliged to you!" cried Isabel with a slightly nervous laugh.

"Of course you mean that I'm meddling in what doesn't concern me. But why shouldn't I speak to you of this matter without annoying you or embarrassing myself? What's the use of being your cousin if I can't have a few privileges? What's the

التحدّث معك بهذه المسألة بدون التسبّب بإزعاجك أو بإرباك نفسي؟ ما الفائدة من كوني إبن خالتك إذا لا يمكنني الفوز ببعض الامتيازات؟ ما فائدة عبادتي لك دون أمل، إذا كان مُحرّم عليّ القليل من التعويضات؟ ما فائدة المرض والإعاقة والتقيّد بمجرّد التفرّج على لعبة الحياة، في حال لا يمكنني فعلا رؤية المسرحية في الوقت الذي دفعت ثمنا باهظا لقاء تذكرتي؟ أخبريني ماذا كنتِ تخطّطين حين رفضت اللورد وربرتن؟ »

«أخطّط؟»

«ماذا كان المنطق الذي اعتمدتيه. بالنظر إلى وضعك. الذي أملى عليك مثل هذا التصرّف الاستثنائي؟»

«لم أرغب بالزواج منه. إذا يمكنك اعتبار ذلك تفكيرا منطقيا.»

«لا، هذا ليس بتفكير منطقي. كنت أعلم ذلك مسبقا. إنه بالواقع سبب مُبهم ما زلتِ تجهلينه. ما الذي فكّرت به بينك وبين نفسك؟ من المؤكد أنك فكّرت بأمور أعمق بكثير مما قلتيه للتو.»

فكّرت إيزابيل للحظة، ومن ثم أجابت هي الأخرى بسؤال، «لماذا تُسمّي ما أقدمت عليه بالتصّرف الاستثنائي؟ هذا بالضبط ما تفكّر به والدتك أيضا.»

«وربرتن رجل مميّز جدا، يكاد يخلو من أية نقيصة. بالإضافة إلى هذا، فهو كما يقال هنا رجل يتمتع بمركز اجتماعي بارز. لديه ممتلكات هائلة وستتمتع زوجته بمركز اجتماعي رفيع للغاية. يجمع في شخصه كافة الحسنات الجوهرية والعَرضية على حد سواء.»

راقبت إيزابيل ابن خالتها لترى إلى أي مدى سيذهب. «رفضته إذا لأنه رجل مثاليٌ جدا. إنني لست مثالية وهو يفوقني مركزا وجاها. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ مثاليته تُثير غضبي.»

use of adoring you without hope of a reward if I can't have a few compensations? What's the use of being ill and disabled and restricted to mere spectatorship at the game of life if I really can't see the show when I've paid so much for my ticket? Tell me this," Ralph went on while she listened to him with quickened attention. "What had you in mind when you refused Lord Warburton?"

"What had I in mind?"

"What was the logic–the view of your situation–that dictated so remarkable an act?"

"I didn't wish to marry him–if that's logic."

"No, that's not logic–and I knew that before. It's really nothing, you know. What was it you said to yourself? You certainly said more than that?"

Isabel reflected a moment, then answered with a question of her own. "Why do you call it a remarkable act? That's what your mother thinks too.

"Warburton's such a thorough good sort; as a man, I consider he has hardly a fault. And then he's what they call here no end of a swell. He has immense possessions, and his wife would be thought a superior being. He unites the intrinsic and the extrinsic advantages."

Isabel watched her cousin as to see how far he would go. "I refused him because he was too perfect then. I'm not perfect myself, and he's too good for me. Besides, his perfection would irritate me."

قال رالف: "هذا قول بارع ولكنه غير صريح، الواقع هو أنك تعتبرين نفسك أهلاً لكل ما يمكن للعالم تقديمه لك."

"أحقا تظن أنني بهذه الدرجة من المثالية؟"

"لا، ومع ذلك أنت إنسانة متطلبة، بدون أن يكون لك عذر باعتبارك نفسك مثالية. تسع عشرة امرأة من مجموع عشرين امرأة، حتى أكثرهن تطلّبا، كن تمكّن من تدبّر أمرهنّ مع وربرتن. ربما تجهلين كم من عائلة لهثت وراءه للفوز به."

قالت إيزابيل: "لا أريد أن أعرف. ولكن يبدو أنك تناسيت أنك ذات يوم ونحن في معرض الحديث عنه، جئت على ذكر أمور غريبة عنه."

فكّر رالف وهو ينفث دخان سيجارته. "آمل أن ما قلته في تلك المناسبة لم يكن بذي أهمية بالنسبة لك؛ إذ الأمور التي تكلمت عنها لم تكن نقائص بل مجرّد خصائص مرتبطة بمركزه. لو علمت أنه يرغب بالزواج منك، لما كنت أشرتُ إليها البتّة. أظن أنني قلت بالنسبة للمركز الذي هو فيه، فهو نزّاع إلى الشكّ. كان بمقدوركِ تبديل هذا الوضع وجعله مؤمنا."

أضافت إيزابيل قائلة، وهي تنظر إلى إبن خالتها بوداعة حزينة: "لا أظن ذلك. لا أفهم هذه المسألة ولا أعلم بأية مهمة من النوع الذي تتحدّث عنه. لا شك أنك تشعر بالإحباط مما سمعته مني."

تابعت إيزابيل قائلة: "كنت ترغب بأن أقدم على مثل هذا النوع من الزواج."

"إطلاقا، ليس لي مطلق رغبة في ما يتعلق بهذا الموضوع. لا أتظاهر بأنني أقدم لك النصح والإرشاد، أكتفي بمراقبتك. بكثير من الاهتمام."

أطلقت تنهيدة شبه مسموعة. "كم أتمنى أن أكون مثيرة للاهتمام

"That's ingenious rather than candid," said Ralph. "As a fact you think nothing in the world too perfect for you."

"Do you think I'm so good?"

"No, but you're exacting, all the same, without the excuse of thinking yourself good. Nineteen women out of twenty, however, even of the most exacting sort, would have managed to do with Warburton. Perhaps you don't know how he has been stalked."

"I don't wish to know. But it seems to me," said Isabel, "that one day when we talked of him you mentioned odd things in him."

Ralph smokingly considered. "I hope that what I said then had no weight with you; for they were not faults, the things I spoke of: they were simply peculiarities of his position. If I had known he wished to marry you I'd never have alluded to them. I think I said that as regards that position he was rather a sceptic. It would have been in your power to make him a believer."

"I think not. I don't understand the matter, and I'm not conscious of any mission of that sort. You're evidently disappointed," Isabel added, looking at her cousin with rueful gentleness. "You'd have liked me to make such a marriage."

"Not in the least. I'm absolutely without a wish on the subject. I don't pretend to advise you, and I content myself with watching you- with the deepest interest."

She gave rather a conscious sigh. "I wish I could be as

بالنسبة لنفسي مثلما أنا مثيرة للاهتمام بالنسبة لك! "

قال رالف: "عدتِ لعدم الصراحة ثانية؛ إنك مثيرة للاهتمام إلى حد كبير بالنسبة لنفسك. ولكن هل تعرفين، أنه في حال كان ذلك جوابك النهائي لوربرتن، فإنني سعيد إلى حد ما بمعرفة ذلك. لا أقصد أنني سعيد لأجلك، كما أنني لست سعيدا البتة لأجله. إنني سعيد من أجل نفسي. "

"هل تفكّر بالزواج مني؟"

"أبدا. سيبدو ذلك أمرا مهلكا من وجهة النظر التي أتكلم عنها؛ سأكون عندها أقضي على الأوزة التي توفّر لي المواد المطلوبة لصنع عُجّة البيض الفريدة من نوعها. إستخدم ذلك الحيوان كرمز لأوهامي المجنونة. ما أقصد قوله سأحظى بالإثارة من مراقبة ما تفعله فتاة شابة رفضت الزواج من اللورد وربرتن. "

قالت إيزابيل: "هذا ما يُثير اهتمام والدتك أيضا. "

"أوه، سيكون هناك العديد من المشاهدين! سنرفض التخلّي عن متابعة مجرى حياتك خطوة خطوة. لن يتسنى لي رؤية ذلك المسار بكامله، ولكن أغلب الظن سأشهد تطورات أكثر السنوات إثارة. طبعا، في حال وافقت على الزواج من صديقنا، سيكون لك سيرة حياة أيضا. بالواقع ستكون سيرة مَرضية، بل لامعة. ولكن نسبيا، ستكون عادية بعض الشيء. لا شك أنها ستتم بمعالم مُحدّدة منذ بدايتها؛ ستفتقر للعوامل والحوادث غير المتوقعة. هل تعلمين أنني مولع بالحوادث غير المتوقعة، والآن بعدما حافظت على مسار حوادث اللعبة في يديك، فإنني أعتمد عليك بأن تُقدمي لنا نماذج جليلة منها. "

قالت إيزابيل: "لا أفهم تماما ما تقصد بكلامك، ولكن أستطيع

interesting to myself as I am to you!"

"There you're not candid again; you're extremely interesting to yourself. Do you know, however," said Ralph, "that if you've really given Warburton his final answer I'm rather glad it has been what it was. I don't mean I'm glad for you, and still less of course for him. I'm glad for myself."

"Are you thinking of proposing to me?"

"By no means. From the point of view I speak of that would be fatal; I should kill the goose that supplies me with the material of my inimitable omelettes. I use that animal as the symbol of my insane illusions. What I mean is that I shall have the thrill of seeing what a young lady does who won't marry Lord Warburton."

"That's what your mother counts upon too," said Isabel.

"Ah, there will be plenty of spectators! We shall hang on the rest of your career. I shall not see all of it, but I shall probably see the most interesting years. Of course if you were to marry our friend you'd still have a career–a very decent, in fact a very brilliant one. But relatively speaking it would be a little prosaic. It would be definitely marked out in advance; it would be wanting in the unexpected. You know I'm extremely fond of the unexpected, and now that you've kept the game in your hands I depend on your giving us some grand example of it."

"I don't understand you very well," said Isabel, "but I do so well enough to be able to say that if you look for

القول استنادا لما فهمته، إذا ما كنت تتوقّع نماذج جليلة في سيرة حياتي، ستصاب بخيبة أمل كبيرة."

"ستفعلين ذلك وستكون خيبة الأمل الكبيرة مقتصرة عليك. وستتألمين كثيرا نتيجة ذلك!"

لم تجب مباشرة على هذا القول؛ فقد كان فيه كمّا لا بأس به من الحقيقة ما يدعو لأخذه بعين الاعتبار. أخيرا قالت بشكل مفاجئ، "لا أرى أين الخطأ في رغبتي عدم الارتباط بأحد. لا أريد بدء حياتي بالزواج. فهناك العديد من الأمور الأخرى غير الزواج يمكن للمرأة أن تعملها."

"لا يوجد أي عمل يمكنها أن تُتقنه كالزواج، ولكن طبعا أنت إنسانة متعددة الجوانب."

قالت إيزابيل: "يكفي أن يكون المرء مزدوج الجانب."

"يا لكِ من إنسانة ساحرة مُضلّعة القوى!" قال رفيقها ذلك مازحا، ولكنه سرعان ما أصبح جادّا تحت نظراتها الثابتة، ولإثبات ذلك تابع يقول، "ترغبين باختبار الحياة. تُفضّلين الموت إذا لم تفعلي، كما يُردّد الشباب."

"لا أريد اختبارها كما يفعل الشباب، ولكنني أرغب برؤية جوانبها المختلفة."

"ترغبين تجرّع كوب التجربة."

لا، لا أرغب بلمس كوب التجربة، إنه شراب مسموم! كل ما أرغب به هو رؤية أوجه الحياة بنفسي."

قال رالف معلّقا: "تريدين المشاهدة بدون أن يؤثر ذلك على مشاعرك."

"لا أظن باستطاعة المرء التمييز بين الاثنين إذا كان شخصا رقيق الحسّ. إنني في كثير من النواحي مثل هنريتا. أجابتني منذ بضعة أيام حين

grand examples of anything from me I shall disappoint you."

"You'll do so only by disappointing yourself–and that will go hard with you!"

To this she made no direct reply; there was an amount of truth in it that would bear consideration. At last she said abruptly: "I don't see what harm there is in my wishing not to tie myself. I don't want to begin life by marrying. There are other things a woman can do."

"There's nothing she can do so well. But you're of course so many-sided."

"If one's two-sided it's enough," said Isabel.

"You're the most charming of polygons!" her companion broke out. At a glance from his companion, however, he became grave, and to prove it went on: "You want to see life–you'll be hanged if you don't, as the young men say."

"I don't think I want to see it as the young men want to see it. But I do want to look about me."

"You want to drain the cup of experience."

"No, I don't wish to touch the cup of experience. It's a poisoned drink! I only want to see for myself."

"You want to see, but not to feel," Ralph remarked.

"I don't think that if one's a sentient being one can make the distinction. I'm a good deal like Henrietta. The other day when I asked her if she wished to marry she said:

سألتها ما إذا كانت ترغب بالزواج، بالقول، ليس قبل مشاهدتي لأوروبا!" وأنا أيضا لا أرغب بالزواج قبل مشاهدتي لأوروبا."

"يبدو أنك تتوقعين أن يُغرم بك شخص من السلالة المالكة."

قالت إيزابيل.: "لا، سيكون ذلك الأمر أسوأ من زواجي باللورد وربرتن. ولكن أصبح المكان مظلما جدا، عليّ العودة إلى المنزل."

نهضت من مكانها، ولكن رالف جلس ساكنا وهو ينظر إليها. وحين لم ينهض من مكانه توقفت والتفت إليه، وتبادلا نظرة مليئة بمعانٍ عميقة؛ وبالأخص رالف الذي لم يكن هناك من كلمات تُعبّر عما يختلج في داخله.

"لقد أجبتِ على سؤالي، أخبرتني ما أريد معرفته. أشكرك. شكرا جزيلا على ذلك."

"يبدو لي أنني لم أخبرك سوى النذر القليل."

"أخبرتني أمرا رائعا: بأن العالم يُثير اهتمامك وأنكِ ترغبين برمي نفسك فيه."

لمعت عيناها الفضّيتان للحظة في ظلمة الغسق "لم أقل ذلك إطلاقا."

"أظن هذا ما قصدتِ قوله. لا تتنكّري لأقوالك. إنها أقوال رائعة!"

"لا أعلم ما الذي ترغب بإلصاقه بي، إذ أنني لست على الإطلاق إنسانة مغامرة. النساء يختلفن عن الرجال."

نهض رالف ببطء من مقعده وتبادلا الحديث حتى وصلا إلى بوابة الميدان. قال: "لا، النساء نادرا ما يتباهينّ بجرأتهن. الرجال لا ينفكّون عن فعل ذلك."

"الرجال لديهم الجرأة للتباهي بها!"

'Not till I've seen Europe!' I too don't wish to marry till I've seen Europe."

"You evidently expect a crowned head will be struck with you."

"No, that would be worse than marrying Lord Warburton. But it's getting very dark," Isabel continued, "and I must go home." She rose from her place, but Ralph only sat still and looked at her. As he remained there she stopped, and they exchanged a gaze that was full on either side, but especially on Ralph's, of utterances too vague for words.

"You've answered my question," he said at last. "You've told me what I wanted. I'm greatly obliged to you."

"It seems to me I've told you very little."

"You've told me the great thing: that the world interests you and that you want to throw yourself into it."

Her silvery eyes shone a moment in the dusk. "I never said that."

"I think you meant it. Don't repudiate it. It's so fine!"

"I don't know what you're trying to fasten upon me, for I'm not in the least an adventurous spirit. Women are not like men."

Ralph slowly rose from his seat and they walked together to the gate of the square. "No," he said; "women rarely boast of their courage. Men do so with a certain frequency."

"Men have it to boast of!

"وكذلك النساء. أنتِ لديك منها الكثير."

"ما يكفي لأستقل مركبة تأخذني إلى فندق براتس، ليس أكثر من ذلك."

فتح رالف قِفل البوابة وأعاد قفله لدى خروجهما منها. قال: "سنعثر لكِ على مركبة،" ولدى دخولهما أحد الشوارع القريبة حيث يمكن تحقيق مثل هذا المُراد، سألها ثانية ما إذا كانت ترغب بمرافقتها حتى الفندق حفاظا على سلامتها.

أجابت هي: "أبداً، تبدو مرهقا؛ عليك العودة إلى المنزل والخلود إلى النوم."

وجدا المركبة، وساعدا للصعود إليها، ووقف لحظة عند الباب. قال: "حين ينسى الناس إنني رجل مريض غالبا ما أشعر بالانزعاج، ولكن الأمر الأسوأ هو حين يتذكرون ذلك!"

"Women have it too. You've a great deal."

"Enough to go home in a cab to Pratt's Hotel, but not more."

Ralph unlocked the gate, and after they had passed out he fastened it. "We'll find your cab," he said; and as they turned toward a neighbouring street in which this quest might avail he asked her again if he mightn't see her safely to the inn.

"By no means," she answered; "you're very tired; you must go home and go to bed."

The cab was found, and he helped her into it, standing a moment at the door. "When people forget I'm a poor creature I'm often incommoded," he said. "But it's worse when they remember it!"

الفصل السادس عشر

لم يكن لديها غاية مخفية لرفضها طلبه مرافقتها حتى منزلها؛ كل ما في الأمر أنها شعرت في الأيام القليلة الماضية أنها استهلكت الكثير من وقته، والروح الاستقلالية لدى الفتاة الأمريكية التي من شأن المعونة المفرطة دفعها لاعتبار مثل تلك المعونة تصرّفا "متكلّفا"، جعلتها تقرر ضرورة الاكتفاء بالاهتمام بنفسها. كانت تشعر بالإضافة إلى هذا، بولع شديد بالانفراد بنفسها لبعض الوقت، وهو وضع منذ وصولها إلى لندن لم يتحقق منه سوى النذر القليل. كانت تعتبر ذلك بمثابة نوع من الترف يسهل الانغماس به في موطنها، وقد بدأت تفتقده كثيرا في إنجلترا. ولكن شهد ذلك المساء وقوع حادثة. لو كان هناك وجود لناقد لتدوينها. لكان وصف بالتفصيل تبدّد رغبتها بالانفراد بنفسها، وهوما دفعها إلى الاستغناء عن خدمات ابن خالتها. فقد كانت جالسة قرابة التاسعة مساء وسط الإضاءة الباهتة لفندق براتس، تحاول جاهدة الاستغراق في مطالعة أحد الكتب التي جلبتها معها من غاردينكورت، إلا أنها لم تنجح سوى بقراءة كلمات أخرى غير تلك الموجودة في الصفحة المطبوعة. الكلمات التي حدّثها بها رالف بعد ظهر ذلك اليوم. فجأة سمعت نقرة يد النادل على الباب وتقديمه لها بطاقة زائر يرغب بمقابلتها، وحين وقع نظرها على اسم السيد كاسبار غودوود مطبوعا على تلك البطاقة، لم تُحرّك ساكنا متغافلة عن وجود النادل عند الباب منتظرا إشارة منها تدلّ على رغباتها.

سأل بنبرة مُستحثّة بعض الشيء: "هل أسمح للسيد النبيل التفضل بالدخول، يا سيدتي؟."

بقيت إيزابيل على تردّدها والتفتت ناحية المرآة ليس رغبة بتصفيف

Chapter Sixteen

She had had no hidden motive in wishing him not to take her home; it simply struck her that for some days past she had consumed an inordinate quantity of his time, and the independent spirit of the American girl whom extravagance of aid places in an attitude that she ends by finding "affected" had made her decide that for these few hours she must suffice to herself. She had moreover a great fondness for intervals of solitude, which since her arrival in England had been but meagrely met. It was a luxury she could always command at home and she had wittingly missed it. That evening, however, an incident occurred which–had there been a critic to note it–would have taken all colour from the theory that the wish to be quite by herself had caused her to dispense with her cousin's attendance. Seated toward nine o'clock in the dim illumination of Pratt's Hotel and trying with the aid of two tall candles to lose herself in a volume she had brought from Gardencourt, she succeeded only to the extent of reading other words than those printed on the page–words that Ralph had spoken to her that afternoon. Suddenly the well-muffled knuckle of the waiter was applied to the door, which presently gave way to his exhibition, even as a glorious trophy, of the card of a visitor. When this memento had offered to her fixed sight the name of Mr. Caspar Goodwood she let the man stand before her without signifying her wishes.

"Shall I show the gentleman up, ma'am?" he asked with a slightly encouraging inflexion.

Isabel hesitated still and while she hesitated glanced at the mirror. "He may come in," she said at last; and waited

شعرها بقدر ما كانت محاولة منها لإعداد نفسها لمواجهة زائرها وهي ما تزال مترددة. قالت أخيرا: "دعه يدخل."

كان كاسبا غودوود وفقا لذلك في اللحظة التالية يصافحها، وبقي صامتا حتى مغادرة النادل الغرفة. بعد ذلك بنبرة سريعة شبه آمرة: "لماذا لم تُجيبي على رسالتي؟" نبرة صوت رجل معتاد على طرح أسئلة محدّدة وقادر على الإلحاح الشديد.

أجابت بسؤال سريع، "كيف عرفت أنني هنا؟"

قال كاسبار غودوود: "الآنسة ستاكبول أعلمتني بذلك، قالت أغلب الظن أنك ستكونين بمفردك في المنزل هذا المساء ولن تمانعي باستقبالي."

"أين التقت بك. لتخبرك بكل هذا؟"

"لم تلتقِ بي؛ بعثت لي برسالة."

لزمت إيزابيل الصمت؛ كلاهما بقيا واقفين؛ وقفا مواجهين بعضهما بشيء من التحدّي، أو على الأقل خلاف في الرأي. قالت أخيرا: "لم تُعلمني هنريتا قط بأنها تراسلك، هذا ليس بالتصرّف الجيد من ناحيتها."

سأل الرجل الشاب: "ألهذه الدرجة تنزعجين من رؤيتي؟"

"لم أتوقع ذلك. لا أحب المفاجآت."

"ولكنك كنت تعلمي أنني موجود في المدينة؛ كان من الطبيعي أن نلتقي."

"هل تُسمّي هذا لقاء؟ كنت آمل عدم رؤيتك، وكان هذا الأمر يبدو محتملا جدا في مكان فسيح جدا مثل مدينة لندن."

تابع زائرها قائلا: "يبدو أن مجرّد مراسلتي كان أمرا كريها بالنسبة لك."

for him not so much smoothing her hair as girding her spirit.

Caspar Goodwood was accordingly the next moment shaking hands with her, but saying nothing till the servant had left the room. "Why didn't you answer my letter?" he then asked in a quick, full, slightly peremptory tone–the tone of a man whose questions were habitually pointed and who was capable of much insistence.

She answered by a ready question, "How did you know I was here?"

"Miss Stackpole let me know," said Caspar Goodwood. "She told me you would probably be at home alone this evening and would be willing to see me."

"Where did she see you–to tell you that?"

"She didn't see me; she wrote to me."

Isabel was silent; neither had sat down; they stood there with an air of defiance, or at least of contention. "Henrietta never told me she was writing to you," she said at last. "This is not kind of her."

"Is it so disagreeable to you to see me?" asked the young man.

"I didn't expect it. I don't like such surprises."

"But you knew I was in town; it was natural we should meet."

"Do you call this meeting? I hoped I shouldn't see you. In so big a place as London it seemed very possible."

"It was apparently repugnant to you even to write to me," her visitor went on.

لزمت إيزابيل الصمت؛ إحساسها بغدر هنريتا ستاكبول لها، إذ هكذا حدّدته في تلك اللحظة، كان قويا في داخلها. صاحت بمرارة: "مما لا شك فيه أن هنريتا ليست نموذجا للسولك السليم! كان تصرفها ذاك تجاوزاً كبيرا وغير مقبول على الإطلاق."

"أتصوّر أنني أنا أيضا لست نموذجا لتلك القيم أو غيرها من التصرفات اللائقة. أتحمّل مسؤولية هذا العمل بقدر ما هي مسؤولة عنه."

حين رفعت نظرها إليه، بدا لها حنكه قويا أكثر من أي وقت مضى. كان من الجائز أن يزعجها هذا الأمر، إلا أنها تصرّفت بشكل مغاير تماما. "لا، لست مسؤولا بقدر ما هي مسؤولة عن هذا التصرّف. ما قمت به، كان مُتعذرا تجنّبه، على ما أظن، بالنسبة لك."

"حقا كان كذلك! والآن وقد جئت إلى هنا، على أية حال، أتسمحين لي بالبقاء؟"

"يمكنك الجلوس، طبعا."

عادت إلى كرسيها ثانية، بينما أخذ زائرها أول مقعد طالعه، بطريقة الرجل المعتاد على عدم الاهتمام بمثل تلك التفاصيل. "كنت آمل يوميا استلامي منك جوابا على رسالتي. كان يمكنك كتابة بضعة أسطر لي."

قالت إيزابيل: "لم يكن العائق الجهد الذي تتطلّبه كتابة الرسالة؛ كان يمكنني كتابة رسالة لك بأربع صفحات بسهولة كتابة صفحة واحدة. ولكن صمتي كان متعمدا، إعتبرته الطريقة الأفضل."

جلس وعيناه مسمّرتان على عينيها؛ ومن ثم أخفضهما وثبّتهما على نقطة محددة في السجادة وكأنه يجهد لتفادي قول ما لا يجدر به قوله. كان رجلا قويا إرتكب خطأً فادحا، وكان حاد الذهن بما يكفي ليتبيّن له أن

Isabel made no reply; the sense of Henrietta Stackpole's treachery, as she momentarily qualified it, was strong within her. "Henrietta's certainly not a model of all the delicacies!" she exclaimed with bitterness: "It was a great liberty to take."

"I suppose I'm not a model either–of those virtues or of any others. The fault's mine as much as hers."

As Isabel looked at him it seemed to her that his jaw had never been more square. This might have displeased her, but she took a different turn. "No, it's not your fault so much as hers. What you've done was inevitable, I suppose, for you."

"It was indeed!" cried Caspar Goodwood with a voluntary laugh. "And now that I've come, at any rate, mayn't I stay?"

"You may sit down, certainly."

She went back to her chair again, while her visitor took the first place that offered, in the manner of a man accustomed to pay little thought to that sort of furtherance. "I've been hoping every day for an answer to my letter. You might have written me a few lines."

"It wasn't the trouble of writing that prevented me; I could as easily have written you four pages as one. But my silence was an intention," Isabel said. "I thought it the best thing."

He sat with his eyes fixed on hers while she spoke; then he lowered them and attached them to a spot in the carpet as if he were making a strong effort to say nothing but what he ought.

عرضا متصلّبا لقوته لن يؤدي سوى لتعزيز الخطأ الذي ارتكبه. لم يكن باستطاعة إيزابيل الشعور بالتفوق تجاه شخص من هذا النوع، وبالرغم من عدم رغبتها التباهي بموقفها هذا أمامه، كان بإمكانها الاستمتاع بالقول له، "تعلم تماما كان يجدر بك أنت نفسك عدم الكتابة إليّ على الإطلاق!" وأن تقولها بنبرة يشوبها نوع من النصر.

رفع كاسبارغودوود ثانية عيناه إليها؛ بدتا وكأنهما تلمعان عبر قناع الخوذة. كان لديه حس قوي جدا بالعدالة وعلى استعداد دائم وفي أي يوم من السنة بما يتجاوز بكثير هذا الوضع الذي يعيشه الآن. للدفاع عن حقوقه وصونها. "قلتِ أنك كنتِ تأملين عدم اتصالي بك ثانية أبدا؛ أدرك ذلك تماما. ولكني شخصيا لم أقبل بمثل هذا العهد على الإطلاق. حذّرتكِ بأنني سأتصل بك خلال فترة قصيرة."

قالت إيزابيل: "لم أقل أنني آمل عدم اتصالك بك ثانية أبدا."

"لفترة خمس سنوات إذن، عشر سنوات؛ عشرون سنة. المعنى واحد في كل الحالات."

"هل تظن ذلك؟ يبدو لي هناك فارق كبير. أتصور أنه بنهاية فترة عشر سنوات، يمكن أن يكون لدينا رسائل مُرضية متبادلة. سيكون عندها أسلوبي في كتابة الرسائل قد نضج."

أشاحت بوجهها عنه حين نطقت بهذه الكلمات، مدركة أن تلك الكلمات أخف لهفة وتجهّما من تعابير وجهه. ولكن، أخيرا رفعت نظرها إليه، في اللحظة التي كان يقول بشكل لا علاقة له البتة بالموضوع قيد المناقشة، "هل تستمتعين بزيارتك لزوج خالتك؟"

أجابت: "جدا." أضافت قائلة: "ما الفائدة التي تتوقع تحقيقها من

He was a strong man in the wrong, and he was acute enough to see that an uncompromising exhibition of his strength would only throw the falsity of his position into relief. Isabel was not incapable of tasting any advantage of position over a person of this quality, and though little desirous to flaunt it in his face she could enjoy being able to say "You know you oughtn't to have written to me yourself!" and to say it with an air of triumph.

Caspar Goodwood raised his eyes to her own again; they seemed to shine through the vizard of a helmet. He had a strong sense of justice and was ready any day in the year–over and above this–to argue the question of his rights. "You said you hoped never to hear from me again; I know that. But I never accepted any such rule as my own. I warned you that you should hear very soon."

"I didn't say I hoped never to hear from you," said Isabel.

"Not for five years then; for ten years; twenty years. It's the same thing."

"Do you find it so? It seems to me there's a great difference. I can imagine that at the end of ten years we might have a very pleasant correspondence. I shall have matured my epistolary style."

She looked away while she spoke these words, knowing them of so much less earnest a cast than the countenance of her listener. Her eyes, however, at last came back to him, just as he said very irrelevantly: "Are you enjoying your visit to your uncle?"

"Very much indeed." She dropped, but then she broke

خلال إلحاحك بهذا الشكل؟ . "

"فائدة عدم فقدانك . "

أضافت قائلة: "لا يحق لك التحدث عن فقدانك شيئا لا تملكه. وحتى من وجهة نظرك أنت، يجدر بك معرفة متى يجب عليك ترك الشخص وشأنه . "

"تشعرين باشمئزاز شديد تجاهي، " قال كاسبار غودوود ذلك بنبرة كئيبة؛ ليس رغبة منه في إثارة شفقتها تجاه رجل مدرك لهذه الحقيقة المُرّة، بل وكأنه راغب في وضع هذه الحقيقة نصب عينيه، بحيث يسعى للتصرّف تجاهها بدقّة وفعالية.

"نعم، أنت لا تبعث البهجة في نفسي على الإطلاق، والأسوأ من هذا، أنَّ تعمدك امتحان هذا الوضع بالأسلوب الذي تعتمده الآن، أمر غير ضروري البتة. " كانت تُدرك منذ بداية معرفتها به واضطرارها للدفاع عن نفسها في وجه حدس يملكه يعرف تماما مصلحتها أكثر مما تفعل هي، بأن الصراحة المجرّدة هي أمضى سلاح تملكه لمواجهته. فقد كانت تعلم أن محاولة مراعاة مشاعره أو الفرار منه مواربة، كما يفعل المرء مع رجل سدّ طريقها بشكل أقل حدّية. طريقة التعامل هذه مع كاسبار غودوود، الذي يعمد للتشبّث بأي شيء يمكن للمرء إعطائه إياه، كانت مجرد حركة مُبدّدة. هذا لا يعني أنه لم يكن سريع التأثر، إلا أن مظهره الخارجي الهامد، وداخيليته النشطة، كانت كبيرة وقاسية، وكان يُتوقع منه دائما مداواة جروحه بنفسه وبالأسلوب الذي يختاره هو. عادت إلى إحساسها الماضي بأنه مُصفّح ومشحوذ بالفولاذ، مدعوم بالسلاح لغاية أساسية وهي الهجوم.

out. "What good do you expect to get by insisting?

"The good of not losing you."

"You've no right to talk of losing what's not yours. And even from your own point of view," Isabel added, "you ought to know when to let one alone."

"I disgust you very much," said Caspar Goodwood gloomily; not as if to provoke her to compassion for a man conscious of this blighting fact, but as if to set it well before himself, so that he might endeavour to act with his eyes on it.

"Yes, you don't at all delight me, you don't fit in, not in any way, just now, and the worst is that your putting it to the proof in this manner is quite unnecessary." It wasn't certainly as if his nature had been soft, so that pin-pricks would draw blood from it; and from the first of her acquaintance with him, and of her having to defend herself against a certain air that he had of knowing better what was good for her than she knew herself, she had recognized the fact that perfect frankness was her best weapon. To attempt to spare his sensibility or to escape from him edgewise, as one might do from a man who had barred the way less sturdily–this, in dealing with Caspar Goodwood, who would grasp at everything of every sort that one might give him, was wasted agility. It was not that he had not susceptibilities, but his passive surface, as well as his active, was large and hard, and he might always be trusted to dress his wounds, so far as they required it, himself. She came back, even for her measure of possible pangs and aches in him, to her old sense that he was naturally plated and steeled, armed essentially for aggression.

قال بكل بساطة: "لا يمكنني ترويض نفسي على القبول بذلك، "كان هناك نوع من التسامح الخطر في نبرة صوته؛ إذ شعرت بمدى صراحته وتحرّره للإشارة بأنه لم تكن دائما تشعر بالاشمئزاز تجاهه.

"لا يمكنني ترويض نفسي على القبول بذلك أنا أيضا، وهو وضع لا يجب أن يكون قائما بيننا. كل ما أطلبه منك هو محاولة طردي من ذهنك لبضعة أشهر، يمكننا عندها استعادة أواصر الصداقة بيننا ثانية."

"فهمت. إذا ما توقفت عن التفكير بك كليّا لفترة محددة من الوقت، سأجد أنه باستطاعتي الاستمرار في ذلك إلى أجل غير مُحدد."

"الأجل غير المُحدّد هو أكثر مما أطلبه منك، حتى أنه أكثر مما أرغبه أنا."

"تعرفين تماما أن ما تطلبينه أمر مستحيل." قال الرجل الشاب كلمة الصفة الأخيرة بطريقة وكأنه أمر مفروغ منه، ما أثار حفيظتها.

سألت: "ألا يمكنك القيام بمحاولة مُكيّفة لتفي غرضا معيّنا؟ أنت قوي الشكيمة في كل شيء آخر تُقدم عليه؛ ما المانع أن تكون قويا في هذا المجال؟"

"محاولة مُكيّفة لتفي أي غرض؟ لا يمكنني محاولة القيام بأي شيء فيما يتعلّق بك، سوى حبّك بجنون. إذا كان المرء شخصا قوي الشكيمة، فلا يمكنه سوى أن يُحب بقوة وشغف."

"يوجد الكثير من الحقيقة في أقوالك هذه." وبالواقع شعرت سيدتنا الشابة بقوة ما يقول. شعرت برميه تلك الأقوال في فسيح الحقيقة والإحساس الشعري، كادت أن تكون طُعما لقدرتها المُبدعة. إلا أنها استعادت رباطة جأشها بحزم. "فكّر بي أو انسني، فالأمر يعود إليك؛ ولكن في كلا الحالتين اتركني وشأني."

"I can't reconcile myself to that," he simply said. There was a dangerous liberality about it; for she felt how open it was to him to make the point that he had not always disgusted her.

"I can't reconcile myself to it either, and it's not the state of things that ought to exist between us. If you'd only try to banish me from your mind for a few months we should be on good terms again."

"I see. If I should cease to think of you at all for a prescribed time, I should find I could keep it up indefinitely."

"Indefinitely is more than I ask. It's more even than I should like."

"You know that what you ask is impossible," said the young man, taking his adjective for granted in a manner she found irritating.

"Aren't you capable of making a calculated effort?" she demanded. "You're strong for everything else; why shouldn't you be strong for that?"

"An effort calculated for what?" And then as she hung fire, "I'm capable of nothing with regard to you," he went on, "but just of being infernally in love with you. If one's strong one loves only the more strongly."

"There's a good deal in that"; and indeed our young lady felt the force of it–felt it thrown off, into the vast of truth and poetry, as practically a bait to her imagination. But she promptly came round. "Think of me or not, as you find most possible; only leave me alone."

"Until when?"

"Well, for a year or two."

"Which do you mean? Between one year and two there's all the difference in the world."

"Call it two then," said Isabel with a studied effect of eagerness.

"And what shall I gain by that?" her friend asked with no sign of wincing.

"You'll have obliged me greatly."

"And what will be my reward?"

"Do you need a reward for an act of generosity?"

"Yes, when it involves a great sacrifice."

"There's no generosity without some sacrifice. Men don't understand such things. If you make the sacrifice you'll have all my admiration."

"I don't care a cent for your admiration–not one straw, with nothing to show for it. When will you marry me? That's the only question."

"Never–if you go on making me feel only as I feel at present."

"What do I gain then by not trying to make you feel otherwise?"

"You'll gain quite as much as by worrying me to death!" Caspar Goodwood bent his eyes again and gazed a while into the crown of his hat. A deep flush overspread his face; she could see her sharpness had at last penetrated. This immediately had a value–classic, romantic, redeeming, what

"إلى متى؟"

"لفترة سنة أو سنتين؟"

"أيهما تقصدين؟ فالفارق بين السنة والسنتين كبير جدا."

قالت إيزابيل، بلهفة مدروسة: "ستان إذن".

سأل رفيقها بدون أن يرفّ له جفن: "وماذا سأكسب نتيجة ذلك؟."

"ستكون تصرّفت معي بمنتهى اللطف والكرم."

"وماذا ستكون مكافأتي لقاء ذلك؟"

"هل ترغب بالحصول على جائزة لقاء عمل كريم؟"

"نعم، حين يتطلّب ذلك العمل تضحية كبيرة؟"

"لا وجود لعمل كريم بدون تضحية. الرجال لا يفهمون هذه الأمور. إذا أدّيت هذه التضحية، ستحوز على إعجابي الكامل."

"لا أكترث البتة بإعجابك بدون الحصول على دليل يُثبت ذلك. متى ستتزوجينني؟ هذا هو السؤال الوحيد؟"

"لن أتزوجك أبدا. إذا استمريت في جعلي أشعر بما أشعر به الآن."

"ماذا أكسب إذن في حال عدم محاولتي جعلك تشعرين خلاف ما تشعرين به الآن؟"

"ستكسب بقدر ما ستتسبب بإثارة قلقي الشديد!" خفض كاسبار غودوود عيناه ثانية وحدّق لفترة بأعلى قبعته. احمرّ وجهه وأدركت أن كلامها الحازم اخترق أخيرا أعماق مشاعره. شعرت فورا بأهمية وقيمة هذا الإنجاز. أكان إنجازا كلاسيكيا، رومانسيا، مُخلّصا، ما أدراها؟. بالنسبة لها،

"الرجل القوي يتألم" كان بالنسبة لها إحدى مزايا وسحر النفس البشرية. صاحت بصوت مرتجف: "لماذا تدفعني لتوجيه مثل هذا الكلام لك؟ كل ما أرغب به هو التصرف معك بلطف. أن أكون بغاية الرقّة. ليس بالأمر السار بالنسبة لي رؤية أشخاص يعبّرون عن حبهم لي، ومع هذا أضطر لإقناعهم بالعدول عن ذلك. أظن يجدر بالآخر كذلك مراعاة مشاعر الآخرين؛ كل منّا يحكم على تصرفاته. أعلم أنك تراعي مشاعر الآخرين بالقدر الذي يمكنك ذلك؛ تتصرّف على هذا النحو مدفوعا بأسباب وجيهة. ولكن فعلا لا أرغب بالزواج أو التحدّث عن هذا الموضوع في الوقت الحاضر إطلاقا. ربما لن أتزوج أبدا. لدي كامل الحق بأن أشعر ما أشعر به، كما أن الضغط على امرأة بهذه الطريقة الملحّة أمر لا تستسيغه النساء، حثّها للتصرّف عكس رغباتها وإرادتها. إذا تسبّبت لك بأي ألم، فانني آسفة جدا. لم أتعمّد ذلك، كل ما في الأمر لا يمكنني الزواج بك لمجرد إرضاءك. لا يمكنني الجزم بأنني سأحافظ على صداقتك مدى العمر، لأنه حين تقول النساء مثل هذا الكلام، وفي مثل هذه الظروف، أعتبر ذلك نوعا من السخرية. ولكن لا تتردّد بالاتصال بي في يوم من الأيام."

كانت عينا كاسبار غودوود طوال هذه المحاضرة مسمّرتان على اسم صانع قبّعته، وانقضت فترة ليست بالقصيرة حتى بعدما توقّفت عن الكلام، قبل أن يرفعهما ثانية. وحين فعل ذلك شعر بالارتباك حين شاهد لهفة جميلة ساحرة تغمر وجه إيزابيل، ما جعل عملية تحليله لكلامها ليس بالأمر السهل. قال أخيرا بنبرة ثقيلة: "سأعود إلى الوطن. سأسافر غدا. سأتركك وشأنك، ولكن يصعب عليّ جدا عدم رؤيتك ثانية!."

"لا تقلق، سأحسن التصرّف."

صرّح كاسبار غودوود قائلاً: "ستتزوجين شخصا آخر، إنني واثق من

did she know?–for her; "the strong man in pain" was one of the categories of the human appeal, little charm as he might exert in the given case. "Why do you make me say such things to you?" she cried in a trembling voice. "I only want to be gentle–to be thoroughly kind. It's not delightful to me to feel people care for me and yet to have to try and reason them out of it. I think others also ought to be considerate; we have each to judge for ourselves. I know you're considerate, as much as you can be; you've good reasons for what you do. But I really don't want to marry, or to talk about it at all now. I shall probably never do it–no, never. I've a perfect right to feel that way, and it's no kindness to a woman to press her so hard, to urge her against her will. If I give you pain I can only say I'm very sorry. It's not my fault; I can't marry you simply to please you. I won't say that I shall always remain your friend, because when women say that, in these situations, it passes, I believe, for a sort of mockery. But try me some day."

Caspar Goodwood, during this speech, had kept his eyes fixed upon the name of his hatter, and it was not until some time after she had ceased speaking that he raised them. When he did so the sight of a rosy, lovely eagerness in Isabel's face threw some confusion into his attempt to analyze her words. "I'll go home–I'll go to-morrow- I'll leave you alone," he brought out at last. "Only," he heavily said, "I hate to lose sight of you!"

"Never fear. I shall do no harm."

"You'll marry some one else, as sure as I sit here," Caspar Goodwood declared.

ذلك . "

"هل تظن أن هذه تهمة عادلة؟"

"ما الذي يمكنه ذلك؟ العديد من الرجال سيحاولون الفوز بك . "

"أخبرتك للتو أنني لا أرغب بالزواج، وأكاد أجزم أنني لن أفعل ابدا . "

"أعلم أنك فعلت، وتعجبني عبارتك "أكاد أجزم"! لا أثق بتعهداتك . "

"شكرا جزيلا، هل تتهمني بالكذب والمراوغة للتخلّص منك؟ يا لكلامك المرهف المراعي للذوق وأحاسيس الآخرين . "

"ما الذي يحول دون قولي مثل هذا الكلام؟ لم تعديني بشيء على الإطلاق . "

"لا، هذا ما لا يمكنني القيام به!"

"ربما حتى تصدقين فعلا أنك في مأمن ـ تتمنين ذلك من صميم قلبك . لكنك لست كذلك . " تابع الرجل الشاب كلامه، مهيّئاً نفسه لمواجهة الأسوأ .

"حسنا إذن . سنعتبر أنني لست في مأمن . كما تشاء . "

"ولكني لست متأكدا، ما إذا تتبّعي لما تقومين به من أعمال في حياتك سيكون كافيا لمنع حصول ما أخشاه . "

سألت فجأة مبدّلة نبرة صوتها : "حقا؟ إنني أشعر بخوف شديد منك . هل تظن أنه يسهُل إرضائي إلى هذه الدرجة؟"

"لا . لا أظن ذلك؛ سأحاول تعزية نفسي بهذه الحقيقة . ولكن هناك بعض الرجال الساحرين جدا في هذا العالم، لا شك في ذلك؛ وحتى لو كان هناك رجلا واحدا من ذلك الصنف من الرجال، فهذا كافٍ . أكثرهم

"Do you think that a generous charge?"

"Why not? Plenty of men will try to make you."

"I told you just now that I don't wish to marry and that I almost certainly never shall."

"I know you did, and I like your 'almost certainly'! I put no faith in what you say."

"Thank you very much. Do you accuse me of lying to shake you off? You say very delicate things."

"Why should I not say that? You've given me no pledge of anything at all."

"No, that's all that would be wanting!"

"You may perhaps even believe you're safe–from wishing to be. But you're not," the young man went on as if preparing himself for the worst.

"Very well then. We'll put it that I'm not safe. Have it as you please."

"I don't know, however," said Caspar Goodwood, "that my keeping you in sight would prevent it."

"Don't you indeed? I'm after all very much afraid of you. Do you think I'm so very easily pleased?" she asked suddenly, changing her tone.

"No–I don't; I shall try to console myself with that. But there are a certain number of very dazzling men in the world, no doubt; and if there were only one it would be

سحرا وتألقا سيحاول الفوز بك. إنني واثق سترفضين الارتباط برجل يفتقر إلى هذه الصفة."

قالت إيزابيل: "إذا كنت تقصد بالرجل الساحر، رجلا موهوبا مُتّقد الذكاء. ولا يمكنني تخيّل ما تقصده غير هذا. لا أحتاج إلى معونة رجل ذكي ليعلّمني كيف أعيش. يمكنني تبيّن ذلك بنفسي."

"تتبيّنين كيف تعيشين بمفردك؟ أتمنى حين تفعلين ذلك، أن تُعلّميني بذلك!"

نظرت إليه للحظة، قالت وهي تضحك: "أوه، يجدر بك الزواج بأسرع وقت!"

قد يُعذر لو أن هذا الهُتاف بدا له للحظة أشبه بالملاحظة الجهنّمية، كما لم يُكن واضحا تماما دافعها لتوجيه مثل تلك الملاحظة الساخرة. تمتم وهو يستدير مبتعدا عنها: "ليسامحك الله!."

شعرت أن أسلوب كلامها وضعها في موقع الملومة، وحاولت بعد لحظة تبرأة نفسها. وكانت الطريقة الأسهل لتحقيق ذلك هي إعادته للمكان الذي كانت فيه سابقا. قالت: "انت تظلمنني كثيرا. تقول أنك لا تعرف! لن أكون ضحية سهلة. لقد أثبتُّ ذلك."

"أوه، بالنسبة لي، لقد أثبت ذلك بامتياز."

قالت بعد لحظة صمت: "لقد أثبت ذلك لآخرين أيضا. لقد رفضت الأسبوع الماضي عرضا للزواج؛ ما يسمونه، بلا شك، عرضا مغريا جدا."

قال الرجل الشاب بجدّية: "إنني سعيد جدا لسماع ذلك."

"كان عرضا للزواج لا شك أن الغالبية العظمى من الفتيات لا

enough. The most dazzling of all will make straight for you. You'll be sure to take no one who isn't dazzling."

"If you mean by dazzling brilliantly clever," Isabel said– "and I can't imagine what else you mean–I don't need the aid of a clever man to teach me how to live. I can find it out for myself."

"Find out how to live alone? I wish that, when you have, you'd teach me!"

She looked at him a moment; then with a quick smile, "Oh, you ought to marry!" she said.

He might be pardoned if for an instant this exclamation seemed to him to sound the infernal note, and it is not on record that her motive for discharging such a shaft had been of the clearest. He oughtn't to stride about lean and hungry, however–she certainly felt that for him. "God forgive you!" he murmured between his teeth as he turned away.

Her accent had put her slightly in the wrong, and after a moment she felt the need to right herself. The easiest way to do it was to place him where she had been. "You do me great injustice–you say what you don't know!" she broke out. "I shouldn't be an easy victim–I've proved it."

"Oh, to me, perfectly."

"I've proved it to others as well." And she paused a moment. "I refused a proposal of marriage last week; what they call–no doubt- a dazzling one."

"I'm very glad to hear it," said the young man gravely.

"It was a proposal many girls would have accepted; it

يرفضنه؛ كان عرضا مميّزا فعلا. عُرض عليّ مركزا اجتماعيا بارزا وثروة طائلة. من شخص يستحوذ على إعجابي الشديد. " لم تكن إيزابيل راغبة في سرد ما حصل، ولكن تملّكها شعور عارم بصوابية كشفها لهذا الأمر بالإضافة لإنصاف وتبرير نفسها.

راقبها كاسبار باهتمام كبير. "هل هو إنجليزي الجنسية؟"

قالت إيزابيل: "إنه نبيل إنجليزي."

تلقّى زائرها هذا الإعلان بصمت بادئ الأمر. قال أخيرا: "إنني سعيد لخيبة أمله."

"حسنا، إستفد لأبعد حدّ من واقع مشاركتك البؤس مع رفيق آخر."

"لا أعتبره رفيقا لي." قال كاسبار بنبرة منقبضة.

"وما المانع في ذلك. خاصة وأنني رفضت عرضه للزواج؟"

"هذا الواقع لا يجعله رفيقي، إلى جانب هذا، فهو إنجليزي الجنسية."

سألت إيزابيل: "بالله عليك، ألا تعتبر الرجل الإنجليزي كائنا بشريا؟"

"أوه أولئك الناس لا ينتمون إلى الإنسانية التي أنتمي أنا إليها، كما لا أكترث البتة بما يحصل لهم."

قالت الفتاة: "أنت غاضب جدا، لقد ناقشنا هذه المسألة بما فيه الكفاية."

"أوه نعم، إنني غاضب جدا، أستمحيك عذرا بسبب ذلك!"

إستدارت مبتعدة عنه، وسارت نحو النافذة المشرّعة ووقفت للحظة تنظر إلى فراغ الشارع المعتم، حيث شكّل ضوء مرتعش منبعث من مصباح غاز الحيوية الاجتماعية الوحيدة. إنقضت فترة بدون أن يتكلم أي من هذين الشخصين الشابين؛ بقي كاسبار بالقرب من المستوقد ونظرات الكآبة

had everything to recommend it." Isabel had not proposed to herself to tell this story, but, now she had begun, the satisfaction of speaking it out and doing herself justice took possession of her. "I was offered a great position and a great fortune–by a person whom I like extremely."

Caspar watched her with intense interest. "Is he an Englishman?"

"He's an English nobleman," said Isabel.

Her visitor received this announcement at first in silence, but at last said: "I'm glad he's disappointed."

"Well then, as you have companions in misfortune, make the best of it."

"I don't call him a companion," said Caspar grimly.

"Why not–since I declined his offer absolutely?"

"That doesn't make him my companion. Besides, he's an Englishman."

"And pray isn't an Englishman a human being?" Isabel asked.

"Oh, those people? They're not of my humanity, and I don't care what becomes of them."

"You're very angry," said the girl. "We've discussed this matter quite enough."

"Oh yes, I'm very angry. I plead guilty to that!"

She turned away from him, walked to the open window and stood a moment looking into the dusky void of the street, where a turbid gaslight alone represented social animation. For some time neither of these young persons spoke; Caspar lingered near the chimney-piece with eyes

ظاهرة في عينيه. كانت قد طلبت منه عمليا مغادرة المكان. كان يدرك ذلك تماما؛ ولكن لم يفعل مخاطرا بجعل نفسه كريها بالنسبة لها. كانت حاجة هامة جدا بالنسبة له لا يمكن التخلّي عنها بسهولة، ولقد اجتاز المحيط بدون أن يتمكّن من انتزاع سوى وعد هزيل منها. ما لبثت أن تركت النافذة وعادت لتقف مواجهة له. "تعاملني بشيء من الإجحاف بعدما أخبرتك بما أخبرتك به للتو. إنني آسفة لذلك. نظرا لعدم اكتراثك بالأمر."

صاح الرجل الشاب: "آه، وكأنك كنتِ تفكرين بي حين فعلتِ ذلك!" وما لبث أن تريّث في حديثه خوفا من إمكانية إنكار مثل هذا الظنّ المُبهج.

قالت إيزابيل: "كنت أفكّر بك بعض الشيء."

"بعض الشيء؟ لا أفهم، إذا كنت تكترثين لما تعرفينه من عمق مشاعري تجاهك، فقولك أنك تفكرين بي "بعض الشيء" دليل ضعيف جدا لما تشعرين به.

هزّت إيزابيل رأسها وكأنها تُقر بارتكابها خطأ. "لقد رفضت أفضل وأنبل الرجال. فسّر ذلك كما يحلو لك."

قال كاسبار غودوود بنبرة رزينة: "أشكرك إذن، أشكرك جزيلا."

"والآن يُستحسن بك العودة إلى الوطن."

سأل: "ألا يمكنني رؤيتك ثانية؟"

"أظن من الأفضل ألا تفعل. فمن المؤكد ستعاود التحدّث بهذا الموضوع، وكما ترى فإنه لا يؤدي إلى أية نتيجة."

"أعدك بألّا أنطق بكلمة واحدة قد تثير إزعاجك."

فكّرت إيزابيل للحظة ومن ثم أجابت، "سأعود خلال يوم أو يومين إلى منزل زوج خالتي، ولا يمكنني دعوتك إلى هناك. سيكون ذلك أمراً غير لائقٍ البتة."

gloomily attached. She had virtually requested him to go–he knew that; but at the risk of making himself odious he kept his ground. She was too nursed a need to be easily renounced, and he had crossed the sea all to wring from her some scrap of a vow. Presently she left the window and stood again before him. "You do me very little justice–after my telling you what I told you just now. I'm sorry I told you–since it matters so little to you."

"Ah," cried the young man, "if you were thinking of me when you did it!" And then he paused with the fear that she might contradict so happy a thought.

"I was thinking of you a little," said Isabel.

"A little? I don't understand. If the knowledge of what I feel for you had any weight with you at all, calling it a 'little' is a poor account of it."

Isabel shook her head as if to carry off a blunder. "I've refused a most kind, noble gentleman. Make the most of that."

"I thank you then," said Caspar Goodwood gravely. "I thank you immensely."

"And now you had better go home."

"May I not see you again?" he asked.

"I think it's better not. You'll be sure to talk of this, and you see it leads to nothing."

"I promise you not to say a word that will annoy you."

Isabel reflected and then answered: "I return in a day or two to my uncle's, and I can't propose to you to come there. It would be too inconsistent."

فكّر كاسبار غودوود هو الآخر قبل أن يجيب. "يجب أن تنصيفني أنت أيضا. إستلمت قبل أسبوع دعوة لزيارة منزل زوج خالتك، ورفضتها."

ظهر عليها التعجّب. "مَن وجّه إليك الدعوة؟"

"السيد رالف توشيت، الذي أظنه يكون إبن خالتك. رفضتها لأنني لم أكن أملك موافقتك لقبولها. بدا لي كون الدعوة موجّهة لي من قِبَل السيد توشيت، وكأنها صادرة من الآنسة ستاكبول."

أضافت إيزابيل قائلة: "مما لا شك فيه أنها لم تصدر مني. لقد تجاوزت هنريتا حدودها إلى حد كبير."

"لا تقسي عليها كثيرا. لقد تأثرت فعلا بتلك الدعوة."

"لا، أحسنت صنعا برفضك قبولها، وأشكرك على ذلك." إرتجفت بعض الشيء رعبا من فكرة التقاء اللورد وربرتن والسيد غودوود في غاردينكورت: كان الوضع سيكون حرجا جدا بالنسبة للورد وربرتن.

سألها رفيقها: "إلى أين ستذهبين حين ستغادرين منزل زوج خالتك؟."

"سأسافر إلى الخارج برفقة خالتي إلى فلورنسا وأماكن أخرى."

شعر بقشعريرة تسري في قلبه من نبرة الهدوء التي اتسمت بها كلماتها الأخيرة: تراءت له تندفع منطلقة في عالم مُتعذّر عليه دخوله. بالرغم من ذلك لم يتردّد بطرح السؤال الذي كان يُشغل باله. "ومتى ستعودين إلى أميركا؟"

"ربما ليس لفترة طويلة. إنني سعيدة جدا هنا."

"أتنوين التخلّي عن وطنك؟"

Caspar Goodwood, on his side, considered. "You must do me justice too. I received an invitation to your uncle's more than a week ago, and I declined it."

She betrayed surprise. "From whom was your invitation?"

"From Mr. Ralph Touchett, whom I suppose to be your cousin. I declined it because I had not your authorization to accept it. The suggestion that Mr. Touchett should invite me appeared to have come from Miss Stackpole."

"It certainly never did from me. Henrietta really goes very far," Isabel added.

"Don't be too hard on her–that touches me."

"No; if you declined you did quite right, and I thank you for it." And she gave a little shudder of dismay at the thought that Lord Warburton and Mr. Goodwood might have met at Gardencourt: it would have been so awkward for Lord Warburton.

"When you leave your uncle where do you go?" her companion asked.

"I go abroad with my aunt–to Florence and other places."

The serenity of this announcement struck a chill to the young man's heart; he seemed to see her whirled away into circles from which he was inexorably excluded. Nevertheless he went on quickly with his questions. "And when shall you come back to America?"

"Perhaps not for a long time. I'm very happy here."

"Do you mean to give up your country?"

"Don't be an infant!"

"Well, you'll be out of my sight indeed!" said Caspar Goodwood.

"I don't know," she answered rather grandly. "The world–with all these places so arranged and so touching each other–comes to strike one as rather small."

"It's a sight too big for me!" Caspar exclaimed with a simplicity our young lady might have found touching if her face had not been set against concessions.

This attitude was part of a system, a theory, that she had lately embraced, and to be thorough she said after a moment: "Don't think me unkind if I say it's just that–being out of your sight–that I like. If you were in the same place I should feel you were watching me, and I don't like that–I like my liberty too much. If there's a thing in the world I'm fond of," she went on with a slight recurrence of grandeur, "it's my personal independence."

But whatever there might be of the too superior in this speech moved Caspar Goodwood's admiration; there was nothing he winced at in the large air of it. He had never supposed she hadn't wings and the need of beautiful free movements–he wasn't, with his own long arms and strides, afraid of any force in her. Isabel's words, if they had been meant to shock him, failed of the mark and only made him smile with the sense that here was common ground. "Who would wish less to curtail your liberty than I? What can give me greater pleasure than to see you perfectly independent–doing whatever you like? It's to make you independent that I want to marry you."

" لا تتصرّف كالأطفال! "

قال كاسبار غودوود: " ستكونين فعلا غائبة عن نظري! . "

أجابت بنبرة شبه متشامخة: " لا أعرف، العالم ـ بأمكانه العديدة المُنظّمة بالقرب من بعضها البعض يبدو لي أنه صغير إلى حد ما . "

" إنه مشهد ضخم بمنظوري أنا! " صاح كاسبار ببساطة كادت بطلتنا أن تجدها مؤثّرة، لو لم يكن وجهها مصمما على عدم التنازل قيد أنملة عن قرارها .

كان تصرفها ذاك جزءا من نظام، أو نظرية كانت قد تبنّتها مؤخرا، وحرصا منها على أن يبدو أنها بذلت غاية جهدها وعنايتها للإصغاء إليه، قالت بعد لحظة، تابعت قائلة وقد استعادت نبرة الشموخ في صوتها: " لا تظنني متحجّرة الشعور حين أقول، كوني بعيدة عن ناظريك، أنه وضع يروق لي . لو كنت في المكان ذاته، سأشعر بأنك تراقبني، وهذا أمر يُغيظني . أحب حريتي إلى درجة كبيرة . إذا كان هناك شيء في هذا العالم أعشقه فهو حريتي الشخصية . "

ولكن مهما كانت صبغة الترّفع التي اتّسمت بها محاضرتها تلك، فقد حرّكت لدى كاسبر غودوود نوعا من الإعجاب؛ لم يكن هناك أي شيء في شمولية كلامها ذاك يمكن أن يُجفله . لم يتصوّر أبدا أنها تفتقر إلى روح الحرية والحاجة للتحرّك المُتحرّر ـ لم يكن بقامته الطويلة يخشى أي قوة في داخلها . إذا كان القصد من كلام إيزابيل صدمه وإذهاله، فقد فشلت في تحقيق غايتها ولم تؤثر فيه سوى بجعله يبتسم إحساسا منه بوجود قاسم مشترك بينهما . " مَن يرغب بتقليص حُريّتك أكثر منّي؟ ماذا يمكن أن يُشعرني بسعادة أكبر من رؤيتك مُستقّلة بشكل كامل ـ ممارسة ما ترغبينه من الأعمال والنشاطات؟ الغاية من وراء رغبتي الزواج بك هو جعلك مستقلة . "

قالت الفتاة وهي تبتسم إبتسامة أكثر سحرا: "هذه مغالطة رائعة."

"المرأة العزباء ـ الفتاة في سنك ـ ليست مستقلة. هناك العديد من الأمور لا يمكنها القيام بها. إنها مُقيّدة في كل خطوة تخطوها."

"هذا صحيح حين تتفحّص هذه المسألة. أنا لست فتاة صغيرة. لدي حرية كاملة في اختيار ما أرغب القيام به. إنني أنتسب للطبقة المستقلّة. ليس لدي والد أو والدة، إنني فقيرة ولا أملك مهنة ذات شأن؛ لست جميلة، وبالتالي لستُ مُلزمة بأن أكون خجولة أو مُتمسّكة بالعُرف؛ بالواقع لا يمكنني تحمّل أعباء مثل هذه الكماليات. بالإضافة إلى ذلك، أحاول الحكم على الأمور بنفسي؛ أظن أن يُخطئ المرء في حكمه على الأمور لهو أكثر جدارة بالاحترام من ألّا يُقدم على الحكم على الأمور على الإطلاق. لا أرغب بأن أكون مجرّد نعجة في القطيع؛ أرغب باختيار قدري والاطّلاع قليلا على الأوضاع الإنسانية بما يتجاوز ما يُحدّده الناس على أنه متناغم مع اللياقة والآداب الاجتماعية." أجابت إيزابيل بكثير من الحماسة، ومن ثم توقّفت للحظة لم تكن كافية لإتاحة الفرصة لرفيقها بالإجابة. فقد كان على ما يبدو على وشك القيام بذلك حين تابعت قائلة، "دعني أقول لك شيئا، يا سيد غودوود. أشكرك على لطفك حين تقول أنك تخشى زواجي، فاذا سمعت إشاعة تفيد بأنني على وشك الزواج من أحدهم. الفتيات عادة عُرضة لمثل هذه الأقاويل. تذكّر ما قلته لك عن حبي للحرية ولا تتردّد بالشكّ في صحتها."

كان هناك شيء من الإيجابية المُتّقدة في نبرة صوتها حين أسدت له بهذه النصيحة، وشاهد صدقا مُضيئا في عينيها ما ساعده على تصديقها.

"That's a beautiful sophism," said the girl with a smile more beautiful still.

"An ummarried woman–a girl of your age–isn't independent. There are all sorts of things she can't do. She's hampered at every step."

"That's as she looks at the question," Isabel answered with much spirit. not in my first youth–I can do what I choose–I belong quite to the independent class. I've neither father nor mother; I'm poor and of a serious disposition; I'm not pretty. I therefore am not bound to be timid and conventional; indeed I can't afford such luxuries. Besides, I try to judge things for myself; to judge wrong, I think, is more honourable than not to judge at all. I don't wish to be a mere sheep in the flock; I wish to choose my fate and know something of human affairs beyond what other people think it compatible with propriety to tell me." She paused a moment, but not long enough for her companion to reply. He was apparently on the point of doing so when she went on: "Let me say this to you, Mr. Goodwood. You're so kind as to speak of being afraid of my marrying. If you should hear a rumour that I'm on the point of doing so–girls are liable to have such things said about them–remember what I have told you about my love of liberty and venture to doubt it."

There was something passionately positive in the tone in which she gave him this advice, and he saw a shining candour in her eyes that helped him to believe her. On the

شعر بشكل عام بطمأنينة كان يمكن تبيانها في الأسلوب الذي تحدث به حين قال وبحماسة ظاهرة، "كل ما ترغبين به هو السفر لفترة سنتين؟ لا مانع لديّ على الإطلاق الانتظار سنتين، ويمكنك القيام بما يحلو لك خلال هذه الفترة. بالله عليكِ، أكّدي لي إذا كان هذا كل ما تريدين القيام به. لا أريدك أن تتمسكّي بالعرف والتقاليد القديمة، هل أبدو لكِ شخصا مُتمسكا بالعُرف والتقاليد القديمة؟ أترغبين بتطوير ذهنك وأفكارك؟ إنها رائعة بالنسبة لي؛ ولكن إذا كنتِ تميلين للسفر لفترة قصيرة ومشاهدة بعض البلدان المختلفة، سيسعدني مساعدتك بكل ما أملك من إمكانيات."

"إنك كريم جدا، وهذا ليس بالأمر الجديد بالنسبة لي. الطريقة الأفضل لمساعدتي هي أن تضع أكبر قدر من مئات الأميال والبحار بيني وبينك."

قال كاسبار غودوود: "يكاد يظن المرء أنك على وشك ارتكاب عمل شنيع!"

"ربما سأفعل. أريد أن أكون حرّة لدرجة تُتيح لي القيام بما تقول إذا ما تملّكتني الرغبة بذلك."

قال ببطء: "حسنا، إذن. سأعود إلى الوطن." ثمّ مدّ لها يده مودّعا محاولا أن يبدو راضيا وواثقا من نفسه.

كانت ثقة إيزابيل به، من ناحية أخرى، أكبر بكثير من ثقته بها. هذا لا يعني اعتقاده بأنها قادرة على ارتكاب عمل شنيع؛ لكن كيفما قلّب الوضع، كان هناك شيء منذر بسوء بالأسلوب الذي أصرت به على الاحتفاظ بخياراتها. شعرت باحترام كبير وهي تصافحه؛ أدركت مدى حبه لها، معتبرة إياه رجلا شهما سمِح التفكير. وقفا هكذا للحظة، ينظران إلى بعضهما البعض، مُتّحدان بمصافحة لم تكن خامدة من جهتها. قالت هي

whole he felt reassured, and you might have perceived it by the manner in which he said, quite eagerly: "You want simply to travel for two years? I'm quite willing to wait two years, and you may do what you like in the interval. If that's all you want, pray say so. I don't want you to be conventional; do I strike you as conventional myself? Do you want to improve your mind? Your mind's quite good enough for me; but if it interests you to wander about a while and see different countries I shall be delighted to help you in any way in my power."

"You're very generous; that's nothing new to me. The best way to help me will be to put as many hundred miles of sea between us as possible."

"One would think you were going to commit some atrocity!" said Caspar Goodwood.

"Perhaps I am. I wish to be free even to do that if the fancy takes me."

"Well then," he said slowly, "I'll go home." And he put out his hand, trying to look contented and confident.

Isabel's confidence in him, however, was greater than any he could feel in her. Not that he thought her capable of committing an atrocity; but, turn it over as he would, there was something ominous in the way she reserved her option. As she took his hand she felt a great respect for him; she knew how much he cared for her and she thought him magnanimous. They stood so for a moment, looking at each other, united by a hand-clasp which was not merely passive

بلطف كاد أن يكون ودّا: "هذا صحيح، لن تخسر شيئا بالتصرف كرجل عاقل."

أجاب بتجهّم مُميّز: "ولكنني سأعود، أينما كنتِ، بعد سنتين من الآن."

رأينا أن سيدتنا الشابة كانت غير منطقية، وتأكيدا لذلك بدّلت على نحو مفاجئ نبرة صوتها. "تذكّر لم أعدك بشيء. لم أعدك بشيء على الإطلاق!"

أضافت قائلة بنبرة أكثر لطفا، وكأنها تساعده على تركها: "وتذكّر أيضا بأنني لن أكون ضحية سهلة."

"ستشعرين بملل شديد من استقلاليتك."

"ربما سأفعل؛ حتى أنه أمر مُحتمل جدا. عندها سأكون سعيدة جدا برؤيتك."

كانت قد وضعت يدها على مِسكة الباب المؤدي إلى غرفتها، وانتظرت لحظة لترى ما إذا سيغادر ضيفها. إلا أنه بدا مُسمّرا في مكانه، غير قادر على التحرّك. كان ما زال هناك الكثير من العناد في موقفه واحتجاج مؤلم في عينيه. قالت إيزابيل: "يجب أن أتركك الآن،" ثمّ فتحت الباب وعبرت إلى الغرفة الأخرى.

كانت تلك الغرفة مظلمة، إلا أن ذلك الظلام كان مُلطّفا بشعاع باهت مُتسلّل عبر النافذة من ساحة الفندق، وكان بإمكان إيزابيل تمييز قطع الأثاث، تألق المرآة الخافت وضخامة السرير العالي القوائم. وقفت ساكنة للحظة، تُصغي، وأخيرا سمعت خطوات كاسبار غودوود وهو يخرج من غرفة الإستقبال ويقفل الباب وراءه. بقيت واقفة بسكون لفترة قصيرة، ومن ثم بدافع لا يُقاوم، جَثت على ركبتيها بالقرب من سريرها وخبّأت وجهها بين ذراعيها.

on her side. "That's right," she said very kindly, almost tenderly. "You'll lose nothing by being a reasonable man."

"But I'll come back, wherever you are, two years hence," he returned with characteristic grimness.

We have seen that our young lady was inconsequent, and at this she suddenly changed her note. "Ah, remember, I promise nothing- absolutely nothing!" Then more softly, as if to help him to leave her:

"And remember too that I shall not be an easy victim!"

"You'll get very sick of your independence."

"Perhaps I shall; it's even very probable. When that day comes I shall be very glad to see you."

She had laid her hand on the knob of the door that led into her room, and she waited a moment to see whether her visitor would not take his departure. But he appeared unable to move; there was still an immense unwillingness in his attitude and a sore remonstrance in his eyes. "I must leave you now," said Isabel; and she opened the door and passed into the other room.

This apartment was dark, but the darkness was tempered by a vague radiance sent up through the window from the court of the hotel, and Isabel could make out the masses of the furniture, the dim shining of the mirror and the looming of the big four-posted bed. She stood still a moment, listening, and at last she heard Caspar Goodwood walk out of the sitting-room and close the door behind him. She stood still a little longer, and then, by an irresistible impulse, dropped on her knees before her bed and hid her face in her arms.

Chapter Seventeen

She was not praying; she was trembling–trembling all over. Vibration was easy to her, was in fact too constant with her, and she found herself now humming like a smitten harp. She only asked, however, to put on the cover, to case herself again in brown holland, but she wished to resist her excitement, and the attitude of devotion, which she kept for some time, seemed to help her to be still. She intensely rejoiced that Caspar Goodwood was gone; there was something in having thus got rid of him that was like the payment, for a stamped receipt, of some debt too long on her mind. As she felt the glad relief she bowed her head a little lower; the sense was there, throbbing in her heart; it was part of her emotion, but it was a thing to be ashamed of–it was profane and out of place.

It was not for some ten minutes that she rose from her knees, and even when she came back to the sitting-room her tremor had not quite subsided. It had had, verily, two causes: part of it was to be accounted for by her long discussion with Mr. Goodwood, but it might be feared that the rest was simply the enjoyment she found in the exercise of her power. She sat down in the same chair again and took up her book, but without going through the form of opening the volume. She leaned back, with that low, soft, aspiring murmur with which she often uttered her response to accidents of which the brighter side was not superficially obvious, and yielded to the satisfaction of having refused two ardent suitors in a fortnight. That love of liberty of

الفصل السابع عشر

لم تكن تُصلّي؛ بل كانت ترتجف. ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها. كانت الاهتزازات سهلة بالنسبة لها، بالواقع كانت حالة منتظمة معها إلى حد بعيد، ووجدت نفسها الآن تدمدم أشبه بالقيثار المُتيّم. كانت كل ما تطلبه مع ذلك، التدثّر ثانية بالقماش القطني الهولندي البنّي اللون، إلا أنها تاقت لمقاومة الإثارة التي كانت تشعر بها، ووضعها الجسماني المُتعبّد الذي بقيت فيه لبعض الوقت، بدا وكأنه ساعدها لتستكين. شعرت بسعادة عارمة بذهاب كاسبار غودوود؛ كان هناك شيء في إدراكها أنها تخلّصت منه أشبه بدفع إيصال مختوم، عن دين أثقل كاهلها لفترة طويلة. أخفضت رأسها قليلا مع شعورها بالارتياح المُبهج؛ كان ذلك الإحساس موجودا فيها، يرتعش داخل قلبها؛ كان جزءا من عاطفتها، إلا أنه كان شيئا يدعو للخجل. كان نجسا وفي غير محلّه.

إنقضت حوالي العشر دقائق قبل أن تنهض من جثمتها، وحتى حين عادت إلى غرفة الجلوس، لم يكن ارتجافها قد خمد كلّيا. بالواقع كان وضعها هذا عائداً لسببين؛ الأول حديثها الطويل مع السيد غودوود، وكان يُخشى أن يكون السبب الثاني مجرّد غبطتها لقدرتها الآن على ممارسة قوتها. جلست ثانية في المقعد ذاته وتناولت كتابها، ولكن بدون أن تتجشّم عناء فتحه. اتكأت إلى الوراء، مع ذلك الهمس الخفيض الناعم الذي طالما صاحب استجابتها لمناسبات حيث الجانب المُفرح منها ما يزال غير واضح المعالم، واستسلمت للإرضاء الذاتي كونها رفضت خلال فترة لا تتعدّى الأسبوعين، طلبي زواج من رجلين مُتّقدي العاطفة تجاهها. كان ذلك عشق الحرية الذي تجرأت وقدّمت لكاسبار غودوود صورة عنه مجرّد

نظرية في ذهنها؛ لم تتمكّن حتى الآن من إطلاق العنان له على نطاق واسع. ولكن بدا لها أنها أنجزت شيئا؛ لقد تذوّقت طعم البهجة، إذا لم يكن طعم المعركة، فعلى الأقلّ كان طعم النصر؛ فعلت ما هو أكثر مثالية لخطتها. فرضت صورة السيد غودوود نفسها بقوة في ذهنها وقد شابها بعض التوبيخ، وسط توهّج ذلك الإدراك، وهو يعود حزينا إلى موطنه عبر شوارع المدينة الداكنة؛ بحيث، حين فُتح باب الغرفة في تلك اللحظة، نهضت من مكانها خوفاً من أنه عاد ثانية. ولكن لم يكن ذاك سوى هنريتا ستاكبول عائدة من عشائها.

لحظت الآنسة ستاكبول أن سيدتنا الشابة قد "حصل معها" أمر ما، وفي الواقع لم يحتج اكتشافها ذاك إلى كثير من القدرة على التمييز والفهم. توجهت مباشرة إلى صديقتها التي استقبلتها بدون تحيّتها. تفترض ضمنا بهجة إيزابيل بنجاحها في إقناع كاسبار غودوود بالعودة إلى أميركا، بأنها ستكون سعيدة بعودته ليراها؛ إلا أنها في الوقت ذاته تذكّرت تماما بأن هنريتا تجاوزت الحدود في نصب شرك لها. سألت الأخيرة بلهفة: "هل جاء لزيارتك، يا عزيزتي؟."

أشاحت إيزابيل بوجهها عنها، ولم تجب لبضع دقائق. قالت أخيرا: "أخطأت التصرّف جدا."

"تصرّفت لما فيه الأفضل. كل ما أتمناه أنك تصرّفت بشكل لائق كذلك."

صرّحت إيزابيل قائلة: "أنتِ لست الحَكم. لا يمكنني الوثوق بك."

كان ذلك تصريحا جلفا، إلا أن هنريتا كانت أبعد ما تكون عن الأنانية لتبالي بتلك التهمة؛ فكان جُلّ اهتمامها منصبّا على نتائجه في ما يتعلق

which she had given Caspar Goodwood so bold a sketch was as yet almost exclusively theoretic; she had not been able to indulge it on a large scale. But it appeared to her she had done something; she had tasted of the delight, if not of battle, at least of victory; she had done what was truest to her plan. In the glow of this consciousness the image of Mr. Goodwood taking his sad walk homeward through the dingy town presented itself with a certain reproachful force; so that, as at the same moment the door of the room was opened, she rose with an apprehension that he had come back. But it was only Henrietta Stackpole returning from her dinner.

Miss Stackpole immediately saw that our young lady had been "through" something, and indeed the discovery demanded no great penetration. She went straight up to her friend, who received her without a greeting. Isabel's elation in having sent Caspar Goodwood back to America presupposed her being in a manner glad he had come to see her; but at the same time she perfectly remembered Henrietta had had no right to set a trap for her. "Has he been here, dear?" the latter yearningly asked.

Isabel turned away and for some moments answered nothing. "You acted very wrongly," she declared at last.

"I acted for the best. I only hope you acted as well."

"You're not the judge. I can't trust you," said Isabel.

This declaration was unflattering, but Henrietta was much too unselfish to heed the charge it conveyed; she cared only for what it intimated with regard to her friend. "Isabel Archer," she observed with equal abruptness and solemnity,

بصديقتها. علّقت قائلة بنبرة جافة وجدّية: "إيزابيل أرتشير، إذا ما قررت الزواج بأحد هؤلاء الأشخاص، فلن أكلّمك ثانية أبدا!."

"الأفضل لك انتظار تقدّم أحدهم لطلب يدي، قبل إقدامك على توجيه مثل هذا التحذير المرعب." أجابت إيزابيل. نظرا لأنها لم تنطق بكلمة واحدة للآنسة ستاكبول عن عرض اللورد وربرتون، لم يكن لديها أي دافع على الإطلاق لتبرير نفسها أمام هنريتا بمصارحتها أنها رفضت ذلك النبيل الإنجليزي.

"أوه، ستنهال عليك عروض الزواج حالما تطأ قدماك البلاد الأوروبية. حصلت آن كلايمبر على ثلاثة عروض للزواج خلال وجودها في إيطاليا. آن كلايمبر تلك الفتاة المسكينة البسيطة."

"حسنا، إذا ما نجحت آن كلايمبر في الإفلات منهم، فما المانع من نجاحي أنا أيضا في هذا المضمار؟"

"لا أظن أنه كان هناك إلحاح شديد في قِبَل الراغبين بالزواج من آني، خلافا لما سيحصل معك."

"أعتبر ذلك إقناع مُطرٍ." قالت إيزابيل ببرودة.

صاحت صديقتها: "لا أحاول إطراءكِ، يا إيزابيل، إنني أقول لك الحقيقة! أرجو ألّا تكوني تقصدين بكلامك أنك أعطيت السيد غودوود آمالا كاذبة."

"لا أفهم لماذا يجب عليّ إعلامك بأي شيء؛ فكما قلت لك للتو، لا يمكنني الوثوق بك. ولكن بما أنكِ تُبدين كل هذا الاهتمام بالسيد غودوود فلن أخفي عليك بأنه عائد فورا إلى أميركا."

سألت هنريتا بنبرة أقرب إلى الزعيق: "ألا تقصدين بقولك أنكِ رفضته؟"

"if you marry one of these people I'll never speak to you again!"

"Before making so terrible a threat you had better wait till I'm asked," Isabel replied. Never having said a word to Miss Stackpole about Lord Warburton's overtures, she had now no impulse whatever to justify herself to Henrietta by telling her that she had refused that nobleman.

"Oh, you'll be asked quick enough, once you get off on the Continent. Annie Climber was asked three times in Italy–poor plain little Annie."

"Well, if Annie Climber wasn't captured why should I be?"

"I don't believe Annie was pressed; but you'll be."

"That's a flattering conviction," said Isabel without alarm.

"I don't flatter you, Isabel, I tell you the truth!" cried her friend. "I hope you don't mean to tell me that you didn't give Mr. Goodwood some hope."

"I don't see why I should tell you anything; as I said to you just now, I can't trust you. But since you're so much interested in Mr. Goodwood I won't conceal from you that he returns immediately to America."

"You don't mean to say you've sent him off?" Henrietta almost shrieked.

"طلبت منه تركي وشأني، وأطلب منك فعل الشيء نفسه." انتابت الآنسة ستاكبول موجة عارمة من الذهول، ومن ثم سارت نحو المرآة المُثبّتة فوق المستوقد ونزعت قلنسوتها عن رأسها.

تابعت إيزابيل قائلة: "أرجو أن تكوني استمتعتِ بعشائك."

ولكن رفيقتها لم تكن بوارد التلهّي بمواضيع تافهة. "هل تدركين إلى أين أنتِ ذاهبة، يا إيزابيل أرتشير؟"

قالت إيزابيل بعبث مُعاند: "في هذه اللحظة، إنني ذاهبة إلى سريري."

"أتعرفين إلى أين تنجرفين؟" واصلت هنريتا استجوابها، وهي ممسكة بعناية فائقة قلنسوتها بيدها.

"لا، ليس عندي أدنى فكرة عن هذا الموضوع، وأجد أن عدم معرفة ذلك لهو أمر مُبهج جدا. عربة مسرعة تنطلق في ظلام الليل تجرها أربع جياد تُقعقع فوق طرقات لا يمكن للمرء رؤيتها. هذا هو تصوّري عن السعادة."

قالت الآنسة ستاكبول: "مما لا ريب فيه أن السيد غودوود لم يُعلّمك قول أمور كهذه ـ أشبه ببطلة رواية فاسقة. إنكِ تنجرفين باتجاه إرتكاب خطأ جسيم."

شعرت إيزابيل بالانزعاج من تطفّل صديقتها، ولكن بالرغم من هذا جهدت لاستبيان صدق أو صحة عبارة صديقتها الأخيرة. لكنها في النهاية لم تتمكّن من التفكير بشيء يحول دون قولها، "لا بد وأن تُعزّيني كثيرا يا هنريتا، للقبول بالتصرف بهذا الأسلوب العدواني."

قالت الآنسة ستاكبول بتأثر: "إني أعزّك فعلا يا إيزابيل."

"حسنا، إذا كنتِ تُعزّيني بهذه الحرارة، فاتركيني وشأني بالحرارة

"I asked him to leave me alone; and I ask you the same, Henrietta." Miss Stackpole glittered for an instant with dismay and then passed to the mirror over the chimney-piece and took off her bonnet. "I hope you've enjoyed your dinner," Isabel went on.

But her companion was not to be diverted by frivolous propositions. "Do you know where you're going, Isabel Archer?"

"Just now I'm going to bed," said Isabel with persistent frivolity.

"Do you know where you're drifting?" Henrietta pursued, holding out her bonnet delicately.

"No, I haven't the least idea, and I find it very pleasant not to know. A swift carriage, of a dark night, rattling with four horses over roads that one can't see–that's my idea of happiness."

"Mr. Goodwood certainly didn't teach you to say such things as that- like the heroine of an immoral novel," said Miss Stackpole. "You're drifting to some great mistake."

Isabel was irritated by her friend's interference, yet she still tried to think what truth this declaration could represent. She could think of nothing that diverted her from saying: "You must be very fond of me, Henrietta, to be willing to be so aggressive."

"I love you intensely, Isabel," said Miss Stackpole with feeling.

"Well, if you love me intensely let me as intensely alone.

ذاتها. هذا ما طلبته من السيد غودوود، وأجد نفسي مضطّرة لطلب الأمر ذاته منك."

"احرصي على عدم البقاء وحيدة فترة طويلة."

"هذا ما قاله لي السيد غودوود، أجبته أنّه يجب عليّ المخاطرة بهذا الأمر."

صاحت هنريتا: "إنك إنسانة مجبولة على المخاطرات. تجعلينني أرتجف خوفا! متى سيعود السيد غودوود إلى أميركا؟"

"لا أعرف. لم يُعلمني بذلك."

قالت هنريتا بنبرة ساخرة: "ربما لم تتكبّدي عناء سؤاله."

"لم أتح له مجالا ليشعر أن لي الحق بطرح مثل هذا النوع من الأسئلة عليه."

شعرت الآنسة ستاكبول للحظة، أن هذا التوكيد يصطبغ بصبغة دعوة متحدّية للرد عليه، لكنها لم تفعل شيئا في نهاية الأمر سوى الصياح قائلة، "حسنا، إيزابيل، لولا معرفتي الجيدة بك، لكان يمكنني الاعتقاد بأنك إنسانة متحجّرة القلب!"

"احذري، كيلا تُفسدي شخصيتي بإطرائك المُفرط لي."

أضافت الآنسة ستاكبول قائلة: "أخشى أنني فعلت ذلك فعلا. أتمنى على الأقل، أن يعبر المحيط برفقة آن كلايمبر!"

عرفت إيزابيل في اليوم التالي بأن الآنسة ستاكبول مصرّة على عدم العودة إلى غاردينكورت (حيث وعدها السيد توشيت الكبير باستضافتها مجددا)، وتفضّل البقاء في لندن بانتظار استلام الدعوة التي وعدها بها السيد بانتلنغ من شقيقته اللايدي بانسيل. سردت الآنسة ستاكبول بكل حرّية حديثها مع صديق رالف توشيت الأنيس، وأعلنت لإيزابيل أنها تعتقد

I asked that of Mr. Goodwood, and I must also ask it of you."

"Take care you're not let alone too much."

"That's what Mr. Goodwood said to me. I told him I must take the risks."

"You're a creature of risks–you make me shudder!" cried Henrietta. "When does Mr. Goodwood return to America?"

"I don't know–he didn't tell me."

"Perhaps you didn't enquire," said Henrietta with the note of righteous irony.

"I gave him too little satisfaction to have the right to ask questions of him."

This assertion seemed to Miss Stackpole for a moment to bid defiance to comment; but at last she exclaimed: "Well, Isabel, if I didn't know you I might think you were heartless!"

"Take care," said Isabel; "you're spoiling me."

"I'm afraid I've done that already. I hope, at least," Miss Stackpole added, "that he may cross with Annie Climber!"

Isabel learned from her the next morning that she had determined not to return to Gardencourt where old Mr. Touchett had promised her a renewed welcomè, but to await in London the arrival of the invitation that Mr. Bantling had promised her from his sister Lady Pensil. Miss Stackpole related very freely her conversation with Ralph

فعلا أنها أخيرا عثرت على شيء يمكن أن يؤدي لأشياء أخرى. وفيما يتعلق باستلام رسالة اللايدي بانسيل. فالسيد بانتلينغ ضمن عمليا وصول ذلك المُستند. ستغادر فورا إلى بيدفوردشاير، وإذا اهتمت إيزابيل بالتعرّف على انطباعتها، فمن المؤكد أنها ستجدها مدوّنة بكاملها في الانتيرفيور. وما لا شك فيه أن هنريتا ستتمكّن أخيرا من رؤية بعض معالم الحياة الداخلية الإنجليزية.

سألت إيزابيل، مُقلّدة نبرة صديقتها التي تكلمت بها الليلة الفائتة: "هل تعرفين إلى أين تنجرفين، يا هنريتا ستاكبول؟"

"إنني أنجرف نحو تبوُّء مركز رائع. ألا وهو ملكة الصحافة الأميركية. إذا لم يجري نسخ تقريري في كافة أرجاء الغرب الأميركي، سأبتلع ممحاتي!"

رتّبت مع صديقتها آني كلايمبر، الفتاة الشابة التي حظيت بعدد من عروض الزواج الأوروبية الطابع، بأن تذهبا معا لشراء الأغراض التي تُشكّل وداع الآنسة كلايمبر للجزء النصفي من الكرة الأرضية حيث حظيت بالإعجاب والتقدير؛ وهكذا ذهبت إلى شارع جرمين لملاقاة رفيقتها. أعلِن عن وصول رالف توشيت إلى الفندق عقب مغادرة الآنسة ستاكبول بفترة قصيرة، وما أن دخل الغرفة، حتى تبيّن لإيزابيل أن أمراً يُشغل باله. سرعان ما صارح ابنة خالته بما يقلق باله. لقد استلم من والدته تلغرافا يُفيد بأن حالة والده الصحية تدهورت بشكل مفاجئ وعاودته نوبات مرضه القديم، وأن والدته قلقة للغاية وتتوسّل إليه العودة فورا إلى غاردينكورت. بدا واضحا أنه في هذه المناسبة على الأقل، ولع السيدة توشيت بالأسلاك الكهربائية والتلغرافات ليس عُرضة للانتقاد.

قال رالف: "أظن أفضل ما يمكن عمله، الإتصال أولا بالمرجع

Touchett's sociable friend and declared to Isabel that she really believed she had now got hold of something that would lead to something. On the receipt of Lady Pensil's letter–Mr. Bantling had virtually guaranteed the arrival of this document–she would immediately depart for Bedfordshire, and if Isabel cared to look out for her impressions in the Interviewer she would certainly find them. Henrietta was evidently going to see something of the inner life this time.

"Do you know where you're drifting, Henrietta Stackpole?" Isabel asked, imitating the tone in which her friend had spoken the night before.

"I'm drifting to a big position–that of the Queen of American Journalism. If my next letter isn't copied all over the West I'll swallow my pen-wiper!"

She had arranged with her friend Miss Annie Climber, the young lady of the continental offers, that they should go together to make those purchases which were to constitute Miss Climber's farewell to a hemisphere in which she at least had been appreciated; and she presently repaired to Jermyn Street to pick up her companion. Shortly after her departure Ralph Touchett was announced, and as soon as he came in Isabel saw he had something on his mind. He very soon took his cousin into his confidence. He had received from his mother a telegram to the effect that his father had had a sharp attack of his old malady, that she was much alarmed and that she begged he would instantly return to Gardencourt. On this occasion at least Mrs. Touchett's devotion to the electric wire was not open to criticism.

"I've judged it best to see the great doctor, Sir Matthew

Hope, first," Ralph said; "by great good luck he's in town. He's to see me at half-past twelve, and I shall make sure of his coming down to Gardencourt–which he will do the more readily as he has already seen my father several times, both there and in London. There's an express at two-forty-five, which I shall take; and you'll come back with me or remain here a few days longer, exactly as you prefer."

"I shall certainly go with you," Isabel returned. "I don't suppose I can be of any use to my uncle, but if he's ill I shall like to be near him."

"I think you're fond of him," said Ralph with a certain shy pleasure in his face. "You appreciate him, which all the world hasn't done. The quality's too fine."

"I quite adore him," Isabel after a moment said.

"That's very well. After his son he's your greatest admirer."

She welcomed this assurance, but she gave secretly a small sigh of relief at the thought that Mr. Touchett was one of those admirers who couldn't propose to marry her. This, however, was not what she spoke; she went on to inform Ralph that there were other reasons for her not remaining in London. She was tired of it and wished to leave it; and then Henrietta was going away–going to stay in Bedfordshire.

"In Bedfordshire?"

"With Lady Pensil, the sister of Mr. Bantling, who has answered for an invitation."

Ralph was feeling anxious, but at this he broke into a laugh. Suddenly, none the less, his gravity returned.

العلمي، الطبيب السير ماثيو هوب، ومن حسن الحظّ أنه موجود في المدينة. سيقابلني في الساعة الثانية عشرة والنصف، وسأعمل على تأكيد مجيئه إلى غاردينكورت. وهو سيفعل ذلك بكل طيبة خاطر، خاصة وأنه سبق له معاينة والدي مرات عديدية، هناك وفي لندن. سأستقلّ قطار الساعة الثالثة إلا ربعا، يمكنك المجيء معي أو البقاء هنا لبضعة أيام إضافية، القرار يعود إليك بالكامل."

أجابت إيزابيل: "طبعا سأذهب معك، لا أظن وجودي سيكون ذو فائدة لزوج خالتي ولكن إذا كان مريضا، فاني أرغب بأن أكون إلى جانبه."

"أظن أنك تُكنين له محبة خاصة، أنت تُقدّرينه، وهو أمر فشل العالم بأكمله بأن يفعله. إنه ذو خامة غاية في الرقّة." قال رالف بنبرة يشوبها شي من الخجل المُبتهج.

قالت إيزابيل بعد لحظة: "إنني أعبده فعلا."

"أمر رائع، فبعد إبنه، هو من أشد المُعجبين بك."

رحّبت بذلك التأكيد، إلا أنها أطلقت سرّا تنهيدة ارتياح من فكرة أن السيد توشيت كان من أولئك المعجبين الذين لا يمكنهم التقدّم بطلب الزواج منها. لكن لم يكن هذا ما تحدثت به إلى رالف، إذ تابعت تقول توجد أسباب أخرى لرغبتها عدم البقاء في لندن. لقد ملّت منها وترغب مغادرتها؛ أضف إلى ذلك هنريتا ستسافر. ستذهب للإقامة في بيدفوردشاير.

"الإقامة في بيدفوردشاير؟"

"بضيافة اللايدي بانسيل، شقيقة السيد بانتلينغ، التي رحّبت بتوجيه دعوة لها."

كان رالف مضطربا للغاية، ولكنه انفجر ضاحكا عند سماعه هذا النبأ.

إلا أنه سرعان ما عاد إلى تجهّمه. "بانتليغ رجل جريء، ولكن ماذا لو فُقِدت الرسالة قبل أن تستلمها صديقتك؟"

"ظننت أن الخدمة البريدية البريطانة لا يُعلى عليها."

قال رالف بنبرة أكثر إشراقا: "أحيانا يُخطئ الحمام الزاجل خلافا لبانتلينغ الذي لا يُخطئ أبدا، فمهما حدث، سيهتم بهنريتا على أكمل وجه."

ذهب رالف لمقابلة السير ماثيو هوب في الموعد المُحدّد، بينما انهمكت إيزابيل في إجراءات مغادرة فندق براتس. كان لانتكاسة زوج خالتها أثر كبير في نفسها، فبينما وقفت تُحدّق بصندوق ثيابها المفتوح، وتنظر حولها بشكل مُبهم في الأغراض التي ترغب بتوضيبها، لم تشعر إلا والدموع تنهمر من عينيها. ربما ذلك هو سبب تأخرها عند عودة رالف في الساعة الثانية لاصطحابها إلى المحطة. لكنه وجد الآنسة ستاكبول في غرفة الجلوس، حيث كانت انتهت للتو من تناول وجبة غدائها، التي أسرعت للتعبير له عن أسفها لمرض والده.

"إنه رجل مسن جليل ومخلص حتى النهاية، إذا كانت هذه هي النهاية، اعذر إشارتي هذه، ولكن لا بد وأنك فكّرت كثيرا في ذلك الاحتمال. آسفة لأنني لن أكون في غاردينكورت."

"ستستمتعين بوقتك أكثر وأنت في بيدفوردشاير."

قالت هنريتا بلياقة مميّزة: "سأشعر بالأسف للاستمتاع بوقتي في مثل هذه الظروف الصعبة."

أضافت هنريتا بشكل تلقائي: "كنت أرغب كثيرا بإحياء ذكرى المشهد الأخير."

قال رالف ببساطة: "من المحتمل أن يعيش والدي فترة طويلة."

"Bantling's a man of courage. But if the invitation should get lost on the way?"

"I thought the British post-office was impeccable."

"The good Homer sometimes nods," said Ralph. "However," he went on more brightly, "the good Bantling never does, and, whatever happens, he'll take care of Henrietta."

Ralph went to keep his appointment with Sir Matthew Hope, and Isabel made her arrangements for quitting Pratt's Hotel. Her uncle's danger touched her nearly, and while she stood before her open trunk, looking about her vaguely for what she should put into it, the tears suddenly rose to her eyes. It was perhaps for this reason that when Ralph came back at two o'clock to take her to the station she was not yet ready. He found Miss Stackpole, however, in the sitting-room, where she had just risen from her luncheon, and this lady immediately expressed her regret at his father's illness.

"He's a grand old man," she said; "he's faithful to the last. If it's really to be the last - pardon my alluding to it, but you must often have thought of the possibility - I'm sorry that I shall not be at Gardencourt."

"You'll amuse yourself much more in Bedfordshire."

"I shall be sorry to amuse myself at such a time," said Henrietta with much propriety. But she immediately added: "I should like so to commemorate the closing scene."

"My father may live a long time," said Ralph simply.

ومن ثم رغبة منها في الانتقال إلى مواضيع أقل كآبة، سأل الآنسة ستاكبول عن مشاريعها بالنسبة لمستقبلها.

تعاطت إيزابيل الآن مع رالف بأسلوب متسامح جدا، نظرا للظروف الصعبة التي يمرّ بها وأكدت له امتنانها العميق لتعريفها على السيد بانتلنغ. قالت: "أطلعني بالضبط على الأمور التي كنت أتشوّق لمعرفتها، كافة أخبار المجتمع وكل ما يتعلّق بالعائلة المالكة. علما أنه لا يمكنني الجزم بأن ما أخبرني عن العائلة المالكة يمكن اعتباره موضع فخر لهم؛ إلا أنه يقول هذه نظرتي الغريبة الأطوار للأمور. بالواقع، كل ما أريده منه هو تزويدي بالحقائق، إذ لا أحتاج لوقت طويل لجمعها وتركيبها معا، إذا ما حصلت عليها." ومن ثم أضافت أن السيد بانتلنغ رجل في منتهى اللطف لدرجة أنه وعدها بان يمرّ عليها ليأخذها بنزهة بعد ظهر ذلك اليوم.

تجرأ رالف على السؤال: "إلى أين يأخذكِ بنزهة؟"

"إل قصر باكنغهام. سيصطحبني بجولة في أرجاء المكان، كي أكوّن فكرة واضحة عن نمط عيشهم."

"إننا نتركك في أيدٍ أمينة. لن أتفاجأ بسماعي قريبا جدا بأنك مدعوّة إلى قصر وندسور."

قالت هنريتا: "طبعا سألبّي الدعوة إذا ما دعوني إلى هناك. لا أخاف شيئا، ما إن أنطلق بعملي. ولكن بالرغم من كل ذلك، لا أشعر بالرضى. إنني قلقة بشأن إيزابيل."

"ما جُنحتها الأخيرة؟"

"أخبرتك سابقا، ولا أظن في الأمر سوء إذا ما استطردت بالتفاصيل. إنني دائما أنجز مطلق موضوع أبدأ به. كان السيد غودوود ضيفا هنا الليلة الماضية."

Then, adverting to topics more cheerful, he interrogated Miss Stackpole as to her own future.

Now that Ralph was in trouble she addressed him in a tone of larger allowance and told him that she was much indebted to him for having made her acquainted with Mr. Bantling. "He has told me just the things I want to know," she said; "all the society-items and all about the royal family. I can't make out that what he tells me about the royal family is much to their credit; but he says that's only my peculiar way of looking at it. Well, all I want is that he should give me the facts; I can put them together quick enough, once I've got them." And she added that Mr. Bantling had been so good as to promise to come and take her out that afternoon.

"To take you where?" Ralph ventured to enquire.

"To Buckingham Palace. He's going to show me over it, so that I may get some idea how they live."

"Ah," said Ralph, "we leave you in good hands. The first thing we shall hear is that you're invited to Windsor Castle."

"If they ask me, I shall certainly go. Once I get started I'm not afraid. But for all that," Henrietta added in a moment, "I'm not satisfied; I'm not at peace about Isabel."

"What is her last misdemeanour?"

"Well, I've told you before, and I suppose there's no harm in my going on. I always finish a subject that I take up. Mr. Goodwood was here last night."

جحظت عينا رالف، حتى أنه احمرّ بعض الشيء. كان احمراره دلالة على انفعال حادّ بعض الشيء. تذكّر أن إيزابيل، خلال فراقهما الأخير في ميدان ونتشيستر، كانت أنكرت أن سبب تركها له هو انتظارها قدوم ضيف إلى فندق براتس، وشعر بألم جديد لشكّه في صدقيتها. ولكن من ناحية ثانية، سرعان ما قال بينه وبين نفسه، ما الأهمية بالنسبة له إذا كانت ستلتقي بحبيب لها؟ ألم تعمد الفتيات الشابات على مرّ العصور إلى التستّر على هذا النوع من اللقاءات؟ أجاب رالف الآنسة ستاكبول بدبلوماسية يُحسد عليها. "كنت لأظن ذلك، على ضوء ما أخبرتني به قبل بضعة أيام، لا شك أن مثل هذا الأمر يُرضيك تماما."

"بأنه جاء لمقابلتها؟ كان ذلك أمرا حسنا، علما أنه كان نتيجة مكيدة صغيرة من تدبيري. أعلمته بأننا في لندن، وحين جرى ترتيب تناول طعام العشاء خارج الفندق، أرسلت له رسالة صغيرة، وكان أملي أن يجدها بمفردها. جاء وقابلها فعلا، ولكن ربما كان الأفضل له لو لم يأتِ."

"هل كانت إيزابيل قاسية معه؟" ـ وشعّ وجه رالف من ارتياحه لتأكده بأن ابنة خالته كانت صادقة معه.

"لا أعلم بالضبط ما دار بينهما من حديث، لكنه لم يحصل منها على أي تعهّد بل طلبت منه العودة إلى أميركا."

قال رالف متنهّدا: "مسكين السيد غودوود!"

تابعت هنريتا قائلة: "كانت رغبتها الوحية على ما يبدو، التخلّص منه."

كرّر رالف القول: "مسكين السيد غودوود!" لا بد من الإقرار أن

Ralph opened his eyes; he even blushed a little–his blush being the sign of an emotion somewhat acute. He remembered that Isabel, in separating from him in Winchester Square, had repudiated his suggestion that her motive in doing so was the expectation of a visitor at Prates Hotel, and it was a new pang to him to have to suspect her of duplicity. On the other hand, he quickly said to himself, what concern was it of his that she should have made an appointment with a lover? Had it not been thought graceful in every age that young ladies should make a mystery of such appointments? Ralph gave Miss Stackpole a diplomatic answer. "I should have thought that, with the views you expressed to me the other day, this would satisfy you perfectly."

"That he should come to see her? That was very well, as far as it went. It was a little plot of mine; I let him know that we were in London, and when it had been arranged that I should spend the evening out I sent him a word–the word we just utter to the 'wise.' I hoped he would find her alone; I won't pretend I didn't hope that you'd be out of the way. He came to see her, but he might as well have stayed away."

"Isabel was cruel?" - and Ralph's face lighted with the relief of his cousin's not having shown duplicity.

"I don't exactly know what passed between them. But she gave him no satisfaction - she sent him back to America."

"Poor Mr. Goodwood!" Ralph sighed.

"Her only idea seems to be to get rid of him," Henrietta went on.

"Poor Mr. Goodwood!" Ralph repeated. The exclamation, it must be confessed, was automatic; it failed exactly to

هُتافه هذا كان تلقائيا؛ لم يكن على الإطلاق تعبيرا حقيقيا عن أفكاره، التي اتخذت منحى آخر.

"لا تقل هذا وكأنك فعلا تتألم لوضعه، لا أظن أنك تكترث فعلا لما يُعانيه".

"لا تنسي أنني لم أتعرّف شخصيا على ذلك الرجل الشاب المثير الذي لم ألتقِ أبدا."

"حسنا، سألتقي به أنا وسأنصحه بعدم الاستسلام. لو لم أكن واثقة من تبديل إيزابيل لموقفها، سأقر بعجزي، أقصد القول بأنني سأتخلى عنها!"

express his thoughts, which were taking another line.

"You don't say that as if you felt it. I don't believe you care."

"Ah," said Ralph, "you must remember that I don't know this interesting young man - that I've never seen him."

"Well, I shall see him, and I shall tell him not to give up. If I didn't believe Isabel would come round," Miss Stackpole added - "well, I'd give up myself. I mean I'd give her up!"

Chapter Eighteen

It had occurred to Ralph that, in the conditions, Isabel's parting with her friend might be of a slightly embarrassed nature, and he went down to the door of the hotel in advance of his cousin, who, after a slight delay, followed with the traces of an unaccepted remonstrance, as he thought, in her eyes. The two made the journey to Gardencourt in almost unbroken silence, and the servant who met them at the station had no better news to give them of Mr. Touchett–a fact which caused Ralph to congratulate himself afresh on Sir Matthew Hope's having promised to come down in the five o'clock train and spend the night. Mrs. Touchett, he learned, on reaching home, had been constantly with the old man and was with him at that moment; and this fact made Ralph say to himself that, after all, what his mother wanted was just easy occasion. The finer natures were those that shone at the larger times.

Isabel went to her own room, noting throughout the house that perceptible hush which precedes a crisis. At the end of an hour, however, she came downstairs in search of her aunt, whom she wished to ask about Mr. Touchett. She went into the library, but Mrs. Touchett was not there, and as the weather, which had been damp and chill, was now altogether spoiled, it was not probable she had gone for her usual walk in the grounds. Isabel was on the point of ringing to send a question to her room, when this purpose quickly yielded to an unexpected sound–the sound of low music proceeding apparently from the saloon. She knew her aunt never touched the piano, and the musician was therefore probably Ralph,

الفصل الثامن عشر

اعتبر رالف أنه نظرا للظروف، قد يكون وداع إيزابيل لرفيقتها مُتسما بشيء من الخجل، وعليه آثر النزول إلى مدخل الفندق قبل ابنة خالته، التي عقب تأخر طفيف تبعته وآثار احتجاج غير مقبول، كما بدا له، ظاهر في نظراتها. التزم كل منهما طوال مسافة الرحلة إلى غاردينكورت، صمتا كاد أن يكون كاملا، ولم يكن لدى الخادم الذي استقبلهما عند المحطة، أخبارا مُطمئنة للسيد توشيت. الأمر الذي دفع رالف بالشعور بالارتياح مجدّدا من الوعد الذي قدّمه له السير ماثيو هوب، بأنه سيستقلّ قطار الساعة الخامسة لتمضية تلك الليلة بقرب السيد توشيت الكبير. كما عَلِم لدى وصوله إلى المنزل، أن السيدة توشيت لم تفارق غرفة الرجل المسن، وأنها موجودة هناك الآن؛ ما دفعه للتفكير بينه وبين نفسه، أن ما تريده والدته، رغم كل شيء، هو الوضع المريح. الطبائع الأسمى تتألق في الأوقات الصعبة.

توجهت إيزابيل مباشرة إلى غرفتها، ملاحظة السكون العميق الذي يسبق وقوع الأزمات الصعبة، مُخيّم على المنزل. غادرت غرفتها ونزلت إلى الطابق السفلي بعد حوالي الساعة، لرؤية خالتها والاطمئنان على حالة السيد توشيت. دخلت غرفة المكتبة، لكنها لم تجد السيدة توشيت هناك، ونظرا لأن الطقس الذي كان رطبا وباردا طوال ذلك النهار قد ازداد سوءاً، فلم يكن من المتوقع أن تكون ذهبت في نزهتها اليومية المعتادة في أرجاء الحديقة. كانت إيزابيل على وشك أن تقرع الجرس لإرسال الخادمة إلى غرفة السيدة توشيت، حين تناهى إلى مسامعها صوت غير متوقّع؛ صوت موسيقى خافتة منبعث من غرفة الاستقبال. كانت تعلم أن خالتها لا تُتقن

who played for his own amusement. That he should have resorted to this recreation at the present time indicated apparently that his anxiety about his father had been relieved; so that the girl took her way, almost with restored cheer, toward the source of the harmony. The drawing-room at Gardencourt was an apartment of great distances, and, as the piano was placed at the end of it furthest removed from the door at which she entered, her arrival was not noticed by the person seated before the instrument. This person was neither Ralph nor his mother; it was a lady whom Isabel immediately saw to be a stranger to herself, though her back was presented to the door. This back–an ample and well-dressed one–Isabel viewed for some moments with surprise. The lady was of course a visitor who had arrived during her absence and who had not been mentioned by either of the servants–one of them her aunt's maid–of whom she had had speech since her return. Isabel had already learned, however, with what treasures of reserve the function of receiving orders may be accompanied, and she was particularly conscious of having been treated with dryness by her aunt's maid, through whose hands she had slipped perhaps a little too mistrustfully and with an effect of plumage but the more lustrous. The advent of a guest was in itself far from disconcerting; she had not yet divested herself of a young faith that each new acquaintance would exert some momentous influence on her life. By the time she had made these reflexions she became aware that the lady at the piano played remarkably well. She was playing something of Schubert's–Isabel knew not what, but recognized Schubert–and she touched the piano with a discretion of her own. It showed skill, it showed feeling; Isabel sat down noiselessly on

أبدا العزف على البيانو، وبالتالي فالموسيقي الذي يعزف تلك الألحان أغلب الظن، هو رالف. اعتبرت أن التجاءه الآن لمثل هذا النوع من التسلية، لهو دلالة على ما يبدو أن قلقه على والده قد تراجع بعض الشيء؛ وهكذا دخلت الفتاة الغرفة، بأسلوب مرح. كانت غرفة الاستقبال في غاردينكورت فسيحة جدا، ونظرا لأن موقع البيانو كان عند الجانب الأبعد من الباب الذي دخلت منه، لم يلحظ دخولها الشخص الجالس عند البيانو. لم يكن ذلك الشخص رالف أو والدته؛ بل كان سيدة تبيّن لإيزابيل على الفور أنها غريبة عنها، علما أن ظهرها كان مواجها لباب الغرفة. كان ذلك الظهر لاحظت إيزابيل بدهشة شخصاً عريضا وأنيق الملبس. كانت تلك السيدة طبعا، ضيفة وصلت خلال فترة غيابها عن المنزل لم يأتِ على ذكرها أي من الخدم، بما في ذلك خادمة خالتها التي تحدّثت معها عند عودتها إلى المنزل. كانت إيزابيل قد تعلّمت مدى التحفّظ الذي يُصاحب تلقي الأوامر، وقد شعرت بشكل خاص، بالأسلوب الجاف الذي تعاملها به خادمة خالتها. كان وصول ضيفة بحد ذاته أمرا مربكا، إذا لم تكن حتى ذلك الوقت قد جرّدت نفسها من ثقة فتيّة بأن كل شخص جديد تتعرّف عليه سيكون له تأثير هام جدا على حياتها. بالوقت الذي تكوّنت لديها تلك الأفكار، كانت قد أدركت أن السيدة عازفة ماهرة جدا. كانت تعزف إحدى مقاطع شوبيرت الموسيقية. لم تتمكّن إيزابيل من معرفة اسم تلك المقطوعة، إلا أنها أدركت على الفور أنها تعود إلى شوبيرت، وأن السيدة تلمس البيانو بأسلوب مميّز خاص بها. أسلوب مُتّسم بالمهارة والإحساس؛ جلست إيزابيل على أقرب كرسي بدون أن تُحدث صوتا وانتظرت حتى الإنتهاء من عزف تلك المقطوعة الموسيقية بكاملها. شعرت

عند نهايتها برغبة قوية لشكر العازفة، ونهضت من مكانها لتفعل ذلك، بينما في اللحظة ذاتها، استدارت السيدة الغريبة بسرعة، وكأنها أدركت للتو وجودها في الغرفة.

"إنها مقطوعة رائعة الجمال، وعزفك لها يزيدها جمالا،" قالت إيزابيل بكل الاندفاع الفتي الذي تعبّر به عادة عن إعجاب صادق.

أجابت العازفة بأسلوب رقيق للغاية كما يتلاءم مع الإطراء الذي سمعته: "ألا تظنين إذن أنني تسبّبت بإزعاج السيد توشيت؟ المنزل واسع جدا وغرفته بعيدة جدا، ما دفعني للتجرّؤ على العزف، خاصة وأنني عزفت بشكل خافت جدا وبأطراف أصابعي."

قالت إيزابيل بينها وبين نفسها: "إنها فرنسية تنطق هذه الكلمات وكأنها فرنسية الجنسية." أضاف هذا الافتراض عاملا آخر لجعل ضيفتنا شخصا مثيرا جدا لبطلتنا الحالمة. " أضافت إيزابيل قائلة: أتمنى أن يكون وضع زوج خالتي قد تحسّن، إذ أعتقد أن سماعه مثل هذا النوع من الموسيقى الساحرة سيكون عاملا مساعدا لتحسّن حالته."

إبتمست السيدة ووضّحت. "أخشى أن هناك لحظات في الحياة، لا يمكن حتى لشوبيرت قول شيء لنا. ولكن لا بد لنا من الإقرار، أنها أسوأ فترات حياتنا."

قالت إيزابيل: "يبدو أنني لست في مثل هذا الوضع الآن، بل على العكس، سيسعدني جدا لو تواصلين العزف لبعض الوقت."

"إذا كان هذا الأمر سيبهجك، فبكل سرور." وأخذت هذه الإنسانة الكريمة مكانها ثانية بقرب البيانو وبدأت تعزف، بينما جلست إيزابيل في مقعد قريب من البيانو. توقفت القادمة الجديدة عن العزف بشكل فجائي، واستدارت نصف استدارة في مكانها وهي تنظر إلى إيزابيل عبر كتفها.

the nearest chair and waited till the end of the piece. When it was finished she felt a strong desire to thank the player, and rose from her seat to do so, while at the same time the stranger turned quickly round, as if but just aware of her presence.

"That's very beautiful, and your playing makes it more beautiful still," said Isabel with all the young radiance with which she usually uttered a truthful rapture.

"You don't think I disturbed Mr. Touchett then?" the musician answered as sweetly as this compliment deserved. "The house is so large and his room so far away that I thought I might venture, especially as I played just–just du bout des doigts."

"She's a Frenchwoman," Isabel said to herself; "she says that as if she were French." And this supposition made the visitor more interesting to our speculative heroine. "I hope my uncle's doing well," Isabel added. "I should think that to hear such lovely music as that would really make him feel better."

The lady smiled and discriminated. "I'm afraid there are moments in life when even Schubert has nothing to say to us. We must admit, however, that they are our worst."

"I'm not in that state now then," said Isabel. "On the contrary I should be so glad if you would play something more."

"If it will give you pleasure–delighted." And this obliging person took her place again and struck a few chords, while Isabel sat down nearer the instrument. Suddenly the new-comer stopped with her hands on the

كانت في الأربعين من عمرها وغير جميلة، إلا أنها كانت ذات جاذبية خاصة. قالت: "المعذرة، ولكن هل أنت ابنة الأخت ـ الفتاة الشابة الأميركية؟"

أجابت إيزابيل ببساطة: "إنني ابنة شقيقة خالتي."

بقيت السيدة الجالسة إلى جانب البيانو في جلستها الساكنة بضع دقائق وهي تنظر إلى إيزابيل عبر كتفها بنوع من الاهتمام، "هذا أمر حسن جدا، فنحن من نفس البلد." ومن ثم عاودت العزف ثانية.

دمدمت إيزابيل: "إذن هي ليست فرنسية،" ونظرا لأن الافتراض المعاكس أصبغ عليها سِمة الرومانسية، بدا وكأن هذا البوح سيُشكل نوعا من الانحدار بالنسبة لمكانتها عند إيزابيل. ولكن الواقع كان غير ذلك تماما، فكونها أمريكية بدا بالنسبة لإيزابيل أمرا أكثر إثارة وغموضا من كونها فرنسية.

تابعت السيدة عزفها كما فعلت سابقا، بذات الأسلوب الناعم والرزين؛ مع ازدياد عُمق الظِلال داخل الغرفة. تجمّعت حُمرة غسق الخريف، وكان بإمكان إيزابيل رؤية المطر في الخارج وهي جالسة في مقعدها، الذي ازداد حدّة الآن، غامرا المخطرة الباردة والرياح الشديدة تهزّ الأشجار الضخمة. اقتربت رفيقتها منها أخيرا وهي تبتسم، بعدما توقفت الموسيقى وحتى قبل أن يتسنى لإيزابيل شكرها ثانية. قالت: "إنني سعيدة جدا بعودتك؛ لقد سمعت عنك الكثير."

بالرغم من اعتبار إيزابيل هذه المرأة على قدر كبير من الجاذبية، إلا أنها أجابت بشيء من الفظاظة على هذا التعليق. "مَن أخبركِ عني؟"

تردّدت المرأة الغريبة للحظة واحدة لا أكثر. أجابت: "زوج خالتك أخبرني عنك. لقد مضى على وجودي هنا ثلاثة أيام، وقد سمح لي في

keys, half-turning and looking over her shoulder. She was forty years old and not pretty, though her expression charmed. "Pardon me," she said; "but are you the niece–the young American?"

"I'm my aunt's niece," Isabel replied with simplicity.

The lady at the piano sat still a moment longer, casting her air of interest over her shoulder. "That's very well; we're compatriots." And then she began to play.

"Ah then she's not French," Isabel murmured; and as the opposite supposition had made her romantic it might have seemed that this revelation would have marked a drop. But such was not the fact; rarer even than to be French seemed it to be American on such interesting terms.

The lady played in the same manner as before, softly and solemnly, and while she played the shadows deepened in the room. The autumn twilight gathered in, and from her place Isabel could see the rain, which had now begun in earnest, washing the cold-looking lawn and the wind shaking the great trees. At last, when the music had ceased, her companion got up and, coming nearer with a smile, before Isabel had time to thank her again, said: "I'm very glad you've come back; I've heard a great deal about you."

Isabel thought her a very attractive person, but nevertheless spoke with a certain abruptness in reply to this speech. "From whom have you heard about me?"

The stranger hesitated a single moment and then, "From your uncle," she answered. "I've been here three days, and

the first day he let me come and pay him a visit in his room. Then he talked constantly of you."

"As you didn't know me that must rather have bored you."

"It made me want to know you. All the more that since then–your aunt being so much with Mr. Touchett–I've been quite alone and have got rather tired of my own society. I've not chosen a good moment for my visit."

A servant had come in with lamps and was presently followed by another bearing the tea-tray. On the appearance of this repast Mrs. Touchett had apparently been notified, for she now arrived and addressed herself to the tea-pot. Her greeting to her niece did not differ materially from her manner of raising the lid of this receptacle in order to glance at the contents: in neither act was it becoming to make a show of avidity. Questioned about her husband she was unable to say he was better; but the local doctor was with him, and much light was expected from this gentleman's consultation with Sir Matthew Hope.

"I suppose you two ladies have made acquaintance," she pursued. "If you haven't I recommend you to do so; for so long as we continue–Ralph and I–to cluster about Mr. Touchett's bed you're not likely to have much society but each other."

"I know nothing about you but that you're a great musician," Isabel said to the visitor.

"There's a good deal more than that to know," Mrs. Touchett affirmed in her little dry tone.

اليوم الأول زيارته في غرفته، حيث لم يتوقّف عن الحديث عنك. . '

'ونظرا لعدم معرفتك بي، لا بد أن مثل هذا الحديث قد بعث الملل في نفسك. '

'بل جعلني أرغب بالتعرّف عليك، خاصة وأنه منذ ذلك اليوم - بسبب وجود خالتك بشكل دائم مع السيد توشيت - كنت بمفردي معظم الأوقات وقد شعرت ببعض الملل من ذلك. لم أختر وقتا ملائما لزيارتي. '

دخل أحد الخدم حاملا القناديل، وما لبث أن تبعه آخر بصينية الشاي. بدا أن السيدة توشيت أعلِمَت بحلول وقت تناول الشاي، إذ ظهرت الآن وركّزت كامل اهتمامها على إبريق الشاي. لم تختلف تحيتها لابنة شقيقتها عن روتينية عملية رفعها غطاء الابريق لتفحّص محتوياته: ففي كلتي العمليتن لم يكن من اللائق إظهار الكثير من الشره. وحين سُئِلَت عن زوجها، أجابت لا يمكنها القول أنه تحسّن، ولكن الطبيب المحلي معه الان، ومن المتوقع معرفة الوضع بتفاصيله من ذلك السيد النبيل على ضوء تشاوره مع السير ماثيو هوب.

تابعت السيدة توشيت قائلة: 'أظن أيتها السيدتان أنكما قد تعرّفتما على بعضكما، إذا لم تفعلا حتى الآن، أنصحكما بالقيام بذلك؛ إذ طالما نحن، أنا ورالف، مضطرين للبقاء بالقرب من سرير السيد توشيت، فمن غير المحتمل أن يكون لديكما رفقة سوى بعضكما البعض. '

قالت إيزابيل موجّهة حديثها للضيفة: 'لا أعرف شيئاً عنك، سوى أنكِ عازفة رائعة. '

أكّدت السيدة توشيت بنبرتها الجافة: 'يوجد الكثير لمعرفته، إلى جانب هذه الحقيقة. '

صاحت السيدة بضحكة خفيفة: "إنني متأكدة أن القليل منه فقط سيحوز على اهتمام الآنسة أرتشير! ."

"إنني صديقة قديمة لخالتك، وقد عشت فترة لا بأس بها في فلورنسا. أنا مدام ميرل." نطقت بذلك الاسم وكأنها تُشير إلى شخصية معروفة بارزة، ولكن ذلك الاسم لم يعنِ الكثير بالنسبة لإيزابيل، إلا أنها لم تُبدِّل رأيها بأن السيدة ميرل شخصية مثيرة للغاية قلّما التقت بمثلها.

قالت السيدة توشيت: "إنها ليست أجنبية، بالرغم من اسمها. لقد وُلِدَت. لا يمكنني أبدا تذكّر مكان ولادتك."

"إذن يمكن القول أنه بالكادْ يستحق أن أقوله لك."

قالت السيدة توشيت: "على العكس تماما، أذكر أنك أخبرتني أنه مكان ليس بذات أهمية."

نظرت مدام ميرل إلى إيزابيل ضاحكة. "ولدت تحت ظل الراية الوطنية."

قالت السيدة توشيت: "إنها مولعة بالألغاز، وهذه هي نقيصتها الكبرى."

صاحت مدام ميرل قائلة: "أوه، لدي عيوب كثيرة، ولكني لا أظن أن هذه واحدة منها، مما لا شك فيه أنها ليست أكبرها. جئت إلى هذا العالم في ميدان تابع للبحرية الأمريكية في بروكلين. كان والدي ضابطا كبيرا في سلاح البحرية الأميركية، ويشغل منصبا ـ منصبا هاما في تلك المؤسسة في ذلك الوقت. يُفترض بي أن أكون مولعة بالبحر، ولكنني أمقته. لهذا السبب لا أرفض العودة إلى أميركا. إني أحب الأرض؛ الأمر الأهم هو أن

"A very little of it, I am sure, will content Miss Archer!" the lady exclaimed with a light laugh.

"I'm an old friend of your aunt's. I've lived much in Florence. I'm Madame Merle." She made this last announcement as if she were referring to a person of tolerably distinct identity. For Isabel, however, it represented little; she could only continue to feel that Madame Merle had as charming a manner as any she had ever encountered.

"She's not a foreigner in spite of her name," said Mrs. Touchett. "She was born–I always forget where you were born."

"It's hardly worth while then I should tell you."

"On the contrary," said Mrs. Touchett, who rarely missed a logical point; "if I remembered your telling me would be quite superfluous."

Madame Merle glanced at Isabel with a sort of world-wide smile, a thing that over-reached frontiers. "I was born under the shadow of the national banner."

"She's too fond of mystery," said Mrs. Touchett; "that's her great fault."

"Ah," exclaimed Madame Merle, "I've great faults, but I don't think that's one of them; it certainly isn't the greatest. I came into the world in the Brooklyn navy-yard. My father was a high officer in the United States Navy, and had a post–a post of responsibility–in that establishment at the time. I suppose I ought to love the sea, but I hate it. That's why I don't return to America. I love the land; the great

تحبي شيئا. »

لم تتأثر إيزابيل، كونها شاهدة هادئة، بعُنف وصف السيدة توشيت لزائرتها، ذات الوجه المُعبّر، والصريح والسريع الاستجابة، الأبعد ما يكون بنظر إيزابيل، الإيحاء بنزعة كتومة. كان وجهها ينم عن طبيعة واسعة، وحركة سريعة ومتحرّرة، وبالرغم من افتقاره للجمال المُتناسق، إلا أنه كان في منتهى الجاذبية والرُفق. كانت مدام ميرل امرأة طويلة القامة، حسنة المظهر سلسة الكلام؛ كان كل ما فيها ممتلئ وبدين ولكن بدون أن يصاحب ذلك إيحاء بالبلادة أو بطء الحركة. كانت قسمات وجهها غليظة ولكنها متناسقة بشكل تام، وبشرتها صافية تضجّ بالحيوية والصحة. كانت عيناها الرماديتان صغيرتان لكنهما تشعّان بالحياة والذكاء. عاجزتان، وفق بعض الأقاويل. حتى عن البكاء؛ وفم ممتلئ ينجذب إلى الأعلى حين تضحك، بشكل اعتبره معظم الناس أمرا غريبا، واعتبره البعض الآخر مؤثراً جدا بينما اعتبرته قلّة من الناس لبقا جدا. كانت إيزابيل تميل لتصنيف نفسها من الفئة الأخيرة. كان لمدام ميرل شعر كثيف أشقر، ذو تسريحة «كلاسيكية»، أشبه بتمثال نصفي، فكّرت إيزابيل، أقرب إلى تمثال جونو أو نيوبي؛ ويدان بيضاوتان كبيرتان ذات شكل متناغم بالغ حد الكمال لدرجة أن صاحبتهما فضّلت عدم تزيينهما، وبالتالي لم ترتدِ أي نوع من الخواتم. ظنّت إيزابيل بادئ الأمر، كما رأينا، أن تلك المرأة فرنسية الجنسية، ولكن التفحّص الدقيق يمكن أن يُصنّفها امرأة ألمانية، ألمانية من الطبقة الراقية، ربما نمساوية، أو بارونة، أو كونتسة، أو أميرة. ما كان أحد ليظن إطلاقا أنها جاءت إلى هذا العالم في بروكلين. علما أن المرء، لا شك، ما كان بمقدوره بسهولة تامة إثبات أن طباعها المُتميّزة تلك تتعارض مع هكذا ولادة. صحيح أن الراية الوطنية كانت تُرفرف مباشرة

thing is to love something."

Isabel, as a dispassionate witness, had not been struck with the force of Mrs. Touchett's characterization of her visitor, who had an expressive, communicative, responsive face, by no means of the sort which, to Isabel's mind, suggested a secretive disposition. It was a face that told of an amplitude of nature and of quick and free motions and, though it had no regular beauty, was in the highest degree engaging and attaching. Madame Merle was a tall, fair, smooth woman; everything in her person was round and replete, though without those accumulations which suggest heaviness. Her features were thick but in perfect proportion and harmony, and her complexion had a healthy clearness. Her grey eyes were small but full of light and incapable of stupidity–incapable, according to some people, even of tears; she had a liberal, full-rimmed mouth which when she smiled drew itself upward to the left side in a manner that most people thought very odd, some very affected and a few very graceful. Isabel inclined to range herself in the last category. Madame Merle had thick, fair hair, arranged somehow "classically" and as if she were a Bust, Isabel judged–a Juno or a Niobe; and large white hands, of a perfect shape, a shape so perfect that their possessor, preferring to leave them unadorned, wore no jewelled rings. Isabel had taken her at first, as we have seen, for a Frenchwoman; but extended observation might have ranked her as a German–a German of high degree, perhaps an Austrian, a baroness, a countess, a princess. It would never have been supposed she had come into the world in Brooklyn–though one could doubtless not have carried through any argument that the air of distinction marking her in so eminent

فوق مهدها، وأن حرية راية النجوم والأشرطة المُنسّمة يمكن أن تكون أثرت في نمط السلوك الذي اتخذته في الحياة. ولكن بالرغم من هذا، لم يكن لديها على الإطلاق أي نوع من الاهتياج والارتباك في شخصيتها؛ كان تصرّفها وأسلوبها في مخاطبة الآخرين مجبولا بالهدوء والثقة التي تأتي من تجربة كبيرة. إلا أن التجربة لم تخمد صباها، بل جعلتها ودّية ومطواعة. كانت باختصار، امرأة ذات نزوات عنيفة مُلجمة بشكل مثير للإعجاب. كان ذلك الأمر، بحد ذاته، جديراً بالإعجاب والثناء بالنسبة لإيزابل التي اعتبرته مزيجا مثاليا.

تكوّنت هذه الأفكار والإنطباعات لدى الفتاة خلال تناول السيدات الثلاث الشاي، ولكن وصول ذلك الطبيب الذائع الصيت قادما من لندن قطع ذلك الطقس، والذي أدخل على الفور إلى غرفة الإستقبال. أسرعت السيدة توشيت للتحدّث معه على انفراد في المكتبة؛ ومن ثم افترقت مدام ميريل وإيزابيل، على أمل الالتقاء ثانية عند العشاء. ساهمت فكرة رؤية المزيد من هذه المرأة المثيرة كثيرا في تخفيف مشاعر الأسى لدى إيزابيل والمُخيمة الآن في أرجاء غاردينكورت.

وجدت المكان شاغرا لدى دخولها غرفة الاستقبال قبل موعد العشاء ولكن خلال لحظة وصل رالف. كان قلقه على والده قد خفّ بعض الشيء فقد كانت وجهة نظر السير ماثيو هوب فيما يتعلق بحالة السيد توشيت الكبير أقل كآبة من وجهة نظره هو. نصح الطبيب بوجوب بقاء الممرضة فقط مع الرجل المسن خلى الساعات الثلاث أو الأربع القادمة؛ ليُتاح لرالف ووالدته والطبيب البارع نفسه الجلوس إلى المائدة وتناول العشاء. دخلت السيدة توشيت والسير ماثيو الغرفة كانت مدام ميرل آخر الواصلين.

a degree was inconsistent with such a birth. It was true that the national banner had floated immediately over her cradle, and the breezy freedom of the stars and stripes might have shed an influence upon the attitude she there took towards life. And yet she had evidently nothing of the fluttered, flapping quality of a morsel of bunting in the wind; her manner expressed the repose and confidence which come from a large experience. Experience, however, had not quenched her youth; it had simply made her sympathetic and supple. She was in a word a woman of strong impulses kept in admirable order. This commended itself to Isabel as an ideal combination.

The girl made these reflections while the three ladies sat at their tea, but that ceremony was interrupted before long by the arrival of the great doctor from London, who had been immediately ushered into the drawing-room. Mrs. Touchett took him off to the library for a private talk; and then Madame Merle and Isabel parted, to meet again at dinner. The idea of seeing more of this interesting woman did much to mitigate Isabel's sense of the sadness now settling on Gardencourt.

When she came into the drawing-room before dinner she found the place empty; but in the course of a moment Ralph arrived. His anxiety about his father had been lightened; Sir Matthew Hope's view of his condition was less depressed than his own had been. The doctor recommended that the nurse alone should remain with the old man for the next three or four hours; so that Ralph, his mother and the great physician himself were free to dine at table. Mrs. Touchett and Sir Matthew appeared; Madame Merle was the last.

تحدّثت إيزابيل عنها مع رالف الذي كان واقفا مقابل المستوقد. "بالله عليك، مَن هي مدام ميرل؟"

قال رالف: "أذكى امرأة أعرفها، دون أن أستثنيك أنتِ."

"وجدتها غاية في اللطف والكياسة."

"إنني واثق أنك وجدتيها غاية في اللطف والكياسة."

"هل هذا سبب دعوتك لها؟"

"لم أدعها أنا، وحين عدنا من لندن لم أكن أعرف أنها هنا. لم يدعها أحد. إنها صديقة والدتي، وقد استلمت والدتي رسالة منها عقب سفرنا مباشرة، تقول فيها أنها وصلت إلى إنجلترا (تعيش عادة في الخارج، علما أنها أولا وأخيرا قد عاشت فترة طويلة هنا)، وترغب بزيارتنا لبضعة أيام. إنها من النساء اللواتي يمكنهن القيام بمثل هذه الاقتراحات بثقة كاملة؛ إنها مُرحّب بها أينما حلّت. وبالنسبة لوالدتي، فلا مجال للتردّد بشأن هذا الأمر، فهي الشخص الوحيد في العالم الذي يستأثر بإعجاب أمي الكامل. فلو لم تكن نفسها (وهو أمر برغم كل شيء تفضّله على كل ما عداه)، فإنها لا شك سترغب بأن تكون مثل مدام ميرل. لا شك سيكون مثل ذلك الأمر تغييرا كبيرا."

قالت إيزابيل: "إنها امراة ساحرة فعلا، بالإضافة لإتقانها العزف بشكل رائع."

"إنها تُتقن كل ما تقوم به. إنها مثالية."

نظرت إيزابيل إلى إبن خالتها. "إنها لا تروق لك."

"العكس هو الصحيح، كنتُ مغرما بها ذات يوم."

"ولم تكترث لك، ولهذا السبب لا تحبها."

Before she came Isabel spoke of her to Ralph, who was standing before the fireplace. "Pray who is this Madame Merle?"

"The cleverest woman I know, not excepting yourself," said Ralph.

"I thought she seemed very pleasant."

"I was sure you'd think her very pleasant."

"Is that why you invited her?"

"I didn't invite her, and when we came back from London I didn't know she was here. No one invited her. She's a friend of my mother's, and just after you and I went to town my mother got a note from her. She had arrived in England she usually lives abroad, though she has first and last spent a good deal of time here, and asked leave to come down for a few days. She's a woman who can make such proposals with perfect confidence; she's so welcome wherever she goes. And with my mother there could be no question of hesitating; she's the one person in the world whom my mother very much admires. If she were not herself which she after all much prefers, she would like to be Madame Merle. It would indeed be a great change."

"Well, she's very charming," said Isabel. "And she plays beautifully."

"She does everything beautifully. She's complete."

Isabel looked at her cousin a moment. "You don't like her."

"On the contrary, I was once in love with her."

"And she didn't care for you, and that's why you don't like her."

"كيف يمكننا مناقشة مثل هذه الأمور؟ السيد ميرل حينها كان ما زال على قيد الحياة."

"هل هو متوفٍ الآن؟"

"إستنادا لأقوالها."

"ألا تصدّقها؟"

"أصدّقها، لأن روايتها تلك تتوافق مع الترجيحات. هناك احتمال كبير بوفاة زوج مدام ميرل."

نظرت إيزابيل إلى ابن خالتها ثانية. "لا أفهم ما تقصده بكلامك. أنت تقصد شيئا بكلامك. خلافا لما تقوله. مَن كان السيد ميرل؟"

"زوج المدام."

"يا لك من شخص بغيض. هل لديها أولاد؟"

"إطلاقا. لحسن الحظ."

"لحسن الحظ؟"

"أقصد لحسن حظ الأطفال، فما لا ريب فيه أنها كانت أفسدتهم بالتدليل المفرط."

كانت إيزابيل على وشك التأكيد لابن خالتها للمرة الثالثة بأنه إنسان بغيض؛ إلا أن تلك المناقشة انقطعت بوصول بطلتها. دخلت مندفعة بشكل سريع، معتذرة على تأخرّها وهي تُثبّت إسوارة حول معصمها، ومرتدية ثوبا من الساتان الداكن اللون، كاشفا عن صدر أبيض مُغطّى بشكل غير مجدٍ بعقد فضّي لافت للنظر بغرابته. قدّم رالف لها ساعده باهتمام مبالغ به شأن الرجل الذي لم يعُد يُعتبر حبيبا لها.

ولكن حتى لو كانت عواطف رالف لم تتبدّل تجاهها، فقد كان هناك أمور أخرى تشغل باله. أمضى الطبيب البارع ليلته في غاردينكورت، وعاد

"How can we have discussed such things? Monsieur Merle was then living."

"Is he dead now?"

"So she says."

"Don't you believe her?"

"Yes, because the statement agrees with the probabilities. The husband of Madame Merle would be likely to pass away."

Isabel gazed at her cousin again. "I don't know what you mean. You mean something–that you don't mean. What was Monsieur Merle?"

"The husband of Madame."

"You're very odious. Has she any children?"

"Not the least little child–fortunately."

"Fortunately?"

"I mean fortunately for the child. She'd be sure to spoil it."

Isabel was apparently on the point of assuring her cousin for the third time that he was odious; but the discussion was interrupted by the arrival of the lady who was the topic of it. She came rustling in quickly, apologizing for being late, fastening a bracelet, dressed in dark blue satin, which exposed a white bosom that was ineffectually covered by a curious silver necklace. Ralph offered her his arm with the exaggerated alertness of a man who was no longer a lover.

Even if this had still been his condition, however, Ralph had other things to think about. The great doctor spent the

إلى لندن صباح اليوم التالي، عقب تشاوره مع طبيب السيد توشيت الخاص، متفقا في الرأي مع رغبة رالف بأنه من الضروري معاودة رؤيته للمريض ثانية في اليوم التالي. وصل السير ماثيو هوب في اليوم التالي إلى غاردينكورت، وكان له رأي أقل تفاؤلا بالنسبة لوضع الرجل المسنّ، والذي ساءت حالته خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية. كان في غاية الوهن، وبدا لابنه الذي لزم جانب سريره بشكل متواصل، أن النهاية محتومة. كان الطبيب المحلي، وهو رجل مُتقدّ الذكاء، وسرا محط ثقة رالف بشكل يفوق ثقته بزميله الشهير، يُولي المريض عناية متواصلة، كما عاد السير ماثيو هوب مرارا إلى غاردينكورت. كان السيد توشيت معظم الوقت في حالة الغيبوبة؛ وكان ينام ساعات طويلة؛ ونادرا ما كان يتكلم. كان لدى إيزابيل رغبة قوية بأن تكون ذا فائدة له، وسُمِحَ لها بمراقبته حين كان ملازموه الآخرون (ومن بينهم السيدة توشيت التي واظبت بشكل مُلفت للنظر بالجلوس إلى جانب الرجل المريض) يخرجون لأخذ قسط من الراحة. بدا وكأنه لم يعرفها أبدا، ولطالما كانت تتساءل بينها وبين نفسها، "ماذا لو توفي وأنا جالسة هنا بقربه؟" وهي فكرة أثارت خوفها وأبعدت النوم عن عينيها خلال وجودها بقرب سريره. فتح عيناه ذات مرة وحدّق بها بشكل مُدرك، ولكن حينَ اقتربت منه على أمل أن يتعرّف عليها، أغلقهما وعاد إلى غيبوبته. ولكن شهد اليوم التالي انتعاشه واستعادته لمداركه لفترة أطول من المعتاد؛ وكان رالف بمفرده إلى جانبه في تلك المناسبة. بدأ الرجل المسنّ بالكلام، ما بعث الارتياح في نفس ابنه الذي أكّد له أنهم سيجعلونه يجلس في سريره خلال فترة قصيرة.

قال السيد توشيت: "لا، يا ولدي؛ إلا إذا دفنتني في وضعية الجلوس، كما كانت عادة شعوب التاريخ القديم. هل كان القدماء يفعلون

night at Gardencourt and, returning to London on the morrow, after another consultation with Mr. Touchett's own medical adviser, concurred in Ralph's desire that he should see the patient again on the day following. On the day following Sir Matthew Hope reappeared at Gardencourt, and now took a less encouraging view of the old man, who had grown worse in the twenty-four hours. His feebleness was extreme, and to his son, who constantly sat by his bedside, it often seemed that his end must be at hand. The local doctor, a very sagacious man, in whom Ralph had secretly more confidence than in his distinguished colleague, was constantly in attendance, and Sir Matthew Hope came back several times. Mr. Touchett was much of the time unconscious; he slept a great deal; he rarely spoke. Isabel had a great desire to be useful to him and was allowed to watch with him at hours when his other attendants of whom Mrs. Touchett was not the least regular went to take rest. He never seemed to know her, and she always said to herself, "Suppose he should die while I'm sitting here"; an idea which excited her and kept her awake. Once he opened his eyes for a while and fixed them upon her intelligently, but when she went to him, hoping he would recognize her, he closed them and relapsed into stupor. The day after this, however, he revived for a longer time; but on this occasion Ralph only was with him. The old man began to talk, much to his son's satisfaction, who assured him that they should presently have him sitting up.

"No, my boy," said Mr. Touchett, "not unless you bury me in a sitting posture, as some of the ancients–was it the

ذلك؟"

تمتم رالف قائلا: "لا تتكلم يا والدي على هذا النحو، يجب أن لا تنكر أنك تتحسّن"

"لا حاجة بي لإنكار ذلك إذا لم تؤكّد ذلك، ما الداعي لمراوغتنا في اللحظات الأخيرة؟ لم تراوغ أبدا من قبل. لا بد من أن أموت في وقت ما، ومن الأفضل أن أموت رجلا مريضا ومسنّا من أن أموت وأنا صحيح الجسم. إنني مريض جدا. لن أكون في وضع أسوأ مما أنا فيه الآن. آمل ألا يكون لديك الرغبة بإثبات أنني سأكون في وضع أسوأ من هذا؟ سيكون ذلك أمرا سيئا للغاية، لن تفعل أليس كذلك؟ حسناً."

استعاد سكونه بعدما أثبت تلك النقطة الممتازة؛ ولكن في المرة التالية التي كان فيها رالف إلى جانبه، أظهر رغبة في الكلام. كانت الممرضة خرجت لتناول العشاء، وكان رالف بمفرده يُشرف على المريض، بعدما دخل لمنح السيدة توشيت قسطا من الراحة، والتي لم تفارق سرير زوجها منذ الظهر. كانت الغرفة مضاءة فقط بتوهّج نار المستوقد، الأمر الذي أصبح ضرورة ماسّة في الآونة الأخيرة، وكان ظِل رالف الطويل ظاهر فوق الجدار والسقف بأشكال متبدّلة وغريبة.

سأل الرجل المسنّ: "مَن هذا الذي معي. هل هو ابني؟"

"نعم، أنا ابنك يا والدي."

"وهل أنت بمفردك؟"

"نعم."

صمت السيد توشيت لبعض الوقت وما لبث أن قال، "أرغب بالتحدث قليلا."

قال رالف محتجّا: "ألن يُتعبك مثل هذا المجهود؟"

ancients?–used to do."

"Ah, daddy, don't talk about that," Ralph murmured. "You mustn't deny that you're getting better."

"There will be no need of my denying it if you don't say it," the old man answered. "Why should we prevaricate just at the last? We never prevaricated before. I've got to die some time, and it's better to die when one's sick than when one's well. I'm very sick- as sick as I shall ever be. I hope you don't want to prove that I shall ever be worse than this? That would be too bad. You don't? Well then."

Having made this excellent point he became quiet; but the next time that Ralph was with him he again addressed himself to conversation. The nurse had gone to her supper and Ralph was alone in charge, having just relieved Mrs. Touchett, who had been on guard since dinner. The room was lighted only by the flickering fire, which of late had become necessary, and Ralph's tall shadow was projected over wall and ceiling with an outline constantly varying but always grotesque.

"Who's that with me–is it my son?" the old man asked.

"Yes, it's your son, daddy."

"And is there no one else?"

"No one else."

Mr. Touchett said nothing for a while; and then, "I want to talk a little," he went on.

"Won't it tire you?" Ralph demurred.

"It won't matter if it does. I shall have a long rest. I want to talk about you.

Ralph had drawn nearer to the bed; he sat leaning forward with his hand on his father's. "You had better select a brighter topic."

"You were always bright; I used to be proud of your brightness. I should like so much to think you'd do something."

"If you leave us," said Ralph, "I shall do nothing but miss you."

"That's just what I don't want; it's what I want to talk about. You must get a new interest."

"I don't want a new interest, daddy. I have more old ones than I know what to do with."

The old man lay there looking at his son; his face was the face of the dying, but his eyes were the eyes of Daniel Touchett. He seemed to be reckoning over Ralph's interests. "Of course you have your mother," he said at last. "You'll take care of her."

"My mother will always take care of herself," Ralph returned.

"Well," said his father, "perhaps as she grows older she'll need a little help."

"I shall not see that. She'll outlive me."

"Very likely she will; but that's no reason-!" Mr. Touchett let his phrase die away in a helpless but not

"لا أهمية إذا حصل مثل هذا الأمر، عما قريب سأنعم براحة طويلة. أريد التحدّث عنك أنت."

اقترب رالف من السرير؛ جلس متكئا إلى الأمام ممسكا بيدي والده. "الأفضل لك اختيار موضوعٍ أكثر بهجة."

"كنت دائما موضوعا مُبهجا لي؛ كنت دائما فخورا بذكائك وفطنتك. أرغب كثيرا أن تقوم بعمل لي."

"إذا غادرتنا، لن أفعل شيئا سوى الاشتياق إليك."

"هذا بالضبط ما لا أريدك القيام به؛ هذا ما أريد التحدث به معك. أريدك أن تبدأ بمشروع جديد."

"لا أريد البدء بمشروع جديد يا والدي. لدي مشاريع قديمة لا أعرف ما أفعل بها."

حدّق الرجل المسنّ، المُستلقي في سريره، بابنه، كان وجهه وجه الرجل المحتضر، ولكن عيناه كانتا عينا دانيل توشيت. بدا وكأنه يراجع مشاريع ومسؤوليات رالف. قال أخيرا: "طبعا هناك والدتك، ستهتم بها وترعاها."

أجاب رالف: "والدتي لن تحتاج أبدا إلى أي شخص لرعايتها والاهتمام بها."

قال والده: "حسنا، ربما حين تكبر رفي السن لا بد وأن تحتاج لبعض الرعاية."

"لن يتسنّ لي رؤية ذلك. ستعمّر أكثر مني."

"أغلب الظن أنها ستفعل؛ ولكن هذا ليس سببا.!" لم يُنهي السيد توشيت عبارته مكتفيا بتنهيدة ضعيفة ولكن غير مُتّسمة بالشكوى، وعاد

للصمت ثانية .

قال إبنه : " لا تقلق بشأننا ، فكما تعلم ، أنا ووالدتي متفقان إلى حد كبير . "

" تتفقان إلى حد كبير بالبقاء منفصلين عن بعضكما بشكل دائم . هذا ليس وضعا طبيعيا . "

" إذا رحلت عنّا ، فالأرجح أننا سنرى بعضنا أكثر مما نفعل الآن . "

علّق الرجل المسنّ مبتعدا عن الموضوع : " حسنا ، ولكن لا يمكن القول أن وفاتي ستؤثّر كثيرا على حياة والدتك . "

" أظن أنها ستفعل أكثر مما تظن . "

قال السيد توشيت : " حسنا ، مما لا شك فيه أنه سيكون لديها مزيدا من الأموال ، تركت لها حصة كبيرة ، وكأنها كانت زوجة صالحة . "

" لقد كانت زوجة صالحة يا والدي وفقا لمعتقداتها . لم تكن أبدا مصدر إزعاج لك . "

" تكون بعض أنواع الإزعاج أحيانا مَرضية وسارّة ، كالإزعاج الذي تُسبّبه لي أنت مثلا . ولكن والدتك كانت أقل . . . أقل . . . . ماذا يمكنني أن أقول؟ أقل بُعدا وجفاء منذ مرضي . أفترض أنها تُدرك أنني لاحظت ذلك . " تمتم السيد توشيت .

" تأكّد أنني سأعلمها بذلك ؛ إنني سعيد جدا لذكرك هذا الأمر . "

" لن تكترث البتة بما ستقوله لها ؛ إنها لا تفعل ما تفعله لإرضائي بل لإرضاء . . . لإرضاء " صمت لبعض الوقت محاولا التفكير بمبرّر لقيامها بذلك العمل . أضاف قائلا : " تفعل ذلك لأنه يلائمها . ولكن هذا ليس ما أرغب التحدّث معك بشأنه . أريد التحدّث عنك أنت . ستكون في وضع مالي مريح جدا . "

quite querulous sigh and remained silent again.

"Don't trouble yourself about us," said his son. "My mother and I get on very well together, you know."

"You get on by always being apart; that's not natural."

"If you leave us we shall probably see more of each other."

"Well," the old man observed with wandering irrelevance, "it can't be said that my death will make much difference in your mother's life."

"It will probably make more than you think."

"Well, she'll have more money," said Mr. Touchett. "I've left her a good wife's portion, just as if she had been a good wife."

"She has been one, daddy, according to her own theory. She has never troubled you."

"Ah, some troubles are pleasant," Mr. Touchett murmured. "Those you've given me for instance. But your mother has been less–less- what shall I call it? less out of the way since I've been ill. I presume she knows I've noticed it."

"I shall certainly tell her so; I'm so glad you mention it."

"It won't make any difference to her; she doesn't do it to please me. She does it to please–to please-" And he lay a while trying to think why she did it. "She does it because it suits her. But that's not what I want to talk about," he added. "It's about you. You'll be very well off."

قال رالف: "نعم أعرف ذلك. ولكن أرجو ألّا تكون نسيت الحديث الذي جرى بيننا قبل عام. حين أخبرتك بالضبط بالمبلغ الذي أحتاجه وتوسّلت إليك استخدام باقي الأموال في مشروع مفيد."

"نعم، نعم، لم أنسَ ذلك. كتبت وصيّة جديدة. خلال بضعة أيام. أظن أنها المرة الأولى التي يحصل فيها مثل هذا الأمر. شاب في مُقتبل العمر يحاول صياغة وصيّة تتعارض مع مصلحته."

قال رالف: "إنها لا تتعارض مع مصالحي، حصولي على أملاك شاسعة وضرورة الاهتمام بها هو الذي يتعارض مع مصلحتي. يستحيل على رجل في مثل وضعي الصحي إنفاق مبالغ كبيرة من المال، المبالغ الكافية هي جيدة بجودة المتعة البالغة."

"حسنا، سيكون لديك المبالغ الكافية. وشيئا إضافيا. سيكون هناك مبالغ تتجاوز احتياجات شخص واحد - ما يكفي لشخصين."

قال رالف: "هذا منتهى الكرم."

"لا تقل هذا، أفضل ما يمكنك القيام به بعد وفاتي، هو أن تتزوج."

توقّع رالف ما يرغب والده بالوصول إليه، ولم يكن هذا الاقتراح بأي حال من الأحوال، اقتراحا جديدا. كانت تلك ومنذ زمن بعيد، طريقة السيد توشيت البارعة لتبنّي النظرة المتفائلة باحتمال دوام ابنه على قيد الحياة فترة زمنية طبيعية. واعتاد رالف التعاطي معها بشكل فكه، ولكن الظروف الراهنة حرمت الممازحة والفُكاهة. استوى بجلسته في كرسيه بكل بساطة ونظر إلى والده مُستجيبا لنظرته المتوسّلة.

"إذا أنا، وبوجود زوجة لم تكنّ لي الكثير من المودّة، عشت حياة سعيدة جدا، أي نوع من الحياة لا يمكنك أن تحياها إذا تيسّر لك الزواج بإنسانة مختلفة عن السيدة توشيت. فالنساء المختلفات عنها أكثر بكثير من

"Yes," said Ralph, "I know that. But I hope you've not forgotten the talk we had a year ago–when I told you exactly what money I should need and begged you to make some good use of the rest."

"Yes, yes, I remember. I made a new will–in a few days. I suppose it was the first time such a thing had happened–a young man trying to get a will made against him."

"It is not against me," said Ralph. "It would be against me to have a large property to take care of. It's impossible for a man in my state of health to spend much money, and enough is as good as a feast."

"Well, you'll have enough–and something over. There will be more than enough for one–there will be enough for two."

"That's too much," said Ralph.

"Ah, don't say that. The best thing you can do, when I'm gone, will be to marry."

Ralph had foreseen what his father was coming to, and this suggestion was by no means fresh. It had long been Mr. Touchett's most ingenious way of taking the cheerful view of his son's possible duration. Ralph had usually treated it facetiously; but present circumstances proscribed the facetious. He simply fell back in his chair and returned his father's appealing gaze.

"If I, with a wife who hasn't been very fond of me, have had a very happy life," said the old man, carrying his ingenuity further still, "what a life mightn't you have if you should marry a person different from Mrs. Touchett. There

"أولئك اللواتي على شاكلتها." قال الرجل المُسنّ، مُستفيضا بتعزيز فكرته بأمثلة ملموسة.

واصل رالف الصمت ولم يُعلّق بشيء على كلام والده. "ما رأيك بابنة خالتك؟" سأل والده بعد توقّف قصير.

جفل رالف لدى سماعه هذا القول، وواجه ذلك السؤال بابتسامة مُتكلّفة. "هل أفهم من كلامك أنك تقترح عليّ الزواج من إيزابيل؟"

"هذا هو المغزى من الحديث، ألا تُعجبك؟"

"نعم، تُعجبني جدا." ونهض رالف من مكانه وسار نحو المستوقد. وقف بقربه للحظة ومن ثم انحنى وحرّكه تحريكا ضئيلا بشكل آلي.

ردّد قائلا: "تُعجبني إيزابيل جدا."

"حسنا، أعرف أنك أنت تُعجبها كذلك. لقد أخبرتني بمدى إعجابها بك." قال والده.

"هل أشارت إلى أنها ترغب بالزواج مني؟"

"لا، ولكن لا يمكنها أن تجد أي نقيصة بك. إضافة إلى أنها أكثر الشابات سحرا سبق لي التعرّف إليهن. كما ستكون ملائمة لك. لقد فكّرت مليّا بهذه المسألة."

قال رالف، وهو يعود ثانية إلى جانب السرير: "وكذلك فعلت أنا. لا جد مانعا في إعلامك بهذا الأمر."

"هل أنت مُغرَم بها إذن؟ يجدر بي الاعتقاد أنك ستكون مُغرما بها. يبدو وكأنها جاءت لهذه الغاية بالذات."

"لا، لستُ مُغرما بها؛ ولكني كنت سأغرَم بها لو . . . لو اختلفت بعض الأمور."

قال الرجل المسنّ: "الأمور دائما مختلفة عمّا نتوقعها أن تكون عليه.

are more different from her than there are like her." Ralph still said nothing; and after a pause his father resumed softly: "What do you think of your cousin?"

At this Ralph started, meeting the question with a strained smile. "Do I understand you to propose that I should marry Isabel?"

"Well, that's what it comes to in the end. Don't you like Isabel?"

"Yes, very much." And Ralph got up from his chair and wandered over to the fire. He stood before it an instant and then he stooped and stirred it mechanically.

"I like Isabel very much," he repeated.

"Well," said his father, "I know she likes you. She has told me how much she likes you."

"Did she remark that she would like to marry me?"

"No, but she can't have anything against you. And she's the most charming young lady I've ever seen. And she would be good to you. I have thought a great deal about it."

"So have I," said Ralph, coming back to the bedside again. "I don't mind telling you that."

"You are in love with her then? I should think you would be. It's as if she came over on purpose."

"No, I'm not in love with her; but I should be if–if certain things were different."

"Ah, things are always different from what they might be," said the old man. "If you wait for them to change you'll

إذا ما انتظرت لتتبدّل الأمور، فلن تتمكّن من إنجاز أي شيء. لا أعرف ما إذا كنت تعرف، أظن لا ضرر من الإشارة إلى هذه المسألة في وقت كهذا؛ كان هناك طالب زواج من إيزابيل قبل بضعة أيام، وقد رفضته."

"أعرف أنها رفضت اللورد وربرتن، أخبرني هو نفسه بذلك."

"حسنا، هذا يُثبت وجود فرصة لرجل آخر."

"رجل آخر اغتنم تلك الفرصة في لندن منذ بضعة أيام ولم يحصل على شيء نتيجة ذلك."

"هل كنت أنت ذلك الرجل الآخر؟" سأل السيد توشيت بلهفة.

"لا، كان صديقا أقدم مني؛ رجل مسكين جاء من أميركا لمفاتحتها بالأمر."

"حسنا، إنني آسف من أجله، كائن من كان ذلك الرجل. ولكن كل هذا يُثبت ما أقوله. بأن الطريق سالكة أمامك."

"لو كانت فعلا كذلك يا والدي العزيز، سيكون من المؤسف حقا استحالة سيري عليها. ليس لدي الكثير من المُعتقدات والمبادئ سوى ثلاث أو أربع أتمسّك بها بقوة. أوّلها أن الناس بشكل عام يجب ألّا يتزوجوا من بنات خالاتهم. ثانيها أن الأشخاص المصابون باعتلال رئوي متقدّم يجب ألّا يتزوجوا إطلاقا."

رفع الرجل المُسنّ يده الواهنة وهزّها يمنة ويسرى أمام وجهه. "ماذا تقصد بذلك؟ تنظر إلى الأمور بشكل يجعل كل عمل تقوم به عملا خاطئا. أي نوع من ابنة الخالات هي ابنة خالة لم ترها لما يفوق العشرين سنة من عمرها؟ إننا جميعا أقرباء بعضنا، وإذا ما توقّفنا عند هذه النقطة فإن العرق البشري سينقرض. الأمر ذاته ينطبق على رئتك الضعيفة. أنت في وضع أفضل بكثير مما كنت عليه في السابق. كل ما تحتاجه هو أن تحيا حياة

never do anything. I don't know whether you know," he went on; "but I suppose there's no harm in my alluding to it at such an hour as this: there was some one wanted to marry Isabel the other day, and she wouldn't have him."

"I know she refused Warburton: he told me himself."

"Well, that proves there's a chance for somebody else."

"Somebody else took his chance the other day in London–and got nothing by it."

"Was it you?" Mr. Touchett eagerly asked.

"No, it was an older friend; a poor gentleman who came over from America to see about it."

"Well, I'm sorry for him, whoever he was. But it only proves what I say–that the way's open to you."

"If it is, dear father, it's all the greater pity that I'm unable to tread it. I haven't many convictions; but I have three or four that I hold strongly. One is that people, on the whole, had better not marry their cousins. Another is that people in an advanced stage of pulmonary disorder had better not marry at all."

The old man raised his weak hand and moved it to and fro before his face. "What do you mean by that? You look at things in a way that would make everything wrong. What sort of a cousin is a cousin that you had never seen for more than twenty years of her life? We're all each other's cousins, and if we stopped at that the human race would die out. It's just the same with your bad lung. You're a great deal better than you

طبيعية. مما لا شك فيه أنه من الطبيعي أكثر بكثير الزواج من فتاة شابة تحبها من البقاء عازبا استنادا لمعتقدات خاطئة.»

قال رالف: «لستُ مُغرما بايزابيل.»

«قلت للتوّ أنك كنت ستُغرَم بها لولا اعتقادك أن مثل هذا الأمر شيء خاطئ. أريد أن أثبت لك أنه ليس بالأمر الخاطئ.»

قال رالف، المندهش من عناد والده وقدرته على الإلحاح: «لن يؤدي ذلك سوى إلى إرهاقك، يا والدي العزيز، وعندها ماذا سيكون مصيرنا جميعاً؟»

«ماذا سيكون مصيرك إذا لم أعيلك؟ ترفض العمل في المصرف، ولن أكون إلى جانبك لتهتّم بي. تقول أن لديك العديد من المشاريع؛ ولكن لا يمكنني التكهّن بأي واحد منها.»

رجع رالف إلى الوراء بكرسيه وساعداه مطويان؛ كانتا ثابتتين في تفكير عميق. قال أخيرا بأسلوب الرجل الممتلك ما يكفي من الجرأة والإقدام: «إنني مهتم جدا بابنة خالتي، ولكن ليس من نوع الاهتمام الذي تتوق له. لن أعيش سنوات عديدة؛ ولكن أتمنى أن أعيش بما يكفي لرؤية ما ستفعله بنفسها. إنها لا تعتمد عليّ على الإطلاق؛ ولا يمكنني التأثير على حياتها سوى بالنذر القليل. ولكن أرغب بعمل شيء لأجلها.»

«ما الذي تريد القيام به؟»

«أرغب بتزويد شراعها بقليلٍ من الرياح.»

«ماذا تقصد بذلك؟»

«أرغب بأن أجعلها قادرة على تحقيق ما تصبو إليه. ترغب مثلا برؤية العالم، أرغب بإيداع مبلغ من المال في حقيبتها.»

used to be. All you want is to lead a natural life. It is a great deal more natural to marry a pretty young lady that you're in love with than it is to remain single on false principles."

"I'm not in love with Isabel," said Ralph.

"You said just now that you would be if you didn't think it wrong. I want to prove to you that it isn't wrong."

"It will only tire you, dear daddy," said Ralph, who marvelled at his father's tenacity and at his finding strength to insist. "Then where shall we all be?"

"Where shall you be if I don't provide for you? You won't have anything to do with the bank, and you won't have me to take care of. You say you've so many interests; but I can't make them out."

Ralph leaned back in his chair with folded arms; his eyes were fixed for some time in meditation. At last, with the air of a man fairly mustering courage, "I take a great interest in my cousin," he said, "but not the sort of interest you desire. I shall not live many years; but I hope I shall live long enough to see what she does with herself. She's entirely independent of me; I can exercise very little influence upon her life. But I should like to do something for her."

"What should you like to do?"

"I should like to put a little wind in her sails."

"What do you mean by that?"

"I should like to put it into her power to do some of the things she wants. She wants to see the world for instance. I should like to put money in her purse."

قال الرجل المسنّ: "يسعدني أنك فكّرت بهذا الأمر، ولكني فكّرت بهذا الأمر أنا أيضا. لقد تركت لها إرثا بخمسة آلاف باوند."

"هذا رأس مال؛ وهو عمل كريم من جانبك. ولكني أرغب بالقيام بأكثر من هذا بقليل."

شيء من حدّية الذهن المُبطّنة والتي كانت مع دانيل توشيت بمثابة عادة مُستحكمة فيه طوال عمره، وهي الإصغاء الكامل لمطلق عرض مالي، كانت ما زالت تتريّث في الوجه الذي فشل المرض في طمس معالم رجل الأعمال فيه. قال بصوت هادئ: "سيسعدني التفكير جدّيا بهذه المسألة."

"إيزابيل فتاة فقيرة. أخبرتني والدتي أنها لا تملك سوى بضع مئات من الدولارات سنويا. أرغب بجعلها امرأة ثرية."

"ماذا تقصد بثرية؟"

"أعتبر الناس أثرياء حين يستطيعون تحقيق أحلامهم. لدى إيزابيل الكثير من الأحلام."

"وكذلك أنت يا ولدي،" قال السيد توشيت، وهو يُصغي بانتباه شديد ولكن بشيء من الارتباك.

"تقول أنّهُ سيكون لدي أموالا تكفي شخصين. ما أريده منك هو التكرّم بتحريري من وفرتي وتجييرها إلى إيزابيل. اقسم ميراثي إلى قسمين متساويين وامنحها القسم الآخر."

"لتفعل ما تشاء به؟"

"أي شيء ترغب القيام به."

"بدون مُرادف؟"

"Ah, I'm glad you've thought of that," said the old man. "But I've thought of it too. I've left her a legacy–five thousand pounds."

"That's capital; it's very kind of you. But I should like to do a little more."

Something of that veiled acuteness with which it had been on Daniel Touchett's part the habit of a lifetime to listen to a financial proposition still lingered in the face in which the invalid had not obliterated the man of happiness. "I shall be happy to consider it," he said softly.

"Isabel's poor then. My mother tells me that she has but a few hundred dollars a year. I should like to make her rich."

"What do you mean by rich?"

"I call people rich when they're able to meet the requirements of their imagination. Isabel has a great deal of imagination."

"So have you, my son," said Mr. Touchett, listening very attentively but a little confusedly.

"You tell me I shall have money enough for two. What I want is that you should kindly relieve me of my superfluity and make it over to Isabel. Divide my inheritance into two equal halves and give her the second."

"To do what she likes with?"

"Absolutely what she likes."

"And without an equivalent?"

"أي نوع من المُرادف يمكن أن يكون هناك؟"

"المُرادف الذي سبق وحدّثتك عنه."

"زواجها . من أحدهم؟ الدافع وراء اقتراحي هذا هو تحريرها من اضطرارها للقيام بمثل هذا العمل . إذا كان لديها دخل مريح ، فلن تضطر للزواج لإعالة نفسها . هذا ما أرغب به للحؤول دون حصوله . ترغب بأن تكون حرّة ، وإرثك سيحقق لها رغبتها هذه ."

"حسنا ، يبدو أنك فكّرت مليّا بهذا الموضوع . ولكن ، لا أعلم سبب مناشدتك لي القيام بمثل هذا الأمر . فالمال سيكون ملكك ، ويمكنك بكل سهولة إعطاءها ما ترغب منه ."

جفل رالف . "يا والدي العزيز ، يستحيل عليّ تقديم المال لإيزابيل!"

تنهّد الرجل المسنّ . "لا تنكر أنك لست مُغرما بها! أتريد أن يعود الفضل لي أنا للقيام بمثل هذا العمل؟"

"بالكامل . أريد أن يكون وبكل بساطة بندا من بنود وصيّتك ، دونما أي إشارة لي ."

"أتريدني إذن أن أكتب وصية جديدة؟"

"بضعة كلمات ستفي بالمراد ؛ يمكنك القيام بذلك في مناسبة أخرى تشعر أنك مُتنشّط فيها بعض الشيء ."

"عليك إذنْ إرسال تلغرافٍ إلى السيد هيلاري ، لن أفعل شيئا بدون وجود محاميّ ."

"ستقابل السيد هيلاري يوم غد ."

قال الرجل المسنّ : "سيظن أننا تخاصمنا ، أنا وأنت ."

قال رالف وهو يبتسم : "أغلب الظن ؛ أريده أن يظن ذلك . ولإنجاح

"What equivalent could there be?"

"The one I've already mentioned."

"Her marrying–some one or other? It's just to do away with anything of that sort that I make my suggestion. If she has an easy income she'll never have to marry for a support. That's what I want cannily to prevent. She wishes to be free, and your bequest will make her free."

"Well, you seem to have thought it out," said Mr. Touchett. "But I don't see why you appeal to me. The money will be yours, and you can easily give it to her yourself."

Ralph openly stared. "Ah, dear father, I can't offer Isabel money!"

The old man gave a groan. "Don't tell me you're not in love with her! Do you want me to have the credit of it?"

"Entirely. I should like it simply to be a clause in your will, without the slightest reference to me."

"Do you want me to make a new will then?"

"A few words will do it; you can attend to it the next time you feel a little lively."

"You must telegraph to Mr. Hilary then. I'll do nothing without my solicitor."

"You shall see Mr. Hilary to-morrow."

"He'll think we've quarrelled, you and I," said the old man.

"Very probably; I shall like him to think it," said Ralph, smiling; "and, to carry out the idea, I give you

الخطة، أحذرك مُسبقا بأنني سأتصرف معك بأسلوب شديد القسوة والفظاظة.»

بدا ان والده تأثر بهذه الدعابة، إذ استسلم لاستيعاب كامل هذه الفكرة. «سأفعل أي شي تطلبه مني، ولكن لا أظن أنه عمل صائب. تقول ترغب بوضع الرياح في شراعها، ولكن ألا تخشى من أن توفّر لها رياحا عاتية؟» قال السيد توشيت أخيرا.

أجاب رالف: «أرغب برؤيتها مُبحرة مع النسيم!»

«تتحدّث وكأنك تقوم بذلك العمل لتتسلّى ليس إلا.»

«يوجد الكثير من الحقيقة في كلامك هذا.»

قال السيد توشيت متنهّدا: «حسنا، لا أظن أنني أفهم قصدك، شباب اليوم مختلفون جدا عمّا كنت أنا عليه في شبابي. فحين كنت أعجَب بفتاة، خلال شبابي، لم أكن أكتفي بمجرّد النظر إليها. أنت تعاني من حيرة وارتباك لم أكن أعاني منها البتّة. تقول أن إيزابيل ترغب بأن تكون حرّة، وأن كونها ثرية سيُجنّبها لاضطرارها للزواج من أجل المال. أتظن أنها فتاة يمكنها القيام بمثل هذا العمل؟»

«إطلاقا. ولكنها في وضع مالي سيء للغاية أكثر من أي وقت مضى. لم يَبخل والدها عليها بشيء، لأنه كان يُنفق من رأس المال. لا تملك الآن سوى فُتات تلك الوليمة كمورد رزقها الوحيد، كما أنها حتى الآن لا تعلم ضآلة تلك الأموال، ولكنها ستفعل قريبا. أخبرتني أمي بتفاصيل كل هذه المسائل. ستعلم إيزابيل بوضعها حين تواجه العالم بمفردها، وسأشعر بألم شديد حين أعلم أنها ستُدرك وضعها المالي الهزيل الذي سيحرمها من تحقيق ما تتوق إليه وتحلم به.»

notice that I shall be very sharp, quite horrid and strange, with you."

The humour of this appeared to touch his father, who lay a little while taking it in. "I'll do anything you like," Mr. Touchett said at last; "but I'm not sure it's right. You say you want to put wind in her sails; but aren't you afraid of putting too much?"

"I should like to see her going before the breeze!" Ralph answered.

"You speak as if it were for your mere amusement."

"So it is, a good deal."

"Well, I don't think I understand," said Mr. Touchett with a sigh. "Young men are very different from what I was. When I cared for a girl–when I was young–I wanted to do more than look at her. You've scruples that I shouldn't have had, and you've ideas that I shouldn't have had either. You say Isabel wants to be free, and that her being rich will keep her from marrying for money. Do you think that she's a girl to do that?"

"By no means. But she has less money than she has ever had before. Her father then gave her everything, because he used to spend his capital. She has nothing but the crumbs of that feast to live on, and she doesn't really know how meagre they are–she has yet to learn it. My mother has told me all about it. Isabel will learn it when she's really thrown upon the world, and it would be very painful to me to think of her coming to the consciousness of a lot of wants she should be unable to satisfy."

"تركت لها خمسة آلآف باوند، لا شك يمكنها تحقيق الكثير مما تصبو إليه بمثل هذا المبلغ."

"طبعا يمكنها ذلك. ولكن على الأرجح ستُنفق ذلك المبلغ في غضون سنتين أو ثلاث سنوات."

"إذن تظن أنها ستكون مُبذّرة؟"

قال رالف، مبتسما بسكون: "لا شك في ذلك."

كانت حدة ذهن السيد توشيت الكبير تتلاشى بسرعة، ليحل مكانها تشوّش ذهني صرف. "سيكون الأمر مجرد مسألة وقت، لتُنفق المبلغ الأكبر من المال؟"

"لا. علما أنني أظن أنها بادئ الأمر ستتصرّف باندفاع متهوّر، وعلى الأرجح ستهب جزءا من ذلك المال لكل واحدة من شقيقاتها. ولكنها بعد ذلك ستعود إلى رشدها، لا تنسَ أنها في مطلع حياتها، وستعيش ضمن إمكانياتها."

قال الرجل المسنّ بضعف: "حسنا، واضح جدا أنك فكّرت مليّاً بهذه المسألة. لا شك أنك مُهتّم بها كثيرا."

"لا يمكنك القول أنني أتخطّى حدود المعقول. كنت دائما تتمنى أن أذهب أبعد من هذا."

أجاب السيد توشيت: "لا أعلم. لا أظن أنني أشاركك مزاجك الشخصي. يبدو لي أنَّ ما تقوم به عمل لاأخلاقي."

"عمل لا أخلاقي، يا والدي العزيز؟"

"بالواقع لستُ متأكدا ما إذا كان من الصواب تسهيل أمور الحياة إلى هذه الدرجة لمطلق شخص."

"ما لا شك فيه هو أن الأمر يتوقّف على نوعية ذلك الشخص. تسهيل

"I've left her five thousand pounds. She can satisfy a good many wants with that."

"She can indeed. But she would probably spend it in two or three years."

"You think she'd be extravagant then?"

"Most certainly," said Ralph, smiling serenely.

Poor Mr. Touchett's acuteness was rapidly giving place to pure confusion. "It would merely be a question of time then, her spending the larger sum?"

"No–though at first I think she'd plunge into that pretty freely: she'd probably make over a part of it to each of her sisters. But after that she'd come to her senses, remember she has still a lifetime before her, and live within her means."

"Well, you have worked it out," said the old man helplessly. "You do take an interest in her, certainly."

"You can't consistently say I go too far. You wished me to go further."

"Well, I don't know," Mr. Touchett answered. "I don't think I enter into your spirit. It seems to me immoral."

"Immoral, dear daddy?"

"Well, I don't know that it's right to make everything so easy for a person."

"It surely depends upon the person. When the person's

أمور الحياة أمام شخص صالح يصب في خانة الفضيلة والقِيَم العالية. أي عمل أكثر نُبلا من تسهيل تحقيق الدوافع الحسنة؟"

كان تتّبع هذا المنطق صعب بعض الشيء، فكّر السيد توشيت بهذه الحجّة لبعض الوقت. قال أخيرا: "إيزابيل فتاة لطيفة جدا، ولكن أتظن أنها بهذه الدرجة من النُبل؟"

أجاب رالف: "إنها صالحة بقدر أفضل الفرص المُتاحة أمامها."

قال السيد توشيت: "حسنا، لا شك أنه سيُتاح أمامها العديد من الفُرص لقاء ستين ألف باوند."

"لا شك عندي في ذلك على الإطلاق."

قال الرجل المسنّ: "طبعا سأفعل ما تطلبه مني، كل ما أردته هو محاولة فهم ما تريد."

قال إبنه: "حسنا، يا والدي العزيز، هل فهمت قصدي الآن؟ إذا كنت غير موافق على هذا الأمر، سنتركه جانبا وننساه."

بقي السيد توشيت ساكنا فترة طويلة. اعتبر رالف أنه تخلّى عن محاولة تتبع تفاصيل ما يطلبه منه. ولكن أخيرا، وبكثير من صفاء الذهن، بدأ حديثه بالقول، "أخبرني أولا، ألم يخطر ببالك احتمال وقوع فتاة تملك ستين ألف باوند ضحية متصيّدو الثراء؟"

"بالكاد ستقع ضحية صائد ثراء واحد لا أكثر."

"حسنا، لا حاجة لأكثر من متصيّد ثراء واحد لتقع الواقعة."

"لا شك في ذلك. إنها مخاطرة لم يفتني التفكير بها. أظن أنها من الأمور الممكن تقديرها وإدراكها، ولكن أظن أنها إمكانية ضئيلة الحدوث، وأنني على استعداد للمخاطرة بها."

تحوّلت حدّية ذهن السيد توشيت المسكين إلى ارتباك وحيرة،

good, your making things easy is all to the credit of virtue. To facilitate the execution of good impulses, what can be a nobler act?"

This was a little difficult to follow, and Mr. Touchett considered it for a while. At last he said: "Isabel's a sweet young thing; but do you think she's so good as that?"

"She's as good as her best opportunities," Ralph returned.

"Well," Mr. Touchett declared, "she ought to get a great many opportunities for sixty thousand pounds."

"I've no doubt she will."

"Of course I'll do what you want," said the old man. "I only want to understand it a little."

"Well, dear daddy, don't you understand it now?" his son caressingly asked. "If you don't we won't take any more trouble about it. We'll leave it alone."

Mr. Touchett lay a long time still. Ralph supposed he had given up the attempt to follow. But at last, quite lucidly, he began again. "Tell me this first. Doesn't it occur to you that a young lady with sixty thousand pounds may fall a victim to the fortune-hunters?"

"She'll hardly fall a victim to more than one."

"Well, one's too many."

"Decidedly. That's a risk, and it has entered into my calculation. I think it's appreciable, but I think it's small, and I'm prepared to take it."

Poor Mr. Touchett's acuteness had passed into

وتحوّلت حيرته الآن إلى الإعجاب. ردّد قائلا: "حسنا، لقد خضت هذه المخاطرة فعلا! ولكن لا أرى الفائدة التي ترجوها من ذلك."

انحنى رالف فوق وسادات والده مُمهّدا إياه بلطف؛ أدرك أن حديثهما طال على نحو غير ملائم. "سأحصل على ما أخبرتك إياه قبل دقائق وهو إتاحة الفرصة أمام إيزابيل لتحقيق ما تصبو إليه. بهذا أكون حققت متطلّبات خيالي. ولكنه لأمر مُخزٍ الطريقة التي استغلّيتك فيها."

perplexity, and his perplexity now passed into admiration. "Well, you have gone into it!" he repeated. "But I don't see what good you're to get of it."

Ralph leaned over his father's pillows and gently smoothed them; he was aware their talk had been unduly prolonged. "I shall get just the good I said a few moments ago I wished to put into Isabel's reach- that of having met the requirements of my imagination. But it's scandalous, the way I've taken advantage of you!"

الفصل التاسع عشر

كما سبق وتكهّنت السيدة توشيت، تآلفت إيزابيل ومدام ميرل وأمضتا فترات طويلة برفقة بعضهما البعض خلال مرض مضيفهما، بحيث لو لم تُصبحا صديقتين لاعتُبِرَ ذلك خرقا لقواعد السلوك الحسن. كان سلوكهما من أرفع ما يكون، ولكن بالإضافة إلى هذا، شاءت الأقدار أن يكون هناك إعجاب حقيقي متبادل بينهما. ربما يكون من المبالغة القول أنهما أقسمتا على الصداقة الأبدية، ولكن ضمنيًا على الأقل، اعتبرتا أنهما ستكونان صديقتين في المستقبل. رحّبت إيزابيل بهذه الصداقة؛ علما أنها كانت ستتردّد بالإقرار أنها حميمة مع صديقتها الجديدة، على ضوء تقديرها العميق الذي تكنّه سرا لتلك العبارة. بالواقع تساءلت كثيرا ما إذا كان بمقدورها أن تكون حميمة مع أي شخص. كان لديها مفهوم مثالي عن الصداقة بالإضافة إلى عدد من العواطف الأخرى، والذي فشل أن يبدو لها في هذا الوضع، كما لم يبدُ لها في أوضاع أخرى، واقع فعلي مُعبّر عنه. ولكنها غالبا ما كانت تُذكّر نفسها بوجود أسباب جوهرية لاستحالة تحوّل ما يؤمن به الفرد كمفهوم مثالي إلى واقع ملموس. فقد كان المفهوم المثالي شيئا نؤمن به، ولكن لا يمكننا رؤيته. إنه مسألة إيمان، وليست تجربة. ولكن التجربة قد تزوّدنا بمحاكات موثوق بها إلى حد كبير، والحكمة هي القدرة على الاستفادة من هذه المحاكاة قدر المستطاع. مما لا شك فيه أن إيزابيل بشكل عام، لم يسبق لها البتّة الالتقاء بشخصية أكثر إثارة وتناغما من شخصية مدام ميرل؛ لم يسبق لها التعرّف على شخص لديه ندرة من تلك النقيصة التي تُشكّل العائق الأساسي أمام الصداقة ـ الكبرياء المصطنع الذي يستخرج السمة الأكثر مَللا، والمُبتذلة والأجزاء المألوفة جدا في شخصية المرء. فُتحت أبواب جرأة الفتاة بشكل لم تختبره من قبل؛ باحت

Chapter Nineteen

As Mrs. Touchett had foretold, Isabel and Madame Merle were thrown much together during the illness of their host, so that if they had not become intimate it would have been almost a breach of good manners. Their manners were of the best, but in addition to this they happened to please each other. It is perhaps too much to say that they swore an eternal friendship, but tacitly at least they called the future to witness. Isabel did so with a perfectly good conscience, though she would have hesitated to admit she was intimate with her new friend in the high sense she privately attached to this term. She often wondered indeed if she ever had been, or ever could be, intimate with any one. She had an ideal of friendship as well as of several other sentiments, which it failed to seem to her in this case–it had not seemed to her in other cases–that the actual completely expressed. But she often reminded herself that there were essential reasons why one's ideal could never become concrete. It was a thing to believe in, not to see–a matter of faith, not of experience. Experience, however, might supply us with very creditable imitations of it, and the part of wisdom was to make the best of these. Certainly, on the whole, Isabel had never encountered a more agreeable and interesting figure than Madame Merle; she had never met a person having less of that fault which is the principal obstacle to friendship–the air of reproducing the more tiresome, the stale, the too-familiar parts of one's own character. The gates of the girl's confidence were opened wider than they had ever been; she

لهذه المُستمعة الأنسية بأمور وخبايا لم يسبق لها البوح بها لأي كان. شعرت أحيانا بذعر من صراحتها وصدقها في إبداء الرأي: بدا وكأنها وهبت غريبة مُطلقة مفتاح خزانة جواهرها. كانت هذه الجواهر الروحية أثمن ممتلكات إيزابيل، وكان هذا بحدّ ذاته سببا إضافيا لصيانتها وحمايتها بحذر شديد.

لكنها، لاحقا، لم تنسَ أبدا أن المرء يجب ألّا يندم أبدا على ارتكابه خطأً نبيلا، وأنه إذا كانت مدام ميرل تفتقر للفضائل والحسنات التي نسبتها إليها، فمدام ميرل في حال أسوأ مما عليه إيزابيل. مما لا شك فيه أنها كانت ذات حسنات استثنائية. فقد كانت ساحرة، وملائمة لمزاج المرء، وذكية ومهذّبة. بالإضافة إلى كل هذا (إذ لم يكن من سوء طالع إيزابيل عدم الالتقاء خلال حياتها ببعض بنات جنسها اللواتي جمعن في شخصيتهن مثل هذه الصفات)، كانت نادرة، ومتفوقة ومُجلّية. العالم مليء بالأشخاص اللطفاء، وكانت مدام ميرل أبعد ما تكون عن مجرّد إنسانة ودودة عادية سريعة الخاطر بشكل متواصل. كانت تعرف كيف تفكّر وهو إنجاز نادر بين النساء، وقد أمعنت التفكير لغاية وجيهة جدا. طبعا، كانت تُتقن فن التعبير عن مشاعرها وتقدير مشاعر الآخرين؛ لم يكن بمقدور إيزابيل قضاء أسبوع واحد معها بدون أن يتأكّد لها ذلك. بالواقع كانت هذه أكثر مواهب مدام ميرل بروزا وقوة، وهِبتها الأكثر كمالا ومثالية. أحدثت الحياة أثرها المؤلم فيها؛ وقد عانت جرّاء ذلك الأمرّين، وكان جزءا من إشباع حاجة لديها حين تتحدّث الفتاة عما كان يروقها أن تدعوه مسائل جدّية، كانت تلك السيدة تتفهّمها بشكل سريع وسهل. صحيح أن العاطفة أصبحت بالنسبة لها أمرا من الماضي إلى حد ما؛ لم تحاول إخفاء واقع أن ينبوع العواطف المتأججة، والفضل يعود إلى أنه

said things to this amiable auditress that she had not yet said to any one. Sometimes she took alarm at her candour: it was as if she had given to a comparative stranger the key to her cabinet of jewels. These spiritual gems were the only ones of any magnitude that Isabel possessed, but there was all the greater reason for their being carefully guarded.

Afterwards, however, she always remembered that one should never regret a generous error and that if Madame Merle had not the merits she attributed to her, so much the worse for Madame Merle. There was no doubt she had great merits–she was charming, sympathetic, intelligent, cultivated. More than this for it had not been Isabel's ill-fortune to go through life without meeting in her own sex several persons of whom no less could fairly be said, she was rare, superior and preeminent. There are many amiable people in the world, and Madame Merle was far from being vulgarly good natured and restlessly witty. She knew how to think–an accomplishment rare in women; and she had thought to very good purpose. Of course, too, she knew how to feel; Isabel couldn't have spent a week with her without being sure of that. This was indeed Madame Merle's great talent, her most perfect gift. Life had told upon her; she had felt it strongly, and it was part of the satisfaction to be taken in her society that when the girl talked of what she was pleased to call serious matters this lady understood her so easily and quickly. Emotion, it is true, had become with her rather historic; she made no secret of the fact that the fount of passion, thanks to having

تدفق عنيفا في إحدى مراحل حياتها، لم يعُد يتدفّق بسهولة الأيام الخوالي. فضلا عن ذلك، اعتزمت، بالإضافة إلى أنها توقّعت، الكفّ عن الشعور؛ أقرّت من تلقاء نفسها أنها اقتربت في الفترة الأخيرة من حافة الجنون، وأنها تتظاهر في الوقت الحاضر بأنها سليمة العقل بشكل كامل.

"أحكم على الأمور أكثر مما كنت أفعل سابقا، ولكن يبدو لي أن المرء يكتسب الحق لممارسة مثل هذا العمل. لا يمكن للمرء الحكم على الأمور قبل بلوغ الأربعين من العمر، نكون قبل ذلك شديدي اللهّفة، والصلابة والقسوة، فضلا على أننا شديدي الجهل. أشعر بالأسف تجاهك، لأنه أمامك فترة زمنية طويلة قبل أن تبلغي الأربعين من العمر. ولكن كل مكسب هو في الواقع خسارة من نوع معيّن؛ غالبا ما أفكّر أن المرء يستحيل عليه الإحساس والشعور بعد بلوغه الأربعين. فالنضارة والرشاقة ولّتا إلى غير رجعة. ستحتفظين بهذه الخصال لفترة أطول من غالبية الناس، سأشعر برضا عارم إذا ما تيسّر لي رؤيتك بعد سنوات من الآن. أرغب برؤية ما ستفعله الحياة بك، أمر واحد مؤّكد. ستفشل في إفسادك. قد تقهرك إلى حدٍ كبير، ولكن أتحدّاها أن تتمكّن من تحطيمك."

تلقّت إيزابيل هذا التأكيد كما يفعل الجندي الشاب، الذي ما زال يلهث من آثار مناوشة سطحية أدّى خلالها مهمته بامتياز، وحصل على تربيتة على الكتف من قائد سرّيته، هكذا تقدير للجدارة بدا وكأنه صادر بقوة مُقنعة، كيف يعقل للكلام الأقل أهمية بكثير أن يكون أقل تأثيرا على شخص كان على استعداد للتعليق على كل ما كانت تقوله إيزابيل تقريبا، "أوه، سبق لي تجربة هذا الأمر يا عزيزتي، سيزول تأثيره، كما تأثير سائر الأمور الأخرى." كان يمكن لمدام ميرل في العديد من أحاديثها، أن تكون مصدر إزعاج؛ إذ كان من الصعب جدا إثارة ذهولها أو مفاجأتها.

been rather violently tapped at one period, didn't flow quite so freely as of yore. She proposed moreover, as well as expected, to cease feeling; she freely admitted that of old she had been a little mad, and now she pretended to be perfectly sane.

"I judge more than I used to," she said to Isabel, "but it seems to me one has earned the right. One can't judge till one's forty; before that we're too eager, too hard, too cruel, and in addition much too ignorant. I'm sorry for you; it will be a long time before you're forty. But every gain's a loss of some kind; I often think that after forty one can't really feel. The freshness, the quickness have certainly gone. You'll keep them longer than most people; it will be a great satisfaction to me to see you some years hence. I want to see what life makes of you. One thing's certain–it can't spoil you. It may pull you about horribly, but I defy it to break you up."

Isabel received this assurance as a young soldier, still panting from a slight skirmish in which he has come off with honour, might receive a pat on the shoulder from his colonel. Like such a recognition of merit it seemed to come with authority. How could the lightest word do less on the part of a person who was prepared to say, of almost everything Isabel told her, "Oh, I've been in that, my dear; it passes, like everything else." On many of her interlocutors Madame Merle might have produced an irritating effect; it was disconcertingly difficult to surprise her. But Isabel, though by no means incapable of desiring to be effective,

ولكن إيزابيل، بالرغم من أنها بمطلق الأحوال عاجزة عن التوق لأن تكون مؤثّرة، لم يكن لديها في الوقت الحاضر هذا الحافز. وفضلا عن هذا، مدام ميرل لم تتحدّث أبدا عن هذه الأشياء بنبرة مُتبجّحة أو منتصرة، بل كانت الكلمات تخرج منها أشبه باعتراف لا مبالٍ.

خيّمت فترة من الطقس السيئ فوق غاردينكورت، قَصُرت الأيام وانتهت فترات تناول الشاي الجميلة فوق المخضرة. ولكن سيدتنا الشابة كانت تُمضي الساعات في أحاديث وديّة مع زميلتها الزائرة، وكانت المرأتان بالرغم من المطر، تقومان بنزهة سيرا على الأقدام مُزوّدتين بالعُدّة الدفاعية التي أحدثها المناخ الإنجليزي وأتقنتها العبقرية الإنجليزية لدرجة قاربت حدّ الكمال. كان كل شيء يستأثر بإعجاب مدام ميرل، بما في ذلك المطر الإنجليزي، "هناك دائما القليل منه ولا يهطل إطلاقا بكميات كبيرة دفعة واحدة، كما أنه لا يتسبب بالبلل ويتسم دائما برائحة عطرة." صرّحت قائلة بأن متعة حاسة الشم هي رائعة دائما في إنجلترا، وأنه في هذه الجزيرة الفريدة يوجد نوع من مزيج الضباب والبيرة والسُخام، والذي مهما بدا ذلك غريبا، يُعتبر بمثابة عبير وطني، ومتناغم إلى حد بعيد مع المَنخرين: كانت تعمد لرفع كُم معطفها الإنجليزي وتدفن أنفها داخله، مُتنشّقة الشذا الصافي الرقيق الخاص بقماش الصوف. أصبح رالف توشيت المسكين، مع أول إطلالة فصل الخريف، أشبه بالسجين داخل منزله؛ إذا لم يكن يستطيع الخروج خلال فترات المناخ السيء، وكان يعمد أحيانا للوقوف بجانب أحد النوافذ ويداه مُقحمتان داخل جيوبه، يراقب إيزابيل ومدام ميرل وهما تسيران وسط الطريق المُشجّر تحت مِظلتيهما، بوجه ارتسم فيه مزيج من مشاعر الحزن والإنتقاد.

had not at present this impulse. She was too sincere, too interested in her judicious companion. And then moreover Madame Merle never said such things in the tone of triumph or of boastfulness; they dropped from her like cold confessions.

A period of bad weather had settled upon Gardencourt; the days grew shorter and there was an end to the pretty tea-parties on the lawn. But our young woman had long indoor conversations with her fellow visitor, and in spite of the rain the two ladies often sallied forth for a walk, equipped with the defensive apparatus which the English climate and the English genius have between them brought to such perfection. Madame Merle liked almost everything, including the English rain. "There's always a little of it and never too much at once," she said; "and it never wets you and it always smells good." She declared that in England the pleasures of smell were great–that in this inimitable island there was a certain mixture of fog and beer and soot which, however odd it might sound, was the national aroma, and was most agreeable to the nostril; and she used to lift the sleeve of her British overcoat and bury her nose in it, inhaling the clear, fine scent of the wool. Poor Ralph Touchett, as soon as the autumn had begun to define itself, became almost a prisoner; in bad weather he was unable to step out of the house, and he used sometimes to stand at one of the windows with his hands in his pockets and, from a countenance half-rueful, half-critical, watch Isabel and Madame Merle as they walked down the avenue under a pair of umbrellas.

The roads about Gardencourt were so firm, even in the worst weather, that the two ladies always came back with a healthy glow in their cheeks, looking at the soles of their neat, stout boots and declaring that their walk had done them inexpressible good. Before luncheon, always, Madame Merle was engaged; Isabel admired and envied her rigid possession of her morning. Our heroine had always passed for a person of resources and had taken a certain pride in being one; but she wandered, as by the wrong side of the wall of a private garden, round the enclosed talents, accomplishments, aptitudes of Madame Merle. She found herself desiring to emulate them, and in twenty such ways this lady presented herself as a model. "I should like awfully to be so!" Isabel secretly exclaimed, more than once, as one after another of her friend's fine aspects caught the light, and before long she knew that she had learned a lesson from a high authority. It took no great time indeed for her to feel herself, as the phrase is, under an influence. "What's the harm," she wondered, "so long as it's a good one? The more one's under a good influence the better. The only thing is to see our steps as we take them–to understand them as we go. That, no doubt, I shall always do. I needn't be afraid of becoming too pliable; isn't it my fault that I'm not pliable enough?" It is said that imitation is the sincerest flattery; and if Isabel was sometimes moved to gape at her friend aspiringly and despairingly it was not so much because she desired herself to shine as because she wished to hold up the lamp for Madame Merle. She liked her extremely, but was even more dazzled than attracted. She sometimes asked herself what Henrietta Stackpole would say to her thinking

كانت الطرقات حول غاردينكورت صلبة لدرجة، حتى في أسوأ الأحوال الجوية، كانت السيدتان الشابّتان تعودان دائما متورّدتي الوجه، وهما تنظران إلى أسفل جزمتيهما معلنتان أنهما استفادتا جدا من نزهتهما. كانت مدام ميرل، مشغولة دائما قبل موعد الغداء؛ أعجِبَت إيزابيل وحسدتها على استحواذها الصارم لساعات الصباح. اعتُبرَت بطلتنا دائما كإنسانة ذو براعة، وقد كانت تتباهى إلى حد ما بكونها كذلك؛ إلا أنها ضلّت السبيل، وكأنها اتجهت للجانب الخطأ من جدار حديقة خاصة حول مواهب، وإنجازات وجدارة مدام ميرل المُطوّقة بسياج كثيف. وجدت نفسها تتوق لمضاهاتها، وقد قدّمت تلك السيدة نفسها في أساليب وطرق متعددة كنموذج يُحتذى به. "كم أتحرّق لأكون مثل ذلك النموذج بالضبط!" صاحت إيزابيل سرّا بينها وبين نفسها، مرارا وتكرارا، مع بروز سِمات صديقتها المُرهفة، الواحدة تلو الأخرى، وسرعان ما أتقنت الدرس من مرجع رفيع. بالواقع شعرت خلال فترة قصيرة، كما يُقال، أنها تحت تأثير قوة خفية. "ما الضرّر في ذلك، طالما أنه تأثير صالح؟ المهم مراقبة خطواتنا. وفهمها خلال سيرنا. وهذا بالتأكيد ما سأفعله دائما. لن أخشى من أن ليّنة العريكة إلى حد كبير؛ أليست نقيصة في شخصيتي كوني لست ليّنة العريكة بما فيه الكفاية؟" تساءلت إيزابيل بينها وبين نفسها. يقال أن التقليد أصدق أشكال الإطراء؛ وإذا ما انشدهت إيزابيل أحيانا بتوق ويأس فلم يكن ذلك رغبة منها بالتألق بقدر ما كانت رغبة برفع المِشعل لمدام ميرل. أعجِبَت بها إلى حد كبير، لكن كان مَرد ذلك الإعجاب الشديد انبهارا أكثر مما كان انجذابا. كانت تتساءل أحيانا بينها وبين نفسها عمّا سيكون رأي هنريتا ستاكبول إزاء تفكيرها على هذا النحو بذلك النتاج المنحرف من تربتهما المشتركة، وكان لديها اقتناع بأنه سيكون حكما قاسيا

so much of this perverted product of their common soil, and had a conviction that it would be severely judged. Henrietta would not at all subscribe to Madame Merle; for reasons she could not have defined this truth came home to the girl. On the other hand she was equally sure that, should the occasion offer, her new friend would strike off some happy view of her old: Madame Merle was too humorous, too observant, not to do justice to Henrietta, and on becoming acquainted with her would probably give the measure of a tact which Miss Stackpole couldn't hope to emulate. She appeared to have in her experience a touchstone for everything, and somewhere in the capacious pocket of her genial memory she would find the key to Henrietta's value. "That's the great thing," Isabel solemnly pondered; "that's the supreme good fortune: to be in a better position for appreciating people than they are for appreciating you." And she added that such, when one considered it, was simply the essence of the aristocratic situation. In this light, if in none other, one should aim at the aristocratic situation.

I may not count over all the links in the chain which led Isabel to think of Madame Merle's situation as aristocratic– a view of it never expressed in any reference made to it by that lady herself. She had known great things and great people, but she had never played a great part. She was one of the small ones of the earth; she had not been born to honours; she knew the world too well to nourish fatuous illusions on the article of her own place in it. She had encountered many of the fortunate few and was perfectly aware of those points at which their fortune differed from hers. But if by her informed measure she was no figure for a

جدا. هنريتا لن تكون من مؤيّدات مدام ميرل على الإطلاق؛ لسبب لم تتمكّن من تحديده، اقتنعت الفتاة بهذه الحقيقة. من ناحية ثانية كانت متأكدة بصورة متساوية، أن رأي صديقتها الجديدة لن يكون قاسيا على صديقتها القديمة: فقد كانت مدام ميرل ظريفة وشديدة الملاحظة لدرجة لا يمكن إلا أن تكون منصفة ومُقدّرة هنريتا حقّ قدرها، وأغلب الظن حين تتعرّف عليها ستُظهر درجة معتدلة من اللباقة لا يمكن للآنسة ستاكبول أن تضاهيها. بدت وكأن تجاربها بمثابة مِحكٍ لكل شيء، وبطريقة أو بأخرى ستعثر داخل جيب ذاكرتها الرحبة على مفتاح لأهمية هنريتا. "هذا هو الشيء الأسمى، هذا هو حسن الطالع الأفضل: أن يكون المرء في موقع يُتيح له تقدير الآخرين بدلا من تقدير الآخرين له." فكّرت إيزابيل برزانة. وأضافت أن مثل هذا الأمر، حين يتأمّل به المرء مليّا، يتبيّن له أنه وبكل بساطة جوهر الوضع الأرستقراطي. يتوجّب على المرء، على ضوء هذه الحقيقة دون سواها، أن يصبو إلى الوضع الأرستقراطي.

ربما لا يمكنني تعداد جميع الحلقات في السلسلة التي أدّت بايزابيل لاعتبار وضع مدام ميرل مُنتسب إلى الطبقة الأرستقراطية. وهي سمة لم يُعبّر عنها إطلاقا في مطلق إشارة صادرة عن تلك السيدة نفسها. لقد عرفت أحداثا وأشخاصا كبار، إلا أنها لم تلعب قط دورا كبيرا. كانت إنسانة من عامة الشعب، لم تولد وفي فمها ملعقة ذهب؛ كانت معرفتها بالعالم جيدة جدا لدرجة إدراكها عقم تغذية أوهام خادعة فيما يتعلق بمكانتها فيه. سبق لها مقابلة العديد من القلّة المحظوظين، وكانت مُدركة تماما لتلك الخاصية التي تُميّز قَدرهم عن قدرها. ولكن إذا استنادا لمقياسها المُعلَم لم تكن شخصية من الوسط المخملي، إلا أنها كانت استنادا لمُعتقدات إيزابيل

تملك ضربا من العظمة. أن يكون المرء على هذه الدرجة من التهذيب والتمدّن، وأن يتمتع بهذا القدر من الحكمة والعفوية، وفي الوقت ذاته يستخفّ بكل هذا، فهذه بالذات خصال امرأة ذات مكانة اجتماعية عالية، خاصة إذا ما تصرّف وقدّم نفسه على هذا النحو. كانت تقوم عقب تناول الفطور بكتابة سلسلة متتالية من الرسائل، مُجيبة على العدد الكبير ممّا يرِدُها: كانت مُراسَلتها مصدر دهشة لإيزابيل حين كانتا أحيانا تسيران معا إلى مكتب البريد في القرية لإيداع مدام ميرل رسائلها في البريد.

كان عدد معارفها، كما أخبرت إيزابيل، لا يُعد ولا يُحصى، وكان هناك دائما مناسبات وحوادث تحتاج للكتابة عنها. كانت مولعة بالتصوير الزيتي، وبراعتها باستخدام فرشاة الرسم توازي سهولة خلعها لقفّازاتها. اغتنمت بشكل دائم خلال وجودها في غاردينكورت، ساعات النهار المُشمسة للخروج مزوّدة بمقعد خفيف يُطوى وعلبة الألوان المائية. سبق لنا الإطلاع على براعتها المميّزة في العزف على البيانو، وتأكيدا لهذه الحقيقة كانت حين تجلس إلى البيانو، كما كانت تفعل كل مساء، يتكيّف المُصغين دون تذمّر مع خسارتهم لحُسن ولباقة حديثها. شعرت إيزابيل منذ تعرّفها إليها، بالخجل من طريقة عزفها هي، علما أنها كانت تُعتبر في موطنها أشبه بالطفلة المعجزة، حين كانت تجلس على المقعد الموسيقي مُديرة ظهرها إلى الغرفة، الأمر الذي كان يُعتبر عادة أسمى من المكسب.

high scene, she had yet to Isabel's imagination a sort of greatness. To be so cultivated and civilized, so wise and so easy, and still make so light of it–that was really to be a great lady, especially when one so carried and presented one's self. It was as if somehow she had all society under contribution, and all the arts and graces it practised–or was the effect rather that of charming uses found for her, even from a distance, subtle service rendered by her to a clamorous world wherever she might be? After breakfast she wrote a succession of letters, as those arriving for her appeared innumerable.

Her correspondence was a source of surprise to Isabel when they sometimes walked together to the village post-office to deposit Madame Merle's offering to the mail. She knew more people, as she told Isabel, than she knew what to do with, and something was always turning up to be written about. Of painting she was devotedly fond, and made no more of brushing in a sketch than of pulling off her gloves. At Gardencourt she was perpetually taking advantage of an hour's sunshine to go out with a camp-stool and a box of water-colours. That she was a brave musician we have already perceived, and it was evidence of the fact that when she seated herself at the piano, as she always did in the evening, her listeners resigned themselves without a murmur to losing the grace of her talk. Isabel, since she had known her, felt ashamed of her own facility, which she now looked upon as basely inferior; and indeed, though she had been thought rather a prodigy at home, the loss to society when, in taking her place upon the music-stool, she turned her back to the room, was usually deemed greater than the gain.

حين كانت مدام ميرل خالية من الكتابة أو الرسم أو العزف على البيانو، كانت تنكبّ عادة على إنجاز أعمال تطريز رائعة من الوسادات والستائر وزخرفات المستوقد؛ وهو فن جسّد جرأة خيالها المُبدع متوازيا مع رشاقة إبرتها. لم تكن تجدها للحظة واحدة خالية من عمل مفيد، فحين لم تكن منهمكة بالأعمال التي ذكرتها، كانت تعمد إما للمطالعة (بدت لإيزابيل بانها تُطالع "كل ما هو هام")، أو التنزّه سيرا على الأقدام، أو لعب ضربا من لعب الورق يلعبه شخصى واحد، أو تبادل الأحاديث مع زميلاتها. وكانت في ممارستها لكل هذه المهمات قمة في الكياسة الاجتماعية، لم تُطل أبدا فترات تواجدها أو غيابها. مارست سلواتها بسلاسة تامة؛ كانت تعمل وتتحدّث في الوقت ذاته، وبدت وكأنها تُقلّل من أهمية ما تقوله وتتحدّث به. كانت تكفّ عن رسوماتها وتطريزاتها، وتنهض من جانب البيانو أو تبقى جالسة بقربه، وفقا لِما يتلاءم مع مُستمعيها، وهو أمر لم تُخطئ أبدا بتكهّنه واكتشافه بالحدس. كانت بالاختصار أكثر الأشخاص راحة، ومَكسبا وليونة يمكن للمرء العيش معه. إذا ما اعتبرتها إيزابيل لديها نقيصة ما فهي أنها كانت غير طبيعية؛ لم تكن الفتاة تقصد بذلك أنها كانت مُتكلّفة أو مُدّعية، إذ كانت بالواقع أبعد ما تكون عن هاتين النقيصتين، ولكن طبيعتها كانت مُغشّاة إلى حدٍ كبير بالتقاليد والأعراف. أصبحت مَرِنة، ومُفيدة، وناضجة وحاسمة إلى حدٍ كبير. كانت بكلام آخر حيوانا اجتماعيا بلغ حدود الكمال كما يُفتَرض بالرجل والمرأة أن يكونا، ونجحت في تحرير نفسها من جميع آثار ذلك التهوّر المُنشّط الذي كان يتمتّع به حتى أكثر الأشخاص لُطفا وودّا في العصر السابق قبل أن يُصبح نمط الحياة الريفية هو نمط الحياة السائد.

When Madame Merle was neither writing, nor painting, nor touching the piano, she was usually employed upon wonderful tasks of rich embroidery, cushions, curtains, decorations for the chimney-piece; an art in which her bold, free invention was as noted as the agility of her needle. She was never idle, for when engaged in none of the ways I have mentioned she was either reading'she appeared to Isabel to read "everything important", or walking out, or playing patience with the cards, or talking with her fellow inmates. And with all this she had always the social quality, was never rudely absent and yet never too seated. She laid down her pastimes as easily as she took them up; she worked and talked at the same time, and appeared to impute scant worth to anything she did. She gave away her sketches and tapestries; she rose from the piano or remained there, according to the convenience of her auditors, which she always unerringly divined. She was in short the most comfortable, profitable, amenable person to live with. If for Isabel she had a fault it was that she was not natural; by which the girl meant, not that she was either affected or pretentious, since from these vulgar vices no woman could have been more exempt, but that her nature had been too much overlaid by custom and her angles too much rubbed away. She had become too flexible, too useful, was too ripe and too final. She was in a word too perfectly the social animal that man and woman are supposed to have been intended to be; and she had rid herself of every remnant of that tonic wildness which we may assume to have belonged even to the most amiable persons in the ages before country-house life was the fashion.

وجدت إيزابيل صعوبة في التفكير بها بشكل مُنعزل أو مُنفرد، كانت تحيا فقط من خلال علاقاتها، المباشرة أو غير المباشرة، مع زملائها من بني البشر. لم تكن مدام ميرل امرأة سطحية. بل كانت عكس ذلك تماما. كانت غامضة. ومع ذلك، كان سلوكها لسان حال طبيعتها، لأنه كان ينطق بلغة العُرف وقواعد السلوك المرعية. قالت إيزابيل: "أليست اللغة بمطلق الأحوال سوى انعكاسا للعُرف؟ إنها تتحلّى بذوق سليم ما يحول دون ادّعائها وتظاهرها بما ليس فيها، كما يفعل بعض الأشخاص الذين أعرفهم."

قالت ذات مرة لصديقتها، استجابة لتلميح بدا وكأنه يختزن الكثير من المعاني: "أخشى أن تكوني عانيتِ الكثير في هذه الحياة."

"ما الذي يدفعك لقول هذا الكلام؟ آمل ألا يكون لدي الكثير من قنوط وابتئاس الأشخاص الذين أسيء فهمهم." سألت مدام ميرل بابتسامة شخص يمارس أحد ألعاب التخمين.

"لا، ولكنك أحيانا تقولين أشياء لا أظن الأشخاص السعداء في حياتهم قد لمسوها أو اختبروها."

"لم أكن دائما سعيدة في حياتي، يا له من شعور رائع!" قالت مدام ميرل، وهي ما تزال تبتسم، ولكن برزانة كاذبة، وكأنها تبوح بسر لأحد الأطفال.

ولكن إيزابيل أثبتت أنها أهل لذلك التعبير الساخر. "الكثير من الناس يتركون لدي إنطباعا بأنهم لم يعانوا إطلاقا من صعوبات الحياة."

Isabel found it difficult to think of her in any detachment or privacy, she existed only in her relations, direct or indirect, with her fellow mortals. One might wonder what commerce she could possibly hold with her own spirit. One always ended, however, by feeling that a charming surface doesn't necessarily prove one superficial; this was an illusion in which, in one's youth, one had but just escaped being nourished. Madame Merle was not superficial- not she. She was deep, and her nature spoke none the less in her behaviour because it spoke a conventional tongue. "What's language at all but a convention?" said Isabel. "She has the good taste not to pretend, like some people I've met, to express herself by original signs."

"I'm afraid you've suffered much," she once found occasion to say to her friend in response to some allusion that had appeared to reach far.

"What makes you think that?" Madame Merle asked with the amused smile of a person seated at a game of guesses. "I hope I haven't too much the droop of the misunderstood."

"No; but you sometimes say things that I think people who have always been happy wouldn't have found out."

"I haven't always been happy," said Madame Merle, smiling still, but with a mock gravity, as if she were telling a child a secret. "Such a wonderful thing!"

But Isabel rose to the irony. "A great many people give me the impression of never having for a moment felt anything."

"هذا صحيح تماما، فإعداد الأواني المعدنية يفوق بكثير عدد الأواني الخزفية. ولكن ثقي أن الجميع يحملون آثار معاناة معينة؛ فحتى أصلب الأواني المعدنية لديها القليل من الكَدمات والخدوش، حُفرة صغيرة في مكان ما. أهنئ نفسي على كوني شجاعة وصلبة، ولكن في الحقيقة تعرّضت بشكل مروّع لكثير من التصدّع والتشظّي. ما زلت مع ذلك أوفر خدمة ممتازة، هذا لأنني رمّمت نفسي مهارة وبراعة؛ وأحاول قدر استطاعتي البقاء داخل الخزانة. الخزانة الهادئة، المُعتمة، التي تفوح منها رائحة التوابل البالية. ولكن حين أخرج إلى الضوء الساطع، فإنني يا عزيزتي، أكون آنية مثيرة للاشمئزاز!"

لا أعلم ما إذا في هذه المناسبة أو في مناسبة أخرى حين اتخذ الحديث المجرى الذي أشرت إليه للتو، قالت لإيزابيل بأنها ذات يوم ستكشف لها تفاصيل عن حياتها لم يسبق أن روتها لأي كان. أكّدت لها ايزابيل اهتمامها البالغ بسماع ذلك، وذكّرتها في أكثر من مناسبة بالوعد الذي قطعته لها. ولكن مدام ميرل توسّلت مرّة تلو الأخرى تأجيل هذا الأمر، وفي نهاية المطاف أعلمت رفيقتها الشابة بكل صراحة أنه من الضروري الانتظار حتى تتعمّق صداقتهما أكثر. بدا أن مثل هذا الأمر مؤكد الحدوث؛ فصداقة طويلة وعميقة بدت ظاهرة بوضوح أمامهما. وافقت إيزابيل على طلبها، ولكنها في الوقت نفسه استعلمت منها عما إذا كانت تعتبرها شخصا لا يمكن الوثوق به. ما إذا كانت تبدو إنسانة قابلة لإفشاء أسرار مؤتمنيها.

"الأمر ليس له علاقة بخشيتي من احتمال البوح بما سأقوله لك، بل على العكس، أخشى من احتمال تأثرك الشديد به. ستحكمين عليّ بقسوة بالغة؛ فأنت تنتمين إلى العصر القاسي." أجابت زميلتها الزائرة. آثرت في الوقت الحاضر التحدّث مع إيزابيل عن إيزابيل، وأظهرت إهتماما كبيرا

"It's very true; there are many more iron pots certainly than porcelain. But you may depend on it that every one bears some mark; even the hardest iron pots have a little bruise, a little hole somewhere. I flatter myself that I'm rather stout, but if I must tell you the truth I've been shockingly chipped and cracked. I do very well for service yet, because I've been cleverly mended; and I try to remain in the cupboard–the quiet, dusky cupboard where there's an odour of stale spices–as much as I can. But when I've to come out and into a strong light–then, my dear, I'm a horror!"

I know not whether it was on this occasion or on some other that when the conversation had taken the turn I have just indicated she said to Isabel that she would some day a tale unfold. Isabel assured her she should delight to listen to one, and reminded her more than once of this engagement. Madame Merle, however, begged repeatedly for a respite, and at last frankly told her young companion that they must wait till they knew each other better. This would be sure to happen; a long friendship so visibly lay before them. Isabel assented, but at the same time enquired if she mightn't be trusted–if she appeared capable of a betrayal of confidence.

"It's not that I'm afraid of your repeating what I say," her fellow visitor answered; "I'm afraid, on the contrary, of your taking it too much to yourself. You'd judge me too harshly; you're of the cruel age." She preferred for the present to talk to Isabel of Isabel, and exhibited the greatest interest in our heroine's history, sentiments, opinions,

بماضي، وعواطف، وآراء وآمال بطلتنا. دفعتها للاستفاضة بالكلام وأصغت بودّ بالغ لكل كلمة نطقت بها. أشبع هذا الأمر غرور الفتاة، التي استلفت نظرها عدد الأشخاص البارزين الذي عرفتهم صديقتها، وكونها صادقت، استنادا لأقوال السيدة توشيت، أبرز الشخصيات في أوروبا. تعزّزت ثقة ايزابيل بنفسها لكونها حظيت باهتمام إنسانة تتميّز بمثل هذه الدائرة الواسعة من المعارف؛ وربما الدافع وراء مناشدتها في كثير من الأحيان العودة إلى مثل هذه الأحداث الماضية، كانت رغبة منها في إرضاء شعورها بالاستفادة من تلك الدائرة الواسعة من المعارف.

عاشت مدام ميرل في العديد من البلدان المختلفة وكان لديها روابط اجتماعية وثيقة في أنحاء العالم. "لا أدّعي أنني إنسانة مُثقّفة، ولكن أظن أنني أعرف أوروبا معرفة جيدة؛" كانت تردّد أحيانا. تحدّثت في إحدى المناسبات عن رغبتها السفر يوما ما إلى السويد والنزول ضيفة عند صديقة قديمة لها هناك، وفي مناسبة أخرى أشارت إلى رغبتها التوجه إلى مالطا للانضمام إلى صديقة تعرّفت إليها مؤخرا. كانت معرفتها بانجلترا واسعة جدا، نظرا لسكنها فيها ردحا من الزمن، الأمر الذي كان مفيدا جدا لإيزابيل في تعريفها على عادات هذه البلاد وطبيعة أناسها، الذين "برغم كل شيء، هم أكثر الأشخاص ملاءمة للعيش معهم." كما كانت تحب أن تقول دائما.

"عليك ألا تعتبري بقاءها هنا في هذه الظروف التي تشهد احتضار السيد توشيت أمرا غريبا، إنها عاجزة عن ارتكاب أي نوع من الأخطاء الاجتماعية؛ إنها أكثر النساء اللواتي أعرفهن لباقة. وجودها هنا بمثابة مساندة ودعما لي." علّقت زوجة ذلك الرجل النبيل قائلة لابنة شقيقتها.

"إنها بعملها هذا تؤجل زيارات العديد من المنازل الأرستقراطية

prospects. She made her chatter and listened to her chatter infinite good nature. This flattered and quickened the girl, who was struck with all the distinguished people her friend had known and with her having lived, as Mrs. Touchett said, in the best company in Europe. Isabel thought the better of herself for enjoying the favour of a person who had so large a field of comparison; and it was perhaps partly to gratify the sense of profiting by comparison that she often appealed to these stores of reminiscence.

Madame Merle had been a dweller in many lands and had social ties in a dozen different countries. "I don't pretend to be educated," she would say, "but I think I know my Europe"; and she spoke one day of going to Sweden to stay with an old friend, and another of proceeding to Malta to follow up a new acquaintance. With England, where she had often dwelt, she was thoroughly familiar, and for Isabel's benefit threw a great deal of light upon the customs of the country and the character of the people, who "after all," as she was fond of saying, were the most convenient in the world to live with.

"You mustn't think it strange her remaining here at such a time as this, when Mr. Touchett's passing away," that gentleman's wife remarked to her niece. "She is incapable of a mistake; she's the most tactful woman I know. It's a favour to me that she stays; she's putting off a lot of visits at great houses," said Mrs. Touchett, who never forgot that when she herself was in England her social value

المرموقة. لديها حرية اختيار أفضل الأماكن؛ فهي لا تفتقر إطلاقا لمكان تنزل فيه، ولكني طلبت منها النزول عندي لأنني أريدك أن تتعرّفي عليها. أظن مثل هذا الأمر سيكون مفيدا لك. سيرينا ميرل إنسانة خالية من النقائص.» قالت السيدة توشيت التي تعتبر أن قيمتها في السلّم الاجتماعي تنخفض درجة أو درجتين على أقل تقدير خلال وجودها في إنجلترا.

أجابت إيزابيل: «لو لم يسبق لي الإعجاب بها إلى حد كبير، لكان مثل هذا الوصف أثار الرهبة في نفسي.»

«تصرفاتها دائما وأبدا نموذجا يُحتذى به. اصطحبتكِ إلى هنا وأرغب بمساعدتك على أفضل وجه. أخبرتني شقيقتك ليلي أنها تأمل أن أوفّر لكِ الكثير من الفُرص المفيدة. أقدّم لكِ واحدة من هذه الفُرص بتعريفكِ على مدام ميرل. إنها واحدة من أكثر النساء تألقا وذكاء في أوروبا.»

«تُعجبني أكثر مما يُعجبني وصفك لها.» أصرّت إيزابيل على القول.

«هل شعورك باحتمال أن تكون عُرضة للانتقاد في يوم من الأيام، يُشبع غرورك؟ آمل أن تُعلميني بالأمر في حال حصوله.»

قالت إيزابيل: «سيكون ذلك مؤلما للغاية. بالنسبة لكِ.»

«لا حاجة تدعوك للقلق عليّ. يستحيل أن تكتشفي فيها ولو نقيصة واحدة.»

«يجوز، ولكني أجرؤ على القول أنّهُ فيّ حال وُجِدَت، فلن تفوتني.»

قالت السيدة توشيت: «تعرف تماما كل ما هو ضروري لمعرفته في هذا العالم.»

علّقت إيزابيل عقب هذا الحديث بالقول لرفيقتها، أنها تأمل أن تكون على معرفة بأن السيدة توشيت تعتبرها إنسانة نموذجية بالغة حدود الكمال. «إنني شاكرة لكِ، ولكن أخشى أن تكون خالتك تتخيل، أو على الأقل

sank two or three degrees in the scale. "She has her pick of places; she's not in want of a shelter. But I've asked her to put in this time because I wish you to know her. I think it will be a good thing for you. Serena Merle hasn't a fault."

"If I didn't already like her very much that description might alarm me," Isabel returned.

"She's never the least little bit 'off.' I've brought you out here and I wish to do the best for you. Your sister Lily told me she hoped I would give you plenty of opportunities. I give you one in putting you in relation with Madame Merle. She's one of the most brilliant women in Europe."

"I like her better than I like your description of her," Isabel persisted in saying.

"Do you flatter yourself that you'll ever feel her open to criticism? I hope you'll let me know when you do."

"That will be cruel–to you," said Isabel.

"You needn't mind me. You won't discover a fault in her."

"Perhaps not. But I dare say I shan't miss it."

"She knows absolutely everything on earth there is to know," said Mrs. Touchett.

Isabel after this observed to their companion that she hoped she knew Mrs. Touchett considered she hadn't a speck on her perfection. On which "I'm obliged to you," Madame Merle replied, "but I'm afraid your aunt imagines,

تُلمّح، لعدم وجود انحراف أو نقائص يمكن تسجيلها استنادا لسلوكي المعلوم لديها. "

"أتقصدين القول أن لديك جانبا متهوّرا تجهل وجوده؟"

"لا، أخشى أن أكثر الجوانب غموضا وشرّا في شخصيتي هي الأكثر وداعة. أقصد القول أنه بالنسبة لخالتك، المرء الخالي من النقائص هو ذاك الذي لا يتأخر إطلاقا على موعد العشاء. أي عشاءها هي طبعا. وعلى فكرة، لم أتأخر قبل بضعة أيام لدى عودتك من لندن عن موعد العشاء؛ فقد كانت الساعة تُشير إلى الثامنة مساء بالضبط حين دخلت غرفة الإستقبال: أنتم مَن أبكر في الحضور. تقصد القول أنه على المرء الإجابة على الرسائل في اليوم ذاته الذي يستلمها فيه، وحين ينزل المرء في ضيافتها لا يجلب معه الكثير من حقائب السفر ويحرص على عدم الإصابة بأي اعتلال صحي. تُشكّل هذه الأشياء بالنسبة للسيدة توشيت الفضيلة. إنه لنعمة أن نتمكّن من اختزالها إلى عناصرها الصغيرة. "

كانَ حديث مدام ميرل، كما هو ملاحظ، مُزين بلمسات من الانتقاد المتحرر الجريء، والذي حتى حين كان يتّسم بمظهر تقييدي، لم يستوقف ايزابيل على أنه شكس أو رديء الطبع. كان من غير الممكن أن يخطر ببال الفتاة مثلا، أن ضيفة السيدة توشيت الكيّسة كانت بالواقع تستغلّها؛ وذلك لأسباب مُقنعة جدا. أثبتت إيزابيل أولا وبلهفة أنها أهل لتقبّل آرائها غير التقليدية؛ أوحت مدام ميرل ثانيا بوجود الكثير من الأمور التي ترغب بالحديث عنها لاحقا وكان السبب الثالث أن حديث أحدهم دون تحفّظ وبحرية كاملة عن الأقارب المقرّبين، كان دلالة مُبهجة على إلفة ذلك الشخص مع نفسه. تضاعفت مع مرور الأيام دلائل عمق تبادل الأفكار والمشاعر العميقة، ولم يكن أقلها تفضيل رفيقتها على جعل الآنسة أرتشير

or at least alludes to, no aberrations that the clock-face doesn't register."

"So that you mean you've a wild side that's unknown to her?"

"Ah no, I fear my darkest sides are my tamest. I mean that having no faults, for your aunt, means that one's never late for dinner–that is for her dinner. I was not late, by the way, the other day, when you came back from London; the clock was just at eight when I came into the drawing-room; it was the rest of you that were before the time. It means that one answers a letter the day one gets it and that when one comes to stay with her one doesn't bring too much luggage and is careful not to be taken ill. For Mrs. Touchett those things constitute virtue; it's a blessing to be able to reduce it to its elements."

Madame Merle's own conversation, it will be perceived, was enriched with bold, free touches of criticism, which, even when they had a restrictive effect, never struck Isabel as ill-natured. It couldn't occur to the girl for instance that Mrs. Touchett's accomplished guest was abusing her; and this for very good reasons. In the first place Isabel rose eagerly to the sense of her shades; in the second Madame Merle implied that there was a great deal more to say; and it was clear in the third that for a person to speak to one without ceremony of one's near relations was an agreeable sign of that person's intimacy with one's self. These signs of deep communion multiplied as the days elapsed, and there

محور تلك الأحاديث. بالرغم من أنها أشارت مرارا إلى حوادث مرّت في حياتها، إلا أنها لم تتوقّف عندها طويلا؛ فقد كانت إلى حد ما مُتبجّحة بكل ما في الكلمة من معنى، بقدر ما كانت مُحبّة لسرد الإشاعات والأقاويل بشكل صريح وبدون موارية."

"إنني متقدّمة في السن ومجهدة وذاوية، إثارتي للإنتباه والإعجاب متساوية مع ما تتسم به صحيفة اليوم الفائت من إثارة وإعجاب. أنتِ شابة ونضرة وتنتسبين إلى الحاضر؛ تملكين الميزة الأهم، والفِعلية. كنتُ أملك تلك الميزة في يوم من الأيام. جميعنا نملكها على مدى ساعة من الزمن، ولكن أنت ستملكيها لفترة أطول. دعينا إذن نتحدث عنك؛ مُطلق شيء تقولينه سيكون هاما بالنسبة لي وأرغب بسماعه. إنها دلالة على أنني أتقدّم في السن. وأنني أميل للتحدّث مع الجيل الأصغر. أظن أنه تعويض رائع جدا. إذا كنا نفتقر للشباب في داخلنا، يمكننا الفوز به من الخارج، وأظن فعلا أننا نشعر به ونشاهده بشكل أفضل بهذه الطريقة. طبعا، يجب أن نكون على انسجام معه. سأكون هكذا معه دائما. لا أعتقد بأنني سأكون رديئة الطباع مع الأشخاص المتقدمين في العمر. آمل ألا أكون مخطئة في اعتقادي هذا؛ مما لا شك فيه يوجد بعض الأشخاص المتقدمين في السن الذين أكنّ لهم محبة خاصة. ولكنني لن أكون سوى مُقنطة مع الشباب؛ إنهم يؤثّرون فيّ ويروقون لي إلى حد كبير. لديك كامل حرية التصرّف إذن؛ يمكنك حتى أن تخرجي عن موضوع حديثنا إذا رغبت في ذلك؛ سأتغاضى عن الأمر وسأدلّلك إلى أقصى حد. أتظنين أنني أتحدّث كامرأة عجوز؟ بالواقع أنا كذلك، من فضلك؛ فقد ولدتُ قبل الثورة الفرنسية. آه، يا عزيزتي، إنني قادمة من بلاد بعيدة جدا، إنني أنتسب إلى العالم القديم. ولكن ليس هذا هو الموضوع الذي أرغب بمناقشته معك؛ أرغب بالتحدث عن العالم الجديد. عليك أن تخبريني المزيد عن أميركا؛ أنت لا

was none of which Isabel was more sensible than of her companion's preference for making Miss Archer herself a topic. Though she referred frequently to the incidents of her own career she never lingered upon them; she was as little of a gross egotist as she was of a flat gossip.

"I'm old and stale and faded," she said more than once; "I'm of no more interest than last week's newspaper. You're young and fresh and of to-day; you've the great thing–you've actuality. I once had it–we all have it for an hour. You, however, will have it for longer. Let us talk about you then; you can say nothing I shall not care to hear. It's a sign that I'm growing old–that I like to talk with younger people. I think it's a very pretty compensation. If we can't have youth within us we can have it outside, and I really think we see it and feel it better that way. Of course we must be in sympathy with it- that I shall always be. I don't know that I shall ever be ill-natured with old people–I hope not; there are certainly some old people I adore. But I shall never be anything but abject with the young; they touch me and appeal to me too much. I give you carte blanche then; you can even be impertinent if you like; I shall let it pass and horribly spoil you. I speak as if I were a hundred years old, you say? Well, I am, if you please; I was born before the French Revolution. Ah, my dear, je viens de loin; I belong to the old, old world. But it's not of that I want to talk; I want to talk about the new. You must tell me more about America; you never tell me enough. Here I've been since I was brought here as a helpless child, and it's ridiculous, or

تُخبرني أبدا ما يشفي غليلي. نشأت هنا منذ صغري، وإنه لأمر سخيف، ويكاد يكون مُشينا، قلّة معرفتي بتلك البلاد الرائعة، المروّعة والمضحكة. ومما لا ريب فيه البلاد الأكثر عظمة وهرجا. يوجد عدد كبير منا في هذه البلاد، ولا يسعني سوى القول أننا مجموعة بائسة من البشر. يتوجّب على المرء العيش في وطنه؛ كائن ما كان ذلك الوطن، فهو المكان الطبيعي الذي يجدر بالمرء السكن فيه. إذا لسنا مواطنين أميركيين صالحين، فحتما نحن مواطنيين أوروبيين مساكين؛ مكاننا الطبيعي ليس هنا. إننا مجرّد طُفيليّات تزحف فوق السطح؛ أقدامنا ليست ثابتة في التربة. بإمكان المرء على الأقل إدراك ذلك والتخلّي عن الأوهام. ربما بإمكان المرأة التقدّم والانسجام مع هذه البيئة؛ فالمرأة، كما يبدو لي، تفتقر لمكان طبيعي في أي مكان في هذا العالم؛ فأينما تجد نفسها، عليها البقاء على السطح، وإلى حد ما، الزحف. تحتجّين على أقوالي، يا عزيزتي؟ تشعرين بالصدمة؟ تُصرّحين بأنك لن تزحفي أبدا؟ صحيح أنني لا أراك من النوع الذي يزحف؛ عليك الوقوف منتصبة أكثر من العديد من بني البشر المساكين. حسنا، لا أظن بشكل عام، أنك ستزحفين. ولكن الرجال، الأمريكيون، ماذا يكتسبون من وجودهم هنا؟ لا أحسدهم على محاولتهم تعديل أنفسهم. انظري إلى المسكين رالف توشيت، أي نوع من الأشخاص تعتبرينه؟ لحسن الحظ أنه مصاب بداء السلّ: أقول لحسن الحظ لأن ذلك يُتيح له الفرصة القيام بعمل ما. مهنته هي العلّة المصاب بها؛ إنها نوع من الموقع الذي يُعطي صاحبه أفضلية على غيره. يمكنك القول، "السيد توشيت يحرص على الاعتناء بصحة رئتيه، ويعرف الكثير عن الأحوال الجوية." ولكن بدون هذا المرض، مَن يمكنه أن يكون، وماذا يمكنه أن يُمثّل؟ السيد رالف توشيت: أميركي يعيش في أوروبا. مثل هذا القول لا يُفيد ولا يعني شيئا. يستحيل على أي شيء آخر أن يُضاهي

rather it's scandalous, how little I know about that splendid, dreadful, funny country - surely the greatest and drollest of them all. There are a great many of us like that in these parts, and I must say I think we're a wretched set of people. You should live in your own land;. whatever it may be you have your natural place there. If we're not good Americans we're certainly poor Europeans; we've no natural place here. We're mere parasites, crawling over the surface; we haven't our feet in the soil. At least one can know it and not have illusions. A woman perhaps can get on; a woman, it seems to me, has no natural place anywhere; wherever she finds herself she has to remain on the surface and, more or less, to crawl. You protest, my dear? you're horrified? you declare you'll never crawl? It's very true that I don't see you crawling; you stand more upright than a good many poor creatures. Very good; on the whole, I don't think you'll crawl. But the men, the Americans; je vous demande un peu, what do they make of it over here? I don't envy them trying to arrange themselves. Look at poor Ralph Touchett: what sort of a figure do you call that? Fortunately he has a consumption; I say fortunately, because it gives him something to do. His consumption's his carriere; it's a kind of position. You can say: 'Oh Mr. Touchett, he takes care of his lungs, he knows a great deal about climates.' But without that who would he be, what would he represent? 'Mr. Ralph Touchett: an American who lives in Europe.' That signifies absolutely nothing–it's impossible anything should signify less. 'He's very cultivated,' they say: 'he has a

هذا القول فراغا وتفاهة. يرددون، "إنه مهذّب جدا، ويملك مجموعة رائعة من علب السُّعوط القديمة." مللت من سماع العبارة ذاتها؛ أظن أنها غريبة على نحو قبيح للغاية. الوضع مختلف فيما يتعلق بالوالد العجوز المسكين؛ لديه ذاتية خاصّة به، وهي في الواقع من النوع الكبير جدا. فهو يمثل مصرفا ماليا ضخما، وهذا عمليا وفي عصرنا الحاضر، أمر حسن جدا شأن أي من الأمور الحسنة الأخرى. وفي مطلق الأحوال، بالنسبة لرجل أميركي، فهو وضع ملائم جدا. ولكنني أصرّ على اعتبار ابن خالتك محظوظ جدا لإصابته بمرض مُزمن طالما لا يتسبب ذلك بوفاته. إنه أفضل بكثير من علب السُّعوط. تقولين لو لم يكن مريضا، لكان اتخذ لنفسه مهنة؟. سيأخذ مكان والده في المصرف. يا طفلتي المسكينة، أشك بذلك؛ لا أظن أنه مولع إلى هذه الدرجة بعمل المصرف. ولكن مهما يكن، أنت تعرفينه أكثر مني، علما أنني كنت على معرفة وثيقة به في الماضي، ويمكننا تبرئته من هذه التهمة لفقدان الأدلة الكافية لإدانته. الوضع الأسوأ في نظري، هو وضع صديق لي، أحد مواطنينا، يعيش في إيطاليا (حيث نشأ لفقدان معرفته بمكان أفضل)، والذي يُعتبر من أكثر الرجال الذين أعرفهم إثارة وجاذبية. يُدعى غلبرت أوزموند. يعيش في إيطاليا؛ هذا كل ما يمكن للمرء القول عنه أو الإشادة به. إنه حاذق إلى أبعد حدّ، رجل مُقدّر له أن يكون شخصا مُميّزا، ولكن كما قلت لك، تستنفدي الوصف حين لا يمكنك القول سوى أنه السيد أوزموند ويعيش في إيطاليا. ليس لديه مهنة، أو لقب، أو مركز اجتماعي مرموق، أو ثروة، أو ماض، أو مستقبل، أو أي شيء. أوه، صحيح، أستمحيك عذرا، يهوى الرسم ويمارسه. يرسم بالألوان المائية؛ كما أفعل أنا، غير أنه يُتقن عمله هذا بشكل أفضل مما أفعل أنا. لا يمكن اعتبار لوحاته باللوحات جيدة، بشكل عام يُسعدني قول ذلك. لحسن الحظ أنه بطيء جدا في

very pretty collection of old snuff-boxes.' The collection is all that's wanted to make it pitiful. I'm tired of the sound of the word; I think it's grotesque. With the poor old father it's different; he has his identity, and it's rather a massive one. He represents a great financial house, and that, in our day, is as good as anything else. For an American, at any rate, that will do very well. But I persist in thinking your cousin very lucky to have a chronic malady so long as he doesn't die of it. It's much better than the snuff-boxes. If he weren't ill, you say, he'd do something?–he'd take his father's place in the house. My poor child, I doubt it; I don't think he's at all fond of the house. However, you know him better than I, though I used to know him rather well, and he may have the benefit of the doubt. The worst case, I think, is a friend of mine, a countryman of ours, who lives in Italy where he also was brought before he knew better, and who is one of the most delightful men I know. Some day you must know him. I'll bring you together and then you'll see what I mean. He's Gilbert Osmond–he lives in Italy; that's all one can say about him or make of him. He's exceedingly clever, a man made to be distinguished; but, as I tell you, you exhaust the description when you say he's Mr. Osmond who lives tout betement in Italy. No career, no name, no position, no fortune, no past, no future, no anything. Oh yes, he paints, if you please–paints in water-colours; like me, only better than I. His painting's pretty bad; on the whole I'm rather glad of that. Fortunately he's very indolent, so indolent that it amounts to a sort of position. He can say, 'Oh, I do

عمله، كسول لدرجة أصبح ذلك بمثابة نوع من مهنة له. يمكنه القول، "لا أعمل شيئا؛ إنني كسول جدا. يمكنك عدم القيام بأي عمل اليوم، إذا ما كنت تستيقظ في الساعة الخامسة صباحا." يُصبح من هذا المنطلق شخصية استثنائية إلى حد ما؛ تشعرين أن بإمكانه عمل شيء لو أنه يستيقظ باكرا. لا يتحدّث أبدا عن رسوماته إلى الناس عامة؛ إنه أذكى من أن يتصرّف على هذا النحو. ولكن لديه طفلة صغيرة. فتاة صغيرة رائعة؛ لا يتوقّف عن الحديث عنها. إنه متفانٍ في حبه لها، ولو كانت الأبوّة تُعتبر مهنة، لكان برع فيها بشكل كبير. ولكن أخشى أن هذا الأمر ليس أفضل من علب السُّعوط؛ حتى أنه يكاد يكون أدنى منه في الأهمية. أخبريني ماذا يفعلون في أميركا." تابعت مدام ميرل حديثها، والتي تجدر الإشارة، إلى أنّها لم تُفضي بكل هذه الانطباعات دفعة واحدة، والتي نقدّمها كمجموعة تسهيلا للقارئ. تحدّثت عن فلورنسا، حيث يسكن أوزموند وحيث تملك السيدة توشيت قصرا يعود إلى القرون الوسطى؛ تحدّثت عن روما، حيث تملك هي منزلا صغيرا مزيّناً بمفروشات دمشقية ذات نوعية لا بأس بها. تحدّثت عن أماكن، وأشخاص ومواضيع شتّى؛ وتحدّثت من وقت لآخر عن مُضيفهما المسنّ الفائق اللطف واحتمالات تعافيه. اعتبرت منذ البداية أن مثل هذا الاحتمال يكاد يكون معدوما، وقد ذُهِلَت إيزابيل من النظرة الأكيدة، المُميّزة والوافية التي اتخذتها إزاء ما تبقّى من حياته. أعلنت ذات مساء بشكل حاسم بأنه لن يعيش.

"أعلمني بذلك السير ماثيو هوب بكل صراحة بدون أن يتجاوز ما تقتضيه أصول اللياقة؛ وهو واقف هناك، بالقرب من المستوقد، قبل موعد العشاء. مما لا شك فيه أن ذلك الطبيب المُميّز، يُحسن التصرف إلى حد

nothing; I'm too deadly lazy. You can do nothing to-day unless you get up at five o'clock in the morning.' In that way he becomes a sort of exception; you feel he might do something if he'd only rise early. He never speaks of his painting–to people at large; he's too clever for that. But he has a little girl–a dear little girl; he does speak of her. He's devoted to her, and if it were a career to be an excellent father he'd be very distinguished. But I'm afraid that's no better than the snuff-boxes; perhaps not even so good. Tell me what they do in America," pursued Madame Merle, who, it must be observed parenthetically, did not deliver herself all at once of these reflexions, which are presented in a cluster for the convenience of the reader. She talked of Florence, where Mr. Osmond lived and where Mrs. Touchett occupied a mediaeval palace; she talked of Rome, where she herself had a little pied-a-terre with some rather good old damask. She talked of places, of people and even, as the phrase is, of "subjects"; and from time to time she talked of their kind old host and of the prospect of his recovery. From the first she had thought this prospect small, and Isabel had been struck with the positive, discriminating, competent way in which she took the measure of his remainder of life. One evening she announced definitely that he wouldn't live.

"Sir Matthew Hope told me so as plainly as was proper," she said; "standing there, near the fire, before dinner. He makes himself very agreeable, the great doctor. I don't mean his saying that has anything to do with it. But

كبير. لا أقصد القول أن مصارحته لي بهذا الأمر له أي علاقة بما أتحدث به. لكنه يقول هذه الأمور بلياقة متناهية. أخبرته أنني أشعر بعدم ارتياح من بقائي هنا في مثل هذا الوقت؛ بدا لي وكأنه عمل أحمق. خاصة وأنني لا أحسِن التمريض، "عليكِ البقاء، عليكِ البقاء، سيأتي دوركِ لاحقا." أجابني هو. ألا تعتبرين هذا أسلوبا مُرهفا للقول أن السيد توشيت المسكين سيرحل وأنني سأكون ذات فائدة كمُعزّية ومؤاسية؟ ولكن بالواقع، لن أكون ذات فائدة على الإطلاق. فخالتك ستؤاسي نفسها بنفسها، وهي دون أحد سواها، ستعرف بالضبط حجم المؤاساة التي ستحتاجها. سيكون عملا في غاية الحساسية أن يأخذ شخصا آخر على عاتقه مهمة تقييم جُرعة المؤاساة. سيكون الأمر مختلفا مع ابن خالتك، فهو سيفتقد والده إلى حدٍ كبير. ولكن يستحيل عليّ افتراض إمكانية قدرتي على مؤاساة السيد رالف؛ فعلاقتنا لا تُتيح لنا هكذا تصرّف." لمّحت مدام ميرل مرارا إلى نوع من التنافر في علاقاتها مع رالف توشيت؛ وهكذا انتهزت إيزابيل هذه الفرصة لتسألها ما إذا هما على صداقة وطيدة.

"طبعا، ولكنه لا يُحبني."

"ما الذي فعلته له ليشعر هكذا تجاهكِ؟"

"لا شيء على الإطلاق. لا يحتاج المرء لسبب ملموس للشعور على هذا النحو تجاه شخص آخر."

"لعدم محبته لك؟ أظن أن المرء يحتاج لسبب وجيه جدا ليشعر بمثل هذا الشعور تجاهكِ."

"أنت لطيفة جدا. تأكدي أن يكون لديك سببا وجيها في اليوم الذي تبدئين فيه الشعور بكره تجاهي."

"أبدأ بالشعور بكره تجاهكِ؟ لن أشعر بذلك أبدا."

he says such things with great tact. I had told him I felt ill at my ease, staying here at such a time; it seemed to me so indiscreet–it wasn't as if I could nurse. 'You must remain, you must remain,' he answered; 'your office will come later.' Wasn't that a very delicate way of saying both that poor Mr. Touchett would go and that I might be of some use as a consoler? In fact, however, I shall not be of the slightest use. Your aunt will console herself; she, and she alone, knows just how much consolation she'll require. It would be a very delicate matter for another person to undertake to administer the dose. With your cousin it will be different; he'll miss his father immensely. But I should never presume to condole with Mr. Ralph; we're not on those terms." Madame Merle had alluded more than once to some undefined incongruity in her relations with Ralph Touchett; so Isabel took this occasion of asking her if they were not good friends.

"Perfectly, but he doesn't like me."

"What have you done to him?"

"Nothing whatever. But one has no need of a reason for that."

"For not liking you? I think one has need of a very good reason."

"You're very kind. Be sure you have one ready for the day you begin."

"Begin to dislike you? I shall never begin."

"آمل ذلك؛ لأنك إذا ما فعلتِ فسيكون شعورا أبديا معك. هذا هو الوضع مع ابن خالتك؛ يستحيل عليه تجاوز الأمر ونسيانه. إنها كراهية فطرية. هذا إذا كان يمكنني تسميتها على هذا النحو إذ أن ذلك الشعور من ناحيته فقط. ليس عندي أي شيء ضده ولا أشعر تجاهه بأية ضغينة على الإطلاق لعدم إنصافه لي. الإنصاف هو كل ما أرغب به. ولكن مع هذا، يشعر المرء أنه رجل نبيل ولن يُقدم على توجيه كلاما مجحفا وقاسيا تجاه أحد. إنه لا يُخفي خططه ونيّاته." أضافت مدام ميرل بعد لحظة، "إنني لا أخافه."

"أرجو ذلك فعلا،" قالت إيزابيل، التي أضافت شيئا بما معناه أنه ألطف شخص على وجه الخليقة. ولكنها تذكّرت، أنه حين سألته عن مدام ميرل للمرة الأولى أجاب بطريقة يمكن أن تعتبرها تلك السيدة مُهينة بشكل مُتحفّظ. كان هناك شيء ما بينهما، فكّرت إيزابيل بينها وبين نفسها، إلا أنها لم تُضف شيئا على ما قالته. إذا كان ذلك أمرا ذات أهمية، فهو يستحق الاحترام؛ وإذا لم يكن فلا يستحق فضولها. فبالرغم من ولعها الشديد بالمعرفة، كان لديها انكماش فطري من رفع الستائر والنظر في الزوايا المظلمة. تصاحب ولعها بالمعرفة في ذهنها مع قابلية شديدة الرقّة للجهل.

ولكن مدام ميرل كانت أحيانا تقول أشياء تُجفلها، وتدفعها لرفع حاجبيها ذهولا لحظة سماعها لتلك الأقوال ومن ثم التفكير مليّا فيها في وقت لاحق. "إنني على استعداد للتضحية بالكثير لأعود ثانية إلى سنّك، لو يتيسّر لي البدء من جديد. لو يُتاح لي استرجاع كامل حياتي أمامي." صرّحت ذات مرّة بمرارة، بالرغم من تخفيف حدّتها بوفرة طمأنينتها

"I hope not; because if you do you'll never end. That's the way with your cousin; he doesn't get over it. It's an antipathy of nature–if I can call it that when it's all on his side. I've nothing whatever against him and don't bear him the least little grudge for not doing me justice. Justice is all I want. However, one feels that he's a gentleman and would never say anything underhand about one. Cartes sur table," Madame Merle subjoined in a moment, "I'm not afraid of him."

"I hope not indeed," said Isabel, who added something about his being the kindest creature living. She remembered, however, that on her first asking him about Madame Merle he had answered her in a manner which this lady might have thought injurious without being explicit. There was something between them, Isabel said to herself, but she said nothing more than this. If it were something of importance it should inspire respect; if it were not it was not worth her curiosity. With all her love of knowledge she had a natural shrinking from raising curtains and looking into unlighted corners. The love of knowledge coexisted in her mind with the finest capacity for ignorance.

But Madame Merle sometimes said things that startled her, made her raise her clear eyebrows at the time and think of the words afterwards. "I'd give a great deal to be your age again," she broke out once with a bitterness which, though diluted in her customary amplitude of ease, was imperfectly disguised by it. "If I could only begin again–if I

المعتادة، إلا أنها أُخفيَت على نحو ناقص.

"ما زالت حياتك أمامك،" أجابت إيزابيل بلطف، اذ انتابها ما يُشبه الرعب لدى سماعها هذا القول.

"لا، لقد انقضى الجزء الأفضل منها، انقضى عبثا."

قالت إيزابيل: "من غير ريب لم ينقضِ عبثا."

"ما الذي يؤكّد ذلك، ما الذي كسبته؟ ليس لدي زوج، وطفل، وثروة، ومهنة وآثار جمال لم أملكه يوما."

"لديك العديد من الأصدقاء، يا سيدتي العزيزة."

"لستُ واثقة من ذلك!" صاحت مدام ميرل.

"أنتِ مخطئة. لديك ذكريات، وفضائل، مواهب . . ."

ولكن مدام ميرل قاطعتها. "ما الذي كسبته من مواهبي؟ لا شيء سوى حاجتي للمواصلة من الاستفادة من هذه المواهب، لتمضية الساعات، والسنين وخداع نفسي بحجة من الحركة ومن اللاوعي. وفيما يتعلّق بفضائلي ومواهبي، فكلما قلّ الكلام عنها كلما كان ذلك أفضل. ستبقين صديقتي إلى أن تعثري على فائدة أكبر تجنيها من صداقتك."

"سيكون من واجبك إذن أن لا أعثر على مثل تلك الفائدة."

"نعم، سأبذل جهدي للمحافظة على صداقتك." رمقتها رفيقتها بنظرة جدّية. "حين أقول بأنني أرغب بأن أكون في سنك، أعني أتمنى التمتّع بمزاياك. أن أكون مثلك صريحة، وكريمة وصادقة. لو كان لدي خصالك تلك لكانت حياتي أفضل."

"ما الذي تتمنين القيام به ولم يُتح لك ذلك؟"

تناولت مدام ميرل مقطوعة موسيقية. كانت جالسة إلى البيانو وكانت

could have my life before me!"

"Your life's before you yet," Isabel answered gently, for she was vaguely awe-struck.

"No; the best part's gone, and gone for nothing."

"Surely not for nothing," said Isabel.

"Why not–what have I got? Neither husband, nor child, nor fortune, nor position, nor the traces of a beauty that I never had."

"You have many friends, dear lady."

"I'm not so sure!" cried Madame Merle.

"Ah, you're wrong. You have memories, graces, talents-"

But Madame Merle interrupted her. "What have my talents brought me? Nothing but the need of using them still, to get through the hours, the years, to cheat myself with some pretence of movement, of unconsciousness. As for my graces and memories the less said about them the better. You'll be my friend till you find a better use for your friendship."

"It will be for you to see that I don't then," said Isabel.

"Yes; I would make an effort to keep you." And her companion looked at her gravely. "When I say I should like to be your age I mean with your qualities - frank, generous, sincere like you. In that case I should have made something better of my life."

"What should you have liked to do that you've not done?"

Madame Merle took a sheet of music–she was seated at

استدارت على نحو مفاجئ وهي في كرسيها حين بدأت بالكلام. أخذت تُقلّب الصفحات بشكل آلي. أجابت أخيرا: "إنني طموحة جدا!".

"وفشلت في تحقيق طموحاتك؟ لا بد وأنها كانت طموحات كبيرة."

"كانت طموحات كبيرة فعلا. سأبدو سخيفة عندما أتحدّث عنها."

تساءلت إيزابيل بينها وبين نفسها عمّا عساها تكون تلك الطموحات. ما إذا مدام ميرل كانت تطمح لأن تُتوَّج ملكة. "لا أعلم ما هي فكرتك عن النجاح، ولكن يبدو لي أنك كنتِ ناجحة في حياتك. مما لا شك فيه بالنسبة لي أنّك صورة ناطقة عن النجاح."

ألقت مدام ميرل بالمقطوعة الموسيقية جانبا. سألت وهي تبتسم: "ما فكرتك أنتِ عن النجاح؟"

"من الواضح أنك ستعتبرينها فكرة وديعة جدا. تحقيق المرء لبعض أحلام شبابه."

"لم يتسنّ لي تحقيق ذلك على الإطلاق! ولكن أحلامي كانت كبيرة جدا كانت مستحيلة ومنافية للعقل والمنطق. ليسامحني الله، إنني أحلم الآن." واستدارت ثانية ناحية البيانو وبدأت تعزف بمهارة فائقة. قالت لإيزابيل في اليوم التالي أن تعريفها للنجاح كان رائعا، وكان ذلك مُحزنا إلى درجة مرعبة. قياسا على هذا، مَن يمكن اعتباره ناجحا؟ أحلام الشباب، لا شك أنها ساحرة وكانت في منتهى الروعة! مَن تمكّن من تحقيقها؟"

تجرأت إيزابيل على الإجابة: "أنا فعلت. نجحت في تحقيق البعض منها."

"الآن؟ لا بد وأنها كانت أحلام الأمس؟"

the piano and had abruptly wheeled about on the stool when she first spoke- and mechanically turned the leaves. "I'm very ambitious!" she at last replied.

"And your ambitions have not been satisfied? They must have been great."

"They were great. I should make myself ridiculous by talking of them."

Isabel wondered what they could have been–whether Madame Merle had aspired to wear a crown. "I don't know what your idea of success may be, but you seem to me to have been successful. To me indeed you're a vivid image of success."

Madame Merle tossed away the music with a smile. "What's your idea of success?"

"You evidently think it must be a very tame one. It's to see some dream of one's youth come true."

"Ah," Madame Merle exclaimed, "that I've never seen! But my dreams were so great–so preposterous. Heaven forgive me, I'm dreaming now!" And she turned back to the piano and began grandly to play. On the morrow she said to Isabel that her definition of success had been very pretty, yet frightfully sad. Measured in that way, who had succeeded? The dreams of one's youth, why they were enchanting, they were divine! Who had ever seen such things come to pass?

"I myself–a few of them," Isabel ventured to answer.

"Already? They must have been dreams of yesterday."

قالت إيزابيل وهي تبتسم: "بدأت أحلم في عمر صغير جدا."

"إذا كنت تقصدين طموحات طفولتك. مثل امتلاك وشاح زهري اللون ودُمية تُغمض عيناها."

"لا، لا أقصد ذلك."

"أو فتى أحلام بشاربين أنيقين ينحني أمامك على ركبتيه."

صرّحت إيزابيل بمزيد من الحماس: "لا، ولا هذا كذلك."

بدت مدام ميرل وكأنها لحظت تلك الحماسة. "أظن هذا ما تقصدينه بكلامك. كان لدينا جميعنا فتى الأحلام بالشاربين الأنيقين. إنه فتى الأحلام المتعذر اجتنابه؛ لا قيمة ولا وزنا له."

صمتت إيزابيل للحظة ومن ثم تحدّثت بطريقة غير مترابطة وخارجة عن الموضوع تماما. "من الذي قال أن لا قيمة ولا وزنا له؟ فليس جميع الرجال متشابهون في القيم والأخلاق."

سألت صديقتها ضاحكة: "وفتى أحلامك كان نموذجيا. أهذا ما تقصدين قوله؟ إذا حصلت على رجل مطابق تماما لفتى أحلامك، فهذا هو النجاح بعينه، إنني أهنئك على ذلك من صميم قلبي. ولكن في هذه الحالة، ما المانع الذي حال دون الطيران برفقته إلى قصره في الأبينينز؟."

"لا يملك قصرا في الأبينينز."

"ماذا يملك؟ منزل قرميدي قبيح في شارع الأربعين؟ لا تقولي لي ذلك؛ أرفض اعتبار هكذا رجل كنموذج مثالي."

قالت إيزابيل: "لا أكترث البتّة لنوع منزله."

"هذا كلام غير ناضج البتة منك. ستجدين بعدما تبلغين العمر الذي أنا فيه، أنّهُ لكل إنسان قوقعته الخاصة به وأنه عليك أخذ تلك القوقعة في

"I began to dream very young," Isabel smiled.

"Ah, if you mean the aspirations of your childhood–that of having a pink sash and a doll that could close her eyes."

"No, I don't mean that."

"Or a young man with a fine moustache going down on his knees to you."

"No, nor that either," Isabel declared with still more emphasis.

Madame Merle appeared to note this eagerness. "I suspect that's what you do mean. We've all had the young man with the moustache. He's the inevitable young man; he doesn't count."

Isabel was silent a little but then spoke with extreme and characteristic inconsequence. "Why shouldn't he count? There are young men and young men."

"And yours was a paragon–is that what you mean?" asked her friend with a laugh. "If you've had the identical young man you dreamed of, then that was success, and I congratulate you with all my heart. Only in that case why didn't you fly with him to his castle in the Apennines?"

"He has no castle in the Apennines."

"What has he? An ugly brick house in Fortieth Street? Don't tell me that; I refuse to recognize that as an ideal."

"I don't care anything about his house," said Isabel.

"That's very crude of you. When you've lived as long as I you'll see that every human being has his shell and that

الاعتبار. أقصد بكلمة قوقعة، الظروف وكل ما يُغلّفها من مؤثرات. لا وجود لرجل أو امرأة منعزلة؛ جميعنا مجبولين بما يُشبه مجموعة من الامتيازات الفرعية. ماذا نُسمّي "الذات" الخاصة بنا؟ أين تبدأ؟ وأين تنتهي؟ تفيض داخل كل ما يمتّ إلينا بصلة، لتعود للدفق ثانية. أعرف أن جزءا كبيرا من ذاتي هو في نوعية وطراز الملابس التي أختارها لارتدائها. أكن احتراما كبيرا للأشياء! بينما الذات بالنسبة لأشخاص آخرين قد تكون تعبير المرء عن ذاته؛ أو منزله، أو أثاثه، أو كسائه، أو مجموعة الكتب التي يطالعها، أو الشركة التي يملكها. جميع هذه الأشياء معبّرة عن الذات."

كان هذا الكلام مُتّسم بكثير من الموارائيات، شأن عدد من التعليقات التي سبق لمدام ميرل الإفصاح عنها. كانت إيزابيل مولعة بالماورائيات، غير أنها فشلت في تتبّع صديقتها في تحليلها الجريء هذا للنفس البشرية. "لا أوافقك الرأي. أفكّر عكس ما تقولينه تماما. لا أعرف ما إذا سأنجح في التعبير عن نفسي، ولكني أعرف أنه لا شيء آخر يمكنه التعبير عن نفسي. لا شيء مما أملكه أو مُنتَسِب لي يمكن اعتباره معيار لذاتي؛ بل على العكس كل شيء هو بمثابة حدّ أو عائق، علما أنه كَيْفي تماما. مما لا ريب فيه أن الثياب التي أختارها لأرتديها، كما تقولين، لا تعبّر إطلاقا عن نفسي، وأرجو الله أن لا تفعل أبدا!"

علّقت مدام ميرل قائلة: "ثيابك في غاية الأناقة."

"ربما؛ ولكن لا أكترث بأن أقيّم بموجبها. فثيابي قد تُعبّر عن الخيّاطة النسائية، لكنها لا تعبّر عني. فأولا وأخيرا عملية ارتدائي للثياب ليست من خياري؛ بل إنها مفروضة عليّ من المجتمع."

you must take the shell into account. By the shell I mean the whole envelope of circumstances. There's no such thing as an isolated man or woman; we're each of us made up of some cluster of appurtenances. What shall we call our 'self'? Where does it begin? where does it end? It overflows into everything that belongs to us–and then it flows back again. I know a large part of myself is in the clothes I choose to wear. I've a great respect for things! One's self–for other people- is one's expression of one's self; and one's house, one's furniture, one's garments, the books one reads, the company one keeps–these things are all expressive."

This was very metaphysical; not more so, however, than several observations Madame Merle had already made. Isabel was fond of metaphysics, but was unable to accompany her friend into this bold analysis of the human personality. "I don't agree with you. I think just the other way. I don't know whether I succeed in expressing myself, but I know that nothing else expresses me. Nothing that belongs to me is any measure of me; everything's on the contrary a limit, a barrier, and a perfectly arbitrary one. Certainly the clothes which, as you say, I choose to wear, don't express me; and heaven forbid they should!"

"You dress very well," Madame Merle lightly interposed.

"Possibly; but I don't care to be judged by that. My clothes may express the dressmaker, but they don't express me. To begin with it's not my own choice that I wear them; they're imposed upon me by society."

سألت مدام ميرل بنبرة يُفهم منها أنها وصلت لنهاية هذه المحادثة: "أكنت تفضلين لو يمكنك الاستغناء عنها؟"

إنني مُلزم بالاعتراف، علما أن ذلك سيُلقي بعض الشك على الصورة التي رسمتها عن الإخلاص الغضّ الذي مارسته بطلتنا تجاه هذه المرأة المصقولة إجتماعيا، بأن إيزابيل لم تقل لها شيئا على الإطلاق فيما يتعلّق باللورد وربيرتن أو كاسبار غودوود. ولكنها لم تُخفِ عليها حقيقة أنه عُرِض عليها الزواج من أكثر من شخص، كاشفة لصديقتها مدى الإفادة القصوى التي كانت ستُجنيها لو وافقت على أي منهما. كان اللورد وربرتن قد غادر لوكليغ إلى اسكتلندا، آخذا معه شقيقتيه؛ وبالرغم من أنه كان قد كتب لرالف أكثر من مرّة يسأله عن صحة السيد توشيت، إلا أن الفتاة لم تكن عُرضة لمشاعر الارتباك التي لا بد وأنها كانت ستنتابها في حال بقائه في لوكليغ وزيارته لرالف للإطمئنان على صحة والده. كان مثال الذوق والتصرّف السليم، لكنها كانت واثقة أنه لو جاء إلى غاردينكورت لكان شاهد مدام ميرل، واستطرادا، كان أعجِبَ بها وصارحها بحبه لصديقتها الشابة. وشاءت الصُدَف أنه خلال الزيارات السابقة لهذه السيدة إلى غاردينكورت، وكلٍ منها أقصر من الزيارة الحاضرة، كان إما غير موجودا في لوكليغ أو لم يقم بزيارة منزل السيد توشيت، علما أنها كانت تعرفه بالإسم كالشخصية الأبرز في تلك المقاطعة، ولم يكن لديها أي موجب لشكّها به كطالب زواج من ابنة شقيقة السيدة توشيت.

"Should you prefer to go without them?" Madame Merle enquired in a tone which virtually terminated the discussion.

I am bound to confess, though it may cast some discredit on the sketch I have given of the youthful loyalty practiced by our heroine toward this accomplished woman, that Isabel had said nothing whatever to her about Lord Warburton and had been equally reticent on the subject of Caspar Goodwood. She had not, however, concealed the fact that she had had opportunities of marrying and had even let her friend know of how advantageous a kind they had been. Lord Warburton had left Lockleigh and was gone to Scotland, taking his sisters with him; and though he had written to Ralph more than once to ask about Mr. Touchett's health the girl was not liable to the embarrassment of such enquiries as, had he still been in the neighbourhood, he would probably have felt bound to make in person. He had excellent ways, but she felt sure that if he had come to Gardencourt he would have seen Madame Merle, and that if he had seen her he would have liked her and betrayed to her that he was in love with her young friend. It so happened that during this lady's previous visits to Gardencourt- each of them much shorter than the present–he had either not been at Lockleigh or had not called at Mr. Touchett's. Therefore, though she knew him by name as the great man of that country, she had no cause to suspect him as a suitor of Mrs. Touchett's freshly-imported niece.

"ما زلتِ في أول الطريق،" قالت ذلك لإيزابيل تعليقا على الاعترافات المبتورة التي أسرّت بها المرأة الشابة إليها، علما كما رأينا في بعض الأحيان، كانت الفتاة تشعر بالندم لإفضائها بهذا الكم من أسرار حياتها. "إنني سعيدة كونك لم تفعلي شيئا حتى الآن. وأنه ما زال أمامك فرصة لاتخاذ القرار المناسب. أمر حسن أن ترفض الفتاة بعض عروض الزواج الجيدة. طالما طبعا ليست العروض الأفضل التي ستتلقّاها. اعذري أسلوبي في الكلام إذا ما بدا فاسدا إلى حد كريه؛ ولكن يضطّر المرء أحيانا لتبنّي وجهة النظر الدنيوية. احرصي فقط على عدم مواصلة الرفض لمجرّد الرفض. لا شك أنه ممارسة مُبهجة للسلطة، ولكن الموافقة، برغم كل شيء، ممارسة للسلطة كذلك. هناك دائما خطر الإفراط في الرفض. لم أرتكب هذا الخطأ. لم أرفض بما فيه الكفاية. إنك إنسانة رائعة، وأرغب برؤيتك زوجة رئيس وزراء. ولكن لنتكلم بواقعية، لا يمكن اعتبارك كما يُقال تقنيا بالشريكة المثالية. أنت متّقدة الذكاء وعلى قدر كبير من الجمال؛ أنتِ إنسانة استثنائية. تبدين وكأنه لديك فكرة مبهمة للغاية عن وضعك المالي؛ ولكن كما يبدو لي، لا تملكين مدخولا وافرا من المال. كم أتمنى لو كان لديك القليل من المال."

"أتمنى ذلك أنا كذلك!" قالت ذلك إيزابيل بكل بساطة، ناسية في الوقت الحاضر على ما يبدو أن فقرها كان نقيصة مغفورة بنظر رجلين نبيلين.

بالرغم من توصية السير ماثيو هوب الخيّرة، لم تمكث مدام ميرل حتى النهاية، حين تبيّن بوضوح أن حالة السيد توشيت المسكين آخذة في التدهور. كان لديها ارتباطات مع أناس آخرين شعرت أن عليها أخيرا الإيفاء بها، وغادرت غاردينكورت على تفاهم بأنها في مطلق الأحوال

"You've plenty of time," she had said to Isabel in return for the mutilated confidences which our young woman made her and which didn't pretend to be perfect, though we have seen that at moments the girl had compunctions at having said so much. "I'm glad you've done nothing yet–that you have it still to do. It's a very good thing for a girl to have refused a few good offers–so long of course as they are not the best she's likely to have. Pardon me if my tone seems horribly corrupt; one must take the worldly view sometimes. Only don't keep on refusing for the sake of refusing. It's a pleasant exercise of power; but accepting's after all an exercise of power as well. There's always the danger of refusing once too often. It was not the one I fell into–I didn't refuse often enough. You're an exquisite creature, and I should like to see you married to a prime minister. But speaking strictly, you know, you're not what is technically called a parti. You're extremely good-looking and extremely clever; in yourself you're quite exceptional. You appear to have the vaguest ideas about your earthly possessions; but from what I can make out you're not embarrassed with an income. I wish you had a little money."

"I wish I had!" said Isabel, simply, apparently forgetting for the moment that her poverty had been a venial fault for two gallant gentlemen.

In spite of Sir Matthew Hope's benevolent recommendation Madame Merle did not remain to the end, as the issue of poor Mr. Touchett's malady had now come frankly to be designated. She was under pledges to other people which had at last to be redeemed, and she left Gardencourt

ستعود لرؤية السيدة توشيت هناك، أو في المدينة، قبل مغادرتها إنجلترا. اكتسب وداعها لإيزابيل سمة بداية صداقة وطيدة أكثر بكثير مما اتسم به لقاؤهما الأول. "سأزور ستة أماكن بشكل متعاقب، ولكني لن ألتق بأحد سيُثير إعجابي كما فعلت أنت. جميع الذين سألتقي بهم أصدقاء قدماء، فالمرء في مثل سني لا يُنشيء صداقات جديدة، ولكن أنتِ كنت استثناء كبيرا للقاعدة. عليك تذكّر ذلك والتفكير بي قدر الإمكان. يجب أن تكافئيني بتصديق ما أقوله لك."

قبّلتها إيزابيل جوابا على هذه الأقوال، وبالرغم من أن القُبل مسألة في غاية السهولة لبعض النساء، فهناك طبعا فارق كبير بين تلك القُبل، وكانت قبلة إيزابيل مرضية بالنسبة لمدام ميرل. بقيت سيدتنا الشابة، بعد ذلك، بمفردها معظم الوقت؛ لم تكن تُشاهد خالتها وابن خالتها سوى عند وجبات الطعام، واكتشفت أن خالتها لم تكن تقضِ كل ساعات نهارها تعتني بزوجها، بل داخل غرفتها حيث لم يكن مسموحا لأحد الدخول إليها، بما في ذلك ابنة شقيقتها. كانت وقورة وصامتة عند جلوسها إلى مائدة الطعام، ولكن وقارها ذاك لم يكن موقفا منها. بدا واضحا لإيزابيل أنه اقتناع. تساءلت ما إذا خالتها نادمة على تشبّثها العنيد بالتصرف باستقلالية تامة عن زوجها كما فعلت. ولكن لم يكن هناك دلائل ملموسة تُشير إلى ذلك. لا دموع، ولا تنهّدات ولا حماسة مفرطة ملائمة وكافية لذاتها فقط. بدت السيدة توشيت وبكل بساطة غارقة في تفكير عميق وتقييم العديد من المسائل؛ كان لديها ما يُشبه دفتر حساب صغير بالسلوك المناقبي. بعواميد سديدة على نحو لا يُخطئ ومِشبك فولاذي حادّ. كانت تلتزم به حرفيا. قالت لإيزابيل عقب مغادرة مدام ميرل المنزل: "لو كنت

with the understanding that she should in any event see Mrs. Touchett there again, or else in town, before quitting England. Her parting with Isabel was even more like the beginning of a friendship than their meeting had been. "I'm going to six places in succession, but I shall see no one I like so well as you. They'll all be old friends, however; one doesn't make new friends at my age. I've made a great exception for you. You must remember that and must think as well of me as possible. You must reward me by believing in me."

By way of answer Isabel kissed her, and, though some women kiss with facility, there are kisses and kisses, and this embrace was satisfactory to Madame Merle. Our young lady, after this, was much alone; she saw her aunt and cousin only at meals, and discovered that of the hours during which Mrs. Touchett was invisible only a minor portion was now devoted to nursing her husband. She spent the rest in her own apartments, to which access was not allowed even to her niece, apparently occupied there with mysterious and inscrutable exercises. At table she was grave and silent; but her solemnity was not an attitude–Isabel could see it was a conviction. She wondered if her aunt repented of having taken her own way so much; but there was no visible evidence of this–no tears, no sighs, no exaggeration of a zeal always to its own sense adequate. Mrs. Touchett seemed simply to feel the need of thinking things over and summing them up; she had a little moral account-book–with columns unerringly ruled and a sharp steel clasp–which she kept with exemplary neatness. Uttered

أعلم مُسبقا بوقوع هذا الحدث لما كنت عرضت عليك السفر معي الآن، بل كنت انتظرت وأرسلت وراءك في السنة التالية. "

"بحيث ما كنت عرفتُ زوج خالتي أبدا؟ أشعر بسعادة كبيرة لمجيئي في هذا الوقت بالذات. "

"هذا أمر رائع جدا. ولكن لم تكن رؤية زوج خالتك والتعرّف عليه هو الدافع وراء اصطحابي لك إلى أوروبا. " كلام صحيح تماما، ولكن كما فكّرت إيزابيل، بتوقيت خاطئ إلى حد ما. كان لديها متّسع من الوقت للتفكير بهذا الأمر إلى جانب أمور أخرى. كانت تتنزه بمفردها لساعات طويلة يوميا، وتقلّب صفحات الكتب الموجودة في المكتبة. كانت مغامرات صديقتها الآنسة ستاكبول التي لم تنقطع عن مراسلتها، من بين المواضيع التي أثارت اهتمامها الشديد. كانت تُعجب بأسلوب صديقتها الرسائلي أكثر من إعجابها بأسلوبها الصحفي؛ أي كانت تعتبر أن تقاريرها الصحفية كانت لتكون ممتازة لو لم تُنشر. ولكن عمل هنريتا الصحفي كان في الوقت الحاضر يواجه عقبات عديدة؛ فرغبتها بالإطّلاع والكتابة عن الحياة الداخلية في بريطانيا العظمى والحماس الذي انتابها إزاء ذلك بدا أشبه بالوهج المستنقعي. فالدعوة من اللايدي بانسيل، لأسباب غامضة، لم تصلها أبدا؛ والسيد بانتلنغ المسكين نفسه، مع كل براعته الودودة، فشل في تبرير هكذا إهمال خطير لرسالة خطّية من المؤكّد أنه أرسلها شخصيا. كان واضحا أنه مُهتم جدّيا بأمور هنريتا ومؤمنا أنه مُدين لها بتلك الزيارة إلى بيدفورد التي وعدها بها. "يقول أنه يجدر بي الذهاب إلى أوروبا، ونظرا لتوقّع ذهابه هو نفسه إلى هناك، أظن أن نصيحته صادقة. يقول ما المانع في إلقائي نظرة على نمط الحياة الفرنسية، والحقيقة تُقال،

reflection had with her ever, at any rate, a practical ring. "If I had foreseen this I'd not have proposed your coming abroad now," she said to Isabel after Madame Merle had left the house. "I'd have waited and sent for you next year."

"So that perhaps I should never have known my uncle? It's a great happiness to me to have come now."

"That's very well. But it was not that you might know your uncle that I brought you to Europe." A perfectly veracious speech; but, as Isabel thought, not as perfectly timed. She had leisure to think of this and other matters. She took a solitary walk every day and spent vague hours in turning over books in the library. Among the subjects that engaged her attention were the adventures of her friend Miss Stackpole, with whom she was in regular correspondence. Isabel liked her friend's private epistolary style better than her public; that is she felt her public letters would have been excellent if they had not been printed. Henrietta's career, however, was not so successful, as might have been wished even in the interest of her private felicity; that view of the inner life of Great Britain which she was so eager to take appeared to dance before her like an ignis fatuus. The invitation from Lady Pensil, for mysterious reasons, had never arrived; and poor Mr. Bantling himself, with all his friendly ingenuity, had been unable to explain so grave a dereliction on the part of a missive that had obviously been sent. He had evidently taken Henrietta's affairs much to heart, and believed that he owed her a set-off to this illusory visit to Bedfordshire. "He says he should think I would go to the Continent," Henrietta wrote; and as he thinks of going there himself I suppose his advice is

لدي رغبة قوية في رؤية الجمهورية الجديدة. " كتبت هنريتا في رسائلها؛ لا يهتّم السيد بانتلنغ كثيرا بالجمهورية، ولكنه على كل حال يفكّر بالذهاب إلى باريس. لا بد من الاعتراف بأنه يعاملني في منتهى اللطف والكياسة، يمكنني القول على الأقل بأنني التقيت رجلا إنجليزيا مهذّب. لا أنفكّ أقول للسيد بانتلينغ أنه يتعيّن عليه أن يكون أميركيا، ويا ليتك ترين كم أبهجه هذا القول. فكلما أقول له مثل هذا الكلام، يصيح بالعبارة ذاتها، "أها. ولكن حقا، لا يمكن أن تكوني جادّة في ذلك! " كتبت بعد مرور بضعة أيام بأنها قررت الذهاب إلى باريس بنهاية الأسبوع وأن السيد بانتلنغ قطع لها وعدا بتوديعها. وربما سيرافقها حتى دوفر. ستنتظر في باريس حتى وصول إيزابيل إلى هناك، أضافت هنريتا في رسالتها؛ وهي تتحدّث وكأن إيزابيل ستبدأ رحلتها الأوروبية بمفردها دونما أي تلميح إلى السيدة توشيت. بالنظر إلى اهتمام رالف بصديقتهما، عرضت إيزابيل عليه بعض مقاطع من هذه الرسالة، والذي علّق عليها بأسلوب أقرب لتعليق مهنة مراسلة الانتيرفيور.

قال : "يبدو لي أنها في أحسن حال، تنوي الذهاب إلى باريس برفقة جندي سابق في الجيش البريطاني! إذا ما كانت ترغب بالكتابة عن موضوع ما، فما عليها سوى وصف هذه الحادثة. "

أجابت إيزابيل: "مما لا شك فيه أنه عمل غير تقليدي البتة، ولكن إذا كنت تقصد، في ما يتعلق بهنريتا، إنه ليس عملا بريئا تماما، فأنت مخطئ جدا. يستحيل عليك فهم هنريتا. "

"المعذرة، ولكني أفهمها تماما. لم أفهم إطلاقا بادئ الأمر ولكن لدي الآن فكرة واضحة عنها. ولكن أخشى أن بانتلينغ يفتقر إلى ذلك؛ قد

sincere. He wants to know why I don't take a view of French life; and it's a fact that I want very much to see the new Republic. Mr. Bantling doesn't care much about the Republic, but he thinks of going over to Paris anyway. I must say he's quite as attentive as I could wish, and at least I shall have seen one polite Englishman. I keep telling Mr. Bantling that he ought to have been an American, and you should see how that pleases him. Whenever I say so he always breaks out with the same exclamation–'Ah, but really, come now!'" A few days later she wrote that she had decided to go to Paris at the end of the week and that Mr. Bantling had promised to see her off perhaps even would go as far as Dover with her. She would wait in Paris till Isabel should arrive, Henrietta added; speaking quite as if Isabel were to start on her continental journey alone and making no allusion to Mrs. Touchett. Bearing in mind his interest in their late companion, our heroine communicated several passages from this correspondence to Ralph, who followed with an emotion akin to suspense the career of the representative of the Interviewer.

"It seems to me she's doing very well," he said, "going over to Paris with an ex-Lancer! If she wants something to write about she has only to describe that episode."

"It's not conventional, certainly," Isabel answered; "but if you mean that–as far as Henrietta is concerned–it's not perfectly innocent, you're very much mistaken. You'll never understand Henrietta."

"Pardon me, I understand her perfectly. I didn't at all at first, but now I've the point of view. I'm afraid, however,

تطالعه بعض المفاجآت غير المتوقعة. أوه، إنني أفهم هنريتا تماما كما لو أنني صنعتها بنفسي!»

لم تكن إيزابيل واثقة من هذا الكلام على الإطلاق، إلا أنها امتنعت عن التعبير عن شكوكها في هذا المجال، إذ كانت تشعر بضرورة إظهار الكثير من الاهتمام والرعاية لابن خالتها. كانت جالسة بعد ظهر أحد الأيام وبعد انقضاء بضعة أيام على مغادرة مدام ميرل، في المكتبة وبيدها كتاب فشلت في تركيز انتباهها على محتوياته. كانت جالسة وسط مقعد نافذة وثير، يمكنها عبره رؤية المنتزه الرطب والخالي، ونظرا لأن موقع المكتبة كان عند زاوية قائمة من المدخل الأمامي، فقد كان بإمكانها رؤية عربة الطبيب، التي مضى على وقوفها أمام الباب أكثر من ساعتين. لفت نظرها بقاءه طوال هذه الفترة، ولكن أخيرا شاهدته يقف عند مدخل المنزل، ويضع يداه ببطء داخل قفازيه، وينظر إلى ركبة جواده، ومن ثم يدخل داخل العربة ويبتعد عن المكان. بقيت إيزابيل جالسة في مكانها لنصف ساعة من الوقت؛ كان هناك سكون ثقيل مُخيّم على المنزل. كان ثقيلا لدرجة كادت تجفل حين سمعت أخيرا وقع خطوات خفيفة فوق السجادة الوثيرة داخل الغرفة. التفتت بسرعة مُشيحة نظرها عن النافذة لتشاهد رالف توشيت واقفا أمامها ويداه مُقحمتان داخل جيبَي سرواله، ولكن بوجه خالٍ تماما من ابتسامته المستترة المعتادة. نهضت من مكانها وكانت حركتها ونظراتها تحمل سؤالا صامتا.

قال رالف: «انتهى كل شيء.»

«أتقصد أن زوج خالتي...؟» لم تتمكن إيزابيل من إنهاء عبارتها.

«توفي والدي قبل ساعة من الآن.»

قالت بلطف، وهي تضع يدَيها فوق يديه: «آه، يا عزيزي رالف المسكين!.»

that Bantling hasn't; he may have some surprises. Oh, I understand Henrietta as well as if I had made her!"

Isabel was by no means sure of this, but she abstained from expressing further doubt, for she was disposed in these days to extend a great charity to her cousin. One afternoon less than a week after Madame Merle's departure she was seated in the library with a volume to which her attention was not fastened. She had placed herself in a deep window-bench, from which she looked out into the dull, damp park; and as the library stood at right angles to the entrance-front of the house she could see the doctor's brougham, which had been waiting for the last two hours before the door. She was struck with his remaining so long, but at last she saw him appear in the portico, stand a moment slowly drawing on his gloves and looking at the knees of his horse, and then get into the vehicle and roll away. Isabel kept her place for half an hour; there was a great stillness in the house. It was so great that when she at last heard a soft, slow step on the deep carpet of the room she was almost startled by the sound. She turned quickly away from the window and saw Ralph Touchett standing there with his hands still in his pockets, but with a face absolutely void of its usual latent smile. She got up and her movement and glance were a question.

"It's all over," said Ralph.

"Do you mean that my uncle-?" And Isabel stopped.

"My dear father died an hour ago."

"Ah, my poor Ralph!" she gently wailed, putting out her two hands to him.

Chapter Twenty

Some fortnight after this Madame Merle drove up in a hansom cab to the house in Winchester Square. As she descended from her vehicle she observed, suspended between the dining-room windows, a large, neat, wooden tablet, on whose fresh black ground were inscribed in white paint the words–"This noble freehold mansion to be sold"; with the name of the agent to whom application should be made. "They certainly lose no time," said the visitor as, after sounding the big brass knocker, she waited to be admitted; "it's a practical country!" And within the house, as she ascended to the drawing-room, she perceived numerous signs of abdication; pictures removed from the walls and placed upon sofas, windows undraped and floors laid bare. Mrs. Touchett presently received her and intimated in a few words that condolences might be taken for granted.

"I know what you're going to say–he was a very good man. But I know it better than any one, because I gave him more chance to show it. In that I think I was a good wife." Mrs. Touchett added that at the end her husband apparently recognized this fact. "He has treated me most liberally," she said; "I won't say more liberally than I expected, because I didn't expect. You know that as a general thing I don't expect. But he chose, I presume, to recognize the fact that though I lived much abroad and mingled–you may say freely–in foreign life, I never exhibited the smallest preference for any one else."

"For any one but yourself," Madame Merle mentally

الفصل العشرون

توجهت مدام ميرل بعربتها بعد مرور أسبوعين على هذه الحوادث إلى المنزل الواقع في شارع ونشيستر. لاحظت لدى ترجّلها من العربة، لوحة خشبية أنيقة مُعلّقة بين نوافذ غرفة الطعام، كُتِب على أرضيتها السوداء الأنيقة هذه الكلمات: "هذا القصر العريق معروض للبيع"؛ مع اسم الوكيل المسؤول عن استلام طلبات البيع. قالت الزائرة وهي تنتظر عند الباب بعد طرقها القارع الفولاذي الضخم: "مما لا ريب فيه أنهم يُضيّعون وقتهم سُدى، إنها بلاد عملية." شاهدت لدى صعودها إلى صالة الاستقبال العديد من دلائل التنازل؛ لوحات زيتية أزيلت من عن الجدران ووضِعت على الكنبات، نوافذ خالية من الستائر وأرضيات عارية من السجاد. استقبلتها السيدة توشيت بعد قليل ولمّحت لها أن واجب التعزية ممكن اعتباره أمراً مُسلّما به.

"أعرف ما ستقولينه ـ أنه كان رجلا صالحا جدا. ولكني أعرف ذلك أكثر من أي شخص آخر، لأنني أتحت له العديد من الفُرص للتعبير عن ذلك. أظن في عملي هذا كنت زوجة فاضلة. قالت: "أضافت السيدة توشيت قائلة بنهاية حياة زوجها، يبدو أنه أدرك هذه الحقيقة. "عاملني بمنتهى الكرم والسخاء، لن أقول أكثر كرما وسخاء لأنني لم أتوقع منه ذلك. كما تعلمين كقاعدة عامة لدي لا أتوقع الكثير. أفترض أخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار، وهي أنه بالرغم من سكني فترات طويلة في الخارج واختلاطي. يمكنك القول بحرية. في الحياة الأجنبية، لم أظهر أي نوع من الإعجاب على الإطلاق بأي شخص آخر."

علّقت مدام ميرل بينها وبين نفسها: "لأي شخص على الإطلاق

باستثناء ذاتك . "

تابعت السيدة توشيت قائلة بأسلوبها المُقتضب الحاسم: "لم أُضحِّ أبدا بزوجي من أجل شخص آخر."

فكّرت مدام ميرل بينها وبين نفسها: "طبعا لا، لم تفعلي أي شيء إكراما لشخص آخر!"

اتسمت تلك التعليقات الصامتة بشيء من السخرية التي تحتاج بعض التوضيح؛ خاصة وأنها تتعارض مع الرأي - ربما السطحي نوعا ما - الذي تكوّن لدينا حتى الآن إزاء شخصية مدام ميرل أو مع الحقائق الموضوعية المتعلقة بماضي السيدة توشيت، وبالأخص كذلك، أن مدام ميرل كان لديها اقتناع ذو أساس من الصحة أن ملاحظة صديقتها الأخيرة إلى حد ما، كانت موجّهة بشكل غير مباشر إليها شخصيا. الحقيقة أنه لحظة اجتيازها عتبة ذلك المنزل، تكوّن لديها انطباع راسخ بأن وفاة السيد توشيت كان لها نتائج دقيقة، وأن تلك النتائج كانت مُربحة لمجموعة صغيرة من الأشخاص لم تكن هي من ضمنها. طبعا، كانت تلك الوفاة حدث لا بد وأن يكون له نتائج كبيرة، وقد تركّزت أفكارها حول هذه النقطة خلال وجودها في غاردينكورت. ولكن التوقّع الذهني لمثل تلك المسألة كان شيئاً، ولمس تلك النتائج بشكل عملي كان شيئا آخر كلّيا. ولكن فكرة توزيع الأملاك - كادت تقول الغنائم - ضغطت عليها وأزعجتها إلى حد كبير، بإحساس من الإقساء والإبعاد لشخصها. إنني أبعد ما أتصورها عن أولئك الأشخاص الفاغري الأفواه أو ذوي القلوب الحسودة، ولكن سبق لنا معرفة أن لديها رغبات لم يتيسّر لها إشباعها أبدا. لو سُئلَت، لكانت طبعا اعترفت، بابتسامة عريضة أبيّة، بأن ليس لها مُطلق حق بالمطالبة بحصة من تذكارات السيد توشيت. "لم يكن بيننا أي شيء على الإطلاق، لم يكن هناك أبدا

observed; but the reflection was perfectly inaudible.

"I never sacrificed my husband to another," Mrs. Touchett continued with her stout curtness.

"Oh no," thought Madame Merle; "you never did anything for another!"

There was a certain cynicism in these mute comments which demands an explanation; the more so as they are not in accord either with the view–somewhat superficial perhaps–that we have hitherto enjoyed of Madame Merle's character or with the literal facts of Mrs. Touchett's history; the more so, too, as Madame Merle had a well-founded conviction that her friend's last remark was not in the least to be construed as a side-thrust at herself. The truth is that the moment she had crossed the threshold she received an impression that Mr. Touchett's death had had subtle consequences and that these consequences had been profitable to a little circle of persons among whom she was not numbered. Of course it was an event which would naturally have consequences; her imagination had more than once rested upon this fact during her stay at Gardencourt. But it had been one thing to foresee such a matter mentally and another to stand among its massive records. The idea of a distribution of property–she would almost have said of spoils–just now pressed upon her senses and irritated her with a sense of exclusion. I am far from wishing to picture her as one of the hungry mouths or envious hearts of the general herd, but we have already learned of her having desires that had never been satisfied. If she had been questioned, she would of course have admitted–with a fine

أي شيء من ذلك، يا الرجل المسكين!" - بنقفة من إبهامها وإصبعها الثالث. أسرع لأضيف، كذلك، أنه إذا لم يكن باستطاعتها في تلك اللحظة إمساك نفسها عن مشاعر توقها العنيد، فقد حرصت على عدم كشف ذلك. كانت تشعر برغم كل شيء بتعاطف كبير مع مكاسب السيدة توشيت بقدر تعاطفها مع خسائرها.

قالت السيدة توشيت: "ترك لي هذا المنزل، ولكن طبعا لن أسكن فيه؛ لدي منزل أفضل بكثير في فلورنسا. لم تُفتح الوصية إلا قبل ثلاثة أيام، ولكن كان سبق لي وعرضت المنزل للبيع. كما حصلت على حصة في المصرف؛ ولكن حتى الآن لا أعرف ما إذا عليّ تركها هناك. إذا لم يكن ذلك ضروريا، فمن المؤكّد أنني سأقبض قيمتها. طبعا، حصل رالف على غاردينكورت؛ ولكن لست متأكدة ما إذا سيتمكّن من الاعتناء بذلك المكان. طبعا، تركه في وضع مالي مريح جدا، ولكن والده وهب مبالغ كبيرة جدا من المال؛ فهناك العديد من الميراثات لسلسلة من الأقرباء في فيرمونت. ولكن رالف مُتعلّق جدا بغاردينكورت وسيكون بمقدوره بكل سهولة العيش هناك. خلال الصيف. مع مدبّرة منزل وبستاني. هناك بند استثنائي ولافت للنظر في وصيّة زوجي، فقد ترك لابنة شقيقتي ثروة كبيرة."

"ثروة!" كرّرت مدام ميرل بنبرة مخفضة.

"حصلت إيزابيل على نحو سبعين ألف باوندا."

كانت يدا مدام ميرل مُشبكتين في حضنها؛ ولدى سماعها هذا، رفعتهما وهما ما زالتا مُشبكتين، وأبقتهما للحظة فوق صدرها بينما اتّسعت

proud smile–that she had not the faintest claim to a share in Mr. Touchett's relics. "There was never anything in the world between us," she would have said. "There was never that, poor man!"–with a fillip of her thumb and her third finger. I hasten to add, moreover, that if she couldn't at the present moment keep from quite perversely yearning she was careful not to betray herself. She had after all as much sympathy for Mrs. Touchett's gain as for her losses.

"He has left me this house," the newly-made widow said; "but of course I shall not live in it; I've a much better one in Florence. The will was opened only three days since, but I've already offered the house for sale. I've also a share in the bank; but I don't yet understand if I'm obliged to leave it there. If not I shall certainly take it out. Ralph, of course, has Gardencourt; but I'm not sure that he'll have means to keep up the place. He's naturally left very well off, but his father has given away an immense deal of money; there are bequests to a string of third cousins in Vermont. Ralph, however, is very fond of Gardencourt and would be quite capable of living there–in summer–with a maid-of-all-work and a gardener's boy. There's one remarkable clause in my husband's will," Mrs. Touchett added. "He has left my niece a fortune."

"A fortune!" Madame Merle softly repeated.

"Isabel steps into something like seventy thousand pounds."

Madame Merle's hands were clasped in her lap; at this she raised them, still clasped, and held them a moment against her bosom while her eyes, a little dilated, fixed

عيناها قليلا، وهما مُثبّتتين على عيني صديقتها. صاحت: "آه، الفتاة الماهرة!"

نظرت إليها السيدة توشيت نظرة سريعة. "ماذا تقصدين بذلك؟"

احمرّت وجنتا مدام ميرل للحظة وخفضت عيناها. "طبعا إنجاز هكذا نتائج دونما أي جهد يُعتبر مهارة!"

"مما لا ريب فيه أنَّهُ لم يكن هناك أي جهد على الإطلاق. ولكن لا تُسمّي ذلك إنجازا."

نادرا ما كانت مدام ميرل تُقر بارتكابها خطأ اجتماعيا والتراجع عن تعليق غير ملائم صدر منها؛ كانت حكمتها تظهر في التمسّك بما قالته وتغليفه بمظهر مُرضٍ وإيجابي. "يا صديقتي العزيزة، ما كان يمكن لإيزابيل أن ترث مبلغ سبعين ألف باوند لو لم تكن أكثر فتيات العالم جاذبية وسحرا. وسحرها هذا يشتمل على الكثير من المهارة."

قالت السيدة توشيت: "إنني واثقة أنه لم يخطر ببالها قط بأن يُقدم زوجي على فعل أي شيء من أجلها؛ ولم يخطر ببالي أنا أيضا مثل هذا الأمر، إذا لم يُصارحني قط بنواياه. لم يكن مديناً لها بشيء على الإطلاق؛ كونها إبنة شقيقتي لم يكن على الإطلاق فضيلة كبرى بالنسبة له. مهما كان الأمر الذي حققته، لم تفعل ذلك بشكل متعمّد."

علّقت مدام ميرل قائلة: "آه، تلك هي الفرص الكبرى في الحياة!"

احتفظت مدام توشيت برأيها لنفسها. "لا أنكر أن الفتاة محظوظة. ولكنها في الوقت الحاضر مصعوقة إلى حدٍ بعيد."

"أتقصدين أنها لا تعرف ما تفعل بهذه الثروة؟"

themselves on those of her friend. "Ah," she cried, "the clever creature!"

Mrs. Touchett gave her a quick look. "What do you mean by that?"

For an instant Madame Merle's colour rose and she dropped her eyes. "It certainly is clever to achieve such results–without an effort!"

"There assuredly was no effort. Don't call it an achievement."

Madame Merle was seldom guilty of the awkwardness of retracting what she had said; her wisdom was shown rather in maintaining it and placing it in a favourable light. "My dear friend, Isabel would certainly not have had seventy thousand pounds left her if she had not been the most charming girl in the world. Her charm includes great cleverness."

"She never dreamed, I'm sure, of my husband's doing anything for her; and I never dreamed of it either, for he never spoke to me of his intention," Mrs. Touchett said. "She had no claim upon him whatever; it was no great recommendation to him that she was my niece. Whatever she achieved she achieved unconsciously."

"Ah," rejoined Madame Merle, "those are the greatest strokes!"

Mrs. Touchett reserved her opinion. "The girl's fortunate; I don't deny that. But for the present she's simply stupefied."

"Do you mean that she doesn't know what to do with the money?"

"أظن أنّها بالكاد فكّرت بهذه النقطة. لا تعرف إطلاقا كيف تفكّر بهذه المسألة برمّتها. تتصرّف وكأن مسدسا ضخما أطلِق من وراء ظهرها، وهي تتحسّس نفسها لتتبيّن ما إذا تأذّت جرّاء ذلك أم لا. انقضت ثلاثة أيام على زيارة مُنفّذ الوصيّة الرئيسي لها شخصيا، وإعلامها رسميا بمحتوياتها. أخبرني لاحقا أنها انفجرت باكية بشكل فُجائي لدى إنجازه لمهمته. ستترك المبلغ في المصرف وتسحب فائدته."

هزّت مدام ميرل رأسها الآن بابتسامة مُطّلعة وعطوفة جدا. "يا للروعة! ستعتاد على الأمر بعدما تفعل ما فعلت في مناسبة أو مناسبتان."

أضافت قائلة بعد فترة صمت قصيرة: "ما رأي ابنك بما حصل؟"

"غادر إنجلترا قبل إجراءات قراءة الوصيّة. هو مُنهك من الجهد والقلق وراغب في التوجه بأسرع ما يمكن إلى الجنوب. إنه بطريقه إلى الريفييراولم أسمع منه شيء حتى الآن. ولكن من غير المُحتمل أن يعترض على أي عمل يُقرّره والده."

"ألم تقولي أن حصّته خُفِّضَت؟"

"نزولا عند رغبته. أعرف أنه حثّ والده ليعمل شيئا للأقارب في أميركا. إنه أبعد ما يكون عن الاهتمام بالرقم واحد."

قالت مدام ميرل: "هذا يتوقّف على مَن يعتبره رقما واحدا!" وصمتت للحظة، وعيناها منخفضتان باتجاه الأرض.

سألت أخيرا وهي ترفع عينيها: "ألن أحظى بفرصة رؤية ابنة شقيقتك السعيدة؟"

"يمكنك رؤيتها، ولكنك لن تجديها سعيدة. فهي تتصرّف خلال

"That, I think, she has hardly considered. She doesn't know what to think about the matter at all. It has been as if a big gun were suddenly fired off behind her; she's feeling herself to see if she be hurt. It's but three days since she received a visit from the principal executor, who came in person, very gallantly, to notify her. He told me afterwards that when he had made his little speech she suddenly burst into tears. The money's to remain in the affairs of the bank, and she's to draw the interest."

Madame Merle shook her head with a wise and now quite benignant smile. "How very delicious! After she has done that two or three times she'll get used to it." Then after a silence, "What does your son think of it?" she abruptly asked.

"He left England before the will was read–used up by his fatigue and anxiety and hurrying off to the south. He's on his way to the Riviera and I've not yet heard from him. But it's not likely he'll ever object to anything done by his father."

"Didn't you say his own share had been cut down?"

"Only at his wish. I know that he urged his father to do something for the people in America. He's not in the least addicted to looking after number one."

"It depends upon whom he regards as number one!" said Madame Merle. And she remained thoughtful a moment, her eyes bent on the floor. "Am I not to see your happy niece?" she asked at last as she raised them.

"You may see her; but you'll not be struck with her being happy. She has looked as solemn, these three days, as

a Cimabue Madonna!" And Mrs. Touchett rang for a servant.

Isabel came in shortly after the footman had been sent to call her; and Madame Merle thought, as she appeared, that Mrs. Touchett's comparison had its force. The girl was pale and grave–an effect not mitigated by her deeper mourning; but the smile of her brightest moments came into her face as she saw Madame Merle, who went forward, laid her hand on our heroine's shoulder and, after looking at her a moment, kissed her as if she were returning the kiss she had received from her at Gardencourt. This was the only allusion the visitor, in her great good taste, made for the present to her young friend's inheritance.

Mrs. Touchett had no purpose of awaiting in London the sale of her house. After selecting from among its furniture the objects she wished to transport to her other abode, she left the rest of its contents to be disposed of by the auctioneer and took her departure for the Continent. She was of course accompanied on this journey by her niece, who now had plenty of leisure to measure and weigh and otherwise handle the windfall on which Madame Merle had covertly congratulated her. Isabel thought very often of the fact of her accession of means, looking at it in a dozen different lights; but we shall not now attempt to follow her train of thought or to explain exactly why her new consciousness was at first oppressive. This failure to rise to immediate joy was indeed but brief; the girl presently made up her mind that to be rich was a virtue because it was to be able to do, and that to do could only be sweet. It

الثلاثة أيام المنصرمة، برزانة ووقار العذراء مريم!» ومن ثم طرقت السيدة توشيت الجرس طالبة الخادمة.

دخلت إيزابيل بعد فترة قصيرة من استدعاء الحاجب لها، وفكّرت مدام ميرل، عند ظهورها، أن مقارنة السيدة توشيت كانت في محلها. بدت الفتاة شاحبة ورزينة. وهو مظهر لم تخفف وطأته ثوب الحداد الذي كانت ترتديه؛ ولكن الابتسامة المترافقة مع أكثر لحظاتها بهجة وغبطة أضاءت وجهها لدى رؤيتها لمدام ميرل، التي تقدّمت نحوها واضعة يدها على كتف بطلتنا، وبعدما نظرت إليها للحظة، قبّلتها وكأنها تردّ لها قبلتها التي ودّعتها بها لدى مغادرتها غاردينكورت. كانت تلك هي الدلالة الوحيدة التي أقدمت عليها زائرتنا، انطلاقا من لباقتها الاجتماعية المثالية، للإشارة إلى الحاضر المُتّسم بميراث صديقتنا الشابة.

لم يكن لدى السيدة توشيت أي داعٍ لمكوثها في لندن بانتظار بيع منزلها. فبعدما اختارت من بين الأثاث الأغراض التي ترغب بنقلها إلى مسكنها الآخر، تركت باقي محتويات المنزل تحت تصرّف بائع المزاد العلني لتنظيم عملية بيعها وعادت إلى أوروبا. طبعا رافقتها ابنة شقيقتها في هذه الرحلة، والتي كان لديها الآن مُتّسع من وقت الفراغ للتقييم والتفكير مليّا، بالإضافة لمعالجة ذلك الحدث السعيد غير المُنتَظر والذي هنّأتها عليه مدام ميرل على نحو مُقنّع. فكّرت إيزابيل كثيرا بواقع تعاظم مواردها المالية، مُتفحّصة إياه من زوايا مختلفة ومتنوّعة؛ ولكن لن نحاول الآن تتبع تسلّسل أفكارها، أو شرح بالضبط سبب مشاعر القنوط التي انتابتها في البدء لدى معرفتها الأولى بواقعها الجديد. بالواقع، كان ذلك الإخفاق بالشعور ببهجة فورية وجيزا جدا؛ فسرعان ما توصّلت الفتاة إلى قرار مفاده أن الثراء فضيلة لأنه وسيلة تُتيح للمرء المقدرة على العمل، ولا يمكن أن

was the graceful contrary of the stupid side of weakness--especially the feminine variety. To be weak was, for a delicate young person, rather graceful, but, after all, as Isabel said to herself, there was a larger grace than that. Just now, it is true, there was not much to do–once she had sent off a cheque to Lily, and another to poor Edith; but she was thankful for the quiet months which her mourning robes and her aunt's fresh widowhood compelled them to spend together. The acquisition of power made her serious; she scrutinized her power with a kind of tender ferocity, but was not eager to exercise it. She began to do so during a stay of some weeks which she eventually made with her aunt in Paris, though in ways that will inevitably present themselves as trivial. They were the ways most naturally imposed in a city in which the shops are the admiration of the world, and that were prescribed unreservedly by the guidance of Mrs. Touchett, who took a rigidly practical view of the transformation of her niece from a poor girl to a rich one. "Now that you're a young woman of fortune you must know how to play the part–I mean to play it well," she said to Isabel once for all; and she added that the girl's first duty was to have everything handsome.

"You don't know how to take care of your things, but you must learn," she went on; this was Isabel's second duty. Isabel submitted, but for the present her imagination was not kindled; she longed for opportunities, but these were not the opportunities she meant.

Mrs. Touchett rarely changed her plans, and, having intended before her husband's death to spend a part of the

يكون ذلك سوى شيئاً عذبا وجميلا. كان النقيض اللبق للجانب الأحمق من الضعف، وبالأخص ما يتعلّق بالنساء. الضعف، بالنسبة لمرأة شابة رقيقة، كان يُعتبر إلى حدٍ ما، أمرا لبقا، ولكن، وبرغم هذا، كما فكّرت إيزابيل بينها وبين نفسها، كان هناك لباقة أكبر من هذه. صحيح أنه الآن في الوقت الحاضر، لم يكن هناك مجالا واسعا للعمل. بعدما أرسلت شيكا الى ليلي وآخر إلى المسكينة إيديث؛ لكنها كانت شاكرة للأشهر الهادئة خلال فترة حدادها وترمّل خالتها الحديث ما أجبرهما على تمضية تلك الفترة معا. اكتسابها للسلطة جعلها إنسانة جادّة؛ أمعنت النظر بسلطتها بأسلوب أقرب إلى وحشية حنونة، إلا أنها لم تكن مُتلهّفة لممارستها. بدأت تفعل ذلك خلال مكوثها مع خالتها بضعة أسابيع في باريس، بطرق ستبدو عما قريب طرقا تافهة. كانت طرقا طبيعية خاصة في مدينة تستأثر متاجرها بإعجاب العالم، ومُختارة بدون تحفّظ بإرشادت السيدة توشيت، التي اتخذت على عاتقها مهمة تحويل ابنة شقيقتها من فتاة فقيرة إلى أخرى ثرية. "الآن وقد أصبحت شابة ثرية، عليك التصرّف وفق ذلك. أقصد القيام بذلك الدور على أحسن وجه." قالت ذلك لايزابيل ذات يوم مُضيفة أن واجب الفتاة يُحتم عليها امتلاك أفضل الأشياء وأغلاها ثمنا.

تابعت تقول: "لا تعرفين كيف تهتمين بأغراضك، ولكن عليك تعلّم ذلك." كان هذا واجب إيزابيل الاجتماعي. خضعت إيزابيل لإرشادات خالتها، ولكن في الوقت الحاضر لم تتقدّ وتتوهّج مداركها وقدراتها الإبداعية؛ كانت تتوق للفرص المناسبة، وهذه لم تكن الفرص المناسبة التي تقصدها وتتشوّق لها.

نادرا ما كانت السيدة توشيت تُبدّل خططها، وكونها كانت قرّرت، قبل

winter in Paris, saw no reason to deprive herself–still less to deprive her companion- of this advantage. Though they would live in great retirement she might still present her niece, informally, to the little circle of her fellow countrymen dwelling upon the skirts of the Champs Elysees. With many of these amiable colonists Mrs. Touchett was intimate; she shared their expatriation, their convictions, their pastimes, their ennui. Isabel saw them arrive with a good deal of assiduity at her aunt's hotel, and pronounced on them with a trenchancy doubtless to be accounted for by the temporary exaltation of her sense of human duty. She made up her mind that their lives were, though luxurious, inane, and incurred some disfavour by expressing this view on bright Sunday afternoons, when the American absentees were engaged in calling on each other. Though her listeners passed for people kept exemplarily genial by their cooks and dressmakers, two or three of them thought her cleverness, which was generally admitted, inferior to that of the new theatrical pieces. "You all live here this way, but what does it lead to?" she was pleased to ask. "It doesn't seem to lead to anything, and I should think you'd get very tired of it."

Mrs. Touchett thought the question worthy of Henrietta Stackpole. The two ladies had found Henrietta in Paris, and Isabel constantly saw her; so that Mrs. Touchett had some reason for saying to herself that if her niece were not clever enough to originate almost anything, she might be suspected of having borrowed that style of remark from her journalistic friend. The first occasion on which Isabel had spoken

وفاة زوجها، قضاء جزء من فصل الشتاء في باريس، لم تجد مانعا من حرمان نفسها. ناهيك عن حرمان ابنة شقيقتها، من هذه الحسنة، بالرغم من أنهما ستعيشان في عزلة شديد، فما زال بإمكانها تقديم ابنة شقيقتها، بشكل غير رسمي، لدائرتها الصغيرة المؤلفة من أشخاص ينتمون إلى بلدها ويقطنون على أطراف الشانزيليزيه. كانت السيدة توشيت على علاقة وثيقة بالعديد من هؤلاء المستعمرين اللطفاء؛ تشاركهم غربتهم، ومبادئهم، ووسائل تسليتهم ومللهم. شاهدتهم إيزابيل يأتون إلى فندق خالتها بكثير من الملاطفة والمجاملة، لا شك تقديرا لممارستها مؤقتا إحساسها بالواجب الإنساني. توصّلت إلى قرار بأن حياتهم، بالرغم من اتّسامها بالترف، فهي بالواقع حياة فارغة، وهو رأي أثار استهجانا لدى التعبير عنه بعد ظهر أيام الآحاد المشمسة، حين ينهمك الأمريكيون المغتربون بزيارة بعضهم البعض. بالرغم من أن زائريها كانوا يُعتبرون أشخاصا مثاليون في لطفهم وكياستهم، من خلال طُهاتهم وخيّاطي ملابسهم، اعتبر اثنان أو ثلاثة منهم، حذاقتها، التي لا مهرب من الاعتراف بها، أقل شأنا من تلك المُعبّر عنها في المسرحيات العصرية. "جميعكم ستعيشون هنا بهذه الطريقة، ولكن إلى إين تؤدي؟ يبدو أنها لا تؤدي إلى أي شيء، وأظن يجدر بكم أن تسأموا منها." شعرت بغبطة وهي تطرح مثل هذا السؤال في إحدى المناسبات.

فكّرت السيدة توشيت أن ذلك السؤال جدير بأن يُطرح على هنريتا ستاكبول. التقت السيدتان بهنريتا في باريس، وأمضت إيزابيل حيّزا كبيرا من وقتها برفقتها؛ بحيث كان لدى السيدة توشيت مُبرّر للتفكير بينها وبين نفسها، أنّهُ إذا كانت إبنة شقيقتها غير حاذقة بما فيه الكفاية للبدء بأي شيء تقريبا، إلا أنها عُرضة للشك باقتباسها أسلوبها ذاك من صديقتها الصحفية. كانت المناسبة الأولى التي تحدّت فيها إيزابيل، كانت عن زيارة السيدتين

was that of a visit paid by the two ladies to Mrs. Luce, an old friend of Mrs. Touchett's and the only person in Paris she now went to see. Mrs. Luce had been living in Paris since the days of Louis Philippe; she used to say jocosely that she was one of the generation of '30–a joke of which the point was not always taken. When it failed Mrs. Luce used to explain–"Oh yes, I'm one of the romantics"; her French had never become quite perfect. She was always at home on Sunday afternoons and surrounded by sympathetic compatriots, usually the same. In fact she was at home at all times, and reproduced with wondrous truth in her well-cushioned little corner of the brilliant city, the domestic tone of her native Baltimore. This reduced Mr. Luce, her worthy husband, a tall, lean, grizzled, well-brushed gentleman who wore a gold eye-glass and carried his hat a little too much on the back of his head, to mere platonic praise of the "distractions" of Paris–they were his great word–since you would never have guessed from what cares he escaped to them. One of them was that he went every day to the American banker's, where he found a post-office that was almost as sociable and colloquial an institution as in an American country town. He passed an hour in fine weather in a chair in the Champs Elysees, and he dined uncommonly well at his own table, seated above a waxed floor which it was Mrs. Luce's happiness to believe had a finer polish than any other in the French capital. Occasionally he dined with a friend or two at the Cafe Anglais, where his talent for ordering a dinner was a source of felicity to his companions

للسيدة لوس، وهي صديقة قديمة للسيدة توشيت، والإنسانة الوحيدة الساكنة في باريس التي ذهبت الآن لزيارتها. كانت السيدة لوس تقطن في باريس منذ أيام لويس فيليب؛ كانت تقول مازحة أنها تنتمي لجيل عام ألف وثمانمائة وثلاثين، وهي دُعابة غالبا ما كان لا يُفهم مغزاها. وكانت السيدة لوس حين يحصل ذلك تشرح بالقول، " نعم، إنني أنتمي لجماعة الرومانسيين "؛ فشلت تماما في إتقان اللغة الفرنسية. كانت لا تغادر منزلها أبدا بعد ظهر أيام الآحاد، حيث تستقبل مجموعة من مواطنيها، يشاطرونها عادة طباعها ونظرتها إلى الحياة. بالواقع كانت تلازم منزلها بصورة دائمة، وتنسخ بصدق مدهش، وهي في زاويتها الصغيرة من المدينة المدهشة، الطابع المنزلي المُميّز لمدينة بالتيمور، مسقط رأسها. حوّل هذا الوضع زوجها السيد لوس المحترم، الرجل الطويل القامة، النحيل الجسم، الأشيب الشعر والأنيق الملبس بنظارتيه الذهبيتين وقبعته التي يرتديها بشكل مُرتجع إلى الوراء، إلى مجرَّد مُمجّد نظري "لإلهآت" باريس. كانت تلك عبارته المفضّلة. إذ كان لا يمكنك تخمين المهمات التي كان يحاول الهروب منها مُتّخذا من تلك الزيارات وسيلة لتحقيق ذلك. كانت واحدة من تلك المهمّات على سبيل المثال، ذهابه يوميا إلى مقهى المصرفي الأميركي، حيث يوجد هناك مكتب بريد، كان عبارة عن مؤسسة اجتماعية عاميّة مشابهة إلى حد كبير بتلك المؤسسات المنتشرة بكثرة في المدن الأميركية الريفية. كان يقضي حوالي الساعة (حين تسمح الأحوال الجوية بذلك) جالسا في كرسي عند الشانزليزيه، يتناول طعامه عند طاولته المعتادة، الموضوعة فوق أرضية مُشمّعة، كانت السيدة لوس تفخر بالقول أنها تتميّز بأفضل لَمعية مقارنة بكافة الأرضيات الأخرى في العاصمة الفرنسية. كان من حين إلى آخر، يتناول طعامه برفقة بعض الأصدقاء في

المقهى الإنجليزي حيث كانت موهبته في طلب العشاء مصدر لباقة في التعبير لأصدقائه وموضع إعجاب حتى لرئيس الخدم في تلك المُنشأة. كانت تلك المهمات سلوته الوحيدة، إلا أنها سلبته ساعات حياته على مدى نصف قرن من الزمن، ومما لاريب فيه برّرت تعليقاته المتكرّرة بالقول أنَّهُ لا وجود لمكان آخر مثل باريس. إذ لم يكن بمقدور السيد لوس في أي مكان آخر، وفق هذه المصطلحات، إشباع غروره بالقول أنه سعيد في حياته. لا مكان آخر مثل باريس، ولكن لا بد من الاعتراف بأن السيد لوس كان يُقلّل من شأن مشهد السلوى هذا في الأيام الخوالي بالنظر إلى قائمة موارده، يجب عدم إغفال مواقفه السياسية، إذ لا شك كانت القاعدة النشطة للعديد من الساعات الفارغة ظاهريا. كما العديد من زملائه المستعمرين، كان السيد لوس محافظ مُتشدّد، أو بالأحرى محافظ إلى أبعد الحدود، ولم يؤيّد الحكومة التي تشكّلت مؤخرا في فرنسا. لم يكن لديه ثقة كبيرة في استمراريتها، وكان يؤكّد لك، سنة تلو الأخرى، قرب نهايتها. "يحتاجون للقمع، يا سيدي؛ يحتاجون للقمع؛ لا شيء ينفع معهم سوى اليد القوية، اليد الحديدية، هكذا اعتاد التعليق في مناسبات عديدة عن الشعب الفرنسي؛ وكان يعتبر الامبراطورية المُنحلّة، النموذج المثالي للحكم الحاذق. "فقدت باريس الكثير من جاذبيتها وسحرها مما كانت تتميّز به في عهد الامبراطور؛ هو كان يعرف تماما كيف يجعل المدينة مبهجة يحلو العيش فيها." كان السيد لوس، يتساءل في مناسبات عديدة مع السيدة توشيت، التي كانت تشاطره آراءه السياسية، عن السبب الأساسي الذي حدا بالعديد لعبور المحيط الأطلسي البغيض، وهو الخلاص من الجمهوريات.

"أذكر يا سيدتي مشاهدتي، وأنا جالس في شانزيليزيه عربات القصر القادمة من تويلري تعبر الشارع ما يربو على السبع مرات يوميا. كما أذكر

and an object of admiration even to the headwaiter of the establishment. These were his only known pastimes, but they had beguiled his hours for upwards of half a century, and they doubtless justified his frequent declaration that there was no place like Paris. In no other place, on these terms, could Mr. Luce flatter himself that he was enjoying life. There was nothing like Paris, but it must be confessed that Mr. Luce thought less highly of this scene of his dissipations than in earlier days. In the list of his resources his political reflections should not be omitted, for they were doubtless the animating principle of many hours that superficially seemed vacant. Like many of his fellow colonists Mr. Luce was a high–or rather a deep–conservative, and gave no countenance to the government lately established in France. He had no faith in its duration and would assure you from year to year that its end was close at hand. "They want to be kept down, sir, to be kept down; nothing but the strong hand–the iron heel–will do for them," he would frequently say of the French people; and his ideal of a fine showy clever rule was that of the superseded Empire. "Paris is much less attractive than in the days of the Emperor; he knew how to make a city pleasant," Mr. Luce had often remarked to Mrs. Touchett, who was quite of his own way of thinking and wished to know what one had crossed that odious Atlantic for but to get away from republics.

"Why, madam, sitting in the Champs Elysees, opposite to the Palace of Industry, I've seen the court-carriages from the Tuileries pass up and down as many as seven times a

في إحدى المناسبات أنّهُ تجاوز عدد عبورها التسع مرات. وماذا تشاهدين الآن؟ لا جدوى من الكلام، فالترف والإبداع انقرضا إلى غير رجعة. كان نابليون يُدرك تماما ما يريده الشعب الفرنسي، ستُخيّم غيمة سوداء فوق باريس خاصّتنا، إلى حين عودة الامبراطورية ثانية.»

كان من بين زائري السيدة لوس بعد ظهر أيام الآحاد، رجل في مقتبل العمر، كانت إيزابيل تتبادل معه العديد من الأحاديث والذي تبيّن لها أنه رجل مُطّلع ولديه العديد من المعلومات القيّمة. كان السيد أدوارد روسير ... أو نيد روسير كما كانوا يُسمّونه. من مواليد نيويورك، نشأ وترّبى في باريس تحت إشراف والده، والذي شاءت الصدف أن يكون صديقا قديما وعزيزا للمرحوم السيد أرتشير. يتذكّر أدوارد روسير إيزابيل كفتاة صغيرة، وكان والده هو الذي سارع لإنقاذ حياة أطفال أرتشير في النزل الكائن في نيوفشاتيل (كان مسافرا عبر تلك الطريق برفقة إبنه، وتوقّف صدفة عند ذلك النزل)، بعد هروب خادمتهن مع الأمير الروسي وعدم معرفة مكان إقامة السيد أرتشير لبضعة أيام. تذكّرت إيزابيل بالضبط الطفل الصغير الأنيق الملبس ذو الشعر المُعطّر برائحة لذيذة، والذي كان لديه مربّية خاصّة به، مُكلّفة بعدم غيابه عن ناظريها لحظة واحدة تحت أي حجّة مهما كانت. رافقت إيزابيل هذين الشخصين بنزهة بالقرب من البحيرة، بعدما توصّلت إلى قرار أن وسامة أدوارد أشبه بوسامة الملائكة ـ وهو تشبيه بعيد جدا بنظرها عن الوصف التقليدي للملائكة، إذ كان لديها صورة محدّدة تماما عن نوع قسمات الوجه المُفترض أن تكون ملائكية الطابع، والتي تتطابق تماما مع قسمات وجه صديقها الجديد. أصبح يُشكّل الوجه الوردي الصغير الذي تعلوه قلنسوة مخملية زرقاء اللون مُزيّنة بياقة مُنشّاة مُطرّزة ملامح أحلامها الطفولية. تشكّل لديها اقتناع جازم بأن الحشود السماوية

day. I remember one occasion when they went as high as nine. What do you see now? It's no use talking, the style's all gone. Napoleon knew what the French people want, and there'll be a dark cloud over Paris, our Paris, till they get the Empire back again."

Among Mrs. Luce's visitors on Sunday afternoons was a young man with whom Isabel had had a good deal of conversation and whom she found full of valuable knowledge. Mr. Edward Rosier–Ned Rosier as he was called–was native to New York and had been brought up in Paris, living there under the eye of his father who, as it happened, had been an early and intimate friend of the late Mr. Archer. Edward Rosier remembered Isabel as a little girl; it had been his father who came to the rescue of the small Archers at the inn at Neufchatel he was travelling that way with the boy and had stopped at the hotel by chance, after their bonne had gone off with the Russian prince and when Mr. Archer's whereabouts remained for some days a mystery. Isabel remembered perfectly the neat little male child whose hair smelt of a delicious cosmetic and who had a bonne all his own, warranted to lose sight of him under no provocation. Isabel took a walk with the pair beside the lake and thought little Edward as pretty as an angel–a comparison by no means conventional in her mind, for she had a very definite conception of a type of features which she supposed to be angelic and which her new friend perfectly illustrated. A small pink face surmounted by a blue velvet bonnet and set off by a stiff embroidered collar had become the countenance of her childish dreams; and she had firmly believed for some time

تتحدّث فيما بينها بلكنة فرنسية - إنجليزية غريبة، مُعبّرة عن أرفع العواطف وأسماعها، كما حين أخبرها أدوارد بأنَّ مربّيته "تحميه" ولا تسمح له أبدا بالاقتراب من حافّة البحيرة، وأنه على المرء دائما إطاعة مُربّيته. أصبح نيد روسير الآن أكثر تمكّنا من اللغة الإنجليزية، على الأقل اختفى منها، إلى حدٍ ما، التنوّع الفرنسي الذي كان طاغيا عليها. توفي والده وسُرِّحت مُربيته من عملها، ولكن الرجل الشاب كان ما زال ملتزما بروح تعاليمهما - لم يقترب أبدا من حافّة البحيرة. كان شابا في غاية اللطف وحسن الذوق، مع ما يُسمّى ثقافة متنوّعة مصقولة بمعرفة واسعة بالآواني الخزفية القديمة، وأنواع النبيذ المُعتّق، وتجليد الكتب، "والألماناش دو غوثا"، وأفضل المتاجر والفنادق ومواعيد القطارات. كان يُتقن فن طلب طعام العشاء بمهارة تكاد تساوي مهارة السيد لوس، وعلى الأرجح، مع تنامي خبرته، قد يُصبح خليفة ذلك الرجل النبيل الفاضل، خاصة وأنه كان يؤيد آراءه السياسية بصوت ناعم خالٍ من سوء النيّة. كان يملك شقّة جميلة في باريس مزيّنة بمخرّمات إسبانية قديمة كانت موضع حسد صديقاته من الجنس اللطيف، اللواتي صرّحن أن المُستوقد لديه مكسوٌ ومزخرف بذوق وجمال يفوق كساء وزخرفة العديد من أثواب الدوقات. اعتاد تمضية قسم من كل شتاء في باو، وقد أمضى في إحدى المناسبات، شهرين في الولايات المتحدة.

أبدى اهتماما كبيرا بإيزابيل وتذكّر تماما نزهتهما في نوفشاتيل، حيث كانت تُصرّ على الاقتراب جدا من الحافّة. بدا وكأنه يُميّز الميل ذاته في الاستعلام المُخرّب الذي اقتبسته قبل لحظة، وأعدّ نفسه للإجابة على تساؤل بطلتنا بكثير من التهذيب ربما أكثر مما يستحق. "إلى أين يؤدي كل

afterwards that the heavenly hosts conversed among themselves in a queer little dialect of French-English, expressing the properest sentiments, as when Edward told her that he was "defended" by his bonne to go near the edge of the lake, and that one must always obey to one's bonne. Ned Rosier's English had improved; at least it exhibited in a less degree the French variation. His father was dead and his bonne dismissed, but the young man still conformed to the spirit of their teaching–he never went to the edge of the lake. There was still something agreeable to the nostrils about him and something not offensive to nobler organs. He was a very gentle and gracious youth, with what are called cultivated tastes–an acquaintance with old china, with good wine, with the bindings of books, with the Almanach de Gotha, with the best shops, the best hotels, the hours of railway-trains. He could order a dinner almost as well as Mr. Luce, and it was probable that as his experience accumulated he would be a worthy successor to that gentleman, whose rather grim politics he also advocated in a soft and innocent voice. He had some charming rooms in Paris, decorated with old Spanish altar-lace, the envy of his female friends, who declared that his chimney-piece was better draped than the high shoulders of many a duchess. He usually, however, spent a part of every winter at Pau, and had once passed a couple of months in the United States.

He took a great interest in Isabel and remembered perfectly the walk at Neufchatel, when she would persist in going so near the edge. He seemed to recognize this same tendency in the subversive enquiry that I quoted a moment

ago, and set himself to answer our heroine's question with greater urbanity than it perhaps deserved. "What does it lead to, Miss Archer? Why Paris leads everywhere. You can't go anywhere unless you come here first. Every one that comes to Europe has got to pass through. You don't mean it in that sense so much? You mean what good it does you? Well, how can you penetrate futurity? How can you tell what lies ahead? If it's a pleasant road I don't care where it leads. I like the road, Miss Archer; I like the dear old asphalte. You can't get tired of it–you can't if you try. You think you would, but you wouldn't; there's always something new and fresh. Take the Hotel Drouot, now; they sometimes have three and four sales a week. Where can you get such things as you can here? In spite of all they say I maintain they're cheaper too, if you know the right places. I know plenty of places, but I keep them to myself. I'll tell you, if you like, as a particular favour; only you mustn't tell any one else. Don't you go anywhere without asking me first; I want you to promise me that. As a general thing avoid the Boulevards; there's very little to be done on the Boulevards. Speaking conscientiously–sans blague–I don't believe any one knows Paris better than I. You and Mrs. Touchett must come and breakfast with me some day, and I'll show you my things; je ne vous dis que ca! There has been a great deal of talk about London of late; it's the fashion to cry up London. But there's nothing in it–you can't do anything in London. No Louis Quinze–nothing of the First Empire; nothing but their eternal Queen Anne. It's

هذا، يا آنسة أرتشير؟ بالواقع باريس تؤدي إلى كل مكان. لا يمكنك الذهاب إلى أي مكان ما لم تأتي إلى هنا أوّلا. يتوجّب على كل آتٍ إلى أوروبا العبور من هنا. لا تقصدين بسؤالك هذا المعنى بالضبط، أليس كذلك؟ تقصدين ما فائدة كل هذا؟ حسنا، كيف يمكنك اختراق ومعرفة الاستقبالية؟ كيف يمكنك معرفة ما يُخبّئ القدر؟إذا كانت دربا مُبهجة، لا يهمّني إلى أين تؤدّي. إنني معَجب جدا بهذه الدرب، يا آنسة آرتشير؛ أحب الإسفلت العزيز القديم. لا يمكنك الشعور بالملل منها ـ لا يمكنك ذلك حتى ولو حاولت. تظنين أنك ستملّين، ولكن لا يحصل ذلك أبدا، فهناك دائما حدث جديد ومنعش. خذي مثلا فندق دروت؛ يقيمون هناك أحيانا ما لا يقل عن ثلاث أو أربع مزادات علنية أسبوعيا. أين يمكنك الحصول على النوعية التي تحصلين عليها هنا؟ بالرغم من كل ما يدّعونه أؤكّد أنها أقل ثمنا كذلك، هذا إذا كنتِ تعرفين المتاجر المناسبة. أعرف العديد من تلك المتاجر، ولكن أحتفظ بأسمائها لنفسي. سأرشدكِ إليها، إذا كنت ترغبين بذلك، إكراما لك شريطة ألا تحتفظي بتلك المعلومات لنفسك ولا تُخبري الآخرين بها. لا تذهبي إلى أي مكان بدون استشارتي مُسبقا، أريدك أن تعديني بذلك. تفادي كقاعدة عامة الجادّات والشوارع العريضة؛ إذ لا فائدة تُرجى منها. لنتكلم بجدّية وبدون مزاح ـ لا أظن أن أحدا سواي لديه معرفة عميقة وشاملة بباريس تضاهي معرفتي بها. يجب أن تأتي أنتِ والسيدة توشيت لتناول الفطور عندي، وسأريك الأشياء التي أملكها، لن أزيد حرفا عمّا قلته. كثُر الحديث مؤخرا عن لندن، وأصبح الزي السائد التوجه إلى هناك لمعرفة آخر المبتكرات العصرية. ولكن لا يوجد شيء فيها ـ لا يمكنك القيام بأي شيء في لندن. لا يوجد شيء يستحق الذكر في تلك المدينة ـ فلا وجود لأثاث لويس الخامس عشر، ولا شيء يعود للامبراطورية الأولى؛ لا شيء سوى أثاث الملكة آن

السرمدي. إنه أثاث لا بأس به لغرف النوم أو المغاسل؛ ولكن غير مناسب البتّة لغرف الاستقبال. هل أقضي معظم أوقاتي في المزادات العلنية؟» تابع السيد روسير حديثه جوابا على سؤال آخر طرحته عليه إيزابيل، «أوه، لا؛ ليس لدي ما يكفي من الموارد المالية للقيام بذلك. أتمنى لو كان الوضع غير ذلك. تظنين أنني مجرّد شخص تافه؛ يبدو ذلك واضحا من تعابير وجهك ـ لديك وجه مُعبّر رائع. أرجو عدم ممانعتك قولي مثل هذا الكلام؛ إنني أقوله كنوع من التحذير. تظنين يجدر بي القيام بعمل ما، وكذلك أنا، طالما أبقيه أمرا غامضا. ولكن النقطة الأهم، يتبيّن لك لاحقا ضرورة توقّفك عما تقومين به. لا يمكنني العودة إلى الوطن ومزاولة مهنة صاحب متجر. أتعتقدين أنني مُلائم جدا لهكذا مهنة؟ أوه، يا آنسة أرتشير، أنتِ تبالغين في تقديري. أتقن فن الشراء إلى حدٍ كبير، ولكنني أجهل أي شيء عن البيع؛ لو يُتاح لكِ رؤيتي وأنا أحاول التخلّص من بعض أغراضي. تتطلّب عملية إقناع الآخرين بالشراء مقدرة أكبر بكثير من عملية الشراء التي تقومين أنتِ بنفسكِ بها. حين أفكّر بمدى براعة الأشخاص الذين يُقنعونني بالشراء! أوه لا؛ يستحيل عليّ أن أكون صاحب متجر. لا يمكنني أن أكون طبيبا؛ إنها مهنة مثيرة للاشمئزاز. لا يمكنني أن أكون رجل دين؛ إنني أفتقر للإيمان الراسخ، كما أنني لا أستطيع لفظ الأسماء الواردة في الكتاب المقدّس بطريقة صحيحة. إنها صعبة جدا، خاصة تلك الموجودة في العهد القديم. لا يمكنني أن أكون محاميا؛ لا أفهم ـ ماذا تُسمّونه؟ ـ الإجراء الأميركي الطابع. هل هناك من مهنة أخرى؟ لا وجود في أميركا لأي مهنة ملائمة للرجل النبيل. أود أن أكون دبلوماسيا ـ ولكن الدبلوماسية الأميركية، فهي الأخرى لا تلائم الرجل النبيل. إنني واثق لو شاهدت . . .»

اعتادت هنريتا ستاكبول التواجد مع صديقتها حين كان السيد روسير

good for one's bed-room, Queen Anne- for one's washing-room; but it isn't proper for a salon. Do I spend my life at the auctioneer's?" Mr. Rosier pursued in answer to another question of Isabel's. "Oh no; I haven't the means. I wish I had. You think I'm a mere trifler; I can tell by the expression of your face- you've got a wonderfully expressive face. I hope you don't mind my saying that; I mean it as a kind of warning. You think I ought to do something, and so do I, so long as you leave it vague. But when you come to the point you see you have to stop. I can't go home and be a shopkeeper. You think I'm very well fitted? Ah, Miss Archer, you overrate me. I can buy very well, but I can't sell; you should see when I sometimes try to get rid of my things. It takes much more ability to make other people buy than to buy yourself. When I think how clever they must be, the people who make me buy! Ah no; I couldn't be a shopkeeper. I can't be a doctor; it's a repulsive business. I can't be a clergyman; I haven't got convictions. And then I can't pronounce the names right in the Bible. They're very difficult, in the Old Testament particularly. I can't be a lawyer; I don't understand- how do you call it?–the American procedure. Is there anything else? There's nothing for a gentleman in America. I should like to be a diplomatist; but American diplomacy–that's not for gentlemen either. I'm sure if you had seen the last minû"

Henrietta Stackpole, who was often with her friend when Mr. Rosier, coming to pay his compliments late in the

يأتي للزيارة في ساعات العصر، ويُعبّر عن آرائه على النحو الذي وصفته آنفا؛ وكانت غالبا ما تُقاطع حديث الرجل الشاب حين يصل في حديثه عند هذه النقطة، وتبدأ بإلقاء محاضرة عليه حول الواجبات المتوقّعة من المواطنين الأميركيين. كانت تعتبره شخصا خارجاً عن المألوف وأسوأ من المسكين رالف توشيت. ولكن، كانت هنريتا مع ذلك، مُنفتحة للانتقاد البنّاء أكثر من أي وقت مضى، إذ أن مداركها كانت تعرّضت مؤخرا لخشية كبيرة في ما يتعلق بإيزابيل. لم تُهنّئ الفتاة الشابة على ارتقائها المادي المرموق، وتوسّلت منها إعفاءها من ذلك الواجب.

قالت بصراحة: "لو استشارني السيد توشيت بمسألة توريثك مبالغ ضخمة من المال، لكنت أشرت عليه بالعدول عن ذلك جملة وتفصيلا!."

أجابت إيزابيل: "حسنا، أتظنين أن ذلك المال سيبرهن على أنه بلاء مُستتر؟ ربما سيكون كذلك."

"يجدر به ترك أمواله لشخص لا يكترث له كثيرا ـ هذا ما كنت أشرت إليه."

قالت إيزابيل مازحة: "لكِ على سبيل المثال؟."

"هل فعلا تظنين أنه سيُدمّرني؟" أضافت متسائلة بنبرة مختلفة تماما.

"آمل ألا يكون سبب دمارك؛ ولكن مما لا ريب فيه أنه سيثبّت ميولك الخطيرة."

"أتقصدين حبّي للرفاهية... للتبذير؟

قالت هنريتا: "لا، لا. أقصد إبداءك للعيان من الناحية المناقبية. إنني أستحسن الرفاهية؛ أظن يجدر بنا أن نكون أنيقين قدر المستطاع. انظري لرفاهية مدننا الغربية؛ لم أشاهد أي شيء هنا يمكن مقارنته بما لدينا. آمل ألا تُصبحي جسدية بشكل فاضح؛ ولكنني لا أخشى ذلك أيضا. مشكلتك أنكِ تعيشين إلى حد كبير في عالم أحلامك الخاصة. لست على

afternoon, expressed himself after the fashion I have sketched, usually interrupted the young man at this point and read him a lecture on the duties of the American citizen. She thought him most unnatural; he was worse than poor Ralph Touchett. Henrietta, however, was at this time more than ever addicted to fine criticism, for her conscience had been freshly alarmed as regards Isabel. She had not congratulated this young lady on her augmentations and begged to be excused from doing so.

"If Mr. Touchett had consulted me about leaving you the money," she frankly asserted, "I'd have said to him 'Never!"

"I see," Isabel had answered, "You think it will prove a curse in disguise. Perhaps it will."

"Leave it to some one you care less for–that's what I should have said."

"To yourself for instance?" Isabel suggested jocosely. And then, "Do you really believe it will ruin me?" she asked in quite another tone.

"I hope it won't ruin you; but it will certainly confirm your dangerous tendencies."

"Do you mean the love of luxury–of extravagance?"

"No, no," said Henrietta; "I mean your exposure on the moral side. I approve of luxury; I think we ought to be as elegant as possible. Look at the luxury of our western cities; I've seen nothing over here to compare with it. I hope you'll never become grossly sensual; but I'm not afraid of that. The peril for you is that you live too much in the world of

احتكاك كافٍ بعالم الواقع، بالكدح، وبالكفاح، وبالمعاناة ويمكن أن أضيف بارتكاب المعاصي، بالعالم المحيط بكِ. أنتِ على درجة كبيرة من الحساسية ويصعب إرضاؤك؛ لديك الكثير من الأوهام الجميلة. ثروتك الحديثة ستزيد أكثر وأكثر من انزوائك عن العالم والمجتمع باستثناء قلّة من الأشخاص الأنانيين والمتحجّري القلب الذين تُحتّم مصالحهم زيادة وتعزيز أوهامك تلك."

سألت، وقد جحظت عيناها من إمكانية ذلك المشهد: "ما هي أوهامي؟ أحاول جاهدة ألا يكون لديّ أوهام على الإطلاق."

قالت هنريتا: "حسنا، تظنين أنه بمقدورك العيش حياة رومنسية، وأن تعيشي ببعث البهجة في نفسك ونفس الآخرين. سيتبيّن لك أنك مخطئة في ذلك. مهما كانت الحياة التي ستعيشينها، عليك أن تضعي روحك فيها - لتتمكّني من تحقيق أي نوع من النجاح فيها، ولحظة قيامك بمثل هذا العمل، تُصبح الحياة خالية من أي نوع من الرومانسية. أؤكّد لك أنها تتحول لحقيقة قاتمة! ولا يمكنك دائما إثارة البهجة في نفسك؛ يتوجّب عليك أحيانا إثارة الغبطة في نفوس الآخرين. أعترف أنك على كامل الاستعداد للقيام بهكذا مهمة؛ ولكن ما زال هناك أمرا أكثر أهمية - عليك في معظم الأحيان إثارة استياء الآخرين. عليك دائما أن تكوني مُهيّأة لذلك - يجب عليك عدم الانكماش أبدا من ذلك. وهذا الأمر لا يلائمك على الإطلاق، فأنت مولعة جدا بالإطراء وإثارة إعجاب الآخرين بك. تظنين أنه بإمكاننا الهرب من الواجبات المزعجة بتبني وجهات النظر الرومانسية - هذا هو يا عزيزتي وهمك الأكبر. ولكننا لا نستطيع ذلك. يجب عليك أن تكوني على استعداد في مناسبات عديدة في هذه الحياة على عدم إثارة البهجة في أيٍ كان على الإطلاق - بما في ذلك ذاتكِ أنتِ."

your own dreams. You're not enough in contact with reality- with the toiling, striving, suffering, I may even say sinning, world that surrounds you. You're too fastidious; you've too many graceful illusions. Your newly-acquired thousands will shut you up more and more to the society of a few selfish and heartless people who will be interested in keeping them up."

Isabel's eyes expanded as she gazed at this lurid scene. "What are my illusions?" she asked. "I try so hard not to have any."

"Well," said Henrietta, "you think you can lead a romantic life, that you can live by pleasing yourself and pleasing others. You'll find you're mistaken. Whatever life you lead you must put your soul in it–to make any sort of success of it; and from the moment you do that it ceases to be romance, I assure you: it becomes grim reality! And you can't always please yourself; you must sometimes please other people. That, I admit, you're very ready to do; but there's another thing that's still more important–you must often displease others. You must always be ready for that–you must never shrink from it. That doesn't suit you at all–you're too fond of admiration, you like to be thought well of. You think we can escape disagreeable duties by taking romantic views–that's your great illusion, my dear. But we can't. You must be prepared on many occasions in life to please no one at all- not even yourself."

Isabel shook her head sadly; she looked troubled and frightened. "This, for you, Henrietta," she said, "must be one of those occasions!"

It was certainly true that Miss Stackpole, during her visit to Paris, which had been professionally more remunerative than her English sojourn, had not been living in the world of dreams. Mr. Bantling, who had now returned to England, was her companion for the first four weeks of her stay; and about Mr. Bantling there was nothing dreamy. Isabel learned from her friend that the two had led a life of great personal intimacy and that this had been a peculiar advantage to Henrietta, owing to the gentleman's remarkable knowledge of Paris. He had explained everything, shown her everything, been her constant guide and interpreter. They had breakfasted together, dined together, gone to the theatre together, supped together, really in a manner quite lived together. He was a true friend, Henrietta more than once assured our heroine; and she had never supposed that she could like any Englishman so well. Isabel could not have told you why, but she found something that ministered to mirth in the alliance the correspondent of the Interviewer had struck with Lady Pensil's brother; her amusement moreover subsisted in face of the fact that she thought it a credit to each of them. Isabel couldn't rid herself of a suspicion that they were playing somehow at cross-purposes–that the simplicity of each had been entrapped. But this simplicity was on either side none the less honourable. It was as graceful on

قالت إيزابيل، وهي تهزّ رأسها بحزن وقد بدت خائفة ومرتبكة: "هذه بالنسبة لك يا هنيرتا، لا بد وأن تكون واحدة من المناسبات التي تقصدينها بكلامك!"

مما لا ريب فيه أن الآنسة ستاكبول، خلال زيارتها لباريس، التي اتّسمت من الناحية المهنية بالتأمل والتفكير العميق أكثر مما كانت عليه إقامتها الإنجليزية المؤقتة، لم تكن تعيش في عالم من الأحلام. كان السيد بانتلنغ، الذي عاد مؤخرا إلى إنجلترا، رفيقها الدائم خلال الأربع أسابيع الأولى من إقامتها في باريس؛ وبالنسبة للسيد بانتلنغ، كان أبعد ما يكون عن الشخص الحالم. علمت إيزابيل من صديقتها أن الإثنين كانا متقاربين جدا وتوطّدت إلى حد بعيد أواصر الصداقة بينهما، وأن ذلك الأمر كان بمثابة إفادة كبيرة لهنريتا، نظرا لاطّلاع ذلك الرجل النبيل بباريس. شرح لها كل شيء، ورافقها إلى كل مكان وكان دليلها ومترجمها الدائم. تناولا وجبات الفطور والغداء والعشاء معا وذهبا إلى المسارح معا، بشكل أقرب ما يكون أنهما كانا يسكنان معا. كان صديقا مخلصا، أكّدت ذلك هنريتا لبطلتنا في أكثر من مناسبة؛ قائلة أنها لم تتوقّع أبداً الإعجاب إلى هذه الدرجة بمطلق رجل إنجليزي الجنسية. فشلت إيزابيل في تبرير نظرتها المرحة في ما يتعلق بعلاقة مراسلة الانتيرفيور مع شقيق اللايدي بانسيل؛ ولكن شعورها ذاك كان مُستندا إلى واقع اعتبارها أن تلك الصداقة كانت مفخرة لكل منهما. لم تتمكّن إيزابيل من التغلّب على ارتيابها بأنهما كانا بشكل أو بآخر يلعبان لعبة متضاربة الأهداف، بأن بساطة كل منهما قد وقعت في الشَرك. كان أمرا جميلا، من جانب هنريتا الاعتقاد أن السيد بانتلنغ مُهتّم بانتشار الصحافة النشطة وفي تعزيز وتقوية مكانة الصحافيات،

بقدر ما كان من جانب رفيقها اعتبار أن رسالة الانتيرفيور ـ وهي صحيفة لم يكن لديه أي انطباع مُحدّد إزائها ـ كانت إذا جرى تحليلها بشكل دقيق وبارع (وهي مهمة اعتبر السيد بانتلنغ نفسه كفؤا تماما للقيام بها)، لم يكن بالواقع سوى رسالة الآنسة ستاكبول ذاتها بحاجتها للعاطفة العَلنية المُعبّرة وغير المُتحفّظة. وفّر كل من هذين العازبين المتلّمسين طريقهما، في مطلق الأحوال، حاجة كان الآخر شاعراً بها بتوق شديد. كان السيد بانتلنغ، رجلا ذو سلوك منطقي غير متسرّع، استساغ امرأة إيجابية، متحمّسة ويقظة، ووقع تحت تأثير سحر نظرتها المتحدّية المتألقة ونوع من النقاوة الطلقة، والتي أشعلت إدراكا حسّيا من الحيوية في ذهن كانت تبدو له الحياة خالية من أية نهكة. استساغت هنريتا من جهتها رفقة رجل نبيل بدا بطريقة أو بأخرى، وكأنه وجِد خصيصا لتلبية حاجتها، بأسلوبه المميّز الأنيق، مشكّلا بمقامه المُرفّه المُترَف، بالرغم من تعذّر تبريره أو الدفاع عنه بشكل عام، عطية واضحة لا جدال فيها لرفيقة لاهثة، مزوّدة بجواب بسيط تقليدي، ولكنه أبعد ما يكون مُستنفذاً، لكافة المسائل الاتجتماعية أو العملية المتنوعة التي قد تُطرح على بساط البحث. غالبا ما كانت تجد أجوبة السيد بانتلينغ ملائمة جدا، وبعجلتها للّحاق بالبريد الأميركي، كانت تنشرها بأسلوب رائع ومُزوّق. كان يُخشى أنها بالواقع أصبحت منجرفة باتجاه اللُجَج المُتكلّفة تلك، التي دأبت إيزابيل الراغبة في جواب سريع مُبهج، تحذّرها منها. ربما كان هناك خطرا مُخزّنا بانتظار إيزابيل؛ ولكن بالكاد كان يؤمل أن الآنسة ستاكبول، من جهتها، ستجد راحة مستديمة بتبنيها آراء طبقة اجتماعية نذرت نفسها لكافة المساوئ القديمة البالية. واصلت إيزابيل تنبيهها بأسلوب ودود؛ وكانت أحيانا تُشير لشقيق اللايدي

Henrietta's part to believe that Mr. Bantling took an interest in the diffusion of lively journalism and in consolidating the position of lady-correspondents as it was on the part of his companion to suppose that the cause of the Interviewer–a periodical of which he never formed a very definite conception–was, if subtly analyzed a task to which Mr. Bantling felt himself quite equal, but the cause of Miss Stackpole's need of demonstrative affection. Each of these groping celibates supplied at any rate a want of which the other was impatiently conscious. Mr. Bantling, who was of rather a slow and a discursive habit, relished a prompt, keen, positive woman, who charmed him by the influence of a shining, challenging eye and a kind of bandbox freshness, and who kindled a perception of raciness in a mind to which the usual fare of life seemed unsalted. Henrietta, on the other hand, enjoyed the society of a gentleman who appeared somehow, in his way, made, by expensive, roundabout, almost "quaint" processes, for her use, and whose leisured state, though generally indefensible, was a decided boon to a breathless mate, and who was furnished with an easy, traditional, though by no means exhaustive, answer to almost any social or practical question that could come up. She often found Mr. Bantling's answers very convenient, and in the press of catching the American post would largely and showily address them to publicity. It was to be feared that she was indeed drifting toward those abysses of sophistication as to which Isabel, wishing for a good-humoured retort, had warned her. There might be danger in store for Isabel; but it was scarcely to be hoped that Miss Stackpole, on her side, would find permanent rest

in any adoption of the views of a class pledged to all the old abuses. Isabel continued to warn her good-humouredly; Lady Pensil's obliging brother was sometimes, on our heroine's lips, an object of irreverent and facetious allusion. Nothing, however, could exceed Henrietta's amiability on this point; she used to abound in the sense of Isabel's irony and to enumerate with elation the hours she had spent with this perfect man of the world–a term that had ceased to make with her, as previously, for opprobrium. Then, a few moments later, she would forget that they had been talking jocosely and would mention with impulsive earnestness some expedition she had enjoyed in his company.

She would say: "Oh, I know all about Versailles; I went there with Mr. Bantling. I was bound to see it thoroughly–I warned him when we went out there that I was thorough: so we spent three days at the hotel and wandered all over the place. It was lovely weather–a kind of Indian summer, only not so good. We just lived in that park. Oh yes; you can't tell me anything about Versailles." Henrietta appeared to have made arrangements to meet her gallant friend during the spring in Italy.

بانسيل اللطيف، كشخص فكه وغير جاد. لا شيء كان يمكن ان يتجاوز وُدّ هنريتا في ما يتعلق بهذه النقطة؛ كانت ترحّب بسخرية إيزابيل وتسرد بتيه وابتهاج الساعات التي أمضتها برفقة هذا الرجل المثالي المُجرّب - وهو مصطلح لم يعد يُثير في نفسها، كما كان يفعل سابقا، شعور الاحتقار والازدراء. ومن ثم وخلال لحظات، كانت تنسى أنهما كانتا تتحدّثان بأسلوب مازح، وتذكر بكثير من اللهفة المندفعة، نزهة ما أمضتها برفقته.

كانت تقول، "أوه، أعرف كل شيء عن فرساي، ذهبت إلى هناك برفقة السيد بانتلنغ. كان لا بد من رؤيتي لذلك المكان بشكل شامل - حذّرته لدى توجّهنا إلى هناك بأنني إنسانة دقيقة: وهكذا أمضينا ثلاثة أيام في الفندق وطفنا في كافة أرجاء ذلك المكان. كان الطقس رائعا - أشبه بصيف هندي، إلا أنه لم يكن كذلك تماما. قضينا معظم أوقاتنا في ذلك المنتزه. نعم، لا يمكنك تزويدي بأية معلومات لا أعرفها عن فرساي." وبدا أن هنريتا قد رتّبت لملاقاة صديقها النبيل في إيطاليا خلال فصل الربيع القادم.

الفصل الحادي والعشرون

كانت السيدة توشيت، وقبل وصولها إلى باريس، قد حدّدت مُسبقا موعد مغادرتها لتلك المدينة، وبدأت بحلول منتصف شهر شباط سفرتها إلى جنوب أوروبا. قطعت رحلتها لزيارة ابنها، الموجود في سان ريمو، الواقعة على الشاطئ الإيطالي في البحر الأبيض المتوسط، والذي كان يقضي شتاء مملاً ومشمسا تحت مِظلّة وارفة. رافقت إيزابيل خالتها كما هو متوقّع منها، علما أن السيدة توشيت انطلاقاً من منطق مألوف ومعتاد، عرضت أمامها خيارات متنوّعة.

"طبعا أنت الآن سيدة نفسك وحرّة كما العصفور على غصن شجرة. لا أقصد القول أنك لم تكوني كذلك في السابق، إلا أنكِ الآن في منزلة مختلفة ـ فالملكية تقيم نوعا من العوائق. يمكنك القيام بأمور كثيرة كسيدة ثرية، كانت ستكون منطلقا لانتقادات حادّة موجّهة ضدك في حال كنت فقيرة. يمكنك الذهاب حيثما ترغبين، والسفر بمفردك وامتلاك منزل خاص بك: أقصد طبعا بوجود زميلة تشاطرك السكن فيه ـ واحدة من النساء النبيلات المجرّبات، المتميّزات بملابس الكشمير والشعر المصبوغ. ألا تعتقدين أنك ترغبين بوضع كهذا؟ طبعا، يمكنك التصرّف كما يحلو لك؛ أريدك فعلا أن تفهمي مدى الحرية المتاحة لك. يمكنك استخدام الآنسة ستاكبول كسيدة مرافقة؛ إنها تُتقن إلى حد كبير فن إبعاد الناس. ولكن أظن، بشكل عام، من الأفضل لك البقاء معي، علما أنك غير مُلزمة بذلك على الإطلاق. الخيار الأخير أفضل من غيره لأسباب عديدة، بمعزل عن ترحيبك به. لا يجدر به الاعتقاد أنك سترحبين بذلك الخيار، ولكن أنصحك بالقيام بهكذا تضحية. طبعا زالت الآن كل معالم الأمور

Chapter Twenty One

Mrs. Touchett, before arriving in Paris, had fixed the day for her departure and by the middle of February had begun to travel southward. She interrupted her journey to pay a visit to her son, who at San Remo, on the Italian shore of the Mediterranean, had been spending a dull, bright winter beneath a slow-moving white umbrella. Isabel went with her aunt as a matter of course, though Mrs. Touchett, with homely, customary logic, had laid before her a pair of alternatives.

"Now, of course, you're completely your own mistress and are as free as the bird on the bough. I don't mean you were not so before, but you're at present on a different footing-property erects a kind of barrier. You can do a great many things if you're rich which would be severely criticized if you were poor. You can go and come, you can travel alone, you can have your own establishment: I mean of course if you'll take a companion-some decayed gentlewoman, with a darned cashmere and dyed hair, who paints on velvet. You don't think you'd like that? Of course you can do as you please; I only want you to understand how much you're at liberty. You might take Miss Stackpole as your dame de compagnie; she'd keep people off very well. I think, however, that it's a great deal better you should remain with me, in spite of there being no obligation. It's better for several reasons, quite apart from your liking it. I shouldn't think you'd like it, but I recommend you to make the sacrifice. Of

غير المألوفة التي تُميّز رفقتي، وأصبحت تراني كما أنا ـ امرأة عجوز مملّة، وعنيدة وضيّقة أفق التفكير. "

أجابت إيزابيل: " لا أظن أبدا أنكِ امرأة مملّة. "

قالت السيدة توشيت بكثير من التيه كونها أثبتت صحّة أقوالها: "لكن أتظنين أنني امرأة عنيدة وضيّقة أفق التفكير؟ سبق وأخبرتك بذلك! "

بقيت إيزابيل في الوقت الحاضر مع خالتها، لأنه بالرغم من حوافز غريبة الأطوار، كانت تأخذ بعين الاعتبار إلى حدٍ بعيد ما يُعتبر تصرّفا لائقا ومَرضيا، وكانت دائما تنظر إلى الفتاة الشابة بدون أقارب ملموسين وكأنها أشبه بالزهرة الخالية من أوراقها. لا بد من الاعتراف أن أحاديث السيدة توشيت فقدت كليّا عامل التألق الذي بدا واضحا في حديثها بعد ظهر ذلك اليوم الأول في ألباني، حين جلست مرتدية معطفها الرطب الصادّ للماء وصوّرت الفرص التي توفّرها أوروبا أمام فتاة شابة ذوّاقة. لكن لا بد من الإقرار، أن هذا الوضع، كان إلى حد بعيد، ذنب الفتاة نفسها؛ أتيح لها إلقاء نظرة سريعة على تجربة خالتها، وكانت قدراتها المبدعة تتوقّع دائما أحكام وعواطف امرأة كانت تفتقر كثيرا لقدرة مماثلة. كان لدى السيدة توشيت، بمعزل عن هذا الأمر، فضيلة مُميّزة؛ فقد كانت صادقة وصريحة إلى أبعد الحدود. كان هناك نوع من الراحة في صلابتها وحزمها؛ كنت تعرف بالضبط أين تجدها ولم تكن أبدا عُرضة للقاءات والصَدمات غير المتوقّعة. كانت دائما تتجلّى وتبرز في معتقداتها وحُجَجِها الخاصة بها، ولكنها لم تكن أبدا فضولية بشكل مُفرط في ما يتعلق بتصرفات غيرها. شعرت إيزابيل في نهاية الأمر، بنوع من الشفقة المُتفهّمة تجاهها؛ كان

course whatever novelty there may have been at first in my society has quite passed away, and you see me as I am–a dull, obstinate, narrow-minded old woman."

"I don't think you're at all dull," Isabel had replied to this.

"But you do think I'm obstinate and narrow-minded? I told you so!" said Mrs. Touchett with much elation at being justified.

Isabel remained for the present with her aunt, because, in spite of eccentric impulses, she had a great regard for what was usually deemed decent, and a young gentlewoman without visible relations had always struck her as a flower without foliage. It was true that Mrs. Touchett's conversation had never again appeared so brilliant as that first afternoon in Albany, when she sat in her damp waterproof and sketched the opportunities that Europe would offer to a young person of taste. This, however, was in a great measure the girl's own fault; she had got a glimpse of her aunt's experience, and her imagination constantly anticipated the judgements and emotions of a woman who had very little of the same faculty. Apart from this, Mrs. Touchett had a great merit; she was as honest as a pair of compasses. There was a comfort in her stiffness and firmness; you knew exactly where to find her and were never liable to chance encounters and concussions. On her own ground she was perfectly present, but was never over-inquisitive as regards the territory of her neighbour. Isabel came at last to have a kind of undemonstrable pity for her; there seemed something so dreary in the condition of a person whose nature had, as it were, so little surface–offered

so limited a face to the accretions of human contact. Nothing tender, nothing sympathetic, had ever had a chance to fasten upon it–no wind-sown blossom, no familiar softening moss. Her offered, her passive extent, in other words, was about that of a knife-edge. Isabel had reason to believe none the less that as she advanced in life she made more of those concessions to the sense of something obscurely distinct from convenience–more of them than she independently exacted. She was learning to sacrifice consistency to considerations of that inferior order for which the excuse must be found in the particular case. It was not to the credit of her absolute rectitude that she should have gone the longest way round to Florence in order to spend a few weeks with her invalid son; since in former years it had been one of her most definite convictions that when Ralph wished to see her he was at liberty to remember that Palazzo Crescentini contained a large apartment known as the quarter of the signorino.

"I want to ask you something," Isabel said to this young man the day after her arrival at San Remo–"something I've thought more than once of asking you by letter, but that I've hesitated on the whole to write about. Face to face, nevertheless, my question seems easy enough. Did you know your father intended to leave me so much money?"

Ralph stretched his legs a little further than usual and gazed a little more fixedly at the Mediterranean. "What does it matter, my dear Isabel, whether I knew? My father was very obstinate."

"So," said the girl, "you did know."

"Yes; he told me. We even talked it over a little."

هناك شيء حزين جدا في وضع شخص ذو طبع، وكأنه يفتقر إلى المساحة بشكل كبير ـ مُقدّما وجها محدوداً جدا في ما يتعلّق بتنامي العلاقات الإنسانية. لم يُتح لمطلق عاطفة حنونة أو متعاطفة الظهور عليه ـ خالٍ تماما من آثار الزهر المذرور بالرياح أو القِدم المُليّن المألوف. بالرغم من هذا، كان لدى إيزابيل مبرّر للاعتقاد أنه كلما تقدّمت في السن، كلما ازدادت تلك المُسلّمات لديها بشكل استثنائي مُبهم لكل ما هو مريح. كانت تتعلّم التضحية بثوابت معتقداتها من أجل اعتبارات تلك المرتبة الثانوية التي تتطلّب العثور على مبررات الأفعال المختلفة للحالات المعيّنة المختلفة. لم يكن تماشيا مع استقامة وصحّة رأيها المطلقة ذهابها عبر الطريق الأطول للوصول إلى فلورنسا كي تقضي بضعة أسابيع مع ابنها المريض؛ إذا كان اقتناعها الراسخ في السنوات الماضية بأنه إذا رغب رالف برؤيتها فله أن يتذكّر احتواء منزل بالازو كريسنتيني، على شقة واسعة مريحة تُعرَف باسم شقة الرجل الشاب.

قالت إيزابيل لذلك الرجل الشاب في اليوم التالي من وصولها إلى سان ريمو: "أريد سؤالك عن شيء ـ شيء فكّرت مرارا بسؤالك عنه عبر رسالة أبعثها إليك، ولكني بشكل عام تردّدت عن فعل ذلك. يبدو سؤالي سهلا بما فيه الكفاية، إذا طرحته عليك وجها لوجه. هل كنت تعلم برغبة والدك توريثي ذلك المبلغ الكبير من المال؟"

مدّد رالف رجليه أكثر من المعتاد وركّز نظرته بشكل أكثر حدّة على مياه البحر الأبيض المتوسط. "ما أهمية معرفتي أم عدمها بهذه المسألة، يا عزيزتي إيزابيل؟ والدي كان عنيدا جدا."

قالت الفتاة: "إذن، كنت تعلم."

"نعم؛ أطلعني على الأمر، حتى أننا ناقشناه قليلا."

سألت إيزابيل بشيء من الفظاظة: "ما سبب قيامه بذلك؟"

"كنوع من الإطراء."

"إطراء على ماذا؟"

"على وجودك الرائع."

صرّحت قائلة: "كان مُعجبا بي إلى حدٍ كبير."

"هذا أسلوب تصرّف متأصل فينا جميعنا."

"سأشعر بحزن شديد لوصدّقت ما تقوله. لحسن الحظ، لا أصدّق ما تقوله. أريد أن أعامل بإنصاف؛ لا أريد شيئا عدا هذا."

"حسن جدا. ولكن لا تنسي أن الإنصاف تجاه كائن جميل، ما هو سوى نوع من العاطفة المُنمّقة."

"أنا لستُ كائنا جميلا. كيف يمكنك قول هذا، في الوقت الذي أطرح عليك مثل هذه الأسئلة البغيضة. لا بد وأنني أبدو لك إنسانة ضعيفة مرهفة الإحساس!"

قال رالف: "تبدين لي إنسانة قلقة."

"إنني فعلا قلقة."

"بشأن ماذا؟"

التزمت الصمت لبعض الوقت. قالت باندفاع: "أتظن أنه أمر جيد أن أصبح فجأة ثرية إلى هذه الدرجة؟ هنريتا لا تظن ذلك."

قال رالف بنبرة خشنة: "أوه، لتذهب هنريتا إلى الجحيم! إذا كنت تريدين رأيي أنا، فإنني مُبتهج جدا بذلك."

"ألهذا السبب أقدم والدك على ما أقدم عليه، لمجرّد تسليتك؟"

تابع رالف قائلا بنبرة أكثر جدّية: "لا أوافق الآنسة ستاكبول رأيها، أظن أنه لأمر مفيد جدا لك أن يكون لديك موارد مالية كافية."

"What did he do it for?" asked Isabel abruptly.

"Why, as a kind of compliment."

"A compliment on what?"

"On your so beautifully existing."

"He liked me too much," she presently declared.

"That's a way we all have."

"If I believed that I should be very unhappy. Fortunately I don't believe it. I want to be treated with justice; I want nothing but that."

"Very good. But you must remember that justice to a lovely being is after all a florid sort of sentiment."

"I'm not a lovely being. How can you say that, at the very moment when I'm asking such odious questions? I must seem to you delicate!"

"You seem to me troubled," said Ralph.

"I am troubled."

"About what?"

For a moment she answered nothing; then she broke out: "Do you think it good for me suddenly to be made so rich? Henrietta doesn't."

"Oh, hang Henrietta!" said Ralph coarsely. "If you ask me I'm delighted at it."

"Is that why your father did it–for your amusement?"

"I differ with Miss Stackpole," Ralph went on more gravely. "I think it very good for you to have means."

رفعت إيزابيل نظرها إليه بعينين جادتين. "أتساءل ما إذا كنت تعرف ما هو المفيد لي ـ أو ما إذا تكترث بذلك."

"ثقي أنه إذا كنت أعرف ما المفيد لك، فسأكترث بذلك إلى أبعد الحدود. أتريدين أن أعلمك بالأمر؟ كي لا يكون ذلك مصدر عذاب لكِ."

"بل أظنك تقصد كي لا يكون ذلك مصدر عذاب لك."

"لا يمكنك فعل ذلك؛ إنني برهان حيّ على ما أقول. تعاطي مع الأمور بسهولة أكثر. لا تُكثري من التساؤل بينك وبين نفسك ما إذا كان ذلك الأمر مفيد لك. لا تحتكمي كثيرا إلى ضميرك ـ سينحرف عن تناغمه ويكون أشبه بعزف البيانو بطريقة غير بارعة. احتفظي به لمناسبات مميّزة. لا تجهدي نفسك إلى هذه الدرجة لصياغة شخصيتك ـ هذا أشبه بمحاولة انتزاع وردة مقفلة، ناعمة وفتيّة. عيشي وفق النمط الذي تعتبرينه الأفضل، وشخصيتك ستُصاغ من تلقاء نفسها. معظم الأشياء بشكل عام جيدة لك؛ الاستثناءات نادرة جدا، والمدخول المريح ليس واحدا منها." صمت رالف للحظة، بينما كانت إيزابيل تُصغي بانتباه لما يقوله.

أضاف رالف قائلا: "لديك قوة هائلة من التفكير العميق ـ وبالأخص قوة هائلة من الإدراك والإحساس. أمر غير منطقي البتّة عدد الأمور التي تفكرين أنها أمور خاطئة. أعيدي ساعتك إلى الوراء والجمي حماسك. انشري جناحيك على مداهما وارتفعي فوق الأرض. هكذا تصرّف لا يُعتبر تصرفا خاطئا أبدا."

أصغت بحماس كما ذكرت سابقا؛ وكانت من طبعها فهم ما يُقال لها بشكل سريع. "أتساءل ما إذا تُقدّر روعة وأهمية ما تقوله. إذا كنت تفعل، فهذا يعني أنك تحمل مسؤولية كبيرة على عاتقك."

Isabel looked at him with serious eyes. "I wonder whether you know what's good for me–or whether you care."

"If I know depend upon it I care. Shall I tell you what it is? Not to torment yourself."

"Not to torment you, I suppose you mean."

"You can't do that; I'm proof. Take things more easily. Don't ask yourself so much whether this or that is good for you. Don't question your conscience so much–it will get out of tune like a strummed piano. Keep it for great occasions. Don't try so much to form your character–it's like trying to pull open a tight, tender young rose. Live as you like best, and your character will take care of itself. Most things are good for you; the exceptions are very rare, and a comfortable income's not one of them." Ralph paused, smiling; Isabel had listened quickly.

"You've too much power of thought- above all too much conscience," Ralph added. "It's out of all reason, the number of things you think wrong. Put back your watch. Diet your fever. Spread your wings; rise above the ground. It's never wrong to do that."

She had listened eagerly, as I say; and it was her nature to understand quickly. "I wonder if you appreciate what you say. If you do, you take a great responsibility."

"تُرعبينني بعض الشيء، ولكن أظن أنني على صواب في ما قلته." قال رالف، مثابرا على رغبته تشجيعها.

"مهما يكن، ما قلته صحيح، لا يمكنك قول كلام أكثر صوابا مما قلته للتو. إنني منغمسة بنفسي - نظرتي إلى الحياة أشبه بوصفة طبية. حقا ما حاجتنا للتفكير الدائم ما إذا الأشياء ملائمة وصحيحة بالنسبة لنا، وكأننا مرضى مستلقيين في أسرّة المستشفيات؟ ما الداعي لشعوري بخوف دائم من عدم قيامي بما هو صواب؟ وكأن العالم يكترث ما إذا كانت أفعالي صائبة أم خاطئة!"

قال رالف: "أنت شخص رائع لتلقّي النصائح وتنفيذها، أنتِ تحولين بيني وبين ما أرغب قوله بسباقك لقول ما رغبت بقوله!"

نظرت إليه وكأنها لم تسمعه - علما أنها كانت تتبع تسلسل أفكاره. "أحاول الاهتمام بالعالم أكثر مما أهتم بنفسي - ولكني دائما أعود لنفسي. هذا لأنني خائفة." توقّفت عن متابعة كلامها؛ ارتجف صوتها قليلا.

أضافت قائلة: "نعم إنني خائفة؛ لا يمكنني شرح ذلك لك. الثروة الكبيرة تعني الحرية، وهذا ما يُخيفيني. إنه وضع رائع جدا على المرء الاستفادة من ذلك إلى أبعد الحدود. إذا لم يفعل المرء ذلك، يجدر به الخجل من نفسه. كما يجب على المرء عدم التوقّف عن التفكير؛ إنه جهد متواصل. لست متأكدة ما إذا عدم امتلاك الثروات الكبيرة يوفّر سعادة أكبر."

"لا شك لدي أن عدم امتلاك الثروات الكبيرة، يوفّر سعادة للأشخاص الضعفاء. فالجهد المطلوب للتصرّف بشكل لا يثير الازدراء، كبير جدا بالنسبة للأشخاص الضعفاء."

سألت إيزابيل: "وكيف تعرف إنني لست ضعيفة؟"

"You frighten me a little, but I think I'm right," said Ralph, persisting in cheer.

"All the same what you say is very true," Isabel pursued. "You could say nothing more true. I'm absorbed in myself–I look at life too much as a doctor's prescription. Why indeed should we perpetually be thinking whether things are good for us, as if we were patients lying in a hospital? Why should I be so afraid of not doing right? As if it mattered to the world whether I do right or wrong!"

"You're a capital person to advise," said Ralph; "you take the wind out of my sails!"

She looked at him as if she had not heard him–though she was following out the train of reflexion which he himself had kindled. "I try to care more about the world than about myself–but I always come back to myself. It's because I'm afraid." She stopped; her voice had trembled a little. "Yes, I'm afraid; I can't tell you. A large fortune means freedom, and I'm afraid of that. It's such a fine thing, and one should make such a good use of it. If one shouldn't one would be ashamed. And one must keep thinking; it's a constant effort. I'm not sure it's not a greater happiness to be powerless."

"For weak people I've no doubt it's a greater happiness. For weak people the effort not to be contemptible must be great."

"أوه، إذا كنتِ كذلك، فقد أخطأت بشكل رهيب." أجاب رالف وقد احمرّ وجهه، ولاحظت إيزابيل ذلك.

تعمّق سحر البحر الأبيض المتوسط في نفس بطلتنا لدى ازدياد معرفتها به، كونه العتبة المؤدية لإيطاليا، بوابة عالم من الروعة والجمال. امتدت إيطاليا أمامها، ولم تكن بعد شعرت بها أو شاهدتها، كأرض من الأمل، بلاد حيث المعرفة اللامتناهية تروي ظمأ حب الجمال. كانت كلما تنزّهت على الشاطئ مع ابن خالتها ـ وكانت رفيقته الدائمة في نزهاته اليومية ـ تنظر عبر البحر، بعيون متشوّقة إلى موقع مدينة جنوى، الذي تعرفه عن ظهر قلب. ولكنها كانت سعيدة بتوقّفها القصير على حافة هذه المغامرة الأكبر؛ كان هناك الكثير من الإثارة حتى في الحَوم التمهيدي. فضلا عن ذلك، أثّر فيها كفترة فاصلة خالية من الاضطراب، كخمود الطبلة والناي في مهنة كان لها القليل من المبررات حتى الآن لاعتبارها مهنة مضطربة، ولكن مع ذلك كانت تتصوّرها بشكل متواصل بالنسبة لنفسها وعلى ضوء آمالها، ومخاوفها، وتخيلاتها وطموحاتها، مهنة بالغة في الدراماتيكية.

كانت مدام ميرل قد تنبأت للسيدة توشيت بأنه بعد فترة من بدء إيزابيل إنفاق ما في جيوبها من مال وفير، ستكون قد روّضت نفسها على تقبّل فكرة امتلاء جيوبها على هذا النحو من قِبَل زوج خالة كريم، وأثبتت هذه المناسبة، كما أثبتت العديد من المناسبات الماضية، حدّة ذهن تلك السيدة. كان رالف توشيت قد أثنى على ابنة خالته لكونها سريعة التأثر من الناحية المناقبية والأخلاقية، أي سريعة في فهم الإشارات المقصود منها أن تكون نصائح مفيدة. ربما ساعدت نصيحته بهذه المسألة؛ على أية حال، كانت قبل مغادرتها سان ريمو، قد اعتادت على شعور الثراء. وجد ذلك

"And how do you know I'm not weak?" Isabel asked.

"Ah," Ralph answered with a flush that the girl noticed, "if you are I'm awfully sold!"

The charm of the Mediterranean coast only deepened for our heroine on acquaintance, for it was the threshold of Italy, the gate of admirations. Italy, as yet imperfectly seen and felt, stretched before her as a land of promise, a land in which a love of the beautiful might be comforted by endless knowledge. Whenever she strolled upon the shore with her cousin–and she was the companion of his daily walk–she looked across the sea, with longing eyes, to where she knew that Genoa lay. She was glad to pause, however, on the edge of this larger adventure; there was such a thrill even in the preliminary hovering. It affected her moreover as a peaceful interlude, as a hush of the drum and fife in a career which she had little warrant as yet for regarding as agitated, but which nevertheless she was constantly picturing to herself by the light of her hopes, her fears, her fancies, her ambitions, her predilections, and which reflected these subjective accidents in a manner sufficiently dramatic.

Madame Merle had predicted to Mrs. Touchett that after their young friend had put her hand into her pocket half a dozen times she would be reconciled to the idea that it had been filled by a munificent uncle; and the event justified, as it had so often justified before, that lady's perspicacity. Ralph Touchett had praised his cousin for being morally inflammable, that is for being quick to take a hint that was meant as good advice. His advice had perhaps

الشعور مكانا ملائما له وسط مجموعة صغيرة من الأفكار المُلتزة بعض الشيء التي كانت لديها بالنسبة لنفسها، وغالبا ما كانت تلك الأفكار أبعد ما تكون أفكارا مقبولة أو سائغة. فقد كانت دوما تفترض وتُسلّم جدلا بآلاف النيّات الحسنة. أغرقت نفسها في متاهة من الرؤى والتصوّرات؛ وتبوّأت الأعمال النبيلة المُفترَض بفتاة شابة ثرية، ومتحرّرة وكريمة تنظر إلى المناسبات والواجبات نظرة إنسانية واسعة، القيام بها مرتبة رفيعة من الأهمية في كتلة الأفكار تلك. وهكذا أصبحت ثروتها في ذهنها، جزءا من نفسها الأفضل؛ وفّرت لها الأهمية، ووفق مداركها الحسيّة، نوعا من الجمال المثالي. ولكن ما فعلته ثروتها في مدارك الآخرين الحسّية مسألة أخرى تماما، وعلينا مناقشة هذه النقطة في الوقت المناسب.

اختلطت الصور التي رسمتُها آنفا بأفكار ومسائل أخرى. كانت إيزابيل تفضّل التفكير في المستقبل على التفكير في الماضي؛ ولكن أحيانا، وهي تُصغي إلى همسات أمواج البحر الأبيض المتوسط، كانت أفكارها تعود بها إلى الوراء لتحطّ على شخصين، اللذين بالرغم من المسافة الشاسعة التي تفصلها عنهما، كانا ما زالا بارزين في ذهنها؛ كان يمكن إدراكهما وتمييزهما بدون صعوبة ككاسبر غودوود واللورد وربرتن. كان غريبا مدى السرعة التي حطّت هاتين الصورتين في أحداث وتجارب حياة بطلتنا الشابة. كانت تميل في كافة الأوقات إلى فقدان الإيمان في حقيقة الأحداث الماضية؛ كان بمقدورها استجماع إيمانها المفقود ذاك، في أوقات الشدّة، بمجهود، ولكن ذلك المجهود غالبا ما كان يكون مجهودا مؤلما حتى وإن كانت الحقيقة مُبهجة. فضلا عن ذلك، كانت الفتاة ميّالة للافتراض أنها هي نفسها عاشت في أذهان الآخرين - لم يكن لديها حماقة تصديق أنها خلّفت آثارا مُتعذّر محوها أو إزالتها. كانت قابلة للشعور بالألم

helped the matter; she had at any rate before leaving San Remo grown used to feeling rich. The consciousness in question found a proper place in rather a dense little group of ideas that she had about herself, and often it was by no means the least agreeable. It took perpetually for granted a thousand good intentions. She lost herself in a maze of visions; the fine things to be done by a rich, independent, generous girl who took a large human view of occasions and obligations were sublime in the mass. Her fortune therefore became to her mind a part of her better self; it gave her importance, gave her even, to her own imagination, a certain ideal beauty. What it did for her in the imagination of others is another affair, and on this point we must also touch in time.

The visions I have just spoken of were mixed with other debates. Isabel liked better to think of the future than of the past; but at times, as she listened to the murmur of the Mediterranean waves, her glance took a backward flight. It rested upon two figures which, in spite of increasing distance, were still sufficiently salient; they were recognizable without difficulty as those of Caspar Goodwood and Lord Warburton. It was strange how quickly these images of energy had fallen into the background of our young lady's life. It was in her disposition at all times to lose faith in the reality of absent things; she could summon back her faith, in case of need, with an effort, but the effort was often painful even when the reality had been pleasant. The past was apt to look dead and its revival rather to show the livid light of a judgement-day. The girl moreover was not prone to take for granted that she

لدى اكتشافها أنه جرى نسيانها؛ ولكن من بين سائر الحريات، كانت الحرية الأعذب بالنسبة لها هي حرية النسيان. لم تصرف بطريقة غير لائقة كاسبر غودوود أو اللورد وربرتن، إلا أنها لم تتمكّن إلا أن تشعر بأنها مَدينة لهما. طبعا ذكّرت نفسها بأنها ستسمع من السيد غودوود ثانية؛ ولكن ذلك لن يحصل قبل عام ونصف العام، ولا أحد يمكنه التكهّن بما يمكن أن يحصل خلال تلك الفترة. طبعا أغفلت التفكير بإمكانية عثور صديقها الأمريكي على فتاة أخرى أكثر سهولة ليخطب ودّها؛ لأنه بالرغم من ثقتها الكاملة بوجود عدد وافر من هؤلاء الفتيات، إلا أنها كانت واثقة أن هذه الحسنة لا تثير إعجابه.

ولكنها فكّرت في الوقت نفسه بأنها هي نفسها قد تُبدّل رأيها، وتجد نفسها في النهاية بعد اختبارها العديد من الأمور البعيدة كل البُعد عن طباع كاسبر (علما أنَّ تلك الأمور كانت وافرة العدد) وقد عثرت على الراحة في تلك العناصر ذاتها التي تُشكّل حضوره، والتي استلفتتها الآن أنها عوائق أمام التنفّس الأكثر صفاء. كان من الممكن تصوّر أن تلك العوائق قد تُثبت في يوم من الأيام أنها نوع من النعمة المَخفية ـ ملاذ مُشرق وهادئ مُطوّق بحائل أمواج شجاع. ولكن ذلك اليوم لا يمكن أن يأتي سوى في وقته، ولم يكن بمقدورها انتظاره وهي مكتوفة الأيدي. كما بدا لها احتمال مواصلة اللورد وربرتن الاحتفاظ بمشاعره تجاهها، أكثر من تواضع نبيل أو كبرياء مُنوّر يجدر أخذه بعين الاعتبار. كانت قد اهتمّت إلى حد كبير بعدم الاحتفاظ بأي مُدوّنة تُشير إلى ما حصل بينهما، ما يجعل مجهودا مماثلا من جهته عملا صحيحاً ومنصفاً إلى حد كبير. لم يكن هذا التفكير، كما يبدو للوهلة الأولى، مجرّد نظرية مُشبّعة بالسخرية. كان لدى إيزابيل ايماناً

herself lived in the mind of others–she had not the fatuity to believe she left indelible traces. She was capable of being wounded by the discovery that she had been forgotten; but of all liberties the one she herself found sweetest was the liberty to forget. She had not given her last shilling, sentimentally speaking, either to Caspar Goodwood or to Lord Warburton, and yet couldn't but feel them appreciably in debt to her. She had of course reminded herself that she was to hear from Mr. Goodwood again; but this was not to be for another year and a half, and in that time a great many things might happen. She had indeed failed to say to herself that her American suitor might find some other girl more comfortable to woo; because, though it was certain many other girls would prove so, she had not the smallest belief that this merit would attract him.

But she reflected that she herself might know the humiliation of change, might really, for that matter, come to the end of the things that were not Caspar even though there appeared so many of them, and find rest in those very elements of his presence which struck her now as impediments to the finer respiration. It was conceivable that these impediments should some day prove a sort of blessing in disguise–a clear and quiet harbour enclosed by a brave granite breakwater. But that day could only come in its order, and she couldn't wait for it with folded hands. That Lord Warburton should continue to cherish her image seemed to her more than a noble humility or an enlightened pride ought to wish to reckon with. She had so definitely undertaken to preserve no record of what had passed between them that a corresponding effort on his own part

غير مُتحيّز، أن سيادته، وكما تقول العبارة الشائعة، سيتعافى من خيبة أمله. كانت واثقة أنه أصيب بالصميم جرّاء ما حصل ـ كانت واثقة من ذلك، وكان ما زال بإمكانها استمداد غبطة من تلك الثقة؛ ولكنه من السُخف الاعتقاد أن رجلاً على هذه الدرجة من الذكاء والمركز الاجتماعي المرموق، سيعاني طويلا وبشكل غير متناسب من أثر أي جرح عاطفي. فضلاً عن ذلك، قالت إيزابيل بينها وبين نفسها، أن الرجال الانجليز يحبون راحتهم، وهناك القليل من الراحة بالنسبة للورد وربرتن، على المدى الطويل، بالاكتئاب بسبب فتاة أمريكية مُكتفية ذاتياً لم تكن بالنسبة له سوى صديقة عَرضية. أشبعت غرورها بالقول لنفسها، أنه اذا سمعت ذات يوم بزواجه من فتاة من بلده تستحقه، لن تتفاجأ بذلك النبأ. سيكون ذلك اثباتاً بتصديقه أنها كانت جادّة في أقوالها له ـ وهو ما كانت تتمنى أن تبدو له. هذا وحده كان مُستحبا لكبريائها.

would be eminently just. This was not, as it may seem, merely a theory tinged with sarcasm. Isabel candidly believed that his lordship would, in the usual phrase, get over his disappointment. He had been deeply affected–this she believed, and she was still capable of deriving pleasure from the belief; but it was absurd that a man both so intelligent and so honourably dealt with should cultivate a scar out of proportion to any wound. Englishmen liked moreover to be comfortable, said Isabel, and there could be little comfort for Lord Warburton, in the long run, in brooding over a self-sufficient American girl who had been but a casual acquaintance. She flattered herself that, should she hear from one day to another that he had married some young woman of his own country who had done more to deserve him, she should receive the news without a pang even of surprise. It would have proved that he believed she was firm–which was what she wished to seem to him. That alone was grateful to her pride.

الفصل الثاني والعشرون

شهد أحد أوائل أيام شهر أيار، بعد مرور حوالي الستة أشهر على وفاة السيد توشيت الكبير، جلوس مجموعة صغيرة متجانسة بشكل جيد، على حد وصف أحد الرسامين لو تسنّى له رؤيتها، في واحدة من الغرف العديدة بدارة قديمة متوّجة هضبة مكسوّة بأشجار الزيتون خارج بوابة فلورنسا الرومانية. كانت الدارة عبارة عن مبنى طويل مصمت المظهر، مع سقف بنتوءات متباعدة وهو الطراز المفضّل لدى توسكانا، والذي حين يُشاهد من بعيد على التلال المحيطة بفلورنسا، يُشكّل مستطيلا متجانسا رائعا مع أشجار السّرو المستقيمة، الداكنة والمُحدّدة المرتفعة بالقرب منه بمجموعات ثلاثية أو رباعية.

كان للمنزل واجهة مُشرفة على ميدان ريفي صغير وفارغ، شكّلت جزءا من التلّة العالية؛ وكانت مُزيّنة ببضعة نوافذ غير منتظمة ومفروشة بمقعد صخري مُثبّت بالطول إلى قاعدة المبنى، يمكن استخدامه كمكان جلوس واسترخاء لشخص أو شخصين. كانت تلك الواجهة القديمة، المُصمِتة المُجوّية، وفي الوقت ذاته المهيبة، ذات سِمة كتومة ومُتحفّظة بعض الشيء. لم تكن وجه المنزل بل قناعه، وجه برموش كثيفة ولكن بدون عينَين. بالواقع كان المنزل يُشرف على جهة أخرى - على أرض مكشوفة رائعة ونطاق نور بعد الظهر. كانت الدارة في ذلك المكان متدلية فوق منحدر تلّتها ومُنخفض أرنو الطويل، الضبابي بالألوان الايطالية. كان لذلك المنزل حديقة ضيّقة، على شكل مصطبة، تُزيّنها ورود برّية متحابكة ومقعد صخري قديم آخر، مكسو بالطحلب ومُدفّئ بأشعة الشمس. كان حاجز المصطبة عالٍ بما يكفي للاتكاء عليه، وكانت الأرض في أسفله

Chapter Twenty Two

On one of the first days of May, some six months after old Mr. Touchett's death, a small group that might have been described by a painter as composing well was gathered in one of the many rooms of an ancient villa crowning an olive-muffled hill outside of the Roman gate of Florence. The villa was a long, rather blank-looking structure, with the far-projecting roof which Tuscany loves and which, on the hills that encircle Florence, when considered from a distance, make so harmonious a rectangle with the straight, dark, definite cypresses that usually rise in groups of three or four beside it.

The house had a front upon a little grassy, empty, rural piazza which occupied a part of the hill-top; and this front, pierced with a few windows in irregular relations and furnished with a stone bench lengthily adjusted to the base of the structure and useful as a lounging-place to one or two persons wearing more or less of that air of undervalued merit which in Italy, for some reason or other, always gracefully invests any one who confidently assumes a perfectly passive attitude–this antique, solid, weather-worn, yet imposing front had a somewhat incommunicative character. It was the mask, not the face of the house. It had heavy lids, but no eyes; the house in reality looked another way–looked off behind, into splendid openness and the range of the afternoon light. In that quarter the villa overhung the slope of its hill and the long valley of the Arno, hazy with Italian colour. It had a narrow garden, in the manner of a terrace, productive chiefly of

منحنية باتجاه غموض أشجار الزيتون والكروم. الا أننا لسنا مهتمين بالمظهر الخارجي للمكان؛ ففي ذلك الصباح المشرق من فصل الربيع، كان لدى سكّانه مبرّرا طبيعياً لتفضيل الجلوس في الجهة الظليلة من الجدار.

كانت نوافذ الطابق الأرضي، كما شاهدتموها من الميدان رائعة في هندستها؛ الا أن مهمتها بدت وكأنها صُمّمت لتحدّي العالم أكثر من أن تكون وسيلة اتصال به. كانت مُقضبة على نحو ضخم ومَبنية على ارتفاع يحول بدون اشباع رغبة حبّ الاستطلاع عند الناس حتى اذا حاولوا تحقيق ذلك على رؤوس الأصابع. داخل غرفة مُنوّرة بثلاث من هذه الفُتحات الحذرة ـ وهي واحدة من غرف عديدة مُتميّزة تُشكّل داخل الدارة التي كان يقطن فيها عدد من الأجانب المتنوّعي الجنسية المُقيمين في فلورنسا منذ فترة ليست بالقصيرة ـ جلس رجل إلى جانب فتاة صغيرة وراهبتان تنتميان إلى أحد البيوت الدينية. اشارة إلى أن تلك الغرفة كانت أقلّ كآبة مما قد يكون وصفنا للمكان أوحى بذلك، اذ كان هناك باب عريض عالٍ، مفتوح الآن ومؤدي إلى حديقة الورود المتحابكة وراء المنزل، وأتاحت الشَبكيات الحديدية العالية دخول الكثير من أشعة الشمس الايطالية.

كانت بالاضافة إلى ذلك، جلسة متحرّرة من الارتباك أو التكلّف، بالواقع كانت جلسة مترفة، مبيّنة تنسيقات مدروسة بدقّة وقطع فنية معروضة بوضوح ظاهر، مشتملة على أشكال متنوعة من الستائر والأقمشة الجدارية الدمشقية الباهتة الألوان، وصناديق وخزائن من خشب السنديان المحفور والمصقول، وعيّنات مُزوّية من الرسوم الزيتية في اطارات بدائية

tangles of wild roses and other old stone benches, mossy and sun-warmed. The parapet of the terrace was just the height to lean upon, and beneath it the ground declined into the vagueness of olive-crops and vineyards. It is not, however, with the outside of the place that we are concerned; on this bright morning of ripened spring its tenants had reason to prefer the shady side of the wall.

The windows of the ground-floor, as you saw them from the piazza, were, in their noble proportions, extremely architectural; but their function seemed less to offer communication with the world than to defy the world to look in. They were massively cross-barred, and placed at such a height that curiosity, even on tiptoe, expired before it reached them. In an apartment lighted by a row of three of these jealous apertures–one of the several distinct apartments into which the villa was divided and which were mainly occupied by foreigners of random race long resident in Florence–a gentleman was seated in company with a young girl and two good sisters from a religious house. The room was, however, less sombre than our indications may have represented, for it had a wide, high door, which now stood open into the tangled garden behind; and the tall iron lattices admitted on occasion more than enough of the Italian sunshine.

It was moreover a seat of ease, indeed of luxury, telling of arrangements subtly studied and refinements frankly proclaimed, and containing a variety of those faded hangings of damask and tapestry, those chests and cabinets of carved and time-polished oak, those angular specimens of pictorial art in frames as pedantically primitive, those perverse looking relics

مُتحذلقة وقطع فخارية ونحاسية قديمة تشتهر بها ايطاليا. كانت هذه القطع الفنية متآلفة مع قطع من الأثاث العصري بما في ذلك المقاعد الوثيرة المريحة، وأفسِحت مساحة واسعة لطاولة كتابة ظهر اتقانها البارع من ختم لندن العائد للقرن التاسع عشر. كان هناك عدد وافر من الكتب والمجلات والصحف، وبضعة صور صغيرة مُتقنة، أغلبها مرسوم بالألوان المائية. ثُبّتت واحدة من تلك الصور على حامل لقماشة الرسم، حيث وقفت أمامها الفتاة الصغيرة التي ذكرناها سابقا، تنظر إلى تلك الصورة بصمت.

الصمت ـ الصمت المطبق لم يُخيّم على باقي المجموعة؛ الا أن حديثهم اتسم بشيء من الارتباك وصعوبة التواصل. لم تتخذ الراهبتان المقعدَين الخاصّين بكل منهما وعكس وجههما غشاوة الحذر والاحتراس. كانتا سيدتان بسيطتان، ممتلئتا الجسم وذات قسمات وجه لطيفة، مع تواضع نظامي أضفى المظهر الموضوعي للباسهما المُنشّى وغطاء الرأس حسنة عليهما. كانت احداهما تتميّز على الأخرى بنظّاراتها وبشرتها النضرة ووجنتاها الممتلئتان، بالاضافة للمسؤولية التي تحملها مهمتهما، والذي بدا واضحا أن لها علاقة بالفتاة الصغيرة. كانت الأخيرة مرتدية قبعة ـ بسيطة الطراز جدا ومتلائمة مع ثوبها الموسلين البسيط، القصير بالنسبة لعمرها، علماً أنه جرى "تطويله" مسبقا.

كان الرجل المفترض به استقبال الراهبتين، مدرك ربما صعوبة مهمته،

of mediaeval brass and pottery, of which Italy has long been the not quite exhausted storehouse. These things kept terms with articles of modern furniture in which large allowance had been made for a lounging generation; it was to be noticed that all the chairs were deep and well padded and that much space was occupied by a writing-table of which the ingenious perfection bore the stamp of London and the nineteenth century. There were books in profusion and magazines and newspapers, and a few small, odd, elaborate pictures, chiefly in water-colour. One of these productions stood on a drawing-room easel before which, at the moment we begin to be concerned with her, the young girl I have mentioned had placed herself. She was looking at the picture in silence.

Silence–absolute silence–had not fallen upon her companions; but their talk had an appearance of embarrassed continuity. The two good sisters had not settled themselves in their respective chairs; their attitude expressed a final reserve and their faces showed the glaze of prudence. They were plain, ample, mild-featured women, with a kind of business-like modesty to which the impersonal aspect of their stiffened linen and of the serge that draped them as if nailed on frames gave an advantage. One of them, a person of a certain age, in spectacles, with a fresh complexion and a full cheek, had a more discriminating manner than her colleague, as well as the responsibility of their errand, which apparently related to the young girl. This object of interest wore her hat–an ornament of extreme simplicity and not at variance with her plain muslin gown, too short for her years, though it must already have been "let out."

The gentleman who might have been supposed to be

كونها بما تتسم به، توازي صعوبة التحدّث مع أشخاص في منتهى التواضع كما التحدث مع أشخاص أصحاب المراز العالية والمتنفّذة. كان في الوقت ذاته مهتماً جدا بمهتهما الساكنة، وبينما أدارات له ظهرها، تركّزت نظراته الواجمة على جسدها النحيل الصغير. كان رجلا في الأربعين من عمره، ذو رأس عالٍ حسن الشكل، ما زال يُغطّيه شعر كثيف، الا أنه خطّه الشّيب قبل أوانه، وجرى قصه قصيرا جدا. كان وجهه دقيقا، وهادئا ونموذجياً إلى أبعد حدّ، وعيبه الوحيد ذاك البروز الحادّ عند زواياه، والذي لم تخفّف اللحية الخفيفة من حدّته. كانت تلك اللحية على طراز تلك الظاهرة في الصور الوجهية التي تعود للقرن السادس عشر، يعلوها شاربان نحيفان مرتفعان قليلا إلى الأعلى، ما أضفى على صاحبهما مظهرا تقليديا أجنبيا، موحيا بأنه رجل مُلمٌ بمقتضيات الأناقة. كانت عيناه المدركتان، الفضوليتان، المُبهمتان والثاقبتان في الوقت ذاته، الذكيّتان والقاسيتان، المُعبّرتان عن المراقب والحالم معا، لتؤكّد لك أنه كان يدرسها فقط ضمن حدود مختارة بدقّة، وأنه بقدر ما كان يقصدها كان يعثر عليها.

كنت وجدت صعوبة تحديد وطنه الأم وأصله؛ اذ لم يكن لديه أي من الاشارات السطحية التي عادةً ما توفّر الجواب لهكذا سؤال بسيط وسهل. لو كان الدم الذي يجري في عروقه انجليزي، فأغلب الظن أنه ممزوج بالقليل من الدم الفرنسي أو الايطالي؛ الا أنه كان يوحي بأنه قطعة نقدية ذهبية ثمينة، خالية من أي ختم أو شعار يعود للعملة الشائعة المتداولة؛ كانت المدالية الأنيقة المعقّدة المسكوكة للمناسبات الخاصة والمميّزة. كان ذو قامة متوسطة مربوعة، وثياب تدل على أنه لا يقضي الكثير من وقته في تفاهة التدقيق في اختيار الثياب الملائمة.

entertaining the two nuns was perhaps conscious of the difficulties of his function, it being in its way as arduous to converse with the very meek as with the very mighty. At the same time he was clearly much occupied with their quiet charge, and while she turned her back to him his eyes rested gravely on her slim, small figure. He was a man of forty, with a high but well-shaped head, on which the hair, still dense, but prematurely grizzled, had been cropped close. He had a fine, narrow, extremely modelled and composed face, of which the only fault was just this effect of its running a trifle too much to points; an appearance to which the shape of the beard contributed not a little. This beard, cut in the manner of the portraits of the sixteenth century and surmounted by a fair moustache, of which the ends had a romantic upward flourish, gave its wearer a foreign, traditionary look and suggested that he was a gentleman who studied style. His conscious, curious eyes, however, eyes at once vague and penetrating, intelligent and hard, expressive of the observer as well as of the dreamer, would have assured you that he studied it only within well-chosen limits, and that in so far as he sought it he found it.

You would have been much at a loss to determine his original clime and country; he had none of the superficial signs that usually render the answer to this question an insipidly easy one. If he had English blood in his veins it had probably received some French or Italian commixture; but he suggested, fine gold coin as he was, no stamp nor emblem of the common mintage that provides for general circulation; he was the elegant complicated medal struck off for a special occasion. He had a light, lean, rather languid-looking figure, and was apparently neither tall nor short. He

"والآن، يا عزيزتي، ما رأيك بها؟" سأل الفتاة الصغيرة. كان يكلّمها باللغة الايطالية، وبطلاقة مثالية؛ الا أن هذا ما كان ليقنعك بأنه ايطالي الجنسية.

هزّت الفتاة برأسها من جهة إلى أخرى. "انها رائعة الجمال، يا والدي. هل رسمتها أنت؟"

"طبعا أنا رسمتها. ألا تظنين أنني بارع في هذا المضمار؟"

"نعم يا والدي، انك بارع جدا. أنا أيضا تعلّمت رسم الصور." قالت ذلك واستدارت اليه بوجهها الصغير، الجميل المُزيّن بضحكة ثابتة، بالغة العذوبة.

"كان الأحرى بك جلب عيّنة من مواهبك."

"لقد فعلت. جلبت العديد من رسوماتي، انها داخل صندوق ثيابي."

علّقت الراهبة الأكبر سناً، وهي تتحدّث بالفرنسية: "انها ترسم بحذر كبير - كبير جدا."

"يسعدني سماع ذلك. هل أنتِ مَن علّمها ذلك الفن؟"

"لا، والحمد لله، فهذا ليس من ضمن مسؤولياتي. لا أدرّس أي من المواضيع، بل أترك هذه المهمّة لمن هنَّ أكثر حكمة مني. لدينا أستاذ رسم ممتاز، السيد ... السيد ... ما اسمه؟" قالت الراهبة الطيّبة، وقد احمرّت قليلا وهي تسأل رفيقتها.

"انه اسم ألماني،" أجابت رفيقتها باللغة الايطالية وهي تنظر إلى السجادة، وكأن ذلك الاسم يحتاج إلى ترجمة.

was dressed as a man dresses who takes little other trouble about it than to have no vulgar things.

"Well, my dear, what do you think of it?" he asked the young girl. He used the Italian tongue, and used it with perfect ease; but this would not have convinced you he was Italian.

The child turned her head earnestly to one side and the other. "It's very pretty, papa. Did you make it yourself?"

"Certainly I made it. Don't you think I'm clever?"

"Yes, papa, very clever; I also have learned to make pictures." And she turned round and showed a small, fair face painted with a fixed and intensely sweet smile.

"You should have brought me a specimen of your powers."

"I've brought a great many; they're in my trunk."

"She draws very–very carefully," the elder of the nuns remarked, speaking in French.

"I'm glad to hear it. Is it you who have instructed her?"

"Happily no," said the good sister, blushing a little. "Ce n'est pas ma partie. I teach nothing; I leave that to those who are wiser. We've an excellent drawing-master, Mr.–Mr.–what is his name?" she asked of her companion.

Her companion looked about at the carpet. "It's a German name," she said in Italian, as if it needed to be translated.

كانت الفتاة الصغيرة، التي لم تكن تتابع الحديث، قد سارت الهوينا ووصلت حتى الباب المفتوح للغرفة الكبيرة ووقفت تنظر إلى الحديقة. سأل الرجل: "وأنتِ يا أختي، هل أنتِ فرنسية؟"

أجابت الزائرة بنبرة لطيفة: "نعم يا سيدي، أتحدّث مع طالباتي بلغتي الأم. لا أتقن غيرها. ولكن لدينا راهبات من بلدان أخرى، انجليزيات، وألمانيات، وايرلنديات. جميعهن يتحدّثن بلغتهن الأم."

ابتسم الرجل. "هل كانت ابنتي تحت رعاية واحدة من السيدات الإرلنديات؟"

أضاف فوراً لدى تبيّنه شكّ زائرتيه بأنه يمزح بدون أن يتفهّما مغزى ذلك المزاح: "أنتن تبلغن حدود الكمال."

"أوه، نعم. نحن كاملات. لدينا كل شيء، ومن أفضل ما يمكن توفيره."

تجرأت الراهبة الايطالية بالقول: "لدينا معدّات الرياضة الجِمنازية، ولكنها غير خطرة."

"آمل ذلك. أتدخل هذه ضمن اختصاصكما؟" أثار سؤاله هذا موجة من الضحك من جانب السيدتين، وحين هدأتا، علّق مضيفهما وهو ينظر إلى ابنته بالقول أنها كبرت.

قالت الأخت الفرنسية: "نعم، ولكن أظن أنها توقّفت عن النمو. إنها قصيرة القامة."

قال الرجل: "لا أشعر بالأسف بسبب ذلك. أفضّل النساء كالكتاب - في منتهى الجودة بدون أن يكون طويلا جدا. لا وجود لسبب محدّد بأن تكون ابنتي طويلة القامة."

هزّت الراهبة كتفيها، وكأنها تُصرّح بأن هكذا أمور هي خارج حدود

The young girl, who was not heeding the conversation, had wandered away to the open door of the large room and stood looking into the garden. "And you, my sister, are French," said the gentleman.

"Yes, sir," the visitor gently replied. "I speak to the pupils in my own tongue. I know no other. But we have sisters of other countries- English, German, Irish. They all speak their proper language."

The gentleman gave a smile. "Has my daughter been under the care of one of the Irish ladies?" And then, as he saw that his visitors suspected a joke, though failing to understand it, "You're very complete," he instantly added.

"Oh, yes, we're complete. We've everything, and everything's of the best."

"We have gymnastics," the Italian sister ventured to remark. "But not dangerous."

"I hope not. Is that your branch?" A question which provoked much candid hilarity on the part of the two ladies; on the subsidence of which their entertainer, glancing at his daughter, remarked that she had grown.

"Yes, but I think she has finished. She'll remain–not big," said the French sister.

"I'm not sorry. I prefer women like books–very good and not too long. But I know," the gentleman said, "no particular reason why my child should be short."

The nun gave a temperate shrug, as if to intimate that such things might be beyond our knowledge. "She's in very

معرفتنا. "انها في صحة ممتازة. وهذا أهم شيء."

"نعم، تبدو سليمة." وأخذ والد الطفلة الصغيرة يراقبها، ومن ثم سألها بالفرنسية، "ماذا تشاهدين في الحديقة؟"

أجابت بصوت عذب صغير، وبلكنة فرنسية مثالية توازي مثالية لكنته: "أشاهد العديد من الأزهار."

"نعم، ولكن لا يوجد الكثير من الأزهار الجميلة، ولكن على أية حال، اذهبي واجمعي البعض منها وقدّميها لهاتين السيدتين."

التفتت الفتاة اليه بوجه مشرق بالسعادة: "أحقا مسموح لي بذلك؟"

قال والدها: "آه، فقط حين أطلب منك ذلك."

نظرت الفتاة إلى الراهبة الأكبرسنّاً. "أحقاً مسموح لي بذلك يا والدتي؟"

قالت الأخت، وقد احمرّ وجهها ثانية: "أطيعي السيد والدك، يا ابنتي."

نزلت الفتاة عتبة الغرفة وقد اطمأنت إلى هذا التأكيد، وتوارت عن الأنظار. قال والدها بلكنة مرحة: "اذن لا تُفسدهن بالافراط في التدليل والاطراء."

"عليهن الاستئذان عن كل شيء. هذا نظامنا. لا نبخل عليهن بموافقتنا على طلباتهن، ولكن عليهن الاستئذان عن كل ما يرغبن القيام به."

"أوه، انني لا أهاجم نظامكن؛ لا شكّ لديّ بأنه نظام ممتاز. أرسلت ابنتي لكي أرى ما يمكنكنّ فعله لها. كان لديّ ايمانٌ راسخٌ بكنّ."

أجابت الأخت برقّة وهي تنظر اليه عبر نظّاراتها: "على المرء التحلّي بالايمان."

good health; that's the best thing."

"Yes, she looks sound." And the young girl's father watched her a moment. "What do you see in the garden?" he asked in French.

"I see many flowers," she replied in a sweet, small voice and with an accent as good as his own.

"Yes, but not many good ones. However, such as they are, go out and gather some for ces dames."

The child turned to him with her smile heightened by pleasure. "May I truly?"

"Ah, when I tell you," said her father.

The girl glanced at the elder of the nuns. "May I, truly, ma mere?"

"Obey monsieur your father, my child," said the sister, blushing again.

The child, satisfied with this authorization, descended from the threshold and was presently lost to sight. "You don't spoil them," said her father gaily.

"For everything they must ask leave. That's our system. Leave is freely granted, but they must ask it."

"Oh, I don't quarrel with your system; I've no doubt it's excellent. I sent you my daughter to see what you'd make of her. I had faith."

"One must have faith," the sister blandly rejoined, gazing through her spectacles.

"حسنا، هل كان ايماني في محله؟" ماذا فعلتنّ لها؟"

خفضت الأخت نظراتها للحظة: "انسانة مسيحية فاضلة، يا سيد."

خفض نظراته هو الآخر؛ لكن على الأرجح كان لتلك الحركة معنى مختلف لدى كل منها. "نعم، وماذا أيضاً؟"

راقب السيدة القادمة من الدير، متوقّعاً على الأغلب أن تقول له أن المسيحي الفاضل هو كل ما يحتاجه الانسان لأن يكون؛ ولكن برغم كل بساطتها لم تكن على هذه الدرجة من السذاجة. "فتاة شابة ساحرة ـ امرأة حقيقية ـ ابنة لا يمكن أن تجد لديها الا كل رضى واطمئنان."

"تبدو لطيفة جداً. انها على قدر كبير من الجمال." قال الوالد.

"انها مثالية. ليس لديها أية عيوب على الاطلاق."

"لم يكن لديها أية عيوب وهي طفلة، وانني سعيد بأنكن لم تكسبنها أية نقائص منكنّ."

قالت الأخت اللابسة نظّارات: "نعزّها جداً. وبالنسبة للنقائص، كيف يمكننا اعطاءها شيئا ليس فينا؟ الدير مختلف جداً عن العالم الخارجي، يا سيد، انها ابنتنا، اذا صحّ التعبير، لقد ربّيناها منذ كانت طفلة صغيرة."

قالت المرأة الأصغر باحترام وبصوت منخفض: "من بين سائر الفتيات اللواتي سنخسرهن هذه السنة، سنفتقدها هي الأكثر."

قالت المرأة الأخرى: "أوه، نعم سنفتقدها كثيراً. وسنجعلها مثالاً ونموذجاً للأخريات." وبدت الأخت الصالحة عند هذه النقطة وكأن هناك

"Well, has my faith been rewarded? What have you made of her?"

The sister dropped her eyes a moment. "A good Christian, monsieur."

Her host dropped his eyes as well; but it was probable that the movement had in each case a different spring. "Yes, and what else?"

He watched the lady from the convent, probably thinking she would say that a good Christian was everything; but for all her simplicity she was not so crude as that. "A charming young lady–a real little woman- a daughter in whom you will have nothing but contentment."

"She seems to me very gentille," said the father. "She's really pretty."

"She's perfect. She has no faults."

"She never had any as a child, and I'm glad you have given her none."

"We love her too much," said the spectacled sister with dignity. "And as for faults, how can we give what we have not? Le couvent n'est pas comme le monde, monsieur. She's our daughter, as you may say. We've had her since she was so small."

"Of all those we shall lose this year she's the one we shall miss most," the younger woman murmured deferentially.

"Ah, yes, we shall talk long of her," said the other. "We shall hold her up to the new ones." And at this the good sister appeared to find her spectacles dim; while her

غشاوة على نظاراتها؛ بينما رفيقتها وبعد ارتباك قليل، تناولت منديلاً ذو قماش متين.

"ليس من المؤكّد أنكنّ ستخسرنها؛ الأمر غير مبتوت به حتى الآن." أجاب مُضيفهما بسرعة؛ ليس وكأنه يستبق دموعهما؛ بل بنبرة رجل يقول ما هو أكثر ملائمة له.

"يسعدنا جداً سماع ما تقوله، فعمر الخامسة عشرة سنٌ صغيرة جداً للفتيات لمغادرتنا."

"أوه، لستُ أنا الذي يرغب بمغادرتها الدير. أتمنى لو يمكنكن الاحتفاظ بها إلى أجلٍ غير مُسمّى!" صاح الرجل بمرح أكثر مما أظهره حتى الآن.

قالت الأخت الأكبر وهي تبتسم وتنهض من مكانها: "أوه، يا سيد، بالنظر لمثاليتها فهي مُعدّة للعالم الذي سيكسب بوجودها فيه."

"لو بقي الأشخاص الصالحون مُخبّئين داخل الأديرة، كيف سيُتاح للعالم التقدّم والارتقاء؟" سألت رفيقتها، وهي تنهض من مكانها كذلك.

كان لهذا السؤال مغزى أعمق مما افترضته السيدتين الصالحتين؛ واتخذت المرأة الأصغر سناً نظرة متوافقة بالقول بكل ارتياح: "نشكر الله لوجود أناس صالحين في كل مكان."

علّق مضيفهما بتودّد: "اذا كنتما متوجهتين إلى الدير، فسيخسر العالم اثنين من أناسه الصالحين."

لم يكن لدى زائرتيه البسيطتين جواب لهكذا اطراء، فاكتفتا بالنظر إلى بعضهما البعض؛ الا أن ارتباكهما حُجِبَ بسرعة بعودة الفتاة الصغيرة حاملة باقتين من الورود ـ واحدة من الورود البيضاء والأخرى من الورود الحمراء.

companion, after fumbling a moment, presently drew forth a pocket-handkerchief of durable texture.

"It's not certain you'll lose her; nothing's settled yet," their host rejoined quickly; not as if to anticipate their tears, but in the tone of a man saying what was most agreeable to himself.

"We should be very happy to believe that. Fifteen is very young to leave us."

"Oh," exclaimed the gentleman with more vivacity than he had yet used, "it is not I who wish to take her away. I wish you could keep her always!"

"Ah, monsieur," said the elder sister, smiling and getting up, "good as she is, she's made for the world. Le monde y gagnera."

"If all the good people were hidden away in convents how would the world get on?" her companion softly enquired, rising also.

This was a question of a wider bearing than the good woman apparently supposed; and the lady in spectacles took a harmonizing view by saying comfortably: "Fortunately there are good people everywhere."

"If you're going there will be two less here," her host remarked gallantly.

For this extravagant sally his simple visitors had no answer, and they simply looked at each other in decent deprecation; but their confusion was speedily covered by the return of the young girl with two large bunches of roses–one of them all white, the other red.

قالت الطفلة: "لكِ الاختيار يا ماما كاثرين. لا خلاف بينهما سوى اللون يا ماما جستين. فعدد الورود في كلا الباقتين متساوٍ تماما."

نظرت الأختان إلى بعضهما، مبتسمتين ومرتبكتين، وحال نفسهما تتساءل، "أي من الباقتين ستأخذين" و "لا، اختاري أنتِ."

قالت الأم كاثرين ذات النظارتين: "سآخذ الباقة الحمراء، شكرا. أنا نفسي شديدة الاحمرار، وستكون هذه وسيلة راحة بالنسبة لنا ونحن بطريق عودتنا إلى روما."

صاحت الفتاة الصغيرة: "أوه، لن تدوم. كم أتمنى لو يمكنني اعطاءك شيئاً لا يفسد أبداًا."

"أعطيتنا ذكرى رائعة عنك، يا ابنتي. هذه ستدوم إلى الأبد!"

تابعت الطفلة قائلة: "أتمنى لو بإمكان الراهبات ارتداء الأشياء الجميلة. كنت أعطيك خرزي الأزرق."

سأل والدها: "اذن، ستعودان هذا المساء إلى روما؟"

"نعم، سنستقلّ القطار ثانية. لدينا الكثير من الأعمال هناك لانجازها."

"ألا تتعبان؟"

"لا نتعب أبداً."

قالت الراهبة الأصغر سناً: "أوه، يا أختي، أحيانا نشعر بالتعب."

"ليس اليوم، على أية حال. لقد ارتحنا بما فيه الكفاية هنا. ليحميك الله، يا ابنتي."

بينما كانتا تودّعان وتقبّلان ابنته توجه مُضيفهما لفتح الباب لهما؛

"I give you your choice, Mamman Catherine," said the child. "It's only the colour that's different, Mamman Justine; there are just as many roses in one bunch as in the other."

The two sisters turned to each other, smiling and hesitating, with "Which will you take?" and "No, it's for you to choose."

"I'll take the red, thank you," said mother Catherine in the spectacles. I'm so red myself. They'll comfort us on our way back to Rome."

"Ah, they won't last," cried the young girl. "I wish I could give you something that would last!"

"You've given us a good memory of yourself, my daughter. That will last!"

"I wish nuns could wear pretty things. I would give you my blue beads," the child went on.

"And do you go back to Rome to-night?" her father enquired.

"Yes, we take the train again. We've so much to do la-bas."

"Are you not tired?"

"We are never tired."

"Ah, my sister, sometimes," murmured the junior votaress.

"Not to-day, at any rate. We have rested too well here. Que Dieu vous garde, ma fille."

Their host, while they exchanged kisses with his daughter, went forward to open the door through which they were to

pass; but as he did so he gave a slight exclamation, and stood looking beyond. The door opened into a vaulted ante-chamber, as high as a chapel and paved with red tiles; and into this ante-chamber a lady had just been admitted by a servant, a lad in shabby livery, who was now ushering her toward the apartment in which our friends were grouped. The gentleman at the door, after dropping his exclamation, remained silent; in silence too the lady advanced. He gave her no further audible greeting and offered her no hand, but stood aside to let her pass into the saloon. At the threshold she hesitated. "Is there any one?" she asked.

"Some one you may see."

She went in and found herself confronted with the two nuns and their pupil, who was coming forward, between them, with a hand in the arm of each. At the sight of the new visitor they all paused, and the lady, who had also stopped, stood looking at them. The young girl gave a little soft cry: "Ah, Madame Merle!"

The visitor had been slightly startled, but her manner the next instant was none the less gracious. "Yes, it's Madame Merle, come to welcome you home." And she held out two hands to the girl, who immediately came up to her, presenting her forehead to be kissed. Madame Merle saluted this portion of her charming little person and then stood smiling at the two nuns. They acknowledged her smile with a decent obeisance, but permitted themselves no direct scrutiny of this imposing, brilliant woman, who seemed to bring in with her something of the radiance of the outer world.

"These ladies have brought my daughter home, and now

ولكنه أطلق صيحة تعجّب طفيفة وهو يفعل ذلك، ووقف ينظر أمامه. كان الباب يفتح على حجرة انتظار مُسردبة، عالية السقف ومُبلّطة بقرميد أحمر؛ إلى هذه الغرفة كان أحد الخدم مرتدياً ثياباً بالية، قد أدخل للتو سيدة وكان في تلك اللحظة يُرشدها باتجاه الغرفة حيث كانت مجموعة أصدقائنا جالسة فيها. التزم السيد الواقف عند الباب الصمت، بعد اطلاقه صيحة التعجّب، وبصمت أيضاً تقدمت السيدة. لم يُحييها ولم يُصافحها، بل اكتفى بالوقوف جانباً مُتيحا لها الدخول إلى الصالون. تردّدت عند عتبة الباب. سألت هي: "ألديك أحد؟"

"أحدهم لا مانع من رؤيتك له."

دخلت لتجد نفسها تواجه الراهبتان وتلميذتهما، التي كانت تسير وسطهما، ممسكة بيد كل من الراهبتين. توقّف الجميع لدى رؤيتهم الزائرة، وأخذت السيدة التي وصلت للتو تنظر اليهم. أطلقت الفتاة الصغيرة صيحة خفيفة، "آه، مدام ميرل"!"

جفلت الزائرة قليلاً، الا أنها تمالكت نفسها سريعاً وكان تصرفها في اللحظة التالية آية في اللباقة وحسن التصرّف. "نعم، مدام ميرل، جاءت لترّحب بعودتك إلى البيت." ومدّت يداها الاثنتين للفتاة التي تقدّمت منها فوراً، مُقرّبة لها جَبهتها لتقبّلها. فعلت السيدة ميرل ما هو مطلوب منها ومن ثم وقفت تبتسم للبراهبتين. عبّرت السيدتان عن شكرهما لابتسامتها بانحناءة مُحتشمة، الا أنهما نأتا بنفسهما النظر مباشرة إلى تلك المرأة المهيبة المتألقة، والتي بدت وكأنها تجلب معها شيئاً من البهاء الموجود في الخارج.

قال الرجل: "جلبت هاتان السيدتان ابنتي إلى البيت، وهما تستعدان

they return to the convent," the gentleman explained.

"Ah, you go back to Rome? I've lately come from there. It's very lovely now," said Madame Merle.

The good sisters, standing with their hands folded into their sleeves, accepted this statement uncritically; and the master of the house asked his new visitor how long it was since she had left Rome. "She came to see me at the convent," said the young girl before the lady addressed had time to reply.

"I've been more than once, Pansy," Madame Merle declared. "Am I not your great friend in Rome?"

"I remember the last time best," said Pansy, "because you told me I should come away."

"Did you tell her that?" the child's father asked.

"I hardly remember. I told her what I thought would please her. I've been in Florence a week. I hoped you would come to see me."

"I should have done so if I had known you were there. One doesn't know such things by inspiration–though I suppose one ought. You had better sit down."

These two speeches were made in a particular tone of voice–a tone half-lowered and carefully quiet, but as from habit rather than from any definite need. Madame Merle looked about her, choosing her seat. "You're going to the door with these women? Let me of course not interrupt the ceremony. Je vous salue, mesdames," she added, in French, to the nuns, as if to dismiss them.

"This lady's a great friend of ours; you will have seen

الآن للعودة إلى الدير. "

قالت مدام ميرل: "آه، هل ستعودان إلى روما؟ انني قادمة منها للتو. انها رائعة الآن. "

تقبّلت الأختان الصالحتان الواقفتان ويداهما مثنيتان أمامهما هذا التصريح بدون انتقاد؛ وسأل سيد المنزل زائرته الجديدة متى غادرت روما. "زارتني في الدير. "

صرّحت مدام ميرل قائلة: "زرتكِ أكثر من مرّة يا بانسي. ألستُ صديقتك الكبيرة في روما؟ "

قالت بانسي: "زيارتكِ الأخيرة كانت المفضّلة عندي، لأنكِ قلتِ لي بوجوب عودتي إلى المنزل. "

سأل والد الفتاة: "هل قلتِ لها ذلك؟ "

"بالكاد أتذكّر ذلك. أخبرتها ما ظننتُ سيُدخل البهجة إلى نفسها. أمضيت أسبوعاً في فلورنسا. كنتُ آمل بزيارتكَ لي. "

"كان يجدر بي القيام بذلك لو عرفتُ بوجودكِ هناك. لا يمكن للمرء معرفة مثل هذه الأمور بالالهام ـ علماً أنه يجدر به فعل ذلك. تفضلي بالجلوس. "

جرى هذا الحديث بنبرة صوت معيّنة، نبرة شبه منخفضة وهادئة بحذر، لم تكن بسبب حاجة محدّدة بقدر ما كانت طريقة تخاطب مُعتادة لديهما. نظرت مدام ميرل حولها، لتختار مقعدها. "سترافق هاتين السيدتين إلى الباب؟ لا تدعني أقاطع ذلك الطقس. مع السلامة، سيدتيّ. " أضافت قائلة بالفرنسية، موجّهة كلامها للراهبتين، وكأنها تطلب منهما الانصراف.

قال مُضيفهم: "هذه السيدة من أعزّ أصدقائنا؛ لا بد وأنكما

شاهدتموها في الدير. لدينا ثقة كبيرة في حكمها على الأمور، وستساعدني بالقرار الذي سأتخذه بشأن ما اذا ستعود ابنتي إلى الدير بنهاية العطلة.»

تجرأت الأخت المرتدية نظارات قول هذا التعليق: «آمل أن يكون قرارك لمصلحتنا، يا سيدتي.»

قالت مدام ميرل، ولكن بنبرة لم تخلُ من مسحة المزاح: «السيد أوزموند يمزح؛ أنا لا أقرّر شيئا. أظن لديكم مدرسة ممتازة، ولكن يتوجب على أصدقاء الآنسة أوزموند تذكّر أنها بطبيعة الحال خُلِقت لتكون في العالم الخارجي.»

أجابت الأخت كاثرين، وهي تنظر إلى بانسي، الواقفة على مسافة قصيرة، تنظر باهتمام بالغ لمظهر مدام ميرل البالغ الأناقة: «هذا ما قلته للسيد، نعدّها لتتلاءم مع العالم.»

قال والد بانسي: «أسمعتِ هذا يا بانسي؟ أنتِ بطبيعة الحال خُلِقتِ لهذا العالم.»

حدّقت الطفلة للحظة به بعينيها الصغيرتين الصافيتين. «ألم أخلَق لك، يا والدي؟»

أطلق الوالد ضحكة سريعة. «هذا لا يتعارض مع ذاك! أنا من العالم، يا بانسي.»

قالت الأخت كاثرين: «اسمحوا لنا بالمغادرة. كوني صالحة، وحكيمة وسعيدة في مطلق الظروف، يا ابنتي.»

«من المؤكّد سآتي لزيارتك.» أجابت بذلك بانسي، وهمّت بالبدء من جديد بتوزيع قبلاتها، ولكن مدام ميرل أوقفتها عن ذلك.

قالت: «ابقي معي يا طفلتي العزيزة، بينما والدك يرافق السيدتين الصالحتين إلى الباب.»

her at the convent," said their entertainer. "We've much faith in her judgement, and she'll help me to decide whether my daughter shall return to you at the end of the holidays."

"I hope you'll decide in our favour, madame," the sister in spectacles ventured to remark.

"That's Mr. Osmond's pleasantry; I decide nothing," said Madame Merle, but also as in pleasantry. "I believe you've a very good school, but Miss Osmond's friends must remember that she's very naturally meant for the world."

"That's what I've told monsieur," sister Catherine answered. "It's precisely to fit her for the world," she murmured, glancing at Pansy, who stood, at a little distance, attentive to Madame Merle's elegant apparel.

"Do you hear that, Pansy? You're very naturally meant for the world," said Pansy's father.

The child fixed him an instant with her pure young eyes. "Am I not meant for you, papa?"

Papa gave a quick, light laugh. "That doesn't prevent it! I'm of the world, Pansy."

"Kindly permit us to retire," said sister Catherine. "Be good and wise and happy in any case, my daughter."

"I shall certainly come back and see you," Pansy returned, recommencing her embraces, which were presently interrupted by Madame Merle.

"Stay with me, dear child," she said, "while your father takes the good ladies to the door."

حدّقت بانسي مُحبطة ولكن بدون أي احتجاج. كان من الواضح جداً أنها مُشرّبة بفكرة الطاعة، والتي كانت من حق كل شخص يتكلم بنبرة سلطوية؛ كانت مشاهدة غير مؤثّرة في عملية قدرها. سألت بالرغم من هذا بنبرة لطيفة جدا: "ألا يمكنني رؤية ماما كاثرين تدخل عربتها؟"

"يُسعدني أكثر اذا بقيت معي." قالت ذلك مدام ميرل، بينما السيد أوزمُوند وزائرتيه، بعدما انحنوا للزائرة الأخرى، عبروا للغرفة المجاورة.

أجابت بانسي: "أوه، نعم، سأبقى." ووقفت بجانب مدام ميرل، مُسلّمة رأسها الصغير، الذي احتضنته تلك السيدة. حدّقت خارج النافذة وعيناها مغرورقتان بالدموع.

"انني سعيدة أنهم علّموك الطاعة، هذا ما يجدر بالبنات الصغيرات القيام به." قالت مدام ميرل.

"أوه نعم، انني مُطيعة جداً." صاحت بانسي، بلهفة ناعمة، تكاد تكون أشبه بالتبجّح؛ وكأنها تتكلّم عن مهارتها في عزفها على البيانو. ومن ثم أطلقت تنهيدة خفيفة، بالكاد مسموعة.

قرّبت مدام ميرل يد الطفلة التي كانت ممسكة بيدها، ووضعتها فوق راحة يدها الرقيقة، وأخذت تنظر اليها نظرة انتقادية، الا أنها لم تجد أمامها سوى يد طفلة صغيرة وناعمة. قالت بعد قليل: "آمل أنهم يهتمون بارتدائك القفّازات بشكل دائم، فالفتيات الصغيرات عادة يكرهن ارتداء القفّازات."

أجابت الطفلة: "كنت أكره القفازات في السابق، ولكني أحبها الآن."

Pansy stared, disappointed, yet not protesting. She was evidently impregnated with the idea of submission, which was due to any one who took the tone of authority; and she was a passive spectator of the operation of her fate. "May I not see Mamman Catherine get into the carriage?" she nevertheless asked very gently.

"It would please me better if you'd remain with me," said Madame Merle, while Mr. Osmond and his companions, who had bowed low again to the other visitor, passed into the ante-chamber.

"Oh yes, I'll stay," Pansy answered; and she stood near Madame Merle, surrendering her little hand, which this lady took. She stared out of the window; her eyes had filled with tears.

"I'm glad they've taught you to obey," said Madame Merle. "That's what good little girls should do."

"Oh yes, I obey very well," cried Pansy with soft eagerness, almost with boastfulness, as if she had been speaking of her piano-playing. And then she gave a faint, just audible sigh.

Madame Merle, holding her hand, drew it across her own fine palm and looked at it. The gaze was critical, but it found nothing to deprecate; the child's small hand was delicate and fair. "I hope they always see that you wear gloves," she said in a moment. "Little girls usually dislike them."

"I used to dislike them, but I like them now," the child made answer.

"Very good, I'll make you a present of a dozen."

"I thank you very much. What colours will they be?" Pansy demanded with interest.

Madame Merle meditated. "Useful colours."

"But very pretty?"

"Are you very fond of pretty things?"

"Yes; but–but not too fond," said Pansy with a trace of asceticism.

"Well, they won't be too pretty," Madame Merle returned with a laugh. She took the child's other hand and drew her nearer; after which, looking at her a moment, "Shall you miss mother Catherine?" she went on.

"Yes–when I think of her."

"Try then not to think of her. Perhaps some day," added Madame Merle, "you'll have another mother."

"I don't think that's necessary," Pansy said, repeating her little soft conciliatory sigh. "I had more than thirty mothers at the convent."

Her father's step sounded again in the ante-chamber, and Madame Merle got up, releasing the child. Mr. Osmond came in and closed the door; then, without looking at Madame Merle, he pushed one or two chairs back into their places. His visitor waited a moment for him to speak, watching him as he moved about. Then at last she said: "I hoped you'd have come to Rome. I thought it possible you'd have wished yourself to fetch Pansy away."

"That was a natural supposition; but I'm afraid it's not

"رائع. سأقدم لك هدية عبارة عن دزينة من القفّازات."

سألت بانسي باهتمام: "أشكرك جدا. أي ألوان ستختارين؟"

فكّرت مدام ميرل مليّا بهذا السؤال. "ألوان مفيدة."

"ولكن جميلة جدا؟"

"أمولعة أنتِ بالأشياء الجميلة؟"

قالت بانسي بمسحة من التقشّف: "نعم؛ ولكن - لستُ مولعة بها جدا."

أجابت مدام ميرل ضاحكة: "حسنا، لن تكون جميلة جدا." أمسكت بيد الطفلة الأخرى، وقرّبتها منها؛ وبعدما نظرت اليها للحظة، تابعت هي: "هل ستشتاقين للأم كاثرين؟"

"نعم - حين أفكّر بها."

أضافت مدام ميرل قائلة: "اذن حاولي عدم التفكير بها. ربما في يوم من الأيام سيصبح لديك والدة أخرى."

قالت بانسي، مكرّرة تنهيدتها الصغيرة، المكتومة: "لا أظن ذلك ضروري، كان لدي أكثر من ثلاثين والدة في الدير."

سُمِعت خطوات والدها ثانية في الغرفة المجاورة، ونهضت مدام ميرل، مُبتعدة عن الطفلة. دخل السيد أوزموند وأغلق الباب؛ ومن ثم وبدون أن يلتفت لمدام ميرل، دفع بكرسيين إلى الوراء وأعادهما إلى مكانهما المعتاد. انتظرت زائرته للحظة، ليبدأ بالحديث، وهي تراقبه يتحرّك في أنحاء الغرفة. "كنت أتوقّع منك المجيء إلى روما. فكّرت أنه قد يكون من الممكن أن ترغب بأخذ الفتاة بنفسك من الدير." قالت هي أخيرا.

"كان ذلك افتراضا طبيعيا؛ ولكن أخشى أنها ليست المرة الأولى التي

تصرّفت فيها بشكل مُعاكس ومتحدٍ لحساباتك . "

قالت مدام ميرل : "هذا صحيح ، لأنك رجل عنيد جدا . "

شغل السيد أوزموند نفسه للحظة بالغرفة ـ كان هناك مساحة كافية للتحرّك في أنحاء الغرفة ـ بطريقة الرجل الباحث بشكل آلي عن ذرائع كي لا يوليها انتباهه ، الذي قد يكون مثيرا للخجل لديه . ولكن ، سرعان ما استنفذ ذرائعه ، ولم يعد لديه ما يعمله ـ الا اذا تناول كتابا ـ سوى الوقوف والنظر إلى بانسي ويداه وراء ظهره . سأل هو أخيرا بالفرنسية و بنبرة جلفة : "لماذا لم تأتي وتودّعي ماما كاثرين؟ "

ترددت بانسي للحظة ، ونظرت إلى مدام ميرل . قالت السيدة ، التي جلست في مقعد آخر : "أنا طلبت منها البقاء معي . "

"آه ، هذا أفضل . " قال أوزموند مُسلّما بمنطقية هذا العذر ، وتهالك في مقعد وأخذ ينظر إلى مدام ميرل وهو منحنٍ قليلا إلى الأمام ، ومرفقيه متكئان على ساعدي الكرسي ويداه متشابكتان .

قالت بانسي : "ستُعطيني بعض القفّازات . "

علّقت مدام ميرل قائلة : "لا حاجة تدعوك لاعلام الجميع بهذا الأمر ، يا عزيزتي . "

قال أوزموند : "أنتِ لطيفة جدا معها . من المُفترض أن يكون لديها كل ما تحتاجه . "

"أظن أنها لم تعد تحتاج الراهبات . "

"اذا كنا سنناقش هذا الموضوع ، فالأفضل لها الخروج من الغرفة . "

قالت مدام ميرل : "دعها تبقى ، سنتحدث بمواضيع أخرى . "

the first time I've acted in defiance of your calculations."

"Yes," said Madame Merle, "I think you very perverse."

Mr. Osmond busied himself for a moment in the room–there was plenty of space in it to move about–in the fashion of a man mechanically seeking pretexts for not giving an attention which may be embarrassing. Presently, however, he had exhausted his pretexts; there was nothing left for him–unless he took up a book–but to stand with his hands behind him looking at Pansy. "Why didn't you come and see the last of Mamman Catherine?" he asked of her abruptly in French.

Pansy hesitated a moment, glancing at Madame Merle. "I asked her to stay with me," said this lady, who had seated herself again in another place.

"Ah, that was better," Osmond conceded. With which he dropped into a chair and sat looking at Madame Merle; bent forward a little, his elbows on the edge of the arms and his hands interlocked.

"She's going to give me some gloves," said Pansy.

"You needn't tell that to every one, my dear," Madame Merle observed.

"You're very kind to her," said Osmond. "She's supposed to have everything she needs."

"I should think she had had enough of the nuns."

"If we're going to discuss that matter she had better go out of the room."

"Let her stay," said Madame Merle. "We'll talk of something else."

"لن أصغي، اذا كانت هذه رغبتكما." اقترحت بانسي بنبرة صادقة وصريحة مُقنعة.

"يمكنك الاصغاء، يا طفلتي الساحرة، لأنك لن تفهمي حديثنا." أجاب والدها. جلست الطفلة، احتراماً لرغبته، بالقرب من النافذة المُشرّعة، ضمن نطاق رؤيتها للحديقة، حيث وجّهت نظراتها البريئة الحزينة.

تابع السيد أوزموند، خارجاً عن الموضوع، موجّها حديثه لرفيقته الأخرى: "تبدين في حالة جيدة جداً."

قالت مدام ميرل: "أظن أن مظهري هو نفسه دائماً."

"أنتِ نفسكِ لا تتبدّلين. أنتِ لا تتغيّرين أبداً. أنتِ امرأة رائعة."

"نعم، أظن أنني كذلك."

"ولكنك أحياناً تُبدّلين رأيك. أخبرتني لدى عودتك من انجلترا أنك في الوقت الحاضر لن تغادري روما."

"يسرّني أنك تذكّرت ما قلته بهذه الدقّة. هذا ما عَزمتُ عليه. ولكنني جئتُ إلى فلورنسا لمقابلة بعض الأصدقاء، الذين وصلوا إلى هناك مؤخراً والذين لم أكن متأكدة في ذلك الوقت من وجهة سفرهم."

"هذا سبب مميّز لك، فأنتِ دائماً تقدمين خدماتكِ للآخرين."

ابتسمت مدام ميرل وهي تنظر مباشرة إلى مُضيفها. أضافت قائلة: "انه أقل تميّزاً من تعليقك عليه ـ الخالي كُليّا من الصدق. ولكني لا أعتبر ما أقوم به بمثابة الجريمة. لأنك اذا لا تؤمن بما تقوله، فالأحرى بك عدم قوله. لا أدمّر نفسي من أجل أصدقائي؛ انني لا أستحق اطراءك. انني أهتم إلى حدٍ بعيد بنفسي وبمصلحتي."

"If you like I won't listen," Pansy suggested with an appearance of candour which imposed conviction.

"You may listen, charming child, because you won't understand," her father replied. The child sat down, deferentially, near the open door, within sight of the garden, into which she directed her innocent, wistful eyes; and Mr. Osmond went on irrelevantly, addressing himself to his other companion. "You're looking particularly well."

"I think I always look the same," said Madame Merle.

"You always are the same. You don't vary. You're a wonderful woman."

"Yes, I think I am."

"You sometimes change your mind, however. You told me on your return from England that you wouldn't leave Rome again for the present."

"I'm pleased that you remember so well what I say. That was my intention. But I've come to Florence to meet some friends who have lately arrived and as to whose movements I was at that time uncertain."

"That reason's characteristic. You're always doing something for your friends."

Madame Merle smiled straight at her host. "It's less characteristic than your comment upon it–which is perfectly insincere. I don't, however, make a crime of that," she added, "because if you don't believe what you say there's no reason why you should. I don't ruin myself for my friends; I don't deserve your praise. I care greatly for myself."

"Exactly; but yourself includes so many other selves–so much of every one else and of everything. I never knew a person whose life touched so many other lives."

"What do you call one's life?" asked Madame Merle. "One's appearance, one's movements, one's engagements, one's society?"

"I call your life your ambitions," said Osmond.

Madame Merle looked a moment at Pansy. "I wonder if she understands that," she murmured.

"You see she can't stay with us!" And Pansy's father gave rather a joyless smile. "Go into the garden, mignonne, and pluck a flower or two for Madame Merle," he went on in French.

"That's just what I wanted to do," Pansy exclaimed, rising with promptness and noiselessly departing. Her father followed her to the open door, stood a moment watching her, and then came back, but remained standing, or rather strolling to and from as if to cultivate a sense of freedom which in another attitude might be wanting.

"My ambitions are principally for you," said Madame Merle, looking up at him with a certain courage.

"That comes back to what I say. I'm part of your life–I and a thousand others. You're not selfish–I can't admit that. If you were selfish, what should I be? What epithet would properly describe me?"

"You're indolent. For me that's your worst fault."

"بالضبط ؛ ولكن نفسكِ تشمل العديد من النفوس الأخرى ـ الكثير من الآخرين ومن كل ما حولك. لم يسبق لي أبداً معرفة انسان كانت حياته عاملاً مؤثّراً إلى حدٍ كبير في حياة الآخرين، كما حياتُكِ."

سألت مدام ميرل: "كيف تُحدّد حياة المرء؟ أهي مظهره الخارجي؟ حركاته؟ ارتباطاته وأعماله؟ أصدقاءه؟"

قال أوزموند: "أحدّد حياتكِ أنتِ بمدى طموحاتكِ."

نظرت مدام ميرل للحظة إلى بانسي. تمتمت: "أتساءل ما اذا فهمت هذا الكلام."

"أرأيتِ لا يمكنها البقاء معنا!"

"اذهبي إلى الحديقة واختاري بعض الأزهار لمدام ميرل، يا صغيرتي." قال الرجل بالفرنسية وهو يبتسم لابنته ابتسامة جافّة بعض الشيء.

صاحت بانسي: "هذا بالضبط ما أرغب القيام به. ونهضت فوراً من مكانها وغادرت الغرفة بصمت. لحق بها والدها إلى الباب المفتوح، ووقف ينظر اليها للحظة، ومن ثم عاد لمكانه، الا أنه بقي واقفاً، أو بالأحرى مُتمشّيا جيئة وذهاباً، وكأنه يحاول تنمية شعور بالحرية لا يتسنى له الحصول عليه بوضعية أخرى.

قالت مدام ميرل وهي ترفع نظرها اليه بنوع من الجرأة: "طموحاتي تشمل مصلحتكَ في المقام الأول."

"يُعيدنا كلامكِ هذا إلى ما قلته. إنّني جزء من حياتكِ ـ أنا وكذلك آلاف الأشخاص الآخرين. انتِ لستِ أنانية لا يمكنني قول ذلك. اذا كنتِ أنتِ أنانية، فماذا يمكنك القول عني؟ أي صفة يمكنك أن تنعتيني بها؟"

"أنت كسول. بالنسبة لي هذه أسوأ نقائصك."

"بل أعتبرها أفضل ما لديّ."

قالت مدام ميرل بنبرة جادّة: "لا تكترث بشيء."

"لا؛ لا أظن أنني أكترث كثيراً لأمور الحياة. أي نوع من النقائص تُسمّي هذا؟ على أية حال، كَسلي كان أحد الأسباب لعدم ذهابي إلى روما. ولكنه سبب واحد من جملة أسباب أخرى."

"عدم ذهابك مسألة غير هامّة - على الأقل بالنسبة لي؛ علماً أنني كنتُ سررتُ برؤيتك. انني مسرورة لعدم وجودكَ في روما الآن - حيث كنتَ ستكون، أغلب الظن - لو ذهبتَ إلى هناك قبل شهر، هناك أمر أريدكَ القيام به في الوقت الحاضر في فلورنسا."

قال أوزموند: "أرجوكِ تذكّري كَسلي."

"انني أتذكره فعلاً؛ ولكنني أتوسّل اليك لتنساه أنت. وهكذا يمكنك بهذه الطريقة الحصول على تلك الفضيلة وثوابها في آن معاً. انه عملٌ لا يتطلّب مجهوداً كبيراً، وقد يتبيّن لك أنه مصدر اثارة كبيرة لك. كم مضى عليك من الوقت لم تتعرّف فيه على أشخاص جُدد؟"

"لا أظن أنني تعرّفت على أي شخص آخر منذ تعرّفتُ عليكِ."

"حان الوقت اذن للتعرّف على شخص آخر. عندي صديقة أريدك التعرّف اليها."

كان السيد أوزموند، خلال تمشيه، قد عاد ثانية إلى الباب المفتوح، وأخذ ينظر إلى ابنته وهي تتحرّك تحت أشعّة الشمس الحارقة. سأل بنوع من فجاجة أنيسة: "ما المنفعة التي سأجنيها من ذلك؟".

انتظرت مدام ميرل بعض الوقت. "ستسلّيك." لم يكن في تلك الإجابة أي نوع من الفجاجة، بل كانت نتيجة تفكير عميق.

قال أوزموند وهو يقترب منها: "تعرفين تماما انني أصدق هذا

"I'm afraid it's really my best."

"You don't care," said Madame Merle gravely.

"No; I don't think I care much. What sort of a fault do you call that? My indolence, at any rate, was one of the reasons I didn't go to Rome. But it was only one of them."

"It's not of importance-to me at least-that you didn't go; though I should have been glad to see you. I'm glad you're not in Rome now-which you might be, would probably be, if you had gone there a month ago. There's something I should like you to do at present in Florence."

"Please remember my indolence," said Osmond.

"I do remember it; but I beg you to forget it. In that way you'll have both the virtue and the reward. This is not a great labour, and it may prove a real interest. How long is it since you made a new acquaintance?"

"I don't think I've made any since I made yours."

"It's time then you should make another. There's a friend of mine I want you to know."

Mr. Osmond, in his walk, had gone back to the open door again and was looking at his daughter as she moved about in the intense sunshine. "What good will it do me?" he asked with a sort of genial crudity.

Madame Merle waited. "It will amuse you." There was nothing crude in this rejoinder; it had been thoroughly well considered.

"If you say that, you know, I believe it," said Osmond,

الكلام، لأنك أنتِ تقولينه. لديك بعض الخصال التي لي كامل الثقة بها، ومن جملتها انكِ تعرفين تماما التمييز بين المجتمع الجيد وغير الجيد.»

«لا وجود لمجتمع جيد.»

«المعذرة. هذا ليس ـ تلك المعرفة نسبتها لكِ ـ نوع شائع من الحكمة. اكتسبتها بالطريقة الصحيحة ـ باختباركِ لها؛ سبق لكِ بطريقة أو بأخرى، أن جمعتِ عدداً كبيراً من الناس غير المتكافئين.»

«حسناً؛ أدعوك للاستفادة من خبرتي.»

«الاستفادة؟ أواثقة أنتِ من ذلكِ؟»

«هذا ما أتمناه. الأمر برمّته متوقّف عليك. كم أتمنى لو باستطاعتي حثّك لبذل مجهود!»

«أها، كنت أعلم أن الأمر ينطوي على عمل مرهق. أي شيء بحق السماء من المحتمل وجوده هنا ـ يمكن أن يستحق بذل الجهد من أجله؟»

احمرّت مدام ميرل وكأن عزمها ذاك جُرِح في الصميم. «لا تكن أحمقاً، يا أوزموند. لا أحد يعرف أفضل منك ما هو الشيء الذي يستحق الجهد من أجله؟ ألم أعرفك أنا في الأيام الماضية؟»

«أرى بعض الاحتمالات، ولكن جميعها أغلب الظن خارج نطاق هذه الحياة الوضيعة.»

قالت مدام ميرل: «المجهود هو ما يجعل تلك الاحتمالات أمراً وارداً.»

«يوجد بعض الحقيقة في قولك هذا. مَن تكون صديقتك هذه؟»

«هي ذاتها التي جئتُ إلى فلورنسا لمقابلتها. انها ابنة شقيقة السيدة توشيت، التي لا يمكن أن تكون نسيتها.»

«ابنة شقيقة؟ الكلمة تعني الصبا والجهل. فهمت قصدكِ.»

coming toward her. "There are some points in which my confidence in you is complete. I'm perfectly aware, for instance, that you know good society from bad."

"Society is all bad."

"Pardon me. That isn't–the knowledge I impute to you–a common sort of wisdom. You've gained it in the right way–experimentally; you've compared an immense number of more or less impossible people with each other."

"Well, I invite you to profit by my knowledge."

"To profit? Are you very sure that I shall?"

"It's what I hope. It will depend on yourself. If I could only induce you to make an effort!"

"Ah, there you are! I knew something tiresome was coming. What in the world–that's likely to turn up here–is worth an effort?"

Madame Merle flushed as with a wounded intention. "Don't be foolish, Osmond. No one knows better than you what is worth an effort. Haven't I seen you in old days?"

"I recognize some things. But they're none of them probable in this poor life."

"It's the effort that makes them probable," said Madame Merle.

"There's something in that. Who then is your friend?"

"The person I came to Florence to see. She's a niece of Mrs. Touchett, whom you'll not have forgotten."

"A niece? The word niece suggests youth and ignorance. I see what you're coming to."

"نعم انها فتاة شابّة ـ لا تتجاوز الثالثة والعشرين من العمر. انها صديقة مقرّبة جداً مني. التقيت بها للمرة الأولى في انجلترا، قبل بضعة أشهر، ونمت بيننا صداقة متينة. أحبها كثيرا، وأشعر تجاهها بما لا أشعر به دائما ـ انني معجبة بها جدا. سيساورك أنت الشعور ذاته."

"ليس اذا كان في استطاعتي تفادي ذلك."

"بالضبط. ولكن لن يمكنك تفادي ذلك."

"أهي جميلة، وموهوبة، وثرية، ورائعة، وبارعة في جميع الأحوال وفاضلة بشكل لم يسبق له مثيل؟ لن أوافق على التعرّف اليها ما لم تكن تتميّز بكل هذه الشروط. تذكرين أنني طلبت منك في الماضي غير البعيد عدم التحدث معي عن إنسانة تفتقر لمثل هذه الشروط. أعرف العديد من الأشخاص المملّين؛ لا أرغب بالتعرّف على المزيد منهم."

"الآنسة أرتشير ليست مملّة؛ انها مُرقة ومتألقة كالصباح المشمس. وهي تتوافق مع طلباتك؛ لهذا السبب أريدك التعرّف اليها. انها تفي بكل شروطك."

"الى حدٍ ما، طبعاً."

"لا؛ بل حرفيّاً. انها جميلة، مثقّفة، كريمة، وبالنسبة لأميركية، كريمة الأصل. كما أنها بارعة وودودة جداً. وتملك ثروة ضخمة."

أصغى السيد أوزموند لهذا الكلام بصمت، وبدا وكأنه يفكّر مليّا بما سمعه وعيناه تحدّقان بمقدّمة تلك المعلومات له. "ماذا تريدين منها؟" سأل أخيراً.

"كما ترى. وضعها في طريقك."

"ألا تستحق شخصاً أفضل مني؟"

"Yes, she's young–twenty-three years old. She's a great friend of mine. I met her for the first time in England, several months ago, and we struck up a grand alliance. I like her immensely, and I do what I don't do every day–I admire her. You'll do the same."

"Not if I can help it."

"Precisely. But you won't be able to help it."

"Is she beautiful, clever, rich, splendid, universally intelligent and unprecedentedly virtuous? It's only on those conditions that I care to make her acquaintance. You know I asked you some time ago never to speak to me of a creature who shouldn't correspond to that description. I know plenty of dingy people; I don't want to know any more."

"Miss Archer isn't dingy; she's as bright as the morning. She corresponds to your description; it's for that I wish you to know her. She fills all your requirements."

"More or less, of course."

"No; quite literally. She's beautiful, accomplished, generous and, for an American, well-born. She's also very clever and very amiable, and she has a handsome fortune."

Mr. Osmond listened to this in silence, appearing to turn it over in his mind with his eyes on his informant. "What do you want to do with her?" he asked at last.

"What you see. Put her in your way."

"Isn't she meant for something better than that?"

قالت مدام ميرل: "لا أدّعي معرفة ما يستحقه الناس. لا أعرف سوى ما يمكنني الحصول عليه منهم؟".

أعلن أوزموند: "أشفق على الآنسة أرتشير!"

وقف الاثنان وجهاً لوجه؛ وضعت طرحتها وهي مُخفِضة عيناها. قال أوزموند: "تبدين بحالة رائعة. أنت تُخطِّطين لأمر ما. أنتِ دائماً تبدين في أروع حالاتك حين يكون لديك خطة ترغبين بتنفيذها. يلائمك هذا الأمر بشكل رائع."

كان هناك شيء غير مباشر وحذر في سلوك ومزاج هذين الشخصين، لدى التعرّف اليهما للمرة الأولى في أي ظرف، وبالأخص لدى التقائهما بحضور آخرين، وكأنهما فاتحا بعضهما بموضوع ما بشكل ملتوٍ وخاطبا بعضهما بشكل ضمني. وبدا تأثير كل منهما وكأنه يُقوّي لدرجة يمكن ادراكها ادراكا كاملا خجل الآخر. طبعاً كانت مدام ميرل تتحمّل مشاعر الخجل بشكل أفضل بكثير مما يفعل صديقها؛ ولكن حتى مدام ميرل لم يكن لديها في هذه المناسبة الشكل الذي كانت ترغب بأن يكون لديها ـ رباطة الجأش الكاملة التي كانت تريد الظهور بها أمام مُضيفها. مُراد القول، أنه في لحظة معيّنة كان العامل الرابط بينهما، كائناً ما كان، يُمهّد نفسه دائما ليتركهما مواجهين بعضهما البعض على نحو متراص، يستحيل على أي منهما اكتسابه مع شخص آخر. هذا ما حصل الآن. وقفا وهما يدركان تماما نفسية الآخر، وكل منهما على استعداد بشكل عام لتقبّل شعور الارتياح بالمعرفة كتعويض للارباك ـ كائنا ما كان ذلك الارباك ـ بمعرفة الآخر له. قالت مدام ميرل بهدوء: "كم أتمنى لو لم تكن على هذه الدرجة من الجُبن وتحجّر القلب. كان هذا دائماً يتعارض مع

"I don't pretend to know what people are meant for," said Madame Merle. "I only know what I can do with them."

"I'm sorry for Miss Archer!" Osmond declared.

Madame Merle got up. "If that's a beginning of interest in her I take note of it."

The two stood there face to face; she settled her mantilla, looking down at it as she did so. "You're looking very well," Osmond repeated still less relevantly than before. "You have some idea. You're never so well as when you've got an idea; they're always becoming to you."

In the manner and tone of these two persons, on first meeting at any juncture, and especially when they met in the presence of others, was something indirect and circumspect, as if they had approached each other obliquely and addressed each other by implication. The effect of each appeared to be to intensify to an appreciable degree the self-consciousness of the other. Madame Merle of course carried off any embarrassment better than her friend; but even Madame Merle had not on this occasion the form she would have liked to have–the perfect self-possession she would have wished to wear for her host. The point to be made is, however, that at a certain moment the element between them, whatever it was, always levelled itself and left them more closely face to face than either ever was with any one else. This was what had happened now. They stood there knowing each other well and each on the whole willing to accept the satisfaction of knowing as a compensation for the inconvenience–whatever it might be–of being known. "I wish very much you were not so heartless,"

مصالحك، وهو يتعارض الآن مع مصالحك. "

"لستُ متحجّر القلب إلى الدرجة التي تظنينها. أتأثر بين الحين والآخر بشيء ما - مثلا كقولك الآن أن طموحاتك هي من أجلي. لا أفهم ذلك؛ ولا أرى كيف ولماذا هي كذلك، ومع ذلك أتأثر بها. "

"أغلب الظن ستصعب فهمها أكثر مع مرور الوقت. هناك أشياء لن تفهمها إذاً. لا حاجة معيّنة تدعو لذلك. "

"أنت، برغم كل شيء، أكثر النساء روعة. لديك أكثر مما لدى أي واحدة منهنّ. لا أرى كيف يمكنني التأثر كثيراً بابنة شقيقة السيدة توشيت، في الوقت . . . في الوقت . . . . " لكنه توقّف عن الكلام.

"في الوقت الذي لم تتأثر بي أنا سوى قليل جدا؟ "

"طبعاً لم أقصد قول مثل هذا الكلام. في الوقت الذي عرفت وقدّرت فيه امرأة رائعة مثلك. "

قالت مدام ميرل: "ايزابيل أرتشير امرأة أفضل مني. "

أطلق رفيقها ضحكة عالية. "قولك هذا دليل على مدى اعتبارك لها ضعيفة وليست ذات قيمة على الاطلاق! "

"أتظن أنه بإمكاني الشعور بالغيرة؟" أرجوك أجب على سؤالي هذا. "

"بالنسبة لي؟ لا؛ لا أظن ذلك؛ بشكل عام. "

تعال لزيارتي اذن بعد يومين. انني مقيمة في منزل السيدة توشيت - بلازو كريسينتيني - وستكون الفتاة موجودة هناك. "

"لماذا لم تطلبي مني ذلك في البداية وببساطة، بدون ذكر الفتاة؟ كان

Madame Merle quietly said. "It has always been against you, and it will be against you now."

"I'm not so heartless as you think. Every now and then something touches me–as for instance your saying just now that your ambitions are for me. I don't understand it; I don't see how or why they should be. But it touches me, all the same."

"You'll probably understand it even less as time goes on. There are some things you'll never understand. There's no particular need you should."

"You, after all, are the most remarkable of women," said Osmond. "You have more in you than almost any one. I don't see why you think Mrs. Touchett's niece should matter very much to me, when–when-" But he paused a moment.

"When I myself have mattered so little?"

"That of course is not what I meant to say. When I've known and appreciated such a woman as you."

"Isabel Archer's better than I," said Madame Merle.

Her companion gave a laugh. "How little you must think of her to say that!"

"Do you suppose I'm capable of jealousy? Please answer me that."

"With regard to me? No; on the whole I don't."

"Come and see me then, two days hence. I'm staying at Mrs. Touchett's–Palazzo Crescentini–and the girl will be there."

"Why didn't you ask me that at first simply, without

يمكنك دفعها للتواجد هناك، على أية حال؟" قال أوزموند.

نظرت اليه مدام ميرل بأسلوب المرأة التي يستحيل طرح أي سؤال عليها لا يمكنها الاجابة عليه. "أترغب في معرفة السبب؟ لأنني حدّثتها عنك."

تجهّم وجه أوزموند وابتعد عنها. "كنت أفضّل عدم معرفة ذلك."

قال بعد لحظة وهو يُشير إلى المِسنَد الحامل اللوحة الزيتية الصغيرة: "هل شاهدتِ ما يوجد هناك ـ لوحتي الأخيرة؟"

"اقتربت مدام ميرل من اللوحة وتفحّصتها. "أهذه جبال الألب ـ احدى رسوماتك من السنة الماضية؟"

"نعم . . . . يا لقُدرتكِ على معرفة كل شيء!"

حدّقت باللوحة للحظة اضافية، ومن ثم استدارت مبتعدة عنها. "تعلم أنني لا أكترث كثيرا باللوحات الفنية."

"أعرف ذلك، ولكن بالرغم من ذلك، لا أنفك أتعجّب من كونها أفضل من لوحات معظم الأشخاص الآخرين."

"ربما ما تقوله صحيحاً. ولكن كونه العمل الوحيد الذي تفعله ـ بإتقان، فهو ضئيل جداً. كنت أتمنى قيامك بأعمال عديدة أخرى؛ تلك كانت طموحاتي."

"نعم؛ ذكرتِ لي ذلك أكثر من مرّة ـ أعمال يستحيل القيام بها."

قالت مدام ميرل: "أعمال يستحيل القيام بها."

أضافت قائلة بنبرة صوت مختلفة: "لوحتك بحدّ ذاتها ممتازة."

جالت بنظرها في أنحاء الغرفة ـ نظرت إلى الخزائن القديمة، والصور

speaking of the girl?" said Osmond. "You could have had her there at any rate."

Madame Merle looked at him in the manner of a woman whom no question he could ever put would find unprepared. "Do you wish to know why? Because I've spoken of you to her."

Osmond frowned and turned away. "I'd rather not know that."

Then in a moment he pointed out the easel supporting the little water-colour drawing. "Have you seen what's there–my last?"

Madame Merle drew near and considered. "Is it the Venetian Alps - one of your last year's sketches?"

"Yes–but how you guess everything!"

She looked a moment longer, then turned away. "You know I don't care for your drawings."

"I know it, yet I'm always surprised at it. They're really so much better than most people's."

"That may very well be. But as the only thing you do–well, it's so little. I should have liked you to do so many other things: those were my ambitions."

"Yes; you've told me many times–things that were impossible."

"Things that were impossible," said Madame Merle. And then in quite a different tone: "In itself your little picture's very good." She looked about the room–at the old cabinets, pictures, tapestries, surfaces of faded silk. "Your

وأقمشة الكراسي الحريرية. تابعت تقول: "على الأقل شقتك مؤثثة بشكل رائع. هذا ما يلفت نظري دائما كلما عدتُ إلى هنا. لا أعرف أي منزل أكثر أناقة من منزلك. تُتقن هذا العمل أفضل من أي شخص في أي مكان آخر في العالم. لديك ذوق جميل جدا."

قال جلبرت أوزموند: "مللتُ من ذوقي الجميل جدا."

"ومع هذا، عليك دعوة الآنسة أرتشير إلى هنا لرؤية كل هذا. لقد أخبرتها عن ذوقك الرفيع."

"لا مانع لديّ من عرض أشيائي لغير الحمقى من الناس."

"تؤدي عملك هذا بشكل رائع. أنت مُتميّز بدورك كدليل سياحي لمتحفك."

استجابة لهذا الاطراء، ظهر أوزموند بشكل فجائي، أكثر برودة وانتباها. "هل قلتِ أنها ثرية؟"

"تملك سبعين ألف باوند."

"عدّاً ونقداً؟"

"لا شك على الاطلاق بالنسبة لثروتها؟ يمكنك القول، لقد شاهدتها بأم العين."

"امرأة مُرضية! ـ أقصدكِ أنتِ. واذا ذهبت لمقابلتها، فهل سأقابل الوالدة؟"

"الوالدة؟ ليس لديها والدة ـ ولا والد."

"الخالة اذن ـ ماذا قلتِ اسمها ـ السيدة توشيت؟"

"يمكنني الهاؤها بكل سهولة."

"ليس لي اعتراض على وجودها. أشعر بنوع من الاعجاب تجاهها.

rooms at least are perfect. I'm struck with that afresh whenever I come back; I know none better anywhere. You understand this sort of thing as nobody anywhere does. You've such adorable taste."

"I'm sick of my adorable taste," said Gilbert Osmond.

"You must nevertheless let Miss Archer come and see it. I've told her about it."

"I don't object to showing my things–when people are not idiots."

"You do it delightfully. As cicerone of your museum you appear to particular advantage."

Mr. Osmond, in return for this compliment, simply looked at once colder and more attentive. "Did you say she was rich?"

"She has seventy thousand pounds."

"En ecus bien comptes?"

"There's no doubt whatever about her fortune. I've seen it, as I may say."

"Satisfactory woman!–I mean you. And if I go to see her shall I see the mother?"

"The mother? She has none - nor father either."

"The aunt then–whom did you say?–Mrs. Touchett."

"I can easily keep her out of the way."

"I don't object to her," said Osmond; "I rather like Mrs. Touchett. She has a sort of old-fashioned character that's

طباعها تقليدية قديمة الطراز من النوع الذي يكاد ينقرض ـ ذاتية مفعمة بالحيوية. ولكن ذلك الابن المغرور ـ أموجود في المنزل؟"

"انه هناك، ولكنه لن يزعجك."

"انه غبي جدا."

"أنت مخطئ، انه على قدر كبير من الذكاء. ولكنه يتفادى التواجد في المنزل حين تكون موجودة هناك، لأنه لا يحبني."

تابع أوزموند قائلا: "ماذا يمكن أن يكون أكثر غباء من هكذا تصرّف؟ أقلتِ أنها جميلة؟"

"نعم، ولكن لن أقول ذلك ثانية، مخافة اصابتك بخيبة الأمل. تعال ولتكن زيارتك تلك البداية. هذا كل ما أطلبه منك."

"بداية ماذا؟"

صمتت مدام ميرل قليلا. "طبعاً أريدك أن تتزوجها."

"بداية النهاية؟ حسناً، سأقرّر بنفسي. هل أخبرتها بهذا الأمر؟"

"ماذا تظنني؟ ليست قطعة من آلة جلفة ـ ولا أنا كذلك."

"حقا، لا أفهم طموحاتك." قال أوزموند بعد قليل من تفكير عميق.

"أظنك ستفهم طموحي هذا بعدما تقابل الآنسة أرتشير. علّق حكمك في الوقت الحاضر." كانت مدام ميرل قد أصبحت بالقرب من الباب المفتوح على الحديقة، حيث وقفت للحظة تنظر إلى الخارج.

أضافت قائلة: "بانسي كبرت وأصبحت فتاة جميلة."

"هذا ما يبدو لي."

passing away–a vivid identity. But that long jackanapes the son–is he about the place?"

"He's there, but he won't trouble you."

"He's a good deal of a donkey."

"I think you're mistaken. He's a very clever man. But he's not fond of being about when I'm there, because he doesn't like me."

"What could be more asinine than that? Did you say she has looks?" Osmond went on.

"Yes; but I won't say it again, lest you should be disappointed in them. Come and make a beginning; that's all I ask of you."

"A beginning of what?"

Madame Merle was silent a little. "I want you of course to marry her."

"The beginning of the end? Well, I'll see for myself. Have you told her that?"

"For what do you take me? She's not so coarse a piece of machinery–nor am I."

"Really," said Osmond after some meditation, "I don't understand your ambitions."

"I think you'll understand this one after you've seen Miss Archer. Suspend your judgement." Madame Merle, as she spoke, had drawn near the open door of the garden, where she stood a moment looking out. "Pansy has really grown pretty," she presently added.

"So it seemed to me."

"ولكنها حصلت على ما يكفيها من الدير."

"لا أعرف. انني مُعجب بطريقة تنشأتهن لها. انه اسلوب رائع."

"لا فضل للدير في ذلك. فهذه طبيعة الطفلة."

"انه مزيج، على ما أعتقد. انها صافية ونقيّة كاللؤلؤ."

قالت مدام ميرل: "لماذا لا تعود اذن ومعها أزهاري؟ انها ليست في عجلة من أمرها لانجاز هذه المهمة."

"سنذهب ونستلم الأزهار منها."

تمتمت الزائرة وهي ترفع مِظلّتها ويسيران باتجاه الحديقة: "انها لا تحبني."

"But she has had enough of the convent."

"I don't know," said Osmond. "I like what they've made of her. It's very charming."

"That's not the convent. It's the child's nature."

"It's the combination, I think. She's as pure as a pearl."

"Why doesn't she come back with my flowers then?" Madame Merle asked. "She's not in a hurry."

"We'll go and get them."

"She doesn't like me," the visitor murmured as she raised her parasol and they passed into the garden.

Chapter Twenty Three

Madame Merle, who had come to Florence on Mrs. Touchett's arrival at the invitation of this lady–Mrs. Touchett offering her for a month the hospitality of Palazzo Crescentini–the judicious Madame Merle spoke to Isabel afresh about Gilbert Osmond and expressed the hope she might know him; making, however, no such point of the matter as we have seen her do in recommending the girl herself to Mr. Osmond's attention. The reason of this was perhaps that Isabel offered no resistance whatever to Madame Merle's proposal. In Italy, as in England, the lady had a multitude of friends, both among the natives of the country and its heterogeneous visitors. She had mentioned to Isabel most of the people the girl would find it well to "meet"–of course, she said, Isabel could know whomever in the wide world she would–and had placed Mr. Osmond near the top of the list. He was an old friend of her own; she had known him these dozen years; he was one of the cleverest and most agreeable men–well, in Europe simply. He was altogether above the respectable average; quite another affair. He wasn't a professional charmer–far from it, and the effect he produced depended a good deal on the state of his nerves and his spirits. When not in the right mood he could fall as low as any one, saved only by his looking at such hours rather like a demoralized prince in exile. But if he cared or was interested or rightly challenged–just exactly rightly it had to be–then one felt his cleverness and his distinction. Those qualities didn't depend, in him, as in so many people, on his not committing or

الفصل الثالث والعشرون

تحدّثت مدام ميرل التي وصلت إلى فلورنسا تلبية لدعوة السيدة توشيت للاقامة فترة شهر في منزل الأخيرة في بلازو كريسينتيني، مع إيزابيل ثانية عن جلبرت أوزموند وعبّرت لها عن أمنيتها بإمكانية تعرّفها اليه، الا أنها تفادت الاشارة إلى الأمور التي كلّمت السيد أوزموند بشأنها. ربما يعود سبب ذلك إلى أن إيزابيل لم تُبدِ أية معارضة على الاطلاق لاقتراح مدام ميرل. فكما في انجلترا كذلك في ايطاليا، كان للسيدة حشدٌ من الأصدقاء، من أهالي البلد وكذلك من زائريه المُتعددي الجنسيات. ذكرت لايزابيل معظم الأشخاص الذي يُستحسن بالفتاة "التعرّف" اليهم - طبعاً، قالت هي، يمكن لايزابيل التعرّف على تشاء من سكان العالم الفسيح - ووضعت السيد جلبرت في أعلى القائمة. كان صديق قديم لها، وقد عرفته على مدى الاثني عشر سنة الماضية؛ كان من أذكى الرجال وأكثرهم أنساً وبهجة في أوروبا بأسرها. كان بالاجمال أسمى من الرجل النبيل العادي؛ مرتبة قائمة بذاتها. لم يكن يتعمّد الفوز باعجاب الآخرين - بل على العكس، تأثيره على الآخرين كان يعتمد إلى حدٍ كبير على المزاج الذي هو فيه. يتصرّف بشكل رخيص كما يفعل الآخرون حين يكون في مزاج عكر؛ ولا يُنقذه من ذلك سوى اعتبار نفسه خلال تلك الساعات أشبه بالأمير المَنفي المشوّش الأفكار. ولكنه اذا أثِيرَ اهتمامه أو جرى تحدّيه - بشكل دقيق وملائم - عندها يشعر المرء ببراعته وتميّزه. لا تعتمد هذه الخصائص لديه، كما لدى العديد من الناس، على عدم التزامه بالأمور المختلفة أو عرض نفسه. كان لديه انحرافاته وسوء طباعه - كما لسائر الرجال المتميّزين وهو طبعاً ما ستكتشفه إيزابيل - كما ستكتشف أن تأثيره على الآخرين يختلف باختلافهم. ولكن مدام ميرل تعتقد أنه يمكنها التعهّد

بأن تأثيره على إيزابيل سيكون متألق ومشرق. كان ميّالاً للملل بسهولة، وينزعج دائماً من الأشخاص الأغبياء البليدي الذهن؛ ولكن فتاة سريعة الخاطر ومهذّبة مثل إيزابيل ستمدّه بحافز كانت حياته تفتقر اليه بشكل كبير. على أية حال، كان شخصاً من الضروري التعرّف اليه. لا يمكن للمرء محاولة العيش في ايطاليا بدون مصادقة غيلبرت أوزموند، الذي كان لا يُضاهيه أحد بمعلوماته عن هذه البلاد سوى قلّة من الأساتذة الألمان. واذا كانت معلوماتهم تفوق معلوماته، فهو يتفوّق عليهم بما يمتاز به من ادراك حسّي وذوق رفيع - كونه مولع بالفنون قلباً وقالباً. تذكّرت إيزابيل أن صديقتها حدّثتها عنه خلال زيارتهما لغاردينكورت، وتساءلت بعض الشيء عن طبيعة العلاقة التي تربط هاتين الشخصيتين النبيلتين. شعرت بأن معارف مدام ميرل جميعهم لديهم بطريقة أو بأخرى، تاريخ خاص بهم، وهكذا انطباع كان جزء من االتشويق الذي تُحدثه هذه المرأة الجامحة. الا أنها في ما يتعلّق بعلاقتها مع السيد أوزموند، لم تُشر الا لصداقة قديمة ومتينة. عبّرت إيزابيل عن سرورها بالتعرّف إلى شخص يتميّز بهكذا ثقة كبيرة وعلى مدى سنوات عديدة. علّقت مدام ميرل قائلة: "يجدر بكِ مقابلة عدد كبير من الرجال، يجدر بكِ التعرّف قدر المُستطاع على أكبر عدد من الرجال لتعتادي عليهم."

كرّرت إيزابيل بتلك النظرة الثابتة التي كانت أحياناً تعبيراً عن عدم فهم للدعابة المقصودة من الكلام: "لأعتاد عليهم؟"

أضافت إيزابيل قائلة: "لا أخافهم أبداً - فأنا معتادة عليهم كاعتياد الطاه على فتيان اللحّام."

exposing himself. He had his perversities–which indeed Isabel would find to be the case with all the men really worth knowing–and didn't cause his light to shine equally for all persons. Madame Merle, however, thought she could undertake that for Isabel he would be brilliant. He was easily bored, too easily, and dull people always put him out; but a quick and cultivated girl like Isabel would give him a stimulus which was too absent from his life. At any rate he was a person not to miss. One shouldn't attempt to live in Italy without making a friend of Gilbert Osmond, who knew more about the country than any one except two or three German professors. And if they had more knowledge than he it was he who had most perception and taste–being artistic through and through. Isabel remembered that her friend had spoken of him during their plunge, at Gardencourt, into the deeps of talk, and wondered a little what was the nature of the tie binding these superior spirits. She felt that Madame Merle's ties always somehow had histories, and such an impression was part of the interest created by this inordinate woman. As regards her relations with Mr. Osmond, however, she hinted at nothing but a long-established calm friendship. Isabel said she should be happy to know a person who had enjoyed so high a confidence for so many years. "You ought to see a great many men," Madame Merle remarked; "you ought to see as many as possible, so as to get used to them."

"Used to them?" Isabel repeated with that solemn stare which sometimes seemed to proclaim her deficient in the sense of comedy. "Why, I'm not afraid of them–I'm as used to them as the cook to the butcher-boys."

" تعتادين عليهم، بحيث يمكنك احتقارهم، هذا ما قصدت بقولي، هذا هو الشعور الذي تنتهي اليه مع الغالبية العظمى منهم. ستختارين كأصدقاء لك القلّة من الرجال الذين لا تحتقرينهم. "

كان لدى مدام ميرل سمة من التشاؤم حاولت في معظم الأحيان اخفاءها، الا أن إيزابيل لم تضطرب ازاء ذلك، اذ لم تكن تتوقّع أبداً بأنه كلما ازدادت معرفة الانسان بالعالم، كلما ازداد احساس الاحترام لديه وسمى عنده على ما عداه من مشاعر. ولكن بالرغم من هذا أثيرت إلى حد كبير مشاعر الاحترام لديها مما شاهدته في مدينة فلورنسا الجميلة، وازدادت غبطتها بصحّة كل ما قالته مدام ميرل عن تلك المدينة الرائعة؛ واذا فشلت مداركها الحسّية المتواضعة في استيعاب سحرها، فقد كان لديها رفقة بارعين لشرح ما خفي عليها. لم تكن تفتقر على الاطلاق إلى الاستنارة الجمالية، اذ أن رالف وجد متعة، جدّدت لديه شغفه القديم لقيام بدور الدليل السياحي لقريبته الشابة المتحمّسة. لزمت مدام ميرل المنزل، لقد شاهدت مرارا وتكرارا كنوز فلورنسا، وكان لديها دائما عملا آخر للقيام به. ولكنها تكلّمت عن كافة المواضيع بحيوية مُذهلة من التذكّر - تذكّرت الزاوية إلى يمين "البيريجينو" الكبير ووضع يدا القديسة اليزابيث في الصورة القريبة منه. كان لديها وجهة نظرها الخاصة بها في ما يتعلّق بالعديد من الشخصيات المشهورة في اللوحات الفنية، متعارضة في أغلب الأحيان بشكل حادّ مع رأي رالف ومُدافعة عن تفسيراتها ببراعة وبهجة متساويتين. أصغت إيزابيل إلى المناقشات الدائرة بينهما بشعور بأنه يمكنها الاستفادة إلى حدٍ كبير منهما، وأنهما من الحسنات التي كان من المستحيل عليها الاستفادة منها في ألباني مثلاً. كانت خلال أيام أيار الصافية قبل موعد الفطور الرسمي - كانت تُقدّم هذه الوجبة في منزل السيدة توشيت

"Used to them, I mean, so as to despise them. That's what one comes to with most of them. You'll pick out, for your society, the few whom you don't despise."

This was a note of cynicism that Madame Merle didn't often allow herself to sound; but Isabel was not alarmed, for she had never supposed that as one saw more of the world the sentiment of respect became the most active of one's emotions. It was excited, none the less, by the beautiful city of Florence, which pleased her not less than Madame Merle had promised; and if her unassisted perception had not been able to gauge its charms she had clever companions as priests to the mystery. She was in no want indeed of aesthetic illumination, for Ralph found it a joy that renewed his own early passion to act as cicerone to his eager young kinswoman. Madame Merle remained at home; she had seen the treasures of Florence again and again and had always something else to do. But she talked of all things with remarkable vividness of memory–she recalled the right-hand corner of the large Perugino and the position of the hands of the Saint Elizabeth in the picture next to it. She had her opinions as to the character of many famous works of art, differing often from Ralph with great sharpness and defending her interpretations with as much ingenuity as good-humour. Isabel listened to the discussions taking place between the two with a sense that she might derive much benefit from them and that they were among the advantages she couldn't have enjoyed for instance in Albany. In the clear May mornings before the formal breakfast–this repast at Mrs. Touchett's was served at twelve o'clock–she wandered with her cousin through the narrow and sombre Florentine streets,

resting a while in the thicker dusk of some historic church or the vaulted chambers of some dispeopled convent. She went to the galleries and palaces; she looked at the pictures and statues that had hitherto been great names to her, and exchanged for a knowledge which was sometimes a limitation a presentiment which proved usually to have been a blank. She performed all those acts of mental prostration in which, on a first visit to Italy, youth and enthusiasm so freely indulge; she felt her heart beat in the presence of immortal genius and knew the sweetness of rising tears in eyes to which faded fresco and darkened marble grew dim. But the return, every day, was even pleasanter than the going forth; the return into the wide, monumental court of the great house in which Mrs. Touchett, many years before, had established herself, and into the high, cool rooms where the carven rafters and pompous frescoes of the sixteenth century looked down on the familiar commodities of the age of advertisement. Mrs. Touchett inhabited an historic building in a narrow street whose very name recalled the strife of mediaeval factions; and found compensation for the darkness of her frontage in the modicity of her rent and the brightness of a garden where nature itself looked as archaic as the rugged architecture of the palace and which cleared and scented the rooms in regular use. To live in such a place was, for Isabel, to hold to her ear all day a shell of the sea of the past. This vague eternal rumour kept her imagination awake.

Gilbert Osmond came to see Madame Merle, who presented him to the young lady lurking at the other side of the room. Isabel took on this occasion little part in the talk; she scarcely even smiled when the others turned to her

عند الثانية عشرة ظهراً ـ تتجوّل برفقة ابن خالتها عبر شوارع فلورنسا المُعتمة الضيقة، وتتكئ بين الحين والآخر وسط عتمةٍ أكثف تعود لاحدى الكنائس التاريخية أو الغرف المُسردبة في الأديرة الخالية من ساكنيها. زارت المعارض والقصور، وشاهدت اللوحات والتماثيل التي كانت بالنسبة لها حتى ذلك الحين مجرّد أسماء شهيرة. مارست جميع هذه الأفعال من السجود الذهني، حيث تتسم زيارة الشباب الأولى لايطاليا بكثير من الحماس والانطلاق؛ شعرت بنبضات قلبها تتسارع في حضور العبقرية الخالدة. ولكن العودة اليومية كانت بالنسبة لها أكثر بهجة من نزهاتها هذه؛ العودة إلى المبنى التذكاري في البيت الكبير حيث كانت تقيم السيدة توشيت منذ سنوات عديدة، والى داخل الغرف المرتفعة الهادئة، حيث كانت العوارض الخشبية المنحوتة واللوحات الجصّية الجدارية الفخمة التي تعود للقرن السادس عشر، تنظر من عليائها إلى السِلع المألوفة العائدة لعصر الدعاية. كانت السيدة توشيت تسكن في مبنى تاريخي في شارع ضيق يستذكر اسمه نزاعات القرون الوسطى، ووجدت تعويضاً لعتمة مدخل المبنى في الايجار المنخفض واشراقة حديقة كانت الطبيعة ذاتها مقارنةً بها تبدو قديمة بِقِدَم المباني المُخدّدة للقصر، والتي أضفت اشراقاً وعِطراً من الاستعمال المنتظم. شكّل العيش في هكذا مكان لايزابيل، سماع همس بحر الماضي طوال النهار. أبقى هذا الهمس السرمدي الغامض خيالها في يقظة دائمة.

جاء جيلبرت أوزموند لزيارة مدام ميرل، التي قدّمته للسيدة الشابة المُندسّة في الجهة الأخرى من الغرفة. لم تُشارك إيزابيل في هذه المناسبة كثيراً بالحديث؛ حتى أنها بالكاد ابتسمت لدى التفات الآخرين مبتسمين لها لحثّها على الكلام؛ جلست هناك وكأنها تشاهد مسرحية دفعت ثمناً

باهظاً للفوز بمقعدها. كانت السيدة توشيت خارج المنزل، وانتهز هذان الاثنان الفرصة للتحدّث بحرّية تامّة. تكلّما عن العالم الفلورنسي، والعالم الروماني والعالم الدولي، بأسلوب كان يمكن أن يُظهرهما كممثلين مُتميّزين يرغبان بالحصول على صَدقة. اتّسم حديثهما بكامله بالرشاقة الغنية التي تأتي نتيجة تدريب مُتقن. احتكمت اليها مدام ميرل وكأنها على المسرح، لكنه كان بإمكانها تجاهل أي تلميح محفوظ عن ظهر قلب بدون افسادها المشهد ـ علماً أنها طبعاً بتصرّفها ذاك وضعت الصديقة التي أخبرت السيد أوزموند بأنها انسانة يمكن الاعتماد عليها، بوضع ظهر وكأنها مُخطئة تماما في ما قالته. لم يكن ذلك مسألة ذي بال لمرة واحدة؛ وحتى لو سنحت لها مناسبات أخرى ما كانت أقدمت على مطلق محاولة للبروز والتألّق. كان هناك شيء في الزائر كبحها ووضعها في ترقّب قلق ـ جعل من المهم جداً لها تكوين انطباع عنه أكثر من اتاحة الفرصة له لتكوين انطباع عنها. بالاضافة إلى هذا، كانت تفتقر لمهارة احداث انطباع أوّلي في ذهن الآخرين اذا كانت تعلم مُسبقاً أن ذلك متوقّعاً منها: لا يمكن لأي شيء أن يكون مصدر بهجة وسرور، من ظهور المرء بمظهر متألق، ولكن كان لديها كره عنيد للتألق وفقاً لترتيب مُسبق.

وانصافاً للسيد أوزموند، اتّسم سلوكه بتهذيب الانسان غير المتوقّع شيئاً، طَبعية هادئة أخفَت كل شيء، بما في ذلك اظهاره لما يتميّز به من ظَرف وفطنة. كان تصرّفه ذاك ملائماً للمناسبة خاصة لأنه كان ذو وجه حساس؛ لم يكن رجلاً وسيماً بل مرهفاً برهافة اللوحات الفنية في صالة العرض الطويلة فوق جسر أوفيزي. وصوته هو الآخر كان مرهفاً ـ والأكثر غرابة أنه بالرغم من صفائه، كان بطريقة أو بأخرى يفتقر للعذوبة. هذا بالواقع ما جعلها تمتنع عن التدخل والمشاركة في الحديث. كان نُطقه أشبه

invitingly; she sat there as if she had been at the play and had paid even a large sum for her place. Mrs. Touchett was not present, and these two had it, for the effect of brilliancy, all their own way. They talked of the Florentine, the Roman, the cosmopolite world, and might have been distinguished performers figuring for a charity. It all had the rich readiness that would have come from rehearsal. Madame Merle appealed to her as if she had been on the stage, but she could ignore any learnt cue without spoiling the scene–though of course she thus put dreadfully in the wrong the friend who had told Mr. Osmond she could be depended on. This was no matter for once; even if more had been involved she could have made no attempt to shine. There was something in the visitor that checked her and held her in suspense- made it more important she should get an impression of him than that she should produce one herself. Besides, she had little skill in producing an impression which she knew to be expected: nothing could be happier, in general, than to seem dazzling, but she had a perverse unwillingness to glitter by arrangement.

Mr. Osmond, to do him justice, had a well-bred air of expecting nothing, a quiet ease that covered everything, even the first show of his own wit. This was the more grateful as his face, his head, was sensitive; he was not handsome, but he was fine, as fine as one of the drawings in the long gallery above the bridge of the Uffizi. And his very voice was fine–the more strangely that, with its clearness, it yet somehow wasn't sweet. This had had really to do with

making her abstain from interference. His utterance was the vibration of glass, and if she had put out her finger she might have changed the pitch and spoiled the concert. Yet before he went she had to speak.

"Madame Merle," he said, "consents to come up to my hill-top some day next week and drink tea in my garden. It would give me much pleasure if you would come with her. It's thought rather pretty- there's what they call a general view. My daughter too would be so glad–or rather, for she's too young to have strong emotions, I should be so glad–so very glad." And Mr. Osmond paused with a slight air of embarrassment, leaving his sentence unfinished.

"I should be so happy if you could know my daughter," he went on a moment afterwards.

Isabel replied that she should be delighted to see Miss Osmond and that if Madame Merle would show her the way to the hill-top she should be very grateful. Upon this assurance the visitor took his leave; after which Isabel fully expected her friend would scold her for having been so stupid. But to her surprise that lady, who indeed never fell into the mere matter-of-course, said to her in a few moments: "You were charming, my dear; you were just as one would have wished you. You're never disappointing."

A rebuke might possibly have been irritating, though it is much more probable that Isabel would have taken it in good part; but, strange to say, the words that Madame Merle actually used caused her the first feeling of displeasure she had known this ally to excite. "That's more than I

بذبذبات الزجاج، بحيث شعرت لو مدّت أصبعها لكانت بدّلت من طبقة صوته وأفسدت انسجامها. ولكن بالرغم من هذا، كان عليها التكلّم قبل مغادرته المنزل.

قال: "وافقت مدام ميرل على زيارة منزلي في أعلى التلّة أحد أيام الأسبوع القادم لتناول الشاي في حديقتي. سيكون من دواعي سروري الكبير اذا جئتِ معها. يُقال أن المكان جميل - فهو يُشرف على منظر عام. ستكون ابنتي سعيدة جداً - أو بالأحرى، نظراً لكونها صغيرة السن لأن يكون لديها عواطف قوية، أنا الذي سأكون سعيد . . . سعيد جداً."

"سأكون في منتهى السعادة اذا أتيحَ لكِ التعرّف على ابنتي." أضاف السيد أوزموند قائلاً بعدما توقّف برهة عن الكلام، بشكل أوحى ببعض الخجل.

أجابت إيزابيل بأنه سيكون من دواعي سرورها رؤية الآنسة أوزموند، وأنه اذا شرحت لها مدام ميرل الطريق إلى منزله ستكون شاكرة لها جداً. غادر الزائر المنزل بعد هذا التأكيد؛ وتوقّعت إيزابيل توبيخاً من صديقتها على تصرّفها الأحمق هذا. ولكنها فوجئت من قول السيدة بعد لحظات، "كنت ساحرة يا عزيزتي؛ كنتِ بالضبط كما يُتوَقّع منكِ أن تكوني. أنتِ لا تُخيّبين رجاء الآخرين بكِ أبداً."

أغلب الظن أن التوبيخ كان سيكون مزعجاً، علماً أن إيزابيل على الأرجح كانت تقبّلته بروح مرحة؛ ولكن الغريب هو القول بأن الكلمات التي استخدمتها مدام ميرل سبّبت لها أولى مشاعر الازعاج التي سبق لها الشعور بها من حليفتها. أجابت هي بنبرة جافّة: "لم أتعمّد ذلك. لستُ

intended," she answered coldly. "I'm under no obligation that I know of to charm Mr. Osmond."

Madame Merle perceptibly flushed, but we know it was not her habit to retract. "My dear child, I didn't speak for him, poor man; I spoke for yourself. It's not of course a question as to his liking you; it matters little whether he likes you or not! But I thought you liked him."

"I did," said Isabel honestly. "But I don't see what that matters either."

"Everything that concerns you matters to me," Madame Merle returned with her weary nobleness; "especially when at the same time another old friend's concerned."

Whatever Isabel's obligations may have been to Mr. Osmond, it must be admitted that she found them sufficient to lead her to put to Ralph sundry questions about him. She thought Ralph's judgements distorted by his trials, but she flattered herself she had learned to make allowance for that.

"Do I know him?" said her cousin. "Oh, yes, I 'know' him; not well, but on the whole enough. I've never cultivated his society, and he apparently has never found mine indispensable to his happiness. Who is he, what is he? He's a vague, unexplained American who has been living these thirty years, or less, in Italy. Why do I call him unexplained? Only as a cover for my ignorance; I don't know his antecedents, his family, his origin. For all I do know he may be a prince in disguise; he rather looks like one, by the way–like a prince who has abdicated in a fit of fastidiousness and has been in a state

مُجبرة على الاطلاق على إثارة اعجاب السيد أوزموند."

احمرّت مدام ميرل، ولكننا نعلم أنه لم يكن من عادتها التراجع عن أقوالها. "يا طفلتي العزيزة، لم أقصد بكلامي، الرجل المسكين؛ بل قصدتكِ أنتِ. المسألة ليست ما اذا أثرتِ اعجابه، فمسألة اعجابه بكِ أم لا، ليست بذات أهمية على الاطلاق! ولكنني ظننت أنك أنتِ أعجبتِ به."

قالت إيزابيل بصدق: "فعلت، ولكن لا أرى أهمية هذا الأمر كذلك."

أجابت مدام ميرل بنُبلها المُعتاد: "كل ما يتعلّق بي له أهمية بالنسبة لي، وبالأخص حين يكون الأمر متعلّق في الوقت ذاته بصديق قديم عزيز لديّ."

مهما كانت مشاعر إيزابيل تجاه السيد أوزموند، يجب الاعتراف أنها وجدتها كافية لسؤال رالف عنه. كانت تعتبر أحكام رالف مُحرّفة بسبب محنته، الا أنها أطرت نفسها بأنه تعلّمت ادخال ذلك للتخفيف من حدّتها.

"هل أعرفه؟ نعم (أعرفه) ولكن ليس معرفة عميقة، بل معرفة كافية بشكل عام. لم أشجع أبداً صداقته، وعلى ما يبدو لم يعتبر هو أيضاً صداقتي عامل أساسي لسعادته. مَن هو، أي نوع من الرجال هو؟ انه اميركي غامض يصعب فهمه، أمضى الثلاثين سنة الماضية تقريباً وهو يعيش في ايطاليا. لماذا أقول يصعب فهمه؟ هذا مجرّد تعبير لإخفاء جهلي؛ لا أعرف أسلافه، أو أسرته أو أصله. قد يكون أميراً مُتخفياً؛ بالواقع يبدو إلى حدٍ ما، كذلك، على فكرة ـ أشبه بأمير تخلّى عن عرشه بنوبة فجائية من رهافة المشاعر، ومنذ ذلك الحين يشعر بالاشمئزاز ازاء كل

ما حوله. عاش في روما في الماضي، ولكنه انتقل قبل بضع سنوات إلى هنا؛ أذكر أنني سمعته يقول أن روما تحوّلت إلى مدينة سوقية. لديه هلع شديد من السوقية؛ هذا قوله المأثور؛ ليس لديه أي شيء آخر لي علم به. يعيش من مدخوله الذي لا أظنه كبيراً. انه رجل فقير ولكنه مستقيم ـ هكذا يصف نفسه. تزوج باكراً وفقد زوجته، وأظن لديه ابنة. كما لديه أيضاً شقيقة، متزوجة من كونت بسيط أو ما شابه، في هذه المنطقة؛ أذكر أنني التقيت بها منذ فترة طويلة. انها ألطف منه، على ما أظن، ولكنها صعبة إلى حد ما. أذكر وجود بعض الاشاعات عنها. ولكن لماذا لا تسألين مدام ميرل عن هؤلاء الناس، فهي تعرفهم أكثر مما أعرفهم بكثير."

قالت إيزابيل: "أسألك لأنني أريد معرفة رأيك بهم إلى جانب رأيها."

"ما أهمية رأيي؟ اذا أغرمتِ بالسيد أوزموند فما أهمية رأيي بالنسبة لكِ؟"

"لا أهمية كبرى، على ما أظن. ولكن في الوقت الحاضر أعلّق بعض الأهمية عليه. فكلما تنوّعت وازدادت المعلومات عن الأخطار المُحدقة بالمرء، كلما كان ذلك أفضل."

"لا أوافقك رأيك هذا ـ بل يزيد من الأخطار. نعلم الكثير في هذه الأيام عن الناس المحيطين بنا؛ نسمع الكثير. آذاننا، وأذهاننا، وأفواهنا محشوّة بالشخصيات. لا تأبهي لأقوال أي كان، بل كوني أنتِ وحدكِ الحكم لنفسكِ في كل ما تفعلين ومَن تقابلين من الناس."

قالت إيزابيل: "هذا ما أحاول القيام به، ولكنك حين تفعل ذلك

of disgust ever since. He used to live in Rome; but of late years he has taken up his abode here; I remember hearing him say that Rome has grown vulgar. He has a great dread of vulgarity; that's his special line; he hasn't any other that I know of. He lives on his income, which I suspect of not being vulgarly large. He's a poor but honest gentleman–that's what he calls himself. He married young and lost his wife, and I believe he has a daughter. He also has a sister, who's married to some small Count or other, of these parts; I remember meeting her of old. She's nicer than he, I should think, but rather impossible. I remember there used to be some stories about her. I don't think I recommend you to know her. But why don't you ask Madame Merle about these people? She knows them all much better than I."

"I ask you because I want your opinion as well as hers," said Isabel.

"A fig for my opinion! If you fall in love with Mr. Osmond what will you care for that?"

"Not much, probably. But meanwhile it has a certain importance. The more information one has about one's dangers the better."

"I don't agree to that–it may make them dangers. We know too much about people in these days; we hear too much. Our ears, our minds, our mouths, are stuffed with personalities. Don't mind anything any one tells you about any one else. Judge every one and everything for yourself."

"That's what I try to do," said Isabel; "but when you do

that people call you conceited."

"You're not to mind them–that's precisely my argument; not to mind what they say about yourself any more than what they say about your friend or your enemy."

Isabel considered. "I think you're right; but there are some things I can't help minding: for instance when my friend's attacked or when I myself am praised."

"Of course you're always at liberty to judge the critic. Judge people as critics, however," Ralph added, "and you'll condemn them all!"

"I shall see Mr. Osmond for myself," said Isabel. "I've promised to pay him a visit."

"To pay him a visit?"

"To go and see his view, his pictures, his daughter–I don't know exactly what. Madame Merle's to take me; she tells me a great many ladies call on him."

"Ah, with Madame Merle you may go anywhere, de confiance," said Ralph. "She knows none but the best people."

Isabel said no more about Mr. Osmond, but she presently remarked to her cousin that she was not satisfied with his tone about Madame Merle. "It seems to me you insinuate things about her. I don't know what you mean, but if you've any grounds for disliking her I think you should either mention them frankly or else say nothing at all."

Ralph, however, resented this charge with more apparent earnestness than he commonly used. "I speak of

يعتبرك الناس شخصاً مغروراً. "

"عليك عدم الاكتراث بهم ـ هذا بالضبط ما أحاول قوله لك؛ لا تكترثي لِما يقولونه عنكِ ولا ما يقولونه عن صديقك أو عدوّكِ."

فكّرت إيزابيل للحظة. "أظنّك محقّ في ما تقوله؛ ولكن هناك أمور لا يسعني الا أن أكترث لها؛ مثلا حين يتعرّض صديقي لهجوم أو حين أسمع اطراء الناس لي."

علّق رالف قائلاً: "طبعاً لكِ دائماً حرية تقييم المُنتقد. قيّمي أو احكمي على الأشخاص كنقّاد، ولكن في تلك الحالة ستدينهم جميعاً."

قالت إيزابيل: "سأرى السيد أوزموند بنفسي. وعدته بزيارة."

"ستزورينه؟"

"لمشاهدة المنظر من منزله، ورؤية لوحاته وابنته ـ لا أعرف ما تظنين مدام ميرل؛ تقول أنه يستقبل العديد من السيدات."

قال رالف: "آه، يمكنك الذهاب مع مدام ميرل إلى أي مكان، فهي لا تعرف سوى أفضل الشخصيات."

لم تُضِف إيزابيل شيئاً عن السيد أوزموند، ولكنها سرعان ما علّقت قائلة لابن خالتها بأنها غير راضية عن نبرة صوته في ما يتعلّق بمدام ميرل. "يبدو لي أنك تُلمّح بطريقة مُبطّنة إلى أمور تتعلّق بها. لا أعرف ماذا تقصده، ولكن اذا كان لديك مبرّرات لعدم محبّتك لها، أظن عليكَ اما ذكرها بصراحة أو الاكتفاء بالصمت بدون تعليق على الاطلاق."

الا أن رالف رفض هذا الاتهام جملة وتفصيلاً، وبحماس ليس معهوداً منه. "أتحدّث عن مدام ميرل بالأسلوب ذاته الذي استخدمه بحديثي

معها؛ باحترام مُضخّم.»

«بالضبط، مُضخّم. هذا ما أشكو منه.»

«افعل ذلك لأن فضائل مدام ميرل تستحق التضخيم.»

«أرجوك أخبرني، تستحق التضخيم من قِبَل مَن؟ مني؟ اذا كان الوضع كذلك، فإنني أخفقت بذلك إلى حدٍ كبير.»

«لا، لا؛ من قِبَلي أنا.»

«آه، أعترض بشدة على هذا، اذا كان هناك من امرأة متواضعة . . . !» صاحت إيزابيل بحماس.

«وضعت أصبعكِ على الجرح تماما. تواضعها مبالغ به. لا دعوة لها على الاطلاق للتصرّف بتواضع - بل لها كل الحق أن تصبو لكل ما هو سامٍ في هذه الحياة.» قاطعها رالف قائلا.

«اذن فضائلها كبيرة. انك تناقض نفسك.»

قال رالف: «فضائلها لا حدود لها. انها طاهرة الذَيل بشكل يفوق الوصف؛ طهارة من صحراء لم تطأها قدم انسان؛ المرأة الوحيدة التي أعرفها والتي لا تُتيح للمرء أيّة فرصة على الاطلاق.»

«فرصة لماذا؟»

«حسنا، لنعتها بالغبيّة، على سبيل المثال! انها المرأة الوحيدة التي أعرفها التي لديها هذه النقيصة الصغيرة.»

ابتعدت إيزابيل عنه بنفاذ صبر. «لا أفهمك؛ أقوالك متناقضة بشكل مُبهم لا يمكنني فهمه بذهني البسيط.»

«دعيني أشرح لك ما أقصده. حين أقول أنها تُضخّم الأمور فلا أعنيه بالمفهوم السوقي للكلمة - أي أنها تتبجّح، تُبالغ في كلامها وتُقيّم نفسها

Madame Merle exactly as I speak to her: with an even exaggerated respect."

"Exaggerated, precisely. That's what I complain of."

"I do so because Madame Merle's merits are exaggerated."

"By whom, pray? By me? If so I do her a poor service."

"No, no; by herself."

"Ah, I protest!" Isabel earnestly cried. "If ever there was a woman who made small claims-!"

"You put your finger on it," Ralph interrupted. "Her modesty's exaggerated. She has no business with small claims–she has a perfect right to make large ones."

"Her merits are large then. You contradict yourself."

"Her merits are immense," said Ralph. "She's indescribably blameless; a pathless desert of virtue; the only woman I know who never gives one a chance."

"A chance for what?"

"Well, say to call her a fool! She's the only woman I know who has but that one little fault."

Isabel turned away with impatience. "I don't understand you; you're too paradoxical for my plain mind."

"Let me explain. When I say she exaggerates I don't mean it in the vulgar sense–that she boasts, overstates, gives too fine an account of herself. I mean literally that she

pushes the search for perfection too far–that her merits are in themselves overstrained. She's too good, too kind, too clever, too learned, too accomplished, too everything. She's too complete, in a word. I confess to you that she acts on my nerves and that I feel about her a good deal as that intensely human Athenian felt about Aristides the Just."

Isabel looked hard at her cousin; but the mocking spirit, if it lurked in his words, failed on this occasion to peep from his face. "Do you wish Madame Merle to be banished?"

"By no means. She's much too good company. I delight in Madame Merle," said Ralph Touchett simply.

"You're very odious, sir!" Isabel exclaimed. And then she asked him if he knew anything that was not to the honour of her brilliant friend.

"Nothing whatever. Don't you see that's just what I mean? On the character of every one else you may find some little black speck; if I were to take half an hour to it, some day, I've no doubt I should be able to find one on yours. For my own, of course, I'm spotted like a leopard. But on Madame Merle's nothing, nothing, nothing!"

"That's just what I think!" said Isabel with a toss of her head. "That is why I like her so much."

"She's a capital person for you to know. Since you wish to see the world you couldn't have a better guide."

بشكل واضح جداً. أقصد حرفياً أنها تُبالغ في بحثها عن الكمال، وبأن فضائلها بحد ذاتها مُبالغ فيها، فهي حنونة أكثر مما ينبغي، وذكية أكثر مما ينبغي، ومُتعلّمة أكثر مما ينبغي، ومصقولة أكثر مما ينبغي، وكل شيء أكثر مما ينبغي. بكلمة واحدة، هي أنها مثالية أكثر مما ينبغي. أعترف لك أنها تثير أعصابي وأشعر كثيراً كما شعر ذلك اليوناني المرهف الانسانية تجاه أرستيد العادل."

نظرت إيزابيل بثبات إلى ابن خالتها؛ لكن النبرة الساخرة، اذا كانت كامنة في كلماته، لم تظهر في هذه المناسبة على قسمات وجهه. "أترغب بطرد مدام ميرل من المنزل؟"

قال رالف توشيت ببساطة: "اطلاقاً. رفقتها مثيرة جداً. أشعر ببهجة عارمة بحضور مدام ميرل."

صاحت إيزابيل: "انك شخص بغيض جداً، يا سيدي!" ومن ثم سألته ما اذا كان يعلم بأي شيء مهين بالنسبة لكرامة صديقتها المتّقدة الذكاء.

"أبداً. ألاترين بأنَّ هذا هو بالضبط ما أقصده بكلامي؟ هناك ما يُشبه نقطة سوداء في شخصية كلّ منّا؛ فاذا أتيح لي ذات يوم، تخصيص نصف ساعة لدراسة شخصيتك فإنني واثق من العثور عليها. بالنسبة لشخصيتي، فهي طبعاً مُنقطة بها كجلد النمر. ولكن بالنسبة لشخصية مدام ميرل، لاشيء، لا شيء، لا شيء!"

قالت إيزابيل وهي ترفع رأسها بحركة مفاجئة: "هذا ما أظنه أنا أيضاً! ولهذا السبب استوحذت على إعجابي لدرجة كبيرة."

"انها انسانة من المهم جدا لكِ معرفتها. نظراً لأنك تتوقين لرؤية العالم، فلا يمكنك العثور على دليل أفضل منها."

"أظن تقصد بقولك هذا أنها دُنيوية؟"

"دُنيوية؟ لا، انها الدنيا بذاتها." قال رالف.

اعتبرت إيزابيل وبشكل قاطع، في تلك الفترة الزمنية، أنَّ قوله أنه مُعجب بمدام ميرل، لا يعكس على الاطلاق خُبثاً مُتعمّداً مصقولاً. اعتاد رالف توشيت انتهاز مُطلق فرصة أينما وجِدَت لقضاء وقت ممتع، وما كان ليُسامح نفسه لو تُرِكَ بدون مصادقة امرأة تُعتبر سيدة الفنون الاجتماعية. كان هناك مشاعر عميقة متجذّرة من الانسجام وعكسه، وربما بالرغم من الانصاف المُدبّر الذي كان يُصبغه عليها، فإن غيابها من منزل والدته ما كان جعل الحياة عقيمة وفارغة بالنسبة له. ولكن رالف توشيت تعلّم بشكل مُبهم إلى حد ما، بضرورة حضوره، وربما لم يكن هناك أي شيء بهذا القدر من (مؤازرة) حضوره كمشاهدة أداء مدام ميرل العام. تَذَوّقها برشفات، سمح لها بالصمود، بانتهازية هي نفسها ما كان باستطاعتها تجاوزها. كان هناك لحظات يشعر فيها بشيء من الشفقة عليها، والغريب أن اظهاره لتعاطفه معها كان يبدو في أدنى درجاته في تلك اللحظات بالذات. كان واثقاً أنها طموحة جداً، وأن ما حققته ظاهرياً كان أدنى بكثير من مقياسها السرّي. عكفت على التدرّب بشكل مثالي للغاية، الا أنها لم تحصد أي من الجوائز. كان دائما يُشار اليها على أنها مدام ميرل البسيطة، أرملة تاجر سويسري، ذات دخل متواضع والعديد من المعارف، اجتماعية إلى حدٍ كبير وموضع (اعجاب) بقدر ما يستأثر من اعجاب كتاب جديد يدور حول الشائعات المثيرة. التباين بين هذا الموقف وموقف العشرات الذين تصوّر أنهم في أوقات مختلفة أثاروا آمالها كان يحمل في طياته عنصراً مأساوياً. كانت والدته تعتبر أن انسجامه رائع مع ضيفتهما المُبدعة، فبالنسبة لادراك السيدة توشيت الحسّي، فان شخصين يتعاملان بهذا المدى

"I suppose you mean by that that she's worldly?"

"Worldly? No," said Ralph, "she's the great round world itself!"

It had certainly not, as Isabel for the moment took it into her head to believe, been a refinement of malice in him to say that he delighted in Madame Merle. Ralph Touchett took his refreshment wherever he could find it, and he would not have forgotten himself if he had been left wholly unbeguiled by such a mistress of the social art. There are deep-lying sympathies and antipathies, and it may have been that, in spite of the administered justice she enjoyed at his hands, her absence from his mother's house would not have made life barren to him. But Ralph Touchett had learned more or less inscrutably to attend, and there could have been nothing so "sustained" to attend to as the general performance of Madame Merle. He tasted her in sips, he let her stand, with an opportuneness she herself could not have surpassed. There were moments when he felt almost sorry for her; and these, oddly enough, were the moments when his kindness was least demonstrative. He was sure she had been yearningly ambitious and that what she had visibly accomplished was far below her secret measure. She had got herself into perfect training, but had won none of the prizes. She was always plain Madame Merle, the widow of a Swiss negociant, with a small income and a large acquaintance, who stayed with people a great deal and was almost as universally "liked" as some new volume of smooth twaddle. The contrast between this position and any one of some

half-dozen others that he supposed to have at various moments engaged her hope had an element of the tragical. His mother thought he got on beautifully with their genial guest; to Mrs. Touchett's sense two persons who dealt so largely in too-ingenious theories of conduct- that is of their own–would have much in common. He had given due consideration to Isabel's intimacy with her eminent friend, having long since made up his mind that he could not, without opposition, keep his cousin to himself; and he made the best of it, as he had done of worse things. He believed it would take care of itself; it wouldn't last forever. Neither of these two superior persons knew the other as well as she supposed, and when each had made an important discovery or two there would be, if not a rupture, at least a relaxation. Meanwhile he was quite willing to admit that the conversation of the elder lady was an advantage to the younger, who had a great deal to learn and would doubtless learn it better from Madame Merle than from some other instructors of the young. It was not probable that Isabel would be injured.

الواسع من مفاهيم السلوك المُبدعة ـ كل بمفاهيمه الخاصة به ـ لا بد وأن يكون لديهما الكثير من القواسم المشتركة. لقد فكّر مليّاً بصداقة إيزابيل القوية مع صديقتها المتفوّقة، بعدما توصّل منذ فترة طويلة إلى نتيجة مفادها أنه لا يمكنه الاحتفاظ بابنة خالته لنفسه؛ وحاول الاستفادة قدر المستطاع من هذا الوضع، كما سبق له التعامل مع أمور أسوأ. كان واثقاً أن ذلك الوضع سيُحَل من تلقاء نفسه؛ وأنه لن يستمر إلى الأبد. لم يكن أي من هذين الشخصين المتفوقين يعرف شخصية الآخر بالقدر الذي تصوّرته، وحين كان أي منهما يكتشف أمراً هاماً، كان يحصل اذا لم يتمّ قطع لعلاقتهما، فعلى الأقل ارتخاء وتباعد في تلك العلاقات. كان في غضون ذلك على استعداد تام للاعتراف أن لحديث السيدة الأكبر فائدة كبيرة للسيدة الأصغر، التي تحتاج لتعلّم الكثير من أمور الحياة، ولا شك ستتعلّمها بشكل أفضل على يديّ مدام ميرل بدلاً من أي من المعلّمين الآخرين الأخصائيين بتعليم الناشئة. لم يكن من المحتمل تأذّي إيزابيل من ذلك.

Chapter Twenty Four

It would certainly have been hard to see what injury could arise to her from the visit she presently paid to Mr. Osmond's hill-top. Nothing could have been more charming than this occasion–a soft afternoon in the full maturity of the Tuscan spring. The companions drove out of the Roman Gate, beneath the enormous blank superstructure which crowns the fine clear arch of that portal and makes it nakedly impressive, and wound between high-walled lanes into which the wealth of blossoming orchards overdrooped and flung a fragrance, until they reached the small superurban piazza, of crooked shape, where the long brown wall of the villa occupied in part by Mr. Osmond formed a principal, or at least a very imposing, object. Isabel went with her friend through a wide, high court, where a clear shadow rested below and a pair of light-arched galleries, facing each other above, caught the upper sunshine upon their slim columns and the flowering plants in which they were dressed. There was something grave and strong in the place; it looked somehow as if, once you were in, you would need an act of energy to get out. For Isabel, however, there was of course as yet no thought of getting out, but only of advancing. Mr. Osmond met her in the cold ante-chamber–it was cold even in the month of May–and ushered her, with her conductress, into the apartment to which we have already been introduced. Madame Merle was in front, and while Isabel lingered a little, talking with him, she went forward familiarly and greeted two persons who were seated in the saloon. One of these was little Pansy, on whom she bestowed a kiss; the other was a lady whom Mr. Osmond indicated to

الفصل الرابع والعشرون

مما لا ريب فيه كان يصعب رؤية الضرر الذي يمكن أن يلحق بها من الزيارة التي قامت بها لاحقاً للمنزل الكائن في أعلى الهضبة. بالواقع لم يكن هناك شيء يمكنه مُضاهاة سحر تلك المناسبة ـ بعد ظهر أحد أيام فصل الربيع في توسكانيا. انطلق الرفاق من البوابة الرومانية، تحت المبنى الضخم الشاحب، شاقين طريقهم الملتوي بين الممرّات الجدارية العالية حيث بساتين الفاكهة المثمرة المُفرطة في التدلّي بعبيرها الذي يملأ المكان، حتى وصلوا إلى الساحة المصقولة ذات الشكل الملتوي، حيث كان السيد أوزموند يُشغل جدار الدارة الطويل البُنّي اللون، الذي اذا لم يُشكّل شيئاً رئيسياً فيه، كان على الأقل شيئاً بالغ المَهابة. دخلت إيزابيل برفقة صديقتها عبر فِناء عالٍ وعريض، استراح على أرضه ظل صافٍ، وانتصبت على جانبيه في الأعلى صالتي عرض للآثار الفنية متواجهتين، انعكست أشعة الشمس على قواعدهما الدقيقة والنباتات المُزهرة التي تُزيّنهما. كان هناك شيء قاتم وقوي مُخيّم على المكان، الذي ما إن تدخل اليه، حتى تشعر وكأنك تحتاج إلى طاقة كبيرة لمغادرته. ولكن بالنسبة لايزابيل، طبعاً لم يكن هناك حتى الآن أي دافع يحثّها على المغادرة، بل جاذب يدفعها للسير قُدماً إلى الأمام. استقبلها السيد أوزموند في الغرفة الجانبية الباردة ـ كانت باردة حتى في شهر أيار، وأرشدها هي ودليلتها، إلى داخل الشقة التي جرى تعريفنا عليها. كانت مدام ميرل في المقدمة، وبينما تباطأت إيزابيل للتحدث قليلا معه، تابعت الأولى سيرها بدون تكلّف وسلّمت على شخصين جالسين في الصالون. كان أحدهما الصغيرة بانسي، التي قبّلتها؛ وكان الشخص الآخر سيدة قدّمها السيد أوزموند على

أنها شقيقته، الكونتيسة جيميني.

قال: "وهذه ابنتي الصغيرة، التي أنهت للتوّ دراستها في الدير."

كانت بانسي مرتدية فستاناً أبيض زهيد الثمن، وخصلات شعرها الأشقر مُسرّحة على شكل شبكة، و مُنتعلة صندلاً صغيراً مربوطاً بشريط صغير حول كاحليها. انحنت انحناءة رهبانية صغيرة لايزابيل ومن ثم اقتربت منها ليتم تقبيلها. اكتفت الكونتيسة جيميني بأن أومأت برأسها بدون النهوض من مكانها؛ كان واضحاً لايزابيل أنها امرأة تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية العليا. كانت نحيفة، داكنة البشرة وأبعد ما تكون عن الجمال، بقسمات وجهها الموحية بأحد الطيور الاستوائية - أنف طويل مُستَدق الطرف شبيه بالمنقار، وعينان صغيرتان سريعتان لا تهدآن، وفم، وذقن مُرتدّان بإفراط إلى الوراء. ولكن تعابيرها، بفضل جِدّية توكيدها لمشاعر التعجّب والبهجة المتنوّعة، لم تكن غير انسانية؛ وفي ما يتعلق بمظهرها الخارجي، فقد كان واضحاً أنها مُدركة لوضعها وتعمد للاستفادة القصوى من حَسناتها. اتسمت ملابسها الفضفاضة والمُبهرجة، بأناقة مفرطة من الريش الطائر، وكانت مواقفها خفيفة وفجائية كمواقف كائن جاثم فوق غصن صغير. كانت شديدة التصنّع؛ وعلى الفور صنّفتها إيزابيل التي لم يسبق لها التعرّف بشخص على هذا القدر من التصنّع، على أنها أكثر النساء تكلّفاً. تذكّرت نصيحة رالف لها بعدم التقرّب منها ومصادقتها؛ ولكنها كانت على استعداد للاعتراف بأن الكونتيسة جيميني ظاهرياً لا تشكّل خطراً داهماً. كانت تصرفاتها أشبه بتلويح عنيف لراية من الحرير الأبيض خفّاقة بهُدنة عامة.

تابعت تقول موجّهة حديثها لايزابيل: "أتصدقين حين أقول لك أنني

Isabel as his sister, the Countess Gemini.

"And that's my little girl," he said, "who has just come out of her convent."

Pansy had on a scant white dress, and her fair hair was neatly arranged in a net; she wore her small shoes tied sandal-fashion about her ankles. She made Isabel a little conventual curtsey and then came to be kissed. The Countess Gemini simply nodded without getting up: Isabel could see she was a woman of high fashion. She was thin and dark and not at all pretty, having features that suggested some tropical bird–a long beak-like nose, small, quickly-moving eyes and a mouth and chin that receded extremely. Her expression, however, thanks to various intensities of emphasis and wonder, of horror and joy, was not inhuman, and, as regards her appearance, it was plain she understood herself and made the most of her points. Her attire, voluminous and delicate, bristling with elegance, had the look of shimmering plumage, and her attitudes were as light and sudden as those of a creature who perched upon twigs. She had a great deal of manner; Isabel, who had never known any one with so much manner, immediately classed her as the most affected of women. She remembered that Ralph had not recommended her as an acquaintance; but she was ready to acknowledge that to a casual view the Countess Gemini revealed no depths. Her demonstrations suggested the violent waving of some flag of general truce–white silk with fluttering streamers.

"You'll believe I'm glad to see you when I tell you it's only

سعيدة برؤيتك اذا أخبرتكِ أن سبب مجيئي إلى هنا هو معرفتي بوجودك هنا. أنا لا آتي لرؤية شقيقي، بل أجعله هو يأتي لرؤيتي. هضبته هذه مهمة مستحيلة ـ لا أفهم ما يتملّكه. فعلا، يا أوزموند ستتسبب ذات يوم بالقضاء على جيادي، وفي حال حصول ذلك، سأجعلك تُعطيني جياداً بدلاً منها. سمعتها تَصفر اليوم؛ أؤكّد لك ذلك. انه لأمر مزعج جداً سماع المرء جياده تَصفر وهو جالس في عربته؛ بدت أيضاً وكأنها غير ما يجب أن تكون عليه. ولكن دائماً كان لديّ جياد جيدة؛ فمهما افتقرتُ لأمور أخرى، كنتُ دائما أتدبّر أمر امتلاكي جياد جيدة. معلومات زوجي محدودة، ولكن أظن أنه يعرف الجواد الجيد. الايطاليون بشكل عام، لا يفقهون الكثير عن الجياد، ولكن زوجي، بقدراته الضعيفة، مُعجب بكل ما هو انجليزي المنشأ. جيادي انجليزية، ما يعني خسارة مزدوجة اذا ما فقدتها. أوزموند ذاك ضنين عليّ بدعوتي إلى منزله؛ لا أظنه يرّحب بحضوري. جئتُ إلى هنا اليوم من تلقاء نفسي. أحب رؤية أناس جُدد، وانني على ثقة بأنكِ جديدة جدا. ولكن لا تجلسي هناك، فذلك الكرسي غير ما يبدو عليه. توجد مقاعد ممتازة هنا، ولكن يوجد بعض الأثاث القبيح أيضاً. "

ألقيت هذه التعليقات بسلسلة متعاقبة من الارتعاشات والتذمّرات الصغيرة، ومن الصياح الحادّ السريع التعاقب، وبلكنة هي مزيج من الانجليزية والأميركية الجيدة.

قال شقيقها: "لا أرحّب بحضوركِ، يا عزيزتي؟ أؤكدلك أنكِ غالية جداً. "

أجابت إيزابيل ، وهي تنظر حولها: "لا أجد أثراً لأثاث قبيح، فكل شيء يبدو لي جميلاً وثميناً. قال السيد أوزموند: " لديّ بعض الأشياء

because I knew you were to be here that I came myself. I don't come and see my brother–I make him come and see me. This hill of his is impossible–I don't see what possesses him. Really, Osmond, you'll be the ruin of my horses some day, and if it hurts them you'll have to give me another pair. I heard them wheezing to-day; I assure you I did. It's very disagreeable to hear one's horses wheezing when one's sitting in the carriage; it sounds too as if they weren't what they should be. But I've always had good horses; whatever else I may have lacked I've always managed that. My husband doesn't know much, but I think he knows a horse. In general Italians don't, but my husband goes in, according to his poor light, for everything English. My horses are English–so it's all the greater pity they should be ruined. I must tell you," she went on, directly addressing Isabel, "that Osmond doesn't often invite me; I don't think he likes to have me. It was quite my own idea, coming to-day. I like to see new people, and I'm sure you're very new. But don't sit there; that chair's not what it looks. There are some very good seats here, but there are also some horrors."

These remarks were delivered with a series of little jerks and pecks, of roulades of shrillness, and in an accent that was as some fond recall of good English, or rather of good American, in adversity.

"I don't like to have you, my dear?" said her brother. "I'm sure you're invaluable."

"I don't see any horrors anywhere," Isabel returned, looking about her. "Everything seems to me beautiful and precious."

الجيدة. بالواقع، لا أملك أيّة قطعة قبيحة، الا أنني لا أملك ما أرغب حقا بامتلاكه."

وقف هناك مُربَك بعض الشيء، يبتسم وينظر حوله؛ كان تصرّفه مزيجاً من التجرّد والتورّط. بدا وكأنه يُلمّح ألا شيء ذو قيمة سوى "القِيَم" الصحيحة. كوّنت إيزابيل حُكماً سريعاً مفاده: البساطة المثالية ليست شارة أسرته. حتى الفتاة الصغيرة القادمة من الدير، بفستانها الأبيض المُتزمّت، ووجهها الصغير الخنوع ويداها المُتشابكتان أمامها، وقفت هناك وكأنها على أهبة المشاركة بعشائها الربّاني الأوّل.

قالت مدام ميرل: "كنتِ فضّلتِ وجود بعض القطع الفنية من أوفيزي وبيتي - هذا ما كنتِ تُفضّلينه."

صاحت الكونتيسة جيميني: "مسكين أوزموند، بستائره وصلبانه القديمة!" بدت أنها لا تدعو شقيقها سوى باسم شهرته. لم يكن لهتافها ذاك أي هدف مُحدّد؛ ابتسمت لايزابيل لدى اطلاقها صيحتها وهي ترمقها من رأسها حتى أخمص قدميها.

لم يسمعها شقيقها؛ بدا وكأنه يفكّر بما يمكنه التحدّث به مع إيزابيل. علّق قائلاً أخيراً بعد تفكير قصير: "أترغبين بتناول بعض الشاي؟ - لا بد وأنكِ مرهقة جدا."

"لا أبداً، لستُ مرهقة أبداً؛ ما الذي فعلته لأشعر بالارهاق؟" شعرت إيزابيل بحاجة ربما للتحدّث معه بشكل مباشر، لعدم التظاهر بشيء؛ كان هناك شيء مخيم على الجو، وفي الانطباعات العامة للأمور - بالكاد كان بإمكانها تحديده - هذا ما حرمها من أية رغبة للتحدّث بطلاقة وحرية. اتّسم

"I've a few good things," Mr. Osmond allowed; "indeed I've nothing very bad. But I've not what I should have liked."

He stood there a little awkwardly, smiling and glancing about; his manner was an odd mixture of the detached and the involved. He seemed to hint that nothing but the right "values" was of any consequence. Isabel made a rapid induction: perfect simplicity was not the badge of his family. Even the little girl from the convent, who, in her prim white dress, with her small submissive face and her hands locked before her, stood there as if she were about to partake of her first communion, even Mr. Osmond's diminutive daughter had a kind of finish that was not entirely artless.

"You'd have liked a few things from the Uffizi and the Pitti–that's what you'd have liked," said Madame Merle.

"Poor Osmond, with his old curtains and crucifixes!" the Countess Gemini exclaimed: she appeared to call her brother only by his family-name. Her ejaculation had no particular object; she smiled at Isabel as she made it and looked at her from head to foot.

Her brother had not heard her; he seemed to be thinking what he could say to Isabel:

"Won't you have some tea?–you must be very tired," he at last bethought himself of remarking.

"No, indeed, I'm not tired; what have I done to tire me?" Isabel felt a certain need of being very direct, of pretending to nothing; there was something in the air, in her general impression of things- she could hardly have said what it was– that deprived her of all disposition to put herself forward. The

المكان، والمناسبة وتركيبة الأشخاص الموجودين بمعاني أكثر مما كان يبدو ظاهرياً؛ ستحاول فهمها وسبر غورها ـ لن تكتفي بمجرّد التفوّه بتفاهات لبقة. مما لا شك فيه أن المسكينة إيزابيل كانت تجهل أن العديد من النساء كنّ عمدن للاستعانة بالتفاهات اللبقة لاخفاء عملية مراقبتهن. لا بد من الاعتراف أن غرورها أثير بعض الشيء. فها هو رجل سمعت عنه ما يثير الاعجاب وعلى ما يبدو بارع في الظهور بشكل مُتميّز، قد وجّه لها، هي الفتاة الشابة الضنيّة بالتعبير عن اعجابها، دعوة لزيارة منزله. الآن وقد فعلت ذلك، فقد انتقل بشكل طبيعي عبء الضيافة وتوفير التسليه لظرفه وفطنته. لا يمكننا اعتبار إيزابيل أقل يقظة، في هذه الفترة، ولا يمكننا اعتبار تصرّفها أكثر تسامحاً وتساهلاً، بملاحظتها أن السيد أوزموند تحمّل عبئه بشكل أقل رغبة في الارضاء مما كان يمكن توقّعه. "يا لي من مُغفّل للسماح لنفسي بدون داعٍ على الاطلاق كي ...!" كان يمكنها تخيّله يصيح متبرّماً بينه وبين نفسه.

"ستشعرين بالارهاق حين تعودين للمنزل، اذا عرض عليك الجميع تحفه الفنية، وردّد على مسامعك محاضرة عن كل واحدة منها." قالت الكونتيسة جيميني.

"لا أخشى ذلك الأمر؛ ولكنني اذا ما شعرتُ بالارهاق أكون على الأقل قد تعلّمتُ شيئاً جديدا."

قال السيد أوزموند: "أخشى أن يكون ذلك قليل جداً، ولكن شقيقتي تخاف بشكل بغيض تعلّم أي شيء."

"أوه، أعترف بذلك؛ لا أرغب بتعلّم المزيد على الاطلاق ـ معرفتي واسعة وشاملة كما هي. فكلما تعلّمتَ كلما ازدادت تعاستكَ."

تدخّلت مدام ميرل في الحديث الدائر قائلة وهي تبتسم: "يجب

place, the occasion, the combination of people, signified more than lay on the surface; she would try to understand–she would not simply utter graceful platitudes. Poor Isabel was doubtless not aware that many women would have uttered graceful platitudes to cover the working of their observation. It must be confessed that her pride was a trifle alarmed. A man she had heard spoken of in terms that excited interest and who was evidently capable of distinguishing himself, had invited her, a young lady not lavish of her favours, to come to his house. Now that she had done so the burden of the entertainment rested naturally on his wit. Isabel was not rendered less observant, and for the moment, we judge, she was not rendered more indulgent, by perceiving that Mr. Osmond carried his burden less complacently than might have been expected. "What a fool I was to have let myself so needlessly in-!" she could fancy his exclaiming to himself.

"You'll be tired when you go home, if he shows you all his bibelots and gives you a lecture on each," said the Countess Gemini.

"I'm not afraid of that; but if I'm tired I shall at least have learned something."

"Very little, I suspect. But my sister's dreadfully afraid of learning anything," said Mr. Osmond.

"Oh, I confess to that; I don't want to know anything more–I know too much already. The more you know the more unhappy you are."

"You should not undervalue knowledge before Pansy,

عليك عدم التقليل من أهمية التعلّم على مسمع من بانسي، التي لم تُنهِ تعليمها بعد."

قال والدها: "لن تتعلّم بانسي أي شيء يمكنه أذيتها، بانسي هي زهرة الدير الصغيرة."

صاحت الكونتيسة برفرفة من كشاكشها: "أوه، الأديرة، الأديرة! حدّثني عن الأديرة!"

تابعت تقول، مُستغيثة بايزابيل: "يمكنك تعلّم أي شيء هناك؛ انني زهرة دير كذلك. لا أدّعي أنني انسانة مثالية، ولكن الراهبات يعتقدنَ ذلك. أتفهمين ما أقصده؟"

لم تكنِ إيزابيل واثقة من أنها فهمت ما تقصده الكونتيسة، وأجابت أنها لا تُحسن أبداً متابعة الأحاديث الجَدلية. أعلنت الكونتيسة عندها، أنها هي شخصيا تمقت الجَدل، ولكن هذا ما يعشقه شقيقها فهو في جدل دائم لا ينتهي. "بالنسبة لي، على المرء الاعجاب بأمر ما أو عدم الاعجاب به؛ طبعاً، يستحيل على المرء الاعجاب بكل شيء. ولكن يجب على المرء عدم محاولة الاقناع بالحجّة والمنطق ـ فلا يمكنك معرفة إلى أين يمكن أن يؤدي بكِ هكذا أسلوب. هناك بعض الأحاسيس الرائعة يمكن أن تكون ناتجة عن أسباب سيئة، ألا تعلمين هذا؟ وكذلك هناك أحاسيس سيئة جداً، تكون أحياناً، ناتجة عن أسباب وجيهة جداً. ألا ترين ما أقصده؟ لا أكترث البته بالأسباب والمبرّرات، ولكنني أعرف تماماً ما أحب."

"آه، هذا هو الأمر الرائع." قالت ذلك إيزابيل، مبتسمة وقد خامرها شعور أن هذه الشخصية المرفرفة لا يمكنها توفير السكون الفكري. اذا عارضت الكونتيسة الدخول في جَدل، فايزابيل في تلك اللحظة كانت تجاريها في موقفها، ومدّت يدها لبانسي، بإحساس أن

who has not finished her education," Madame Merle interposed with a smile.

"Pansy will never know any harm," said the child's father. "Pansy's a little convent-flower."

"Oh, the convents, the convents!" cried the Countess with a flutter of her ruffles. "Speak to me of the convents! You may learn anything there; I'm a convent-flower myself. I don't pretend to be good, but the nuns do. Don't you see what I mean?" she went on, appealing to Isabel.

Isabel was not sure she saw, and she answered that she was very bad at following arguments. The Countess then declared that she herself detested arguments, but that this was her brother's taste- he would always discuss. "For me," she said, "one should like a thing or one shouldn't; one can't like everything, of course. But one shouldn't attempt to reason it out–you never know where it may lead you. There are some very good feelings that may have bad reasons, don't you know? And then there are very bad feelings, sometimes, that have good reasons. Don't you see what I mean? I don't care anything about reasons, but I know what I like."

"Ah, that's the great thing," said Isabel, smiling and suspecting that her acquaintance with this lightly-flitting personage would not lead to intellectual repose. If the Countess objected to argument Isabel at this moment had as little taste for it, and she put out her hand to Pansy with a

هكذا حركة لن تُلزمها بأي شيء يمكنه الاشارة لاختلاف في وجهات النظر. اتخذ جلبرت أوزموند بشكل واضح، موقفاً يائساً من تصرّف شقيقته؛ وعمد بالتالي للانتقال بالحديث إلى موضوع آخر. أسرع بالجلوس عند الجانب الآخر حيث كانت جالسة ابنته، التي تلمّست بخجل أصابع يدا إيزابيل ؛ ولكنه انتهى بحثّها على النهوض من كرسيها والوقوف بين ركبتيه، متكئة عليه وهو يغمرها بين ذراعيه. حدّقت الطفلة بإيزابيل بنظرة ساكنة لامبالية بدت غير مُتعمّدة، الا أنها في الوقت ذاته مُدركة لوجود جاذبية. تحدّث السيد أوزموند في مواضيع عدّة؛ قالت مدام ميرل أنه بإمكانه إثارة الاعجاب حين يرغب في ذلك، وبدا اليوم بعد فترة وجيزة، ليس راغباً في ذلك فحسب، بل مُصمّماً عليه. جلست مدام ميرل والكونتيسة جيمني بعيداً بعض الشيء، وأخذتا تتحدثان بالأسلوب السهل الذي يتبعه الأشخاص الذين تجمعهم معرفة قوية بما يكفي لتجاذب أطراف حديث سلِس. تحدّث السيد أوزموند عن فلورنسا، وايطاليا، ومُتعة العيش في تلك البلاد وعن خمود تلك المتعة. كان هناك مزيج من الرضا والعوائق؛ والعوائق عديدة؛ فالغرباء شديدو الميل لرؤية هكذا عالم وكأنه كله رومانسية. انه يفي بالمرام بشكل مُلطّف بالنسبة للانسان، بالنسبة للفشل الاجتماعي - يقصد بذلك الأشخاص الذين فشلوا في تحقيق "الادراك"، كما يقولون هم أنفسهم، بسبب رقّة شعورهم: يمكنهم الاحتفاظ بمشاعرهم هناك، وسط فقرهم، بدون اثارة السخرية، أشبه باحتفاظك بشيء ذو قيمة يورثه جيل إلى جيل أو كمِلك موقوف مثير للازعاج لا يدرّ عليك أي ربح على الاطلاق. اذن هناك حسنات في العيش بالبلد المحتوي على

pleasant sense that such a gesture committed her to nothing that would admit of a divergence of views. Gilbert Osmond apparently took a rather hopeless view of his sister's tone; he turned the conversation to another topic. He presently sat down on the other side of his daughter, who had shyly brushed Isabel's fingers with her own; but he ended by drawing her out of her chair and making her stand between his knees, leaning against him while he passed his arm round her slimness. The child fixed her eyes on Isabel with a still, disinterested gaze which seemed void of an intention, yet conscious of an attraction. Mr. Osmond talked of many things; Madame Merle had said he could be agreeable when he chose, and to-day, after a little, he appeared not only to have chosen but to have determined. Madame Merle and the Countess Gemini sat a little apart, conversing in the effortless manner of persons who knew each other well enough to take their ease; but every now and then Isabel heard the Countess, at something said by her companion, plunge into the latter's lucidity as a poodle splashes after a thrown stick. It was as if Madame Merle were seeing how far she would go. Mr. Osmond talked of Florence, of Italy, of the pleasure of living in that country and of the abatements to the pleasure. There were both satisfactions and drawbacks; the drawbacks were numerous; strangers were too apt to see such a world as all romantic. It met the case soothingly for the human, for the social failure–by which he meant the people who couldn't "realize," as they said, on their sensibility: they could keep it about them there, in their poverty, without ridicule, as you might keep an heirloom or an inconvenient entailed place that brought you in nothing. Thus there were advantages in living in the country which contained

the greatest sum of beauty. Certain impressions you could get only there. Others, favourable to life, you never got, and you got some that were very bad. But from time to time you got one of a quality that made up for everything. Italy, all the same, had spoiled a great many people; he was even fatuous enough to believe at times that he himself might have been a better man if he had spent less of his life there. It made one idle and dilettantish and second-rate; it had no discipline for the character, didn't cultivate in you, otherwise expressed, the successful social and other "cheek" that flourished in Paris and London.

"We're sweetly provincial," said Mr. Osmond, "and I'm perfectly aware that I myself am as rusty as a key that has no lock to fit it. It polishes me up a little to talk with you–not that I venture to pretend I can turn that very complicated lock I suspect your intellect of being! But you'll be going away before I've seen you three times, and I shall perhaps never see you after that. That's what it is to live in a country that people come to. When they're disagreeable here it's bad enough; when they're agreeable it's still worse. As soon as you like them they're off again! I've been deceived too often; I've ceased to form attachments, to permit myself to feel attractions. You mean to stay–to settle? That would be really comfortable. Ah yes, your aunt's a sort of guarantee; I believe she may be depended on. Oh, she's an old Florentine; I mean literally an old one; not a modern outsider. She's a contemporary of the Medici; she must have been present at the burning of Savonarola, and I'm not sure she didn't throw a handful of chips into the flame. Her face is very much like some faces

أكبر مجموعة من الجمال. هناك بعض الانطباعات لا يمكنك الحصول عليها الا هناك. يجعل ذلك المكان من الانسان شخصاً كسولاً، مُحباً للفنون ورديئاً؛ يفتقر لانضباط الشخصية، لا يصقل لديك، ما أجمع التعبير عنه بعبارة الاجتماعي الناجح وادارة "الخدّ" الآخر، وهو السلوك المزدهر في باريس ولندن.

"اننا ريفيون بشكل عذب، أدرك تماماً بأنني صدِئ كمفتاح بدون قفل ملائم له. التحدّث معك يصقل سلوكي بعض الشيء - لا أقصد بذلك أنني أتجرأ على التظاهر بقدرتي على إدارة ذلك القفل المعقّد جداً الذي يخامرني شعور بأنه ذهنك وذكائك! ولكنك سترحلين قبل أن يتسنّى لي رؤيتك في ثلاث مناسبات، وربما لن أراكِ أبداً بعد ذلك. هذا هو وضع العيش في بلاد يأتي اليها الآخرون. تشعرين بالامتعاض حين يكون الآخرون مزعجون، ولكنك تشعرين بما هو أسوأ بكثير حين يكون الآخرون لطفاء وساحرون. ما إن تبدأي بالاعجاب بهم حتى يرحلون ثانية! لقد خُدعت كثيراً؛ وقررت عدم تكوين أية علاقات، عدم السماح لنفسي بالشعور بالاعجاب. أتقصدين القول بأنك - قررت الاستقرار هنا؟ ذلك سيكون فعلاً وضعاً مريحاً. أوه نعم، يمكن لخالتك أن تكون نوعا من الضمانة؛ أظن يمكن الاعتماد عليها. أوه، انها من سكان فلورنسا القدماء؛ أقصد ذلك حرفياً؛ فهي ليست دخيلة عصرية. انها معاصرة لأسرة ميديتشي، ولا بد أنها شهدت احراق سفونارولا. ولستُ متأكداً ما اذا ساهمت في رمي حفنة من العيدان في اللهب. وجهها يُشبه إلى حد بعيد بعض الوجوه في الصور الأولى؛ وجوه صغيرة، جافّة لا بد اختبرت إلى حدٍ كبير التعابير الوجهية، الا أنها تكاد تكون جميعها في معظم الأحيان

تعبيراً واحداً لا غير. بالواقع يمكنك رؤية صورة وجهها في لوحة غيرلاندايو الجصّية. آمل ألا تُمانعي اذا ما تحدّثتُ عن خالتك على هذا النحو، ايه؟ ساورني شعور أنك لن تفعلي. ربما تظنين أن هذا أسوأ. أؤكّد لك لم أتعمّد في الحالتين التقليل من احترامي لأي منكما. أتعلمين أنني مُعجب نيّق بالسيدة توشيت.»

بينما كان مُضيف إيزابيل يُجهد نفسه في اكرام وفادتها بهذا الأسلوب شبه الحميمي، كانت تنظر بين الحين والآخر إلى مدام ميرل، التي بادلتها نظرتها بابتسامة غافلة، كانت في هذه المناسبة خالية من الالفة والحميمية المتعارضة مع ابراز مزايا بطلتنا. اقترحت مدام ميرل لاحقاً على الكونتيسة جيميني الخروج إلى الحديقة، واندفعت الأخيرة نحو الباب وهي تنهض من مكانها وتهز بريشها. صاحت الكونتيسة وهي تُلقي نظرة فاحصة على المجموعة الأخرى بشفقة مُعبّرة: «مسكينة الآنسة أرتشير! لقد أصبحت فعلاً في أسرتنا.»

قال السيد أوزموند، بابتسامة بالرغم من اتسامها بمسحة من السخرية، لم تخلُ من التبرّم وضيق الصدر: «من المؤكّد أنه لا يمكن للآنسة آرتشير سوى الشعور بالانسجام والتعاطف مع أسرة تنتمين أنتِ اليها.»

قالت الكونتيسة: «لا أفهم ما تقصده بقولك هذا! انني واثقة أنها لن تجد أي ضرر فيَّ سوى ما تُخبرها أنتَ عني.»

تابعت الكونتيسة قائلة: «انني أفضل مما يقوله عني، يا آنسة أرتشير. انني مملّة وغبيّة، هل هذا كل ما قاله عني؟ أوه، حسناً، احرصي على ابقائه في مزاجه المرح. هل بدأ بمناقشة أحد مواضيعه المفضلة. أحذّركِ أن لديه موضوعين أو ثلاثة لا يملّ أبداً من التحدث عنها إلى ما لانهاية.

in the early pictures; little, dry, definite faces that must have had a good deal of expression, but almost always the same one. Indeed I can show you her portrait in a fresco of Ghirlandaio's. I hope you don't object to my speaking that way of your aunt, eh? I've an idea you don't. Perhaps you think that's even worse. I assure you there's no want of respect in it, to either of you. You know I'm a particular admirer of Mrs. Touchett."

While Isabel's host exerted himself to entertain her in this somewhat confidential fashion she looked occasionally at Madame Merle, who met her eyes with an inattentive smile in which, on this occasion, there was no infelicitous intimation that our heroine appeared to advantage. Madame Merle eventually proposed to the Countess Gemini that they should go into the garden, and the Countess, rising and shaking out her feathers, began to rustle toward the door. "Poor Miss Archer!" she exclaimed, surveying the other group with expressive compassion. "She has been brought quite into the family."

"Miss Archer can certainly have nothing but sympathy for a family to which you belong," Mr. Osmond answered, with a laugh which, though it had something of a mocking ring, had also a finer patience.

"I don't know what you mean by that! I'm sure she'll see no harm in me but what you tell her. I'm better than he says, Miss Archer," the Countess went on. "I'm only rather an idiot and a bore. Is that all he has said? Ah then, you keep him in good-humour. Has he opened on one of his favourite subjects?

الأفضل لكِ في هذه الحالة نزع قلنسوتكِ. "

قالت إيزابيل، وهي تنهض من مكانها: "لا أظن أنني أعرف ما هي مواضيع السيد أوزموند المفضّلة."

انتحلت الكونتيسة للحظة موقفاً جسمانياً يدلّ على التفكير العميق، بضغطها أصابع احدى يديها على جبهتها. "سأخبرك بها في الحال. مكيافيلي هو الموضوع الأوّل، يليه فيتوريا كولونا ومن ثمّ ميتاستاسيو."

قالت مدام ميرل، وهي تشبك ذراعها بذراع الكونتيسة جيميني وكأنها تدفعها باتجاه الحديقة: "أوه، بالنسبة لي السيد أوزموند أبعد ما يكون عن شخص مُتعمّق إلى هذه الدرجة في القصص التاريخية."

أجابت الكونتيسة وهما تبتعدان: "أوه أنتِ، أنتِ نفسكِ تُجسّدين مكيافيلي - أنتِ نفسكِ تُجسّدين فيتوريا كولونا!"

قال جلبرت أوزموند بتنهيدة يائسة: "سنسمع ثانية أن مدام ميرل المسكينة تُجسّد ميتاستاسيو!"

نهضت إيزابيل من مكانها مفترضة خروجهما أيضاً إلى الحديقة، ولكن مُضيفها وقف هناك بدون أن يظهر عليه أية رغبة في مغادرة الغرفة، مُقحماً يداه داخل جيوب سترته، وابنته التي كانت الآن قد شبكت يدها بيده، مُتشبّثة به تنظر اليه وعيناها تنتقلان من وجهه إلى وجه إيزابيل. انتظرت إيزابيل برضا صامت، كي يُصار إلى توجيه تحركاتها؛ أعجِبَت بحديث السيد أوزموند، ورفقته: كان لديها ما كان دائماً يُثير حماسها الخفي، احساسها بالتعرّف على شخص جديد. شاهدت عبر أبواب الغرفة الكبيرة المُشرّعة، مدام ميرل والكونتيسة وهما تتجوّلان عبر عشب الحديقة الجميل؛ ومن ثمّ استدارت وطافت عيناها على الأشياء المبعثرة من

I give you notice that there are two or three that he treats a fond. In that case you had better take off your bonnet."

"I don't think I know what Mr. Osmond's favourite subjects are," said Isabel, who had risen to her feet.

The Countess assumed for an instant an attitude of intense meditation, pressing one of her hands, with the finger-tips gathered together, to her forehead. "I'll tell you in a moment. One's Machiavelli; the other's Vittoria Colonna; the next is Metastasio."

"Ah, with me," said Madame Merle, passing her arm into the Countess Gemini's as if to guide her course to the garden, "Mr. Osmond's never so historical."

"Oh you," the Countess answered as they moved away, "you yourself are Machiavelli–you yourself are Vittoria Colonna!"

"We shall hear next that poor Madame Merle is Metastasio!" Gilbert Osmond resignedly sighed.

Isabel had got up on the assumption that they too were to go into the garden; but her host stood there with no apparent inclination to leave the room, his hands in the pockets of his jacket and his daughter, who had now locked her arm into one of his own, clinging to him and looking up while her eyes moved from his own face to Isabel's. Isabel waited, with a certain unuttered contentedness, to have her movements directed; she liked Mr. Osmond's talk, his company: she had what always gave her a very private thrill, the consciousness of a new relation. Through the open doors of the great room she saw Madame Merle and the Countess stroll across the fine

حولها. كان الاتفاق أن السيد أوزموند سيعرض عليها كنوزه؛ فجميع لوحاته الفنية وخزائنه بدت وكأنها كنوز ثمينة. اقتربت إيزابيل بعد لحظة من احدى اللوحات لتراها بشكل أفضل؛ ولكن ما إن همّت للقيام بذلك، بادرها بنبرة فجائية قائلاً، "ما رأيك بشقيقتي، يا آنسة أرتشير؟"

واجهته بشيء من الدهشة. "أوه، لا تطرح عليَّ هذا السؤال ـ لم أشاهد شقيقتك سوى لفترة قصيرة جدا."

تابع يقول بابتسامته الهادئة: "نعم، صحيح أنك لم تشاهدي شقيقتي سوى لفترة قصيرة جداً؛ ولكن لا بد وأنكِ لاحظتِ عدم وجود ما يستحق مشاهدته. ما رأيك بطابع أسرتنا؟." "أرغب بمعرفة تأثيره على ذهن نقي غير مُتحيّز. أعرف ما ستقولينه ـ بالكاد تسنّى لكِ مراقبته. طبعاً، هذه مجرّد لمحة خاطفة. ولكن اذا سنحت لكِ الفرصة في المستقبل، لاحظي ذلك. أحياناً أظن أننا انتهينا إلى وضع سيء، العيش هنا بين أناس وأشياء مختلفة عنّا، دونما أية مسؤوليات أو ارتباطات، بدون وجود أي شيء يربطنا معاً أو يحافظ علينا مكوّنين أذواقا اصطناعية؛ نتزوج من أشخاص غرباء عنّا، مكوّنين روابط اصطناعية، مُتحايلين على رسالتنا الطبيعية. دعيني أضيف أنني أقول هذا قاصداً به نفسي أكثر مما أقصد التعبير عن وضع شقيقتي. انها سيدة صادقة جدا، أكثر بكثير مما يبدو عليها. انها تعيسة، بشكل عام، الا أنها ليست ذات طبيعة جدّية وبالتالي لا تميل لاظهار ذلك بشكل دراماتيكي، بل تعمد لإظهاره بقالب كوميدي ساخر. لديها زوج كريه جداً، علماً أنني أجهل ما اذا هي تحاول تحسينه. طبعاً، الزوج الكريه هو وضع في غاية الصعوبة. تُقدّم لها مدام ميرل نصائح

grass of the garden; then she turned, and her eyes wandered over the things scattered about her. The understanding had been that Mr. Osmond should show her his treasures; his pictures and cabinets all looked like treasures. Isabel after a moment went toward one of the pictures to see it better; but just as she had done so he said to her abruptly: "Miss Archer, what do you think of my sister?"

She faced him with some surprise. "Ah, don't ask me that–I've seen your sister too little."

"Yes, you've seen her very little; but you must have observed that there is not a great deal of her to see. What do you think of our family tone?" he went on with his cool smile. "I should like to know how it strikes a fresh, unprejudiced mind. I know what you're going to say–you've had almost no observation of it. Of course this is only a glimpse. But just take notice, in future, if you have a chance. I sometimes think we've got into a rather bad way, living off here among things and people not our own, without responsibilities or attachments, with nothing to hold us together or keep us up; marrying foreigners, forming artificial tastes, playing tricks with our natural mission. Let me add, though, that I say that much more for myself than for my sister. She's a very honest lady–more so than she seems. She's rather unhappy, and as she's not of a serious turn she doesn't tend to show it tragically: she shows it comically instead. She has got a horrid husband, though I'm not sure she makes the best of him. Of course, however, a horrid husband's an awkward thing. Madame Merle gives

ممتازة، ولكن الأمر أشبه بإعطاء قاموس لطفل ليتعلّم من خلاله لغة جديد. يمكنه العثور على الكلمات، ولكن لا يمكنه جمعها معاً لتكوين عبارة مفيدة. تحتاج شقيقتي إلى كتاب في قواعد اللغة، ولكنني أخشى أنها أبعد ما تكون عن القواعد. اعذريني على إزعاجك بكل هذه التفاصيل المملّة، كانت شقيقتي مُحقّة في قولها أنكِ أقحِمتِ في أسرتنا. دعيني أنزِل اللوحة التي تريدينها، تحتاجين لمزيد من النور عليها.»

أنزل اللوحة، وحملها باتجاه النافذة وسردَ بعض المعلومات المثيرة عنها. نظرت إلى الأعمال الفنية الأخرى، وقدّم لها معلومات اضافية بما يتلاءم مع فتاة شابة تقوم بزيارة اجتماعية له بعد ظهر أحد أيام الصيف. كانت لوحاته الفنية، ورسومه النافرة وجدرانياته مثيرة جداً، ولكن بعد فترة قصيرة شعرت إيزابيل بتأثيره هو الذي فاق بكثير ما شاهدته من فنون. كان مختلفاً عن معارفها كافة؛ فمعظم الأشخاص الذين تعرفهم كان بالامكان تقسيمهم إلى مجموعات عيّنية مختلفة. كان هناك استثناءً واحداً أو اثنين عن هذه القاعدة؛ فمثلا كان لا يمكنها التفكير بأية مجموعة يمكنها احتواء خالتها ليديا. كان هناك أشخاص آخرين يمكن اعتبارهم متميّزين، مثل السيد غودوود، وابن خالتها رالف، وهنريتا ستاكبول، واللورد وربرتن، ومدام ميرل. ولكن جوهرياً، حين يعمد المرء للنظر إليهم، فجميع هؤلاء الأفراد ينتمون إلى نماذج موجودة مُسبقاً في ذهنها. كانَ ذهنها خالياً من أي نموذج يتطابق مع السيد أوزموند ـ كان عيّنة مُستقلّة فريدة من نوعها. لم تكوّن جميع هذه الانطباعات خلال تلك الساعة، بل تشكّلت تدريجياً أمام ناظريها. فكّرت بينها وبين نفسها في الوقت الحاضر بأنه ربما سيتبيّن لها بأن «هذه المعرفة الجديدة» هي الأكثر تميّزاً على الاطلاق. كان لمدام ميرل ذلك البُعد النادر، ولكن يا له من قوة مؤثّرة لدى تواجده عند الرجل!

her excellent advice, but it's a good deal like giving a child a dictionary to learn a language with. He can look out the words, but he can't put them together. My sister needs a grammar, but unfortunately she's not grammatical. Pardon my troubling you with these details; my sister was very right in saying you've been taken into the family. Let me take down that picture; you want more light."

He took down the picture, carried it toward the window, related some curious facts about it. She looked at the other works of art, and he gave her such further information as might appear most acceptable to a young lady making a call on a summer afternoon. His pictures, his medallions and tapestries were interesting; but after a while Isabel felt the owner much more so, and independently of them, thickly as they seemed to overhang him. He resembled no one she had ever seen; most of the people she knew might be divided into groups of half a dozen specimens. There were one or two exceptions to this; she could think for instance of no group that would contain her aunt Lydia. There were other people who were, relatively speaking, original- original, as one might say, by courtesy–such as Mr. Goodwood, as her cousin Ralph, as Henrietta Stackpole, as Lord Warburton, as Madame Merle. But in essentials, when one came to look at them, these individuals belonged to types already present to her mind. Her mind contained no class offering a natural place to Mr. Osmond–he was a specimen apart. It was not that she recognized all these truths at the hour, but they were falling into order before her. For the moment she only said to herself that this "new relation" would perhaps prove her very most

distinguished. Madame Merle had had that note of rarity, but what quite other power it immediately gained when sounded by a man! It was not so much what he said and did, but rather what he withheld, that marked him for her as by one of those signs of the highly curious that he was showing her on the underside of old plates and in the corner of sixteenth-century drawings: he indulged in no striking deflections from common usage, he was an original without being an eccentric. She had never met a person of so fine a grain. The peculiarity was physical, to begin with, and it extended to impalpabilities. His dense, delicate hair, his overdrawn, retouched features, his clear complexion, ripe without being coarse, the very evenness of the growth of his beard, and that light, smooth slenderness of structure which made the movement of a single one of his fingers produce the effect of an expressive gesture- these personal points struck our sensitive young woman as signs of quality, of intensity, somehow as promises of interest. He was certainly fastidious and critical; he was probably irritable. His sensibility had governed him–possibly governed him too much; it had made him impatient of vulgar troubles and had led him to live by himself, in a sorted, sifted, arranged world, thinking about art and beauty and history. He had consulted his taste in everything–his taste alone perhaps, as a sick man consciously incurable consults at last only his lawyer: that was what made him so different from every one else. Ralph had something of this same quality, this appearance of thinking that life was a matter of connoisseurship; but in Ralph it was an anomaly, a kind of humorous excrescence, whereas in Mr. Osmond it was the keynote, and everything was in harmony with it. She was certainly far from understanding him

لم تكن أقواله وأفعاله بقدر ما احتفظ لنفسه من أمور هي التي ميزته بنظرها، أشبه بواحدة من تلك العلامات المثيرة جداً التي كان يعرضها عليها والظاهرة في الصفائح السفلية في زوايا لوحات تعود للقرن السادس عشر، لم ينغمس في تصرّف مُتعارض مع العُرف المُتعارف عليه، كان مُتميّزاً بدون تطرّف. لم يسبق لها أبداً التعرّف على شخص بمثل ذلك المزاج المُرهف على هذا النحو البالغ الشفافية. كان تميّزه بادئ ذي بدء في مظهره الخارجي، وممتد لخصال غير محسوسة. شعره الكثيف الناعم، وقسمات وجهه المُنمّقة، وبشرته الصافية الناضجة بدون فظاظة، ونمو لحيته البالغ المتوازن، وتلك البُنية الملساء الخفيفة التي تجعل من مجرّد حركة بسيطة من أصبعه ذات تأثير موازٍ لحركة معبّرة ـ لفتت هذه المزايا الشخصية انتباه سيدتنا الشابة على أنها علامات دالّة على خُلق، وحِدّة تُبشّر بطريقة أو بأخرى، بالاثارة. مما لا ريب فيه أنه كان رجلاً يصعب ارضاءه وميّال للانتقاد؛ وأغلب الظن أنه سريع الغضب. كانت حساسيته تتملّكه ـ على الأرجح تتملّكه إلى حدٍ كبير؛ جعلته رجل بَرِمٌ من القضايا العادية، ودفعته إلى العيش بمفرده، في عالم مُصنّف مُتنخّل منظّم، غارق في التفكير بالأعمال الفنية والجمال والتاريخ. استشار ذوقه في كل شيء ـ ربما ذوقه فقط، كما الرجل المريض المحتضر يستشير محاميه: هذا ما جعله مختلفاً إلى هذه الدرجة عن جميع الناس. كان لدى رالف شيء من ذلك الخُلق، ذلك التفكير بأن الحياة هي مسألة اختبارية، ولكنها لدى رالف كانت خروجاً عن القياس، نوع من الزائدة الهزلية، بينما لدى السيد أوزموند كانت حقيقة أساسية، وكل شيء كان منسجماً معها. مما لا ريب فيه كانت بعيدة جداً عن فهمه بشكل كامل؛ فقصده لم يكن واضحاً

completely; his meaning was not at all times obvious. It was hard to see what he meant for instance by speaking of his provincial side–which was exactly the side she would have taken him most to lack. Was it a harmless paradox, intended to puzzle her? or was it the last refinement of high culture? She trusted she should learn in time; it would be very interesting to learn. If it was provincial to have that harmony, what then was the finish of the capital? And she could put this question in spite of so feeling her host a sly personage; since such shyness as his–the shyness of ticklish nerves and fine perceptions–was perfectly consistent with the best breeding. Indeed it was almost a proof of standards and touchstones other than the vulgar: he must be so sure the vulgar would be first on the ground. He wasn't a man of easy assurance, who chatted and gossiped with the fluency of a superficial nature; he was critical of himself as well as of others, and, exacting a good deal of others, to think them agreeable, probably took a rather ironical view of what he himself offered: a proof into the bargain that he was not grossly conceited. If he had not been shy he wouldn't have effected that gradual, subtle, successful conversion of it to which she owed both what pleased her in him and what mystified her. If he had suddenly asked her what she thought of the Countess Gemini, that was doubtless a proof that he was interested in her; it could scarcely be as a help to knowledge of his own sister. That he should be so interested showed an enquiring mind; but it was a little singular he should sacrifice his fraternal feeling to his curiosity. This was the most eccentric thing he had done.

There were two other rooms, beyond the one in which she

دائما. كان من الصعب مثلاً فهم قصده في حديثه عن جانبه الريفي - وهو الجانب بالذات الذي كانت لتعتبر أنه يفتقده تماما. هل كان ذلك كلام موهم للصحة الغاية منه اثارة حيرتها؟ أم أنه كان الدماثة الأدنى منزلة في ثقافة سامية؟ اعتبرت أنه بإمكانها تعلّم المزيد مع مرور الوقت؛ سيكون أمراً مثيراً للغاية تعلّم ذلك. اذا كان امتلاك مثل ذلك الانسجام ريفياً بحتاً، فما هي اذن مُتمّمات العاصمة؟ كان بامكانها طرح مثل ذلك السؤال بالرغم من احساسها بأن مُضيفها ذو شخصية خجولة؛ نظراً لأن خجلاً مثل خجله - خجل الأعصاب السريعة التأثر والانطباعات المرهفة - كان متناغماً تماماً مع أفضل أنواع التربية. بالواقع كاد أن يكون دليلاً عن معايير ووسائل اختبار غير عادية؛ كان لا بد وأن يكون واثق تماماً من وجود العادية على الأرض أوّلاً. لم يكن رجلاً سهل الاقناع، يُثرثر ويتكلم بطلاقة الطبيعة الاصطناعية، كان انتقادياً لذاته كما للآخرين، ومتطلبا براعة فائقة من الآخرين، كي يعتبرهم مثيرون للاعجاب، ربما اتخذ نظرة ساخرة بعض الشيء مما يُقدمه هو نفسه؛ اثباتاً للصفقة على أنه ليس مغروراً على نحو فاضح. لو لم يكن خجولاً ما كان أثار تحوّله التدريجي، الحذق، الناجح عن ذلك الخجل، الذي كانت مَدينة له لما أثار اعجابها فيه وحيرتها منه على حدٍ سواء. اذا عمد بشكل فجائي لسؤالها عن رأيها بالكونتيسة جيميني، فمما لا ريب فيه كان ذلك دليلاً على اعجابه بها، بالكاد كان ذلك لمساعدته على معرفة شقيقته بشكل أفضل. وكونه مُعجباً بها يدل على امتلاكه لذهن توّاق للمعرفة؛ ولكن الغريب كان تضحيته بمشاعره الأخوية على حساب فضوله. كان ذلك أكثر الأفعال غرابة التي أقدم عليها.

كان هناك غرفتان اضافيتان، وراء تلك التي جرى استقبالها فيها،

ممتلئتان كذلك بأغراض رومانسية، أمضت إيزابيل في هاتين الغرفتين حوالي الربع ساعة. كان كل شيء لافت للنظر بغرابته وزخرفاته المفرطة، وواصل السيد أوزموند مهمته كأفضل المرشدين وهو ينتقل معها من قطعة نفيسة إلى أخرى وما زال ممسكاً بيد ابنته الصغيرة. أثارت كياسته ذهول صديقتنا الشابة التي تساءلت عمّا يدفعه للاهتمام بها على هذا النحو، وشعرت أخيراً بالخمود مع هذا الكمّ الهائل من الجمال والمعلومات التي وجدت نفسها تتعرّف اليه دفعة واحدة. اكتفت في الوقت الحاضر بما تعرّفت اليه، ولم تعُد تُصغي لما يقوله؛ أصغت بعينين متيقّظتين الا أنها لم تكن تفكّر بما يقوله لها. أغلب الظن ظنَّ بأنّها أكثر نباهة وذكاء وأكثر استعداداً مما هي عليه بالواقع. لا بد وأن مدام ميرل ضخّمت له الوضع بأسلوبها المثير، وهو أمر مؤسف، لأنه في نهاية الأمر سيكتشف ذلك، وعندها ربما سيفشل حتى ذكائها الحقيقي من حمله على الاقرار بغلطته. جزء من الاجهاد الذي كانت تشعر به إيزابيل كان نتيجة مجهودها للظهور أمامه بالذكاء وحدةّ الذهن التي ظنّت أن مدام ميرل وصفتها بهما، ومن الخوف (وهو أمر غريب جداً عنها) من كشف ـ ليس جهلها؛ اذ لم تكن تكترث كثيراً لذلك ـ بل انطباعها الحسّي البدائي. كانت لشعرت بالارتباك من التعبير عن اعجابها بشيء، وهو بمعرفته الواسعة، سيعتبر أنه يجدر بها عدم الاعجاب به؛ أو أن تمر من أمام قطعة فنية تُثير لدى الذهن المتوقّد فعلاً الذهول والاعجاب. لم يكن لديها رغبة على الاطلاق في اقتراف هكذا أخطاء جسيمة. وهكذا كانت في غاية الحرص على ما تقوله، على ما تعُلق عليه أو تفشل في التعليق عليه؛ لم يسبق لها البتة طوال حياتها أن مارست ذلك القدر من الحرص الشديد.

7

had been received, equally full of romantic objects, and in these apartments Isabel spent a quarter of an hour. Everything was in the last degree curious and precious, and Mr. Osmond continued to be the kindest of ciceroni as he led her from one fine piece to another and still held his little girl by the hand. His kindness almost surprised our young friend, who wondered why he should take so much trouble for her; and she was oppressed at last with the accumulation of beauty and knowledge to which she found herself introduced. There was enough for the present; she had ceased to attend to what he said; she listened to him with attentive eyes, but was not thinking of what he told her. He probably thought her quicker, cleverer in every way, more prepared, than she was. Madame Merle would have pleasantly exaggerated; which was a pity, because in the end he would be sure to find out, and then perhaps even her real intelligence wouldn't reconcile him to his mistake. A part of Isabel's fatigue came from the effort to appear as intelligent as she believed Madame Merle had described her, and from the fear very unusual with her of exposing–not her ignorance; for that she cared comparatively little–but her possible grossness of perception. It would have annoyed her to express a liking for something he, in his superior enlightenment, would think she oughtn't to like; or to pass by something at which the truly initiated mind would arrest itself. She had no wish to fall into that grotesqueness–in which she had seen women and it was a warning serenely, yet ignobly, flounder. She was very careful therefore as to what she said, as to what she noticed or failed to notice; more careful than she had ever been before.

They came back into the first of the rooms, where the tea had been served; but as the two other ladies were still on the terrace, and as Isabel had not yet been made acquainted with the view, the paramount distinction of the place, Mr. Osmond directed her steps into the garden without more delay. Madame Merle and the Countess had had chairs brought out, and as the afternoon was lovely the Countess proposed they should take their tea in the open air. Pansy therefore was sent to bid the servant bring out the preparations. The sun had got low, the golden light took a deeper tone, and on the mountains and the plain that stretched beneath them the masses of purple shadow glowed as richly as the places that were still exposed. The scene had an extraordinary charm. The air was almost solemnly still, and the large expanse of the landscape, with its gardenlike culture and nobleness of outline, its teeming valley and delicately-fretted hills, its peculiarly human-looking touches of habitation, lay there in splendid harmony and classic grace. "You seem so well pleased that I think you can be trusted to come back," Osmond said as he led his companion to one of the angles of the terrace.

"I shall certainly come back," she returned, "in spite of what you say about its being bad to live in Italy. What was that you said about one's natural mission? I wonder if I should forsake my natural mission if I were to settle in Florence."

"A woman's natural mission is to be where she's most appreciated."

عادا ثانية إلى أولى الغرف، حيث كان يتم تقديم الشاي؛ الا أن السيدتين الثانيتين كانتا ما تزالان في الحديقة، ونظراً لأن إيزابيل لم تتعرّف بعد على المنظر، الذي يُعتبر ميزة المكان الأسمى، أسرع السيد أوزموند لارشادها إلى داخل الحديقة. كانت مدام ميرل والكونتيسة قد جلبتا كراسٍ إلى الخارج، ونظراً لجمال طقس بعد ظهر ذلك اليوم، اقترحت الكونتيسة تناول الشاي في الهواء الطلق. وهكذا أرسِلَت بانسي لتطلب من الخادمة جلب الشاي إلى الحديقة. كانت الشمس قد شارفت على المغيب، واشتد توهّج النور الذهبي، وتوقّد الظل البنفسجي فوق الجبال والسهل الممتد في الأسفل. اتّسم المنظر بسحر غير اعتيادي. كان سكون الهواء أقرب ما يكون إلى الكآبة، وامتدّ المنظر الطبيعي، مع الحدائق والوادي والتلال، وبيوت الناس المترامية على جنباتها في انسجام وتناغم ساحر. قال أوزموند وهو يُرشد رفيقته إلى احدى زوايا الحديقة: "يبدو أن هذه الزيارة نالت اعجابك لدرجة تُتيح لي التفكير امكانية عودتكِ ثانية إلى هنا."

أجابت: "لا شك بأنني سأعود ثانية، بالرغم مما قلته عن قباحة العيش في ايطاليا. ما الذي قلته في ما يتعلّق برسالة المرء الطبيعية؟ أتساءل ما اذا قُدّر لي العيش في فلورنسا، سأتخلى عن رسالتي الطبيعية."

"رسالة المرأة الطبيعية هي التواجد في المكان حيث تُقدّر على أرفع مستوى."

"النقطة الأهم هي العثور على ذلك المكان."

"بالضبط ـ غالباً ما تُضيّع الكثير من الوقت في البحث عنه. يجدر بالناس جعل ذلك الأمر واضح جداً لها."

"يجب توضيح مثل هذه المسألة بشكل واضح جداً بالنسبة لي."

"انني سعيد لسماعك تتحدثين عن امكانية استقرارك. فهمت من مدام ميرل أنك ذو طبع لا يميل إلى الاستقرار. أظن أنها قالت أنك تفكرين بالقيام برحلة حول العالم."

"أشعر بشيء من الخجل ازاء خططي؛ اذ لديّ كل يوم خطة جديدة."

"لا أرى ما يجعلك تخجلين من ذلك، فهذه متعة لا تعلوها متعة أخرى."

قالت إيزابيل: "تبدو فكرة تافهة. أظن أنّه يجدر بالمرء اختيار شيء مدروس جيداً، والالتزام به وتنفيذه."

"استناداً لتلك القاعدة، لم أقم يوما بعمل تافه في حياتي."

"ألم يسبق لك التخطيط لأمر ما؟"

"نعم، خططت لأمر ما منذ سنوات، وأقوم بتنفيذه الآن."

"لا بد وأنها خطة مثيرة جداً." سمحت إيزابيل لنفسها بالتعليق على هذا النحو.

"كانت خطة في غاية البساطة. التزام الهدوء قدر المستطاع."

رددت الفتاة: "التزام الهدوء؟"

"عدم القلق وتجنّب الكفاح والنضال. الاستسلام والاقتناع بالقليل." نطق بهذه العبارات بهدوء، مع توقّف بسيط بين عبارة وأخرى، مُثبّتاً نظرته على ضيفته بنظرة الرجل المُدرك بأنه على وشك البوح بأمر ما.

"The point's to find out where that is."

"Very true–she often wastes a great deal of time in the inquiry. People ought to make it very plain to her."

"Such a matter would have to be made very plain to me," smiled Isabel.

"I'm glad, at any rate, to hear you talk of settling. Madame Merle had given me an idea that you were of a rather roving disposition. I thought she spoke of your having some plan of going round the world."

"I'm rather ashamed of my plans; I make a new one every day."

"I don't see why you should be ashamed; it's the greatest of pleasures."

"It seems frivolous, I think," said Isabel. "One ought to choose something very deliberately, and be faithful to that."

"By that rule then, I've not been frivolous."

"Have you never made plans?"

"Yes, I made one years ago, and I'm acting on it to-day."

"It must have been a very pleasant one," Isabel permitted herself to observe.

"It was very simple. It was to be as quiet as possible."

"As quiet?" the girl repeated.

"Not to worry–not to strive nor struggle. To resign myself. To be content with little." He spoke these sentences slowly, with short pauses between, and his intelligent regard was fixed on his visitor's with the conscious air of a man who has brought himself to confess something.

"Do you call that simple?" she asked with mild irony.

"Yes, because it's negative."

"Has your life been negative?"

"Call it affirmative if you like. Only it has affirmed my indifference. Mind you, not my natural indifference–I had none. But my studied, my wilful renunciation."

She scarcely understood him; it seemed a question whether he were joking or not. Why should a man who struck her as having a great fund of reserve suddenly bring himself to be so confidential? This was his affair, however, and his confidences were interesting. "I don't see why you should have renounced," she said in a moment.

"Because I could do nothing. I had no prospects, I was poor, and I was not a man of genius. I had no talents even; I took my measure early in life. I was simply the most fastidious young gentleman living. There were two or three people in the world I envied–the Emperor of Russia, for instance, and the Sultan of Turkey! There were even moments when I envied the Pope of Rome–for the consideration he enjoys. I should have been delighted to be considered to that extent; but since that couldn't be I didn't care for anything less, and I made up my mind not to go in for honours. The leanest gentleman can always consider himself, and fortunately I was, though lean, a gentleman. I could do nothing in Italy–I couldn't even be an Italian patriot. To do that I should have had to get out of the country; and I was too fond of it to leave it, to say nothing of my being too well satisfied with it, on the whole,

سألت بشيء من السخرية: "أتدعو هذا بسيطاً؟"

""نعم، لأنه سلبي."

"هل كانت حياتك سلبية؟"

"سمّيها ايجابية اذا شئتِ، الا أنها ثبّتت عدم مبالاتي. ولكن ليس عدم مبالاتي الطبيعية، اذ لا أملك أيّا منها، بل أقصد اعتزالي المدروس والمتعمّد للعالم."

بالكاد فهمت كلامه؛ بدا من الصعب التأكّد ما اذا كان جادّا أم مازحاً في ما قاله. ما الذي يدفع برجل لفت انتباهها على أنه يملك مخزون هائل من المعلومات، ليصارحها فجأة على هذا النحو الحميمي؟ مهما يكن، فذلك شأنه، علماً أن اعترافاته كانت مثيرة جدا. قالت بعد لحظة: "لا أرى الداعي الذي دفعك لاعتزال العالم."

"لأنني لم أستطع القيام بأي شيء. لم يكن لديّ الامكانيات، كنتُ فقيراً ولم أكن رجلا عبقرياً. كنتُ أفتقر حتى للموهبة؛ اتخذتُ الاجراءات باكراً في الحياة. كنت وبكل بساطة أكثر الرجال حساسية ومن الصعب ارضائي. حسدتُ ثلاثة أشخاص في العالم: امبراطور روسيا مثلا، وسلطان تركيا! كان هناك لحظات حسدتُ حتى بابا روما، بسبب الاحترام الذي يحظى به. كنت فرحتُ لو أتيح لي أن أحظى باحترام مماثل؛ ولكن نظراً لاستحالة حصول مثل ذلك الأمر، لم أعد أكترث لأي شيء، وعزمتُ على عدم محاولة نيل المراتب العالية. لم أتمكن من تحقيق أي شيء في ايطاليا، لم أتمكّن حتى من أن أصبح وطنياً ايطالياً. اذ لكي أصبح كذلك، كان عليّ الخروج من البلاد، وكنت أحب تلك البلاد كثيراً بحيث رفضتُ مغادرتها، ناهيكِ عن أنني كنتُ معجباً جداً بالوضع الذي كانت عليه في ذلك الوقت، وبالتالي لم أرغب بتبديله. وهكذا قضيت العديد من

as it then was, to wish it altered. So I've passed a great many years here on that quiet plan I spoke of. I've not been at all unhappy. I don't mean to say I've cared for nothing; but the things I've cared for have been definite–limited. The events of my life have been absolutely unperceived by any one save myself; getting an old silver crucifix at a bargain I've never bought anything dear, of coursè, or discovering, as I once did, a sketch by Correggio on a panel daubed over by some inspired idiot."

This would have been rather a dry account of Mr. Osmond's' career if Isabel had fully believed it; but her imagination supplied the human element which she was sure had not been wanting. His life had been mingled with other lives more than he admitted; naturally she couldn't expect him to enter into this. For the present she abstained from provoking further revelations; to intimate that he had not told her everything would be more familiar and less considerate than she now desired to be–would in fact be uproariously vulgar. He had certainly told her quite enough. It was her present inclination, however, to express a measured sympathy for the success with which he had preserved his independence. "That's a very pleasant life," she said, "to renounce everything but Correggio!"

"Oh, I've made in my way a good thing of it. Don't imagine I'm whining about it. It's one's own fault if one isn't happy."

This was large; she kept down to something smaller. "Have you lived here always?"

السنوات هنا وفق هذه الخطة الهادئة التي حدّثتكِ عنها. لم أكن تعيساً على الاطلاق. لا أقصد القول أنني لم أكترث لأي شيء على الاطلاق؛ لكن الأشياء التي اكترثتُ بها كانت مُحدّدة. أحداث حياتي لم يُدركها أحد على الاطلاق سواي؛ الحصول على صليب فضّي قديم في احدى البازارات (لم أشترِ أبداً أية قطعة غالية الثمن)، أو اكتشاف بالصدفة، كما حصل ذات يوم، صورة لكوريجيو، مرسوم فوقها بريشة أحد المغفّلين."

كان ذلك سيكون سرداً جافاً لحياة أوزموند المهنية لو صدّقته إيزابيل بالكامل؛ الا أن خيالها وفّر لها العمل الانساني الذي كانت واثقة أنه لم يكن مفقوداً. امتزجت حياته بحياة آخرين أكثر مما كان على استعداد للبوح به؛ وبطبيعة الحال لم تتوقّع منه الافصاح عن هذا الموضوع. أمسكت في الوقت الحاضر عن اثارة المزيد من الاعترافات؛ التلميح بأنه لم يُخبرها بكل شيء سيكون عملاً متجاوزاً الرسميات بكثير وبعيداً جداً عن التروّي ومراعاة شعور الآخرين - سيكون بالواقع عملاً سوقياً مدوّياً. مما لا ريب فيه أنه أخبرها ما يكفي. كانت تميل في الوقت الحاضر للتعبير عن تعاطف موزون للنجاح في صون استقلاليته. قالت: "يا لها من حياة مرضية للغاية، التخلّي عن كل شيء باستثناء كوريجيو!"

"أوه، لقد استخدمت طريقتي الخاصة لجعل هذا الواقع واقعاً جيداً. لا تظنّي أنني أتذمّر من ذلك. الانسان هو المسؤول الأوّل عن تعاسته."

كان ذلك تعبيراً فلسفياً ضخماً؛ اختارت التحدّث بما هو عادي من الأمور. "هل عشت هنا دائماً؟"

"لا، ليس دائماً. عشتُ فترة طويلة في نابولي، وعدد من السنوات في روما. لكن مضى على وجودي هنا فترة ليست بالقصيرة. ربما حان الوقت للتبديل، القيام بعمل آخر. أصبح عليّ التفكير بشخص آخر إلى جانب نفسي. تكاد ابنتي تُصبح فتاة شابّة، ومن المحتمل جداً عدم اكتراثها كثيراً للوحات كوريجيو والصلبان الفضّية، خلافاً لي. يجب عليّ التفكير بما هو الأفضل بالنسبة لبانسي."

قالت إيزابيل: "نعم، افعل ذلك، فهي فتاة رائعة فعلا."

صاح جلبرت أوزموند بنبرة ساحرة: "أوه، انها ملاك صغير من السماء! انها سعادتي الكبرى!"

"No, not always. I lived a long time at Naples, and many years in Rome. But I've been here a good while. Perhaps I shall have to change, however; to do something else. I've no longer myself to think of. My daughter's growing up and may very possibly not care so much for the Correggios and crucifixes as I. I shall have to do what's best for Pansy."

"Yes, do that," said Isabel. "She's such a dear little girl."

"Ah," cried Gilbert Osmond beautifully, "she's a little saint of heaven! She is my great happiness!"

الفصل الخامس والعشرون

بينما كان هذا الحديث الوافي الحميمي دائراً (وقد استمرّ بعدما توقّفنا عن متابعته)، أقدمت مدام ميرل بعد فترة وجيزة على قطع حبل الصمت الذي خيّم عليها وعلى رفيقتها خلال نزهتهما في الحديقة. كانتا جالستين في وضع جسماني من الترقّب المخفي؛ وضع جسماني ملحوظ تماماً وبالأخص لدى الكونتيسة جيميني، ذات الطباع الأكثر عصبية من صديقتها، والتي بناء عليه فشلت في ممارسة فن اخفاء نفاذ الصبر، خلافاً لرفيقتها. ما كانت هاتان السيدتان تترقّبانه، كان غامضاً، وربما لم يكن مُحدّد المعالم حتى في ذهن كل منهما. انتظرت مدام ميرل اعتاق أوزموند صديقتها الشابة من حديثهما الحميمي، وانتظرت الكونتيسة جيميني، لأن مدام ميرل فعلت ذلك. الا أن الكونتيسة جيمني انتهزت فترة الانتظار هذه لمشاكسة مدام ميرل، خاصة وأنها كانت ترغب بذلك منذ بعض الوقت. كانت نظراتها تتابع تجوّل شقيقها برفقة إيزابيل حتى نهاية الحديقة.

علّقت قائلة لرفيقتها: "ستعذريني يا عزيزتي، اذا أحجمت عن تهنئتكِ!"

"بكل سرور، اذ ليس لديّ أدنى فكرة عن الدافع لتهنئتي."

"أليس لديك فكرة صغيرة، تعتبرينها فكرة مربحة جداً؟" ثمّ أومأت الكونتيسة برأسها باتجاه الزوجين المُنعزلين.

نظرت مدام ميرل إلى حيث كانت عينا رفيقتها مركّزتين، ومن ثم التفتت اليها بسكون. قالت وهي تبتسم: "تعلمين أنني لا أفهمك جيداً."

Chapter Twenty Five

While this sufficiently intimate colloquy prolonged for some time after we cease to follow it went forward Madame Merle and her companion, breaking a silence of some duration, had begun to exchange remarks. They were sitting in an attitude of unexpressed expectancy; an attitude especially marked on the part of the Countess Gemini, who, being of a more nervous temperament than her friend, practised with less success the art of disguising impatience. What these ladies were waiting for would not have been apparent and was perhaps not very definite to their own minds. Madame Merle waited for Osmond to release their young friend from her tete-a-tete, and the Countess waited because Madame Merle did. The Countess, moreover, by waiting, found the time ripe for one of her pretty perversities. She might have desired for some minutes to place it. Her brother wandered with Isabel to the end of the garden, to which point her eyes followed them.

"My dear," she then observed to her companion, "you'll excuse me if I don't congratulate you!"

"Very willingly, for I don't in the least know why you should."

"Haven't you a little plan that you think rather well of?" And the Countess nodded at the sequestered couple.

Madame Merle's eyes took the same direction; then she looked serenely at her neighbour. "You know I never understand you very well," she smiled.

"لا أحد يفهم أفضل منك حين ترغبين بذلك. يبدو واضحاً لي أنكِ الآن لا ترغبين أن تفهمي."

قالت مدام ميرل بجدّية، ولكن بدون مرارة: "توجّهين لي كلاماً لا يجرؤ أحد غيرك على توجيهه لي."

"أتقصدين كلاماً لا ترغبين بسماعه؟ ألا يفعل أوزموند ذلك أحياناً؟"

"ما يقوله شقيقك على جانب كبير من الأهمية."

"نعم، أهمية سامّة أحياناً. اذا كنت تقصدين أنني لست بذكائه، فلا تظني أنني سأعاني من اختلافنا. ولكن سيكون أفضل بكثير أن تفهميني."

"وما الداعي لذلك؟ إلى أين سيفضي؟" سألت مدام ميرل.

"اذا كنتُ لا أستحسن خطتك، فيجدر بكِ معرفة ذلك لتقدير خطر تدخلي بهذه المسألة."

بدت السيدة ميرل وكأنها على وشك الاعتراف بوجود شيء من الحقيقة في ذلك الكلام، الا أنها ما لبثت خلال دقيقة أن قالت بكل هدوء، "أنتِ تظنينني أنانية إلى حدٍ بعيد."

"ليست أنانيتك التي تُقلقني، بل أنانيتك الخاطئة. أنتِ تفعلين ذلك في هذه المسألة."

"لا بد وأنكِ فكّرتِ مليّا بهذه المسألة لتصلي لمثل هذا الاستنتاج."

قالت الكونتيسة: "لا، لم يتسنّ لي متسع من الوقت. لم ألتقِ بالفتاة سوى مرة واحدة. وساورني شعور مفاجئ أنني معجبة بها كثيراً."

علّقت مدام مير قائلة: "وكذلك أنا."

"لديك أسلوب غريب للتعبير عن ذلك الاعجاب."

"طبعاً، وفّرت لها حسنة التعرّف اليكِ"

"No one can understand better than you when you wish. I see that just now you don't wish."

"You say things to me that no one else does," said Madame Merle gravely, yet without bitterness.

"You mean things you don't like? Doesn't Osmond sometimes say such things?"

"What your brother says has a point."

"Yes, a poisoned one sometimes. If you mean that I'm not so clever as he you mustn't think I shall suffer from your sense of our difference. But it will be much better that you should understand me."

"Why so?" asked Madame Merle. "To what will it conduce?"

"If I don't approve of your plan you ought to know it in order to appreciate the danger of my interfering with it."

Madame Merle looked as if she were ready to admit that there might be something in this; but in a moment she said quietly: "You think me more calculating than I am."

"It's not your calculating I think ill of; it's your calculating wrong. You've done so in this case."

"You must have made extensive calculations yourself to discover that."

"No, I've not had time. I've seen the girl but this once," said the Countess, "and the conviction has suddenly come to me. I like her very much."

"So do I," Madame Merle mentioned.

"You've a strange way of showing it."

"Surely I've given her the advantage of making your acquaintance."

قالت الكونتيسة بنبرة حادّة: "لا شك أن هذا ربما أفضل شيء يمكنه أن يحصل لها!."

لزمت مدام ميرل الصمت لبعض الوقت. كان تصرّف الكونتيسة بغيضاً، بل مُنحطّاً؛ الا أن ذلك لم يكن بالأمر الجديد بالنسبة لها واستسلمت لتفكير عميق وعيناها مركّزتان على منحدر جبل موريلّو البنفسجي. تابعت أخيراً حديثها: "سيدتي العزيزة، أنصحك بعدم القلق. المسألة التي تُلمّحين اليها تهمّ ثلاثة أشخاص ذات تصميم يتجاوز تصميمك."

"ثلاثة أشخاص؟ أنتِ وأوزموند طبعاً. ولكن هل الآنسة أرتشير مصممة على هذا الأمر كذلك؟"

"بقدر ما نحن مصممان عليه."

قالت الكونتيسة بكل ثقة: "أوه حسناً، اذا أقنعتها أنه من مصلحتها مقاومتكما، ستفعل ذلك بنجاح كبير!"

"مقاومتنا؟ لماذا تُعبرين عن نفسك بمثل هذا الأسلوب الرديء؟ انها ليست مُعرّضة للاكراه أو الخداع."

"لستُ متأكدة من ذلك. أنتِ قادرة على أي شيء، أنتِ وأوزموند. لا أقصد أوزموند بمفرده، ولا أقصدكِ أنتِ بمفردكِ. ولكنكما معاً تُشكّلان خطراً كبيراً ـ أشبه بتركيب كيميائي خطر."

قالت مدام ميرل وهي تبتسم: "اذن، الأفضل لكِ تركنا وشأننا."

"لا أرغب حتى بلمسكِ ـ ولكنني سأتحدث مع الفتاة."

"يا عزيزتي المسكينة آيمي، لا أعلم ما الدافع وراء حماسك هذا؟"

"انني مهتمة بأمرها هذا هو الدافع وراء حماسي هذا. انني معجبة بها."

"That indeed," piped the Countess, "is perhaps the best thing that could happen to her!"

Madame Merle said nothing for some time. The Countess's manner was odious, was really low; but it was an old story, and with her eyes upon the violet slope of Monte Morello she gave herself up to reflection. "My dear lady," she finally resumed, "I advise you not to agitate yourself. The matter you allude to concerns three persons much stronger of purpose than yourself."

"Three persons? You and Osmond of course. But is Miss Archer also very strong of purpose?"

"Quite as much so as we."

"Ah then," said the Countess radiantly, "if I convince her it's her interest to resist you she'll do so successfully!"

"Resist us? Why do you express yourself so coarsely? She's not exposed to compulsion or deception."

"I'm not sure of that. You're capable of anything, you and Osmond. I don't mean Osmond by himself, and I don't mean you by yourself. But together you're dangerous–like some chemical combination."

"You had better leave us alone then," smiled Madame Merle.

"I don't mean to touch you–but I shall talk to that girl."

"My poor Amy," Madame Merle murmured, "I don't see what has got into your head."

"I take an interest in her–that's what has got into my head. I like her."

Madame Merle hesitated a moment. "I don't think she likes you."

The Countess's bright little eyes expanded and her face was set in a grimace. "Ah, you are dangerous–even by yourself!"

"If you want her to like you don't abuse your brother to her," said Madame Merle.

"I don't suppose you pretend she has fallen in love with him in two interviews."

Madame Merle looked a moment at Isabel and at the master of the house. He was leaning against the parapet, facing her, his arms folded; and she at present was evidently not lost in the mere impersonal view, persistently as she gazed at it. As Madame Merle watched her she lowered her eyes; she was listening, possibly with a certain embarrassment, while she pressed the point of her parasol into the path. Madame Merle rose from her chair. "Yes, I think so!" she pronounced.

The shabby footboy, summoned by Pansy–he might, tarnished as to livery and quaint as to type, have issued from some stray sketch of old-time manners, been "put in" by the brush of a Longhi or a Goya- had come out with a small table and placed it on the grass, and then had gone back and fetched the tea-tray; after which he had again disappeared, to return with a couple of chairs. Pansy had watched these proceedings with the deepest interest, standing with her small hands folded together upon the front of her scanty frock; but she had not presumed to offer

ترددت مدام ميرل بعض الشيء. "لا أظنّ أنكِ استحوذتِ على إعجابها."

"جحظت عينا الكونتسية الصغيرتان واتخذت قسمات وجهها شكل تكشيرة غاضبة. "أوه، أنتِ خطرة فعلا ـ حتى بمفردكِ!"

قالت مدام ميرل: "اذا رغبتِ أن تنالي اعجابها، لا تهاجمي شقيقك أمامها."

"لا أظن أنكِ تتظاهرين بأنها أغرمت به بعد التقائها به في مناسبتين فقط."

نظرت مدام ميرل لحظة إلى إيزابيل والى سيد القصر. كان متكئاً على حاجز الشرفة، مواجهاً لها، ويداه مطويتان؛ وبدا واضحاً أنها ليست مأخوذة فقط بالمنظر الجميل، علماً أنها كانت تحدّق به. أخفضت عيناها بشيء من الخجل وهي تضغط بطرف مِظلّتها على الأرض، بينما كانت مدام ميرل تُطيل النظر إليها. أجابت مدام ميرل وهي تنهض من مقعدها: "نعم، أظن هذا ما حصل بالفعل!"

خرج الخادم الذي استدعته بانسي إلى الشرفة، حاملاً طاولة صغيرة ووضعها فوق العشب، وعاد ثانية جالباً معه أواني الشاي؛ غاب ثانية ليعود حاملاً بعض الكراسي. راقبت بانسي هذه الأفعال بكثير من الاهتمام، وهي واقفة ويداها الصغيرتان مطويتان عند مقدّمة ثوبها المتزمّت؛ الا أنها

لم تتجرّأ على تقديم المساعدة. ولكنها تقدّمت بلطف من خالتها، لدى الانتهاء من تجهيز الطاولة.

"أتظنين أن والدي سيمانع اذا ما أعددت الشاي؟"

نظرت الكونتيسة اليها نظرة انتقادية متعمّدة، بدون أن تجيب على سؤالها. "

يا ابنة أخي العزيزة، أهذا أفضل فستان لديك؟"

أجابت بانسي: "أوه لا، انه مجرّد فستان عادي للمناسبات العادية."

"أتعتبرين زيارتي لرؤيتكم مناسبة عادية؟ ـ فضلاً عن وجود مدام ميرل والفتاة الجميلة هناك."

فكّرت بانسي للحظة، وهي تُنقّل نظرها بين الشخصين المذكورين؛ ومن ثم انفرجت أسارير وجهها عن ابتسامة نموذجية. "لديّ فستان جميل، ولكن حتى ذلك الفستان عادي جداً. ما الداعي لعرضه إلى جانب ثيابك الرائعة؟"

"لأنه أجمل ما لديك؛ لأنه عليكِ دائماً ارتداء أجمل ما لديكِ. أرجوكِ، ارتديه في المرة القادمة. يبدو لي أنهم لا يهتمون بملابسك كما يُفترض بهم أن يفعلوا."

مسّدت الطفلة تنورتها القديمة ببطء. "انه فستان ملائم لاعداد الشاي ـ ألا تظنين ذلك؟ ألا تعتقدين أن والدي سيسمح لي القيام بذلك؟"

قالت الكونتيسة: "يستحيل عليَّ الاجابة على هذا السؤال، يا طفلتي، فبالنسبة لي، أفكار والدك لا يمكن سبرها. مدام ميرل تفهمها بشكل أفضل، وجّهي لها سؤالك هذا."

ابتسمت مدام ميرل بلباقتها المعتادة. "انه سؤال عظيم الأهمية ـ

assistance. When the tea-table had been arranged, however, she gently approached her aunt.

"Do you think papa would object to my making the tea?"

The Countess looked at her with a deliberately critical gaze and without answering her question.

"My poor niece," she said, "is that your best frock?"

"Ah no," Pansy answered, "it's just a little toilette for common occasions."

"Do you call it a common occasion when I come to see you?–to say nothing of Madame Merle and the pretty lady yonder."

Pansy reflected a moment, turning gravely from one of the persons mentioned to the other. Then her face broke into its perfect smile. "I have a pretty dress, but even that one's very simple. Why should I expose it beside your beautiful things?"

"Because it's the prettiest you have; for me you must always wear the prettiest. Please put it on the next time. It seems to me they don't dress you so well as they might."

The child sparingly stroked down her antiquated skirt. "It's a good little dress to make tea–don't you think? Don't you believe papa would allow me?"

"Impossible for me to say, my child," said the Countess. "For me, your father's ideas are unfathomable. Madame Merle understands them better. Ask her."

Madame Merle smiled with her usual grace. "It's a weighty question–let me think. It seems to me it would

دعيني أفكّر. يبدو لي أن والدكِ سيُسَرّ من رؤية ابنته الصغيرة الحريصة تُعدّ له الشاي. انه واجب مطلوب من ابنة المنزل تأديته - حين تكبر.»

صاحت بانسي: «هذا ما أعتقده أنا أيضاً، مدام ميرل! سترين كم أنا بارعة في هذه المهمة. ملعقة لكل منكما.» ثمّ انهمكت بتنفيذ مهمتها.

قالت الكونتيسة، التي بقيت بالاضافة لمدام ميرل تراقبان الطفلة لبعض الوقت: «ملعقتان لي.»

تابعت الكونتيسة حديثها أخيراً: «اسمعي يا بانسي، أرغب بمعرفة رأيك بضيفتك.»

قالت بانسي معترضة: «أوه، انها ليست ضيفتي - بل ضيفة والدي.»

قالت مدام ميرل: «جاءت الآنسة أرتشير لرؤيتكِ أنت أيضاً.»

«انني سعيدة جداً لسماعي هذا الكلام. كانت في غاية اللطف معي.»

سألت الكونتيسة: «أتحبينها اذن؟»

كررت بانسي القول بنبرة صوتها التحادثية المهذبة: «انها ساحرة - ساحرة. انها تُعجبني كثيراً.»

«وهل تظنين أنها تُعجب والدكِ؟»

تمتمت مدام ميرل بنبرة داعية إلى العدول عن ذلك: «أوه، حقاً يا كونتيسة!.»

تابعت تقول موجّهة حديثها للطفلة: «اذهبي وادعيهما لتناول الشاي.»

«ستريان كم سيُعجبان به!» أعلنت بانسي ذلك؛ وابتعدت لمناداة الآخرين، اللذين كانا ما زالا عند طرف الشرفة.

قالت الكونتيسة: «اذا ستُصبح الآنسة أرتشير والدتها، فمن المؤكد أنه من المهم معرفة ما اذا الطفلة مُعجبة بها.»

أجابت مدام ميرل: «اذا ما تزوج شقيقكِ ثانية، فلن يكون ذلك

please your father to see a careful little daughter making his tea. It's the proper duty of the daughter of the house–when she grows up."

"So it seems to me, Madame Merle!" Pansy cried. "You shall see how well I'll make it. A spoonful for each." And she began to busy herself at the table.

"Two spoonfuls for me," said the Countess, who, with Madame Merle, remained for some moments watching her. "Listen to me, Pansy," the Countess resumed at last. "I should like to know what you think of your visitor."

"Ah, she's not mine–she's papa's," Pansy objected.

"Miss Archer came to see you as well," said Madame Merle.

"I'm very happy to hear that. She has been very polite to me."

"Do you like her then?" the Countess asked.

"She's charming–charming," Pansy repeated in her little neat conversational tone. "She pleases me thoroughly."

"And how do you think she pleases your father?"

"Ah really, Countess!" murmured Madame Merle dissuasively.

"Go and call them to tea," she went on to the child.

"You'll see if they don't like it!" Pansy declared; and departed to summon the others, who had still lingered at the end of the terrace.

"If Miss Archer's to become her mother it's surely interesting to know if the child likes her," said the Countess.

"If your brother marries again it won't be for Pansy's

اكراماً لبانسي. عما قريب ستُصبح في السادسة عشرة من عمرها، ولاحقاً ستحتاج لزوج وليس لزوجة أب.»

«وهل أنت التي ستوفّرين الزوج كذلك؟»

«طبعاً سأحرص على أن تختار زوجاً صالحاً. وأظن أنكِ ستفعلين الشيء ذاته.»

صاحت الكونتيسة: «بكل تأكيد لن أفعل ذلك أبداً! ما الذي يدفعني أنا، بدون سائر النساء، لتحديد هكذا ثمن باهظ بالنسبة لزوج؟.»

«أنتِ لم تتزوجي رجلاً صالحاً، هذا ما قصدت قوله. حين أقول زوج أعني زوجاً صالحاً.»

«لا وجود للزوج الصالح. وأسموند لن يكون زوجاً صالحاً.»

أغمضت مدام ميرل عينيها للحظة. قالت: «أنتِ غاضبة الآن، ولا أعرف سبب ذلك. لا أظن أنك ستمانعين فعلا بزواج شقيقك أو ابنة شقيقك، حين يحين وقت اقدامهما على تلك الخطوة؛ وفيما يتعلق ببانسي انني واثقة بأنه سيسعدنا ذات يوم بالبحث معاً عن زوج لها. فدائرة معارفك العريضة ستكون عاملاً مساعداً لذلك.»

«نعم، انني غاضبة، فأنتِ تثيرين غضبي في معظم الأحيان. رباطة جأشك يصعب تصديقها. أنتِ امرأة غريبة.»

تابعت مدام ميرل قائلة: «الأفضل بكثير أن نتضامن ونعمل سوية دائماً.»

سألت الكونتيسة وهي تنهض من مكانها. «أتهددينني؟»

هزّت مدام ميرل رأسها وكأنها تسخر من رفيقتها. «لا اطلاقاً، فأنتِ تفتقرين إلى رباطة جأشي!»

sake," Madame Merle replied. "She'll soon be sixteen, and after that she'll begin to need a husband rather than a stepmother."

"And will you provide the husband as well?"

"I shall certainly take an interest in her marrying fortunately. I imagine you'll do the same."

"Indeed I shan't!" cried the Countess. "Why should I, of all women, set such a price on a husband?"

"You didn't marry fortunately; that's what I'm speaking of. When I say a husband I mean a good one."

"There are no good ones. Osmond won't be a good one."

Madame Merle closed her eyes a moment. "You're irritated just now; I don't know why," she presently said. "I don't think you'll really object either to your brother's or to your niece's marrying when the time comes for them to do so; and as regards Pansy I'm confident that we shall some day have the pleasure of looking for a husband for her together. Your large acquaintance will be a great help."

"Yes, I'm irritated," the Countess answered. "You often irritate me. Your own coolness is fabulous. You're a strange woman."

"It's much better that we should always act together," Madame Merle went on.

"Do you mean that as a threat?" asked the Countess rising.

Madame Merle shook her head as for quiet amusement. "No indeed, you've not my coolness!"

كانت إيزابيل والسيد أوزموند في هذه الأثناء قد بدآ بالعودة باتجاههما، وكانت إيزابيل قد أمسكت بيد بانسي. سألت الكونتيسة: "أتتظاهرين بتصديق أنه سيُسعدها؟".

"اذا ما تزوج من الآنسة آرتشير، أظن أنه سيتصرف كرجل نبيل."

اهتزّ جسد الكونتيسة بسلسلة متعاقبة من الارتعاشات. "أتقصدين القول كما يتصرّف معظم الرجال النبلاء؟ سيكون هذا أكثر بكثير مما نتوقّعه! طبعاً أوزمؤند رجل نبيل؛ لا حاجة إلى تذكير شقيقته بتلك الحقيقة. ولكن أيظن أن بوسعه الزواج من مطلق فتاة يقع عليها اختياره؟ طبعاً، أوزموند رجل نبيل؛ ولكنني مضطّرة للقول أنه لم يُتَح لي أبداً، لا، لا، لم يُتح لي أبداً الاطّلاع على أي من طموحاته! أجهل تماماً على ماذا تستند طموحاته. يُفترض، كوني شقيقته، معرفة ذلك. المعذرة، مَن هو؟ هل نجح في تحقيق أي شيء في حياته؟ لو كان هناك عامل مهيب في أصله - لو كان جسده مصنوعاً من آجرة متفوقة - أفترض أنه يجدر أن يكون لدي ولو فكرة صغيرة عن ذلك. لو كان هناك وجود لأوسمة شرف أو امتيازات في الأسرة لكنت قطعاً ٱستغليتُها إلى أبعد الحدود. ولكن لا يوجد شيء، لا شيء، لا شيء على الاطلاق. كان لدينا والدين ساحرين؛ ولا شك لدي بأن والديك كانا كذلك أيضاً. الجميع أشخاص ساحرون هذه الأيام. حتى أنا انسانة ساحرة؛ لا تضحكي، لقد قيل لي ذلك حرفياً. وبمن بالنسبة لأوزموند، فطالماً تظاهر بأن يؤمن أنه سليل الآلهة."

"لكِ كامل الحرية في قول ما تشائين، أنتم معشر أسرة أوزموند سلالة رفيعة، لا بد وأن مصدر دمائكم نقيّ جداً. شقيقك، شأنه شأن الرجال

Isabel and Mr. Osmond were now slowly coming toward them and Isabel had taken Pansy by the hand. "Do you pretend to believe he'd make her happy?" the Countess demanded.

"If he should marry Miss Archer I suppose he'd behave like a gentleman.

The Countess jerked herself into a succession of attitudes. "Do you mean as most gentlemen behave? That would be much to be thankful for! Of course Osmond's a gentleman; his own sister needn't be reminded of that. But does he think he can marry any girl he happens to pick out? Osmond's a gentleman, of course; but I must say I've never, no, no, never, seen any one of Osmond's pretensions! What they're all founded on is more than I can say. I'm his own sister; I might be supposed to know. Who is he, if you please? What has he ever done? If there had been anything particularly grand in his origin–if he were made of some superior clay–I presume I should have got some inkling of it. If there had been any great honours or splendours in the family I should certainly have made the most of them: they would have been quite in my line. But there's nothing, nothing, nothing. One's parents were charming people of course; but so were yours, I've no doubt. Every one's a charming person now-a-days. Even I'm a charming person; don't laugh, it has literally been said. As for Osmond, he has always appeared to believe that he's descended from the gods."

"You may say what you please," said Madame Merle, who had listened to this quick outbreak none the less

الأذكياء، لديه اقتناع راسخ بذلك بالرغم من عدم توافر الأدلة. أنتِ متواضعة بشأن هذا الأمر، ولكنِ أنتِ نفسكِ انسانة متميّزة جداً. ماذا تقولين عن ابنة شقيقك؟ برغم كل شيء الفتاة أميرة صغيرة، لن تكون مسألة زواج أوزموند من الآنسة أرتشير مسألة سهلة. ولكنه سيحاول."
قالت مدام ميرل، التي بالرّغم من كل شيء أصغت بانتباه لهذا الدفق الغاضب السريع، ربما لأن نظراتها لم تكن مركّزة على محدّثتها ويداها منهمكتان بعقد شريط فستانها.

"آمل أن ترفضه. سيساهم ذلك في كسر حدّة غروره بعض الشيء."

"يجب ألا ننسى أنه واحد من أذكى الرجال."

"سمعتكِ تقولين ذلك سابقاً، ولكني لم أكتشف حتى الآن انجازاته العظيمة."

"انجازاته؟ لم يُنجز شيئاً يستلزم اعادة العمل به. ومعروف عنه أنه يُحسن الانتظار."

"الانتظار للحصول على ثروة الآنسة أرتشير؟ كم تبلغ تلك الثروة؟"

قالت مدام ميرل: "لم يكن هذا ما قصدته بكلامي، تملك الآنسة أرتشير سبعين ألف باونداً."

علّقت الكونتيسة قائلة: "حسنا، من المؤسف أنها على هذا القدر من الجمال، يمكن التضحية بمطلق فتاة. لا تحتاج لأن تكون انسانة متفوقة."

"لو لم تكن انسانة متفوقة لما كان شقيقك أبدى أي اهتمام بها. يصرّ على الحصول على الأفضل."

أجابت الكونتيسة وهما تتقدّمان لملاقاة الآخرين: "نعم، يصعب ارضاءه كثيراً. هذا ما يجعلني أرتجف خوفاً على سعادتها."

attentively, we may believe, because her eye wandered away from the speaker and her hands busied themselves with adjusting the knots of ribbon on her dress. "You Osmonds are a fine race–your blood must flow from some very pure source. Your brother, like an intelligent man, has had the conviction of it if he has not had the proofs. You're modest about it, but you yourself are extremely distinguished. What do you say about your niece? The child's a little princess. Nevertheless," Madame Merle added, "it won't be an easy matter for Osmond to marry Miss Archer. Yet he can try."

"I hope she'll refuse him. It will take him down a little."

"We mustn't forget that he is one of the cleverest of men."

"I've heard you say that before, but I haven't yet discovered what he has done."

"What he has done? He has done nothing that has had to be undone. And he has known how to wait."

"To wait for Miss Archer's money? How much of it is there?"

"That's not what I mean," said Madame Merle. "Miss Archer has seventy thousand pounds."

"Well, it's a pity she's so charming," the Countess declared. "To be sacrificed, any girl would do. She needn't be superior."

"If she weren't superior your brother would never look at her. He must have the best."

"Yes," returned the Countess as they went forward a little to meet the others, "he's very hard to satisfy. That makes me tremble for her happiness!"

الفصل السادس والعشرون

زار جلبرت أوزموند إيزابيل ثانية؛ نقصد القول زار بالازو كريسينتيني. كان لديه معارف آخرون هناك كذلك، وكان دائماً يُبدي تهذيباً متجرّداً للسيدة توشيت ومدام ميرل؛ الا أن الأولى لاحظت قيامه بخمس زيارات خلال فترة لا تتعدّى الأسبوعين، وقارنت ذلك مع حقيقة أخرى كان من السهل عليها تذكّرها. كانت أتاوته لمقام السيدة توشيت تتجسّد حتى تاريخه بزيارتين في السنة، ولم يسبق لها اطلاقاً أن لاحظت عليه تعمّده اختيار زياراته تلك في أوقات، كادت أن تكون تكراراً دورياً متطابقاً، مع أوقات تواجد مدام ميرل تحت سقف منزلها.

لم تكن مدام ميرل هي سبب زياراته المتكررة، فهاتين الاثنتين كانتا صديقتين قديمتين، ولم يسبق له أن أبدى أي عاطفة تجاهها. كما لم يكن مُولعاً برالف ـ أخبرها رالف بذلك ـ ولا يمكن افتراض أن السيد أوزموند شعر بإعجاب مفاجئ تجاه ابنها. كان رالف رابط الجأش ـ كان لدى رالف نوع من الكياسة الفضفاضة المُلتفة حوله مايشبه معطفاً رديء الصنع، وبرغم ذلك لا يفارقه اطلاقاً؛ كان يعتبر السيد أوزموند رجلاً اجتماعياً من الطراز الأوّل وعلى استعداد لاستقباله في أي وقت وإحسان ضيافته. الا أنه لم يُشبع غروره بالاعتقاد أن الرغبة لتصحيح مظلمة سابقة هي وراء زيارات زائرهم المتكررة؛ قرأ الوضع بوضوح أكبر. كانت إيزابيل هي الدافع، ويمكن القول بكل انصاف، دافعاً كافياً. كان أوزموند ناقداً، ملاحظاً لكل ما هو مُتقن وشديد الحساسية، وكان من الطبيعي أن تلفت انتباهه انسانة على هذا القدر من الاستثنائية والتميّز. وهكذا حين علّقتِ والدته بالقول أنه من الواضح جداً

Chapter Twenty Six

Gilbert Osmond came to see Isabel again; that is he came to Palazzo Crescentini. He had other friends there as well, and to Mrs. Touchett and Madame Merle he was always impartially civil; but the former of these ladies noted the fact that in the course of a fortnight he called five times, and compared it with another fact that she found no difficulty in remembering. Two visits a year had hitherto constituted his regular tribute to Mrs. Touchett's worth, and she had never observed him select for such visits those moments, of almost periodical recurrence, when Madame Merle was under her roof.

It was not for Madame Merle that he came; these two were old friends and he never put himself out for her. He was not fond of Ralph–Ralph had told her so–and it was not supposable that Mr. Osmond had suddenly taken a fancy to her son. Ralph was imperturbable–Ralph had a kind of loose-fitting urbanity that wrapped him about like an ill-made overcoat, but of which he never divested himself; he thought Mr. Osmond very good company and was willing at any time to look at him in the light of hospitality. But he didn't flatter himself that the desire to repair a past injustice was the motive of their visitor's calls; he read the situation more clearly. Isabel was the attraction, and in all conscience a sufficient one. Osmond was a critic, a student of the exquisite, and it was natural he should be curious of so rare an apparition. So when his mother observed to him that it was plain what Mr. Osmond was thinking of, Ralph

ما يُفكّر به، أجابها رالف أنه يوافقها الرأي. كانت السيدة توشيت منذ فترة بعيدة حدّدت بالضبط موقع هذا الرجل في قائمتها الشحيحة، فبالرغم من حيرتها المبهمة ازاء أي نوع من الفن أو استناداً لأي قاعدة ـ بالرغم من اتسامهما بالسلبية والذكاء ـ كان ينجح أينما ذهب بفرض نفسه بشكل مؤثّر وفعّال. ونظراً لأنه لم يسبق له أبداً أن كان ضيفاً مزعجاً، فلم يكن هناك من مجال لأن يكون مصدر ازعاج، وما كان يشفع به مظهره وتصرفه الدال على أنه يمكنه بكل سهولة التخلّي عن صداقتها كما يمكنها هي التخلي عن صداقته ـ وهي ميزة بالرغم من غرابتها، أثّرت فيها بتوفيرها أساساً لنوع من الصداقة معها. الا أنها لم تكن راضية البتة بالتفكير بأنه عازم على الزواج من ابنة شقيقتها. فمثل هكذا ارتباط، من قِبَل إيزابيل سيكون أشبه بحماقة مَرضية. لم تنسَ السيدة توشيت بسهولة رفض ابنة شقيقتها لنبيل انجليزي؛ وأن فتاة شابة فشل اللورد وربرتون بطلب ودّها يمكنها الاكتفاء بأميركي ذو أصل مُبهم مُحب للفنون، وأرملُ متقدم في السن، ووالد لطفلة غريبة وذو مدخول مُلتبس، كان هذا الواقع يتعارض تماماً مع مفهوم السيدة توشيت للنجاح. تبنّت كما هو واضح لنا، النظرة السياسية من الزواج وليس النظرة العاطفية ـ وهي نظرة كان هناك دائماً الكثير مما يشفع بها. "أتمنى ألا يكون لديها من الحماقة ما يجعلها تُصغي اليه." قالت لابنها، علّق رالف على هذا قائلاً أن اصغاء إيزابيل واجابتها أمران مختلفان تماماً. كان يعلم أنها أصغت إلى العديد من الأطراف، كما كان سيقول والده، ولكنها جعلتهم يُصغون هم بدورهم أيضاً؛ ووجد الكثير من الطرافة في فكرة أنه خلال هذه الأشهر القليلة التي عرفها، تعرّف على عدد لا بأس به من راغبي الزواج بها المنتظرين عند بوابتها. كانت ترغب برؤية العالم، وكانت ثروتها عاملا

replied that he was quite of her opinion. Mrs. Touchett had from far back found a place on her scant list for this gentleman, though wondering dimly by what art and what process–so negative and so wise as they were–he had everywhere effectively imposed himself. As he had never been an importunate visitor he had had no chance to be offensive, and he was recommended to her by his appearance of being as well able to do without her as she was to do without him–a quality that always, oddly enough, affected her as providing ground for a relation with her. It gave her no satisfaction, however, to think that he had taken it into his head to marry her niece. Such an alliance, on Isabel's part, would have an air of almost morbid perversity. Mrs. Touchett easily remembered that the girl had refused an English peer; and that a young lady with whom Lord Warburton had not successfully wrestled should content herself with an obscure American dilettante, a middle-aged widower with an uncanny child and an ambiguous income, this answered to nothing in Mrs. Touchett's conception of success. She took, it will be observed, not the sentimental, but the political, view of matrimony–a view which has always had much to recommend it. "I trust she won't have the folly to listen to him," she said to her son; to which Ralph replied that Isabel's listening was one thing and Isabel's answering quite another. He knew she had listened to several parties, as his father would have said, but had made them listen in return; and he found much entertainment in the idea that in these few months of his knowing her he should observe a fresh

مساعدا لها في ذلك؛ فسلسلة متوالية من الرجال النبلاء الممتازين المنحنين أمامها الراغبين في طلب ودّها أمر مرحّب به. كان رالف يتشوّف للتعرّف إلى الرابع، والخامس، والعاشر من طالبي الزواج منها؛ لم يكن لديه أدنى اقتناع بأنها ستتوقّف عند الرجل الثالث الطالب قربها. ستُبقي الباب مشرّعاً ومفتوحاً للتفاوض؛ من المؤكد أنها لن تسمح للرقم الثالث بالدخول منه. عبّر عن آرائه هذه إلى والدته، التي نظرت اليه وكأنه يؤدّي رقصة سريعة مفعّمة بالحيوية. كان لديه طريقة توهّمية تصويرية للتعبير عن وجهات نظره، تكاد تُشابه تلاوته الحروف الهجائية لأصم أبكم.

"لستُ متأكدة من معرفة ما تقصده بكلامك، فأنت تستعمل الكثير من التشابيه؛ فشلتُ دائماً في فهم الاستعارات والقصص الرمزية. الكلمتان اللتان تحوزان على أكبر قدر من احترامي في اللغة هما كلمتا نعم ولا. اذا ما رغبت إيزابيل بالزواج من السيد أوزموند فستفعل ذلك بالرغم من جميع مقاراناتك. دعها وشأنها للعثور بمفردها على الشخص الذي ترغب الزواج منه. أعرف القليل جداً عن الرجل الشاب الموجود في أميركا؛ لا أظن أنه يحوز على جزء كبير من أفكارها، كما أظن أنه سئم انتظارها. لا شيء يمنعها من الزواج بالسيد أوزموند اذا ما نظرت اليه بطريقة معيّنة. لا بأس بهذا؛ فلا أحد يدعم ويساند ارضاء المرء لرغباته أكثر مما أفعل أنا. لكنها تجد متعة في أمور غريبة فعلاً؛ يمكنها الزواج من السيد أوزموند بسبب سحر وجاذبية آرائه أو امتلاكه لوحة فنّية موقّعة من مايكل أنجيلو. ترغب بأن تكون لا مبالية؛ وكأنها الشخص الوحيد المُعرّض لخطر عدم كونه كذلك! هل سيبقى هو على عدم مبالاته حين يُتاح له تبذير أموالها؟ تلك كانت فكرتها قبل وفاة والدك، وقد اكتسبت سحراً جديداً منذ ذلك الحين. يجدر بها الزواج من شخص تكون هي واثقة من صدقية مشاعره؛ ولا

suitor at her gate. She had wanted to see life, and fortune was serving her to her taste; a succession of fine gentlemen going down on their knees to her would do as well as anything else. Ralph looked forward to a fourth, a fifth, a tenth besieger; he had no conviction she would stop at a third. She would keep the gate ajar and open a parley; she would certainly not allow number three to come in. He expressed this view, somewhat after this fashion, to his mother, who looked at him as if he had been dancing a jig. He had such a fanciful, pictorial way of saying things that he might as well address her in the deaf-mute's alphabet.

"I don't think I know what you mean," she said; "you use too many figures of speech; I could never understand allegories. The two words in the language I most respect are Yes and No. If Isabel wants to marry Mr. Osmond she'll do so in spite of all your comparisons. Let her alone to find a fine one herself for anything she undertakes. I know very little about the young man in America; I don't think she spends much of her time in thinking of him, and I suspect he has got tired of waiting for her. There's nothing in life to prevent her marrying Mr. Osmond if she only looks at him in a certain way. That's all very well; no one approves more than I of one's pleasing one's self. But she takes her pleasure in such odd things; she's capable of marrying Mr. Osmond for the beauty of his opinions or for his autograph of Michael Angelo. She wants to be disinterested: as if she were the only person who's in danger of not being so! Will he be so disinterested when he has the spending of her money? That was her idea before your father's death, and it has,

يمكن أن يحصل ذلك سوى لدى شخص لديه ثروته الخاصة به. " قالت السيدة توشيت.

أجاب رالف: "يا والدتي العزيزة، لستُ خائفاً. انها تسخر منّا جميعاً. ستفعل ما يلائمها، طبعاً، ولكنها ستفعل ذلك من خلال دراستها عن قُرب للطبيعة البشرية وفي الوقت ذاته الاحتفاظ بحريتها. لقد انطلقت في رحلة استكشافية، ولا أظن أنها ستبدّل خطّ سيرها، عند البداية، عند أوّل اشارة من جلبرت أوزموند. قد تكون أبطأت من سرعتها لفترة قصيرة، ولكنها سرعان ما ستنطلق ثانية مواصلة رحلة استكشافها. عذراً على اعتمادي التشبيه مرة أخرى."

قد تكون السيدة توشيت عَذرت استخدامه التشابيه، الا أنها لم تطمئن بما يكفي لعدم مكاشفة مدام ميرل بمخاوفها. قالت: "أنتِ التي تعرفين كلَّ شيء، لا بد وأنكِ تعلمين ما اذا ذلك الكائن الغريب يتودّد لابنة شقيقتي."

أجابت مدام ميرل وقد جحظت عيناها: "جلبرت أوزموند؟ نجّنا يا رب! يا للفكرة المثيرة!"

"ألم تخطر على بالك؟"

أضافت قائلة: "تجعلينني أشعر بغاية الغباء، ولكن أصارحكِ القول أنها لم تخطر على بالي مطلقاً. أتساءل ما اذا خطرت تلك الفكرة على بال إيزابيل."

قالت السيدة توشيت: "أوه، سأسألها في أقرب فرصة."

فكّرت مدام ميرل للحظات. "لا تلفتي انتباهها لهذه المسألة. الأفضل سؤال السيد أوزموند."

acquired new charms for her since. She ought to marry some one of whose disinterestedness she shall herself be sure; and there would be no such proof of that as his having a fortune of his own."

"My dear mother, I'm not afraid," Ralph answered. "She's making fools of us all. She'll please herself, of course; but she'll do so by studying human nature at close quarters and yet retaining her liberty. She has started on an exploring expedition, and I don't think she'll change her course, at the outset, at a signal from Gilbert Osmond. She may have slackened speed for an hour, but before we know it she'll be steaming away again. Excuse another metaphor."

Mrs. Touchett excused it perhaps, but was not so much reassured as to withhold from Madame Merle the expression of her fears. "You who know everything," she said, "you must know this: whether that curious creature's really making love to my niece."

"Gilbert Osmond?" Madame Merle widened her clear eyes and, with a full intelligence, "Heaven help us," she exclaimed, "that's an idea!"

"Hadn't it occurred to you?"

"You make me feel an idiot, but I confess it hadn't. I wonder," she added, "if it has occurred to Isabel."

"Oh, I shall now ask her," said Mrs. Touchett.

Madame Merle reflected. "Don't put it into her head. The thing would be to ask Mr. Osmond."

قالت السيدة توشيت: "لا يمكنني فعل ذلك، لا أرغب بأن ينظر اليّ ولسان حاله يقول: ما شأنكِ أنتِ بأموري الشخصية."

صرّحت مدام ميرل بشجاعة: "سأسأله أنا."

"ولكن ما شأنكِ أنتِ ـ بأموره الشخصية؟"

"واقع ألا شأن لي على الاطلاق بأموره الشخصية هو بالذات ما يخوّلني أن أتكلم معه. انني أبعد انسانة عن أموره الشخصية ما يحول بدون توبيخي على تدخلّي في أمور لا تخصّني. وسيكون أسلوبه في الحديث عن هذا الموضوع مفتاح معرفتنا لنواياه الحقيقية."

قالت مدام توشيت: "أرجوكِ أعلميني بما يخبركِ. اذا لا يمكنني التحدّث معه، فعلى الأقل يمكنني التحدث مع إيزابيل."

قالت رفيقتها بنبرة تحذيرية: "احرصي على عدم التسرّع معها. تجنّبي الهاب مُخيلتها."

"لم يسبق لي طوال حياتي القيام بعمل ألهب مخيلة الآخر. ولكنني متأكدة بشكل دائم من قيامها بتصرفات مختلفة تماماً عن نوعية تصرفاتي."

علّقت مدام ميرل قائلة: "لا، ستتألمين ممّا قد ينتج عن هكذا عمل."

"لماذا بحق السماء سيحصل ذلك؟ فالسيد أوزموند لا يملك أي شيء يُعتمد عليه يمكنه تقديمه."

فكّرت مدام ميرل ثانية مليّاً في هذه الكلمات بابتسامة زادت من سحر شموخ شفتها العليا. "دعينا نصنّف الأمور. مما لا ريب فيه أن جلبرت أوزموند ليس بوافد جديد على عالم العلاقات العاطفية. انه رجل يمكنه، اذا ما توافرت الظروف المناسبة، أن يترك انطباعاً مؤثراً جداً لدى الشخص

"I can't do that," said Mrs. Touchett. "I won't have him enquire of me–as he perfectly may with that air of his, given Isabel's situation–what business it is of mine."

"I'll ask him myself," Madame Merle bravely declared.

"But what business–for him–is it of yours?"

"It's being none whatever is just why I can afford to speak. It's so much less my business than any one's else that he can put me off with anything he chooses. But it will be by the way he does this that I shall know."

"Pray let me hear then," said Mrs. Touchett, "of the fruits of your penetration. If I can't speak to him, however, at least I can speak to Isabel."

Her companion sounded at this the note of warning. "Don't be too quick with her. Don't inflame her imagination."

"I never did anything in my life to any one's imagination. But I'm always sure of her doing something–well, not of my kind."

"No, you wouldn't like this," Madame Merle observed without the point of interrogation.

"Why in the world should I, pray? Mr. Osmond has nothing the least solid to offer."

Again Madame Merle was silent while her thoughtful smile drew up her mouth even more charmingly than usual toward the left corner. "Let us distinguish. Gilbert Osmond's certainly not the first comer. He's a man who in favourable conditions might very well make a great

الآخر. فقد سبق له، استناداً لمعلوماتي، أن ترك انطباعاً جيداً جداً لدى الآخرين وفي أكثر من مناسبة.»

صاحت مدام توشيت: «لا تخبريني عن علاقاته العاطفية العَرضية؛ انها لا تعني لي شيئاً!»

تابعت مدام توشيت قائلة: «ما تقولينه هو بالضبط الدافع وراء رغبتي وضع حدّ لزياراته لمنزلي. لا يملك شيئاً سوى بضعة لوحات بريشة الأساتذة الأوائل والى حدٍ ما ابنة صغيرة.»

قالت مدام ميرل: «لوحات الأساتذة الأوائل أصبحت الآن ذات قيمة مالية كبيرة، والابنة صغيرة السن جداً وبريئة جداً وانسانة غير مؤذية على الاطلاق.»

«بكلام آخر انها طفلة صغيرة تافهة. أهذا ما تقصدينه بكلامك؟ ونظراً لافتقارها ثروة كبيرة فلا يمكنها تأمّل الزواج وفق العُرف المُتّبع هنا؛ ما يعني أنه سيتوجّب على إيزابيل اعالتها أو توفير بائنة لها.»

«أغلب الظن أن إيزابيل لن تمانع في رعايتها ومعاملتها بحب وحنان. أظن أنها تحب الفتاة المسكينة.»

«سبب اضافي اذن لوضع حدّ لزيارات السيد أوزموند لهذا المنزل! والا لن ينقضي أسبوع من الآن حتى تطالعني ابنة شقيقتي بأنها توصّلت لقناعة أن رسالتها في الحياة هي اثبات امكانية تضحية زوجة الأب بنفسها - وأنه تأكيداً لهذا، عليها أوّلاً أن تصبح زوجة أب.»

قالت مدام ميرل مبتسمة: «لا شك أنها ستكون زوجة أب ساحرة، ولكني أوافقك الرأي أنه يُستحسن بها عدم التوصّل إلى قرار بشكل متسرّع. فتبديل شكل رسالة المرء في الحياة يوازي صعوبة تبديله شكل أنفه: كل من هذين الأمرين ظاهر في وجه وشخصية المرء. ولكن

impression. He has made a great impression, to my knowledge, more than once."

"Don't tell me about his probably quite cold-blooded love-affairs; they're nothing to me!" Mrs. Touchett cried.

"What you say's precisely why I wish he would cease his visits. He has nothing in the world that I know of but a dozen or two of early masters and a more or less pert little daughter."

"The early masters are now worth a good deal of money," said Madame Merle, "and the daughter's a very young and very innocent and very harmless person."

"In other words she's an insipid little chit. Is that what you mean? Having no fortune she can't hope to marry as they marry here; so that Isabel will have to furnish her either with a maintenance or with a dowry."

"Isabel probably wouldn't object to being kind to her. I think she likes the poor child."

"Another reason then for Mr. Osmond's stopping at home! Otherwise, a week hence, we shall have my niece arriving at the conviction that her mission in life's to prove that a stepmother may sacrifice herself- and that, to prove it, she must first become one."

"She would make a charming stepmother," smiled Madame Merle; "but I quite agree with you that she had better not decide upon her mission too hastily. Changing the form of one's mission's almost as difficult as changing the shape of one's nose: there they are, each, in the middle of

one's face and one's character–one has to begin too far back. But I'll investigate and report to you."

All this went on quite over Isabel's head; she had no suspicions that her relations with Mr. Osmond were being discussed. Madame Merle had said nothing to put her on her guard; she alluded no more pointedly to him than to the other gentlemen of Florence, native and foreign, who now arrived in considerable numbers to pay their respects to Miss Archer's aunt. Isabel thought him interesting–she came back to that; she liked so to think of him. She had carried away an image from her visit to his hill-top which her subsequent knowledge of him did nothing to efface and which put on for her a particular harmony with other supposed and divined things, histories within histories: the image of a quiet, clever, sensitive, distinguished man, strolling on a moss-grown terrace above the sweet Val d'Arno and holding by the hand a little girl whose bell-like clearness gave a new grace to childhood. The picture had no flourishes, but she liked its lowness of tone and the atmosphere of summer twilight that pervaded it. It spoke of the kind of personal issue that touched her most nearly; of the choice between objects, subjects, contacts–what might she call them?–of a thin and those of a rich association; of a lonely, studious life in a lovely land; of an old sorrow that sometimes ached to-day; of a feeling of pride that was perhaps exaggerated, but that had an element of nobleness; of a care for beauty and perfection so natural and so cultivated together that the career appeared to stretch beneath it in the disposed vistas and with the ranges of steps and terraces and fountains

سأتحرّى الأمر وأخبرك بما يستجدّ معي من معلومات. "

جرى كل هذا بدون علم إيزابيل التي كانت تجهل تماماً أن علاقتها مع السيد أوزموند هي موضع نقاش. لم تقل مدام ميرل شيئاً يجعلها تأخذ حذرها؛ لم تُلمّح اليه أكثر مما تفعل بالنسبة للرجال الآخرين من فلورنسا، مواطنون وأجانب على السواء، الذين أصبحوا الآن يتوافدون بأعداد كبيرة لتقديم احتراماتهم لخالة الآنسة أرتشير. اعتبرته إيزابيل رجلاً مثيراً ـ كانت هذه هي النتيجة التي توصّلت اليها، الشكل الذي كانت تحب أن تفكّر به. حملت معها عقب زيارتها للمنزل في أعلى الهضبة صورة عنه لم تمحها أو تطمسها معرفتها التالية به، والتي أصبغت بالنسبة لها تناغماً استثنائياً مع أشياء أخرى مُتصوَّرة وسامية، روايات داخل روايات: صورة رجل هادئ، ذكي، حسّاس، مُتميّز يتنزّه بين جنبات شرفة مكسوّة بالطحالب تُشرف على فال دارنو الرائع ممسكاً بيده فتاة صغيرة أصبغت بصفائها المميّز سحراً جديداً لمفهوم الطفولة. كانت تلك الصورة خالية من أية زخرفة، الا أنها أعجِبَت بوقعها المتواضع وجو شَفق الصيف المخيّم عليها. كانت انعكاساً لنوع من الوضع الشخصي الأكثر تأثيراً فيها؛ خيار بين أشياء، ومواضيع وعلاقات ـ أم ماذا يمكن أن تسميها؟ ـ من حياة منعزلة مُجدّة وسط ارضٍ ساحرة؛ من أحزان الماضي التي أحياناً يشعر بألمها اليوم؛ من شعور بالفخر الذي ربما كان مُضخَماً، الا أنه كان يتّسم بعنصر من النبالة؛ من اهتمام بالجمال والمثالية، فطري ومصقول معاً بشكل بدت المهنة وكأنها ممتدة عند أسفلها داخل المجازات الضيقة المُرتّبة، ومع صفوف درجات ومصطبات ونوافير حديقة ايطالية شكلية، مُجيزة فقط لأماكن قاحلة مُنضرة من نداوة طبيعية من ابوّة طريفة شبه قلقة وشبه بائسة. لم يتبدّل تصرّف

السيد أوزموند في بلازو كريسينتي؛ غير واثق من نفسه في البداية ـ خجول قطعاً! ومفعَم بجهد (ظاهر فقط لعيون متعاطفة معه) للتغلّب على هذا العائق؛ جهد كان ينتهي عادة بحديث فيه الكثير من سمات السلاسة، والحيوية، والايجابية المفرطة، وشيء من العدوانية ومثير للعواطف بشكل دائم.

كان حديث السيد أوزموند غير مُلطّخ بإشارة من رغبة متلهّفة للتألّق والبروز، لم تجد إيزابيل صعوبة في تصديق أن انساناً يملك العديد من دلائل الاقتناع الراسخ لا بد وأن يكون انساناً صادقاً ـ على سبيل المثال اعجاب صريح وغير مُتحفّظ ولبق في أي شيء يمكن أن يُقال بشأن وجهة نظره من مسألة ما، خاصة اذا قيل من قِبَل الآنسة أرتشير. الأمر الذي أثار اعجاب هذه السيدة الشابة بشكل متواصل هو أنه خلال حديثه الاجتماعي العام، لم يكن يتحدّث كما اعتادت سماع الآخرين يتحدثون من أجل "التأثير" على الآخرين. كان ينطق بوجهات نظره وكأنه، بالرغم من غرابتها، قد اعتاد عليها وألِفها؛ مقابض أبواب قديمة مصقولة، ومِسكات ورؤوس، من مواد نفيسة، يمكن تثبيتها اذا الحاجة دعت لذلك، إلى عِصي مشي جديدة ـ خلافاً لقضبان مُقتلعة بسبب الفقر المدقع من شجرة عادية ومتموّجة لاحقاً بزخرفة مفرطة. اصطحب معه ذات يوم ابنته الصغيرة، ابتهجت من تجديد معرفتها بالطفلة، التي وهي تُقدّم جبهتها للتقبيل من جميع الموجودين، ذكّرتها بقوة بالفتاة الساذجة في مسرحية فرنسية. لم يسبق لايزابيل رؤية فتاة صغيرة من هذا النوع؛ فالفتيات الأميركيات في هذه السن مختلفات جداً ـ كما الاختلاف الكبير المُميّز للفتيات الانجليزيات. كانت بانسي على درجة كبيرة من التهذيب والصقل

of a formal Italian garden–allowing only for arid places freshened by the natural dews of a quaint half-anxious, half-helpless fatherhood. At Palazzo Crescentini Mr. Osmond's manner remained the same; diffident at first- oh self-conscious beyond doubt! and full of the effort visible only to a sympathetic eye to overcome this disadvantage; an effort which usually resulted in a great deal of easy, lively, very positive, rather aggressive, always suggestive talk.

Mr. Osmond's talk was not injured by the indication of an eagerness to shine; Isabel found no difficulty in believing that a person was sincere who had so many of the signs of strong conviction–as for instance an explicit and graceful appreciation of anything that might be said on his own side of the question, said perhaps by Miss Archer in especial. What continued to please this young woman was that while he talked so for amusement he didn't talk, as she had heard people, for "effect." He uttered his ideas as if, odd as they often appeared, he were used to them and had lived with them; old polished knobs and heads and handles, of precious substance, that could be fitted if necessary to new walking-sticks–not switches plucked in destitution from the common tree and then too elegantly waved about. One day he brought his small daughter with him, and she rejoiced to renew acquaintance with the child, who, as she presented her forehead to be kissed by every member of the circle, reminded her vividly of an ingenue in a French play. Isabel had never seen a little person of this pattern; American girls were very different–different too were the maidens of England. Pansy was so formed and finished for her tiny

بالنسبة لمكانتها في هذا العالم، ولكن بالرغم من هذا، كانت في خيالها، كما يمكن للمرء تصوّره، في غاية البراءة والطفولية. جلست على الكنبة بالقرب من إيزابيل؛ كانت مرتدية ثوباً صغيراً من قماش الغرينادين وجوزاً من القفّازات العملية التي أهدتها اياها مدام ميرل ـ قفّازات صغيرة رمادية اللون بزرّ واحد. كانت أشبه بورقة بيضاء فارغة، مثال الفتاة الصغيرة التي تحفل بها الروايات الأجنبية. أمِلَت إيزابيل أن تُملأ صفحة ملساء ورائعة كهذه بنص مُثقّف.

جاءت كذلك الكونتيسة جيميني لزيارتها، الا أن الكونتيسة كانت مسألة مختلفة تماماً. كانت أبعد ما تكون عن صفحة بيضاء فارغة؛ كانت صفحة عرفت كتابة أقلام متنوعة، واعتبرت السيدة توشيت التي لم ترحّب على الاطلاق بزيارتها، وجود عدد من بُقع الحبر الواضحة جداً على سطحها الخارجي. بالواقع أثارت زيارة الكونتيسة نقاشاً عميقاً بين سيدة المنزل والزائرة القادمة من روما، حيث مدام ميرل (التي كانت أذكى من اثارة ازعاج الآخرين من خلال الموافقة الدائمة على كل ما يقولونه) استفادت بشكل مناسب ولبق بما فيه الكفاية من المعارضة الكبيرة التي عبّرت عنها مضيفتها بصراحة كبيرة. أكّدت السيدة توشيت أن قدوم مثل هذه الشخصية الغريبة إلى بلازو كريسينتي في مثل تلك الساعة لهو تصرّف في غاية الوقاحة والجرأة، خاصة وأنها تعرف تماماً ومنذ فترة طويلة أنه غير مرحّب بوجودها في ذلك المنزل. تعرّفت إيزابيل على تقييم وضيع جداً تحت سقف ذلك المنزل؛ حيث كانت شقيقة السيد أوزموند تُعتبر سيدة أساءت تدبير أفعالها غير اللائقة لدرجة كبيرة ـ بحيث لم تعد متماسكة على الاطلاق ـ وذاك كان أقل ما يمكن تطلّبه من تلك المسائل ـ وأصبحت مجرّد شظايا طائفة من الشهرة المُحطّمة، المُزعجة للتداول الاجتماعي.

place in the world, and yet in imagination, as one could see, so innocent and infantine. She sat on the sofa by Isabel; she wore a small grenadine mantle and a pair of the useful gloves that Madame Merle had given her–little grey gloves with a single button. She was like a sheet of blank paper–the ideal jeune fille of foreign fiction. Isabel hoped that so fair and smooth a page would be covered with an edifying text.

The Countess Gemini also came to call upon her, but the Countess was quite another affair. She was by no means a blank sheet; she had been written over in a variety of hands, and Mrs. Touchett, who felt by no means honoured by her visit, pronounced that a number of unmistakeable blots were to be seen upon her surface. The Countess gave rise indeed to some discussion between the mistress of the house and the visitor from Rome, in which Madame Merle who was not such a fool as to irritate people by always agreeing with them availed herself felicitously enough of that large licence of dissent which her hostess permitted as freely as she practised it. Mrs. Touchett had declared it a piece of audacity that this highly compromised character should have presented herself at such a time of day at the door of a house in which she was esteemed so little as she must long have known herself to be at Palazzo Crescentini. Isabel had been made acquainted with the estimate prevailing under that roof: it represented Mr. Osmond's sister as a lady who had so mismanaged her improprieties that they had ceased to hang together at all–which was at the least what one asked of such matters–and had become the mere floating fragments of a wrecked renown, incommoding social circulation.

تزوّجت نزولاً عند رغبة والدتها ـ التي كانت انسانة أكثر تدبيراً منها ومُعجبة جداً بالألقاب الأجنبية والتي انصافاً للفتاة أصبحت الآن أكثر من مستعدّة للتخلي عنها ـ بأحد النبلاء الايطاليين الذي ربما عذرها بعض الشيء لمحاولتها كبت مشاعر الحنق المتملّكة بها. الا أن الكونتيسة عزّت نفسها بشكل شائن، وأصبحت قائمة أعذارها الآن مَنسية بين متاهات مغامراتها. لم يسبق للسيدة توشيت اطلاقاً الموافقة على استقبالها، بالرغم من محاولات عديدة قامت بها الكونتيسة في الماضي. لم تكن فلورنسا مدينة مُتزمّتة؛ الا أن السيدة توشيت قالت، لا بد من وضع حدود في مكان ما.

دافعت مدام ميرل عن السيدة القليلة الحظ بكثير من الحماس والفطنة. لم يكن باستطاعتها تبرير رغبة السيدة توشيت من جعل امرأة كبش محرقة، امرأة لم تؤذي بالواقع أعمالاً سيئة بل أدّت أعمالاً صالحة بأسلوب خاطئ. طبعاً يتوجّب على المرء وضع حدود، ولكن في الوقت ذاته يجب أن تكون خطوط تلك الحدود خطوطاً مستقيمة: سيكون خطّاً متعرّجاً جداً ذاك الذي سيستثني الكونتيسة جيميني. الأفضل في تلك الحالة بالنسبة للسيدة توشيت على اقفال باب منزلها طوال فترة وجودها في فلورنسا. يتوجّب على المرء أن يكون منصفاً وعدم التمييز بشكل عشوائي: مما لا ريب فيه أن الكونتيسة تصرّفت بشكل طائش، لم تكن ببراعة النساء الأخريات. كانت انسانة صالحة، غير ذكية على الاطلاق؛ ولكن منذ متى يُعتبر هذا أساساً للاقصاء من أفضل المجتمعات؟ لقد انقضت فترة طويلة جداً لم يسمع أحد بأية تصرفات سيئة عنها، ولا يمكن أن يكون هناك اثباتاً أكبر عن رجوعها عن خطئها من رغبتها بالانتماء لدائرة السيدة توشيت الاجتماعية. لم يكن باستطاعة إيزابيل المساهمة بأي شيء في هذا الحديث

She had been married by her mother–a more administrative person, with an appreciation of foreign titles which the daughter, to do her justice, had probably by this time thrown off- to Italian nobleman who had perhaps given her some excuse for attempting to quench the consciousness of outrage. The Countess, however, had consoled herself outrageously, and the list of her excuses had now lost itself in the labyrinth of her adventures. Mrs. Touchett had never consented to receive her, though the Countess had made overtures of old. Florence was not an austere city; but, as Mrs. Touchett said, she had to draw the line somewhere.

Madame Merle defended the luckless lady with a great deal of zeal and wit. She couldn't see why Mrs. Touchett should make a scapegoat of a woman who had really done no harm, who had only done good in the wrong way. One must certainly draw the line, but while one was about it one should draw it straight: it was a very crooked chalk-mark that would exclude the Countess Gemini. In that case Mrs. Touchett had better shut up her house; this perhaps would be the best course so long as she remained in Florence. One must be fair and not make arbitrary differences: the Countess had doubtless been imprudent, she had not been so clever as other women. She was a good creature, not clever at all; but since when had that been a ground of exclusion from the best society? For ever so long now one had heard nothing about her, and there could be no better proof of her having renounced the error of her ways than her desire to become a member of Mrs. Touchett's circle.

الشيّق، ولا حتى انتباهاً صبوراً؛ اكتفت بتوجيه ترحيبٍ ودود للسيدة السيئة الحظ، التي وبرغم عيوبها، كانت تتميّز بحسنة واحدة على الأقل وهي أنها شقيقة السيد أوزموند. نظراً لاعجابها بالشقيق، اعتبرت إيزابيل أنه من اللائق محاولة تقبّل شقيقته: فبالرغم من تنامي تعقيدات الأوضاع حولها، الا أنها كانت ما زالت متتبّعة لذلك التسلسل البدائي. لم يكن انطباعها الأوّل عن الكونتيسة عندما التقت بها في الدارة انطباعاً حسناً، الا أنها كانت شاكرة لتوفّر فرصة أخرى لتصحيح ذلك الانطباع. ألم يعلّق السيد أوزموند بالقول أنها انسانة جديرة بالاحترام؟ اقدام جلبرت أوزموند التعليق على هذا النحو كان اقتراحاً غير ناضج، ولكن مدام ميرل أصبغت عليه نوعاً من الكياسة المُحسّنة. أخبرت إيزابيل عن الكونتيسة المسكينة أكثر مما فعل السيد أوزموند، وروت لها تاريخ زواجها وما نتج عن ذلك الزواج.

كان الكونت سليل أحد العائلات التوسكانية القديمة، ولكن ذو أملاك متواضعة جداً ما جعله سعيداً بالقبول بآيمي أوزموند زوجة له، بالرغم من جمالها المشكوك به الذي حتى ذلك الحين لم يكن يُشكّل عائقاً في حياتها الاجتماعية، والبائنة المتواضعة التي استطاعت والدتها توفيرها لها ـ وهو مبلغ مساوٍ للمبلغ الذي يُشكّل حصة شقيقها من ارثهما. اشارة إلى أن الكونت منذ ذلك الحين، ورِثَ مبلغاً لا بأس به من المال، وهما الآن في وضع مالي مريح، وفق القياس الايطالي، بالرغم من تبذير آيمي المفرط. كان الكونت رجلاً سيء الطباع؛ ما وفّر لزوجته جميع الذرائع. لم تُرزق بالأولاد، فقدت ثلاثة خلال السنة الأولى من ولادتهم. كانت والدتها التي تدّعي إلى حدٍ كبير اطّلاعها

Isabel could contribute nothing to this interesting dispute, not even a patient attention; she contented herself with having given a friendly welcome to the unfortunate lady, who, whatever her defects, had at least the merit of being Mr. Osmond's sister. As she liked the brother Isabel thought it proper to try and like the sister: in spite of the growing complexity of things she was still capable of these primitive sequences. She had not received the happiest impression of the Countess on meeting her at the villa, but was thankful for an opportunity to repair the accident. Had not Mr. Osmond remarked that she was a respectable person? To have proceeded from Gilbert Osmond this was a crude proposition, but Madame Merle bestowed upon it a certain improving polish. She told Isabel more about the poor Countess than Mr. Osmond had done, and related the history of her marriage and its consequences.

The Count was a member of an ancient Tuscan family, but of such small estate that he had been glad to accept Amy Osmond, in spite of the questionable beauty which had yet not hampered her career, with the modest dowry her mother was able to offer–a sum about equivalent to that which had already formed her brother's share of their patrimony. Count Gemini since then, however, had inherited money, and now they were well enough off, as Italians went, though Amy was horribly extravagant. The Count was a low-lived brute; he had given his wife every pretext. She had no children; she had lost three within a year of their birth. Her mother, who had bristled with pretensions to elegant learning and published descriptive poems and corresponded

on Italian subjects with the English weekly journals, her mother had died three years after the Countess's marriage, the father, lost in the grey American dawn of the situation, but reputed originally rich and wild, having died much earlier. One could see this in Gilbert Osmond, Madame Merle held- see that he had been brought up by a woman; though, to do him justice, one would suppose it had been by a more sensible woman than the American Corinne, as Mrs. Osmond had liked to be called. She had brought her children to Italy after her husband's death, and Mrs. Touchett remembered her during the year that followed her arrival.

She thought her a horrible snob; but this was an irregularity of judgement on Mrs. Touchett's part, for she, like Mrs. Osmond, approved of political marriages. The Countess was very good company and not really the featherhead she seemed; all one had to do with her was to observe the simple condition of not believing a word she said. Madame Merle had always made the best of her for her brother's sake; he appreciated any kindness shown to Amy, because if it had to be confessed for him he rather felt she let down their common name. Naturally he couldn't like her style, her shrillness, her egotism, her violations of taste and above all of truth: she acted badly on his nerves, she was not his sort of woman. What was his sort of woman? Oh, the very opposite of the Countess, a woman to whom the truth should be habitually sacred. Isabel was unable to estimate the number of times her visitor had, in half an hour, profaned it: the Countess indeed had given her an,

وتذوّقها المعرفة العالية والقصائد التصويرية المنشورة ومراسلة للمجلات الأسبوعية الانجليزية عن المواضيع الايطالية، قد توفّت بعد ثلاث سنوات من زواج الكونتيسة، وكان والدها قد توفيَ قبل ذلك بفترة طويلة. يمكن للمرء رؤية هذا في شخصية جلبرت أوزموند، تابعت مدام ميرل كلامها ـ رؤية أنه تربّى على يدي امرأة؛ والحق يقال، يجدر القول أن المرء سيفترض أنها امرأة أكثر تعقّلاً من كورين الأميركية، كما كانت رغِبَت السيدة أوزموند بأن تُسمّى. جلبت أطفالها إلى ايطاليا عقب وفاة زوجها، ومدام ميرل تذكرها خلال السنة التالية من وصولها.

كانت تظنّها امرأة متكبّرة بشكل رهيب، الا أن ذلك كان شذوذية في الرأي من جانب السيدة توشيت، على أنها كما السيدة أوزموند، تُحبّذ الزيجات العاقلة. كانت الكونتيسة امرأة مُرحّب بها بالمجتمع وأبعد ما تكون عن المغفّلة كما يبدو عليها؛ كل ما كان يحتاجه المرء للقبول بها هو عدم تصديق كلمة من أقوالها. بذلت مدام ميرل دائماً كل ما باستطاعتها وتحمّلتها اكراماً لشقيقها؛ فهو كان يُقدّر دائماً أي تصرف لطيف تجاه أيمي، لأنه (اذا أردنا الاعتراف بما يشعر به فعلا)، كان يعتبر أنها أذلّت اسمهما المُشترك. كان من المستحيل بطبيعة الحال، أن يرضى بأسلوبها، وصياحها، وأنانيتها وانتهاكها لأبسط قوانين الذوق والأهم من كل ذلك انتهاكها للحقيقة: أثّرت سلباً على أعصابه، لم تكن من نوع النساء اللواتي يثرن اعجابه واحترامه. أي نوع من النساء يحب؟ أوه، نقيض الكونتيسة تماماً، امرأة تعتبر الحقيقة أمرا اعتيادياً مقدّساً. فشلت إيزابيل في تذكّر عدد المرّات التي انتهكت زائرتهم، خلال نصف ساعة من الوقت، ذلك المفهوم: الواقع أنه تكوّن لديها انطباع عن الكونتيسة بأنها امرأة صادقة على

نحو سخيف بعض الشيء. تحدثت بشكل حصري تقريباً عن نفسها؛ كم ترغب بالتعرّف بشكل أفضل على الآنسة أرتشير؛ كم ستكون شاكرة للفوز بصديقة حقيقية؛ كم سكان فلورنسا حقيرون فعلا؛ كم مَلّت من هذا المكان؛ كم ترغب بالعيش في مكان آخر - في باريس، أو لندن أو واشنطن؛ كم من المستحيل العثور في ايطاليا على شيء أنيق يمكن ارتداءه باستثناء تخريمات بسيطة، كم أصبح العالم مكاناً عزيزاً وحياة المعاناة والحرمان التي عاشتها حتى الآن. أصغت مدام ميرل لوصف إيزابيل لهذا المقطع، الا أنها لم تكن بحاجه لهذا المقطع للشعور بالقلق. بشكل عام لم تكن خائفة من الكونتيسة، وكان بإمكانها القيام بما تتقنه على أكمل وجه - التظاهر بعدم القلق.

استقبلت إيزابيل في هذه الأثناء زائرة أخرى، التي لم يكن من السهل التملّق عليها. كانت هنريتا ستاكبول، بعدما غادرت باريس اثر مغادرة السيدة توشيت سان ريمو، قد اتجهت نزولاً، حسب تعبيرها، عبر المدن الشمالية في ايطاليا، ووصلت إلى منحدرات أرنو في أواسط شهر أيار. تفحّصتها مدام ميرل بنظرة شاملة من رأسها حتى أخمص قدميها، وقرّرت تحمّلها بعد وخزة سريعة من اليأس. بالواقع قررت اظهار البهجة بالتعرّف اليها. ربما لا تستحق التنشّق كوردة، الا أنه يمكن الامساك بها كنبات شائك. اعتبرتها بأسلوب في منتهى اللطف مسألة تافهة، وشعرت إيزابيل بتوقّعها مثل هذا التحرّر وسعة العقل، قد أنصفت ذكاء صديقتها. أعلن السيد بانتلنغ نبأ وصول هنريتا، بعدما قدم من نيس خلال وجودها في البندقية، ومتوقعاً الالتقاء بها في فلورنسا، وحين علم بعدم وصولها إلى هناك، قرّر الاتصال ببلازو كريسينتي للتعبير عن خيبة أمله. وصلت هنريتا

impression of rather silly sincerity. She had talked almost exclusively about herself; how much she should like to know Miss Archer; how thankful she should be for a real friend; how base the people in Florence were; how tired she was of the place; how much she should like to live somewhere else–in Paris, in London, in Washington; how impossible it was to get anything nice to wear in Italy except a little old lace; how dear the world was growing everywhere; what a life of suffering and privation she had led. Madame Merle listened with interest to Isabel's account of this passage, but she had not needed it to feel exempt from anxiety. On the whole she was not afraid of the Countess, and she could afford to do what was altogether best–not to appear so.

Isabel had meanwhile another visitor, whom it was not, even behind her back, so easy a matter to patronize. Henrietta Stackpole, who had left Paris after Mrs. Touchett's departure for San Remo and had worked her way down, as she said, through the cities of North Italy, reached the banks of the Arno about the middle of May. Madame Merle surveyed her with a single glance, took her in from head to foot, and after a pang of despair determined to endure her. She determined indeed to delight in her. She mightn't be inhaled as a rose, but she might be grasped as a nettle. Madame Merle genially squeezed her into insignificance, and Isabel felt that in foreseeing this liberality she had done justice to her friend's intelligence. Henrietta's arrival had been announced by Mr. Bantling, who, coming down from Nice while she was at Venice, and expecting to find her in Florence, which she had not yet reached, called

at Palazzo Crescentini to express his disappointment. Henrietta's own advent occurred two days later and produced in Mr. Bantling an emotion amply accounted for by the fact that he had not seen her since the termination of the episode at Versailles. The humorous view of his situation was generally taken, but it was uttered only by Ralph Touchett, who, in the privacy of his own apartment, when Bantling smoked a cigar there, indulged in goodness knew what strong comedy on the subject of the all-judging one and her British backer. This gentleman took the joke in perfectly good part and candidly confessed that he regarded the affair as a positive intellectual adventure. He liked Miss Stackpole extremely; he thought she had a wonderful head on her shoulders, and found great comfort in the society of a woman who was not perpetually thinking about what would be said and how what she did, how what they did–and they had done things!–would look. Miss Stackpole never cared how anything looked, and, if she didn't care, pray why should he? But his curiosity had been roused; he wanted awfully to see if she ever would care. He was prepared to go as far as she–he didn't see why he should break down first.

Henrietta showed no signs of breaking down. Her prospects had brightened on her leaving England, and she was now in the full enjoyment of her copious resources. She had indeed been obliged to sacrifice her hopes with regard to the inner life; the social question, on the Continent, bristled with difficulties even more numerous than those she had encountered in England. But on the Continent there

قبل وصول السيد بانتلنغ الذي لدى رؤيته اياها شعر بعاطفة قوية مُبرّرة بواقع أنه لم يشاهدها منذ نهاية سلسلة الأحداث التي حصلت في فيرساي. شارك الجميع بالتعبير للسيد بانتلنغ عن طرافة موقفه، الا أن رالف توشيت كان الوحيد الذي علّق على ذلك بأسلوب أقرب إلى السخرية في عزلة شقته الخاصة، خلال تدخين السيد بانتلنغ سيجاراً لدى وجوده هناك. تقبّل الرجل النبيل الانتقاد والسخرية برحابة صدر واعترف بصراحة بأنه يعتبر هذه المسألة كمغامرة فكرية ايجابية. انه مُعجب جداً بالآنسة ستاكبول، ويرتاح جداً بصحبة امرأة لا تفكّر على الدوام بما يمكن أن يُقال، وماذا وكيف فعلت ما فعلته، وماذا وكيف فعل الآخرون، وفعل الآخرون أشياءً! - وكيف سيكون تأثير أفعالهم. لا تكترث الآنسة ستاكبول اطلاقاً لمظاهر الأشياء، واذا كان هذا موقفها، فبالله عليك، ما الذي يدعوه للاكتراث بذلك؟ الا أنها أثارت فضوله، فهو شديد الرغبة في استبيان ما اذا يمكنها الاكتراث بأي شيء مستقبلا. كان على استعداد لمجاراتها في ذلك حتى النهاية - ويظن أنه سيتفوّق عليها في هذا المضمار.

لم يظهر على هنريتا أية دلائل تشير لتراجعها عن مواقفها. فقد اكتسبت احتمالات نجاحها في المهمة التي انتدبت نفسها لأجلها زخماً جديداً لدى مغادرتها انجلترا، وأصبحت الآن تستمتع بالكامل بوفرة مصادرها. صحيح أنها اضطّرت للتخلي عن آمالها في ما يتعلّق بالحياة الداخلية؛ الا أن القضية الاجتماعية في القارة الأوروبية، كانت ملتهبة بمعضلات فاقت بكثير ما وجدته في انجلترا. إنما، على القارة الأوروبية،

was the outer life, which was palpable and visible at every turn, and more easily convertible to literary uses than the customs of those opaque islanders. Out of doors in foreign lands, as she ingeniously remarked, one seemed to see the right side of the tapestry; out of doors in England one seemed to see the wrong side, which gave one no notion of the figure. The admission costs her historian a pang, but Henrietta, despairing of more occult things, was now paying much attention to the outer life. She had been studying it for two months at Venice, from which city she sent to the Interviewer a conscientious account of the gondolas, the Piazza, the Bridge of Sighs, the pigeons and the young boatman who chanted Tasso. The Interviewer was perhaps disappointed, but Henrietta was at least seeing Europe. Her present purpose was to get down to Rome before the malaria should come on–he apparently supposed that it began on a fixed day; and with this design she was to spend at present but few days in Florence. Mr. Bantling was to go with her to Rome, and she pointed out to Isabel that as he had been there before, as he was a military man and as he had had a classical education–he had been bred at Eton, where they study nothing but Latin and Whyte-Melville, said Miss Stackpole–he would be a most useful companion in the city of the Caesars. At this juncture Ralph had the happy idea of proposing to Isabel that she also, under his own escort, should make a pilgrimage to Rome. She expected to pass a portion of the next winter there–that was very well; but meantime there was no harm in surveying the field. There were ten days left of the beautiful month of

كانت هناك الحياة الخارجية، الملموسة والمرئية، عند كل زاوية، والتي كانت أكثر قابلية للتعبير عنها بأسلوب أدبي من أعراف وتقاليد سكان الجزيرة المُبهمين. علّقت بالقول ببراءة أن السفر إلى بلدان أجنبية والتعاطي مع ما تشاهده من الخارج، يوفّر لها رؤية صحيحة للنسيج البشري؛ بينما بدا لها التواجد في الخارج في انجلترا بأنها تشاهد الناحية الخطأ من ذلك النسيج، ما يجعل المشهد المتكوّن لديها مبهماً وغامضاً. شعر مؤرخها بوخزة مؤلمة من تصريحها هذا، ولكن هنريتا الفاقدة الأمل من الأشياء المُبهمة، صبّت اهتمامها الآن على مظاهر الحياة الخارجية. كانت قد عكفت على دراستها خلال وجودها في البندقية لمدة شهرين، وأرسلت تقريراً مفصّلاً للانتيرفيور يتناول زوارق البندقية الشهيرة، وميدانها، وجسر الآهات، والحمائم والمراكبي الذي يُنشد قصائد تاسو. ربما خاب أمل الانتيرفيور بتلك التقارير، الا أن هنريتا على الأقل كانت تشاهد أوروبا. كانت رغبتها في الوقت الحاضر الوصول إلى روما قبل انتشار وباء الملاريا على نطاق واسع ـ كان واضحاً أنها اعتبرت أن انتشار ذلك الوباء يحصل في تاريخ محدّد؛ واستناداً لذلك الاعتقاد، لم يكن من المقرر أن تبقى في فلورنسا سوى لبضعة أيام. سيرافقها السيد بانتلينغ إلى روما، وكما أشارت لايزابيل، نظراً لأنه سبق له الذهاب إلى هناك، ونظراً لكونه رجلاً عسكرياً، ونظراً لتمتّعه بتربية علمية كلاسيكية ـ كان طالباً في ايتون، حيث لا يدرّسون سوى اللاتينية مؤلّفات وايت ـ ميلفيل، قالت الآنسة ستاكبول ـ سيكون مرافقاً مفيداً جداً في مدينة القياصرة. تقدّم رالف عند هذه النقطة باقتراح مُفرح لايزابيل، بالقول أنها هي ايضاً يجدر بها مرافقته للحجّ إلى روما. صحيح أنه من المتوقّع قضائها جزء من فصل الشتاء القادم هناك، ولكن لا ضرر من استكشاف مُبكر لذلك الميدان. كان ما زال هناك عشرة

May–the most precious month of all to the true Rome lover. Isabel would become a Rome-lover; that was a foregone conclusion. She was provided with a trusty companion of her own sex, whose society, thanks to the fact of other calls on this lady's attention, would probably not be oppressive. Madame Merle would remain with Mrs. Touchett; she had left Rome for the summer and wouldn't care to return. She professed herself delighted to be left at peace in Florence; she had locked up her apartment and sent her cook home to Palestrina. She urged Isabel, however, to assent to Ralph's proposal, and assured her that a good introduction to Rome was not a thing to be despised. Isabel in truth needed no urging, and the party of four arranged its little journey. Mrs. Touchett, on this occasion, had resigned herself to the absence of a duenna; we have seen that she now inclined to the belief that her niece should stand alone. One of Isabel's preparations consisted of her seeing Gilbert Osmond before she started and mentioning her intention to him.

"I should like to be in Rome with you," he commented. "I should like to see you on that wonderful ground."

She scarcely faltered. "You might come then."

"But you'll have a lot of people with you."

"Ah," Isabel admitted, "of course I shall not be alone."

For a moment he said nothing more. "You'll like it," he went on at last. They've spoiled it, but you'll rave about it."

"Ought I to dislike it because, poor old dear–the Niobe of Nations, you know–it has been spoiled?" she asked.

أيام قبل انقضاء فصل أيار الرائع ـ وهو الشهر الأفضل لعاشقي روما الحقيقيين، كان ذلك استنتاجاً محتوماً. سيكون متوفّراً لها رفيقة موثوقة بها من بنات جنسها، وبفضل زحمة الاتصالات والمقابلات التي تستدعي اهتمام تلك السيدة، فلن يكون وجودها ثقيل الظلّ. ستبقى مدام ميرل مع السيدة توشيت؛ لقد غادرت روما لقضاء فصل الصيف ولا ترغب بالعودة اليها. زعمت أنها ستكون في غاية السرور بالبقاء بمفردها وبسلام في فلورنسا؛ فقد سبق لها أن أقفلت شقتها وأرسلت طاهيتها إلى باليسترينا. الا أنها حثّت إيزابيل للقبول باقتراح رالف، مؤكّدة لها أن التعرّف الصحيح على روما ليس أمراً يمكن الاستغناء عنه. بالواقع لم تكن إيزابيل بحاجة لالحاح شديد، وعكفت مجموعة الأربع أشخاص إلى الاعداد للسفرة القصيرة. استسلمت السيدة توشيت، في هذه المناسبة، لواقع غياب الوصيفة المُصاحِبة؛ لقد رأينا أنها أذعنت الآن للمبدأ القائل بوجوب استقلالية إيزابيل . شملت اعدادات إيزابيل لتلك الرحلة، اعلام جلبرت أوزموند بها والتلميح له عن عزمها السفر إلى روما.

صرّح قائلاً: "كم أتمنى أن أكون معك في روما، أحب رؤيتك وسط تلك المدينة الرائعة."

قالت على الفور بدون أي تردّد أو تلعثم: "اذن يمكنك المجيء."

"ولكن سيكون هناك العديد من الأشخاص برفقتك."

اعترفت إيزابيل قائلة: "أوه، طبعاً لن أذهب إلى هناك بمفردي."

صمت لبعض الوقت. أضاف أخيراً: "ستعجبكِ. لقد أفسدوها، ولكنكِ ستهذين بسحرها."

سألت : "أيجدر بي أن أكرهها، لأن المسكينة العزيزة ـ فلزة الأمم، كما تعلم ـ جرى افسادها من قِبَل الآخرين؟"

قال وهو يبتسم: "لا، لا أظن ذلك. سبق افسادها مرّات عديدة، في حال رافقتكم، ماذا سأفعل بابنتي الصغيرة؟"

"ألا يمكنك تركها في الدارة؟"

"لا أظن أن ذلك سيروق لي ـ علماً أنه هناك امرأة كبيرة في السن وممتازة يمكنها الاهتمام بها. لا يمكنني تحمّل نفقات مربّية."

قالت إيزابيل بنبرة حاسمة: "اذن، اجلبها معك."

بدا الوجوم على وجه أوزموند. "لقد أمضت طوال فصل الصيف في روما كتلميذة في أحد الأديرة هناك؛ وهي صغيرة السن للقيام برحلات استجمامية."

سألت إيزابيل: "لا تحبّذ تعريفها على العالم؟"

"لا، أظن من واجب الفتيات الصغيرات البقاء بعيداً عن العالم."

"نشأتُ وفق نظام مختلف تماماً."

"أنتِ؟ أوه، نجح معك ذلك النظام، لأنكِ ـ لأنكِ انسانة استثنائية."

"لا أجد سبّباً يُبرر قولك هذا،" قالت ذلك إيزابيل، التي بالرغم من هذا، لم تكن متأكّدة من عدم وجود بعض الحقيقة في قوله ذاك.

لم يدخل السيد أوزموند في التفاصيل لشرح وجهة نظره هذه، بل اكتفى بمواصلة كلامه، "اذا ما تيقّنتُ أنها ستُشبهكِ عند التحاقها بمجموعة اجتماعية في روما، سآخذها غداً."

قالت إيزابيل: "لا تحاول جعلها تشبهني، بل حافظ على طبيعتها الخاصة بها."

اقترح أوزموند قائلا: "قد أرسلها إلى منزل شقيقتي." بدا وكأنه يطلب نصيحتها وراغب بمناقشة مسائله العائلية مع الآنسة أرتشير.

"No, I think not. It has been spoiled so often," he smiled: "If I were to go, what should I do with my little girl?"

"Can't you leave her at the villa?"

"I don't know that I like that–though there's a very good old woman who looks after her. I can't afford a governess."

"Bring her with you then," said Isabel promptly.

Mr. Osmond looked grave. "She has been in Rome all winter, at her convent; and she's too young to make journeys of pleasure."

"You don't like bringing her forward?" Isabel enquired.

"No, I think young girls should be kept out of the world."

"I was brought up on a different system."

"You? Oh, with you it succeeded, because you–you were exceptional."

"I don't see why," said Isabel, who, however, was not sure there was not some truth in the speech.

Mr. Osmond didn't explain; he simply went on: "If I thought it would make her resemble you to join a social group in Rome I'd take her there tomorrow."

"Don't make her resemble me," said Isabel. "Keep her like herself."

"I might send her to my sister," Mr. Osmond observed. He had almost the air of asking advice; he seemed to like to talk over his domestic matters with Miss Archer.

قالت إيزابيل مُتوافقة معه في الرأي: ""نعم، لا أظن أن هذا سيساهم كثيراً في جعلها تشبهني!"

التقى جلبرت أوزموند مدام ميرل في منزل الكونتيسة جيمني، بعد مغادرة الأولى فلورنسا. كان هناك عدد من الحاضرين، فغرفة الاستقبال في منزل الكونتيسة كانت دائماً ملتقى العديد من الأشخاص، وكان الحديث دائر حول مسائل عامة، ولكن بعد فترة قصيرة، نهض أوزموند من مكانه واقترب وجلس على مقعد منخفض بالقرب من مدام ميرل. صرّح قائلاً بصوت منخفض: "تريدُني مرافقتها إلى روما."

"مرافقتها؟"

"أن أكون خلال وجودها هناك. هي اقترحت ذلك."

"أفترض أنك تقصد القول أنك اقترحت ذلك ووافقت هي."

"طبعاً أتيحت لها فرصة للقيام بذلك. الا أنها مُشجّعة، مُشجّعة جدا."

"يُسعدني جداً سماع ذلك ـ ولكن لا تتسرّع وتعتبر نفسك أنك فزت بمبتغاك. طبعاً ستذهب إلى روما."

"أوه، فكرتكِ هذه تدفع بالمرء للعمل المُجهد!"

"لا تتظاهر بأنك غير مُستمتع به ـ يا لك من رجل عاق. لم تكن منهمكاً بهكذا عمل مفيد منذ سنوات عديدة."

قال أوزموند: "الطريقة التي تتعاملين بها ازاء هذا الوضع في منتهى الروعة، يجدر بي أن أكون شاكراً لكِ."

أجابت مدام ميرل: "ولكن لا تُفرط في شكري." كانت تتكلم طوال الوقت بابتسامتها المعتادة، وهي متكئة إلى الوراء في كرسيها وتنقّل نظرها في أرجاء الغرفة.

"Yes," she concurred; "I think that wouldn't do much towards making her resemble me!"

After she had left Florence Gilbert Osmond met Madame Merle at the Countess Gemini's. There were other people present; the Countess's drawing-room was usually well filled, and the talk had been general, but after a while Osmond left his place and came and sat on an ottoman half-behind, half-beside Madame Merle's chair. "She wants me to go to Rome with her," he remarked in a low voice.

"To go with her?"

"To be there while she's there. She proposed it."

"I suppose you mean that you proposed it and she assented."

"Of course I gave her a chance. But she's encouraging–she's very encouraging."

"I rejoice to hear it–but don't cry victory too soon. Of course you'll go to Rome."

"Ah," said Osmond, "it makes one work, this idea of yours!"

"Don't pretend you don't enjoy it–you're very ungrateful. You've not been so well occupied these many years."

"The way you take it's beautiful," said Osmond. "I ought to be grateful for that."

"Not too much so, however," Madame Merle answered. She talked with her usual smile, leaning back in her chair and looking round the room.

أضافت : "لقد أحدثت انطباعاً أولياً مميّزاً، ورأيت بأم عيني أن ذلك الشعور كان متبادلاً. لم تأتي لزيارة السيدة توشيت في سبع مناسبات متعاقبة اكراماً لي."

قال أوزموند مذعناً: "الفتاة ليست سيئة."

حدّقت مدام ميرل اليه للحظة، وقالت بصوت خفيض وبشيء من الحدّة. "أهذا كل ما يمكنك قوله عن تلك الانسانة الرائعة؟"

"كل شيء؟ أليس هذا كافياً؟ هل سمعتني أقول أكثر من ذلك عن أي شخص آخر؟"

لم تُعلّق على ذلك القول، ولكنها حافظت على مظهرها التحدّثي مع الموجودين في الغرفة. همست قائلة أخيراً: "يستحيل سبر أغوارك. انني خائفة من اللُجّ الذي أكون قد ساهمت برميها فيه."

علّق على هذا القول بمرح. "لا يمكنك التراجع الآن ـ لقد تماديت كثيراً."

"حسناً، ولكن عليك التصرّف بمفردك من الآن وصاعداً."

قال جلبرت أوزموند: "سأفعل ذلك."

لازمت مدام ميرل الصمت وانتقل هو ثانية إلى مقعد آخر؛ ولكنها حين نهضت لتغادر المكان نهض هو الآخر مودّعاً. كانت مركبة السيدة توشيت بانتظار ضيفتها في الفناء الخارجي، وبعدما ساعد صديقته للصعود اليها، استوقفها لبعض الوقت. قالت بشيء من السأم: "إنك متهوّر جداً. ما كان يجب عليك مغادرة المكان بالتزامن معي."

كان قد نزع قبعته عن رأسه؛ ومرّر يده فوق جبهته. "نسيت؛ مضى زمن طويل على التصرّف وفق الأصول."

كرّرت القول ثانية، وهي ترفع نظرها إلى نوافذ المنزل: "لا يمكن

"You've made a very good impression, and I've seen for myself that you've received one. You've not come to Mrs. Touchett's seven times to oblige me."

"The girl's not disagreeable," Osmond quietly conceded.

Madame Merle dropped her eye on him a moment, during which her lips closed with a certain firmness. "Is that all you can find to say about that fine creature?"

"All? Isn't it enough? Of how many people have you heard me say more?"

She made no answer to this, but still presented her talkative grace to the room. "You're unfathomable," she murmured at last. "I'm frightened at the abyss into which I shall have cast her."

He took it almost gaily. "You can't draw back–you've gone too far."

"Very good; but you must do the rest yourself."

"I shall do it," said Gilbert Osmond.

Madame Merle remained silent and he changed his place again; but when she rose to go he also took leave. Mrs. Touchett's victoria was awaiting her guest in the court, and after he had helped his friend into it he stood there detaining her. "You're very indiscreet," she said rather wearily; you shouldn't have moved when I did."

He had taken off his hat; he passed his hand over his forehead. "I always forget; I'm out of the habit."

"You're quite unfathomable," she repeated, glancing up

سبر غورك." لم يكترث لهذا التعليق، ولكنه تكلّم بما يرغب بقوله. "انها ساحرة فعلاً. بالكاد عرفت امرأة بمثل لياقتها."

"أشعر بارتياح لدى سماعي قولك ذلك. فكلما زاد اعجابكَ بها، كلما كان ذلك أفضل لي."

"انني شديد الاعجاب بها. انها كل ما قلتِ عنها وأشعر بالاضافة لذلك، أنها انسانة جداً. لديها نقيصة واحدة."

"ما هي؟"

"لديها الكثير من الأفكار."

"حذّرتكَ أنها ذكية."

قال أوزموند: "لحسن الحظ جميع أفكارها سيئة جداً."

"لماذا تقول من حسن الحظ؟"

"لأنني سأجبرها على التخلّي عن جميع أفكارها هذه!"

رجعت مدام ميرل في مقعدها وهي تنظر أمامها، ومن ثم تكلمت مع السائق. ولكن صديقها استوقفها ثانية. "اذا ما ذهبت إلى روما، ماذا سأفعل ببانسي؟"

قالت مدام ميرل: "سأذهب أنا لرؤيتها."

at the windows of the house, a modern structure in the new part of the town.

He paid no heed to this remark, but spoke in his own sense. "She's really very charming. I've scarcely known any one more graceful."

"It does me good to hear you say that. The better you like her the better for me."

"I like her very much. She's all you described her, and into the bargain capable, I feel, of great devotion. She has only one fault."

"What's that?"

"Too many ideas."

"I warned you she was clever."

"Fortunately they're very bad ones," said Osmond.

"Why is that fortunate?"

"Dame, if they must be sacrificed!"

Madame Merle leaned back, looking straight before her; then she spoke to the coachman. But her friend again detained her. "If I go to Rome what shall I do with Pansy?"

"I'll go and see her," said Madame Merle.

Chapter Twenty Seven

I may not attempt to report in its fullness our young woman's response to the deep appeal of Rome, to analyze her feelings as she trod the pavement of the Forum or to number her pulsations as she crossed the threshold of Saint Peter's. It is enough to say that her impression was such as might have been expected of a person of her freshness and her eagerness. She had always been fond of history, and here was history in the stones of the street and the atoms of the sunshine. She had an imagination that kindled at the mention of great deeds, and wherever she turned some great deed had been acted. These things strongly moved her, but moved her all inwardly. It seemed to her companions that she talked less than usual, and Ralph Touchett, when he appeared to be looking listlessly and awkwardly over her head, was really dropping on her an intensity of observation. By her own measure she was very happy; she would even have been willing to take these hours for the happiest she was ever to know. The sense of the terrible human past was heavy to her, but that of something altogether contemporary would suddenly give it wings that it could wave in the blue. Her consciousness was so mixed that she scarcely knew where the different parts of it would lead her, and she went about in a repressed ecstasy of contemplation, seeing often in the things she looked at a great deal more than was there, and yet not seeing many of the items enumerated in her Murray. Rome, as Ralph said, confessed to the psychological moment. The herd of reechoing tourists had departed and most of the solemn places had relapsed

الفصل السابع والعشرون

لن أحاول أن سرد بالتفصيل استجابة سيدتنا الشابة لسحر روما العميق، أو تحليل مشاعرها وهي تطأ أرضية الفورم المرصوفة، أو تعداد خفقات قلبها وهي تعبر عتبة كنيسة القديس بطرس. يكفي القول أن انطباعها كان كما يمكن توقّعه من شخص بمثل نضارتها وحماسها. لطالما كانت مُغرمة بالتاريخ، وهنا كان التاريخ موجوداً وملموساً في حجارة الشارع وذرّات أشعة الشمس. كانت تتمتّع بملكة خيال تتوهَج وتُضيء عند ذكر منجزات عظيمة، وحيثما استدارت كانت تطالعها بعض انجازات الأعمال العظيمة. تأثرت بجميع هذه الأمور إلى حدٍ كبير، ولكن تأثّرها ذاك كان داخلياً. بدا لأصدقائها أنها تُقلّل من الكلام خلافاً لعادتها، وحين كان يبدو رالف توشيت وكأنه ينظر حوله بشكل كسول ومُربِك، كان بالواقع يراقبها بشكل دقيق جداً. وفقاً لمقايسها كانت في غاية السعادة؛ كانت حتى ستوافق على اعتبار تلك الساعات الأسعد التي سيُقدّر لها تذوّقها طوال حياتها. شكّل احساس الماضي الرهيب حملاً ثقيلاً جداً بالنسبة لها، ولكن فجأة شيء ما من الحاضر كان يُحيط بذلك الماضي بأجنحة لرفعه إلى السماء. كانت مشاعرها متشابكة ومشوّشة لدرجة بالكاد كانت تعرف إلى أين ستنتهي بها، تجوّلت في أنحاء المدينة بإحساس من تأمّل مشوب بنشوة مكبوتة، غالباً ما كانت ترى في الأشياء التي تشاهدها معانٍ تتجاوز بكثير ما هي عليه بالواقع، وفي الوقت نفسه متعامية عن العديد من البنود المُسردة في دليل موراي الخاص بها. كانت روما، كما قال رالف، بمثابة اعتراف للحظة السيكولوجية الحاسمة الأكثر ملاءمة للتأثير على الذهن. كانت مجموعات السائحين المدوّية قد غادرت المدينة وارتدّت معظم الأماكن المهيبة إلى الوقور. كانت السماء وهجاً من اللون

الأزرق، وفقدت رذاذات مياه النوافير في كوّاتها المُطحلبة برودتها وضاعفت من موسيقاها. كان المرء عند زوايا الشوارع الدافئة، المُشرقة يتعثّر برُزم من الأزهار. توجّه أصدقاؤنا بعد ظهر أحد الأيام ـ كان اليوم الثالث لوصولهم ـ لمشاهدة آخر الحفريات الجارية في الفوروم، كانت تلك الأعمال منذ فترة قد توسّعت لتشمل نطاقاً أكبر. كانوا قد نزلوا من الشارع العصري إلى مستوى الدرب المقدّس، حيث ساروا بمحاذاة تلك الدرب بخطوات موقّرة، تفاوت وقارها من فرد إلى آخر. لفت انتباه هنريتا ستاكبول واقع أن روما القديمة كانت مرصوفة بشكل مشابه إلى حدٍ كبير للطريقة الموصوفة بها مدينة نيويورك، وحتى أنها وجدت تشابه بين الأخاديد العميقة للمركبات الحربية القديمة الممكن تعقّب آثارها في الشارع القديم وبين خطوط الترام المفرطة في الصخب المعبّرة عن قوة الحياة الأميركية. شارفت الشمس على المغيب، وتحوّل الهواء إلى سديم ذهبي، واتكأت ظلال الأعمدة المتكسرة الطويلة وقواعد التماثيل المبهمة عبر حقل من الخراب. ابتعدت هنريتا برفقة السيد بانتلنغ سعيدة بسماعه يُشير إلى يوليوس قيصر بعبارة "ذلك الفتى الوقح"، وخاطب رالف بشروحات مماثلة آذان بطلتنا اليقظة. وضع أحد علماء الآثار المتواضعين نفسه في تصرّف هذين الشخصين، وكرّر درسه بطلاقة لم يوهنها ذبول الموسم السياحي. كان هناك عملية حفر جارية في احدى زوايا الفوروم النائية، وسرعان ما علّق بالقول قد يكون هناك امكانية رؤيتهما شيئاً مثيراً اذا ما وافقا على التوجّه إلى هناك ومراقبة عملية الحفر الجارية. لاقى هذا الاقتراح ترحيباً من رالف أكثر مما رحّبت به إيزابيل، المرهقة من التجوّل المتواصل؛ ما دفعها لحثّ رفيقها اشباع فضوله وجلست تنتظر عودته. كان المكان والزمان ملائمان جداً لذوقها ـ لا بد وأنها ستستمتع بالانفراد بنفسها

into solemnity. The sky was a blaze of blue, and the plash of the fountains in their mossy niches had lost its chill and doubled its music. On the corners of the warm, bright streets one stumbled on bundles of flowers. Our friends had gone one afternoon–it was the third of their stay–to look at the latest excavations in the Forum, these labours having been for some time previous largely extended. They had descended from the modern street to the level of the Sacred Way, along which they wandered with a reverence of step which was not the same on the part of each. Henrietta Stackpole was struck with the fact that ancient Rome had been paved a good deal like New York, and even found an analogy between the deep chariot-ruts traceable in the antique street and the over-jangled iron grooves which express the intensity of American life. The sun had begun to sink, the air was a golden haze, and the long shadows of broken column and vague pedestal leaned across the field of ruin. Henrietta wandered away with Mr. Bantling, whom it was apparently delightful to her to hear speak of Julius Caesar as a "cheeky old boy," and Ralph addressed such elucidations as he was prepared to offer to the attentive ear of our heroine. One of the humble archaeologists who hover about the place had put himself at the disposal of the two, and repeated his lesson with a fluency which the decline of the season had done nothing to impair. A process of digging was on view in a remote corner of the Forum, and he presently remarked that if it should please the signori to go and watch it a little they might see something of interest. The proposal commended itself more to Ralph than to Isabel, weary with much wandering; so that she admonished

لفترة وجيزة. وهكذا ذهب رالف برفقة الدليل السياحي بينما جلست إيزابيل على عامود مُنبطح بالقرب من أساسات هيكل جوبيتر القديم. كانت ترغب بعزلة قصيرة، الا أنه لم يتسنّ لها الوقت الكافي للتمتّع بها. بالرغم من توقها الشديد واهتمامها الكبير بالبقايا الكالحة المتناثرة حولها من التاريخ الروماني، التي فشل تآكل القرون القضاء على معالم الحياة الفردية فيها، ذهبت بأفكارها، بعد جلوسها بضع دقائق، إلى محطّات متسلسلة تتطلب شيء من حدّة الذهن للتمكّن من تعقّبها، إلى مناطق وأشياء مُشبّعة بسحر أكثر نشاطاً. شكّل المدى بين الماضي الروماني ومستقبل إيزابيل أرتشير خطوة واسعة، الا أن خيالها عبرها بانطلاقة واحدة، وبدأ الآن يحوم بدوائر بطيئة فوق الحقل الأقرب والأكثر صفاء. كانت منغمسة جداً بأفكارها، وهي منحنية بعينيها على صف من الألواح المصدوعة غير المنزوعة من مكانها مَرميّة على الأرض بالقرب من قدميها، بحيث لم تسمع وقع خطوات تقترب منها، قبل ظهور ظلّ غطّى خط بصرها. رفعت رأسها وشاهدت رجلاً - رجلاً لم يكن رالف عائداً من تجواله قائلاً أن الحفريات كانت مملّة. جفل ذلك الشخص كما جفلت هي؛ وقف منتصباً أمامها كاشفاً عن رأسه أمام دهشتها الشاحبة.

صاحت إيزابيل وهي تنهض من مكانها: "لورد وربرتن!"

"لم يكن لديَّ أدنى فكرة أنكِ أنتِ. انعطفت من تلك الزاوية لأفاجأ بكِ."

نظرت حولها رغبة منها في شرح وضعها. "انني بمفردي، ولكن أصدقائي تركوني للتوّ. ذهب ابن خالتي لالقاء نظرة على الأعمال الجارية هناك."

her companion to satisfy his curiosity while she patiently awaited his return. The hour and the place were much to her taste–she should enjoy being briefly alone. Ralph accordingly went off with the cicerone while Isabel sat down on a prostrate column near the foundations of the Capitol. She wanted a short solitude, but she was not long to enjoy it. Keen as was her interest in the rugged relics of the Roman past that lay scattered about her and in which the corrosion of centuries had still left so much of individual life, her thoughts, after resting a while on these things, had wandered, by a concatenation of stages it might require some subtlety to trace, to regions and objects charged with a more active appeal. From the Roman past to Isabel Archer's future was a long stride, but her imagination had taken it in a single flight and now hovered in slow circles over the nearer and richer field. She was so absorbed in her thoughts, as she bent her eyes upon a row of cracked but not dislocated slabs covering the ground at her feet, that she had not heard the sound of approaching footsteps before a shadow was thrown across the line of her vision. She looked up and saw a gentleman–a gentleman who was not Ralph come back to say that the excavations were a bore. This personage was startled as she was startled; he stood there baring his head to her perceptibly pale surprise.

"Lord Warburton!" Isabel exclaimed as she rose.

"I had no idea it was you. I turned that corner and came upon you."

She looked about her to explain. "I'm alone, but my companions have just left me. My cousin's gone to look at the work over there."

"أوه نعم؛ فهمت." وطافت نظرات اللورد وربرتن بشكل مُبهم باتجاه الجهة التي أشارت إليها. وقف بحزم أمامها الآن؛ كان قد استعاد توازنه وبدا راغباً باظهار ذلك، بأسلوب غاية في الرقة واللطف. "لا أرغب بازعاجك، أخشى أنكِ منهكة." تابع يقول وهو ينظر إلى سُحنتها المكتئبة.

أضافت قائلة: "نعم، انني منهكة بعض الشيء." تردّدت للحظة، الا أنها عادت وجلست في مكانها. "لا تجعلني أقاطع برنامجك."

"أوه يا الهي، انني بمفردي. ليس لدي أي عمل على الاطلاق للقيام به. لم يكن لديَّ أية فكرة عن وجودكِ في روما. انني عائد للتوّ من الشرق. انني مجرد عابر هنا."

قالت إيزابيل، التي علمت من رالف أن اللورد وربرتن غير موجود في انجلترا: "كنتَ تقوم بسفرة طويلة."

"نعم، أمضيت ستة أشهر في الخارج ـ بعد لقائي الأخير بكِ بفترة قصيرة. ذهبت إلى تركيا وآسيا الوسطى؛ ووصلت قبل بضعة أيام من أثينا." نجح بعدم الظهور بمظهر المُحرَج، الا أنه فشل في التغلّب على ارتباكه، وبعد نظرة طويلة إلى الفتاة، عاد إلى المواضيع الملموسة. "أتريدين مني مغادرة المكان، أم تسمحين لي بالبقاء قليلاً؟"

تعاملت مع طلبه بأسلوب انساني. "لا أريدكَ أن تتخلّى عني، يا لورد وربرتن؛ انني سعيدة جداً لرؤيتك."

"شكراً على كلامك هذا. أتسمحين لي بالجلوس؟"

كان العمود المُخدّد الجالسة عليه يتّسع بسهولة لعدد من الأشخاص، وكان هناك متّسعاً كافياً حتى لنبيل انجليزي. جلس ذلك الرجل النبيل الرائع المنتمي إلى طبقة النبلاء الراقية إلى جانب سيدتنا الشابة، وخلال

"Ah yes; I see." And Lord Warburton's eyes wandered vaguely in the direction she had indicated. He stood firmly before her now; he had recovered his balance and seemed to wish to show it, though very kindly. "Don't let me disturb you," he went on, looking at her dejected pillar. "I'm afraid you're tired."

"Yes, I'm rather tired." She hesitated a moment, but sat down again. "Don't let me interrupt you," she added.

"Oh dear, I'm quite alone, I've nothing on earth to do. I had no idea you were in Rome. I've just come from the East. I'm only passing through."

"You've been making a long journey," said Isabel, who had learned from Ralph that Lord Warburton was absent from England.

"Yes, I came abroad for six months–soon after I saw you last. I've been in Turkey and Asia Minor; I came the other day from Athens." He managed not to be awkward, but he wasn't easy, and after a longer look at the girl he came down to nature. "Do you wish me to leave you, or will you let me stay a little?"

She took it all humanely. "I don't wish you to leave me, Lord Warburton; I'm very glad to see you."

"Thank you for saying that. May I sit down?"

The fluted shaft on which she had taken her seat would have afforded a resting-place to several persons, and there was plenty of room even for a highly-developed Englishman. This fine specimen of that great class seated himself near our young lady, and in the course of five minutes he had asked her several

questions, taken rather at random and to which, as he put some of them twice over, he apparently somewhat missed catching the answer; had given her too some information about himself which was not wasted upon her calmer feminine sense. He repeated more than once that he had not expected to meet her, and it was evident that the encounter touched him in a way that would have made preparation advisable. He began abruptly to pass from the impunity of things to their solemnity, and from their being delightful to their being impossible. He was splendidly sunburnt; even his multitudinous beard had been burnished by the fire of Asia. He was dressed in the loose-fitting, heterogeneous garments in which the English traveller in foreign lands is wont to consult his comfort and affirm his nationality; and with his pleasant steady eyes, his bronzed complexion, fresh beneath its seasoning, his manly figure, his minimizing manner and his general air of being a gentleman and an explorer, he was such a representative of the British race as need not in any clime have been disavowed by those who have a kindness for it. Isabel noted these things and was glad she had always liked him. He had kept, evidently in spite of shocks, every one of his merits–these properties partaking of the essence of great decent houses, as one might put it; resembling their innermost fixtures and ornaments, not subject to vulgar shifting and removable only by some whole break-up.

They talked of the matters naturally in order; her uncle's death, Ralph's state of health, the way she had passed her winter, her visit to Rome, her return to Florence, her plans for the summer, the hotel she was staying at; and then of

فترة خمس دقائق طرح عليها العديد من الأسئلة المُختارة بشكل عشوائي، والتي نظراً لتكرار بعض منها، بدا أنه فاتته أجوبتها؛ وقدّم لها سرداً مفصّلاً عن أخباره استوعبته بالكامل طبيعتها الأنثوية الأكثر سكوناً. كرّر أكثر من مرّة أنه لم يتوقّع الالتقاء بها، وكان واضحاً أن تلك الصدفة أثّرت فيه بشكل بدا من المستحسن لو تهيّأ مُسبقاً لذلك. بدأ على نحو أبتر بالانتقال من عواقب الأمور إلى وقارها، ومن كونها أمور مُبهجة إلى كونها مستحيلة التحقيق. كانت بشرته قد لوّحتها الشمس بشكل رائع، حتى لحيته الكثيفة كانت تشعّ من نار آسيا. كان مرتدياً ثياباً فضفاضة متباينة، تُميّز المسافر الانجليزي في بلاد غريبة المعتاد على مراعاة راحته وتأكيد وطنيته؛ وبعينيه الصافيتين، وبشرته الملوّحة بأشعة الشمس، وجسده الرجولي، وتصرّفه المتواضع، ومظهره الخارجي الجامع بين الرجل النبيل والمستكشف؛ كان نموذجاً مثالياً للعرق البريطاني. لاحظت إيزابيل جميع هذه الخصائص وكانت سعيدة بكونها أعجبت به دائماً. حافظ على ما يبدو، بالرغم من الصدمات، على جميع حسناته ـ خصائص من طبيعة جوهر سليل أسرة نبيلة.

تحدّثا عن أمور متوقّع تناولها؛ وفاة زوج خالتها، والوضع الصحي لرالف، وكيف أمضت فصل الشتاء المنصرم، وزيارتها إلى روما، وعودتها إلى فلورنسا، وخططها بالنسبة لفصل الصيف القادم والفندق المقيمة فيه؛ ومن ثمّ عن مغامرات اللورد وربرتن، وتحركاته، وخططه، وانطباعاته

ومنزله الحالي. أخيراً خيّم الصمت عليهما، وكان مدوياً أكثر من كل ما تحدّثا عنه، بحيث بالكاد كان يحتاج لكلماته الأخيرة. "كتبت لكِ مرات عديدة."

"كتبت لي؟ لم أستلم أية رسالة منك."

"لم أرسل أية واحدة منها. لقد أحرقت كل واحدة منها."

قالت إيزابيل وهي تبتسم: "أوه، الأفضل أنك أنتَ قمتَ بهذا العمل من أن أقوم به أنا!"

تابع قائلاً ببساطة متناهية أثّرت فيها إلى حدٍ كبير: "ظننت أنكِ لن تكترثي لتلك الرسائل، بدا لي أنه على ضوء كل ما حصل، لا يحق لي أن أزعجك بهذه الرسائل."

"كنتُ سعِدتُ كثيراً بسماع أخبارك. أنت تعلم كم تمنّيت أن . . . أن . . ." ولكنها صمتت ولم تتابع كلامها الذي كان سيبدو تافهاً وفارغاً مقارنة بكلامه.

"أعرف ماذا كنتِ تريدين قوله. تمنّيت أن نبقى دائما صديقين مخلصين." كانت تلك العبارة، بالشكل الذي نطقها به اللورد وربرتن، تافهة بما فيه الكفاية؛ ولكن من ناحية ثانية بدا وكأنه يتعمّد أن تبدو كذلك.

وجدت نفسها غير قادرة على النطق سوى لتقول، "أرجوك لا تتكلم عن كل هذه الأمور": وهي عبارات بالكاد كانت أفضل من عبارتها السابقة.

صاح رفيقها بحدّة: "انها لتعزية صغيرة السماح لي بذلك!."

"لا يمكنني التظاهر بتعزيتك،" قالت الفتاة، التي كانت ما زالت جالسة بالقرب منه، ورمت بجسدها إلى الوراء بنوع من احساس بالانتصار الداخلي للاجابة التي لم يقتنع بها قبل ستة أشهر. كان لطيفاً، وقوياً،

Lord Warburton's own adventures, movements, intentions, impressions and present domicile. At last there was a silence, and it said so much more than either had said that it scarce needed his final words. "I've written to you several times."

"Written to me? I've never had your letters."

"I never sent them. I burned them up."

"Ah," laughed Isabel, "it was better that you should do that than I!"

"I thought you wouldn't care for them," he went on with a simplicity that touched her. "It seemed to me that after all I had no right to trouble you with letters."

"I should have been very glad to have news of you. You know how I hoped that–that-" But she stopped; there would be such a flatness in the utterance of her thought.

"I know what you're going to say. You hoped we should always remain good friends." This formula, as Lord Warburton uttered it, was certainly flat enough; but then he was interested in making it appear so.

She found herself reduced simply to "Please don't talk of all that"; a speech which hardly struck her as improvement on the other.

"It's a small consolation to allow me!" her companion exclaimed with force.

"I can't pretend to console you," said the girl, who, all still as she sat there, threw herself back with a sort of inward triumph on the answer that had satisfied him so little six months before. He was pleasant, he was powerful, he was

ولبقاً؛ كان أفضل الرجال. ولكن جوابها بقي هو ذاته.

"انه لأمر حسن عدم محاولتكِ تعزيتي؛ لأنه أمر فوق طاقتك." سمعته يقول عبر تيهها الغريب.

"تمنيت أن نلتقي ثانية، لأنني لم أكن أخشى أن تحاول دفعي للشعور بأنني أسأت اليك. ولكن حين تفعل ذلك، يصبح الألم أكبر من بهجة اللقاء." ونهضت من مكانها وهي تنظر بحثاً عن أصدقائها.

"لا أريد أن أجعلك تشعرين هكذا؛ طبعاً لا يمكنني قول ذلك. كل ما أريده هو اطلاعك على بعض الأمور ـ انصافاً لنفسي، اذا صحّ التعبير. لن أعود للموضوع ثانية. كانت عاطفتي قوية جداً تجاهكِ حين عبّرت لكِ عنها السنة الماضية؛ استحوذتِ على جميع أفكاري، فشلت في التفكير بأي شيء آخر سواكِ. حاولت أن أنسى بأسلوب فعّال ونظامي. حاولت الاهتمام بإنسانة أخرى. أخبركِ بكل هذا لأنني أريدك أن تعرفي أنني أدّيتُ واجبي على أكمل وجه. ولكنني فشلت. سفري إلى الخارج كان للسبب ذاته ـ الابتعاد عنكِ قدر الامكان. يقولون أن السفر يُلهي الذهن، الا أنه لم يُلهِي ذهني عن التفكير بكِ. لم أتوقّف عن التفكير بكِ منذ آخر مرّة شاهدتكِ فيها. مشاعري هي ذاتها. ما زلتُ أحبك كما أحببتُك في الماضي، وكل ما قلته لكِ حينها ما زال حقيقة قائمة لديَّ. تشهد هذه اللحظة التي أكلمكِ فيها، ولسوء حظي الكبير، كم ما زلتِ شديدة الفتنة بالنسبة لي. هذا كل ما لديّ لأقوله ـ لا يمكنني قول المزيد. لا أقصد بذلك الضغط عليكِ. أقسم لكِ، أنه حين التقيتُ بكِ قبل لحظات، كنت أتمنى لو أعرف أين أنتِ." كان قد استعاد رباطة جأشه، واكتملت تماماً خلال حديثه. ولكنه كان وكأنه يخاطب لجنة صغيرة ـ مقدماً لها بأسلوب

gallant; there was no better man than he. But her answer remained.

"It's very well you don't try to console me; it wouldn't be in your power," she heard him say through the medium of her strange elation.

"I hoped we should meet again, because I had no fear you would attempt to make me feel I had wronged you. But when you do that–the pain's greater than the pleasure." And she got up with a small conscious majesty, looking for her companions.

"I don't want to make you feel that; of course I can't say that. I only just want you to know one or two things–in fairness to myself, as it were. I won't return to the subject again. I felt very strongly what I expressed to you last year; I couldn't think of anything else. I tried to forget–energetically, systematically. I tried to take an interest in somebody else. I tell you this because I want you to know I did my duty. I didn't succeed. It was for the same purpose I went abroad–as far away as possible. They say travelling distracts the mind, but it didn't distract mine. I've thought of you perpetually, ever since I last saw you. I'm exactly the same. I love you just as much, and everything I said to you then is just as true. This instant at which I speak to you shows me again exactly how, to my great misfortune, you just insuperably charm me. There–I can't say less. I don't mean, however, to insist; it's only for a moment. I may add that when I came upon you a few minutes since, without the smallest idea of seeing you, I was, upon my honour, in the very act of wishing I knew where you were." He had recovered his self-control, and while he spoke it became

هادئ وواضح بياناً هاماً؛ متّكلاً على القائه نظرة على ملاحظات مخبأة داخل قبعته، التي لم يضعها ثانية على رأسه. ومما لا ريب فيه أن اللجنة شعرت أنه أثبت بالحجة والدليل صحّة رأيه.

"فكّرت بكَ كثيراً، يا لورد وربرتن، وتأكّد أنني سأفعل ذلك دائماً." أجابت إيزابيل . أضافت بنبرة صوت حاولت أن يطغى عليه الحنان أكثر من أي معنى ضمني آخر: "لن تتأتى أية مساءة من ذلك لأي من الطرفين."

سارا معاً، ولم تنسَ أن تسأله عن شقيقاته والطلب منه اعلامهنّ بذلك. لم يشر ثانية لا من قريب أو من بعيد في الوقت الحاضر إلى مسألتهما الأساسية، بل انغمس أكثر في التحدّث عن مسائل أكثر شمولية وأماناً. ولكنه رغب في معرفة موعد مغادرتها روما، وعبّر عن ارتياحه حين عرف أن ذاك الموعد ما زال بعيداً.

"لماذا تقول ذلك طالما أنتَ نفسكَ أخبرتني أنكَ عابر فيها؟" سألت بشيء من القلق.

"أوه، حين قلتُ أنني عابر فيها لم أقصد أن المرء يمكنه التعامل مع روما كما يتعامل مع تقاطع كلابهام. العبور عبر روما يعني التوقّف فيها لأسبوع أو أسبوعين."

"قل بصراحة أنك ترغب بالبقاء طالما أنا موجودة فيها!"

بدت ابتسامته الخجولة وكأنها تؤكّد صحّة أقوالها. "لن يعجبكِ ذلك. أخشى أنكِ ستضطرّين عندها لرؤيتي في مناسبات عديدة."

"لا أهمية لما يُعجبني أو لا يُعجبني. طبعاً لا أتوقّع مغادرتك هذا

complete. He might have been addressing a small committee–making all quietly and clearly a statement of importance; aided by an occasional look at a paper of notes concealed in his hat, which he had not again put on. And the committee, assuredly, would have felt the point proved.

"I've often thought of you, Lord Warburton," Isabel answered. "You may be sure I shall always do that." And she added in a tone of which she tried to keep up the kindness and keep down the meaning: "There's no harm in that on either side."

They walked along together, and she was prompt to ask about his sisters and request him to let them know she had done so. He made for the moment no further reference to their great question, but dipped again into shallower and safer waters. But he wished to know when she was to leave Rome, and on her mentioning the limit of her stay declared he was glad it was still so distant.

"Why do you say that if you yourself are only passing through?" she enquired with some anxiety.

"Ah, when I said I was passing through I didn't mean that one would treat Rome as if it were Clapham Junction. To pass through Rome is to stop a week or two."

"Say frankly that you mean to stay as long as I do!"

His flushed smile, for a little, seemed to sound her. "You won't like that. You're afraid you'll see too much of me."

"It doesn't matter what I like. I certainly can't expect you to leave this delightful place on my account. But I confess I'm afraid of you."

المكان الرائع بسببي. ولكني أصارحكَ القول أنني خائفة منك.»

«خائفة من عودتي ثانية للموضوع ذاته؟ أعدكِ بأني سأكون في منتهى الحرص.»

كانا قد توقّفا عن السير بشكل تدريجي، ووقفا مواجهين بعضهما البعض وجهاً لوجه. قالت بشفقة قصدتها لكل منهما: «مسكين اللورد وربرتن!.»

«مسكين اللورد وربرتن فعلاً! ولكني سأكون حريصاً جداً.»

«قد تكون تعيساً، ولكنك لن تجعلني كذلك. لا يمكنني السماح بهذا.»

«ثقي أنني لن أتردّد عن المحاولة اذا ما ظننت أنه بامكاني التسبب بتعاستك.»

سارت أمامه لدى سماعها هذا الكلام ولحق بها على التوّ. «لن أتفوّه بكلمة يمكن أن تتسبّب بإزعاجك.»

«حسناً. اذا فعلت، فهذه نهاية صداقتنا.»

«ربما ذات يوم ـ بعد فترة من الوقت ـ ستسمحين لي.»

«أسمح لك أن تتسبّب بتعاستي؟»

تردّد بعض الشيء. «لأقول لك ثانية ـ» لكنه بدّل ما كان يرغب بقوله. «بأنني سأخفي مشاعري، سأخفيها دائماً.»

انضمت الآنسة ستاكبول ومرافقها إلى رالف توشيف عند موقع الحفريات، وخرج الثلاثة الآن من بين أكوام التراب والحجارة المتجمّعة حول الفُتحة ليطالعهم مشهد إيزابيل ورفيقها. حيّا المسكين رالف صديقه بفرح شديد خفّف الذهول من شدّته، وصاحت هنريتا بصوت عالٍ، «يا للعجب، ذلك اللورد موجود هناك!» جرى الترحيب برالف وجاره

"Afraid I'll begin again? I promise to be very careful."

They had gradually stopped and they stood a moment face to face. "Poor Lord Warburton!" she said with a compassion intended to be good for both of them.

"Poor Lord Warburton indeed! But I'll be careful."

"You may be unhappy, but you shall not make me so. That I can't allow."

"If I believed I could make you unhappy I think I should try it." At this she walked in advance and he also proceeded. "I'll never say a word to displease you."

"Very good. If you do, our friendship's at an end."

"Perhaps some day–after a while–you'll give me leave."

"Give you leave to make me unhappy?"

He hesitated. "To tell you again-" But he checked himself. "I'll keep it down. I'll keep it down always."

Ralph Touchett had been joined in his visit to the excavation by Miss Stackpole and her attendant, and these three now emerged from among the mounds of earth and stone collected round the aperture and came into sight of Isabel and her companion. Poor Ralph hailed his friend with joy qualified by wonder, and Henrietta exclaimed in a high voice "Gracious, there's that lord!" Ralph and his English neighbour greeted with the austerity with which, after long separation, English neighbours greet, and Miss

الانجليزي بالبساطة البالغة التي تُميّز تحية الأصدقاء الانجليز بعضهم البعض، وحدّقت الآنسة ستاكبول بعينيها الأكاديميتين الواسعتين على المسافر الملوّح بأشعة الشمس. الا أنها سرعان ما ثبّتت علاقتها بالأزمة.
"لا أظن أنك تذكرني، يا سيدي."

قال اللورد وربرتن: "طبعاً أذكركِ، وجّهت لك دعوة لزيارتي، ولم تلبّيها أبدا."

أجابت الآنسة ستاكبول ببرودة: "لا ألبي جميع الدعوات التي توجّه اليّ."

قال السيد لوكليغ ضاحكاً: "حسناً، لن أوجّه لكِ دعوة ثانية."

"تأكّد أنه اذا فعلت، فسأذهب لزيارتك!"

بدا اللورد وربرتن، مع كل مرحه، متأكداً تماماً من نفسه. كان السيد بانتلنغ قد بقي واقفاً جانباً بدون أن يظهر أي معرفة سابقة بالرجل النبيل، الا أنه انتهز الآن الفرصة المناسبة للايماء برأسه لسيادته، الذي أجابه بعبارة ودودة وصافحه قائلاً، "أوه، أنت هنا، يا بانتلنغ؟"

قالت هنريتا: "عجباً، لم أعرف أنك تعرفه!"

قال السيد بانتلنغ بتصنّع: "أظن لا تعرفين جميع معارفي."

"ظننت أن مطلق رجل انجليزي لا يخفي صداقته بلورد انجليزي."

قال اللورد وربرتن وهو يضحك ثانية: "أخشى أن بانتلينغ كان يخجل مني." شعرت إيزابيل بالبهجة ازاء ذلك؛ وأطلقت تنهيدة ارتياح وهم يتابعون سيرهم باتجاه المنزل.

أمضت صباح اليوم التالي الموافق يوم أحد في كتابة رسالتين طويلتين ـ الأولى لشقيقتها ليلي والثانية لمدام ميرل؛ الا أنها في كلا الرسالتين لم

Stackpole rested her large intellectual gaze upon the sunburnt traveller. But she soon established her relation to the crisis. "I don't suppose you remember me, sir."

"Indeed I do remember you," said Lord Warburton. "I asked you to come and see me, and you never came."

"I don't go everywhere I'm asked," Miss Stackpole answered coldly.

"Ah well, I won't ask you again," laughed the master of Lockleigh.

"If you do I'll go; so be sure!"

Lord Warburton, for all his hilarity, seemed sure enough. Mr. Bantling had stood by without claiming a recognition, but he now took occasion to nod to his lordship, who answered him with a friendly "Oh, you here, Bantling?" and a hand-shake.

"Well," said Henrietta, "I didn't know you knew him!"

"I guess you don't know every one I know," Mr. Bantling rejoined facetiously.

"I thought that when an Englishman knew a lord he always told you."

"Ah, I'm afraid Bantling was ashamed of me," Lord Warburton laughed again. Isabel took pleasure in that note; she gave a small sigh of relief as they kept their course homeward.

The next day was Sunday; she spent her morning over two long letters–one to her sister Lily, the other to Madame Merle; but in neither of these epistles did she mention the

fact that a rejected suitor had threatened her with another appeal. Of a Sunday afternoon all good Romans and the best Romans are often the northern barbarians follow the custom of going to vespers at Saint Peter's; and it had been agreed among our friends that they would drive together to the great church. After lunch, an hour before the carriage came, Lord Warburton presented himself at the Hotel de Paris and paid a visit to the two ladies, Ralph Touchett and Mr. Bantling having gone out together. The visitor seemed to have wished to give Isabel a proof of his intention to keep the promise made her the evening before; he was both discreet and frank–not even dumbly importunate or remotely intense. He thus left her to judge what a mere good friend he could be. He talked about his travels, about Persia, about Turkey, and when Miss Stackpole asked him whether it would "pay" for her to visit those countries assured her they offered a great field to female enterprise. Isabel did him justice, but she wondered what his purpose was and what he expected to gain even by proving the superior strain of his sincerity. If he expected to melt her by showing what a good fellow he was, he might spare himself the trouble. She knew the superior strain of everything about him, and nothing he could now do was required to light the view. Moreover his being in Rome at all affected her as a complication of the wrong sort–she liked so complications of the right. Nevertheless, when, on bringing his call to a close, he said he too should be at Saint Peter's and should look out for her and her friends, she was obliged to reply that he must follow his convenience.

تأتِ على ذكر أنها التقت بطالب زواج سابق ما زال عند رغبته الشديدة بالزواج منها. يقضي جميع سكان روما الصالحين بعد ظهر أيام الأحد في ممارسة شعائر دينهم في كنيسة القديس بطرس؛ وقرّر أصدقاؤنا التوجّه إلى الكنيسة الشهيرة. ما أن انتهوا من تناول وجبة الغداء، وقبل ساعة من وصول المركبة، ظهر اللورد وربرتن عند فندق باريس وقام بزيارة السيدتين، نظراً لأن رالف توشيت والسيد بانتلينغ كانا قد خرجا معاً قبل ذلك. بدا الضيف راغباً بإعطاء إيزابيل اثباتاً عن عزمه الايفاء بالوعد الذي قطعه لها مساء اليوم المنصرم؛ تصرّف بشكل كتوم وصريح في آن معاً كان أبعد ما يكون عن الالحاح الغبي أو العزلة الشديدة. وهكذا تركها لتحكم بنفسها على قدرته بأن يكون مجرد صديق مخلص. تحدّث عن رحلاته، وعن ايران، وعن تركيا وحين سألته الآنسة ستاكبول ما اذا هناك من "مكسب" لها بزيارة تلك البلدان، أكّد بأنها توفّر ميدانا رائعاً لمغامرة أنثوية. قدّرته إيزابيل حقّ قدره، لكنها تساءلت عن غايته وعمّا يتوقّع أن يكسب بتأكيده الجُهد الأعظم وهو صدقه واخلاصه. اذا كان يقصد التأثير عليها بإظهاره لها أنه رجل رائع، فالأفضل له توفير هذا العناء على نفسه. كانت تعرف الجهد الأعظم بكل ما يتعلق به، ولا يمكنه القيام بأي عمل الآن يمكنه زيادة معرفتها تلك. فضلاً عن ذلك فإن مجرّد وجوده في روما أثّر بها كتعقيد من النوع الخطأ ـ وهي كانت تحب التعقيد من النوع الصحيح. بالرغم من هذا، قال عند انتهاء زيارته أنه هو أيضاً سيكون موجودا في كنيسة القديس بطرس وسيلتقيها هناك هي وأصدقائها، أجبرت على الاجابة أن عليه القيام بما يتلاءم مع رغباته.

كان هو أوّل شخص تلتقي به وهي تسير على أرض الكنيسة المُرَصّعة بالفُسيفساء. لم تكن واحدة من السائحين الرفيعي المستوى الذين شعروا "بخيبة أمل" من كنيسة القديس بطرس ووجدوها أقلّ أهمية من شهرتها؛ ارتقى مفهومها بالعظمة وحلّق عالياً جداً وهي تعبر للمرة الأولى تحت الستارة الجلدية عند المدخل، وتجد نفسها للمرة الأولى تحت القُبّة المُقوّسة وتشاهد الضوء مُتسلّلاً عبر الهواء المُشَخّن بعبق البخور وانعكاسات الرخام، وطلاء الذهب، والفُسيفساء والبرونز. نظرت وذهلت كطفلة، وقدمت إجلالاً صامتاً للمهيب الجالس. سار اللورد وربرتن إلى جانبها وتحدّث عن القديسة صوفيا في اسطنبول؛ وخشيت مثلاً أنه في النهاية سيلفت نظرها لسلوكها الذي يُحتذى به.

لم تكن الصلاة العامة قد بدأت بعد، ولكن يوجد في كنيسة القديس بطرس الكثير من المعالم يمكن مشاهدتها، ونظراً لوجود ما يُشابه المسائل الدنيوية بضخامة اتساع المكان، والذي يبدو أن الغاية منه ممارسة الرياضة الجسدية إلى جانب الرياضة الروحية، بإمكان المجموعات المختلفة من الزائرين، والمؤمنين والمشاهدين الاختلاط بكل سهولة والتعليق بكل حرية على ما يشاهدونه. وهكذا لم تتردّد هنريتا في الاعلان بكل صراحة وعدم تحيّز بأن قُبّة مايكل أنجيلو لا تتساوى مع قُبّة الكابتول في واشنطن من حيث الروعة والجمال، عبّرت عن احتجاجها هذا بالهمس بشكل رئيسي في أذن السيد بانتلنغ وأدخرت تفاصيل ذلك لمقالاتها على صفحات الانتيرفيور. تجوّلت إيزابيل برفقة سيادته في محيط الكنيسة، ولدى اقترابهما من جوقة المُرتّلين إلى يسار المدخل، وصلت اليهما أصوات

In the church, as she strolled over its tesselated acres, he was the first person she encountered. She had not been one of the superior tourists who are "disappointed" in Saint Peter's and find it smaller than its fame; the first time she passed beneath the huge leathern curtain that strains and bangs at the entrance, the first time she found herself beneath the far-arching dome and saw the light drizzle down through the air thickened with incense and with the reflections of marble and gilt, of mosaic and bronze, her conception of greatness rose and dizzily rose. After this it never lacked space to soar. She gazed and wondered like a child or a peasant, she paid her silent tribute to the seated sublime. Lord Warburton walked beside her and talked of Saint Sophia of Constantinople; she feared for instance that he would end by calling attention to his exemplary conduct.

The service had not yet begun, but at Saint Peter's there is much to observe, and as there is something almost profane in the vastness of the place, which seems meant as much for physical as for spiritual exercise, the different figures and groups, the mingled worshippers and spectators, may follow their various intentions without conflict or scandal. In that splendid immensity individual indiscretion carries but a short distance. Isabel and her companions, however, were guilty of none; for though Henrietta was obliged in candour to declare that Michael Angelo's dome suffered by comparison with that of the Capitol at Washington, she addressed her protest chiefly to Mr. Bantling's ear and reserved it in its more accentuated form for the columns of the Interviewer. Isabel made the circuit of the church with his lordship, and as they drew near the choir on the left of the entrance the voices of the

Pope's singers were borne to them over the heads of the large number of persons clustered outside the doors. They paused a while on the skirts of this crowd, composed in equal measure of Roman cockneys and inquisitive strangers, and while they stood there the sacred concert went forward. Ralph, with Henrietta and Mr. Bantling, was apparently within, where Isabel, looking behind the dense group in front of her, saw the afternoon light, silvered by clouds of incense that seemed to mingle with the splendid chant, slope through the embossed recesses of high windows. After a while the singing stopped and then Lord Warburton seemed disposed to move off with her. Isabel could only accompany him; whereupon she found herself confronted with Gilbert Osmond, who appeared to have been standing at a short distance behind her. He now approached with all the forms–he appeared to have multiplied them on this occasion to suit the place.

"So you decided to come?" she said as she put out her hand.

"Yes, I came last night and called this afternoon at your hotel. They told me you had come here, and I looked about for you."

"The others are inside," she decided to say.

"I didn't come for the others," he promptly returned.

She looked away; Lord Warburton was watching them; perhaps he had heard this. Suddenly she remembered it to be just what he had said to her the morning he came to Gardencourt to ask her to marry him. Mr. Osmond's words had brought the colour to her cheek, and this reminiscence had not the effect of dispelling it. She repaired any betrayal

المرتّلين من فوق رؤوس حشد كبير من الأشخاص المحتشدين خارج الأبواب. توقّفا قليلاً عند أطراف هذا الحشد المتكوّن بنسب متساوية من لكنات سكان لندن القاطنين في روما، وغرباء فضوليين، وخلال وقوفهما هناك، واصلت جوقة المرتّلين أداء مهمتها المقدسة. بدا واضحاً أن رالف، برفقة هنريتا والسيد بانتلنغ موجودين داخل الكنيسة، حيث شاهدتهم إيزابيل وهي تنظر عبر الحشد الكبير المتجمّع أمامها. توقّف الترتيل بعد فترة قصيرة، وبدا اللورد وربرتن راغباً بمرافقتها. لم يكن أمام إيزابيل من مهرب سوى السير إلى جانبه؛ حيث وجدت نفسها وجهاً لوجه مع جلبرت أوزموند، الذي بدا وكأنه كان واقفاً وراءها على مسافة قصيرة منها. تقدّم الآن بكل المراسم الملائمة ـ الذي بدا وكأنه ضاعفها في تلك المناسبة لتتلاءم مع هيبة المكان.

قالت وهي تمد له يدها لمصافحته: "اذن قررت المجيء؟"

"نعم، وصلت الليلة الماضية واتصلت بعد ظهر هذا اليوم بالفندق الذي تنزلين فيه. أخبروني أنكِ هنا، وجئت أبحث عنك."

قررت القول له: "الآخرون في الداخل."

أجاب بنبرة حاسمة: "لم آتِ اكراماً للآخرين."

أشاحت بوجهها عنه؛ كان اللورد وربرتن يراقبهما؛ ربما سمع العبارة الأخيرة. تذكّرت فجأة أن هذه الكلمات بالضبط هي ما قاله لها صباح اليوم الذي جاء فيه إلى غاردينكورت يطلب الزواج منها. احمرّ وجهها اثر سماعها كلمات السيد أوزموند، ولم يُساهم هذا التذكّر بتبديد ذلك الاحمرار. تخلصت من ارتباكها بتعريف الرجلين على بعضهما البعض،

ولحسن الحظ ظهر السيد بانتلنغ في تلك اللحظة من بين جموع المرتّلين، وهو يشقّ طريقه ببسالة بريطانية، ووراءه الآنسة ستاكبول ورالف توشيت. أقول لحسن الحظ، ولكن ربما تكون هذه العبارة وجهة نظر سطحية من المسألة؛ اذ بدا رالف توشيت منزعجاً من رؤية الرجل القادم من فلورنسا. ولكن هذا لم يمنعه من التصرّف بكياسة وأدب، وسرعان ما علّق مخاطباً إيزابيل، أنه عما قريب ستجد جميع أصدقائها وقد لحقوا بها إلى روما. كانت الآنسة ستاكبول قد التقت بالسيد أوزموند في فلورنسا، وسبق لها تحيّن الفرصة المناسبة للقول لايزابيل أنه لم يثر اعجابها شأنه شأن سائر المعجبين الآخرين بها ـ لا يختلف عن السيد توشيت واللورد وربرتن، وحتى الشاب روزيه في باريس. علّقت قائلة عندها: "لا أعلم ما مشكلتكِ، ولكن بالنسبة لفتاة لطيفة فإنك بلا ريب تجذبين أكثر الأشخاص غرابة، باستثناء السيد غودوود الذي أكنّ له احتراماً كبيراً، وهو الوحيد الذي لا تقدرينه حقّ قدره."

كان السيد أوزموند في هذه الأثناء يسأل سيدتنا الشابة: "ما رأيك بكنيسة القديس بطرس؟"

أجابت باكتفاء ذاتي: "انها كبيرة وساطعة جداً."

"انها كبيرة جداً لدرجة تجعل الانسان يشعر أمامها وكأنه ذرّة."

سألت وقد أعجِبَت من وقع جملتها: "أليس هذا هو الشعور الانساني الصحيح وسط المعابد الأكثر جلالة وضخامة؟"

"أظن هذا هو الشعور الانساني الصحيح الذي يشعر به الانسان في أي مكان، حين يكون ذلك الانسان شخصا نكرة. ولكني أحب ذلك الشعور داخل الكنيسة كما في أي مكان آخر."

by mentioning to each companion the name of the other, and fortunately at this moment Mr. Bantling emerged from the choir, cleaving the crowd with British valour and followed by Miss Stackpole and Ralph Touchett. I say fortunately, because this is perhaps a superficial view of the matter; since on perceiving the gentleman from Florence Ralph Touchett appeared to take the case as not committing him to joy. He didn't hang back, however, from civility, and presently observed to Isabel, with due benevolence, that she would soon have all her friends about her. Miss Stackpole had met Mr. Osmond in Florence, but she had already found occasion to say to Isabel that she liked him no better than her other admirers- than Mr. Touchett and Lord Warburton, and even than little Mr. Rosier in Paris. "I don't know what it's in you," she had been pleased to remark, "but for a nice-girl you do attract the most unnatural people. Mr. Goodwood's the only one I've any respect for, and he's just the one you don't appreciate."

"What's your opinion of Saint Peter's?" Mr. Osmond was meanwhile enquiring of our young lady.

"It's very large and very bright," she contented herself with replying.

"It's too large; it makes one feel like an atom."

"Isn't that the right way to feel in the greatest of human temples?" she asked with rather a liking for her phrase.

"I suppose it's the right way to feel everywhere, when one is nobody. But I like it in a church as little as anywhere else."

صاحت إيزابيل قائلة : "يجدر بك فعلاً أن تكون بابا روما!" متذكّرة شيئاً قاله خلال وجوده في فلورنسا .

قال جلبرت أوزموند : "أوه، لا شك أنني كنت استمتعت بذلك المنصب!"

كان اللورد وربرتن في هذه الأثناء قد انضم إلى رالف توشيت، وسار الاثنين معاً مبتعدين عن الآخرين . سأل سيادته : "من ذاك الشخص الذي يتحدث مع الآنسة أرتشير؟"

قال رالف : "يُدعى جلبرت أوزموند ـ ويعيش في فلورنسا ."

"ومَن هو إلى جانب هذا؟"

"لا شيء على الاطلاق . أوه، صحيح، انه أمريكي الجنسية؛ ولكن المرء يميل لنسيان ذلك ـ لم يعد لديه سوى النذر القليل من ذلك ."

"هل يعرف الآنسة أرتشير منذ فترة طويلة؟"

"منذ ثلاث أو أربع أسابيع ."

"هل يعجبها؟"

"تحاول معرفة الجواب على هذا السؤال ."

"وهل ستفعل؟"

سأل رالف : "تعثر على الجواب؟"

"هل سيعجبها؟"

"أتقصد هل ستقبل به؟"

قال اللورد وربرتن بعد لحظة : "نعم، أظن هذا ما أقصد قوله لسوء الحظ ."

أجاب رالف : "ربما لن تفعل اذا لم يُقدم أحد على الحؤول بدون ذلك ."

"You ought indeed to be a Pope!" Isabel exclaimed, remembering something he had referred to in Florence.

"Ah, I should have enjoyed that!" said Gilbert Osmond.

Lord Warburton meanwhile had joined Ralph Touchett, and the two strolled away together. "Who's the fellow speaking to Miss Archer?" his lordship demanded.

"His name's Gilbert Osmond–he lives in Florence," Ralph said.

"What is he besides?"

"Nothing at all. Oh yes, he's an American; but one forgets that- he's so little of one."

"Has he known Miss Archer long?"

"Three or four weeks."

"Does she like him?"

"She's trying to find out."

"And will she?"

"Find out-?" Ralph asked.

"Will she like him?"

"Do you mean will she accept him?"

"Yes," said Lord Warburton after an instant; "I suppose that's what I horribly mean."

"Perhaps not if one does nothing to prevent it," Ralph replied.

جفل سيادته للحظة، ولكنه تدارك الموقف. "اذن علينا التزام السكون التام؟"

أضاف رالف قائلا: "سكون أشبه بسكون القبر. وحتى عندها ليس لدينا سوى احتمال!"

"احتمال رفضها له؟"

"احتمال عدم رفضها له؟"

تقبّل اللورد وربرتن هذا القول بادىء الأمر بصمت، وما لبث أن تكلم. "هل هو رجل ذكي؟"

قال رالف: "في منتهى الذكاء."

غرق رفيقه في تفكير عميق. "وماذا أيضاً؟"

قال رالف بألم: "ماذا تريد أكثر من ذلك؟"

"أتقصد القول ماذا تريد هي أكثر من ذلك؟"

أمسك رالف بذراعه ليدفعه للنظر اليه؛ كان عليهما الانضمام للآخرين. "لا تريد شيئاً مما يمكننا نحن تقديمه لها."

قال سيادته وهما يتابعان سيرهما: "أوه حسناً، اذا رفضتك أنت!"

His lordship stared a moment, but apprehended. "Then we must be perfectly quiet?"

"As quiet as the grave. And only on the chance!" Ralph added.

"The chance she may?"

"The chance she may not?"

Lord Warburton took this at first in silence, but he spoke again. "Is he awfully clever?"

"Awfully," said Ralph.

His companion thought. "And what else?"

"What more do you want?" Ralph groaned.

"Do you mean what more does she?"

Ralph took him by the arm to turn him: they had to rejoin the others. "She wants nothing that we can give her."

"Ah well, if she won't have You-!" said his lordship handsomely as they went.

Henry James

THE PORTRAIT OF A LADY

English - Arabic

Part 1



Designed by R .Sedik

Dar wa Maktabat
Al-Hilal - Beirut

Dar Al-Bihar
Beirut